# موسوعة الشعراء الصعاليك

الجزء الثاني

الشعراء الصعاليك

من العصر الجاهلي حتى العصر الحديث

الجزء الثاني

## الشعراء الصعاليك
## من العصر الجاهلي حتى العصر الحديث

د. حسن جعفر نور الدين

رشاد برس

# مقدمـــة

يستحوذ تاريخ الشعراء الصعاليك على اهتمامات كثير من الادباء والمفكرين، وتحظى تصرفاتهم بمواقف متباينة، منها المعارض المنتقد، ومنها المؤيد المثني، وهي في شقيها دليل حضورها القوي في أذهان الناس ومشاعرهم، وقد أفضنا في الصفحات السابقة بدراسة مستفيضة عن تاريخ الصعلكة وحياة الصعاليك، وتصرفاتهم واعمالهم، وعلاقاتهم مع الناس ومع قبائلهم وسواها في عرض الصحراء وطولها.

وإذا كنّا قد أنجزنا في الجزء الأول دراستنا عن حياة الصعلكة وتاريخ الشعراء الصعاليك، فإن الجزء الثاني هو ديوان الصعاليك، أو أشعارهم التي تفاوتت في مستواها النضجي، والفني، وقد حاولت قدر الممكن رصد جميع الشعراء الصعاليك، والتعرف عليهم والإشارة إلى نماذج من أشعارهم، تحدد أطرهم التفكيرية العامة.

ثم قسمت هذا الجزء إلى مراحل، أولها مرحلة الشعر الجاهلي، وآخرها مرحلة الشعر المعاصر.

**حسن جعفر نور الدين**

**حبوش 2006**

# الباب الأول

# المرحلة الجاهلية

الأعلم الهذلي
السليك بن السلكة
الشنفري
تابط شراً
جحدر بن ضبيعة بن قيس
حاجز بن عوف الأزدي
صخر الغي
عبد يغوث الحارثي
عروة بن الورد
عمرو بن براقة الهمداني
عمرو بن عجلان
ابن الحدادية
مفزع الليل

# الأعلم الهذلي حبيب بن عبد الله

حبيب عبد الله الهذلي، أخو صخر الغي، لكنه أقل منه شاعرية كما سنبين من شعره لاحقاً، إلا أن صخراً أمهر منه في علم الصعلكة، إذ كان رئيس عصابة يعتمد أفرادها على صخر وصخير وأبي عمرو، علاوة على أنه كان من العدائين المبرزين المشهورين، كما أن حياة الصعلكة وارتياد الفيافي والقفار والمفازات جعلت منه وصافاً ماهراً لوحوش الصحراء وحيوانها، ويمتاز بشاعرية فذه وأفق رحب، ويعتبر أحد أهم الشعراء الجاهليين الذين عنوا بتصوير البيئة الصحراوية ومشاهدها المتنوعة.

ويتباهى الاعلم بنفسه وبسرعته الخارقة، حديث معجب يرى ان ما يفعله يعجز بعض الناس حيث يقول[1]:

فلا وأبيك لا ينجو نجائي    غداة لقيتهم بعض الرجالِ

ومن الصورة الإفرادية، إلى الصورة الجماعية لمجموعة من الصعاليك يشبه الأعلم انقضاضها على فريسة شاهدوها أثناء جولتهم في الصحراء، بتفجر الماء من حوض قديم واهن منهار، يحاول صاحبهُ أن يرأب صدعه ويصلح أمره، إلا أنه يفشل ويغلبه الماء الذي يعود فينبجس من جميع النواحي، ذلك هو الامتداد الخيالي وسعة الأفق الذي اشرنا إليه حول شاعرية الأعلم[2]:

تخاف لزامَ عاديةٍ ثعولِ    كما يتفجر الحوضُ اللقيفُ[3]

وانظر إلى هذه الصورة الخلابة التي يرسمها لحمار الوحش بخطوط وألوان

---

(1) ديوان الهذليين 2 / 83 د. خليّف ـ الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ـ ص216.

(2) المصدر نفسه د. خليّف ـ الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ـ ص218.

(3) اللزام: العذاب ـ الثعول: التي لها زيادات بمنزلة الضرع ـ اللقيف: الذي أصلحه فطّينه من جميع نواحيه.

جميلة، وهو العارف والخبير بحيوان الصحراء لكثرة تردداه ومصاحبته لها، أما حمار الوحش فهو ضامر من غير هزال، ذلك ليعطيه جمال الجسم ورقته، فهو يعرف السدد في حمرته، وتلتقي ثنائية الطبيعة وموجوداتها الحيوان والشجر، فالحيوان هو ابن بيئته، وتكتمل الصورة الخلابة، عندما يخرج في طلب الماء ليلاً، فتلوح له اتان سمينة بضة الجسم مكتنزة اللحم، تفتح شهيته لاقتناصها وإدراكها[1]:

يُغْرَي جذيمة والرِّدا ء كأنه بأقبَّ قاربْ
خاظٍ كعرقِ السِّدرِ يسبـ ـق غارةَ الخوص النجائب
عَنتٌ له سعفاءُ لكَّـ ـت بالبضيع لها الخبائب

وكما وصف حمار الوحش وصفاً دقيقاً ماتعاً، فإنه كذلك وصف الظليم، فهو سريع، غليظ الساقين طويلهما، وهو ذاهل خائف قد تساقط ريشه واختبأ بين أشجار طويلة باسقة، فإذا عدا اضطربت جناحاه اضطراب ريح جنوبية، وهو يرفل بثياب جديدة[2]:

كأن مُلاءَ تيَّ عليَّ هِزَفٌ يعنُّ مع العشية للرئال
على حت البُراية زمخري السواعد ظل في شَرْيٍ طوال
كأن جناحه خفقانُ ريحٍ يمانية بِرَبْطٍ غيرِ بالي[3]

وعشق الأعلم للسرعة، جعله يكره مطارديه، ذلك لأنهم عداؤون سريعون، ومنهم جذيمة العبدي الذي لا يألو جهداً في مطاردته[4]:

كرهت جذيمة العبدي لما رأيتُ المرء يجهد غير آلي

ولطالما أنقذته هذه السرعة الخارقة من أسر أو موت محقق، ومنها عندما تكاثر عليه خصومه ففر منهم لا يلوي على شيء، سوى قدمين تبلغانه الأقاصي[5]:

---

(1) ديوان الهذليين: 2 / 78 و79 د. خليف ـ صعاليك العصر الجاهلي ص220.
خاظ: مكتنز ممتلئ لحماً، سعفاء: سوداء الوجه في حمرة، لكّت: قذفت باللحم ـ البضيع: اللحم ـ الخبائب: طرائق اللحم.

(2) ديوان الهذليين ـ 2/ 83.

(3) الرئال: جمع رأل وهو ولد النعام ـ الزمخري: الأجوف ـ وقوله"على حث البراية يريد به أنه سريع لا يبقى منه إلا براية ـ الشري: شجر.

(4) ديوان الهذليين 2/ 83 د. خليف ـ الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ص219.
غير آلي: لا يدع من الجهد شيئاً.

(5) ديوان الهذليين 2/ 77 و79 د. خليف الشعراء الصعاليك ص215.
وسطان أو شوطان: اسم مكان ـ شدي: عدوي.

بــذلــت لــهــم بــذي وَسُــطــان شــدِّي غـــداتــئـــذٍ ولــم أبــذُل قــتــالــي

وفي الموقف نفسه، دعنا نستحضر قصيدة الأعلم البائية التي يتحدث فيها عن فراره مع صاحب له من مأزق حرج وجد نفسه فيه، وذلك حين فاجأه القوم، وراحوا يطاردونه مع صاحبه، وتضيق المسافة بينهم حتى اقتربوا منهما كثيراً، ولم يبق بينهم سوى رمية سهم، وفي تلك اللحظة، فحث صاحبه الجزع صواب الأعلم، فيفقده القدرة على الرمي، لكنه ما فقد القدرة على العدو، فحث صاحبه على الانطلاق، وهبا كالريح لينجوا معاً، فاسمعه يقدم صورة فوتوغرافية خلابة لهذا الموقف الحرج في أدق وصف وأروع أداء:

لـــمـــا رأيـــتُ الـــقـــومَ بـــالـــ عـــلـــيـــاءِ دون قِـــدَى الـــمـــنـــاصِـــبْ

وفَـــريـــتُ مـــن فـــزعٍ فـــلا أرمـــي ولا وَدَّعـــتُ صـــاحـــبْ

يُـــغْـــرون صـــاحـــبـــهـــم بـــنـــا جَـــهْـــداً وأُغْـــرِي غـــيـــرَ كـــاذبْ

أُغْـــري أبـــا وهـــب لـــيـــعـــ ـجـــزهـــم ومـــدوا بـــالـــحـــلائـــبْ[1]

ولا أدري كيف استطاع وهو الفار أمام مهاجمين، كيف رأى واستطاع وصف هؤلاء المطاردين حتى انه يحدد أحدهم، ويركز على سرعة عدوه، وخشية أن يتهم بالجبن والانهزام، وهو المعتدُّ بنفسه، فإنه يعتذر عن فراره، وذلك خشية أن يقتل بسيوفهم ويلقى في العراء، ويصبح مائدة للذباب والكواسر والضباع[2]:

وخـــشـــيـــتُ وقـــعَ ضـــريـــبـــةٍ قـــد جُـــرِّبـــت كـــلَّ الـــتـــجـــاربْ

فـــأكـــون صَـــيـــدُهـــمُ بـــهـــا وأصـــيـــرُ لـــلـــضُّـــبْـــعِ الـــسَّـــواغـــب

جـــزراً ولـــلـــطـــيـــر الـــمُـــريَّـــ ش ـــة والـــذِئـــاب ولـــلـــثـــعـــالـــب

وتـــجـــرٌّ مُـــجْـــريـــةٌ لـــهـــا لـــحـــمـــي إلـــى أجْـــرٍ حـــواشـــب

ويقوده الحديث عن الوحوش والطيور إلى وصف الضباع وجرائها، هكذا ينفذ من شيء إلى شيء، ويتخيل هذه الوحوش وهي تقضم فريستها وتنـزع جلدها نزعاً شديداً، وكأنه يتصور نفسه وهو بين أشداق الضباع، فريسة سهلة تنتهي به إلى

---

(1) ديوان الهذليين ـ قسم 2/ ص77 و79.
قِدى: قدِى وقِيد وقاد واحد ـ المناصب: بلد ـ أو أنصاب الحرم ـ فريت: تحيرت ودهشت، فلم أودع صاحبي الذي مررت عنه ولم أقدر على الرمي ـ الحلائب: الجماعات

(2) ديوان الهذليين ـ 2/ 79 و81 ـ د. خليف ـ الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ـ ص213، الضريبة: السيف ـ جزراً قطعاً ـ مجرية: ضبع ذات جراء ـ الأجرى: الجراء ـ الحواشب: المتفخات البطون ـ يوم حق ذائب: شديد الحر ـ المناقب: أماكن ـ التوالب: الجحاش الصغار ـ السواغب: الجياع.

الموت المحقق، ويتخلص من هذه الصورة المرعبة بالانتقال إلى موضوعه المحبب، العدو، إلا أنه الآن في القيظ اللاهب، ومع ذلك لا يبالي به، طالما أنه اقترب من الامن والأمان، ولاحت لناظريه منازل أهله في السلامة، هنا وكأنه لا يريد لصورة التشاؤمية أن تمحى ملامحها من لوحته الفنية، ودون أن يحتفل بالوصول سالماً ويحدثنا عن جمال موطنه، اخذ يذكر أهله وفقرهم ومتاعبهم، وأولاده الصغار وجوعهم وحاجتهم، وكأنه كان يتمنى أن يعود من مناطق صعلكته محملاً بالهدايا والخيرات يغدقها على أولاده الذين ينتظرون عودته وقد رمزٌ لهم ما ينقصهم في حياتهم القاسية[1]:

| | |
|---|---|
| حتى إذا انتصفَ النها | رُ وقلتُ يومٌ حقٌّ ذائبْ |
| رفَعتُ عينيَّ الحجا | زَ وقلتُ إلى أناس بالمناقبْ |
| وذكرت أهلي بالعرا | ء وحاجة الشُّعْثِ التوالب |
| المصرمين من التِّلا | دِ اللامحينَ إلى الأقاربْ |

ويتحدث الأعلم في مكان آخر من شعره، عن الأهداف التي يقصدها بغزاوته وإغاراته، ويسرد وقائعه بطريقة لا تخلو من سخرية، فغريمه رجل سمين غني، يعيش في بحبوحة ورغد من العيش، بين الستائر والحظائر، والتي أوصلته إلى ما هو عليه امرأته التي اعتنت به، ووجهت إليه برها وحنانها، ومع كل هذا الفن والترف فقد كان جباناً ضعيف القلب، تخيفه الصحراء ومن يمر بها، حتى انه يحسب كل شخص فارساً، وما من شك أن اعمال الصعاليك واغاراتهم وغزواتهم هي التي أوهنت قلبه، واوصلته إلى هذا الشعور، فهم الذين كانوا يتربصون به وبأمثاله من الأعنياء والتجار ويسلبونهم ما يكون معهم، وإذا رأوه انصبوا عليه كالماء المنبجس من حوض متهدم، وإذ ذاك لا يجد مناصاً من الفرار والنجاة، تاركاً صنيع امرأته يذهب سدى[2]:

| | |
|---|---|
| أيسخطُ عزوَنا رجلٌ سمينٌ | تُكَنِّنُهُ السنارةُ والكنيفُ |

(1) ديوان الهذليين: 2/ 81 د. خليف ـ الشعراء والصعاليك في العصر الجاهلي ـ ص213.
المصرمين: المخِفِّين.

(2) شرح أشعار الهذليين 1/ 68 ـ 69 ـ د. خليف الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ـ ص239. الخروق: جمع خرق وهو القفر والأرض الواسعة تنخرق فيها الرياح ـ الشدوف: جمع شدف، وهو الشخص ـ اللزام: العقاب ـ الثعول: االتي لا زيادات بمنزلة الضرع ـ اللقيف: الذي أصلحه صاحبه فطيَّنه، وسواه من نواحيه ـ الوجيف: ضرب من السير، أو الفزع والاضطراب.

ولـو رَفَّـعـت ثـوبَـكَ فـي خـروق ... تَـرُوعـك فـي مـهـالـكـهـا الـشُّـدوفُ
تـخـافُ لـزامَ عـاديـةٍ ثـعـولٍ ... كـمـا يـتـفـجـرُ الـحـوضُ الـلَّـقـيـفُ
إذن لـذكـرتَ حـالـكَ غـيـرَ عـصـرٍ ... وأفـسـدَ صـنـعـهـا مـنِـك الـوجـيـفُ

ورغم جمالية قصائد الأعلم، إلا أن كثرة الغريب ظاهرة واضحة في بعض شعره، حتى ليخيل إليك أنك تقرأ طلاسم لفظية ورموزاً معقدة يصعب فكُّهَا، تضعك في موقف المتحير أمام تفسيرها، بحيث أن المعاجم تكاد لا تفي بالغرض المطلوب، خاصة إذا كان بعض هذه الألفاظ قد أُهمِلَ أو ترك أو حذف من الاستعمال مع مرور الزمن لعدم صموده وتقبل العامة له.

فـشـايـعْ وسـطَ ذَوْدِكَ مـقـبـئـنـاً ... لـتـحـسـبَ سـيـداً ضـنُـبَـعـاً تَـنُـولُ
عَـشَـنْـزَرَةٌ جَـواعِـرُهـا ثـمـانٍ ... فُـوَيْـقَ زِمَـاعِـهَـا وشـمٌ حُـجـولُ
تـراهـا الـضـبـعُ أعـظـمـهـنَّ رأسـاً ... جـراهِـمـةٌ لـهـا حِـرَةٌ وثِـيـل[1]

وبيت آخر له[2]:

والـحـنـطـي الـحِـنْـطِـيُّ يُـمـ ... شـجُ بـالـعـظـيـمـة والـرغـائِـبْ

(1) ديوان الهذليين 2/ 85 ـ 87. شايع: المشايعة دعاء الأبل ـ المقبئن: المجتمع ـ الذود: ما بين الثلاثة إلى العشرة من الإبل ـ العشنزرة: الغليظة ـ جواعرها ثمان: أي للضبع في دبرها خُروقاً عدة ـ فويق زماعها: الزماع شعرات خلف ظلف الشاة وهي مجتمعة مثل الزيتونة ـ وشم: خطوط. الجراهمة: عظيمة الرأس. وحِرَّة: يعني حراً: يريد انها خُنثى.

(2) ديوان الهذليين 2/ 78 ـ 81.

# السليك بن السلكة
## ... ـ نحو 17 ق. هـ ... ـ نحو 605م

السليك بن عمرو أو بن عمير بن يثربي من بني مقاعس، ينتسب إلى سعد، مناة بن تميم، والسلكة أمه، وهي أمة سوداء، وهو أحد صعاليك العرب العدائين الذين كانوا لا يلحق بهم أحد لسرعة عدوهم، حتى أنهم كانوا يسبقون الخيل، ومنهم علاوة على السليك، الشنفري وتأبط شراً وعمرو بن براق ونفيل بن براقة.

كان السليك أدلَّ من قطاة، بحيث أنه إذا جاء الشتاء، استودع ببيض النعام ماء السماء ثم دفنه، فإذا حل الصيف وانقطعت إغارة الخيل أغار، فكان يقف على البيضة، ولا يغير على مضر، وانما كان يغير على اليمن، فإن لم يستطع اغار على ربيعة.

وجاء في الأغاني أن السليك كان من أشد رجال العرب وانكرهم واشعرهم، وكانت العرب تدعوه شيخ المقانب، وكان أدلَّ الناس بالأرض وأعلمهم بمسالكها واشدهم عدواً على رجليه، لقب بالرئبال.

ومما يؤثر عنه دعاء كان يردده دائماً يتمنى فيه أن يبقى قوياً رجلاً شجاعاً حيث يقول:

«اللهم إني لو كنت ضعيفاً كنت عبداً، ولو كنت امرأة كنت أمة، اللهم إني أعوذ بك من الخيبة، فأما الهيبة فلا هيبة».

ومما ذكره أنه أملق وافتقر حتى فقد كل شيء[1].

ومن مظاهر قوته وسرعة عدوه وبأسه أنه تحدى في أواخر حياته (شيخوخته) أربعين شاباً، فلبس درعاً حديدية وسابقهم فسبقهم.

---

(1) الاغاني م 20/ ص346 وما فوق ـ الشعر والشعراء ـ ص235 ـ الاعلام للزركلي ـ 3/ 115.

ومن احاديث حنكته وتحايله، أنه أغار مرة على بني عُوارة فلم يظفر منهم بفائدة، فأرادوا مساورته، فقال شيخ منهم، دعوه حتى يرد الماء ولا تلحقوا به الآن، فإنه إذا شرب ثقل فلم يستطع العدو فتظفرون به، فأمهلوه ودعوه يتقدم حتى ورد الماء، فشرب، وما لبثوا أن بادروه، فلما علم أنه مأخوذ خاتلهم وقصد لأدنى بيوتهم/ حتى دخل على امرأة منهم تدعى فكيهة، فاستجار بها، فمنعته وجعلته تحت درعها، وشهرت السيف دفاعاً عنه وقامت دونه، فكاثروها واجتمعوا عليها فكشفت خمارها عن شعرها وصاحت بإخوتها، فأنجدوها ودفعوا عنه حتى نجا من القتل، وقال في هذه المناسبة من بحر الوافر:

لعمرُ أبيكَ والأنباءُ تُنمى ... لَنِعْم الجارُ أختُ بني عُوارا[1]

من الخَفِرات لم تفضحْ أباها ... ولم ترفعْ لاخوتها شَنارا[2]

كأن لجامعَ الأردافِ منها ... نقيّ درجت عليه الريحُ هارا[3]

يعافُ وِصال ذاتِ البذل قلبي ... ويتَّبعُ الممنَّعة النُّوارا[4]

وما عجزتْ فكيهةُ يوم قامت ... بنصلِ السيف واستلبوا الخِمارا[5]

إذن كان السليك من شياطين الجاهلية، قاسياً فاتكاً، إذ يروى أنه قتل شيخاً كبيراً أثناء نومه.

ولم يكن في ممارساته أريحياً فياض القريحة كعروة، إذ لا يذكر عنه انه حدب على زميل له، أو رعى شأن فقير وساعد محتاج، كانت غايته الغزو والغنم والفتك ليس إلا، وتأكيد حضوره الشخصي والمباهاة بسرعة جريه ومبادرته وإقدامه على ارتياد المخاطر والأهوال، فهو فاتك أكثر منه ثائراً، يحمل هدفاً ويسعى إلى غاية، ففي شعره لا نجد شيئاً من تقديس قيم الجود والكرم والثورة.

ولا تخلو حياته من بعض الومضات التي تتجلى فيها عاطفة على بعض الصعاليك أمثاله، كما ورد في إحدى قصصه المعروفة، انه كان نائماً واستيقظ،

---

(1) تنمى: تزيد ـ من النماء ـ نما ينمو ـ النمو ـ ونمى الحديث: ارتفع.

(2) الحفز: الحياء والخجل الجديد ـ والشنار العيب والعار.

(3) النقى: منطقة من الرمل الرطب أو القطعة المحدودبة من الرمل ـ الهار: الضعيف ـ يقول على شفير هارٍ، أي يكاد يقع أو ينهار.

(4) النوار: اسم علم ـ وهو المرأة التي تعاف وتكره الشك.

(5) الاغاني 20/ 354 ـ 355 ـ ديوان الشنفري ـ طلال حرب ص88.

وإذا برجل جالس على صدره يود أسره، إلا أن السليك تغلب عليه وسأله عن حاله، فإذا هو صعلوك بائس معدم، فعزف عن إيذائه وأخذه معه ثم غزا وأعطاه.

## خاتمة المطاف:

لم يقض السليك في ساح الوغى، أو دفاعاً عن مبدأ، أو في غزوة شُهِر فيها عليه سيف النقمة، وإنما لأمر شخصي ومتعة ذاتية، إذا يروى ان السليك كان يقدم إتاوة من غنائمه لعبد الملك بن مويلك الخثعمي لقاء إجارته له خلال مروره في غزواته إلى اليمن بديار خثعم، وكان أن تجاوز في إحدى هذه الغزوات ديار خثعم وأغار على اليمن، ثم قفل راجعاً، ومرّ وهو في طريق عودته ببيت من خثعم ليس فيه أحد إلا امرأة شابة جميلة، فأعجبته ومال إليها فاغتصبها ومضى، فأسرعت حيث أهلها، وأخبرتهم بما حصل معها، فركب أنس بن مدرك الخثعمي ولحق به حتى ادركه ثم قتله، وذلك سنة 17 ق. هـ 605 م على وجه التقريب[1].

## شعر السليك:

لم يصلنا من شعر السليك إلا نتف قليلة لا يُعتدُّ بها، ومعظم موروثاته مطالع قصائد، يبدو أنها ضاعت من الزمن ولم يبقَ إلا بيت واحد أو أكثر منها، وهي لا تكشف جميعها عن مكانة هذا الشاعر وروحه الشعرية، إنما سنحاول في ما له إلقاء الضوء على شخصيته وحياته وسلوكه من خلالها، فالشعر مرآة الشاعر ونفسه والحقيقة ان ديوان الشاعر المعروف والمتداول لا يزيد عن ثلاثة وستين بيتاً من الشعر، وهي جميعها دون قصيدة واحدة كبيرة، إلا أنه الزمن والظروف عدا عن ان السليك ليس من الشعراء المرموقين في الجاهلية ويأتي في المرتبة الثانية أو الثالثة بين شعراء الصعاليك المعروفين أمثال الشنفري وعروة بن الورد وتأبط شراً.

## شعر الغزاوات:

قلت أن ما بقي من شعر السليك نتف قصيرة لا تصور كثيراً حياة هذا الشاعر بشكل دقيق، وأطول قصيدة له في ديوانه تبلغ أربعة عشر بيتاً، قالها إثر خروجه للغزو مع جماعة له.

---

(1) الاغاني 20 / 356 ـ الشعر والشعراء 235 ـ 237. د. خليف ـ صعاليك العصر الجاهلي.

ويبدو أن الأمر شق على بعضهم، أو وجدوا ان الطريق صعبة والمنال عسير.فتركوه وظل معه فتيان من قبيلة مقاعس، ولما اقتربوا من حمى خثعم تاهت ناقة رجل يسمى صرد، فخرج يطلبها، إلا أنهم أسروه، فهاجمهم السليك وهزمهم وحرر صرداً من الأسر. ونكل بالقوم واستصفى إبلهم، هذا ما تبينه أبيات القصيدة حيث يقول:

بكى صُردٌ لما رأى الحي أعرضَتْ ... مهامِه رملٍ دونهم وسهوب
وَخَوَّفَهُ ريبُ الزمان وفقرُهُ ... بِلادَ عدوٍ حاضرٍ وجدوبُ
ونأيٌ بعيدٌ عن بلاد مُقاعِسٍ ... وإن مخاريق الأمور تريبُ
فقلت له لا تبك عينك إنها ... قضيةٌ ما يُقضى لها فتنوبُ
سيكفيكَ فقدَ الحي لحمُ مغرَّضٌ ... وماءُ قُدور في الجفانِ مشوبُ
ألم تر أن الدهر لونان لونُه ... وطوران بِشْرٌ مرة وكذوبُ
فما خيرُ مَنْ لا يرتجي خيرَ أوبةٍ ... ويخشى عليهِ مِرْيَةٌ وحروب
رددتُ عليه نفسَهُ فكأنما ... تلاقى عليه مِنْسَرٌ وسُروب
فما ذَرَّ قرنُ الشمس حتى رأيتُهُ ... مُضَادَ المنايا والغبار يثوبُ[1]
وضاربتُ عنه القوم حتى كأنما ... يُصعِّدُ في آثارهم ويصوب[2]
وقلت له خذ هجمة جَبْرِيَّةً ... وأهلاً ولا يبعدْ عليك شروبُ[3]
وليلة جابانٍ كررت عليهم ... على ساحةٍ فيها الاياب حبيب[4]
عشية كدَّت بالحراميِّ ناقةٌ ... بحيهلا يدعو بها فتجيب[5]
فضاربتُ أولى الخيل فيها كأنما ... أُميل عليها أيدعُ وصبيب[6]

---

(1) الأغاني ـ 20/ 352.
المهمه: البلد القفر والصحراء الواسعة التي لا ماء فيها.
مغرض: مأخوذ من اللحم الغريض الطري ـ السروب: الجماعات من الخيل أو الظباء ـ المنسر: القطعة من الجيش.
(2) الآغاني ـ 20/ 352 ـ يصوب: يصب وينحدر.
(3) جبرية شجاعة ـ والشروب: الرمح المتعطش للدماء.
(4) جابان: اسم موضوع في اليمن حيث غزا السليك.
(5) كدّت اشتدت وعنفت ـ حيهلا: اسم فعل أمر لمناداة الخيل، بمعنى أقبل.
(6) الأيدع: الزعفران، والصبيب: نبات يصبغ به والصبيب هو الدم أيضاً.

وفي أبيات قليلة يلوم السليك قومه لأنهم لم يصدقوه عندما أنذرهم بقرب غزو فرسان لبكر وائل ديار بني تميم:

يكذبُني العَمرانِ عمرو بن جندب ... وعمرو بن سعدٍ والمكَذِّبُ أكذب[1]
ثِكْلتكما إنْ لم أكنْ قد رأيتَها ... كراديس يُهْدِيها إلى الحي كوكب
سعيتُ لعمري سعي غَيْرِ مَعَّجز ... ولا نأنأٍ لو أنني لا أكذب
كراديسُ فيها الحَوْفَزانُ وحَولهُ ... فوارسُ هَمَّامٍ متى يَدْعُ يركَبوا[2]
تفاقدتُمْ هل أُنكِرَتْ مُغِيَرةً ... مع الصبح يهديهنَّ أشقرُ مُغْرِبُ[3]

وكان فرسان بني بكر قد خشوا أن يعلم السليك بقدومهم فينذر قومه، لذلك أرسلوا إليه فارسين يمتطيان جوادين بغية مناوشته، فعلم بأمرهما وخرج يعدو كالظبي، فتبعاه يوماً وليلة فما قدرا على الأمساك به لشدة عدوه وجلده، إلى ان وصل إلى قومه وحذرهم مما يُبيت لهم، فكذبوه[4].

وكانت معظم غزوات السليك في أرض اليمن، ربما لمعرفته بطبيعة هذه الأرض الخضراء الغنية ولثراء بعض سكانها المعروفين، هذا ما تؤكده مصادر غزواته وكان للسليك فرس اسمها النحام، اتخذها عدته، ولما قضت أخذ يستعيد ما كانت تقوم به، فقوائمها كالصدف، تمر على كل شيء وهي تحمله في حله عند المساءات، كناية عن أن التعب والاعياء لم ينل منها بعد كل الجهد والمشقة. وهو إذ يقف في قرماء (وهو موضع عالٍ) تبين قوائمه الفارعة، ويتلألأ بياض شعره كأنه خمار يلبسه ويتزيا به.

وأكثر ما يشعر بالحاجة إليه ويفتقده في ساحات الغزو والفتك، عندما يغير القوم أو يولوا الأدبار، إذ كان عدته ونجدته.

كأن قوائمُ النحام لما ... تحمَّلَ صحبتي أُصُلاً مَحارُ[5]

---

(1) العمران في البيت هما من قوم السليك الاغاني 20/ 353.

(2) كراديس جمع كردوس - وهو الصف أو المجموعة من الجند. الحوفزان هو الحارث بن شريك، ونعت بهذا الأسم لأن قيس بن عاصم اقتلعه عن سرجه بالرمح، وكل ما خُلع من مكانه فقد حفز. وهذا الشاعر فارس جاهلي من أعيان بني شيبان.

(3) تفاقدتم: أي فقد بعضكم بعضاً.

(4) الأغاني 20/ ص353 - ديوان الشنفري - طلال حرب ص82/ 83.

(5) أصل: جمع أصيل - والمحار: الصدفة - كأنها تمر على كل شيء.

علـــى قـــرمـــاءَ عـــالـــيـــةٌ شـــواهُ كـــأن بـــيـــاضَ غُـــرَّتِـــه خِـــمَـــارُ[1]
ومـــا يـــدريـــك مـــا فـــقـــري إلـــيـــه إذا مـــا الـــقـــومُ ولـــوا أو أغـــاروا

وفي موقف آخر من مواقف الغزو، لم يرع السليك ذمة في سبيل اصطياد المغانم والظفر بالثروة، وكان ذلك عندما خرج مع صديقين له يقال لهما عمرو وعاصم، بغيةَ الغزو والغنيمة، ومروا في طريقهم على حي بني شيبان، فوجدوا بيتاً منفرداً، فطلب السليك من صاحبيه المكوث في مكان قريب حتى يستطلع المنزل بغية اصابة الخير أو الطعام فانطلق، وعندما وصل إلى المنزل غافل شيخاً كان يرعى أبله، فضربه وأطاح برأسه، ونفَّر الإبل فطردها وأخذها، فقال في ذلك[2]:

وعـاشـيـةٍ راحـت بِـطـانـاً ذَعْـرُتَـهـا بِـسَـوْط قِـتـيـلٍ وسْـطُـهَـا يـتـسـيَّـفُ[3]
كـأن عـلـيـه لـونَ بُـرْدٍ مُـحَـبَّـرِ إذا مـا أتـاه صـارمٌ يـتـلـهَّـفُ[4]
فـبـات لـه أهـلٌ خَـلاءٌ فِـنـاؤهـم ومَـرَّتْ بـهـم طـيـرٌ فـلـم يـتـعَـيَّـفـوا[5]
وبـاتـوا يـظـنـون الـظـنـونَ وصـحـبـتـي إذا مـا عـلـوا نـشـزاً أهـلُّـوا وأوجـفـوا[6]
ومـا نِـلْـتَـهـا حـتـى تـصـعـلـكـت حِـقـبـةً وكِـدْتُ لأسـبـاب الـمـنـيـة أعـرف[7]
وحـتـى رأيـتُ الـجـوعَ بـالـصـيـف ضـرنـي إذا قـمـتُ تـغـشـانـي ظـلالٌ فـأُسِـدفُ[8]

وقال عندما أيقن أنه مقتول بعد ان اعتدى على امرأة شابة خثعمية إثر عودته من غزوة له في اليمن، ولحق به أهلها حتى أدركوه ثم قتلوه[9]:

مـــن مـــبـــلـــغ جـــذمـــي بـــأنـــي مـــقـــتـــول[10]
يـــا رب نـــهـــب قـــد حـــويـــت عـــشـــكُـــول[11]

---

(1) قرماء: اسم موضع، شواه قوائمه.
(2) الاغاني 20 / 349 ـ 350. ديوان الشنفري والسليك: طلال حرب ـ ص93 ـ 94.
(3) راحت: ذهبت عشاء ـ العاشية: التي تعشت. بطاناً: ممتلئة البطن. يتسيف: يضربها بالسيف.
(4) محبَّر: مخطط ـ مزين.
(5) لم يتعيفوا: لم يزجروا. طلال حرب ديوان الشنفري والسليك ص89.
(6) النشر: المكان المرتفع عن الأرض ـ أهلوا رمقوا أصواتهم ـ أوجفوا: أسرعوا.
(7) أسباب: طرق ـ تصعلكت: اتخذت الصعلكة منهجاً.
(8) أسدف: أنام أو أرتخي.
(9) الاغاني 20/ 357.
(10) الجذم: الأصل، يعني الأهل والاقارب والعشيرة.
(11) عثكول: نهب متنوع، ربما كان من الطعام أو الأثاث أو الذهب وغيرها.

ورب قِــرن قـــد تـــركـــتُ مـــجـــدولْ[1]
ورب زوجٍ قـــد نـــكـــحـــتُ عُـــطـــبـــولْ[2]
ورب عـــانٍ قـــد فـــكـــكْـــتُ مـــكـــبـــولْ
ورب وادٍ قـــد قـــطـــعـــتُ مـــســـبـــولْ[3]

هكذا يتولى أنس قتل السليك، وأخوه شبيل بن مدرك الخثعمي قتل أصحابه، ومن كان معه، ويعقب أنس على مقتله ببعض أبيات يسدل فيها الستار على حياة شاعر صعلوك لونت سحنته شمس الجاهلية، وطبع الغزو والسلب تاريخه الشخصي.

كـم مـن أخ كـريـم قـد فُـجـعـتُ بـه ... ثـم بـقـيـتُ كـأنـي بـعـده حَـجَـرُ
لا أسـتـكـيـنُ عـلـى ريـب الـزمـان ولا ... أُغـضـي عـلـى الأمـر يـأتـي دونـه الـقـدر
إنـي وقـتـلـي سـلـيـكـاً ثـم أعـقـلـه ... كـالـثـور يـضـربُ لـمـا عـافَـتِ الـبـقـر
إنـي لـتـاركُ هـامـات بـمـجـزرة ... لا يـزدهـيـنـي سـواد الـلـيـل والـقـمـر
أغشى الـحـروبَ وسـربـالـي مـضـاعـفـةٌ ... تـغـشـى الـبـنـان وسـيـفـي صـارم ذكـر

ولعل بيت السليك في خثعم أضاف إلى ذنب السليك دنباً آخر ووجد فيهما نهايته المشؤومة، إذ بعد أن اغتصب السليك شقيقة شبيل وأنس هددته بهما وحذرته خثعمًا هكذا كما ورد في الأغاني عندما قالت له: أحذر خثعما فإني أخافهم عليك، فأنشأ يقول غير مكترث صاباً على خثعم سياط شعره:

تـهـددنـي كـي أحـذر الـعـام خـثـعـمـا ... وقـد عـلـمـتْ أنـي امـرؤ غـيـر مـسـلـم
ومـا خـثـعـمٌ إلا لـئـامٌ أَرِقَّـة ... إلى الـذل فـالاسـحـاقُ تـمـنـى وتـنـتـمـي[4]

---

(1) القِرن: الفارس البطل الشجاع ـ مجول: مصروع على الأرض.
(2) العطبول: المرأة الجميلة طويلة العنق، فتية.
(3) مسبول: مباح ـ أو مسيول كثير السيل.
(4) الاغاني 20/ 357.

# الشنفري[1]

## ... ـ نحو 70 ق.هـ ... ـ نحو 525م

من أبرز شعراء الصعلكة في العصر الجاهلي، بل زعيمهم المطلق، ظل اسمه مكان جدل بين الرواة، فسموه ثابت بن أوس وعمرو بن مالك الأزدي اليمني، وقيل إنه هو عمرو بن براق نفسه، وذكر آخرون أن الشنفري اسمه الحقيقي لا لقبه، ذاك لعظم شفتيه، بقي زمن ولادته مجهولاً كذلك وضعه العائلي، والشنفري لغة هو الغليظ الشفاه، أمه أمة حبشية ورث عنها سوادها ولذلك عد من أغربة العرب، أزدي قحطاني، كان من فتاك العرب وشعرائهم وعدائيهم، وهو أحد الخلعاء الذين طردتهم قبائلهم وتبرأت منهم واعتبرتهم خارجين على قوانينها، ظلت حياته مجهولة غير معروفة التفاصيل، إلا أنه كان صديقاً حميماً وزميلاً مخلصاً لتأبط شراً، تشاركا في كثير من الغزوات والغارات، السبب في ذلك انه نشأ في فهم قبيلة تأبط شراً، إذ أنه نزل بها مع أمه وأخ له، بعد أن قتلت قبيلته أباه، والقاتل هو حزام بن جابر، ومن هنا على ما يبدو غزواته الكثيرة التي خص بها بني سلامان الازديين انتقاماً لأبيه، وهذا ما تؤكده قصائد كثيرة في ديوانه.

ثم إن غاراته على الأزد لم تهدأ حتى قتل منهم تسعة وتسعين كما تذكر الروايات، حتى افلحوا أخيراً في القبض عليه، بعد ان نصبوا له كميناً وقع فيه، فمثلوا به، وقطعوه أرباً، ورموه للسباع، ويروى ان رجلاً من الازد عثر بجمجمته فعقرته فمات، فبلغ بذلك قتل الأزد مائة، وهذه حكاية أسطورية لا تمت إلى الواقع بصلة، ونسيجها المتعمد واضح المعالم، من قبيل التندر والملاطفة، كما

---

(1) الأغاني 21/ 201 ـ 218. حماسة أبي تمام ـ 2/ 25. طلال حرب ـ ديوان الشنفري 5 ـ 70. د. خليف صعاليك العصر الجاهلي ص330 ـ 338. بطرس البستاني ـ الشعراء الفرسان 195. الاعلام للزركلي 5/ 85.

تلعب الاسطورة في ما أوثر عنه من اخبار وحكايات لم يصدف أن قام بها رجل أو مرت على إنسان لأنها تقرب من الخيال إن لم تكن هي بعينه.

وذكرت رواية أخرى أن رجلين من الازد قبضا على الشنفري، وقاداه إلى اعدائه الالداء بني سلامان، فربطوه إلى شجرة وأمروه بالانشاد، ومما قاله[1]:

فلا تدفنوني إن دفني محَرَّم      عليكم ولكن خامري أُمَّ عَامِر

وما لبثوا أن عذبوه وقتلوه، كما ذكر أن رجلاً من بني سلامان رماه بسهم في عينه فقتله وكان ذلك نحو 70 هـ / 525 م[2].

على الشنفري ساري الغمام ورائح      غزير الكُلى وصيّب الماء باكر

عليك جزاء مثل يومك بالجبا      وقد أُرعفت منك السيوف البواتر

## شعر الشنفري:

جُمع للشنفري ديوان شعر صغير مما ورد له من أخبار في كتب التراجم والادب والتاريخ القديمة، ويبدو أن كثيراً من شعره قد ضاع، كما ان شكوكاً كثيرة طعنت في نسبةِ بعض ما له من قصائد، خاصة حول لامية العرب، قمة عطائه الشعري، وقد ذكر الرواة أنها لخلف الأحمر أو لحماد الرواية، وقد أهتم بها كثير من الأدباء والنقاد والمفكرين، فشرحوها وعلقوا عليها كالخطيب التبريزي والزمخشري وابن الشجري وغيرهم قديماً، وفي العصر الحديث ترجمها الاستاذ جورج يعقوب إلى الألمانية، وإلى الإنكليزية ترجمها ريد هوس، كما انها تُرجمت إلى الفرنسية والبولونية والإيطالية وإلى لغات أخرى كثيرة، وحققها المستشرق تيودور تولدكه ودرسها بعمق وعناية.

كل هذا يعكس أهمية هذه اللامية، فهي تصور النسيج الجاهلي بكل ما فيه، وتتحدث عن حياة الصعاليك وأغاني الصحراء وروح البداوة، وتقع في ثمانية وستين بيتاً على بحر الطويل ومطلعها:

أقيموا بني أمي صدور مطيِّكمْ      فإني إلى قوم سواكم لَأَميلُ

ويبدو أن البيت الأول من القصيدة قد سقط، لأن الشطر الأول لم ينته بمثل ما انتهى به الشطر الثاني كما هو معروف في بناء القصيدة العربية، إلا ان معظم شعر

---

(1) الشعر والشعراء ـ ابن قتية ـ الاغاني ـ 21/ 204 ـ 205.

(2) خامري أم عامر أو أبشري أم عامر: وأم عامر كنية الضبع، والمعنى اتركوني يأكلني الضبع.

الصعاليك جاء على هذا المنوال، وكأنه كالشاعر لا يستقر، فيقوله ناظمه وهو على سرعة من أمره، أو في التعبير عن موقف مفاجئ، أو في الرد على عاتب أو معترض، أو منتقد.

وتجدأحياناً بيتاً واحداً من قصيدة أو بيتين، ينبئان عن ان قصيدة ما كانت ولم يبق منها إلا مطلعها الأساسي كما في قوله:

نحن الصعاليكُ الحماةَ البزَّلُ إذا لقينا لا تُرى نُهلِّلُ

أو بيتين قالهما عندما توفي أخوه، فأخذت أمه تبكيه، وهما أول ما قاله من الشعر، وفيهما يطلب منها ألا تفكر، أو ليس لها أن تفكر في ثأر أبنها أو تطلب من أخيه العمل على ذلك[1]:

ليس لوالدةٍ هَوْءُ ها ولا قولُهَا لابنها دَعْدَعِ
تُطِيفُ وتُحْدِثُ أحواله وغيرُكِ أملك بالمصرعِ

أو ثلاثة أبيات، انشدها حين أُسر وهي من بحر الطويل[2]:

فلا تقبروني إن قبري محرمٌ عليكم ولكن أبشري أُمَّ عامر
إذا احتملوا رأسي وفي الرأس أكثري وغودر عند الملتقى ثَمَّ سائري
هنالك لا أرجو حياةً تسُرني سجيس الليالي مُبْسَلاً بالجرائر

والجلي هنا قيم الشجاعة والعنفوان التي تحملها هذه الأبيات، وهي ديوان الشعراء الصعاليك وجزء من ناموسهم المسلكي، فهو يوصي ألا يدفن إذا مات أو قتل، لأن قبور الشجعان محرمة على الاعداء، لذلك آثر أن تأكله رفيقته الضبع، مخافة ان يظفر به إنسان فيذله، وهو يأنف الهوان حتى في القبر، لذلك ينادي أم عامر وهي كنية الضبع يبشرها بوليمة دسمة، هي جسمه الملقى في الفلاة، وقد احترم بنو سلامان وصيته وتركوها وليمة للضواري والوحوش.

أو أربعة أبيات من الطويل أيضاً، يتحدث فيها عن استبساله وشجاعته في

---

(1) الاغاني في 21/ 207. الهوء: الهمة والرأي. دعدع: أمر من دعدع بمعنى جرى، بمعنى ليس للأم ان تفكر في ثأر إبنها أو أن تأمر أخاه بالسعي في ذلك. وغيرك أملك بالمصرع: يقصد: كفي عن هذا فغيرك أدرى بمصارع الرجال. تطيف: تأتيه في النوم.

(2) ديوان الحماسة أبي تمام ـ 2/ 24. الاغاني 51/ 205. سجيس الليالي: أي أبداً. الميسل: المسلم. الجرائر: الجرائم.

التغلب على مستبسلٍ، وهو على طريقة عنترة، يضخم خصمه ويتغلب عليه لكي يظهر عظمته وسطوته.

ومستبسلٍ ضافي القميص ضممتهُ ... بأزرقَ لا نكسٍ ولا مُتَعَرجِ
عليه نساريٌّ على خُوطِ نَبَعةٍ ... وَ فُوقٍ كعُرقوب القطَاة مدحرج
وقاربتُ من كفيَّ ثُم نزعتها ... بنزعٍ إذا ما استكره النزع محلج
فصاحت بكفِّي صيحة ثم راجعت ... أنين المريض ذي الجراح المشجج[1]

فهو يجندل مستبسلاً بسهم لا يعرف الانكسار والإعوجاج، ثم لا يلبث أن يقوم بنزعِهِ منه مُحْدِثاً في نفس الخصم الهلع والرعب.

وتبقى الشجاعة والفتوة هي هي في معظم قصائد الشنفري، وإذا استثنينا اللامية وبعض القصائد الطويلة فإن معظم الديوان عبارة عن مقطوعات صغيرة جداً.

ألا هل أتى عنا سعاد ودونها ... مهامه بيد تعتلي بالصعاليك
بأنا صبحنا القوم في حُرِّ دارهم ... حِمامَ المنايا بالسيوفِ البواتكِ
قتلنا بعمرو منهم خير فارس ... يزيدَ وسعداً وابن عوف بمالك
ظللنا نُفَرِّي بالسيوف رؤوسَهم ... ونرشقهم بالنَّبلِ بين الدكادك[2]

دونه وسعاد صحارٍ قاحلة ومفازات تضج بالصعاليك، وكأنه هنا يفتتح بتذكر الحبيب وذكر المواقع، ثم ينتقل إلى الموضوع الأساس عنوان كل صعلوك، وهو الشجاعة والفتك، حيث داهم القوم في عقر دارهم وأعمل فيهم السيوف ورشقهم بالنبل وثأر لقريبه عمرو بقتل يزيد وسعد، ولمالك بقتل ابن عوف، إنها السنة الجاهلية أولاً والصعلوكية ثانياً.

ومن قصائد الحب في ديوانه مقطوعة (جبال قوًّ)، ولعلها الوحيدة في الديوان

---

(1) الأغاني ـ 21/ 214. طلال حرب ـ ديوان الشنفري ـ ص42.
ضافي: واسع. بأزرق: أي بنصل أزرق. نكس: السهم الذي ينكسر فوقه فيجعل اعلاه أسفله. أو هو الرجل الضعيف الدنيء الذي لا خير فيه.
نساري من ريش النسر. خوط: جمع خيطان، الغصن الناعم أو كل قضيب. النبعة: شجرة يستخرج خشبها للقوس. فُوق: رأس السهم حيث يقع الوتر. العرقوب: المفصل في الرجل. حلج: فتل. المشجج: المحطم الرأس. القطاة: طائر في حجم الحمام يعيش خصوصاً في الصحراء.

(2) الأغاني ـ 21/ 184. طلال حرب ـ ديوان الشنفري ص54.
صبح القوم: هجم عليهم صباحاً. حر الدار: وسطها. البواتك: القواطع. نفري: نشق ـ الدكادك: ما غلظ من الأرض.

من هذا الباب، فالشعراء الصعاليك قلما قاربوا الغزل، وإنما جل معانيهم واهتماماتهم تدور حول الشجاعة والفروسية والفتك، ولذلك لم ألجأ في الحديث عن شعر الشنفري إلى تقسيمه وفق الأغراض الشعرية لأنها غير متوفرة، فلو أحصينا ما في ديوانه الصغير، لعثرنا على نتف قصائد، تدور على الموضوعات التي ذكرتها آنفاً، وأهم ما في الديوان اللامية التي عدَّلت ميزان الشعر عند الشنفري هذا إذا كانت فعلاً له، لأن المواقف منها كانت متباينة، وسأحاول خلال دراستي لهذه اللامية استكشاف الأمر من خلال استعراض ابيات القصيدة ومضامينها.

إذا مقطوعة الشنفري الغزلية (جبال قو) تندرج تحت مظلة الشجاعة والعنفوان الصعلوكي، فهو يخير المرأة أي زوجته بين ان تبقى على مودتها فيرعى لها الأمانة والذمام، وإما أن تخونه وتتركه فيصبح هو في حل منها، وهو يعطيها الحق بطلاقه إذا غض النظر عن أمور فعلتها وكان يحذرها منها، عندئذٍ تصبح لها أحقية ما للرجل من طلاق وعقاب، هذا كما ورد في أبياته.

إذا أصبحتُ بين جبال قَوٍّ … وبيضانِ القُرى لم تحذريني

فإما أنَ تَودِّينا فنرعى … أمانتكم وإما أن تخوني

سأُخلي للظعينة ما أرادت … ولستُ بحارس لكِ كلَ حينِ

إذا ما جئت ما أنهاكِ عنه … ولم أنكرْ عليكِ فطلقيني

فأنتِ البعلُ يومئذٍ فقومي … بِسَوْطكِ لا أبا لكِ فاضربيني[1]

وله في الديوان قصيدتان طويلتان نسبياً، الأولى عنوانها (ألا أم عمرو وأجمعت) والثانية هي اللامية.

أما الأولى فقد جاءت في ستة وثلاثين بيتاً، تائية على بحر الطويل، وهي تكاد تعطينا صورة كافية عن حياته ومغامراته بأسلوب فيه الكثير من الروح القصصية[2]، إذ يقص علينا بعد فيض من الغزل الظريف بأم عمرو والتي هي زوجته على ما يبدو، إذ يذكرها بعد ذلك باسمها (أميمة):

ألا أمُّ عمرو أجمعتْ فاستقلتِ … وما ودعت جيرانها إذ تولتِ

---

(1) الوحشيات لأبي تمام ـ ص38. طلال حرب ـ ديوان الشنفري ـ ص70. قوّ اسم موضع في الجزيرة العربية ـ بيضان القرى: اسم موضع ايضاً ـ بيضة القوم: حماهم. الظعينة: المرأة وهي في الهودج.

(2) شوقي ضيف ـ الشعر الجاهلي ـ ص225.

وقد سبقتنا أم عمرو بأمرها | وكانت بأعناق المطيِّ أظلتِ
بعيني ما أمست فباتت فأصبحت | فقضَّت أموراً فاستقلت فولَّتِ
فوا كبداً على أميمةَ بعدما | طَمعتُ فهبها نعمةَ العيشِ زلَّتِ
فيا جارتي وأنتِ غير مُلِيمة | إذا ذُكِرَتْ ولا بذاتِ تقلبِ
لقد أعجبتني لا سقوطاً قناعها | إذا ما مشت ولا بذات تلفُّتِ[1]
تبيتُ بُعَيْدَ النوم تُهْديَ غبوقها | لجارتها إذا الهديَّةُ قلَّتِ
تحُلُ بمنجاةٍ من اللوم بيتَها | إذا ما البيوت بالمذمة حُلَّتِ
كأن لها في لأرض نِسْيَاً تقصُّهُ | على أمِّها وإن تُكلِّمْكَ تَبْلتِ
أميمةُ لا يُخزي نَثَاها حليلَها | إذا ذُكِرَ النِّسوانُ عفَّت وجَلَّتِ
إذا هو أمسى آبَ قُرَّةَ عينه | مآب السعيدِ لم يَسَلْ أين ظلت
فَدَقَّتْ وجلَّت واسبكرَّتْ وأُكمِلت | فلو جُنَّ إنسانٌ من الحسنِ جُنَّتِ
فبتنا كأنَّ البيتَ حُجِّرَ فوقنا | بريحانةٍ ريحت عِشاءً وطَلَّت
بريحانة من بطن خَلْيةَ نوَّرتْ | لها أرَجٌ ما حولها غيرُ مُسنِتِ[2]

هذه الأبيات مدح وتغزل عقلي بزوجته أميمة (أم عمرو)، وفيها يبرز عفة ودماثة ورصانة هذه المرأة، وكرمها في الشدة، وحياءها البالغ وحشمتها واختصارها في الكلام، وهي لحرصها الشديد لا تبرح بيتها، لذلك رأى الأصمعي ان هذه الأبيات خاصة (إذا هو أمسى آب . . .) أحسن ما قيل في خفر النساء وعفتهن، وقد حسن وكمل جسمها، فقد طالت وامتدت واكتملت حتى ليكاد من يراها أن يجن من حسنها وبهائها، وقد ضمهما منزل عبق بعطر الرياحين.

إذا، بعد هذا الغزل العفيف اللطيف، يقص الشاعر قصة غزوة قام بها مع بعض

---

(1) الأغاني ـ 21 / 209 ـ 210. طلا ل حرب ـ ديوان الشنفري ص35.
أجمعت: عزمت أمرها ـ استقلت: ارتحلت ـ سبقتنا بأمرها: استبدت ـ بعيني: أي يأسف لرؤيةرحيله ولا حيلة له ـ تقلت: تبغضت ـ زلت: ذهبت، لا سقوطاً قناعها: أي لا يسقط قناعها لشدة حيائها.
(2) الأغاني ـ 21/ 210. ديوان الشنفري تحقيق طلال حرب ـ ص35 و36.
غبوق: ما يشرب بالعشي ـ النسي: الشيء المفقود المنسي ـ تقصه: تتبعه ـ تبلت: تنقطع في كلامها ولا تطيله ـ النشا: ما اخبرت به عن الرجل من حسن أو سيء ـ نثا الحديث والخبر: حدَّث به وأشاعه ـ حليلها: زوجها ـ أميمة: تصغير الأم ـ اسبكرت: طالت وامتدت ـ حجر: أحيط ـ ريحت: أصابتها ريح ـ طلت: أصابها الطلل وهو الندى. حلية: واد بتهامة أعلاه لهذيل واسفله لكنانه ـ بطن حلية: أرض غليظة ـ المسنت: المجدب.

أصدقائه الصعاليك، بشيء من التفاصيل والتعيين، فهم هيأوا وسائل الغزو والسلب، مستعينين بقسي حمر، وما لبثوا أن توجهوا من واديين راجلين، وقد حمل تأبط شراً زادهم، وكان يقسم عليهم الطعام بالنزر اليسير خشية الوقوع في الجوع إذا ما طالت رحلة الغزو.

ثم يتابع الشنفري واصفاً جعبة السهام، عدتهم في القنص والصيد، وما كانوا يحملونه من سيوف حادة لماعة كأنها قطع الماء في عب الغدير، أو كأذناب البقر الصغير، وقد شربت من دماء محرم حمل هديه إلى الكعبة، فقتلوه وسلبوه ما معه، وقتلوا بعض مرافقيه وأخذوا أسارى، ثم يختم مفتخراً بنخوته وشجاعته التي لا تهاب المنون.

وباضعةٍ حُمْرِ القِسِيِّ بعثتُهَا ... ومن يغزُ يغنمْ مرةً ويُشَمَّتِ
خرجنا من الوادي الذي بين مِشْعَلٍ ... وبين الجَبَا هيهات أنشأتُ سُرْبتي
وأمَّ عِيالٍ قد شِهدتُ تَقُوتُهُم ... إذا أَطْعَمْتُهُمْ أو تَحَتْ وأَقَلَّتِ
تخاف علينا العَيْلَ إن هي أكثرتْ ... ونحن جياع أيَّ آلٍ تألَّتِ
مصعلكةٌ لا يَقْصُر السِّتْرُ دونها ... ولا تُرتجى للبيت إن لم تُبَيِّتِ
لها وَفْضَةٌ فيها ثلاثون سَيْحَفاً ... إذا آنستْ أولى العَدِيِّ إقشعرَّتِ[1]
وتأتي العَدِيَّ بارزاً نصف ساقها ... تجول كَعَيْرِ العانة المتَلَفِّتِ
إذا فزعوا طارت بأبيضَ صارم ... ورامَت بما في جفرها ثم سلَّت
حسامٌ كلون الملح صافٍ حديدهُ ... جُزَارٍ كأقطاع الغدير المُنْعَّتِ
تراها كأذناب الحسيل صوادراً ... وقد نَهِلَتْ من الدِّماء وعَلَّتِ[2]

والشنفري رسام ماهر، وها هو يصور مرقبته المنيعة العالية التي كان يراقب من

---

(1) الأغاني 21/ 210 و211. د. خليف - صعاليك العصر الجاهلي. طلال حرب - ديوان الشنفري ص37 و38. الباضعة: القاطعة. حمر القسي: أي غزوا مرة بعد مرة فاحمرت قسيهم للشمس والمطر - وقوله: شمَّته الله: خيبه. مشعل الجبا: موضعان بين مكة والمدينة - السربة: الجماعة - أنشأت سربتي: اظهرتهم من مكان بعيد - يصف بعد مذهبه في الأرض طلباً للغنيمة - أم عيال: أراد تأبط شراً، لأنهم حين غزوا جعلوا زادهم معه، وكان يقتر عليهم مخافة أن تطول الغزاة بهم: لهم فيموتوا جوعاً - الأزد نسمي رأس القوم وولي أمرهم سش - أو تحت/ أقلّت العطاء - العيل: الفقر - أي آل تألت - أي سياسة ساست.

(2) بارزاً نصف ساقها: يريد أنه مشمر جاد - العير: حمار الوحش. العانة: القطيع من حمر الوحش - الأبيض: السيف - الجفر: كنانة السهام - الجراز: السيف القاطع - أقطاع الغدير: اجزاء الماء يضربها الهواء فتنقطع ويبدو بريقها - المنعت: الموصوف بالوصف الحسن - الحسيل: جمع حسيلة، أولاد البقر - صدر: رجع عن الماء - علّت: شربت تباعاً.

خلالها من يتربصون به ويطاردونه، مرقبة يعجز عن تسلقها الصياد الماهر، وكان يقبل إليها في الليل، يتربص مستنداً على ذراعيه، وليس معه سوى نعلين باليتين وثياب رثة، ورفاق مخلصين لا يفارقونه لحظة، سيفه وقوسه وسهامه[1]:

| | |
|---|---|
| ومرقبة عيطاء يقصر دونها | أخو العزوة الرجل الخفيف المشفَّفُ |
| نموت إلى أعلى ذراها وقد دنا | من الليل ملتف الحديقة أسدف |
| فبتُّ على حد الذراعين محدباً | كما يتطوى الأرقش المتقَصِّفُ |
| قليلٌ جهازي غيرُ نعلين أسحقت | صدورهما مخصورةٌ لا تُخَصَّفُ |
| ومَلحفةٍ دِرْسٍ وجرد ملاءة | إذا أنجمت من جانب لا تُكفَّفُ |

ولعل أشهر ما عند الشنفري لامية العرب، وهي من القصائد المشهورة في الشعر العربي، قيل بأنها ليست له، وأنها لخلف الأحمر أو لغيره، وهو ما لم يثبته أحد، واللامية في هذا الأمر شأنها شأن كثير من الشعر الجاهلي الذي تعرض لسهام النقد والتشكيك.

على كل حال نحن نتعامل مع القصيدة على أنها للشنفري، وهي صورة صادقة لحياة الصحراء وناسها وحيوانها، كما أنها تمثل شعر البداوة الخشنة والصحارى الجافة، بما في كثير من ألفاظ قصائدها من خشونة وغرابة وبما في معانيها من سذاجة وبساطة وصعوبة في آن معاً، فهي وحشية التعابير، ساذجة التفكير في تفسير حالة صاحبها، بينة الشخصية في تصوير أنانية الشاعر وتمرده وانطلاق نفسه.

خذ هذه اللامية، وتصفحها وتفحصها، وقلبها على جهاتها، فما تجد إلا لفظاً غريباً متصلباً يضيق به صدرك ويمجه ذوقك، فقد بعدت الشقة بينك وبينه، فهو ابن الوادي الخشنة والكثبان الحارقة والفيافي الجرداء، وأنت ابن الماء والخضراء، والكروم والفيحاء[2].

كما أنك إذا تتبعت معانيه فإنك لا تفلح إلا بعد لأي، مما يبين لك روح شاعر بدوي يركن في فطرته، ويتظلم من أهله لأنهم لم يسعفوه، ولم يوافقوه على جرائمه وتجاوزاته، كما تقضي سنة الجاهلية التي تقول: انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، لكن هذه السنة تتلاشى وتفقد شرعيتها عند القبيلة إذا كثرت جرائر

---

(1) الأغاني ـ 21/ 213 ـ 214. د. خليف ـ الشعراء الصعاليك في الجاهلية ص188.

(2) الشعراء الفرسان ـ بطرس البستاني 197.

الإنسان، وتعددت مساوئه وجرائمه بحيث لا يعود السكوت عليها متاحاً، علماً أني أرى تفسيراً آخر لهذه السنة الجاهلية وأسمح لنفسي ـ وربما أكون مغالياً في ثقتي بأخلاق القبيلة ـ إذا قلت أن نصر القبيلة أو الأخ لأخيه يتحقق إذا كان ظالماً لنفسه وليس للغير، ومظلوماً من الآخرين.

إذاً. غضبت قبيلة الشنفري عليه، فتركها ساخطاً حزيناً شاكياً، ولجأ إلى أمه الطبيعة يبثها لواعجه وآهاته، منشداً الحرية في متاهاتها الوحشية، ومنسرباتها المتلوية، عاقداً أواصر القربى والصداقة بسباعها ووحوشها، فاستبدل بالأهل أهلاً ويالجيران جيرانا، اهل جددٌ هم الذئاب والنمور والسباع والضباع وغيرها من الحيوانات، هؤلاء يحفظون سره، ويكتمون خصوصياته، ولا يخذلونه في جناياته وجرائمه:

ولي دونكم اهلون سِيدٌ عَمَلَّسٌ ... وأرقطُ زهلولٌ وعرفاءُ جيألُ

هم الأهل لا مستودعُ السر ذائع ... لديهم ولا الجاني بما جرَّ يُخذلُ

وهو إذا تباهى وفاخر، فاخر بالسلب والنهب والاغارة والتشرد والايتام والتأييم[1]، وإذا عدد مناقبه، تراوحت بين المادية والمعنوية، فهو يعتز ويباهي بفقره وجوعه وقناعته ويعتبرها مدخلاً ومنفذاً لفتكه وإغاراته ولصوصيته، أو انه يشرِّع لنفسه الفتك والاغارة والكمائن، ناحياً السبب على اولئك الأغنياء الذين هوموا على الخامر والفطير، فهو كما يصور نفسه، لا يتطاول على الطعام إلا بعد ان يتطاول عليه غيره، نائياً بنفسه عن الجشع والطمع والأنانية، وهو في كل الحالات تكفيه اللقمة ولا تبطره النعمة.

وإن مدت الأيدي إلى الزاد لم أكن ... بأعجلهم إذ أجشعُ الناس أعجلُ

ومن مفاخر الشنفري أنه يسبق القطا إلى الماء فيشرب قبلها ويترك لها فضلته وسؤره:

وتشرب آساري القطا الكُدر بعدما ... سرت قَرَباً احناؤها تتصلصل[2]

ويلوح في لاميته أيضاً شريط موجز لغارة ليلة عانى فيها من الجوع والبرد والخوف، وانقض على ضحاياه، فأيتم الأولاد وأيَّم النساء، عاد قبل أن يصيح

---

(1) الشعراء والفرسان ـ ص197.

(2) احناؤها: جوانبها ـ تتصلصل: تصوت ليبسها ـ القرب: ورود الماء.

الصباح، فقط كان من عادته أن يقطع الطرق على المارين والمسافرين، فيسلبهم ما معهم، أو يغير خلال سجف الظلام على الأحياء الوادعة الآمنة، فيروع العيال، ويسلب الرجال ما معهم من مال، ثم يعود ممتلئ الأردان، خلي البال.

ومن الأخبار الطريفة التي أوردها عن نفسه في اللامية، أن حياته المتنقلة الراحلة دائماً في الفيافي والقفار منعته من الاهتمام بنظافة جسده، فأهمل ذاته واطلق شعره وتركه سنة كاملة دون غسل وتمشيط، حتى تلبد وعلقت به الأوساخ كما تعلق الابعار في أذناب الإبل[1]، وهو قرير العين لا يجد في القذارة شيئاً، ولا في التشبه بحيوانات الصحاري عيباً، بل بأحقرها حطة في الطبيعةِ أليست أهله كما زعم في لاميته.

بعيد يمس الدهن والفلي عهده　　　له عيس عاف من الغسل محول

إنها الفطرة، والعفوية الصحراوية تسري مع اللامية في شتى مفاصلها، وهي صورة متواصلة الحلقات للطبيعة وما فيها، وباتصالها المباشر بحياة الشاعر ومفاخره، وأنانياته، وحبه الانفراد عن المجتمع، لئلا ينتقص من حريته التي يراها لنفسه، لذلك فهو متمرد على قبيلته، رافض الإلتزام بتقاليدها ومفاهيمها وقيمها الاخلاقية والاجتماعية، وعاداتها المتوارثة، لذلك يعتبرها مذنبة لأنها لم تنصره وتوافقه على جرائمه، ولأنها طردته من حماها، محمل ثقل أفعاله ووزر جرائمه، وبقي رغم ذلك رابط الجأش شجاعاً منيع النفس متألماً شاكياً ولكنه في الوقت نفسه متمرد فخور، كما يعكس ثباته النفسي في خضم هذه الصعوبات.

أليس في شكواه وتمرده شيء من شكوى وتمرد طرفة، إنها الصحراء والصعوبات التي تتدخل أحياناً لترسم بعض معالم حياة الإنسان فيها.

(1) الشعراء الفرسان ـ بطرس البستاني ـ ص197.

# لامية العرب[1] للشنفري

أَقِيمُوا بَنِي أُمِّي صُدُورَ مَطِيِّكُمْ ... فَإِنِّي إِلَى قَوْمٍ سِوَاكُمْ لأَمْيَلُ[2]

لبني ... أهل

فَقَدْ حُمَّتِ الْحَاجَاتُ واللَّيْلُ مُقْمِرٌ ... وَشُدَّتْ لِطِيَّاتٍ مَطَايَا وَأَرْحُلُ[3]

وَفِي الأَرْضِ مَنْأَى لِلْكَرِيمِ عَنِ الأَذى ... وَفِيهَا لِمَنْ خَافَ القِلَى مُتَعَزَّلُ[4]

متحول

لَعَمْرُكَ ما في الأَرْضِ ضِيقٌ عَلَى امْرِئٍ ... سَرَى رَاغِباً أَوْ رَاهِباً وَهْوَ يَعْقِلُ[5]

بالأرض

وَلِي دُنَكُم أَهْلُونَ سِيْدٌ عَمَلَّسٌ ... وَأَرْقَطُ زُهْلُولٌ وَعَرْفَاءُ جَيْأَلُ[6]

هُمُ الرَّهْطُ لاَ مُسْتَوْدَعُ السِّرِّ ذَائِعٌ ... لَدَيْهِمْ وَلاَ الْجانِي بِمَا جَرَّ يُخْذَلُ[7]

وَكُلٌّ أَبِيٌّ بَاسِلٌ غَيْرَ أَنَّنِي ... إِذَا عَرَضَتْ أُولَى الْطَّرَائِدِ أَبْسَلُ[8]

أعرضت إحدى

---

(1) انظر لامية العرب شرح وتحقيق د. محمد بديع شريف. ص27 وما بعدها. والأمالي 3: 203 ـ 205.

(2) يقال أقام صدر مطيته إذا سار وتوجه. مطيكم جمع مطية وهي الناقة. أميل: أشد ميلاً.

(3) حمت: تهيأت وحضرت. شدت: قويت. الطية: الحاجة. ويقال مضى لطيته أي لحاجته. الأرحل: جمع رحل.

(4) المنأى: الموضع البعيد. القلى: البغض. معتزل: الموضع الذي يعتزل فيه.

(5) لعمرك: أي وحياتك. راهباً: خائفاً.

(6) السيد: الذئب. العملس: الخفيف السريع. أرقط: ذو لونين مختلفين ويريد به هنا النمر. الزهلول: الأملس. العرفاء: الضبع الطويلة العرف. الجيأل: الضخم.

(7) الرهط: الجماعة إلى العشرة والرهط قوم الرجل وقبيلته. الذائع: الفاشي. جر جريرة: جنى جناية.

(8) أبي: الحمي الأنف الذي لا يقر على الضيم. الباسل: الشجاع. الطرائد: جمع طريدة وهي ما طردت من صيد وغيره والمراد بها الفرسان المهاجمة.

وَإِنْ مُـدَّتِ الأَيْـدِي إِلَـى الـزَّادِ لَـمْ أَكُـنْ ... بِـأَعْـجَـلِـهِـمْ إِذْ أَجْـشَـعُ الْـقَـوْمِ أَعْـجَـلُ[1]

وَمَـا ذَاكَ إِلاَّ بَـسْـطَـةٌ عَـنْ تَـفَـضُّـلٍ ... عَـلَـيْـهِـمْ وَكَـانَ الأَفْـضَـلَ الْـمُـتَـفَـضِّـلُ[2]

وَإِنِّـي كَـفَـانِـي فَـقْـدُ مَـنْ لَـيْـسَ جَـازِيـاً ... بِـحُـسْـنَـى وَلاَ فِـي قُـرْبِـهِ مُـتَـعَـلَّـلُ[3]

لست ... بنعمى

ثَـلاَثَـةُ أَصْـحَـابٍ: فُـؤَادٌ مُـشَـيَّـعٌ ... وَأَبْـيَـضُ إِصْـلِـيْـتٌ وَصَـفْـرَاءُ عَـيْـطَـلُ[4]

هَـتُـوفٌ مِـنَ الْـمُـلْـسِ الْـمُـتُـونِ يَـزِيـنُـهَـا ... رَصَـائِـعُ قَـدْ نِـيـطَـتْ إِلَـيْـهَـا ومِـحْـمَـلُ[5]

إذا زَلَّ عـنـهـا الـسَّـهْـمُ حَـنَّـتْ كَـأَنَّـهـا ... مُـرَزَّأَةٌ عَـجْـلَـى تُـرِنُّ وَتُـعْـوِلُ[6]

أَنَّتْ

وَلَـسْـتُ بِـمِـهْـيَـافٍ يُـعَـشِّـي سِـوَامَـهُ ... مُـجَـدَّعَـةً سُـقْـبَـانُـهـا وِهْـيَ بُـهَّـلُ[7]

وَلاَ جُـبَّـاءَ أَكْـهَـى مُـرِبٍّ بِـعِـرْسِـهِ ... يُـطَـالِـعُـهَـا فِـي شَـأْنِـهِ كَـيْـفَ يَـفْـعَـلُ[8] ش

وَلاَ خَـرِقٍ هَـيْـقٍ كَـأَنَّ فُـؤَادَهُ ... يَـظَـلُّ بِـهِ الْـمُـكَّـاءُ يَـعْـلُـو وَيَـسْـفِـلُ[9]

وَلاَ خَـالِـفٍ دَارِيَّـةٍ مُـتَـغَـزِّلٍ ... يَـروحُ وَيَـغْـدُو دَاهِـنـاً يَـتَـكَـحَّـلُ[10]

---

(1) الجشع الحرص.

(2) البسطة: السعة. التفضل: الإحسان. المتفضل: الذي يدعي الفضل على أقرانه.

(3) الجازي بالحسنى: الذي يعمل الخير. التعلل: التلهي.

(4) المشيع: المقدام الشجاع. الإصليت: السيف الصقيل المجرد من غمده. الصفراء: قوس نبع. العيطل: القوية الطويلة العنق.

(5) الهتوف: التي تصوِّت وقوس هتفي: قوس ذات صوت. المتون: الظهور، والمتون: الصلبة. الرصائع: خرز يعلق على الشيء لئلا تصيبه العين. وقد يراد منها ما يرصع من جوهر وغيره. نيطت: علقت. المحمل: علاقة السيف وهو السير الذي يتقلد به.

(6) زل: خرج. حنت: صوتت والحنين صوت الوتر. المرزأة: الكثيرة الرزايا. والرزايا جمع الرزية والرزيئة وهي المصيبة الشديدة. ترن: تصوت. تعول: ترفع صوتها بالبكاء.

(7) المهياف: الذي يبعد بإبله في طلب المرعى على غير علم فيعطشها ويمشي بها. والمهياف: السريع العطش. يعشي: يرعى ليلاً. السوام: جمع السائمة وهي التي ترسل لترعى. ويقصد بالسوام الإبل. المجدعة: السيئة الغذاء. السقب: الذكر من ولد الناقة: البهَّل: المُخلاَّة المتروكة.

(8) الجبأ: الجبان. الأكهى: الكدر الأخلاق. المرب: المقيم على امرأته لا يفارقها.

(9) الخرق: الدهش من الخوف أو الحياء. الهيق: الظليم وهو ولد النعامة. المكاء: طائر له صفير حسن وتصعيد وهبوط في الجو.

(10) الخالف: المتخلف عن الخير أو الذي لا خير فيه. الدارية: الذي لا يفارق داره. والداري: العطار. المتغزل: الذي يحادث النساء ويراودهن. الداهن: الذي يدهن نفسه بالطيب. المتكحل: الذي يكحل عينيه.

وَلَسْتُ بِعَلٍّ شَرُّهُ دُوْنَ خَيْرِهِ أَلَفَّ إِذَا مَا رُعْتَهُ اهْتَاجَ أَعْزَلُ[1]

بغل

وَلَسْتُ بِمِحْيَارِ الظَّلَامِ إِذَا انْتَحَتْ هُدَى الْهَوْجَلِ العِسِّيفِ يَهْمَاءُ هَوْجَلُ[2]

إِذَا الأَمْعَزُ الصُّوَّانُ لاَقَى مَنَاسِمِي تَطَايَرَ مِنْهُ قَادِحٌ وَمُفَلَّلُ[3]

أُدِيمُ مِطَالَ الْجُوعِ حَتَّى أُمِيتَهُ وَأَضْرِبُ عَنْهُ الذِّكْرَ صَفْحاً فَأُذْهَلُ[4]

أطيل

وأَسْتَفُّ تُرْبَ الأَرْضِ كَيْلاَ يَرى لَهُ عَلَيَّ مِنَ الطَّوْلِ امْرؤ مُتَطَوِّلُ[5]

وَلَوْلاَ اجْتِنَابُ الذَّأْمِ لَمْ يُلْفَ مَشْرَبٌ يُعَاشُ بِهِ إِلاَّ لَدَيَّ وَمَأْكَلُ[6]

الضيم

وَلَكِنَّ نَفْساً مُرَّةً لاَ تُقِيمُ بِي عَلَى الذَّأْمِ إِلاَّ رَيْثَمَا أَتَحَوَّلُ[7]

حرة

وَاطوِي عَلَى الْخُمْصِ الْحَوَايَا كَمَا انْطَوَتْ خُيُوطَةُ مَارِيٍّ تُغَارُ وَتُفْتَلُ[8]

الجوع

وأَغْدُو عَلَى الْقُوتِ الزَّهِيدِ كَمَا غَدَا أَزَلُّ تَهَادَاهُ التَّنَائِفُ أَطْحَلُ[9]

وأعدو الزاد

---

(1) العل: الرجل المسن الصغير الجسم. الألف: الذي لا يقوم لحرب ولا لضيف إنما يلتف وينام. رعته: أفزعته. اهتاج: أسرع من الخوف إسراعاً بحمق. الأعزل: الذي لا رمح معه ولا سلاح. والغل: المقيد.

(2) المحيار: المتحير. انتحت: اعترضت. أنحت: قصدت. الهوجل: الرجل الطويل المتسرع الأحمق. والهوجل: آخر الفلاة. ومن الأرض الشديد المسلك. العسيف: الآخذ على غير الطريق. اليهماء: الفلاة التي لا يهتدى فيها.

(3) الأمعز: المكان الصلب الكثير الحصى. الصوان: الحجارة الملس. المنسم: خف البعير استعاره الشاعر لنفسه. القادح: ما يخرج معه النار من الحصى. المفلل: المكسر.

(4) المطال: مأخوذ من المماطلة. أضرب عنه صفحاً: أعرض عنه وأتركه. أذهل: أنساه وأنشغل عنه.

(5) يقال سفت الإبل إذا رعت العشب اليابس. واستف هنا أي التهم التراب. الطول: المن والتمنن. المتطول: الممتن.

(6) الذأم: العيب والتحقير. لم يلفَ: لم يوجد.

(7) المرة: الأبية. ريثما: قدر ما.

(8) الخمص: الجوع. الحوايا جمع الحوية، وهي ما تحوي في البطن إذا اجتمع واستدار. الماري: الفاتل. تغار يحكم فتلها.

(9) أغدو: أذهب صباحاً. الزهيد: القليل. الأزلّ: الذئب الأرسح الذي لا أست له. تهاداه: أي كلما خرج من مفازة تهديه المفازة لأخرى. التنائف: الأرض القفار. أطحل: لونه كلون الطحال.

غَـدَا طَـاوِيـاً يُـعَـارِضُ الـرِّيـحَ هَـافِـيـاً  يَـخُـوتُ بـأَذْنَـابِ الـشِّـعَـابِ وَيَـعْـسِـلُ[1]

يتعرض

فَـلَـمَّـا لَـوَاهُ الْـقُـوتُ مِـنْ حَـيْـثُ أَمَّـهُ  دَعَـا فَـأَجَـابَـتْـهُ نَـظَـائِـرُ نُـحَّـلُ[2]

مُـهَـلْـهَـلَـةٌ شِـيْـبُ الْـوُجُـوهِ كَـأَنَّـهَـا  قِـدَاحٌ بِـكَـفَّـيْ يَـاسِـرٍ تَـتَـقَـلْـقَـلُ[3]

مهللة

أَوِ الـخَـشْـرَمُ الْـمَـبْـعُـوثُ حَـثْـحَـثَ دَبْـرَهُ  مَـحَـابِـيـضُ أَرْدَاهُـنَّ سَـامٍ مُـعَـسِّـلُ[4]

أرساهن شارٍ[5]

مُـهَـرَّتَـةٌ فُـوهٌ كَـأَنَّ شُـدُوقَـهَـا  شُـقُـوقُ الـعِـصِـيِّ كَـالِـحَـاتٌ وَبُـسَّـلُ[6]

عصي

فَـضَـجَّ وضَـجَّـتْ بِـالْـبَـرَاحِ كَـأَنَّـهَـا  وَإِيَّـاهُ نُـوحٌ فَـوْقَ عَـلْـيَـاءَ ثُـكَّـلُ[7]

وَأَغْـضَـى وَأَغْـضَـتْ وَاتَّـسَـى وَاتَّـسَـتْ بِـهِ  مَـرَامِـيـلُ عَـزَّاهَـا وَعَـزَّتْـهُ مُـرْمِـلُ[8]

فأغضى

شَـكَـا وشَـكَـتْ ثُـمَّ ارْعَـوَى بَـعْـدُ وارْعَـوتْ  وَلَـلـصَّـبْـرُ إِنْ لَـمْ يَـنْـفَـعِ الـشَّـكْـو أَجْـمَـلُ[9]

وللوجد

---

(1) الطاوي: الجائع. هافياً: مسرعاً متمايلاً يميناً وشمالاً من شدة الجوع. يخوت: ينقض ويختطف. الشِعب: الطريق في الجبل. الأذناب: الأواخر. يعسل: يمر مراً سهلاً في استقامة.

(2) لواه: دفعه وصرفه عن أمره. أمَّه: قصده. النظائر: الأشباه والأمثال. نحل: ضوامر.

(3) مهلهلة: رقيقة النسج والمعنى هنا رقيقة اللحم أي ضعيفة. والمهللة: الدقيقة الجسم كأنها أهِلَّة في الدقة. شيب الوجوه: بيضاء الوجوه. القداح: جمع القدح وهو السهم قبل أن يراش ويركب عليه نصله. الياسر: المقامر. تتقلقل: تتحرك وتضطرب.

(4) الخشرم: رئيس النحل أو النحل. حثحث: حرّك مثل حث، وحض وطلب منه أسراع. دبره جماعته من النحل. المحابيض جمع المحبض وهو العود الذي يكون مع مشتار العسل يثير به النحل. أرداهن: جاء بهن. سام: السامي الذي يعلو ويرتفع لاشتيار العسل المبعوث الذي انبعث في السير.

(5) انظر لسان العرب لابن منظور7: 133 مادة حبض.

(6) مهرتة: مشقوقة الفم شقاً واسعاً. فوه: جمع فوهاء أي واسعة الفم. شدوق جمع شدق وهو جانب الفم. كالحات: مكشرات عابسات. بسل: كريهة المرأى.

(7) ضج: صاح من الجزع. البراح: الأرض الواسعة لا نبت فيها. النوح جمع النائحة. العلياء: البقعة المشرفة. ثكل: جمع ثاكل وهي التي فقدت زوجها أو أولادها.

(8) أغضت: أدنت جفونها بعضها من بعض. اتسى: اقتدى أي حال كل واحد من هذه الذئاب كحال الآخر. مراميل: جمع مرمل وهو من نفد زاده.

(9) شكا: بث حزنه. ارعوى: ترك.

وَفَاءَ وَفَاءَتْ بَادراتٌ وَكُلهَا    عَلَى نَكَظٍ مِمَّا يُكَاتِمُ مُجْمِلُ[1]

باديات

وَتَشْرَبُ أَسْآرِي القطا الكُدْرُ بَعْدَمَا    سَرَتْ قَرَباً أَحْنَاؤُهَا تَتَصَلْصَلُ[2]

هَمَمْتُ وَهَمَّتْ وَابْتَدَرْنَا وَأَسْدَلَتْ    وشَمَّرَ مِنِّي فَارِطٌ مُتَمَهِّلُ[3]

وقصرت

فَوَلَّيْتُ عَنْهَا وَهْيَ تَكْبُو لِعَقْرِهِ    يُبَاشِرُهُ مِنْهَا ذُقُونٌ وَحَوْصَلُ[4]

أرجل

كَأَنَّ وَغَاهَا حَجْرَتَيْهِ وَحَوْلَهُ    أَضَامِيمُ مِنْ سِفْرِ الْقَبَائِلِ نُزَّلُ[5]

ركب

تَوَافَيْنِ مِنْ شَتَّى إِلَيْهِ فَضَمَّهَا    كَمَا ضَمَّ أَذْوَادَ الأَصَارِيمِ مَنْهَلُ[6]

فوافين    إليها

فَعَبَّتْ غِشَاشَاً ثُمَّ مَرَّتْ كَأَنَّهَا    مَعَ الصُّبْحِ رَكْبٌ مِنْ أُحَاضَةَ مُجْفِلُ[7]

فعنت

وَآلَفَ وَجْهَ الأَرْضِ عِنْدَ افْتِرَاشِهَا    بِأَهْدَأَ تُنْبِيهِ سَنَاسِنُ قُحَّلُ[8]

بأمعر    تثنيه

---

(1) فاء: رجع. بادرات: مسرعات. النكظ: شدة الجوع. يكاتم: يكتم أي لا يظهر ما عنده.

(2) أساري جمع السؤر وهو البقية من الشراب في الإناء. القطا: جمع القطاة وهي طائر في حجم الحمام يعيش في الصحراء. القرب: ورود الماء. أحناؤها: جوانبها. تتصلصل: تصوت ليبسها.

(3) هممت: عزمت. ابتدر: أسرع. أسدل: أرخى. شمر: رفع أي ضد أسدل. فارط: متقدم. متمهل: يأتي أمره على تؤدة.

(4) وليت عنها: انصرفت عنها. تكبو: تسقط. العقر: مكان الساقي من الحوض ويكون فيه ما يتساقط من الدلو. الذقن: ما تحت الحلقوم. حوصل جمع حوصلة وهي العضو الذي يتجمع فيه طعام الطير بعد التقاطه.

(5) وغاها: أصواتها. حجرتيه: ناحيتيه. والضمير يعود على عقره في البيت السابق. أضاميم جمع إضمامة وهي القوم ينضم بعضهم إلى بعض. سفر المسافرون.

(6) توافين: جئن. شتى متفرقة مأخوذة من التشتت وهو التفرق. أذود جمع ذود وهو ما بين الثلاث إلى العشر من الإبل. الأصاريم: جمع صرمة وهي القطعة من الإبل نحو الثلاثين. المنهل: المورد.

(7) فعبت: فشربت الماء من غير مص كأنها تصبه في اجوافها صبا. غشاشا: مستعجلة. أحاضة: قبيلة من الأزد. مجفل: مسرع.

(8) أهدأ: ثابت شديد الثبات. يريد بمنكب أهدأ أي ثابت. تنبيه: ترفعه السناسن: حروف فقار الظهر، وهي مغارز رؤوس الأضلاع. قحل: جافة.

وَأَعْـدِلُ مَـنْـحُـوضَـاً كَـأَنَّ فُـصُـوصَـهُ كِـعَـابٌ دَحَـاهَـا لاَعِـبٌ فَـهْـيَ مُـثَّـلُ[1]
وأزعَر محدول
فِـإِنْ تَـبْـتَـئِـسْ بِـالـشَّـنْـفَـرَي أُمُّ قَـسْـطَـلٍ لَـمَا اغْـتَـبِـطَتْ بِـالـشَّـنْـفَـرَي قَبْلُ أَطْوَلُ[2]
فما
طَـرِيـدُ جِـنَـايَـاتٍ تَـيَـاسَـرْنَ لَـحْـمَـهُ عَـقِـيـرَتُـهُ لأَيِّـهَـا حُـمَّ أَوَّلُ[3]
تَـنَـامُ إِذَا مَـا نَـامَ يَـقْـظَـى عُـيُـونُـهـا حِـثَـاثـاً إِلَـى مَـكْـرُوهِـهِ تَـتَـغَـلْـغَـلُ[4]
تبيت سراعاً
وَإِلْــفُ هُــمُــومٍ مَــا تَــزَالُ تَــعُــودُهُ عِـيَـاداً كَـحُـمَّـى الـرِّبْـعِ أَوْ هِـيَ أَثْـقَـلُ[5]
وحليف
إِذَا وَردتْ أَصْــدَرْتُــهــا ثُــمَّ إِنَّــهــا تَثُوبُ فَتَأْتِي مِنْ تُحَيْتٍ وَمِنْ عَلُ[6]
فَـإِمَّـا تَـرَيْـنِـي كَـابْـنَـةِ الـرَّمْـلِ ضَـاحِـيـاً عَـلَـى رِقَّـةٍ أَحْـفَـى وَلا أَتَـنَـعَّـلُ[7]
رقبة أتسربل
فَـإِنِّـي لَـمَـوْلـى الـصَّـبْـرِ أَجْـتَـابُ بَـزَّهُ عَلَى مِثْل قَلْبِ السِمْعِ وَالحَزْمَ أَفْعَلُ[8]
أنعل
وَأُعْـدِمُ أَحْـيَـانـاً وَأَغْـنَـى وَإِنَّـمَـا يَـنَـالُ الْـغِـنَـى ذُو الْـبُـعْـدَةِ الْـمُـتَـبَـذِّلُ[9]
وأملق الهمة

---

(1) أعدل: أتوسد. منحوضاً: قليل اللحم. فصوصه: فواصله ويعني بذلك فواصل عظامه. دحاها: بسطها. مثَّل متنصبة. الأزعر. القليل الشعر. والأزعر اللص الخائف. محدول: مظلوم.
(2) تبتئس: تحزن وتكره. القسطل: الغبار وأم قسطل: الحرب سميت بذلك لأنها تثير الغبار. اغتبطت: تمنت مثل حاله.
(3) الطريد: المبعد. تياسرن: مأخوذ من يسر القوم الجزور إذا اجتزروها واقتسموها. عقيرته: نفسه وجثته. حُمَّ: قدِّر.
(4) تتغلغل: تتخلل.
(5) حمى الربع: حمى تأخذ المرء يوماً وتدعه يومين
(6) وردت: حضرت. أصدرتها: رددّتها. تثوب: ترجع.
(7) ابنة الرمل: الحية. ضاحياً: بارزاً للقر والحر. على رقة: هزال. أتنعل: ألبس النعال.
(8) مولى الصبر: صاحب الصبر ووليه أي القائم به. أجتاب: أقطع ولعله هنا بمعنى ألبس. البز: الثوب. السمع: سبع مركب وهو ولد الذئب من الضبع. الحزم: ضبط الرجل أمره وأخذه بالثقة.
(9) أعدم: أفقر والعدم الفقر. أحياناً: جمع حين وهو الوقت والمدة. البعدة: اسم للبعد ولعله يريد ذا الهمة. أي يعيد الهمة. المتبذل: الذي لا يبالي.

فَــلاَ جَــزِعٌ مِــنْ خــلَّــةٍ مُــتَــكَــشِّــفٌ وَلاَ مَــرِحٌ تَــحْــتَ الــغِــنَــى أَتَــخَــيَّــلُ[1]

وَلاَ تَــزْدَهِــي الأَجْــهَــالُ حِــلْــمِــي وَلاَ أُرَى سَــؤُولاً بــأَعْــقَــابِ الأَقَــاوِيــلِ أُنْــمِــلُ[2]

الأطماع بأذناب

الجهال بأطراف

وَلَــيْــلَــةِ نَــحْــسٍ يَــصْــطَــلِــي الْــقَــوْسَ رَبُّــهــا وَأَقْــطــعَــهُ الــلَّاتِــي بِــهَــا يَــتَــنَــبَّــلُ[3]

دَعَــسْــتُ عَــلَــى غَــطْــشٍ وَبَــغْــشٍ وَصُــحْــبَــتِــي سُــعَــارٌ وَإِرْزِيــزٌ وَوَجْــرٌ وَأَفْــكُــلُ[4]

سريت

دغشت

فَــأَيَّــمْــتُ نِــسْــوَانَــا وَأَيْــتَــمْــتُ أِلْــدَةً وَعُــدْتُ كَــمَــا أَبْــدَأْتُ وَالــلَّــيْــلُ أَلْــيَــلُ[5]

وأبت

وَأَصْــبَــحَ عــنــي بِــالــغُــمَــيْــصَــاءِ جَــالِــسَــاً فَــرِيــقَــانِ مَــسْــؤُولٌ وَآخَــرُ يَــسْــأَلُ[6]

فَــقَــالُــوا لَــقَــدْ هَــرَّتْ بِــلَــيْــلٍ كِــلاَبُــنَــا فَــقُــلْــنَــا أَذِئْــبٌ عَــسَّ أَمْ عَــسَّ فُــرْعُــلُ[7]

فَــلَــمْ تَــكُ إِلاَّ نَــبْــأَةٌ ثُــمَّ هَــوَّمَــتْ فَــقُــلْــنَــا قَــطَــاةٌ رِيْــعَ أَمْ رِيــعَ أَجْــدَلُ[8]

هوموا حمام هب

---

(1) الجزع: غير الصبور. الخلة الحاجة. المتكثف: الذي يظهر فقره وحاجته للناس. المرح: شدة الفرح والنشاط. التخيل: التكبر.

(2) تزدهي: تستخف. الأجهال: جمع جهل. أعقاب: مآخير. أنمل: أنم من النميمة. والنملة: النميمة. ويقال فلان نملة إذا كان نماماً.

(3) النحس في الأصل ضد السعد وهنا بمعنى البرد. أقطعه: جمع قطع وهو السهم القصير العريض النصل. يتنبل: يختار لرميه.

(4) الغطش: الظلمة. البغش: المطر الخفيف. السعار: حر يجده الإنسان في جوفه من شدة الجوع والبرد. أرزيز: من الأرتزاز أي الثبوت يريد أنه يجمد في مكانه من شدة البرد. وأما من الرز وهو صوت أحشائه من الشدة. الوجر: الخوف. الأفكل: الرعدة.

(5) أيمت: جعلتهن أيامى أي بلا أزواج. ألدة: أولاداً. أليل: شديد الظلمة.

(6) الغميصاء: ما يخرج من العين، والغميصاء: من النجوم. الجالس: اسم لنجد يقال جلس إذا أتى الجلس أي نجد. ولعلها بمعنى الجالس من الجلوس.

(7) صوتت صوتاً دون النباح من قلة الصبر على البرد. عسَّ: طاف والعس: الطواف بالليل. الفرعل: ولد الضبع.

(8) النبأة: الصوت. هومت: نامت. ريع: أفزع. الأجدل: الصقر.

فَـإِنْ يَـكُ مِــنْ جِــنٍّ لأَبْــرَحُ طَـارِقــاً　　وَإِنْ يك أُنْسـاً مَاكَـهَـا الأُنْس تَـفْـعَـلُ[1]

تك　　فأبرح

لابرحت

وَيَـوْمٍ مِـنَ الـشِّـعْـرَى يَـذُوبُ لُـوَابُـهُ　　أَفَـاعِـيـهِ فِـي رَمْـضَـائِـهِ تَـتَـمَـلْـمَـلُ[2]

نَـصَـبْـتُ لَـهُ وَجْـهِـي وَلاَ كِـنَّ دُونَـهُ　　وَلاَ سِـتْـرَ إِلاَّ الأَتْـحَـمِـي الْـمُـرَعْـبَـلُ[3]

وَضَـافٍ إِذَا هَـبَّـتْ لَـهُ الـرِّيـحُ طَـيَّـرَتْ　　لَـبَـائِـدَ عَـنْ أَعْـطَـافِـهِ مَـا تَـرَجَّـلُ[4]

بَـعِـيـدٌ بِـمَـسِّ الـدُّهْـنِ وَالـفَـلْـيُ عَـهْـدُهُ　　لَـهُ عَـبَـسٌ عَـافٍ مِـنَ الْـغِـسْـلِ مُـحْـوِلُ[5]

وَخَـرْقٍ كَـظَـهْـرِ الـتُّـرْسِ قَـفْـرٍ قَـطَـعْـتُـهُ　　بِـعَـامِـلَـتَـيْـنِ ظَـهْـرُهُ لَـيْـسَ يُـعْـمَـلُ[6]

رحب　　بطنه

وَأَلْـحَـقْـتُ أُولاَهُ بَـأُخْـرَاهُ مُـوفِـيـاً　　عَـلَـى قُـنَّـةٍ أُقْـعِـي مِـرَاراً وأَمْـثِـلُ[7]

تَـرُودُ الأَرَاوِي الـصُّـحْـمُ حَـوْلِـي كَـأَنَّـهـا　　عَـذَارَى عَـلَـيْـهِـنَّ الْـمُـلاَءُ الْـمُـذَيَّـلُ[8]

السحم

وَيَـرْكُـدْنَ بِـالآصَـالِ حَـوْلِـي كَـأَنَّـنـي　　مِنَ العصم أَدْفَى يَنْتَحِي الْكَيْحَ أَعْقَلُ[9]

---

(1) لأبرح طارقاً: لأعظم وأكرم طارقاً. البرح: الشدة. ماكها أي ما كهذا أو ما كمثل هذا.

(2) الشعرى: كوكب يطلع بعد الجوزاء. لوابه: لعابه. ولعاب الشمس أشعتها التي ترى من شدة الحر كالخيوط تعرض للعين. الرمض: شدة وقع الشمس على الرمل. التململ: التحرك.

(3) نصبت: أقمت. الكن: الستر. الأتحمي: ضرب من البرود. المرعبل: المقطع الرقيق.

(4) ضافٍ: سابغ. لبائد: ما تلبد من الشعر لأنه لا يرجل. ترجل: تسرح. أعطاف جمع العِطف وعطفا الرجل جانباه من جهة رأسه إلى وركيه.

(5) الدهن: الطيب. العبس: ما يعلق بأذناب الإبل وإاليات الشاء من الأوساخ فيجف عليها. عاف: كثير. الغِسل: ما يغسل به الرأس والجلد أي ما يقوم مقام الصابون. الفلي من فلى رأسه إذا نقّاه من القمل. محول: مرّعليه الحول والحول: السنة.

(6) الخرق: الأرض الواسعة تتخرق فيها الرياح. كظهر الترس: أرض مستوية استواء ظهر الترس. قفر: ليس فيها أحد أي خالية. عاملتين: تريد بهما رجليه. ليس يعمل: غير مسلوك.

(7) ألحقت أولاه بأخراه: قطعته وجزته عدواً. موفياً: مشرفاً. القنة: اعلى الجبل. أقعي: أجلس على ركبتي وباطن فخذي. أي أن يلصق الرجل إليته بالأرض وينصب ساقيه ويتساند إلى ظهره. أمثل: انتصب.

(8) ترود: تذهب وتجيء. الأراوي: جمع الأروية وهي أنثى التيس البري. الصحم: الوعول التي يضرب لوناه إلى صفرة. والصحمة التي تضرب إلى السواد. والسحم: السود. الملاء: ضرب من الثياب. المذيل: الطويل.

(9) يركدن: يثبتن، ويمكثن. الآصال: جمع أصيل وهو الوقت بين العصر إلى المغرب. العصم: جمع أعصم وهو الذي في ذراعيه بياض. وقيل الذي في إحدى يديه بياض. الأدفى: الذي طال قرنه جداً. ينتحي: يعتمد ويقصد. الكيح: عرض الجبل. الأعقل: الممتنع.

# تأبط شراً

## ... ـ نحو 80 ق. هـ ـ ... نحو 540 م

ثابت بن جابر بن سفيان المطيري النزاري من قيس عيلان، من أم كان يقال لها أميمة، روي أنها كانت أمة حبشية سوداء، ومنها جاء لونه الأسود، فعده النقاد والمؤرخون من أغربة العرب. تيتم في صغره، وشاء القدر أن يأخذ الصعلكة عن عمه زوج أمه أبي كبير الهذلي أحد كبار صعاليك الجاهلية، وكانت قد اقترنت به أمه عقب وفاة زوجها جابر.

جابر لقب بتأبط شراً وقد قيل في هذا اللقب عدة احتمالات أولها، أنه تأبط سيفاً وخرج فقيل لأمه، أين ثابت فقالت لا ادري، تأبط شراً وخرج.

ثانياً: إن أمه قالت له في زمن الكمأة:

ألا ترى غلمان الحي يجتنون لأهلهم فيروحون بها، فقال لها: اعطني جرابك حتى أجتني لك فيه، فأعطته إياه، فخرج وعاد وقد ملأه أفاعي من أكبر ماقدر عليه، ثم ألقى الجراب بين يديها، ففتحته فسعين بين يديها في بيتها، فوثبت وخرجت منه، فقال لها نساء الحي، ماذا كان الذي تأبطه ثابت اليوم، فقالت تأبط شراً.

ثالثاً: قيل إنه رأى كبشاً في الصحراء فاحتمله تحت إبطه، فجعل الكبش يبول طول الطريق عليه، فلما قرب من الحي ثقل عليه حتى لم يُقله، فرمى به فإذا هو الغول، فقال قومه: بم تأبطت يا ثابت؟ فأخبرهم، فقالوا لقد تأبط شراً.

وأخيراً، قيل إنه أتى بالغول فألقاه بين يدي أمه، فسئلت أمه عما كان متأبطاً فقالت تأبط شراً.

كما ذكر أنه لقي الغول في ليلة ظلماء، في مكان يعرف برحى بطان في بلاد

هذيل، فأخذت عليه الطريق، فلم يزل بها حتى قتلها، وبات عليها، فلما أصبح حملها تحت إبطه، وجاء بها إلى أصحابه، فقالوا له، لقد تأبطت شراً، فقال في ذلك[1].

تــأبــط شــراً ثــم راح أو اغــتــدى — يــوائـم غـنـمـاً أو يـشـيـف عـلـى ذحـل

ثم قال في هذه المناسبة:

ألا مــن مــبــلــغ فــتــيــانَ فــهــمٍ — بــمــا لاقــيــت عــنــد رحــى بــطــانِ
وانــي قــد لــقــيــتُ الــغــولَ تــهــوي — بــسـهـبٍ كـالـصـحـيـفـةِ صحصحـانِ[2]
فــقــلــت لــهــا كــلانــا نــضــو أيــنٍ — أخــو ســفــر فــخــلــي لــي مــكــانــي
فــشــدت شــدَّة نــحــوي فــأهــوى — لــهــا كــفــي بــمــصــقــول يــمــانــي
فــأضــربــهــا بــلا دَهَــشَ فــخــرت — صــريــعــاً لــلــيــديــن ولــلــجــران[3]

ومما قيل في لقبه ـ وهو ضعيف ـ إنه أخذ سكيناً تحت إبطه وخرج إلى نادي قومه فوجأ بعضهم (أي نكزه وضربه) فقيل: تأبط شراً، وقيل تأبط جفير سهام وأخذ قوساً، فقالت أمه: تأبط شراً.

وروي في لقبه أيضاً، أنه كان ربما جاء بالشهد أو العسل في خريطة كان يتأبطها، فكانت أمه تأكل ما يجيء به، فأخذ يوماً أفعى فألقاها في الخريطة، فلما جاءت أمه لتأخذ ما في الخريطة سمعت فحيح الأفعى، فألقتها وقالت: لقد تأبطت شراً يا بُني.

وواضح كم في هذه الروايات من مبالغة وتعسف، وهي في معظمها من صنع الخيال، ربما جاءت من قبيل شغف الجاهلي بحكايات فيها الغلو في التصوير، وحب تضخيم الأمور، وربما كانت هذه الروايات تعبيراً عما كان عليه مسلك الشاعر، إذ تكشف عن فتى يعشق الأعمال الشريرة، ويلجأ إلى أذى الآخرين، حتى بات مصدر قلق وتبرم من عائلته، فوصموه بهذا اللقب، الذي ذهب سبة عليه

---

(1) الأغاني ـ 21/ 146. حماسة أبي تمام ـ 20. ديوان أبي تمام ـ إعداد طلال حرب بيروت. الدار العالمية ط1 1993م.
د. خليف صعاليك العصر الجاهلي ـ الاعلام للزركلي 2/ 97.
(2) فهم قبيلة الشاعر. بطان: موضع. السهب: الأرض البعيدة السهلة. صحصحان: جرداء.
(3) النضو: الضعيف المهزول. الأين: التعب. دهش: ذهب عقله من الخوف. الجران: باطن العنق.

إلى آخر الدهر، وبات لا يعرف إلا به، حتى نسي الناس
الذي يدل على عكس ما كان هو عليه تماماً، والضد يظهر

من هنا، ومن هذا اللقب بالذات نستنتج أن حياة الشا
أشكال التجاوز والحركة السلبية والقتال والعدو والمغامرا
الاعمال كان يقوم بها مع صديقيه في الصعلكة، الشنفري

وكما بالغ الناس في الحديث عن لقبه وأجروا عليه
في الحديث عن مغامراته، وصاغوا ألواناً مشابهة للقص
الاحداث والبطولات حتى قاربوا فيما قدموه الأسطورة.

ومنها أن تأبط شراً كان أعدى ذي رجلين، وذي ساق
جاع لم تقم له قائمة، فكان ينظر إلى الظباء فينتقي على
خلفه فلا يفوته حتى يأخذه، فيذبحه بسيفه، ثم يشويه
فيها الكثير من الإثارة والدهشة، تقول إن تأبط خرج غا
في بعض ما كان يغير عليها وحده، فنذرت به الإزد، فأه
من ذوي بأسهم يتبعونه حتى ينام فيأخذونه أخذاً، فكمن
شراً فبصر بالإبل، فطردها بعض يومه، ثم تركها ونهض
أحد، فكمن القوم حين رأوه ولم يرهم، فلما لم ير أحداً
يومه وليلته والغد حتى أمسى، ثم عقلها، وصنع طعاماً ف
في طله، ثم هيأ مضطجعاً على النار، ثم أخمدها وزحف
حتى دخل بين الابل، وخشي أن يكون رآه أحد وهو لا
والأخذ بالحزم، فمكث ساعة وقد هيأ سهماً على كبد
أقبلوا ثلاثتهم يؤمون المهاد الذي رأوه هيأه، فيرمي
الآخران، ورمى آخر فقتله، وأفلت الثالث هارباً، ثم أخ
عُقل الإبل وشلها حتى جاء بها قومه، وقال في ذلك[1]:

تُرجِّي نساءُ الأَزد طلعةَ ثابت     أسيراً ولم
فإن الأُلى أوصيتم بين هارب     طريد ومـ
وَخَذْتُ بهم حتى إذا طال وخدهم     وراب عليه

---

(1) الأغاني ـ 21/ 174 ـ ديوان تأبط شراً ـ تقديم طلال حرب ـ ص75.

مـهـدت لـهـم حـتـى إذا طـال روعُـهـم إلى الـمـهـد خـاتّـلْـتُ الـضـيـا بـخـتـيـل

فـلـمـا أحـسـوا الـنـوم جـاؤوا كـأنـهـم سـبـاعٌ أضـافـت هـجـمـةً بـسـلـيـل

فـقـلـدتُ سَـوَّار بـن عـمـرو بـن مـالـك بـأسـمـرَ جَـسْـرِ الـقُـذَّتَـيـنِ طـمـيـل

فـخـرَّ كـأن الـفـيـل ألـقـى جِـرانـه عـلـيـه بِـريـان الـقُـواء أسـيـل[1]

قصص لا تنتهي، وما ورد لون قصصي تجتمع فيه معظم الخصائص الفنية، ثم هذا الإخراج القصصي الذي ينتهي دائماً بغلبة تأبط وهزيمة مناوئيه، وهو ما تجمع عليه معظم قصصه البطولية تقريباً، وهذا الشعر الذي يتطابق تماماً مع روح القصة وتفاصيلها، يجعلنا نشك، وإن كنا لا نجزم، نشك في أن تكون القصيدة كلها من نظم تأبط، ونشك في طبيعة القصة نفسها، في هذا السرد الذي يبدو أن الغاية منه الإثارة والجذب وصنع بطل في معركة تتزاحم فيها المشاهد والأضداد.

حتى في مغامرات تأبط الفاشلة فإنه لا يلبث أن يخرج منها سالماً بفضل وعيه ودهائه، كما ذكر في رواية أن تأبط شراً ورفيقيه عمرو بن براق والشنفري غزوا بجيلة، فلم يظفروا منها بغره، وثاروا إليهم فأسروا عمراً وكتفوه، وأفلتهم الآخران عدوا، فلم يقدروا عليهما، فلما علما أن ابن براق قد أُسرْ، قال تأبط شراً لصاحبه: امضِ فكن قريباً من عمرو إني سأتراءى لهم وأَطمعهم في نفسي حتى يتباعدوا عنه، فإذا فعلوا ذلك فحل كتافه وانجوا، ففعل ما أمره به، وأقبل تأبط شراً حتى تراءى لبجيلة، فلما رأوه طمعوا فيه فطلبوه، وجعل يُطمعهم في نفسه ويعدو عدواً خفيفاً، يقرِّبُ فيه ويسألهم تخفيف الفدية وإعطاءه الأمان حتى يستأسر لهم، وهم يجيبونه إلى ذلك ويطلبونه، وهو يُحظر إحضاراً خفيفاً ولا يتباعد، حتى علا تلعة أشرف منها على صاحبيه، فإذا هما قد نجوا، ففطنت لهما بجيلة فألحقتهما طلباً ففاتاهم، قال: يا معشر بجيلة أأعجبكم عدو ابن براق اليوم، والله لأعدون لكم عدواً أنسيكم به عدوه، ثم عدا عدواً شديداً ومضى، وفي ذلك قال[2]:

---

(1) ترجي: تأمل. الأزد قبيلة معروفة. ثابت: تأبط شراً نفسه. الحويل: الحول. والقوة والقدرة على المباشرة والتصرف. مهدت: هيأت. الروع: الخوف. المهد: الأرض المنخفضة. خاتل: خادع وراوغ، وخاتل: تخفي. الهجمة من الإبل: من الأربعين إلى ما بين السبعين إلى المائة. السيل: مجرى الماء من الوادي أو وسطه. الأسمر: السهم. الطميل: الملطخ بالدم. الجسر: الطويل الضخم. القذة: ريش السهم. القواء: الأرض القفر الخالية. الريان: الأخضر الناعم من الأغصان. الأسيل: اللين الأملس.

(2) الأغاني: 21/ 151. طلال حرب ـ ديوان تأبط ص48 ـ 51 د. خليف ـ 207 ـ 210.

يـا عـيـد مـالـك مـن شـوقٍ وإبـراقِ ومـرِّ طـيـفٍ عـلـى الأهـوال طـرَّاقِ[1]

وهو يذكر أنهم عندما أثاروه غدا أسرع من الظليم والظبية، لا تلحق به الجياد، وتقصر الطير عن عدوه، كانما أصابه مس من الجنون.

كـأنـمـا حـثـحـثـوا حـصًّـا قـوادِمُـه أو أُمَّ خِـشْـفٍ بـذي شـثٍ وطـبـاقِ
لا شـيء أسـرعُ مـنـي لـيـس ذاَ عُـذَرٍ وذا جـنـاح بـجـنـب الـريـدِ خـفـاق
حتـى نـجـوتُ ولـمـا يـنـزعـوا سَـلَـبـي بـوالـهِ مـن قـبـيـض الـشـدِ غـيـداقِ[2]

ويرسم تأبط شراً صورة الصعلوك المثالي الذي يجله ويرافقه لأنه على صورته ومثاله، يتصف بالمحامد والزعامة والجرأة في اقتحام الصعوبات والفروسية، وصلابة الرأي والتردد إلى مجالس العشيرة، علاوة على صفة الكرم والجود حيث يقول:

لـكـنـمـا عَـوَلـي إن كـنـت ذا عـولٍ عـلـى بـصـيـر بـكـسـب الـحـمـد سباقِ
سـبـاقِ غـايـات مـجـد فـي عـشـيـرتـه مُـرجِّـع الـصـوت هـدًّا بـيـن أرفـاقِ
حـمـالِ ألـويـة شـهـادِ أنـديـة قـوالِ مَـحـكـمـةٍ جـوابِ آفـاقِ
فـذاك هـمـي وغـزوي أسـتـغـيـث بـه إذا اسـتـغـنـثْـتَ بـضـامـي الـرأس نـغَّـاقِ
يـقـول أهـلـكـت مـالاً لـو قـنـعـتَ بـه مـن ثـوب صـدق ومـن بَـز وأعْـلاق[3]

وهكذا عاش تأبط شراً حياة مليئة بالفروسية والقوة والمغامرة، والغزو والسلب والإغارة والقتال إلى جانب صديقيه وزميليه عمرو بن البراق والشنفري، فملأوا اكناف الجزيرة بالمفاجآت، وبالحكايات الاسطورية التي اعتبرها البغدادي في خزانته انها حكايات يتعجب منها العقل لغرابتها.

هكذا يعيش المغامر ويموت، في قلب المعركة التي يرسم هو معظم الأحيان فصولها وأحداثها، أو يشارك في تفاصيلها، لم يألف الموت إلا في ساحة الصراع والمكابدة، فسقط هذا الصعلوك الغضنفر في آن معاً، المتمرد القاسي الشكيمة

---

(1) العيد: ما اعتاد من حزن وشوق. الايراق: من الأرق.

(2) حثحثوا: حركوا. الحص: جمع أحص وهو ما تناثر ريشه وتكسر. الخشف: ولد الظبية. الشث والطباق: نبتتان طيبتا المرعى. العذر: جمع عذرة وهي ما أقبل من شعر الناصية. على وجه الفرس. الريد: الشمراخ الأعلى من الجبل. الشد القبيض: الجري السريع. الغيداق: الكبير الواسع وهو من الغدق: المطر الكثير.

(3) مرجع الصوت: يصيح آمراً ناهياً. هدًّا: رافعاً صوته. المحكمة: الكلمة الفاصلة. ضافي الرأس: كثير الشعر. نغاق: نعّاق. البز: الثياب أو السلاح. الأعلاق: كرائم الآموال يريد أنه يأمره بالبخل وإمساك يده.

الصلب المراس وجه الصحراء الخشن العنيد، سقط في ساحة القتال، صريعاً بيد هذيل وهي احدى القبائل العربية، وحدث ذلك عندما خرج كعادته للغزو، فعرض له بيت من هذيل في جبل، فأراد مهاجمته، فمنعه من منعه عندما رأوا ضبعاً يخرج، فخشوا من السوء، إلا أن تأبط شراً هزئ منهم ولم يبالِ بهم، وهجم على البيت مع جماعته فقتلوا شيخاً وعجوزاً وحازوا جارتيين وإبلاً، وفر غلام إلى الجبل، فلحق به تأبط، إلا أن الغلام تمكن منه ورماه بسهم شق فؤاده، فتحامل الشاعر على نفسه وحمل على الغلام فقتله ثم ما لبث هو ان مات متأثراً بإصابته، فرمت هذيل جثته في غار رخمان في السنة 80 ق هـ / 540م تقريباً.

وكان قد قال قبل موته معبراً عن خوفه من أن يموت كمداً قبل أن يشبع نهمه إلى الغزو والقتال:

لعلي ميتٌ كمداً ولما ... أطالغْ أهل ضيم فالكِراب
وإن لم آتِ جمعَ بني خُثيمْ ... وكاهَلهَا بِرَجْلٍ كالضباب
إذا وقعت بكعبٍ أو قريم ... وسيَّارٍ فيا سَوْغَ السراب[1]

أما مليح الهذلي فقال مفتخراً بقتل تأبط شراً، ولعله هو الذي قتله:

ونحن قتلنا مقبلاً غير مدبر ... تأبط ما ترهق بنا الحرب ترهقِ

قالوا في تأبط شراً:

عندما شاع خبر مقتله رثته أخته ريطة: وكانت متزوجة في بني «الديل» وفي الأغاني أنها لأمه:

نعم الفتى غادرتم بِرَخمانِ ... بثابت بن جابر بن سفيان
يُجَدِّلُ القِرن ويُروي النَّدمان ... ذو مأرقطٍ يحمي وراءه الأخوان[2]

وندبه مرة بن حليف في أبيات تنبض بالحبِ والتقديرِ والأسى:

إن العزيمةَ والعزَّاءَ قد ثَويا ... اكفانَ ميت غدا في غار رخمان
إلا يكن كرسُفٌ كُفِّنَتْ جَيِّدَه ... ولا يكن كفنٌ من ثوب كتان

---

(1) الكراب: لعلها من الكرب: الحزن. وقيل هو موضع، وكذلك ضيم. يكاهل القوم: سندهم. كعب وقريم وسيار: قبائل عربية. سوغ الشراب: الشراب الهنيء. الأغاني 21/ 177.

(2) الأغاني: 21/ 190 ـ 195. طلال حرب ـ ديوان تأبط شراً ـ ص128. المأرقط: الموضع الذي يقتلون فيه وهو شدة حر الشمس.

فـإن حــراً مــن الأنــســاب ألــبــسَــه ريشَ الـنـدى والـنـدى مـن خـيـر اكـفـان
ولـيـلـة راسُ أفـعـاهـا إلـى حـجـر ويـوم أور مـن الـجـوزاء رنـان
مـضـيـت أول رهـطٍ عـنـد آخـره فـي إثـرِ عـاديـةٍ أو إثـرِ فـتـيـان[1]

إن لم تكن قد كفنته أثواب الكتان والقطن، فقد كفنته العزيمة والشدة والعزة والنسب القراح الذي ألبسه ريش الجود والكرامة.

وتصرخ أمه قائلة غب وفاته:

وابناه وابن الليل، وليس بزقيل، شروب القيل
وواد ذي هـول أخـزت، تـجـر بـالـذيـل

إنه ابنها، إبن الليل كناية عن الشجاعة واقتحام الأهوال حتى في الظلام الدامس، وهو ليس بجبان ضعيف ليشرب اللبن وسط النهار كي بخفف به عطشه وظمأه، هكذا قضى في وادٍ مهول[2].

ولأمه بيتان رثته فيهما وقيل لأخته ريطة وفي الأغاني أنهما لأمه، إنه فتى فهم، قضى في بلاد هذيل مقيماً هناك قتيل ما بعده من قتيل، وكأن الشتاء ضن بالمطر وبالسحاب حزناً عليه:

قـتـيـلٌ مـا قـتـيـلُ بـنـي قُـريـم إذا ضـنَّـت جـمـادى بـالـقِـطـار
فـتـى مـنـهـم جـمـيـعـاً غـادروه مـقـيـمـاً بـالـحُـريـفـة مـن نُـمـار[3]

## شعر تابط شراً

لتأبط شراً قصائد مختلفة لكنها قليلة وأكبرها قصيدتان إحداهما ذكرها المفضل الضبي في مفضلياته وهي من شعر غزواته ومطلعها:

يـا عـيـدُ مـالـك مـن شـوقٍ وإيـراقِ ومُـرِّ طـيـفٍ عـلـى الأهـوالِ طـراق
يسري عـلى الأين والـحيات مـحتفياً نـفـسـي فـداؤك مـن سـارٍ عـلـى سـاقِ

---

(1) الأغاني 21/ 190 ـ 191. طلال حرب ديونا تأبط شراً ـ ص127.
الكرسف: القطن. الأور: جمع أوار.

(2) الأغاني: 21/ 191.
الزميل أو الزقيل: الجبان الضعيف. القيل: اللبن الذي يشرب نصف النهار وقت القائلة.

(3) لسان العرب 21/ 195.
معجم البلدان ـ 2/ 250. جمادى عند العرب الشتاء كله. والقطار: السحاب الكثير القطر الجريفة: موضع في بلاد هذيل حيث قتل. ونما: جبل لهذيل. القطار: جمع القطر وهو المطر. الحريفة والنمار.

إنـي إذا خُـلـةٌ ضـنَّـت بـنـائـلـهـا وأَمـسـكـتْ بـضـعـيـفِ الـوصـل أحـذاقِ
نـجـوتُ مـنـهـا نـجـائـي مـن بـجـيـلـة إذ أَلـقـيـتُ لـيـلـةَ خَـبـتِ الـرهـطِ أوراقـي[1]

أما القصيدة الثانية فعنوانها «ثأر» وهي لامية من باب الرثاء، واختلف في قائل هذه القصيدة، فمنهم من قائل أنها لخلف الأحمر، وقال آخرون أنها لابن أخت تأبط شراً يرثي خاله، وتذكر رواية ثالثة أنها لتأبط يرثي بها نفسه قبل موته.

والظاهر من سياق القصيدة أنها لابن أخت تأبط، يرثي فيها خاله ويثأر له، والقصيدة غير موجودة في كتاب الأغاني، إنما في ديوان الحماسة لأبي تمام ومما ورد فيها:

إنَّ بـالـشِّـعـبِ الـذي دون سَـلْـعٍ لـقـتـيـلاً دَمُـهُ مـا يُـطَـلُّ
خـلَّـفَ الـعِـبء عـلـيَّ ووَلَّـى أنـا بـالـعـبءِ لـه مـسـتـقـل؟[2]
ووراءَ الـثـأرِ مـنـي ابـنُ أخـتٍ مَـصِـعٌ عُـقْـدَتُـه مـا تُـحَـلُ
مُـطـرِّق يـرشـحُ سَـمـاً كـمـا أطـ ـرق أفـعـى يـنـفـث الـسُّـم صِـلُّ
خـبـرٌ مـا نـابـنـا مُـضْـمَـئِـلٌ جَـلَّ حـتـى دقَّ فـيـه الأجـلُّ
بـزَّنِـي الـدهـرُ وكـان غـشـومـا بِـأَبـي جـارُه مـا يُـذَلُّ[3]

هكذا آلى على نفسه أن يحمل عبء الأخذ بالثأر، ثار خاله الذي كان قوي العزيمة عنيف المقاتلة شديد جليل، فجعه به الدهر الغشوم وسلبه إياه.

ثم يقسم على نفسه على أن يسقي هذيلاً الصعدة إثر الصعدة، فيوم مقتل خاله، حلَّت عنده الخمرة، فقد ضني جسمه بعد غيابه، والمراقب للقصيدة يرى أن

---

(1) الأغاني 21/ 151. المفضليات ص17 ـ ديوان تأبط شراً ـ ص48.
العيد: ما اعتاد من حزن وشوق. مالك: ما أعظمك. الايراق: من الأرق. طراق: يطرق في الليل في موضع البعد والمخافة. الأين: العياء والتعب. والأين: نوع من الحيات. الخلة: الصداقة. بضعيف الوصل: بحبل صعيف. الاحذاق: المتقطع. بجيلة: القبيلة التي أسرته. الخبت: اللين من الأرض. الرهط: موضع. ألقيت أوراقي: استفرغت مجهودي في العدو، أي إذا لم يعجب صديقه فر منه ونجا كنجاته من بجيلة.

(2) ديوان الحماسة لأبي تمام ـ 2/ 161. ديوان تأبط شراً ص63.
الشعب: الطريق في الجبل. سلع: موضع. دمه: ما يطل: ذهب هدراً لا يثأر به. مستقل: محتمل قادر.

(3) ديوان حماسة أبي تمام ـ 2/ 161. طلال حرب ديوان تأبط ص63 و64.
المصع: الشديد المقاتلة الثابت ـ عقدته ما تحلُّ: أي قوي العزيمة. الصل: الخبيث من الأفاعي ـ المصمئل: الشديد ـ جلَّ عظم. بزني: سلبني والمراد فجعني به. الغشوم: الظلوم: الأبي: الذي لا يحتمل الضيم.

في أحد الابيات ذكر لابن الأخت وفي آخر ذكر للخال، مما يوقع في اللبس، هل هي لتأبط في ابن أخته أم العكس، إلا أن البيت الثالث على ما اعتقد يوحي أن ابن أخت تأبط يحكي بأسم خاله عندما قال: ووراء الثأر مني ابن أخت.

معظم قصائد تأبط شراً قصيرة، باستثناء بعض القصائد، حتى أن الابيات المنفردة أو التي لاتتجاوز أصابع اليد الواحدة كثيرة في نتاج الشاعر، وهذا يؤكد أن كثيراً مما قاله الشاعر لم يصل إلينا، بل ضاع معظمه مع ما ضاع من شعر كثير.

ونستطيع أن نلتمس بعض الفنون الشعرية التي وردت ضمن مجموعة الشاعر الصغيرة.

ففي باب الرثاء أبيات قليلة لا نسميها قصائد، لأنها خاطفة وإشارات سريعة، كما نرى من بحر الوافر في قصيدة رثى فيها أخاه عمراً بعد أن قتله رجل من بني عتير من هذيل بسهم:

وحُرِّمَتِ النساءُ وإن أُحِلَّتْ ... بِشَوْرٍ أو بمزج أو لِعَابِ
حياتي أو أزور بني عُتيرٍ ... وكاهِلَها بجمع ذي ضِباب
إذا وقعت لكعب أو خثيمٍ ... وسيار يسوغُ لها شرابي
رفعت
أظني ميتاً كمداً ولما ... أطالع طلعةً أهل الكِراب
ودمت مسيَّرًا أهدي رعيلا ... أؤم سوادَ طودَ ذي نقاب[1]

ومن قصيدة من اجمل ما نظم، رثى الشاعر أخاه وصديقه الحميم الشنفري بأبيات تفيض بروح التقدير والوفاء متحدثاً عن شجاعته الخارقة وبطولاته:

على الشنفري ساري الغمام ورائحٌ ... غزيرَ الكُلَى أو صيِّبُ الماء باكرُ
عليكَ جَدَاءٌ مثلُ يومكَ بالحَيا ... وقد رَعَفتْ مني السيوفُ البواترُ[2]

---

(1) الأغاني ـ 21/ 177. طلال حرب ـ ديوان تأبط شراً ـ ص93.
الشور: من شار العسل، اجتناه. اللعاب: لعله مأخوذ من سيف ملعاب أي ينشب في الغمد كثيراً.
الضباب: جمع ضب وهو الغيظ والحقد والضغن والعداوة، أو بالفتح (الضَباب) أي جمع كثير له غبار.
الكراب: مجاري المياه في الوادي والكراب أيضاً: كربك الأرض حتى تقلبها للحرث وتثيرها لتزرع.
الرعيل: القطعة من الخيل. الطود: الجبل. النقاب جمع نقب وهو الطريق في الجبل ذي نقاب: تغطيه السحب.

(2) الساري: السائر بالليل. الرائح: الطيب الريح. الكلى: الجوانب والكلى من السحاب: أسفله. غزير الكلى: كثير الماء. العيب: السحاب ذو المطر. الحداء: العطاء والنفع. الجبا: موضع، والحيا كذلك. رعفت: قطرت دماً. الباتر: القاطع.

ويـومُـكَ يـومُ الـعـيـكـتـيـن وَعَـطـفـةٌ عـطـفْـتَ وقد
تُـجـيـلُ سـلاحَ الـمـوتِ فـيـهـم كـأنـهـم لِـشَـوْكـتـكَ
وإنـك لـو لاقـيـتـنـي بـعـد مـا تـرى وهـل يُـلْـقَـيْ
لألـفـيـتـنـي فـي غـارة أدعـى لـهـا إلـيـكَ وإم
وإن تـك مـأسـوراً وظِـلـت مـخـيـمـاً وأبـلـيـتَ ح
وحتى رماكَ الشيبُ في الرأس عانساً وخـيـرُكَ مـ
وأجـمـل مـوت الـمـرءِ إذ كـان مـيـتـاً ولا بُـدَّ يـوم
فـلا يَـبْـعَـدنَّ الـشـنـفـري وسـلاحُـه الـحـديـدُ و
إذا راعَ رَوْعَ الـمـوت راعَ وإن حـمـى حَـمَـى مـعـا

وفي أبيات قليلة رثى تأبط شراً صاحبين له قُتلا إثر
بني العوص من بجيلة ونجا هو فيها بعد أن أفلت وبات
أن يعود إلى قومه دهنته ورجلته، وقد عنفته زوجته قا
صاحبيك وجئت مدهناً، فانتبه ورثاهما بهذه الابيات واسم

أبـعـدَ قـتـيـلِ الـعَـوْصِ آسِـي عـلـى فـتـىً وصـاحـبـهِ
أألـطـردُ نـهـبـاً آخـر الـلـيـل أبـتـغـي عُـلالـةَ يـومٍ
لَـنِـعِـمَ الـفـتـى نـلـتُّـم كـأن رداَءَهُ عـلـى سـرحـ
أألـطـردَ نـهـبـاً أو نـرودَ بـفـتـيـةٍ بـأيـمـانـهـم
مـسـاعِـرةٌ شُـعْـثٌ كـأنَّ عـيـونَـهُـمْ حريقُ الغضـ
فَـعُـدُّوا شـهـورَ الـحـرمِ ثـم تـعـرفـوا قـتـيـلَ أنـا

---

(1) الاغاني ـ 21/ 205. ديوان الشنفري ص29 ـ 31.
العيكتان: موضع بعينه. العطفة: الحملة والهجمة. مس القلوب الحنا
(موسوعة الشعر العربي 1/ 114).
(2) الأغاني ج21/ ص155. ديوان تأبط ص43 و44.
العوص: بنو العوص بطن من قبيلة بجيلة. آسي: أحزن. النهب.
الصيد. العلالة: ما يتعلل بها.
(3) السرحة: شجرة عظيمة طويلة. دومة: موضع بعينه. شائق: مشدود
طلب. القنى: جمع القناة وهي الرمح. الفتائق: جمع الفتيق، الحاد ال
جمع الأشعث وهو المغبر الشعر الملتبده. الغضا: شجر خشبه من أص
شديد الالتهاب لا ينطفىء بسرعة. الشقائق: جمع الشقيقة، وهي ما ا

## الغزل:

مقطع من خمسة أبيات يتغنى فيها تأبط شراً بإمرأة أَمَة سلبها رجلاً من بجيلة بعد ان فتك به وسلبه إبله معها ثم أناخ بصعدة بني عوف من قبيلته:

بحليلة البُجْلي بِتُّ من ليلها بين الإزار وكشحها ثم الصقِ

بأنيسةٍ طويتَ على مطويِّها طيَّ الحمالةِ أو كطي المِنْطقِ

فإذا تقوم مضعدةٌ في رملة لبَدتْ بريِّق ديمة لم تُغدِقِ

وإذا تجيء تجيء سحي خلفها كالأيم أصعد في كثيب يرتقي[1]

وها هو يرد على حاجز بن ابي الأزدي الذي كان قد رد على شعر تأبط شراً افتخر فيها بغزوة له على الأزد وانتصاره عليهم بعد أن سلب لهم إبلاً وقتل رجلين منهم، وتأبط شراً في هذه الأبيات يفتخر بشجاعته وانتصاره ويصف امرأته فيقول:

لقد قال الخليُّ وقال حُلْسَاً بظهرِ الليل شُدَّ به العَكُوم

لَطِيفِ من سعادَ عناكَ منها مراعاهُ النجومِ ومَنْ يَهيمُ

وتلكَ لئن عُنيتَ بها رَدَاحٌ من النسوانَ مَنْطِقُهَا رَخِيمُ

نَيَافُ القُرْطِ غَرَّاءُ الثنايا وَرَيُداء الشباب ونِعمُ خِيم[2]

فسعاد ضخمة ثقيلة الأوراك لينة سهلة، وتامة الطول والحسن بيضاء لينة الطبع والسجية والأصل.

ثم ينتقل إلى الحديث عن شجاعته وفروسيته:

ولكن فات صاحبَ بطنِ رهْوِ وصاحِبَه فأنت به زعيمُ

ثأرت بُه وما افترقتْ يداهُ فظل لها بنا يومٌ غشومُ

نحِزُ رقابهم حتى نزعنا وأنفُ الموتِ مِنْخَرةٌ رثِيمُ[3]

---

(1) الأغاني 21/ 170. ديوان تأبط شراً ص45.
حليلة: زوجة. الكشح: ما بين الخاصرة والسرة ووسط الظهر من الجسم. ثَم: هناك. الحمالة: علاقة السيف. المنطق: النطاق وما يتمنطق به. المطوي من البطن: باطنه. الصعدة: القناة المستوية. لبدت: قامت. الريق: الماء. الأيم: الحية وذكر الأفعى. لعل كثيب هي كثيب: وهو التل من الرمل.

(2) الأغاني 21/ 175 ـ 176. طلال حرب ـ ديوان تأبط شراً ص98 ـ 99.
الخلي: الخالي من الهموم ومن لا زوج له. حلساً: ثباتاً. العكوم: الأصل عكم. بمعنى انتظر وعكم شد ثوبه عليه. الرداح: المرأة الضخمة الثقيلة الأوراك. النياف: الطويلة أو تامة الطول والحسن. الغراء: البيضاء.

(3) الأغاني ـ 21/ 175. طلال حرب ـ ديوان تأبط ص99.
رهو: مكان منخفض يجتمع فيه الماء. الغشوم من غشم: ظلم. الرثيم من الأنوف: الذي كسر وسال منه دم.

## المدح

قليلة جداً قصائد المديح في شعر تأبط شراً، حتى لتكاد تكون معدومة، وهذا طبيعي في شاعر وقف وقته على السلب والنهب والقتال، وله في ابن عمه شمس بن مالك أبيات مدحية اعتبره فيها مثال الصدق والصبر والتحمل، شجاع عزيز في قومه، لا يخاف الوغى مدرك سريع المبادرة:

وإني لمهدٍ من ثنائي مقاصِدٌ ... به لابن عم الصدقِ شُمسِ بن مالك
أهزُّ به في ندوَةِ الحي عِطفَهَ ... كما هَزَّ عطفي بالهجانِ الأوارَكِ
قليلُ التشكي للمهم يُصيبهُ ... كثيرُ الهوى شتى النوى والمسالك
يظل بمَوْمَاة ويمسي بمثلها ... جحيشاً ويَعْرَوري ظهور المهالك
ويسبقُ وفدَ الريح من حيث ينتحي ... بمنخرقٍ من شَدِّةِ المتدارك
إذا خاط عينيه كرى النوم لم يزل ... له كالئ من قلب شيحان فاتك
إذا طلعتْ أولى العَدِيِّ فنفرُهُ ... إلى سلَّةٍ من صارم الغرب باتك
يرى الوحشة الأنس الأنيس ويهتدي ... بحيث اهتدت أمُّ النجوم الشوابك[1]

وقال مرة بن حليف مادحاً تأبط شراً والشنفري بعد معركة مع خثعم.

يا ثابتَ الخير ويا بن الأخْنَسِ ... ويا بن براقَ الكريم الأشوسِ
والشنفري عند حُيودِ الأنفسِ ... أنا بن حامي الشَّربِ في المُغمسِ
نحن مساعير الحروب الضرس[2]

---

(1) الأغاني 21/ 179. ديوان الحماسة لأبي تمام ـ 1/ 47. ديوان تأبط شراً ص52 ـ 53.
عطفه: جانبه. الهجان: الإبل الكريمة. الأوراك التي ترعى شجر الأراك. كثير الهوى شتى النوى: كثير الهم مختلف الشوؤن.
الموماة: المفازة التي لا ماء فيها. الجحيش: المنفرد. يعروري: يرتكب المهالك. وقد الريح: أولها ـ ينتحي: يقصد ـ المنخرق: السريع الواسع ـ المتدارك: المتلاحق. خاط الكرى: النوم الخفيف. الشيحان: الحازم.؟ الفاتك: الذي يفاجئ غيره بالمكروه. تهللت: ضحكت. القرن: النظير في الشجاعة. النواجذ: الأضراس. أم النجوم: الشمس، وقيل المجرة. الشوابك: النجوم، جمع الشابك وهو المتداخل الملتبس.

(2) الأغاني ـ 21/ 179. ديوان عروة ص121. المغمس: الأمر الشديد ـ البالغ الشدة.

# جحدر بن ضبيعة بن قيس
# ... ـ نحو 115 ق. هـ ... ـ نحو 510م

جحدر بن ضبيعة بن قيس البكري الوائلي، أبو مكنف، اسمه ربيعة، وهو فارس بكر في الجاهلية، ومن الذين أبلوا في حرب البسوس ضد تغلب، لقب جحدراً لقصره.

اشتهر وذاع صيته في يوم التحاليق، أو تحلاق اللمم، عندما اتفقت بكر كلها على حلق رؤوسها في ذلك اليوم، لتكون علامة يتميزون ويعرفون بها ولم ينفرد منهم إلا جحدر، والسبب أنه كان دميم الوجه والجسم، وخاف أن تكتمل دمامته بحلق رأسه، فطلب منهم وناشدهم أن يبقوا على لمته لأول فارس يطلع من الثنية حينما يبدأ القتال، وقال في ذلك شعراً يعاهدهم فيه على أن يحزوا لمتَهُ إن نجا منه أول فارس يلقاه من تغلب، حيث ارتجز في ذلك اليوم قائلاً:

| | |
|---|---|
| قد يتمت بنتي وآمت كَنَّتي | وشعثت بعد الرهان جُمَّتي |
| ردوا عليَّ الخيلَ إن ألمَّتِ | إن لم يناجِزها فَجُزُّوا لَمَّتي |
| قد علمت والدةٌ ما ضمَّتِ | ما لفَّت في خِرق وشمَّتِ[1] |

وكان قد قال لهم ليعفوه من الحلق: أنا قصير فلا تشينوني، وأن أشتري منكم لمتي بأول فارس يطلع عليكم، فطلع ابن عناق، فشدَّ عليه فقتله، وكان ذلك قبل الإسلام بمئة عام، وإلى جحدر ينسب عامر بن عبد الملك بن مسمع الجحدري النسَّابه، وجده مسمع بن مالك الجحدري، من كبار البكريين.

كانت لجحدر مواقف رائعة تدل على نخوة وشجاعة في أيام أخرى من أيام حرب البسوس، فقد قتل عمراً وعامراً التغلبيين يوم قضَّة، ولكن جحدراً مع

---

(1) الاعلام للزركلي 2 / 113. شرح ديوان الحماسة لأبي تمام 2 / 33.

فروسيته وشجاعته، كان ضعيف الهمة في الصعلكة، وكان يعتمد على اللصوصية وليس الإغارة، وكانت له حيل طريفة في التلصص، منها أنه كان إذا نزلت رفقة قريباً منه، أخذ شنة (قربة من الجلد الجاف المقدد، فجعل فيها قرداناً ثم نشرها قرب الإبل، فإذا وجدت الإبل مسَّها، نهضت وشد الشنة في ذنب بعض الابل، فإذا سمعت صوت الشنةِ وعملت فيها القردان نفرت، ثم كان يثب في ذروة ما ندَّ منها ويقول: ارحم الغارة الضعاف، يعني القردان[1].

(1) شرح ديوان الحماسة لأبي تمام: 2/ 33.

# حاجز بن عوف الأزدي

## حياته وشعره:

هو حاجز بن عوف بن الحارث بن الأخثم بن عبد الله بن ذهل بن مالك بن سلامان بن الأزد. وهو حليف لبني مخزوم وفي ذلك يقول[1]:

قومي سلامان إما كنت سائلة وفي قريش كريم الحِلف والحسب

وهو من الشعراء الصعاليك اللصوص في العصر الجاهلي. ومن العدائين الذين اشتهروا بسرعة عدوهم وأنهم كانوا يسبقون الخيول، لذلك اعتد حاجز بسرعة العدو على رجليه، علماً أنه كان من أصحاب الخيل التي نالت شهرة في الجزيرة العربية، وكانت فرسه تسمى «ذئبة»، وكان حليفاً لبني مخزوم، وله شعر يعتز فيه بحلفهم والتعاون معهم، لم يُعلم مكان موته، وظل مجهول المصير، فهو خرج كعادته في بعض اغاراته وغزواته في القفار والبوادي ولم يعد، ولم يعلم عن اخباره شيء ولم يظهر له أثر.

يذكر أبو الفرج في الأغاني أن ابن عوف شاعر جاهلي مقلّ، ليس من مشهوري الشعراء، وهو احد الصعاليك المغبرين على قبائل العرب، وممن كان يعدو على رجليه عدواً يسبق الخيل.

قال عوف لابنه حاجز: أخبرني يا بني بأشدِّ عدوك، قال: نعم. أفزعتني خثعم فنزوت نزوات، ثم استفزتني الخيل واصطف لي ظبيان، فجعلت أنهنهما بيدي عن الطريق، ومنعاني أن أتجاوزهما في العدو لضيق الطريق حتى اتسع واتسعت بنا، فسبقتهما، فقال له: فهل جاراك أحد في العدو، قال: «ما رأيتُ أحداً جاراني إلا أطيلس أغيبر من النقوم، فإنا عدونا معاً، فلم أقدر على سبقه،» والنقوم بطن من الأزد من واد ناقم، واسمه عامر بن حوالة بن الازد.

---

(1) الأغاني 13 / 211 ـ 214.

ومن أخبار حاجز، أنه تعرض لمأزق لا ينجيه منه إلا العدو، حين أحدق به بنو عامر ولحقوا به، فعدا عدوه الذي لا يباري، وانطلق كالريح، وقد شبه عدوه بعدو ظبي طارده صقر يريده فريسة له، واستطاع بهذا العدو أن ينجو بنفسه فيقول[1]:

ألا هل أتى ذات القلائد فرَّتي ... عشيةً بين الجرف والبحر من بعر[2]

عشيةَ كادت عامرٌ يقتلونني ... لدى طرف السلماء راغيه البكرِ

فما الظبي أخطت خلفه الصقر رجلها ... وقد كاد يلقى الموت في خِلفة الصقرِ

بمثلي غداة القوم بين مقنَّع ... وآخر كالسكران مرتكزٍ يفري[3]

وعندما لحقت به خثعم وكادت تفتك به، انقذه ساقاه، وتبعه بعض فرسانها فلم يلحقوه، وقد شبه حاجز عدوه في هذه الحادثة بثلاثة حيوانات يعتدُّ بها في العدو[4]:

وكأنما تبعَ الفوارسُ أرنباً ... أو ظبيَ رابيةٍ خُفافاً أشعبا

وكأنما طردوا بذي نَمِرَاته ... صدعاً من الأردى أحنَّ مكلّبِاً

أعجزتُ منهم والأكفُ تنالني ... ومضتْ حياضهم وآبوا خُيَّبا

أدعو شنوءة غشها وسمينها ... ودعا المرقع يوم ذلك أكلبا[5]

ومن شعر حاجز مجموعة من خمس مقاطع من الشعر القبلي، يظهر فيها جاحز مندمجاً منخرطاً في المجتمع القبلي، يتحدث ويعبر بلسان قومه كأي شاعر جاهلي قبلي، وقليلون هم الشعراء الصعاليك الجاهليون الذين ظلت علاقتهم بقبائلهم سليمة مستقرة، إذ نادراً ما كان يسلم الشاعر من الطرد والخلع عندما تتعارض مفاهيمه وتطلعاته مع مواقف المسؤولين في قبيلته، وحاجز فيما سنذكره من أبيات يفتخر بأفراد قبيلته، فينعتهم بالسخاء والأريحية، ويعتز بأخيه وابن عمه اللذين

---

(1) الأغاني 13/217 ـ 218.

(2) البعر: مكان بين مكة واليمامة لبني ربيعة.

(3) أخطت: أخطأت. خلفة الصقر: اختلافه مرة بعد مرة. يفري: يبالغ في النكاية والقتل.

(4) الاغاني 13/218. د. حفني ـ الشعراء الصعاليك ـ ص240.

(5) الظبي الأشعب: البعيد ما بين القرنين ـ الصدع الفتى الشاب القوي من الأوعال، وقيل هو الوسط منها ـ الأروى: أنثى الوعل أو هو تيس الجبل.
شنوءه: قبيلة وكذلك أكلب.

أسديا للقبيلة أيادي بيضاء وخدمات جُلى في يومين من أيامها، وهو يتبع في إحدى قصائده نمط الشعراء القبليين الذين يبدأون قصائدهم بالنسيب، فيذكر صاحبته ويحييها ويدعو لها بالنجاة والسلامة، ثم يصفها ويتحدث عن موقفها منه وبعدها عنه، ومن ثم يشير إلى ناقته ورحلته عليها في الصحراء ويربط كل ذلك بالإشادة بقومه، وذكر أيامهم وانتصاراتهم المشهودة حيث يقول[1]:

إن تذكروا يوم القَرِيِّ فإنه ... بواءٌ بأيام كثيرٍ عديدها
فنحن أَبَحْنَا بالشخيصة واهناً ... جهاراً فجئنا بالنساء نقودها
ويوم كِرَاءٍ قد تَدارك ركضنا ... بني مالك والخيل صُعرٌ خدودوها
ويوم الأراكاتِ اللواتي تأخرتْ ... سراةُ بني لهبان يدعو شريدها
ونحن صبحنا الحيَّ يوَم تنوفةٍ ... بملمومةٍ يُهوي الشجاعَ وئيدُها
ويوم شَرُوم قد تركنا عصابةً ... لدى جانب الطرفاء حُمراً جلودها
فما رغِمتْ حلفاً لأمرٍ يُصيبها ... من الذلِ إلا نحن رغماً نزيدها[2]

اذن يعدد حاجز هنا. أماكن انتصار قبيلته وهي كثيرة، ونلمح الوفاء للقبيلة متجلياً عند الشاعر، رغم معاناته منها، وقد وقف إلى جانبها في مواجهة التحديات، وسجل شماتته وشماتة قبيلته بأعدائهم، بعد أن قتلوا منهم ما قتلوا وسبوا من نسائهم والحقوا بهم الهزيمة المنكرة[3]:

يا ضُمْرَ هل نِلناكُمُ بدمائنا ... أم هل حذونا نعلكم بمثالِ
تبكي لقتلى من فُقَيم قُتِّلوا ... فاليومَ تبكي صادقاً لهلالِ
ولقدِ شفاني أن رأيتُ نساءكم ... يبكينَ مردِفَةً على الأكفالِ
يا ضَمر إن الحربَ أضحتْ بيننا ... لَقِحَتْ على الدَّكَّاء بعدَ حيال[4]

وكان حاجز في هذه الحادثة على رأس مجموعة من قومه، والسبب في ما حصل من قتل وسبي، أن قوماً حجاجاً من الإزد. اجتازوا بني عامر بن صعصعة، فعرفهم ضمرة بن ماعز سيد هلال فقتلهم هو وقومه وبلغ ذلك حاجزاً، فجمع

---

(1) الأغاني 13/ 214 - 215. د. خليف الشعراء الصعاليك في العصر الأموي - ص250.

(2) القري: وادٍ. البواء: الكفء والنظير. الشخيصة: إسم مكان. كراء: ثنية بالطائف. الاراكات: أودية قرب مكة. ملمومة: الكتيبة الضخمة. شروم: قرية كبيرة باليمن بها عيون وكروم.

(3) الأغاني 13/217. د. خليف الشعراء الصعاليك ص250.

(4) المردفة: التي اركبت خلف الراكب. الدكاء: رابية من طين - الحيال: العقم.

رهطاً من قومه وأغار على بني هلال فقتل فيهم وسبي منهم، وكانت هذه الابيات التي ذكرناها فيها يخاطب ضمرة.

ولا يفتأ يهدد أعداء قبيلته، وينذرهم بمصير قاتم، على أيدي رجال أشداء شجعان عرفتهم ميادين الصحراء ومعاركها[1]:

ستمنعنا منكمْ ومن سوءِ صنعكم     صفائحُ بيضٌ أخلصتها الصياقل
وأسمرُ خطيٌ إذا هُزَّ عاسلٌ     بأيدي كماةٍ جربتها القبائل

وفي معركة أخرى بين حاجز وجماعته من بني عوف بن الحارث بن الأختم وبين بني هلال، كاد حاجز أن يهزم بين ايديهم وطمعوا فيه، فهجم بهم على اصحابه بني سلامان، فأصيب يومئذ بنو هلال وملأ القوم أيديهم من الغنائم وفي ذلك يقول حاجز بن عوف[2]:

صباحكِ واسلمي عنا أُماما     تحيةَ وامقٍ وعِمِي ظلاما
برهرهةٌ يحارُ الطرفُ فيها     كحقَّةِ تاجرٍ شُدَّتْ ختاما
فإن تمس ابنةُ السهمي منا     بعيداً لا تكلمنا كلاما
فإنكَ لا محالة أن تريني     ولو أمست حبالكم رماما
بناجيةِ القوائم عيسجورٍ     تدارك نيُّها عاماً فعاما[3]
سلي عني إذا اغْبَرَّتْ جمادى     وكان طعامْ ضيفهم الثماما
ألسنا عصمة الأضياف حتى     يَضحَّى مالهم نَفَلاً تواما
أبي رَبع الفوارس يوم داجٍ     وعمي مالكٌ وضعَ السِّهاما
فلو صاحبتنا لرضيت منا     إذا لم تغبق المائة الغلاما[4]

وقبل أن يتحدث عن شجاعته وسخائه وبأسه، يفتتح قصيدته بتحية صاحبته، ووصف مفاتنها وجمالها واستعداده للسفر إليها على ظهر ناقة سريعة تقطع به

---

(1) الأغاني 13/ 213 ـ 214. د. خليف شعراء العصر الجاهلي ص251.

(2) العاسل: الرمح المهتز.

(3) برهرهة: بضةٌ غضة. الحُقة: بضم الحاء وعاء من خشب أو من عاج. الناجية: السريعة، ولا يوصف بها البعير. العيسجور: الناقة الصلبة السريعة. تدارك: تلاحق. النِّي بكسر النون وفتحها: الشحم. اغبرت جمادى: قل الخير، وذلك في الشتاء. الثمام: نبتٌ ضعيف.

(4) اغبرت جمادى: قل الخير، وذلك في الشتاء. الثمام: نبتٌ ضعيف. ضحى إبله: رعاها وقت الضحى. النفل: الهبة والعطاء. تواما: المزدوج. ربعهم: أخذ منهم المرباع، وهو ربع الغنيمة. تغبق: تسقي الغبوق وهو الشرب بعد المساء باؤوا: فخروا. الناضل: الغالب.

المسافات الشاسعة. ودائماً يظل حاجز لأعدائه بالمرصاد، وحدث ان جمع مرة ناساً من فهم وعدوان فدلهم على خثعم فأصابوا وغنموا ما شاؤوا، فبلغ حاجزاً أنهم يتوعدونه ويرصدونه، فقال، مستهزئاً بوعيدهم وإرعادهم، مستغرباً اتهامهم له[1]:

وإنّي من إرعادكمْ وبروقكم ... وإبعادكم بالقتل خُمٌ مسامعي
وإني دليلٌ غيرُ مخفٍ دلالتي ... على ألفِ بيتٍ جَدُّهُمْ غير خاشع
ترى البيض يركضن المجاسد بالضحى ... كذا كل مشبوح الذراعين نازع
على أي شيء لا أبا لأبيكم ... تشيرون نحوي نحوكم بالأصابع

وأحاطت به في إحدى المواجهات خثعم، وكان معه ابن أخيه بشير، ولم يستطع مناوشتهم آنذاك، لأن ساحرة كانت معهم، سحرت سلاحه، فأبطلت عمله، فتناول قوس بشير بن أخيه ولما أراد استعمالها انكسرت، ولم يجدا أمامهما إلا الفرار، ووجد حاجز بعيراً في طريقه فركبه فلم يسر في الطريق الذي يريده، ونحا به نحو خثعم، فكادت تكون شر ركبة يركبها، ثم نزل عنه، ونجا بنفسه بعدوه السريع[2]:

فدى لكما رجليَّ أمي وخالتي ... بسعيكما بين الصفا والأثائب
أوان سمعتُ القومَ خلفي كأنهمْ ... حريقُ أباءٍ في الرياح الثواقب
سيوفهم تغشى الجبانَ ونبلهم ... يضيءُ لدى الأقوام نار الحُباحب
فغير قتالي في المضيق أغاثني ... ولكن صَريح العَدْو غير الأكاذب
نجوت نجاء لا أبيكَ تبثهُ ... وينجو بشيرٌ نجوَ أزعرَ خاضبِ
وجدتُ بعيراً هاملاً فركبتُه ... فكادت تكون شرَّ ركبةِ راكب[3]

أخيراً. وبعد كر وفر، وغارات وانكفاءات، ومخاطر ومجازفات، خرج حاجز في بعض أسفاره فلم يعد، ولا عُرِف له خبر، وكانوا يرون أنه مات عطشاً أو ضل طريقه، في فيافي الصحراء وثناياها الحارقة.

---

(1) الأغاني 13/214. إيعاد: تهديد. المجاسد: الثياب المعصفرة بالزعفران.
(2) الأغاني 13 / 215 ـ 216.
(3) الأثائب: جمع أثاب، وهو شجر ينبت في بطون الأودية.
الحباحب: ذباب يطير بالليل، له شعاع في ذنبه كالسراج.
لا أبيك: اظه أراد، لا وأبيك. الأزعر: القليل الشعر. الخاضب: الظليم إذا أكل الربيع فاحمره ساقاه وقوادمه، وهو الذكر من النعام. الهامل: المتروك سدى ليلاً ونهاراً.

وقالت أخته ترثيه[1]:

أَحَيٌّ حاجزٌ أم ليس حياً فيسلكُ بين جندبَ والبهيمِ
ويشربُ شربةً من ماءِ ترجٍ فيصدُر مِشيةَ السبعِ الكليمِ

تتذكر تاريخه وتنقلاته وعنفوانه، رجل الصعلكة والصحراء، وأكثر الشعراء الصعاليك إغارات وفراراً في الوقت نفسه. وقد عاش ومات صديقاً للصحراء مرافقاً لها، ولعل منيته كانت هناك في طيات رمالها التي أفناها غزواً وقلبها فأفنته وأبقته سراً فيها، وتاريخاً عابقاً بكل ما فيه من الضوء والظلال.

---

(1) الاغاني 13/ 217.

جندف: جبل باليمن. البهيم: جبل أيضاً.

فرتي: فراري. والجرف: موضع باليمن. البعر: مكان بين مكة واليمامة. ترج وبيشه: قريتان متقابلتان بين مكة واليمن.

# صخر الغي[1]

قليلة هي المصادر التي تتحدث عن هذا الصعلوك الجاهلي، فصاحب الشعر والشعراء ابن قتيبة رأى بأن صخراً هو صاحب هذا البيت:

إنــي بـــدهـــمـــاء قـــلَّ مـــا أجِـــدُ      عـــاودنـــي مـــن حِـــبـــابـــهـــا زُؤُدُ[2]

ومن نافلة القول أن هذا البيت جاهلي الطبع والسحنة، لما فيه من تصحر بسيط ورغم بُعْدِ ألفاظه عن الحواشي والغرابة، إلا أن جبلته جاهلية وسمته ثقيل.

والترجمة الوافية نوعاً ما جاءت في كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، ورغم صغرها إلا انها قدمت تعريفاً واضحاً عن الشاعر.

قال ابو الفرج: صخر الغي هو صخر بن عبد الله الخيثمي أحد بني خثم، ولقب بصخر الغي لشدة باسه وخلاعته وكثرة شرّه. وقتله بنو المصطلق وهم من خزاعة، وذلك بعد غارة شنها عليهم، فتغلبوا عليه أحاطوا به.

وضآلة المعلومات عن حياته استدعت ضحالة في نتاجه الشعري، ولعل ذلك عائد إلى أنه لم يكن من الصعاليك المشهورين، ومن الشعراء المعدودوين أيضاً.

وقلة شعره تنبئ عن قلة مآثره وغاراته وعدواته.

ومن يدري لعل الصحراء ابتلعت بين كثبانها جمهرة من أشعاره، فسلم منها القليل.

وفي استطلاع سريع لقصائد الشاعر نرى ان معظمها جاء في رثاء اخيه وابنه، وفي مناجزاته ومنافراته مع ابي المثلم، وسبب هذه المنافرات أن صخراً قتل رجلاً من مزينة كان جاراً لأبي المثلم، فأوغر ابو المثلم صدور قومه عليه، ودفعهم إلى طلب دية القتيل من صخر.

---

(1) الاغاني 22 ـ 380 ـ 387. ديوان الهذليين ـ قسم 2 / ص57. الشعر والشعراء ص448.

(2) الدهماء: عامة الناس وسوادهم. عز: اشتد وشق. الحِباب: الحب والمحابة. الزؤد: الخوف والذعر.

كان صخر شجاعاً صاحب بأس واعتزاز بنفسه، ذا كبرياء ومروءة، ويظهر ذلك عندما أحاط به أعداؤه من بني المصطلق، بغية القبض عليه، فأبى أن يستسلم، أو أن يذعن صاغراً لهم، أو أن ينجو بنفسه لأنه اعتبر الفرار مذلة. فقاتلهم وهو يرتجز شعراً عميقاً مؤثراً حتى قتل.

واستناداً إلى قصائده، فإن شعره فيه بعض العمق والقوة، أبرز ما فيه نزاعه مع خصومه، ومنافراته مع أبي المثلم ألد خصومه القبليين.

أين هي ملامح الصحراء والجاهلية والصعلكة في شعر صخر.

كان العرب يتغنون ويفتخرون بالأمثال الراقية، ومنها «الفضل ما شهدت به الأعداء». هذا ما سنتعرف عليه من تلك الملامح في هذه الأبيات التالية التي تعتبر شهادة من أبي المثلم في خصمه اللدود صخر، وهي تكشف عن خلق صخر ومناقبيته، ومكانته في المجتمع، وشخصيته القوية، وقد رثى فيها أبو المثلم عدوه بعد مقتله، فعند الموت توأد الخصومات:

| | |
|---|---|
| لـو كـان لـلـدهـرِ مـالٌ عـنـد مُـتْـلِـده | لـكـان لـلـدهـر صـخـرٌ مَـالُ قُـنَـيـانِ[1] |
| حـامـي الـحـقـيـقـةِ نَسَّـالُ الـوديـعـةِ مـعـ | ـتـاقُ الـوسـيـقـةِ جـلـدٌ غـيـرُ ثِـنْـيَـانِ |
| ربـاءُ مـرقـبـةٍ مـنـاعُ مـغـلـبـةٍ | ركـابُ سَـلْـهـبـةٍ قـطـاعُ أقـرانِ |
| هَـبَّـاطُ أوديـةٍ حـمـالُ ألـويـةٍ | شَـهَّـادُ أنـديـةٍ سِـرحـانُ فِـتـيـان |
| يـعـطـيـك مـا لاتـكـادُ الـنـفـسُ تـسـلِـمـهُ | مـن الـتِـلادِ وَهُـوبٌ غـيـرُ مـنـانِ |
| يـحـمـي الـصـحـابِ إذا جَـدَّ الـضِّـرابُ | ويـكـفـي الـقـائـلـيـن إذا كُـبِّـلَ الـعـانـي |
| ويـتـركُ الـقِـرنَ مـصـفـراً أنـامـلـهُ | كـأن فـي رَيْـطـتَـيْـهِ نـضـخُ أرقـانِ[2] |

(1) الاغاني 22 / ص385 و386. ديوان الهذليين قسم 2/ ص51 ـ 57.
المتلدِ: القديم. القني: ما اقتني، يريد أن يقول لو كان الدهر يقتني ملاً لآقتنى صخرا.

(2) الحقيقة: الراية والحرمان. نسال: مسرع ـ الوديقة: شدة الحرّ ـ الوسيقة: الطريدة ـ الإبل. الجلد: الشديد القوي على المكروه ـ الثنيان: الذي لا رأي له.
ربَّاء: معتَلٍ ومرتفع ـ السلهبة: الناقة الجسيمة الطويلة. أقران: جمع قرن وهو الحبل. الرقاء: الذي يرتقي ـ المرقبة: الموضوع المشرف الذي يراقب منه. السرحان: الأسد في لغة هذيل والذئب في كلام غيرهم.
هباط أودية: يهبط الاودية عدواً ـ شهاد أندية: من ذوي الرأي. التلاد: المال المرووث. الضراب: ضراب السيوف في المعركة. العاني: الأسير، أي يحسن الكلام عند الحديث عن دية الأسير.
الإرقان: اليرقان، يريد الصفرة. القِرن: الشجاع والند. الريطة: كل ملاءة من نسج واحد وقطعة واحدة.
النضخ: الفوران.

ورغم فضاضة بعض الكلمات الواردة في الأبيات وتقعرها، ووجود ألفاظٍ غير متآلفة، رغم كل ذلك، ففي الأبيات بعض قيم معنوية هي جزء من التاريخ المشرق للإنسان الجاهلي، وبعض من مثله العليا، وهنا نلمح صخراً رجل المروءة والشجاعة والسماحة والعنفوان، يكفي أنه يحمي الرايات والحرمات، ويقتحم الصعب ويجندل الأقران.

ولنستمع إلى صخر الغي وهو يرثي أخاه «ابو عمرو»، بعد أن نهشته أفعى في عرض الصحراء الحارقة، بعد أن كانا في غزوة لهما ابتعدا فيها إلى أرض رملة:

لَعمرُ أبي عمرو لقد ساقهُ المنى ... إلى جدثٍ يُوزَى له بالأهاضبِ
لِحَيَّةِ جُحْرٍ في وِجَارٍ مُقيمةٌ ... تَنَمَّى بها سَوْقُ المَنَا والجَوالِبْ
أخي لا أخا لي بعدَه سبقتْ به ... منيتهُ جمعَ الرُّقَى والطَّبائبِ[1]

والقصيدة تقع في ثلاثة عشر بيتاً، ومعظمها شاق صعب، غريب الألفاظ حوشي الكلمات، ولقد اخترت هذه الأبيات لوضوحها وبعدها عن الغرابة، وهي تكشف عن عاطفة الشاعر الأخوية نحو صديقه وإشارته إلى حادثة الأفعى، وأما ما تبقى من القصيدة فهو استطرادات تتحدث عن شجاعة ابي عمرو، وعن بعض مظاهر الصحراء وحيوانها مستعملاً ألفاظاً مقدودة من شظف الجاهلية وحدتها.

ويبدو أن صخراً كاسمه صخري في قسم كبير منه، لا تسلس قراءته، ولا يعذب جرسه، ولا نكاد نعثر على شيء من شعر الصعلكة عنده، اللهم إلا ابياتاً في ثنايا بعض قصائده يتحدث فيها عن شجاعته وبلائه في الصحراء، كما نرى في قصيدة دالية يتعالى فيها على عدوه ابن المثلم الشاعر، الذي دفع قومه إلى ملاحقة صخر ومطالبته بدم جارهم المرثي الذي قتله صخر[2]:

إني بدهماءَ عزَّ ما أجدُ ... عاودني من حِبابها زُؤُدُ[3]

---

(1) الاغاني ـ 22/ 383. ديوان الهذليين ـ 2/ 51 ـ 52. طلال حرب ديوان صخر الغي ص106.
المنى: الموت. الوجار: ما حفره السيل بجانب الوادي. والوجار: الجُحر. تنمَّى: ارتفع من مكانم إلى آخر. الجوالب: جمع الجالبة: وهي الآفة والشدة. الطبائب: جمع الطبيبة. ولعله يقصد بها الكاهنة التي ترقي المريض. والطبيبة: القطعة المستطيلة من القماش أيضاً.

(2) ديوان الهذليين ـ 2/ 57 و58.

(3) زُؤُدُ: الخوف. دهماء: عامة الناس وسوادهم. عزّض: اشتد وشق. الحِباب: الحب والمودة. ويقصد بالدهماء هنا قوم أبي المثلم.

عـاودنـي حُـبُّـهَـا وقـد شـحـطـتْ صـرفُ نـواهـا فـإنـنـي كَـمِـدُ[1]

يعبر هنا عن تغير حاله، وخوفه مما وصل إليه، وتبدل موقف قوم أبي مثلم منه من الدعة إلى الخوف، كما انه يشير إلى فقر صخر وضيق ذات يده وحاجته، وهي ميزة صعلوكية، إلا أنه لا يستسلم لهذا الخوف، ويعد بمواجهتهم بالعدة والقوة.

أبـلـغ كـبـيـراً عـنـي مـغـلـغـلـة تـبَـرقَ فـيـهـا صـحـائـف جـدُدُ[2]
إنـي سـيـنـهـي عـنـي وعـيـدَهَـم بـيـضٌ رِهَـابُ ومُـجْـنَـأ أُجُـدُ[3]
وصـارمٌ أُخـلِـعـتْ خَـشِـيـبـتـهُ أبـيـضُ مَـهْـوٌ فـي مـتـنـهِ رُبـدْ[4]

ويتابع بأبيات أخرى معظمها وصف ونعت للسيوف والسهام والقسي.

وصخر لن يتخلى عن بزته وعدته خوفاً من ان ينجزوا وعيدهم، فهو عزيز النفس لا يقبل الضيم والهوان، وتلك بعض من صفات المتصعلكين.

ذلـك بَـزِّي فـلـن أُفـرِّطَـهُ أخـافُ أن يُـنْـجـزوا الـذي وعـدوا
فـلـسـتُ عـبـداً لـمـوُعِـديَّ ولا أقـبـلُ ضـيـمـاً يـأتـي بـه أحـدُ

والواضح أن هذين البيتين سهلان واضحان جداً. فليس هناك فيهما ما في غيرهما من أبيات القصيدة من غرابة وجفاف.

وتظهر صعلكته في حديثه عن المزني الذي قتله بغية الاستيلاء على أمواله وسد حاجته وفقره، وهو يقر بأنه وإن حصل وقُتِلْ فإنه قَتَل هو أولاً:

فـي الـمُـزَنّـي الـذي حَـشَـشْـتُ بـه مَـالَ ضـريـكٍ تـلاده نَـكِـد[5]
تـيـسٌ تـيـوسٍ إذا يُـنـاطـحـهـا يَـألَـمُ قُـرَنـاً أَرومُـه نَـقِـدُ
إن أمْـتـسِـكْـهُ فـبـالـفـداءِ وإن أُقْـتَـلْ بـسـيـفـي فـإنـه قَـوَدُ[6]

---

(1) شحطت: ملأت. صرف نواها: مصائب بعدها. الكمد: الحزن الشديد.

(2) كبير: هي من هذيل. مغلغلة: رسالة. تبرق: تظهر وتلمع.

(3) رهاب جمع رهب وهو النعل الرقيق. المجنأ: الترس: أَجُدُ: وقولي مكحم الصنعة.

(4) خَشيبته: المادة الأولى قبل أن تُصقل. المهو السيف الرقيق. الربد: جوهر السيف.

(5) المزني: الرجل الذي قتله. حششت به: قويت به وكثَّرت. الضريك: الفقير البائسويقصد به نفسه. التلاد: الأصلي القديم من المال والمواشي ونحوها.

(6) الأغاني ـ 22/ 380 ـ 387. ستة أبيات فقط. ديوان الهذليين. قسم 2/ 57 وما فوق. طلال حرب ديوان عروة وصخر ـ ص109 ـ 112.

وكان قد ارتجل وهو القاتل لبني المصطلق إلى أن قُتل:

لـو أن حـولـي مـن قُـرَيْـم رَجْـلاً     بـعضَ الـوجـوهِ يَحْـمـلُونَ النَّبْلا[1]

لـمـنـعـونـي نـجـدةً ورِسـلاً     سُفْعَ الـوجـوه لـم يـكـونـوا عُـزْلا[2]

وكانت قد جرت بين صخر وبين المثلم نقائض شعرية عديدة نجدها في أشعارهما المتبادلة، ويحشد كل منهما مزايا لنفسه، ومن ذلك قول صخر راداً على ابي المثلم وقومه:

لـسـتُ بـمـضـطـرٍ ولا ذي ضـراعَـةٍ     فَخَفِّضْ عليكَ القولَ يا أبا المُثَلَّم

وخـفـضْ عـلـيـك الـقـولَ وأعـلـم أنـنـي     من الأَنَس الطاحي الجميع العرمرم

فأجابه أبو الملثم، فرد عليه صخر أيضاً:

مـاذا تـريـدُ بـأقـوال أبـلـغـهـا     أبـا الـمـثـلـم لا تَسْهُلْ بك السبلُ

أبـا الـمـثـلـم إنـي غـيـرُ مـهـتـضـم     إذا دعَـوتُ تـمـيـمـاً سـالـتِ المُسُلُ[3]

ومن شعر صخر الوجداني رثاؤه لولده تليداً حيث قال، وهو من الشعر السهل الغنائي: وهو إذا رقت عواطفه رَقَّ شعره[4]:

أرقـتُ فـبـتُ لـم أذقِ الـمـنـامـا     ولـيـلـي لا أحـسُّ لـه إنـصـرافـا

لـعـمـركَ والـمـنـايـا غـالـبـاتٌ     ومـا تـغـنـي الـتـمـيـمـاتُ الحِمـامـا

لـقـد أجـرى لـمـصـرعـه تـلـيـدٌ     وسـاقـتـهُ الـمـنـيـةُ مـن أذامـا[5]

إلـى جـدث بـجـنـب الـجـوِّ راسٍ     بـه مـا حـلَّ ثُـم بـه أقـامـا[6]

أرى الأيـام لا تـبـقـي كـريـمـاً     ولا الـعُـصـمَ الأوابـدَ والـنـعـامـا[7]

فقد أرقه موت ولده، وحول أيامه ظلاماً دامساً، إنه الموت الذي لا مناص منه، ولا تنفع حين يحين التمائم والرقى.

---

(1) رجلاً: المقاتلين الراجلين.

(2) الأغاني ـ 22 / 385. طلال حرب ـ ديوان عروة وصخر ص128. رِسلا سفح الوجوه: الرفق. أي لمنعوني بقتال أو بغير قتال. والأسفع: الأسود الوجه.

(3) ديوان عروة وصخر ص135 ـ 137. ديوان الهذليين القسم الثاني ص62 و63.

(4) ديوان عروة وصخر ص131 ـ 132. ديوان الهذليين القسم الثاني ص62 و63.

(5) أذاما: من أشهر أودية مكة.

(6) الجو: موضع بعينه. والجو في اللغة ما اتسع من الأودية.

(7) العصم: جمع اعصم وهو الوعل يكون بذراعيه بياض. النعائم: الأرض الواسعة التي لاماء فيها. الأوابد: الوحوش التي تأبدت أي توحشت.

# عبد يغوث الحارثي[1]

عبد يغوب بن صلاءة، أو عبد يغوث بن الحارث بن وقاص من بني الحارث بن وقاص من بني الحارث.

أحد الشعراء الفرسان المتقدمين في العصر الجاهلي، كان سيداً لقومه بني الحارث بن كعب، وعبد يغوث من أهل بيت شعر معرق لهم في الجاهلية والإسلام، وأخوه مسهر فارسٌ شاعر، وكان لعبد يغوث يكتب الكتائب ويجمع الفرسان، وينطلق عبر الصحراء مؤلفاً الكتائب والفرسان، وامضى ردحاً من حياته في الغزو والنهب والأخذ بالثأر، وما لبث أن أسر ثم قتل على ايدي خصومه بني تميم، وآية ذلك أنه بعد أن أوقع كسرى ببني تميم يوم الصفقة، بقيت الأموال والذراري، فبلغ ذلك مذحجاً، فمشى بعضهم إلى بعض وقالوا: اغتنموا بني تميم، ثم بعثوا الرسل في قبائل اليمن وأحلافها من قضاعة، وكان على راس مذحج عبد يغوث نفسه، وغزوا بني تميم يوم الكلاب الثاني، فغلبهم بنو تميم، وقتلت منهم وأسرت عدداً كبيراً، ومن هؤلاء الأسرى عبد يغوث نفسه، أسره فتى من بني عمير بن عبد شمس، ثم انطلق به إلى أهله، وكان العبشمي أهوج، فقالت له امه، وقد رأت عبد يغوث عظيماً جميلاً، من أنت؟ قال: أنا سيد القوم. فضحكت وقالت: قبحك الله من سيدِ قومٍ حين أسرك هذا الأهوج. فقال عبد يغوث:

وتضحكُ مني شيخةٌ عبشميةٌ     كأنْ لم ترَ قبلي أسيراً يمانيا

ثم قال لها: أيتها الحرة، هل لك إلى خير، قالت: وما ذاك، قال: أُعطي ابنك مائة من الابل وينطلق بي إلى الأهتم، فإني أخاف أن تنتزعني سعد

---

(1) الأغاني: 16 / 254 ـ 258.

والرباب[1] منه، فضمن لها مائة من الأبل وأرسل إلى بني الحارث فوجهوا بها إليه، فقبضها العبشمي، ثم انطلق إلى الاهتم وأنشأ عبد يغوث يقول[2]:

أَأَهْتمُ يا خيرَ البريةِ والداً ورهطاً إذا ما الناسُ عَدوا المساعيا
تداركْ أسيراً عانياً في بلادكم ولا تثقفني التيمُ ألقَ الدواهيا

فمشت سعد والرباب فيه، فقالت الرباب، يا بني سعد قُتل فارسنا ولم يقتل لكم فارس مذكور، فدفعه الأهتم إليهم، فأخذه عِصمة بن أُبير التيمي فانطلق به إلى منزله، فقال عبد يغوث: يا بني تيم، اقتلوني قتلة كريمة، فقال له عصمة، وما تلك القتلة، قال: اسقوني الخمر ودعوني أَنُح على نفسي، فقال له عصمة: نعم، فسقاه الخمر، ثم قطع عِرقاً يقال له الأكحل، وتركه ينزف، ومضى عنه عصمة وترك معه ابنين له، فقالا: جمعت أهل اليمن، وجئت لتصطلمنا، فكيف رأيت الله صنع بك، فقال في ذلك[3]:

ألا لا تلوماني كفى اليومَ ما بيا فما لكما في اللوم نفعٌ ولا ليا
ألم تعلما أن الملامةَ نفعُهَا قليلٌ وما لومي أخي من شماليا
فيا راكباً إما عرضتَ فبلغنْ نداماي من نجرانَ أن لا تلاقيا
ولو شئتَ نجتني من الخيل نهدةٌ ترى خلفها الحُوَّ الجياد تواليا
ولكنني أحمي ذمار أبيكم وكان الرماحُ يختطفن المحاميا
وتضحك مني شيخة عبشمية كأن لم تر قبلي أسيراً يمانيا
وقد علمت عِرسي مليكه أنني أنا الليث معدوا عليه وعاديا
أقول وقد شدوا لساني بنسعةٍ أمعشر تيم أطلقوا لي لسانيا
أحقاً عباد الله أن لستُ سامعاً نشيد الرعاء المعزبين المتاليا
كأنيَ لم أركبْ جواداً ولم أقل لخيلي كُري نفسي عن رجاليا

وفي هذه القصيدة يرثي عبد نفسه، ويتحسر على ماضيه الرائع، وفروسيته وشجاعته وكرمه، ويتذكر مرابع شبابه، إذ سيفارق أعز المكنة والاصوات، وكانت امرأة عبشمية قد ضحكت وهم آسروه، ذلك أنهم لما أسروه شدوا لسانه بسير من جلد لئلا يهجوهم، وأبوا إلا قتله.

---

(1) قبيلتان من قبائلَ العرب.
(2) الأغاني: 16 / 258.
(3) الأغاني: 16 / 259.

# عروة بن الورد العبسي[1]
# ... ـ نحو 30 ق.هـ ... ـ نحو 594م

تلك الفجاج المترامية الأطراف، والصحاري القاحلة ما طأطأت يوماً رأسها لمحتل، ولا حنت هامها لنير غاشم أثيم، ولا ذاقت ألم العبودية والقيود، كانت الحرية توأمها، ولم تكن أجواؤها إلا مرتع كل طير، وكثبانها إلا مسرح ومقيل كل رئم وأيل وسبع.

أما سكان تلك الفيافي الجرداء ورغم تفاوتهم في النسب والشرف، كانوا لا يخضعون لنظام الطبقات خضوع العبد للمولى[2]، وإنما ينتخبون واحداً منهم ويسودونه إذا اجتمعت فيه خصال الشرف والفصاحة والحكمة والسخاء والثروة والصبر.

كما أن السيادة والحكم ليسا وراثة عندهم، وهذا يعتبر من أرقى صيغ الديمقراطية، إنما هما انتخاب بسبب تعدد طالبيها والمتنافسين عليهما، ولذلك لا يخشى البدوي من أن يتهم ويقرع شيخ القبيلة ويهاجمه إذا شعر بالذل والهوان، مؤكداً على حرية الافراد المقدسة في القبيلة، حيث تؤلف منهم مجتمعاً اشتراكياً صغيراً متماسكاً، فالمجموع للفرد والفرد للجميع. هذه الحياة في تعاونها الجميل صهرت الطبقات في الكيان الجاهلي، ومزجت الطبقات المختلفة، ورأت ان السياسة ذات حدود وأبعاد، والفقراء والعمال أحرار غير مستعبدين.

والشعراء الصعاليك وعروة زعيمهم ورائدهم، وموجه تفكيرهم، هم خير من

(1) هو عروة بن الورد بن زيد بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار. شاعر فحل من شعراء الجاهلية وفارس من فرسانها وصعلوك من صعاليكها المعدودين المقدمين الأجداد.

(2) الشعراء الفرسان ـ 183 ـ 184 الأغاني ـ ج3 / 70 وما فوق. الشعر والشعراء ص453 و454.

تتمثل فيهم الحياة الإشتراكية، في تآلفهم، ونضالهم في سبيل لقمة العيش وفي نقمتهم على البخلاء والمقترين، وموقفهم الاشتراكي القائم على عدم استئثار الاغنياء بالثروات والمكاسب، وعلى ضرورة اقتسام الأموال وتوزيعها تحقيقاً لمبدأ المساواة بين الجميع، وقد برز منهم فرسان مجلون وشعراء عداؤون امتلأت بأخبارهم بطون الكتب والأسفار، متحدثة عن شجاعتهم ومزاياهم التي فاقوا فيها سواهم، فهم اسرع من الخيول، واكرم من حاتم طي، غزاةٌ مهرة سواء كانو راجلين أم راكبين، أهل فتك وسلب وقطع قفار، كل ذلك في نفوس عزيزة، معتده وقلوب صلدة، ومن هؤلاء ابو الاشتراكية عروة بن الورد العبسي، وسواه كتأبط شراً والسليك بن السلكة والشنفري.

أما صاحبنا عروة فهو عميد الصعاليك وزعيمهم بلا منازع، والمنافح عنهم، جواد مقدام، على حد قول ابي الفرج الاصفهاني في كتاب الأغاني، ولأهمية هذا الرجل ودوره احتفى به كثيرون، فمعاوية بن ابي سفيان يذكر أنه كان يخشى لو كان لعروة ولد ان يتزوج إليهم، وكان عبد الملك بن مروان يتمنى لو كان ولده عروة بن الورد من بين سائر العرب: «ما يسرني أن أحداً من العرب ولدني، ممن لم يلدني إلا عروة بن الورد، ولم يفت الخليفة العباسي أبا جعفر المنصور أي خبر أو ظرف أو لمعة من أخبار عروة، إذا كان يسأل عنها من يزوره من بني عبس أقارب عروة، وأسباب هذا الاهتمام البالغ واللفتة المحبَّبة نحو عروة، عائدة إلى تمتعه بمزايا انفرد بها، وصفات اختصت به اكثر من غيره من رفاقه الصعاليك، فهو لص مثلهم، إلا أنه لص شريف، كريم المزايا والإخلاق، لا يحتفظ بما يجمعه لنفسه، وإنما يجود به على الفقراء والمحتاجين، والمرضى، كما أنه كان يهتم بشؤون جماعته، ويعتني بهم، فيوزع عليهم معاشهم إذا خانهم الحظ في السلب والنهب، واخفقوا في اقتناص ما يقيم أودهم ويسكت جوعهم، إنها ميزة الكرم التي عرف بها عروة، مما دفع بعبد الملك بن مروان إلى القول: «من زعم أن حاتماً أسمح الناس فقد ظلم عروة» ذلك لأن عروة لم يكن يجمع لنفسه وإنما للآخريين، ولم يغز بغية اكتناز الغنائم لنفسه، وإنما كان يجعل إناءه مشتركاً بينه وبين غيره، وجسمه مقسماً في أجسام كثيرة.

واعظم لحظات العطاء هي عندما تحس أن من تعطيه بأمس الحاجة للعون،

عند ذلك يظهر للجود قيمة وأهمية، وتغلو عند المحتاج، وآية ذلك عندما يعم القحط وينحبس المطر، فيدب الجوع في الصعاليك، ولا يجدون إلا أبواب كرام الناس مفتوحة، ومنها باب عروة، فيبسط لهم يده، ويجود عليهم بما بقي لديه، حسبه مخاطبة حاسده[1]:

وإنـي امـرؤ عـافـي إنـائـي شـركـة ... وأنـت امـرؤ انـاؤك واحـد
أتـهـزأ مـنـي إن سـمـنـت وان تـرى ... بـجـسـمـي حسَّ الـحـقِ والـحقُ جاهد
أقـدمُ جـسـمـي فـي جـسـوم كـثـيـرة ... وأحـسـو قَـراحَ الـمـاء والـمـاءُ بـاردُ
أُفرِّقُ

إنها الأريحية المطلقة، والإيثار الجم، في نفس لا تعرف الانانية والخنوع، حتى انه يؤثر الموت أحياناً، إذا تبين له أنه لا يستطيع أن ينجد كبداً جائعة، أو ينقذ امرءاً يعاني من الملمات، أو يعيد حقاً إلى أصحابه وأهله:

ألـيـس عـظـيـمـاً أن تُـلِـمَّ مُـلِـمَّـةٌ ... ولـيـس عـلـيـنـا فـي الـحـقـوق مُـعَـوَّلُ
فـإن نـحـن لـم نـمـلـكْ دفـاعـاً بـحـادثٍ ... تُـلـمُّ بـه الأيـام فـالـمـوتُ أجـمـلُ[2]

كان شغل عروة الشاغل توفير ثروة يسد بها فاقته وفاقة أصحاب الصعاليك في مجتمع يزدري الفقراء ويحتقرهم، ويقدم الأغنياء، ويجلهم رغم ما في الكثيرين منهم من عيوب، لذلك انصرف إلى السعي فتشرد وغزا سالباً الاحياء قاطعاً الطرق ناهباً ما في قوافلها من متاع ومؤن، دائم التنقل والطواف:

دعـيـنـي لـلـغـنـى أسـعـى فـإنـي ... رأيـتُ الـنـاسَ شـرُّهـمُ الـفـقـيـر
ذريني
وأبـعـدهُـمْ واهـونـهُـمْ عـلـيـهـم ... وان أمـسـى لـه حـسـب وخِـيـرُ
وأحقرهم
ويـقـصـيـه الـنـديُّ وتـزدريـه ... حـلـيـلـتـهُ ويـنـهـرهُ الـصـغـيـرُ
ويـلـقـى ذو الـغـنـى ولـه جـلالٌ ... يـكـاد فـؤادُ صـاحـبـه يـطـيـر
قـلـيـل ذنـبـهُ والـذنـبُ جـمٌ ... ولـكـنْ لـلـغـنـى ربّ غـفـور[3]

---

(1) حماسة أبي تمام 4/ 94 و95. الأغاني 3/ 71. طلال حرب ديوان عروة ص47.

(2) حماسة أبي تمام ـ 3/ 96. طلال حرب ـ ديوان عروة ص90.

(3) الخِير: الأصل والشرف والركم ـ الحليلة: الزوجة ـ ينهره: يزجر ويطرد. ديوان عروة ص57.

وقيل في هذه القصيدة، إن عبد الله جعفر بن أبي طالب قال لمعلم ولده: لا تروهم قصيدة عروة لأنها تدعوهم إلى الاغتراب عن أوطانهم.

وأشد ما يؤذي عروة قعود بعض الصعاليك عن تتبع رزقهم وعلة معيشتهم، وهم قادرون على ذلك، وقد صور تصويراً حاذقاً طبيعة الصعلوك الخامل، هذا من جهة، ومن جهة أخرى طبيعة الصعلوك النشيط، فهو يكره الأول لأنه خامل قانع، ويحب الثاني لأنه يرى فيه شخصيته وقوة شجاعته، ولا يعذر إلا ذوي العاهات والمرضى والعاجزين[1]:

لحا الله صعلوكاً إذا جُنَّ ليلهُ ... مصافي المشاش آلفاً كلَ مجْزَرِ
يَعُدُّ الغنى من نفسه كلَّ ليلةٍ ... أصاب قِراها من صديق مُيَسَّرِ
ينام عِشاءً ثم يصبحُ ناعساً ... يحتُّ الحصى عن جنبهِ المُتعفِّرِ
يعين نساء الحيِّ ما يَسْتعِنَّهُ ... ويمسي طليحاً كالبعير المحسَّرِ
ولكن صعلوكاً صفيحةُ وجههِ ... كضوء شهاب القابسِ المتنوِّرِ
مطلاً على أعدائه يزجرونه ... بساحتهم زجر المَنيح المشَهَّرِ
فإن بعدوا لا يأمنون اقترابه ... تشُّوفَ أهل الغائب المنتظَّرِ
فذلك إن يلقَ المنية يلقها ... حميداً وإن يستغن يوماً فأجدِرِ[2]

تلك كانت دعوة زعيم الصعاليك، يريد أن تعم كل مكان في المجتمع الجاهلي، ولم يقتصر أثرها على مجتمعه ومعاصريه وانما انسحب على العصور التي تلته، ووجدت دعوته مكانها المحترم، مما دفع بمعاوية بن ابي سفيان إلى القول: «لو كان لعروة بن الورد ولد لأحببت أن أتزوج اليهم، وقد اشرنا إلى ذلك في مقدمة الحديث، حتى يدفع الأمر بمعاوية إلى الاعتقاد بأن كل من يستأذن للدخول عليه بأسم ابن مانع الضيم هو عروة بن الورد العبسي أو الحصين بن الحمام المري. ومن شمائل هذا الشهم الجواد رأيه الذي لا يختلف عليه اثنان، ولا

---

(1) الشعراء الفرسان ـ ص188. الأغاني ـ 3/ 70 ـ 72. الاصمعيات 44 ـ 46. ديوان عروة ص57.
المشاش: كل عظم هش دسم واحدته مشاشة. مصافي: من الاختيار والملازمة. المجزر: موضع نحر الأبل. ميسر من يسر الرجل: سهلت ولادة إبله وغنمه ولم يعطب منها شيء. طليحاً: الطليح: المعيي. المحسن: المتعب الضعيف. صفيحة الوجه: عرضه. القابس طالب النور.

(2) جمهرة أشعار العرب ـ ص15. ديوان عروة ص67 و68.
المنيح: من قداح الميسر، القدح الذي لا حظ له. الشهر: المعروف بالسوء. تشوف: تطلع.

يتخلف عنه عاقل، وهو أن يعمل لدنياه كأنه يعيش ابداً، ويعمل لآخرته كأنه يموت غدا، ان يعمل صالحاً يذكر به ويخلد على مر الأيام.

ذريـنـي ونـفـسـي أمَّ حـسـانَ إنـنـي بـهـا قـبـلَ أن لا أمـلـكَ الـبـيـعَ مـشـتـري
أحـاديـثَ تـبـقـى والـفـتـى غـيـرُ خـالـدٍ إذا هـو أمـسـى هـامـةً فـوق صَـيِّـر[1]

والمرء لا يرتفع شأنه بماله، وانما بأخلاقه وأعماله، إنها قيم خالدة على مر العصور.

مـا بـالـثـراء يـسـودُ كـلُّ مـسَـوَّدٍ مُـثْـرٍ ولـكـن بـالـفـعـال يـسـود
فـإذا غـنـيـتُ فـإن جـاري نـيـلـهُ مـن نـائـلـي ومَـيـسَّـري مـعـهـود[2]

وما أحزنه وآلمه، أن يلقى من كل ما كان يقدمه من تضحية نادره وكرم جم لضيوفه وصعاليكه، ما أحزنه أن يقابل من البعض بالصد، ونكران الجميل، كما حصل له مع أصحاب الكنيف الذين تعهدهم وأحسن إليهم في شتاء شديد.

وكلما قرأت شعر عروة ومسيرته ازددت إعجاباً بهذه الشخصية الجماهيرية والزعامة الشعبية التي لم يحظ بها غيره في عصره، فهو يتمتع بصفة القيادة السمحة الواعية، ولا يقدم على أمر إلا بعد دراسة وتأن تضمن له من خلالهما الفوز والغلبة.

فعندما غزا بصعاليكه ارض بني القين، هبط أرضاً ذات حجاره فيها ماء، وعليها آثار ودلائل، فقال: هذه آثار من يرد هذا الماء فاكمنوا، فأحرِ أنه يكون قد جاءكم رزق، فأقاموا يوماً، ثم ورد عليهم فصيل، فقالوا: دعنا فلنأخذه فلنأكل منه يوماً أو يومين، فقال: إنكم أذن تنفرون أهله، وإن بعده إبلاً، فتركوه، فندموا وجعلوا يلومون عروة من الجوع الذي جهدهم، ووردت إبل بعده بخمس فيها ظعينة ورجل معه السيف والرمح، والإبل مائة متالٍ، فخرج إليه عروة، فرماه في ظهره بسهم أخرجه من صدره فخرَّ ميتاً، واستاق عروة الإبل والظعينة حتى أتى قومه».

---

(1) جمهرة أشعار العرب ـ 15. ديوان عروة ـ ص67 و68.
الهامة: طائر يقال إنه يخرج من رأس الميت. الصير: القبر.

(2) ديوان عروة ص46.

وما من شك أن هذه القيادة السليمة والحكيمة تفضي إلى النجاح الباهر، من خلال حسن استغلال الأمور، وتخيّر الزمان والمكان المناسبين[1].

ولا نجافي الحقيقة إذا ما قلنا أن عروة صاحب فلسفة خاصة في الصعلكة، ومدرسة تأثر بها غيره، وتتلخص في أن السبيل للغنى هو الغزو والسلب.

تنالوا الغنى أو تبلغوا بنفوسكم ... إلى مستراحٍ من حِمامٍ مَبرِّح

ومن يكُ مثلي ذا عيالٍ ومُقتِراً ... من المال يطرحْ نفسَه كلَّ مطرح

ليبلغَ عذراً أو يصيبَ رغيبةً ... ومبلغُ نفسٍ عذرها مثلُ مُنجِحِ[2]

أو قوله:

إذا المرءُ لم يطلبْ معاشاً لنفسهِ ... شكا الفقرَ أو لام الصديقَ فأكثرا

وصارَ على الأدنين كَلاًّ وأوشكت ... صلاتُ ذوي القُرْبَى له أن تُنكرا

وما طالبُ الحاجاتِ من كل وجهةٍ ... من الناسِ إلا من أجدَّ وشَمَّرا

فَسِرْ في بلادِ الله والتمسِ الغنى ... تعشْ ذا يسارٍ أو تموتَ فَتُعْذَرا[3]

وتتكرر المعاني نفسها تقريباً في أكثر من قصيدة ففي رائية جميلة يخاطب فيها زوجته، داعياً أياها إلى تركه يطوف سعياً وراء الرزق واقتناص الحياة، دون خوف من موت لا مفر منه، فمن سعى وأفلح اغتنى، وإن مات دون تحقيق غايته فله العذر.

ذريني اطوِّفْ في البلاد لعلني ... أخليك أو أغنيك عن سوء محضر

فإن فاز سهمٌ المنية لم أكنْ ... جزوعاً وهل عن ذاك من متأخرِ[4]

وأكثر الفترات التي يحلو له فيها الغزو عندما يرى بأم عينيه فقراء يموتون جوعاً في حين يرتع الأغنياء في الترف الفاحش والبحبوحة المترفة، غير عابئين بغيرهم من ابناء مجتمعهم المقهورين.

أَيهلكُ مُعتَمُ وَزَيْدُ ولم أُقمْ ... على نَدَبٍ يوماً ولي نفسُ مُخْطِر[5]

---

(1) الشعراء الصعاليك ـ د. يوسف خليف ـ ص325.

(2) المستراح: الاستراحة. الحمام: الموت. المبرح: الشديد، المقاسي المؤلم.
مقتراً: ضيق العيش فقيراً. وقد يكون غنى. بالمستراح: القبر. يطرح نفسه كل مطرح: يطرح نفسه في كل بلاء ومشقة. يصيب رغيبة: يحصل على مال. المنجح: الغمائم.

(3) الأدنين: الأقرباء ـ كلاً: ثقلاً ـ وكلاً: مصيبة، ومن يكون عالة على غيره. شمَّر: خف وقام ـ وشمر للأمر: تهيأ له.

(4) شعراء النصرانية ـ ص884. ديوان عروة بن الورد. ص65.

(5) ديوان عروة ص68. لسان العرب 1/ 754 مادة ندب.

وقليلون الذين يماثلون عروة في المناقبية والشهامة، والصدق والوفاء، وقد اورد الأغاني قصة تمثل هذه القيم والمثل، وذلك عندما احتالت عليه امرأته سلمى وقومها، وكان قد سباها في أحدى غزواته ثم تزوجها، قبل أن يعيدها إلى أهلها. فقالت له:

يا عروة، أما اني أقول فيك وإن فارقتك الحق، والله ما أعلم امرأة من العرب ألقت سترها على بعل خير منك، وأغضُ طرفاً وأقلُّ فحشاً وأجود يداً، وأحمى لحقيقة، وما مرَّ عليَّ يوم يوم منذ كنت عندك إلا والموت فيه أحب إليَّ من الحياة بين قومك لأني لم أكن أشأ أن أسمع امرأة من قومك تقول: قالت أمة عروة كذا وكذا إلا سمعته، والله لا انظر في وجه غطفانية أبداً فارجعْ راشداً إلى ولدك أحسن.

تلك هي الشهامة العربية والنخوة الرائعة تتجلى في موقف هذا الفارس العربي، وليس في ما ورد مبالغة أو تجاوز للحدود، إنها شخصية عروة كما بدا ذلك من خلال هذا النص، أو غيره من القصائد.

فعروة شخصية مميزة نادرة، هتف إلى الحق ونشد الجمال والكمال، وضع أسس الضيافة العربية الأصيلة والجديدة آنذاك، ومن عادات العرب ألا يُسأل الضيف عما يريد إلا بعد استضافته وتكريمه ثلاثة أيام متتالية. فهل كان عروة هو الذي أطلق هذا العمل الرائد وحث عليه، فالمشهور عنه والمعروف انه كان يكرم ضيفه من غير ان يسأله عن اسمه ونسبه وجهته التي قدم منها، ثم يلاطفه ويسليه لان واجبات المضيف تقضي بتقديم وسائل الراحة النفسية قبل الجسدية. يقول من قصيدة.

فراشي فراشُ الضيفِ والبيتُ بيتهُ ... ولمْ يلْهني عنه غزالٌ مقنَّعُ
أحدثه إن الحديث من القِرى ... وتعلمُ نفسي أنه سوف يهجعُ[1]

ويجدد أمام مضيفه بكل ما يملك:

سلي الطارقَ المعَتَّر يا أم مالكٍ ... إذا ما أتاني بين قدري ومجزري
أيُسفِرُ وجهي انه أولُ القِرى ... وأبْذِلُ معروفي له دون مُنكِري[2]

---

(1) ديوان عروة ص75. شعراء النصرانية ص913.

(2) ديوان الحماسة 4 / 65. سيرة عنترة ـ المكتبة الشعبية 1/ 195. طلال حرب ديوان عروة ص10 و71. المعتر: المعترض ولا يسأل ـ المجزر: موضع جزر الأبل ـ يريد بالقدر اللحم المطبوخ فيه، وبالمجزر اللحم النيء غير المطبوخ.

وموقفه من المرأة تعتز به الجاهلية برمتها، والقيم الاخلاقية في كل زمان أيضاً، فهو عاملها برفق ولين وإحترام، حتى لو كانت سبية، كما حصل له مع سلمى عندما سباها ثم اعتقها وتزوجها، وعندما ألح عليه قومها في افتدائها، رضي شرط موافقتها.

وحديثه عن المرأة عفيف كعفة نفسه، بعيد فيه عن الفحش والإثارة واصطياد اللذة والشهوة، إنما كان شعره كنفسه، صورة عن عفتها واستقامتها.

ولعله كان في هذه المواقف صورة لمسلكية عنترة في التعفف والكرم والنجدة والشجاعة، وهذا ما جعله أحد الأبطال المشهود لهم في سيرة عنترة، كما ورد في الغارات ونهب أموال العرب، وكان لا يقر بمكان. وهو مغرم بملاقاة الشجعان، وكان يصطاد السباع من الآجام وكان أسمه عروة بن الورد، يلقب بعروة الصعاليك لأنه كان يحب الفقراء، وكان إذا تفرقت بنو عبس في الحَر على المناهل يبقى هو والصعاليك في الحي ويذبح لهم ويطعمهم، وينفق كل ما كان معه عليهم ولهذا سمته العرب عروة الصعاليك. وكانت العرب تتحدث بكرمه وحسن اخلاقه وكان ذلك مع ما هو فيه حلو الكلام فصيح اللسان.

حتى أن عروة أضحى صديقاً لعنترة ساعده في سعيه للزواج من عبلة واعانه على أعدائه[1].

بعد كل هذا الحديث، وهذا الحس الاجتماعي الخلاق، والتضحية النادرة، والصعلكة التي محضها عمره وجهده، واتخذها منفذاً لإصلاح أحوال بني مجتمعه لمعيشته نتساءل، لماذا أقدم عروة على الصعلكة، لماذا ترك قبيلته وهجرها، فهو لم يكن بحاجة إلى المال، ولم يكن أسود اللون، بحيث أن السواد آنذاك كان دليل الرق والفقر، كما أن قبيلته لم تخلعه من وسطها، وتبعده عن حماها، وإن كانت قد احتقرته لأن منزلة أمه دون منزلة أبيه في رفعة الِشان وعلو النسب، إذ أنها كانت من نهد من فصاعة، عشيرة وضيعة مهملة، مما يحرك في نفسه حزناً عميقاً.

وفي ذلك يقول:

وما بي من عارٍ إخال علمتهُ　　سوى أن أخوالي إذا نسبوا نهدُ[2]

ولعل حوادث عائلية جرت عليه آلمته نفسياً فآثر الخروج، ومنها ان والده كان

---

(1) سيرة عنترة بن شداد المكتبة الأهلية 2 ـ 32.

(2) شعراء النصرانية، د. طلال حرب ديوان عروة ص10 و11 و45. شوقي ضيف الشعر الجاهلي ـ 383.

يؤثر عليه أخاه الأكبر، في العطف والعطاء، وقد عاتبه الناس في ذلك فقال: أترون هذا الأصغر، لئن بقي مع ما أرى من شدة نفسه ليصيرن الاكبر عيالاً عليه. ولعل سبب تفضيله إياه أنه من امرأة شريفة غير أم عروة ذات النسب الوضيع، كما كان يرى أبوه.

وأكثر من ذلك كانوا يعيرونه بأمه، حيث كانت على ما يبدو ماجنة فاحشة، معروفة في بني قومها وفي ظهر قينهم، يدل على ذلك قوله:

أعيرتموني أن أمي «تريعة»     وهل ينجب في القوم غير الترائع

ويبدو أن هذا الأمر المريع كان متفشياً بينهم، وهو الفحش وفعل الشر.

ولم يكن موقفه هذا من أمه فقط، إنما لأولئك الذين خرجت منهم ومن بينهم، إخواله، فهم على حد قوله جبناء متخاذلون، يتخاذلون في الحرب ويتباهون في السلم.

ثعالب في الحرب العوان فإن تَبُخ     وتنفرج الجلى فإنهم الأسد

وينسحبُ السخط على بني قومه أجمعهم، وعلى زوجته التي كانت تلومه على الغزو والنهب خوفاً عليه من الخطر والأذى، إلا انه كرس حياته لتحقيق العدل ورفع الحيف والغبن عن طبقات المجتمع البائسة.

دعيني للغنى أسعى فإني     رأيت الناس شرهم الفقير[1]

وكما قلت كان في حيرة من أمر قومه، ماذا يريدون منه، فهو انى اتجه ومهما فعل، ملام مدان.

هم عيروني أن أمي غريبة     وهل في كريم ماجد ما يعير

وقد عيروني المال حيث جمعته     وقد عيروني الفقر إذ أنا مَقترُ

وعيرني قومي شبابي ولِمتي     متى ما يشا رهط امرئ يتغير[2]

هكذا الناس، تبدل أحوال المرء كيفما تشاء، إذا حاولت الإساءة إليه، ولا نغالي إذا قلنا إن عروة زعيم المتمردين وأبو التمرد بلا منازع، في عصر كثر فيه المتزلفون إلى السلطة، الزاحفون إلى أعتابها وقصورها الواهية، كان هو أنف الجانب منيع النفس، ويظهر هذا في هجائه أمير قبيلته عيسى، قيس بن زهير[3]،

---

(1) الاغاني ـ 3/ 73.

(2) شعراء النصرانية 908 ـ 909. ديوان عروة ص58 ـ 59.

(3) قيس بن زهير أمير عبس ورث الإمارة عن أبيه واشتهرت وقائعه في حروبه مع بني فزارة وذبيان. له شعر جيد. يضرب بدهائه وحكمته المثل. الآعلام للزركلي 5/ 206.

معتبراً ان التزلف ليس من طبعه، وأن الأعمال فقط هي التي تحدد هوية الإنسان.في الحياة.

بـأن يـعـيـا الـقـلـيـلُ عـلـيـك حـتـى تـصـيـر لـه ويـأكـلـك الـذلـيـلُ
فـإن الـحـرب لـو دارت رحـاهـا وفـاضَ الـعِـزُّ واتـبـع الـقَـلـيـلُ
أخـذتَ وراءنـا بـذنـاب عـيـشٍ إذا مـا الـشـمـسُ قـامـت لا تـزولُ(1)

أي جبن هذا الذي ينعته به، وذل يتقمصه، طمعاً ببلغه عيش وكسرة مغنم، لا تبقى لحي.

كان يحاول ان يخلق بيئة جديدة عامرة بالقيم، كان يودها كما يتصورها هو شامخة تسودها العدالة، ليقدم صوره عن الصعلكة غير التي في أذهان الناس، أوَ بقي بعد أمام عروه إلا الصعلكة، حيال ما لقيه من قومه وأهله وقبيلته، وأبيه، وأمه، وهو المخالف لكل ما يحملونه من تقاليد واهية وأساطير من رحم المجهول. ومن هذه القيم التي يحمل والمفاهيم التي يؤمن بها صعلكته، بخلاف سائر الصعاليك. فقد رفعها من وهدة الذل إلى الكبرياء والمرؤة، وحقنها بقيم البأس والسيادة والتضامن والإيثار، بعيداً عن الهوى الذاتي والربح الشخصي، وصولاً إلى مجتمع التساوي والكفاية والعدل. إنه كان يحاول تحقيق الاشتراكية على هواه، لكنه هوى نَيرٌ مستقيم. أتراه كان يحاول تغيير بعض قيم مجتمعه التي لم تكن لتروق له، والتي هي بحد ذاتها آفات (ومحن)، حاربها الإسلام فيما بعد، ودعا إلى دفنها، كانت في مخيلته صورة مجتمع ناهض متكامل عامل نبيل، تلك بعض قيم الإسلام التي ترسخت فيما بعد في طول الجزيرة وعرضها، وأسماها النبل والأريحية والإيثار، وهي كانت من طبع هذا الفارس المغوار، سوته الصحراء القاحلة واحداً من ألمع فرسانها، ولفحته الشمس بعطائها ووهجها، فأعطى وضحى، وأحسن إلى الصعاليك. إلا أن الأذى يأبي إلا أن يكمل رحلته مع هذا الإنسان الإنسان، فبدلاً من ان يطبع أصحابه على جبينه قبلات الثناء والشكر، رموه بالسهام واستلوا في وجهه فتيل النقد الجارح، خاصة بعد أن سمنوا وأثروا وانتقلوا من حمى الفقر والحرمان إلى مدراج العز، كان عليهم أن يكونوا معه أوفياء ولكن ومع ذلك فقد غفر لهم.

---

(1) شعراء النصرانية ـ 914 ـ 915. ديوان عروة تحقيق طلال حرب ـ ص88 ـ 89.

خطان متعاكسان عروة وصحبه وقومه وعشيرته، أو خطان متوازيان يكادان لا يلتقيان في الممارسة والمسلك.

هكذا قضى حياته، مع قومه ولهم وفيهم، وهم يناكفونه ويناصبون له العداء، وهو حزين لكن راضٍ متألم لإنما قانع بما قسم الله. حسبه انه أدى دوره وبقي حتى مقتله على يد رجل من طهيه في أحدى غاراته قبل الهجرة النبوية الشريفة بثلاثين عاماً.

مضى تاركاً سيرة عطرة، وذكرى خالدة ومآثر كتب لهاالخلود، ونالت إعجاب معاصريه، وكل من قرأه شعراً وحياة، رغم صعلكته، إلا أنها صعلكة من أجل المجتمع وليست عليه، تعديل خط ملتو إلى خط مستقيم، عندها يصبح المحرم حلالاً في بعض الأحايين. ألم يقل الإمام علي عليه السلام لو كان الفقر رجلاً لقتلته، وعروة لم يكن فقيراً، إنما كان نصيراً لفقر اء محيطه، الذين أكل المرابون حقوقهم والأغنياء ثرواتهم حتى أن حياته ودوره انعكس على الصعاليك، جميعهم، فنفحهم بالثقة والمكانه وعلو الشأن . . . حركة ثورية متمردة أصبح لها تاريخ عامر ممارسةً وشعراً.

فأي شعر كان لعروة، وما ذكرناه عنه هو صدى شعره وصورة لما جادت به قريحته، هي نفثات صدره وبوح قلبه ومشاعره في الحل والترحال، مع نفسه وقومه، لمجتمعه ومحيطه.

كل زهرة برية في الصحراء. كانت تلوحها شمس القرابين. وعروة وردة لم يحسن ما حولها حمايتها، فأخفق ونجح في آن معاً، في صراعه مع أهل الصحراء صراعه من أجلهم.

وشعر عروة، مجموعات معظمها صغير، لم يتجاوز كل منها أصابع اليد الواحدة، باستثناء بعض القصائد الطويلة نسبياً، إذ تبلغ أطول قصيدة لديه سبعة وعشرين بيتاً.

لعل الزمن وتقلبات الدهر محت شيئاً منها وأبقت لنا ما أبقت. هو الدهر يفعل بأهله الاعاجيب، فكيف بالأشياء والاحداث.

وشعر عروة في مجمله تعليمي حكمي رصين، استقاه من بيئته البسيطة وتجاربه الغنية ومشاهداته المتنوعة وعلاقاته مع اهله واقربائه وقومه وبني جلدته. ولنترك أحكامنا بعد استطلاع شعره وحصر ما فيه لغة وبلاغة وخيالاً ومعاني مختلفة.

وتبقى مسألة طالما بليت جدلاً وتنقيباً، هي الشعر الجاهلي نفسه، ما المنحول منه وما الصحيح ومهما بلغت الموازين التي نستعملها من دقة التصويب، إلا أننا نبقى مترددين، ماذا ذهب وأين هو، وما الذي بقي وهل يُكتفَى به للتعبير عن الشاعر وعصره.

في شعر عروة صورة مجتمع الحضر وغناه، وأهل المدن وفقرهم، حسبنا ما في أمهات الكتب من شعر يدل عليه وعلى مقاسه...

وقد جُمعت هذه القصائد وطبعت ديواناً له برواية ابن السكيت يعقوب بن اسحق في بيروت والجزائر والقاهرة[1].

## شعر عروة:

من الديوان وهو مطبوع، وقصائده متناثرة في أمهات الكتب العربية، وأبرزها على الأطلاق، الأغاني،..

وأسمى فتوحاته الشعرية أبيات العبر والحكم، فهو كان يلجأ اليها لأنه زعيم الصعاليك دون منازع، وصاحب الرأي الناجز، والحكمة الواعظة والتوجيه السليم:

إذا المرءُ لم يبعثْ سَواماً ولم يُرِحْ ... عليه ولم تعطف عليه أقاربُهْ
فلَلموتُ خيرٌ للفتى من حياته ... فقيراً ومن مولى تدبُّ عقاربه
وسائلةٍ أين الرحيلُ وسائلٍ ... ومن يسألُ الصعلوكَ أين مذاهبه
مذاهبُهُ أن الفجاجَ عريضةٌ ... إذا ضنَّ عنه بالفعالِ أقاربُهْ
فلا أتركُ الأخوانَ ما عشتُ للردى ... كما أنه لا يتركُ الماء شاربُه
ولا يستضامُ الدهرُ جاري ولا أرى ... كمن بات تسري للصديق عقاربه
وإن جارتي ألوت رياحٌ ببيتها ... تغافلتُ حتى يسترَ البيت جانبه[2]

وأي حياة للمرء دون عمل وتواصل وتراحم مع أقاربه وبني قومه، أو بالأحرى فالموت أولى للمرء من حياة يدمرها الفقر والحرمان، وتذهب أيامه سدى.

ثم ينتقل للحديث عن الصعلوك ودوره وعمله، مؤكداً أنه لن يترك إخوانه طعماً للمنون، مركزاً على الناحية الإنسانية التي يجب أن تحكم علاقات الافراد، ويذكرنا البيت الأخير في القصيدة بقول عنترة:

---

(1) طلال حرب ـ ديوان عروة ص24 و25.

(2) شعراء النصرانية ـ ص904. طلال حرب ديوان عروة ـ ص33.

وأغض طرفي إن بدت لي جارتي حتى يواري جارتي مأواها

وفي ومضة حكيمة عامرة بالدعوة إلى حماية الذات من الذل والهوان يقول:

إذا آذاكَ مالُكَ فامتهنْهُ لجَادِيه وإن مَرِعَ المرَاحُ
وإن أخنى عليك فلم تجدْهُ فنبتُ الأرض والماءُ والقراحُ
فرغمُ العيشِ إلفُ فِناءِ قوم وإن آسوكَ والموتُ الرَّواح[1]

فتعساً للمال إن أهان صاحبه، وهو إن افتقد فلا يأس ولا قنوط. فهذه أرض الله الواسعة الخضراء وماؤها القراح نعم الزاد والمراد.

ولعل تماضر زوجه، أو أخته أو أحدى قريباته وإلا فما معرفتها بخلوه من المال، وهي هنا تشجعه على المخاطرة بالذات من اجل الغنيمة والكسب بعدما رأت ماله شح وأقاربه تخلوا عنه، فالقعود والخنوع مجلبة للفقر والذل، والفقر فضاح هوان.

وقولها له من باب تحصيل الحاصل، فهو ليس بحاجة للتذكير بواجباته، إنما أتى قولها تأكيداً لموقفه وثناءً عليه.

قالت تماضرُ إذ رأت مالي خوى وجفا الأقاربُ فالفؤادُ قريحُ
مالي رأيتكَ في النديِّ منكَّساً وصِباً كأنك في النَّدي نطيحُ
خاطر بنفسك كي تصيب غنيمة إن القعودَ مع العيال قبيح
المالُ فيه مهابةٌ وتجلةٌ والفقرُ فيه مذلةٌ وفضوح[2]

أليس هو الصنديد الغضنفر، رجل الاقدام والمغامرة وهو القائل بملء فيه:

إذا قيلَ يا بن الوردِ أقدمْ إلى الوغى أجبتُ فلاقاني كميٌّ وقارعُ
بكفِّي من المأثورِ كالملح لونهُ حديثٌ بإخلاص الذكورة قاطعُ
فأتركهُ بالقاع رهناً ببلدةٍ تعاوره فيها الضباعُ الخوامِع
فلا أنا مما جرَّت الحربُ مُشتكٍ ولا أنا مما أحدث الدهرُ جازعُ[3]

---

(1) شعراء النصرانية ص907. طلال حرب ديوان عروة ـ 38.
قرع او مرع: خلا. امتهنه: استعمله للخدمة. المراح: الموضع الذي يروح القوم فيه.

(2) شعراء النصرانية. ص907. ديوان عروة بن الورد ص39.
الندي: النادي. النطيح: المشؤوم.

(3) طلال حرب ديوان عروة ـ ص73. شعراء النصرانية ص913.
المأثور: المتوارث يريد سيفاً متوارثاً. السيف الذكر الذي شفرته حديد. رهناً ببلدة: مقيماً. تعاوره: تداوله. الضباع الخوامع: تالتي تمشي وكأن بها عرج.

وأسمعه هنا يتحدث في هذه اللغة الحكمية الأخرى، مركزاً على مسألة طالما تحدث عنها ووقف منها موقفاً واعياً متزناً، وهي أن الإنسان لا يقاس بماله، وإنما بأعماله، وذلك عندما اخبر عن مدى بخل رجل من بني كنانة، واحتفائه الشديد بالمال وجمعه له، حتى انه فاق جميع الناس، فأرسل العيون تراقبه وتبلغه أمره، وعندما استيقن من كل شيء غزاه، وشد على إبله فاستقاها، ثم قسمها بين قومه:

| | |
|---|---|
| مـا بـالـثـراء يـسـودُ كـل مُـسَـوِّدٍ | مـثـرٍ ولـكـن بـالـفـعـالِ يـسـودُ |
| بـل لا أكـاثـرُ صـاحـبـي فـي يـسـرهِ | وأصـدُّ إذ فـي عـيـشـه تـصـريـدُ |
| فـإذا غـنـيـتُ فـإن جـاري نـيـلُـهُ | مـن نـائـلـي ومُـيَـسَّـري مـعـهـود |
| وإذا افـتـقـرتُ فـلـن أرى مـتـخـشـعـاً | لأخـي غِـنـىً مـعـروفـه مـكـدود[1] |

انظر إلى هذه الأريحية العربية، والإيمان بوحدة المصير والحقوق، والدعوة إلى التكافؤ المعيشي و الاجتماعي، في ومضات مضيئة تعتبر من أسس الاشتراكية الاقتصادية.

ولا يميل عروة عن هذا الخط أبداً. فهو هاجسه الدائم، مجتمع الكفاية والعدل، وتكافوا الفرص في العمل والانتاج والحقوق، لإنها من أنبل ما تضمنته فيما بعد شرعة حقوق الإنسان:

| | |
|---|---|
| إنـي امـرؤ عـافـي إنـائـي شـركـةٌ ش | وانـت امـرؤ عـافـي إنـائـكِ واحـد |

وقد أشرنا إلى سائر الأبيات في مطلع الدراسة[2].

إنه والله الإيثار الجم، والخلق الرفيع، والتضحية النادرة، وهو يطلب من نفسه ما لا يطلبه من الأخرين، تلك الأبيات دفعت الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان إلى القول: ما يسرني أن أحداً من العرب ولدني ممن لم يلدني إلا عروة بن الورد، أو كثير على عروة أن يعتبره الخليفة كأبيه[3].

ودائماً رمزه الحكمي الدائم والذي يخيم على شعره، الدعوة إلى الكفاح في

---

(1) شعراء النصرانية ـ ص906. طلال حرب ـ ديوان عروة ص46.
أكاثر: اغالب ـ أفاخر. تصريد: من صرد بمعنى قلَّل، وصرده: سقاه ولم يعطه ما يحتاج إليه. متخشعاً: متذللاً. أي لا يكون معروف إلا بعد إلحاح.

(2) الاغاني ـ 3/ 71. حماسة أبي تمام ـ 4/ 94 و95.
العافي: الضيف، والعافي المرق في القدر يترك بعد الاستعاره.

(3) ديوان عروة بن الورد ـ طلال حرب ـ ص47.

سبيل لقمة العيش والسير في طلبها أنى كانت، لأن الشكوى من الفقر ذل وهوان[1].

إذا المرءُ لم يطلب معاشاً لنفسه شكا الفقر أو لام الصديق فأكثرا
وما طالب الحاجات من كل وجهةٍ من الناس إلا من أجدَّ وشمرا
فسر في بلاد الله والتمس الغِنى تعش ذا يسار أو تموت فتعذرا

وأسمعه في هذين البيتن الذهبيين، يذوب حباً للعدل والحق والمساواة، ويعبر عن اسمى القيم والمثل في حديثه عن الضيف، مما يمكن ان نعتبره درساً لكل بني البشر، هذا في العصر الجاهلي:

هذا فراشي فراش الضيف والبيت بيته ولَم يلهني عنه غزال مقنعِ
أحدثه إن الحديث من القِرى وتعلم نفسي أنه سوف يهجع

أي والله. ان الحديث من القرى، لكي لا يظن الضيف أنك مللته فلا تحدثه، وانك تتمنى خروجه فلا تسليه.

ولعمري. هذا الشهم العملاق. وكأني به يتخذ الشعر لأمرين، أولهما استجابة لنزعته وموهبته الشعرية، وثانيهما لهدف غائي، وليس عشوائي، فهو يريد بشعره أن يشيع قيماً وأخلاقاً وعادات خلاقة يريد من ورائه مجتمع الخير والفضيلة والمساواة[2].

ويفتخر هنا بشجاعته وبطولته ويقظته، في قصيدة تكشفُ عن أنه غزا بالصحاح بعد ان أصابَ بني عبس جدبٌ وجوع وأصاب في غزوته رتلاً من الإبل.

أليس ورائي أن أدبَّ على العصا فيشمتَ أعدائي ويسأمني أهلي
أقيموا بني لُبنى صدورَ ركابكمْ فكلُ منايا النفس خيرٌ من الهزل
فإنكم لن تبلغوا كلَّ هِمتي ولا أربي حتى تروا منبت الأثلِ
فلو كنتُ مثلوجَ الفؤادِ إذا بدتْ بلادُ الأعادي لا أُمرُّ ولا أُحلي
رجعت على حِرسين إذ قال مالك هلكتَ وهل يُلحى على بُغية مثلي
لعل انطلاقي في البلاد ورحلتي وشدي حيازيم المطية بالرَّحلِ
سيدفعني يوماً إلى ربِّ هجمةٍ يُدافَعُ عنها بالعقوق وبالبخل

(1) ديوان عروة بن الورد ـ طلال حرب ـ ص49.

(2) ديوان عروة بن الورد ـ طلال حرب ـ ص75.

قـلـيـل تـوالـيـهـا وطـالـبُ وِتـرهـا إذا صـحـتُ فـيـهـا بـالـفـوارس والـرَّجْـل
إذا مـا هـبـطـنـا مـربـئـاً فـي مـخـوفـة بـعـثـنـا ربـيـئـاً فـي الـمـرابـئ كـالـجـذل
يـقـلـب فـي الأرض الـفـضـاء بـطـرفـه وهـنُ مـنـاخـاتٌ ومِـرْجـلـنـا يـغـلـي[1]

لا ينام على ضيم، ولا يستسلم لشيخوخة ووهن، فالاعداء بالمرصاد، والأمر لا يحتمل التأجيل والمماطلة، إنه الغزو والقتال، فاستعدوا له يا بني لبنى خوفاً من أن تقضوا جراء الضعف والهوان.

وهو يذكرهم بأنهم لن يبلغوا شأنه وهمته وهدفه إلا بشق النفس، والمجاهدة والنضال، ويعتبر أن رحلته في البلاد وإتكاله على الإنطلاق سيوفران له ما يريد، ويحققان له الفوز والغلبة.

---

(1) الاغاني 3/ 79. طلال حرب ـ ديوان عروة ـ ص95 و96.
أقيموا بني أمي صدور ركابكم: يريد توجهوا إلى الغزو. الهزل: الضعف والفقر ـ منبت النخل: يثرب، ومنبت الأثل بلاد بني القين، الاثل شجر يكثر قرب المياه.
مثلوج الفؤاد: بليد. أمر: أجعل مراً. وأحلي أجعل حلواً، يريد لا ينفع ولا يضر.
جِرسين: موضع فيه ماء إضاف إليه موضعاً آخر وسماهماباسم الأشهر حرس.
مالك هو مالك بن ثمار الغزاوي الذي نصحه بالعودة. يلحي: يلام ـ الحيازيم: جمع حلزوم وهو الصدر.
الرحل: ما يوضع على ظهر الجمل ليركب. رب الشيء: مستحقه.
التوالي: التتابع، يريد قليل من يتبعها. الوتر: الثأر. الرجل: الغزاة الراجلون المنهل: موضع الشرب في الطريق. الربيء: الذي يرقب العددفي مقدمة الجيش. الجزل: راس الجيل. الجذل: عود ينصب للجمال الحربي لتحتك به. المرجل: القدر. المرابئ: جمع المربأة مكان يقف فيه المراقب.

# عمرو بن براقه الهمداني
# ... ـ بعد 11 هـ ... ـ نحو 632م

نسبة إلى أمه براقة، اسمه عمرو بن الحارث بن منبه بن يزيد الهمداني، شاعر همدان قبل الإسلام، عاش إلى خلافة عمر بن الخطاب ووفد عليه، قيل: أَذِنَ عمر للناس، فدخل عمرو بن بَرَّاقة وكان شيخاً كبيراً يعرج.

كان رفيقاً للشنفري وتأبط شراً في الصعلكة، وهو من القلائل بين الشعراء الصعاليك الذين لا تقف عقبة في طريق أهدافهم، وقصته مع حريم الهمداني دليل على ذلك، حيث أغار حريم على إبل عمرو فسلبها، وكان حريم مخوفاً تهابه الناس، فصمم عمرو على الاغاره، وحذره بعض الناس، ولكنه انفذ عزمه، وأغار على حريم فاستاق كل شيء يملكه حريم، وقد أخذته نشوة النصر، فنظم قصيدته رائعة خلاّبه، حيث قال:

تقول سليمى لا تعَرَّض لتلفةٍ ... وليلُكَ عن ليلِ الصعاليك نائمُ

وكيف ينامُ الليلُ مَنْ جُل مالَهُ ... حسامٌ كلونِ الملح أبيضُ صارمُ

ألم تعلمي أن الصعاليكَ نومُهُمْ ... قليلٌ إذا نامَ الدثورُ المسالمُ[1]

ومنها هذه الحكم التي كان العرب يعتبرون مضمونها شعاراً لهم وهدفا:

أفالآن أُدعى للهوادة بعدما ... أُجيل على الحي المذاكي الصلادمُ

كأن حريماً إذ رجا أن يَضُمَّها ... ويذهبَ مالي يا ابنة القوم حالمُ

متى تجمعِ القلبَ الذكي وصارماً ... وأنفاً حمياً تجتنبكَ المظالمُ

ومن يطلبِ المال المُمنع بالقنا ... يعش ذا غِنى أو تخترمْهُ المخارمْ

وكنت إذا قومٌ غزوني غزوتهم ... فهل أنا ذا يا الهمدان ظالمُ

---

(1) الاغاني 21/ 198 ـ 199. الاعلام للزركلي. 5/ 76.

فلا صلحَ حتى تعثرَ الخيلُ بالقنا  وتضربُ بالبيضِ الرُقاقِ الجماجمُ[1]

وقد تمثل الحجاج ببعض أبيات من القصيدة في خطبته المشهورة التي توعد فيها أهل العراق، إذ استخدم بيتين اولهما: «متى تجمع القلب»، وثانيهما: «إذا قوم غزوني غزوتهم».

وكان سيفه رفيقه في غزواته وغاراته، أو هو كما يصوره «جُلٌّ» ماله أبيض صارم كلون الملح، لا يفارق يمنيه، بل هو مرتهن لها، وصاحب السيف يجب ألا ينام الليل، فمن الأولى بالفارس الصعلوك أن يبقى متيقظاً مع سيفه الصقيل[2].

وكيف ينام الليل من جل ماله  حسام كلون الملح أبيضُ صارمُ
غموض إذا عضَّ الكريهة لم يدعْ  له طمعاً، طوعُ اليمين ملازم

وهو عنده كما ذكرنا أحد ثلاثة تجتنب فيها المظالم: القلب الذكي والأنف الحمي والسيف الصارم الصقيل:

متى تجمع القلب الذكي وصارماً  وأنفاً حمياً تجتنبك المظالمُ

ويذكر تأبط شراً صديقه ابن براقه في قافيته المشهورة، عندما انجاه عَدْوُه من خصومه، برغم ما لحق به منهم[3]:

ليلة صاحوا وأغروا بي سراعهم  بالعيكتين لدى مَعْدَى ابن براق

ولا يرضى براقة لسيفه الابيض رفيقه الدائم، مكاناً إلا عندما يضرب به الجماجم والرؤوس حيث يقول[4]:

فلا صلَح حتى تقدحُ الخيلُ بالقنا  وتضربَ بالبيضِ الخفافُ الجماجمُ

والحقيقة أن أخبار عمرو بن برَّاقة قليلة جداً، حتى ان الأغاني أفرد له صفحتين فقط ليستا بذي بال، وأهمله ابن قتيبة في الشعر والشعراء، وليس له أثر في معجم البلدان لياقوت الحموي، علماً أنه كما قلنا كان رفيقاً لشاعرين من أبرز شعراء الصعلكة في العصر الجاهلي، ونديماً لهما، وصاحباً في الغزوات والعدو والغارات.

(1) الصلادم: الصلب الشديد ويراد به الفرس. المخارم: سبل الموت.
(2) الاغاني ـ 21/ 198. د. حفني ـ شعر الصعلكة. ص218.
(3) المفضليات ـ صـ 17 تحقيق د. قصي الحسين.
(4) الاغاني 21/ 199. د. حفني ـ شعر الصعلكة ـ ص217.

# عمرو بن عجلان - (ذو الكلب الهذلي)

هو عمرو بن عجلان بن عامر بن برد بن منبه أحد بني كاهل جار هذيل، اشتهر بلقب عمرو ذي الكلب، لأنه كان يصطحب معه أنى ذهب كلباً له، أو لأنه كان يصطحب معه إلى الصيد كلباً، فلقب ب يا ذا الكلب، فغلب عليه وعرف به، ومن الناس من كان يقول له: عمرو الكلب.

من الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي كان يغزو بني فهم غزواً متصلاً، وتشير أشعاره القليلة التي وصلتنا من بعض المصادر أنه كان يحب الغزو والتنقل، وانه نام ليلة في بعض غزواته، فوثب عليه نمران، فأكلاه، فادعت فهم قتله.

وتضعف هذه الرواية عن قتله أمام رواية أخرى يبدو أنها هي الحقيقة، ومفادها أنه أحب امرأة من فهم تدعى أم جليحة وأحبته، فوجد أهلها عليه وعليها، وطلبوا دمه وخرجوا في إثره، ففر هارباً وتبعوه إلى أن دخل غاراً، فكمنوا له، ووقفوا على باب الغار، فصعب عليهم أمر الدخول بعد أن قتل منهم رجلاً حاول الدخول إليه لقتله، فلما رأوا ذلك، صعدوا ظهر الغار وثقبوا عليه، ثم رموه حتى قتلوه. ولم يعرف في أي عام كان مقتله، ولم تذكر المصادر أيضاً سنة ولادته ولا مكانها.

والذي يدفعنا إلى تصديق رواية مقتله الثانية قول أخته ريطه ترثيه[1]:

كلُّ امرئٍ بطوالِ العيشِ مكذوبُ ... وكلُّ مَنْ غالبَ الأيامَ مغلوبُ

وكلُّ حيٍ وإن عزوا وإن سلموا ... يوماً طريقهُم في الشرِ دعبوب[2]

أبلغْ هذيلاً وأبلغْ من يبلِّغها ... عني رسولاً وبعضُ القولِ تكذيبُ

بأن ذا الكلبِ عَمراً خيرُهم نَسَباً ... ببطنِ شريانَ يعوي حولَهُ الذيبُ[3]

---

(1) الأغاني: طبعة دار الثقافة. ج22/ 391. ديوان الهذليين ـ القسم الثالث/ ص124 ـ 127.

(2) دعبوب: الطريق الموطوء ـ أي الذي تسير عليه الناس.

(3) شريان: موضع قُتل فيه.

الطاعنُ الطعنةَ النجلاءَ يتبعها ... مثعنجرٌ من نجيعِ الجوفِ أُسكوب[1]
والتاركُ القِرن مصفراً أناملُه ... كأنه من نقيعِ الجوف مخضوبُ
تمشي النسورُ إليه وهي لاهيةٌ ... مشيَ العذارى عليهن الجلابيبُ

وهي هنا تتحدث عن شجاعة عمرو وبطولته، بعد أن مر بها قاتلوه من فهم وأخبروها بما فعلوا، فقالت لهم من جملة ما قالته: لرُب ثدي منكم قد افترشه، ونهب قد احترشه، وضب قد أخترشه، ثم قالت[2]:

سألت بعمرو وأخي صحبة ... فأفظعي حين ردوا السؤالا
فقالوا قتلناه في غارةٍ ... بآية أنْ قد ورثنا النّبالا
فهلاَّ إذن قبلَ ريبِ المنونْ ... فقد كان رجْلاً وكنتم رجالا
هزبراً فروساً لأقرانه ... أبياً إذا صاولَ القِرن صالا[3]

لكن من المؤكد أن جنوب هي نفسها ريطة، وانهما اسمان لمسمى واحد، لأن القصيدة الأولى التي أخذناها عن الأغاني موجودة هي نفسها في ديوان الهذليين باسم جنوب.

ولعمرو الكلب قصيدة واحدة لامية مذكورة في ديوان الهذليين، يتحدث فيها عن صعلكته وشجاعته وتنقله وأعماله، ويشير إلى عدوه وأسلحته ومرقبته وصراعه مع اعدائه، ومعلوم أن حروبه ومعاركه جميعها تقريباً كانت مع قبيلة فهم، ومما جاء في هذه القصيدة:

ألا قالتْ غزيَّة إذ رأتني ... ألم تُقتلْ بأرض بني هلال
أسرَّكِ لو قتلتُ بأرض فهمٍ ... وكلٌ قد أبأتِ إلى ابتهال

غزية إمرأة، وأرض بني هلال وفهم.

أما منازل هذيل وكاهل فهي جبال السراة جنوبي مكة، ومن هناك كان عمرو ذو الكلب يُغير على فهم، وكان سراة فهم يجاورون سراه التي تقع إلى جانب الطائف.

وقد كانت بين هذيل وفهم ثارات، وغزوات متبادلة بين صعاليكها.

---

(1) المثعنجر: السائل الذي يتصبب. أُسكوب: منسكب.
(2) ديوان الهذليين ـ القسم الثالث/ ص120 ـ 124.
(3) الفروس: الذي يدق الأعناق.

أما بجيلة فهي إحدى القبائل المعروفة بالضعف، وكان مقطنها في حضرة الطائف، ذلك الاقليم الخصب الغني، وكانت بجيلة عرضة لغزوات فهم وهذيل.

يقول عمرو ذو الكلب:

بـجـيـلـةُ دونَـهـا ورجـالُ فـهـمٍ ... وهـل لـكِ لـو قَـتـلـتِ غَـزي مـالـي

فـإمـا تـثـقـفـونـي فـأقـتـلـونـي ... وإن أثـقـف فـسـوف تـرون بـالـي[1]

وهنا يتحدى الشاعر أعداءه من بني فهم، قائلاً لهم، إن قُدِّرَ لكم ان تصادفوني فاقتلوني، وإن قيض لي الوصول إليكم فسترون ما أفعله بكم.

ثم إنه يذكر غزية بأنه لو قتل فسيرثه أهله، ويؤول ماله إليهم.

وهو يواجه أخصامه برجال أشداء، يغزو بهم حتى ينتصر، وحتى تضرب نساء بجيلة صدورها ووجوهها بالنعال وتنوح حزناً على قتلاها في ساحات المعركة[2]:

فـأبـرح غـازيـاً أُهـدي رعـيـلاً ... أؤمُ سـوادَ طـودٍ ذي بِـخـالِ[3]

بـفـتـيـانٍ عـمـارطِ مـن هـذيـلٍ ... هُـمُ نـيـفـونَ آنـاسَ الـحِـلال[4]

وأبـرحُ فـي طـوالِ الـدهـرِ حـتـى ... أقـيـمَ نـسـاءَ بـجـلـةَ بـالـنِّـعـال[5]

ثم إن من أسلحة عمرو في غزواته ومعاركه سهام ذات نصال يكمن في سنانها الموت، فهي تبدو حيناً كرماح طائرة يكسوها ريش منسول، وحيناً آخر كشوك العفاه[6]:

وثُـجـراً كـالـرمـاحِ مـسـيَّـرات ... كُـسـيـنَ دواخَـل الـريـش الـنُّـسَـال[7]

ثم يتابع ذكر الإسلحة التي يستعملها، ويشير إلى طرائقه في القتال والرمي،

---

(1) ديوان الهذليين ق3 / ص114.

(2) ديوان الهذليين: قسم 3/ ص114 ـ 115.

(3) رعيل: جماعة ـ أؤم: أقصد. طود: جبل. النجال: ما يخرج من الأرض.

(4) العمارط: الذين لا يتركون شيئاً إلا أخذوه واحدها همروط. ينفون: يطردون. آناس: جمع أنس. حلال: جمع حِلّة بكسر الحاء وتشديد اللام وهي المحلة. أي يغيرون ويهربون. وتطلق الحلة على الناس أيضاً. الحث : القتل.

(5) يقول: أقتلهم فتنوح نساؤهم ويضربن بالنعال وجوههن وصدورهن، وهكذا كن يلطمن في الجاهلية.

(6) ديوان الهذليين ـ قسم 3 / 116.

(7) الثجر: جمع أثجر وهو النصل العريض الوسط. النسال: ما تساقط من الريش. أو هو كما في ديوان الهذليين نبات له شوك أبيض طويل.

كدلائل على شجاعته المفرطة، لأن قتاله مع اعدائه لا يدوم إلا كالتفاتة اليمين على الشمال[1]:

| | |
|---|---|
| تـمـنـانـي وأبـيـضَ مـشـرفـيـا | أُشـاحَ الـصـدرِ أُخـلـصَ بـالـصِّـقـال |
| وأسـمـرَ مـجـنـاً مـن جـلـد ثـور | أصـمَّ مـغـلَّـلا ظُـبَـةَ الـنِّـبـال |
| وإيـفـاقـي بـسـهـمـي ثـم أرمـي | وإلا فـالأبـاءةُ فـاشـتـمـالـي |
| مَـنَـتْ لـك أن تـلاقـيـنـي الـمـنـايـا | أحُـادَ أحـادَ فـي الـشـهـرِ الـحـلال |
| ومـاَ لَـبْـثُ الـقـتـالِ إذا الـتـقـيـنـا | سوى لفتِ اليمينِ على الشمال[2] |

فالسيف من عمرو بموضع الوشاح من الصدر، أما ترسه فهو مقبَّب أسمر، أصم لا خلل فيه، مصنوع من جلد ثور، ترتطم النصال به فترتد وقد تكسرت ظباتها، أما سهمه فهو معدّ دائماً للإطلاق، وكنانته التي تشتمل على سهام كثيرة محدده كالشوك، كل هذه الاسلحة تجعل تهديد أعدائه له سراب بسراب، وهراء لا فائدة منه:

| | |
|---|---|
| وفـي قـعـر الـكـنـانـةِ مـرهـفـاتٌ | كـأن ظـبـاتِـهـا شـوكُ الـسَّـيـالِ |

وهم إن سلوا السيوف ليقتلوه، فإنه يحني رأسه ولا يدعهم يطالونه:

| | |
|---|---|
| يـسـلـون الـسـيـوفَ لـيـقـتـلـونـي | وقـد أبـطـنـتُ مُـحـدلـة شـمـالـي[3] |

وزيادة في احتراسه ومعاينة اماكن أخصامه، وليسهل عليه اصطيادهم، كان يتخذ مقبة يطل منها بوضوح على ما يمر أمامه، ويصفها بأنها بعيدة واسعة ملساء، يتربص فوق حرفها، حتى إذا لاحت له فرصة انحدر عنها وهو متخف كما ينحدر الماء الصافي من قنة الجبال، وقد سبق أن أشرت إليها في حديثي عن أسلحة الصعاليك[4]:

---

(1) ديوان الهذليين ـ ص118. د. حفني الشعراء الصعاليك ـ ص224 ـ 225

(2) ديوان الهذليين ق 3 / ص116 ـ 117. د. خليف الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي. ص204 و205. أسمر: ترس. مجنأ: مقبب محدودب. الأصم: الذي لا خلل فيه. الظبة: الحد. يفللها: يكسرها. الايفاق: ان يضع الوتر في فُوق السهم. وقوله: والإ فالإباءة اشتمالي: هو أن يهوي بيده إلى السيف. والمعنى: انما هو رميّ، فإن لم يكن رمي، فإنما هو بقدر ما أهوي بيدي إلى السيف، أي أرد يدي إلى خلفي. الأباءة: ان يرد يده، ردها إلى قائم سيفه ليأخذه.

(3) ديوان الهذليين ق 3/ ص118. الرجل محدل: انه ليتحال إذ نكس رأسه وانحنى وإنه الأحدل ربه حدل إذا كان منحنياً. أبطنتها: جعلتها في باطنة شمالي. والمحدلة أيضاً: القوس التي عُطفت.

(4) ديوان الهذليين: قسم 3 / ص119.

ومـرقـبـةٍ يـحـارُ الـطـرفُ فـيـهـا		إلـى شـمّـاءَ مـشـرفـةِ الـقـذال[1]
أقـمـتُ بِـريِـدهـا يـومـاً طـويـلاً		ولـم أُشـرف بـهـا مـثـل الـخـيـال[2]
ولـم يـشـخـص بـهـا شـرفـي ولـكـن		دنـوتُ تَـحَـدُّرَ الـمـاءِ الـزُّلال
ومـقـعـد كُـربـة قـد كـنـتُ فـيـهـا		مـكـانَ الإصـبـعـيـنِ مـن الـقِـبـالِ[3]

ثم يذكر أماكن أخرى كان يختفي فيها ويلجأ إليها في ساعات صعلكته وغزوه، وهو يُهدد أخصامه، ويعِدُ على هيئة القسم بأنه يكون ابن قينة إن لم يجتز الفيافي ويطأ بطن صريحة وعورش، متسللاً تحت أفياء العرعر الباسقة في الصحراء[4]:

فـلـسـتُ لـحـاصِـنٍ إن لـم تـرونـي		بـبـطـنِ صـريـحـةٍ ذات الـنِّـجـال[5]
وأمُّـي قـيـنـةٌ أم لـم تـرونـي		بـعـورش تـحـت عـرعـرِهـا الـطـوال[6]

مات عمرو الكلب شهيد الصعلكة، ورافقه هذا اللقب مدة حياته، دون أن ينـزعه عنه الدهر، كما لم ينزع هو عن نفسه عشقه للغزو والصعلكة، فقضى وهو في أعماق الصحراء بسيوف الذين نال منهم وكان له من ثرواتهم نصيب.

---

(1) القذال: الرأس، أي رأس المرقبة.
(2) ريد: الحرف ينحدر من الجبل، يقول: أقمت منكباً ولم أقم مشرفا.
(3) يقول: توسط المكان كما يتوسط قِبال النعل الإصبعين.
(4) ديوان الهذليين: قسم 3 / ص119.
(5) فهو ليس ابن أم عفيفة إن لم تره أعينهم في بطن صريحة. (وهو مكان).
(6) عورش: اسم موضع في شبه الجزيرة العربية ـ عرعر: شجر ينبت في الصحراء

# قيس بن منقذ السلولي الخزاعي[1]
# ابن الحدادية

أشتهر بأسم أمه، فقيل له ابن الحدادية، وهو قيس بن منقذ بن عمرو بن سلول بن الازد الخزاعي، والحدادية أمه، من قبيلة فهم يقال لهم بنو حداد.

وهو من شعراء الجاهلية، كان فاتكاً شجاعاً صعلوكاً خليعاً، خلعته خزاعة بسوق عكاظ واشهدت على نفسها بخلعتها إياه، فلا تحتمل جريرة له ولا تطالب بجريرة يجرها أحد عليه.

من أخبار صعلكته، أنه لما خلعت خزاعة بن عمرو وهو من اتقياء بن عامر، وهو ماء السماء بن الحارث قيس بن الحدادية، كان أكثرهم جناية عليه وسعياً قوم منهم يقال لهم بنو قمير بن سلول، فجمع لهم قيس شداداً من العرب وفتاكاً من قومه وأغار عليهم بهم، وقتل منهم رجلاً يقال له «ابن عُش»، واستاق أموالهم، فلحقه رجل من قومه كان سيداً، وأقسم عليه أن يرد ما استاقه، فقال له ابن الحدادية:

أما ما كان لي ولقومي فقد أبررت قسمك به، وأما ما اعتورته أيدي الصعاليك فلا حيلة لي فيه، فرد سهمه وسهم عشيرته وقال في ذلك:

فأقسمُ لولا أسهمُ ابن مُحرَّقٍ ... مع اللهِ ما اكْثَرْتُ عَدَّ الأقارب

تركتُ ابن عُش يرفعون برأسه ... ينوءُ بساقٍ كعبها غيرُ راتبِ

وأنها هُمُ خلعي على غير مِيرةٍ ... من اللحم حتى غُيِّبوا في الغوائبِ[2]

---

(1) الأغاني ـ 14/ 135 ـ 138.

(2) أسهم: التقدير لولا أن ابن محرق جعل الله سهماً في هؤلاء القوم، أي لولا أنه أقسم عليَّ بالله أن أرد إليهم ماغنمه منهم، ما اكثرت عد الأقارب، أي لقلت عدد أقاربي فلم أبق على هؤلاء الذين نالوني بالأذى منهم. غير راتب: غير منتصب. الميرة: الطعام يمتده الإنسان: أي يجلبه.

وحدث أن أغارت يوماً هوازن على بني ليث فأصابت رعاةً لبني ضاطر أقارب ابن الحدادية، وقتلوا منهم رجلاً وسبوا سبياً كثيراً واستاقوا أموالهم فقال مالك بن عوف النصري:

نحن جلبنا الخيل من بطن ليَّةٍ ... وجِلدانَ جُرداً منعلاتٍ ووقَّحا

فغضب ابن الحدادية وجمع وأغار على جموع هوازن فأصاب سبياً ومالاً ثم انصرف وهو يقول:

نحن جلبنا الخيل قُبّاً بطونُها ... تراها إلى الداعي المثوَّب جُنَّحَا
بكل خزاعي إذا الحرب شمرت ... تسربل فيها بردُه وتوشَّحا
قرعنا قشيراً في المحل عشية ... فلم يجدوا في واسع الأرض مسرحا
قتلنا أبا زيد وزيداً وعامراً ... وعروه أقصدنا بها رمروَّحا
وأُبنا بإبل القوم تُحْدَى ونسوةٍ ... يبكين شِلواً أن أسيراً مجرَّحا
غداة سقينا أرضهم من دمائهم ... وأُبنا أُدْمٍ كن بالأمس وُضَّحا[1]

وفي هذه الأبيات يرد ابن الحدادية على مالك بن عوف، واصفاً مزاعمه، مؤكداً عليشجاعته وشجاعة قومه مبيناً ما فعلوه بهوازن من قتل وسبي وجرح وسلب أموال.

وفي نزاع آخر بين الفريقين نفسيهما وبعد غارة من هوازن على خزاعة وَهُم بالمحصب من منى، قتلوا فيها منهم عبداً وعوفاً وأقوم وعُيشان، فقال ابن الاحب العدواني يفخر بذلك:

غداة التقينا بالمحصب من مِنى ... فلاقت بنو العنقاء إحدى العظائم
تركنا بها عبداً وعوفاً وأقوماً ... وعُيشان سوراً للنسور القشاعم

فأجابه قيس بن الحدادية يعيره بأنْ فخر بيوم ليس لقومه:

فخرتَ بيومٍ لم يكنْ لك فخرهُ ... أحاديثَ طسمٍ إنما أنتَ حالم
تفاخِر قوماً أطردتك رياحهم ... أكعب بن عمروٍ، هل يجاب البهائم
فلو شهدتْ أمُّ الصبِيين حملِنا ... وركضهم لأبيضَ منها المقادم

---

(1) الاغاني: 14/ 140.
القبب: دقة الخصر وضمور البطن. التثويب: تثنية الدعاء. جانحة: مائلة. أقصده: طعنهفلم يخطئه. تحدى: تساق. الشلو: كل مسلوخ أكل منه شيء زبقيت منه بقية. أدم: سبايا من النساء. أدم جمع أدما. وضحا: أي بيضاً جمع واضحه. وحرن أدماً لشدة ما قاسين من ذل السبي والغلبة.

غــداة تــولــيــتــم وأدبــر جــمــعــكــم      وأُبْــنــا بــأســراكــم كــأنّــا ضــراغــمُ[1]

وفي هذه الأبيات إحتفاء بالقبيلة واستهزاء باعدائها الذين اثخنوا بالجراح ولاذ قسم منهم بالفرار ولاقى جمع القتل والإبادة، وهذه المساجلات جزء من الحياة الجاهلية القائمة على مثل هذه المنافرات التي بالغ فيها كثيراً، مما دفع بقبيلته إلى خلعه بسوق عكاظ على ألا يحتملوا ذنباً منكراً له، ولا يطالبون احداً بجريرة يجرها على بني قومه، فسحبوا أيديهم منه، إلا أن هذا العقاب لم يفت من عضده ولم يمنعه من الاستمرار في غاراته وجناياتِهِ، بل أقدم على مضاعفة الغارات حتى على بني قومه أنفسهم، وقوى صلاته بالصعاليك أمثالهُ يغير بهم ويعتمد على شجاعتهم وبأسهم وخبرتهم[2]، وقد كان في مواقفه مثال السيد الكريم خلقاً وحكمةً، كقصة الغنائم التي استولى عليها في غارته على بني قمير من قوم خزاعة، ثم ردها اليهم بعد أن ناشده ابن محرق وقد أشرنا إلى هذه الحادثة في مطلع الدراسة.

وشعر قيس عامة يميل إلى الوضوح والسهولة، فهو بعيد عن التعقيد والغرابة، اللهم إلا بعض الالفاظ التي قد تمر أحياناً في سياق القصائد، عكس الشاعر صخر الغي الذي يتعب كثير من شعره الذوق ويجنح إلى الحوشي.ومن أخبار ابن الحدادية، انه لما خلعته خزاعة، تحول عن قومه، ونزل عند بطن من خزاعة هم بنو عدي بن عمرو خالد، فآووه وأحسنوا إليه، مما ترك في نفسه الراحة والطمأنينة فنطق بلسان الشكر وقال يمدحهم:

جــزى الله خــيــراً مــن خــلــيــع مــطــرَّدٍ      رجــالاً حــمــوه آل عــمــرو بــن خــالــد
فــلــيــس كــمــن يــغــزو الــصــديــقَ بــنــوكــه      وَهِــمَّــتــهُ فــي الــغــزوِ كــســبُ الــمــزاود[3]

ثم يدافع عن نفسه، فهو بريء مما نسب إليه من آثام وجنايات:

تــجــنــي عــلــيَّ الــمــازنــان كــلاهــمــا      فــلا انــا بــالــمُــغــضــي ولا بــالــمــســاعــد

شاكراً من الأعماق من آووه ونصروه إنهم الشجعان رجال البأس والهمم:

وقــد حــدبــتْ عــمــرو عــلــيَّ بــعــزِّهــا      وأبــنــائــهــا مــن كــل أروعَ مــاجــدِ
مــصــالــيــت يُــوم الــروع كــسْــبُــهُــم الــعُــلا      عــظــامُ مــقــيــل الــهــامِ شُــعْــرِ الــســواعــد[4]

---

(1) الأغاني ـ 14 / 142 و143.

(2) د.حفني ـ شعر الصعلكة: ص16

(3) النوك: الحمق. الزاود: وعاء الزاد جمع مزود.

(4) الأغاني: 14/ 144 و145.

أولـئـك إخـوانـي وجُـلُّ عـشـيـرتـي وثـروتُـهُـمْ والنَـصرُ غـيرُ الـمحـارد[1]

وأطول قصائد قيس جاءت في باب الغزل، فقد هام بفتاة اسمها نُعم بنت ذؤيب، وله فيها عينية جميلة هي مزيج من طريقتي عمر بن أبي ربيعة وجميل بثينة فمن طريقة جميل ذلك المنع والصد والوشاة ولوعة البعاد، الذي كان يعاني منه أحياناً، ومن طريقة عمر ذلك الأسلوب القصصي الذي يسود قصيدته مضمناً بعض البوح والهوى.

قال ابن الحدادية متبرماً ضجراً من بُعْدِ نعم وصعوبة نوالها وذلك بعد ان نأت عنه مع اهلها بعد ان خرجوا إلى مصر والشام لأنهم أجدبوا:

أجـدَّكَ إنْ نُـعـمٌ نـأتْ أنـتَ جـازعُ قـد اقـتـربـتْ لـو أن ذلـك نـافـعُ

قـد اقـتـربـتْ لـو أن فـي قـربِ دارهـا نـوالاً ولـكـنْ كـلُّ مـن ضَـنَّ مـانـعُ

وقـد جـاورتـنـا فـي شـهـورٍ كـثـيـرة فـمـا نَـوَّلـتْ والـلـهُ راءٍ وسـامـعُ

ثم يقول: بكت من حديث

يـطـيـف بـهـا حـرانُ صـادٍ ولا يـرى إلـيـهـا سـبـيـلاً غـيـرَ أن سَـيُـطَـالـعُ

بـأطـيـبُ مـن فـيـهـا إذا جـئـتَ طـارقـاً من الليل واخضلَّتْ عليك المضاجعُ

وحـسـبُـكَ مـن نـأيِ ثـلاثـةِ أشـهـرٍ ومـن حَـزَنٍ أن زاد شـوقُـكَ رابـعُ

ألا قـد يُـسَـلِّي ذو الـهـوى عـن حـبـيـبـه فَـيَـسْـلَى وقـد تُردي الـمِطِّي الـمطـامعُ

ومـا راعـنـي إلا الـمـنـادي ألا اظـعـنـوا وإلا الـرواغـي غُـدوةً والـقـعـاقـعُ

بـكـى مـن فـراق الـحـي قـيـس بـن مُـنـقـذ واذراءُ عـيـنـي مـثـلـه الـدمـع شـائـعُ[2]

وأخيراً ظل هذا الصعلوك يجمع حوله الخلفاء والمتصعلكين ويغير بهم على قومه وغيرهم حتى قتل وهو خليع، وذهب شجاعاً نبيلاً.

وخلال المعركة التي قتل فيها، ذكرت المصادر أنه لقي جمعاً من مزينة يريدون الغارة على بعض من يجدون منه غرَّة، فقالوا له استأسر، فقال، وما ينفعكم مني إذا استأسرت وأنا خليع، والله لو أسرتموني ثم طلبتم بي من قومي عنزاً جرباء

---

(1) الثروة: كثرة العدد بين الناس المال غير المحارد: غير المنقطع وأصله من حاروت الإبل حرادا: انقطعت ألياتها أو قلّتْ.

(2) الاغاني 14/ 146 ـ 150.

حران صاد: عطشان. اخضلت: نديت. رغت الناقة: رغاء فهي راغية والجمع رواغي. والقعاقع: تتابع أصوات الرعد في شدة، والمراد هنا أصوات تقريض الأخبية تأهباً للرحيل.

جذماء ما أُعطيتموها، فقالوا له: استأسر لا أُم لك، فقال: نفسي عليَّ أكرم من ذاك، وقاتلهم حتى قتل وهو يرتجز:

أنا الذي تخلعه مواليهْ ... وكلهمْ بعد الصفاءِ قاليهْ

وكلهمْ يقسمُ لا يباليه ... أنا إذا الموتُ ينوبُ غاليهْ

مختلطٌ أسفلُه بعاليهْ ... قد يعلمُ الفتيان أني صاليهْ

إذا الحديدُ رفعتْ عواليه[1]

وذكرت رواية أخرى، إنه كان يتحدث إلى امرأة من بني سُليم، فأغاروا عليه وفيهم زوجها، فأفلت، فنام في ظل وهو لا يخشى الطلب، فاتبعوه فوجدوه، فقاتلهم، فلم يزل يرتجز وهو يقاتلهم حتى قتل[2].

---

(1) الاغاني: 14 / 151 و152. قاليه: مبغضة. الغالي في أمره: المبالغ فيه.
(2) الأغاني 14/152.

# مالك بن حَرِيم الهمداني
# (مفزع الليل)[1]

مالك بن حريم من بني دالان، الهمداني، شاعر همدان في عصره، وفارسها وصاحب مغازيها، جاهلي يماني، كان يقال له مفزع الخيل، وهو أحد وصافي الخيل المشهورين. ولا نعلم شيئاً عن سنة ولادته ووفاته أو مكان ولادته.

تصفه الروايات بأنه من لصوص همدان، علماً أن أخباره تكشف عن أن طريقته في الصعلكة كانت تعتمد على الغارات أكثر من التلصص.

كما أن شعره يقدمه لنا صاحب شخصية قوية كريمة خليقة تلتزم القيم الإنسانية العليا، ففي جانب كبير من شعره تأكيد على التمسك بالجوانب الأخلاقية، وحديث عن العفة والخلق. وقد عده النقاد من فحول الشعراء، وهو من القلة الذين رويت لهم قصائد طويلة من شعراء الصعاليك، وقد روى له الأصمعي في أصمعياته إحداها وتبلغ أربعين بيتاً، وكان بينه وبين عمرو بن معد يكرب مواجهات ومنازعات شعرية.

ومن القيم الانسانية العليا التي كان يحرص عليها مالك، الكرم، وهو يفتخر بها، ولا ينسى ما للعرب من مفاخر في هذا الميدان، فالكرم العربي في نحر الأبل مشهود له، فكانوا يعطلون البعير، إذا عجز عن السير والعمل ثم ينحرونه ويطعمونه الناس إن سمن[2]:

إذا ما بعير قام علق رحله    وإن هو أنقى ألحموه مقطعا

(1) الاعلام للزركلي: 5/ 260

(2) الأصمعيات: 59. د. حفني. الشعراء الصعاليك. ص256. قام: عجز عن السير. أنقى: سمن، ورواية الأصمعي أبقى.

أما أسفاره وتنقلاته في الصحراء فهي قصية الأبعاد، سعياً وراء الغارات على القوافل، وها هو يصف تجوالهم وحثهم المطي في التنقل والاسفار، حتى أنهم يتركون أولاد إبلهم حيث تولد في الطريق ويرحلون عنها، حتى لا تؤخر سفرهم وتعيقهم عن مهامهم[1]:

فمن يأتنا أو يعترض بسبيلنا ... يجد أثراً ودعساً وسخلاً موضعا

وخلال رحلاته وتنقلاته مع أصدقائه، يصف صراعهم مع أعدائهم وشفاء نفوسهم وتشفيهم بدماء الاعداء، كما يتحدث عن بسالتهم في طلب الثأر والدفاع عن النفس حيث يقول[2]:

نريد بني الخيفان إن دماءهم ... شفاء وما وإلى زبيد وجمعا

يقود بأرسان الجياد سراتنا ... لينقمن وتراً أو ليدفعن مدفعا

وفي مكان آخر ومن قصيدة عينية، يقول ان طلبه للثأر حرمه من النوم ونغص عليه حياته[3]:

لم أك فيها لما بليت بها ... نؤوم ليل يغرني الطمع

ومالك بن حريم، مستعد دائماً، فقد جعل الحذر ديدنه واهتمامه، حتى لا يفاجأ بغارة أو هجوم، إذن هو متيقظ محترس إلى أبعد الحدود، ولأدنى حركة من سوائم حي، عندئذٍ يشعر أنها غارة الأعداء، فلا يفاجأ، أو يؤخذ بغتة[4]:

فواحدةٌ ألا أبيتُ بغرة ... إذا ما سوأم الحي حولي تضوعا

ولا تخلو حياة الشاعر من منغصات، وها هو ابن حريم يستعرض همومه وأحزانه على قتل أخيه، ويوازن بين همه وغمه وانقباضه، وهم الناس، فلا يرى اية موازنة، أو تماثل بينهما حتى أصبح ينظر في أوجه الرجال فلا يعرف شيئاً، كما اضحى الفراش غريباً عليه، ولم يعد ينفعه نوم فيه[5]:

---

(1) الاصمعيات ـ 59. د. حفني ـ الشعراء الصعاليك ـ ص255.
السخل: ولد الناقة.

(2) الاصمعيات: ـ 60. وتمثل هذه القصيدة ذكرياته كصعلوك. د. حفني ـ ص290.

(3) الاصمعيات: ـ 60. أمالي القالي ـ 2/ 120.

(4) الاصمعيات ـ 58. د. حفني ـ الشعراء الصعاليك ـ 276.
وواحدة: يعني إحدى صفاته المميزة. الغرة: الغفلة. السوام: السوائم. تضوع: فزع.

(5) أمالي القالي: 2/ 120. ود. حفني ـ الشعراء الصعاليك. ص296.

لا أسمع اللهو في الحديث ولا ينفعني في الفراش مضطجع
لا وَجْد ثكلي كما وجدتُ ولا وجدٌ عجول أضلها ربع
أو وجدُ شيخ أضلَّ ناقته يوم راح الحجيج إذا دفعوا
ينظر في وجه الرجال فلا يعرف شيئاً فالوجه ملتمعُ

إلا أنه ينتحي ويعتز بسيفه الذي يشبه الملح، وقد أطاح به بسيد اعدائه وزعيمهم[1]:

بني قمير قتلتُ سيدكم فاليوم لا فديةٌ ولا جزع
جللته صارمَ الحديدة كالملح وفيه سفاسقٌ لمع

كما يعتز بسيوف قومه، فيصفهم عند ما يشرعون سيوفهم البيض ويضربون بها ضرباً شديداً[2].

والبيض تلمع بينهم تعصو بها الفرسان عَصْوا

ولمالك بن حريم آراء في الفقر والغنى، فالمال يرفع الخسة ويمنع الذل، ويجعل الوضيع مهاباً والذميم حميدا، والفقر بشكل عام مذلة لصاحبه، يفضحه بين الناس، تلك المواقف استقاها من تجاربه في الحياة، وتعلمها من الدهر حيث يقول[3]:

أنبئتُ والأيامُ ذاتُ تجاربِ وتبدي لك الأيامُ ما لستَ تعلمُ
بأن ثراءَ المالِ ينفعُ ربه ويثني عليه الحمدُ وهو مذممُ
وإن قليلَ المال للمرء مفسدٌ يحزكما حز القطيع المحرم
يرى درجاتِ المجد لا يستطيعها ويقعد وسط القوم لا يتكلم

ومن مجموعة قيمة أنه قادر على اخذ الحق لكل مغدور، ومن كل متمنع رافض[4]:

وآخذ للمولى بها إذا ضيم حقه من الأعيط الآبي إذا ما تمنعا

وانه مثال العفة والاستقامة، هكذا في حبه، وفي عفة هذا الحب[5]:

---

(1) أمالي القالي: 2/ 120. د. حفني الشعراء الصعاليك. ص218.
سفاقس: طرائفه المسماة الفرند.
(2) د. حفني ـ شعر الصعاليك ـ ص218.
(3) حماسة أبي تمام. د. حفني ـ شعر الصعاليك ـ ص189.
(4) الأصمعيات ـ ص58. الأعيط الآبي.
(5) الأصمعيات ـ 58. د. حفني ـ ص340

أهيمُ بها لم أقض منها لبانة ... وكنت بها في سالف الدهر موزعا

حتى أنه يعف عن التطلع إلى جارته، ويأبى على نفسه إيذاءها أو النيل منها في شرفها وعرضها، ويجعل ذلك صفة من صفات أربع يلتزم بها في نفسه وممارسته الحياتية[1]:

وثالثة لا تقذع جارتي ... إذا كان جار القوم فيهم مقذعا

وليست العفة إلا جانباً مضيئاً من جوانب كثيرة خلاقة في أدب الصعاليك وقناعاتهم وممارساتهم، وهي أصيلة في أنفسهم، جزء من خلقهم الاجتماعي والشخصي، فمالك بن حرِيم يكرم نفسه عن هنات كثيرة، يأبى أن يمارسها حفاظاً على موقعه وكرامته، وأبرزها البخل الشديد[2]:

وأُكرم نفسي عن أمور كثيرة ... حفاظاً وأنهي شحها أن تطلعا

إذن هو كريم لا يحجب قدره وطعامه عن احد عندما تشتد حاجة الناس في الشتاء إلى الطعام، وتلك مكرمة أخرى من المكارم التي عاهد مالك نفسه عليها، فليس من الخلق في شيء، ولا من العدل أن يشبعوا هم والناس ترزح تحت وطأة الجوع[3]:

ورابعةٍ ألا أُحَجِّلَ قِدرنا ... على لحمها حين الشتاءُ لنشبعا

وفي مكان آخر من القصيدة، يتحدث عن أصدقائه الذين أعرضوا عنه عندما رأوا شيبه، ومالوا إلى سواه، ممن يعتبرونه أكثر نفعاً لهم وأشد مساعدة وعونا، فيقول عن اخوان صفائه[4]:

وأقبل إخوان الصفاء فأوضعوا ... إلى كل أحوى في المقامة أفرعا

ونختم بهذه المقطوعة المليئة بالقيم والمناقب الطيبة والمزايا الإنسانية الخالدة، التي تبني المجتمع وتغني الحياة وتوفر السلام والمحبة، إنه دستور الصعاليك الاجتماعي والأخلاقي[5]:

وأوصاني الحريمُ بعزِّ جاري ... وامنعُهُ وليس به امتناعُ

---

(1) الاصمعيات ـ ص58. د. حفني شعر الصعاليك ـ ص340.

(2) الأصمعيات ـ ص58.

(3) الأصمعيات ـ ص59. د. حفني ـ شعر الصعاليك. ص349.

(4) الأصمعيات ـ 57. د. حفني ـ شعر الصعاليك ـ ص336 و337.

(5) ياقوت الحموي ـ معجم البلدان 1/ 106

وأدفـعُ ضـيـمَـهُ وأذودُ عـنـه ... وامـنـعـه إذا امـتـنـعَ الـمـنـاعُ
فـدى لـكـم أبـي عـنـه تـنـحـوا ... لأمـرٍ مـا اسـتـجـار بـي الـشـجـاع
ولا تـتـحـمـلـوا دمَ مـسـتـجـيـرٍ ... تـضـمَّـنَـهُ أُجـيـرةُ فـالـتِّـلاعُ
فـإنَّ لِـمـا تـرون خَـفِـيٌّ أمـرٍ ... لـه مـن دون أمـركـمُ قِـنـاعُ

وبيت القصيد في هذه المقطوعة «أُجيرة» وهو مكان على طريق عكاظ قريب من مكة، وما جرى فيه، أن مالكاً بن حريم الهمداني خرج في الجاهلية ومعه نفر من قومه، يريد عكاظ، فاصطادوا ظبياً في طريقهم، وكان قد أصابهم عطش كثير، فانتهوا إلى مكان يقال له اجيرة (تصغير أجرة) فجعلوا يقصدون دم الظبي ويشربونه من العطش، حتى أنفدَ دمُه، فذبحوه، ثم تفرقوا في طلب الحطب، ونام مالك في الخباء، فأثار أصحابه شجاعاً، فانساب حتى دخل خباء مالك، فاقبلوا وقالوا: يا مالك، عندك الشجاع فاقتله، فاستيقظ مالك وقال: أقسمتُ عليكم إلا كففتم عنه! فكفوا، فانساب الشجاع فذهب، ثم انشأ مالك يقول الأبيات التي ذكرناها، وما لبثوا ان ارتحلوا وقد أجهدهم العطش، فإذا هاتف يهتف بهم قائلا[1]:

يـا أيـهـا الـقـومُ لا مـاءٌ أمـامـكـم ... حتى تسوموا المطايا يومَها التعبا
ثـم اعـدلـوا شـامـةً فـالـمـاءُ عـن كـثـبٍ ... عـيـنٌ رواءٌ ومـاءٌ يُـذهـبُ الـلَّـغَـبـا
حـتـى إذا مـا أصـبـتـمْ مـنـهُ ريَّـكـمُ ... فـاسقـوا الـمـطـايا ومـنـه فـامـلأوا القِربا

فعدلوا شامة فإذا هم بعين خرارة، فشربوا وسقوا إبلهم وحملوا منه في قربهم، ثم أتوا عكاظاً فقضوا أربهم ورجعوا، فانتهوا إلى موضع العين، فلم يروا شيئاً، وإذا بهاتف يقول:

يـا مـالِ عـنـي جـزاكَ الـلـهُ صـالـحـةً ... هـذا وداعٌ لـكـم مـنـي وتـسـلـيـمُ[2]
لا تزهدَنَّ في اصطناعِ العُرْفِ عن أحَدٍ ... إن الـذي يـحـرمُ الـمـعـروفَ مـحـرومُ
انـا الـشـجـاعُ الـذي أنـجـيـتَ مـن رهـقٍ ... شـكـرتُ ذلـك إن الـشـكـرَ مـقـسـومُ
مـن يـفـعـلِ الـخـيـرَ لا يـعـدمْ مـغـبَّـتـهُ ... مـا عـاشَ والـكـفـرُ بـعـد الـعُـرفِ مـذموم

---

(1) ياقوت الحموي ـ معجم البلدان 1/ 106.

(2) مال: المقصود بذلك مالك بن حريم نفسه، وقد أتت هذه الأبيات رداً على المعروف الذي أسداه مالك إلى الشجاع عندما أنقذه واطلقه، والعبرة من هذه الحكاية ان المعروف لا يضيع أثره، وأن مالكاً أعطى في هذا الموقف صورة بهية عن بعض مزايا وقيم الصعلكة في الجاهلية.

## الباب الثاني

# الشعراء المخضرمون
# المرحلة الجاهلية ـ الإسلامية

# الأبح بن تميمٍ الهذلي

هو الأبح أخو الشاعر أبي خراش الهذلي، من الشعراء الصعاليك اللصوص، أدرك الجاهلية والإسلام، شارك مع أخيه أبي خراش في اعمال الصعلكة من الاغارة والسلب وقطع الطرق.

أُسر الأبح في إحدى غاراته وتنقلاته في دار بعرعر من ضيم، فُذكر لسارية بن أبي زُنيم العبدي أحد بني عبد بن عدي بن الديل، فخرج يقوم من عشيرته يريده ومن معه، فوجدوهم قد ظعنوا، وكان بين بني عبد عدي بن الديل وبينهم حرب، فقال الأبح في ذلك[1]:

لـعـمـرُكَ سـاريَ بـن أبـي زنـيـمٍ لأنـتَ بـعـرعـرِ الـشـأرِ الـمـنـيـمُ

تـركـتَ بـنـي مـعـاويـة بـن صـخـرٍ وأنـتَ بـمـربـعٍ وهـم بـضـيـمْ

تـسـاقـيـهـم عـلـى رصـفٍ وظـرٍ كـدابـغـةٍ وقـد حـلِـمَ الأديـمُ

فـلـم تـتـركّـهُـم قـصـداً ولـكـنْ مـزقـتَ عـن الـمـصـالـتِ كـالـنـجـومِ

رأيـتـهـم فـوارسَ غـيـرَ عُـزلٍ إذا شـرقَ الـمـقـاتـلُ بـالـكـلـومِ

---

(1) الأغاني ـ 21/ 245 و246.

ـ في البيت الأول إقواء وكذلك بالثالث.

ـ رصف وظر ماءان في جزيرة العرب وكذلك مربع وضيم موضعان.

ـ المصالت: الشجعان جمع مصلت أو مصلات.

# أبو جندب الهذلي

شاعر صعلوك من شعراء بني هذيل، مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، كان اشد إخواته، وكان صاحب غارات وتلصص وصعلكة، وذا شر وبأس، وكان قومه يسمونه المشؤوم، اشتكى شكوى شديدة، وكان له جار من خزاعة يقال له حاطم، فوقعت له بنو لحيان، فقتلوه، قبل أن يستبِلَّ أبو جندب من مرضه، واستاقوا أمواله، وقتلوا امرأته، وكان أبو جندب كلَّم قومه فجمعوا لجاره غنماً، فلما أفاق أبو جندب من مرضه خرج من اهله حتى قدم مكة، ثم جاء يمشي حتى استلم الركن، وقد شق ثوبه من خلف، فعرف الناس أنه يريد شراً، فجعل يصيح ويقول[1]:

إنـي امـرؤ أبـكـي عـلـى جـاريـة     أبـكـي عـلـى الـكـعـبـي والـكـعـبـيـة

فلما فرغ من طوافه وقضى حاجته من مكة خرج في الخلعاء من بني بكر وخزاعة، فاستجاشهم على بني لحيان، فقتل منهم قتلى، وسبى من نسائهم وذراريهم سبايا، فقال في ذلك[2]:

لـقـد أمـسـى بـنـو لـحـيـان مـنـي     بـحـمـدِ الله فـي خـزيٍ مـبـيـنِ
تـركـتـهـم عـلـى الـركـبـات صـغـراً     يـشـيـبـون الـذوائـبَ بـالأنـيـنِ

لقد أوقع ببني لحيان، وأذلهم، حتى شابت ذوائبهم من الأنين والألم.

ومن أخبار أبي جندب أنه كان جاور بني نفاثة بن عدي حيناً من الدهر، ثم هموا بأن يغدروا به، وكانت له أبل كثيرة فيها أخوه جَنَّاد، فراح عليه أخوه ذات ليلة وإذا به كلوم، فقال له ابو جندب، ما لك، ضربني رحل من جيرانك، فذهب

(1) الأغاني 21/ 250.
(2) الأغاني 21/ 250.

أبو جندب إليهم وعاتبهم، فظنوا أنه يهددهم، وأخذوا يتوعدونه ففطن للذي يريد القوم من الغدر به، ويقول في ذلك[1]:

أقـلّ الله خـيـرَهُـم ألـمـا | يـذعُـهـمْ بـعـضُ شـرهِـم الـقـديـمِ
ألـمـا تـسـلـم الـجـيـرانُ مـنـهـم | وقـد سـالَ الـفـجـاجُ مـن الـعـمـيـمِ
غـداةَ كـأنَّ جـنَّـاد ابـن لـبـنـى | بِـه نـضـخُ الـعـبـيـرِ مـن الـكـلـوم
دعـا حـولـي نـفـاثـةُ ثـم قـالـوا | لـعـلـك لـسـت بـالـثـأر الـمـنـيـمِ[2]

(1) الأغاني 21/ 249.
(2) المنيم: الذي إذا أُدرك استراح أهله.

# أبو خراش الهذلي
## ... ـ نحو 15 هـ ... ـ نحو 636م

اسمه خويلد بن مره، أحد بني قرد، واسم قرد، عمرو بن معاوية بن تميم بن نزار شاعر فحل من شعراء هذيل، مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، فأسلم، وعاش بعد النبي محمد ﷺ مدة، ومات في خلافة عمر بن الخطاب، بسم أفعى نهشته وقضت عليه. وكان ممن يعدو فيسبق الخيل في غارات قومه وحروبهم، يروى أنه دخل مكة، وللوليد بن المغيرة المخزومي فَرَسَان يريد أن يرسلهما في الحلبة، فقال للوليد: ما تجعل لي إن سبقتهما؟ قال: إن فعلت فهما لك، ثم سبقهما فأخذهما[1].

وأبو خراش أحد عشرة أخوة كلهم عداء لا تسبقه الخيل، أسلم وهو شيخ كبير، ولم تثبت له صحبة بالنبيﷺ.

كما انه من الشعراء المجيدين، وقد تمثل النبي ﷺ ببعض شعره، فقد كان يقول وهو يسعى بين الصفاة والمروة:

لا هـــم هـــذا خـــامـــس إن تَـــمَّـــا أتـــمـــهُ الـــلـــهُ وقـــد أتـــمـــا

أن تـــغـــفـــرِ الـــلـــهـــمَ تـــغـــفـــرْ جَـــمَّـــا

إذن أبو خراش من الشعراء الفتاك الصعاليك، رسم الإسلام بعد الدعوة النبوية سلوكه وحال بينه وبين مواقف كثيرة كان يقفها في مرحلة الجاهلية.

وسنعود إلى إسلامياته فيما بعد، ولكن دعنا نتلمس صعلكته في جاهليته، إذ كان له فيها باع طويل، كان رفيق الصحراء نديم الوحوش، له عدة الصعلكة وأسلحة المواجهة، يقظ محترس في صحراء فيها الأسرار كلها.

---

(1) الأغاني ـ 21/ 233. الاعلام للزركلي ـ 2/ 325. ابن قتيبة ـ الشعر والشعراء ص445.

ويبدو أن أبا خراش كان فقيراً معدماً، وهذا من أسباب صعلكته وفتكه وإغاراته. وكان قد نزل على دُبية السلمى صاحب العزى التي في غطفان، فأحسن ضيافته وأكرمه، ورأى في رجليه نعلين قد أخلقتا، فأعطاه نعلين حسنين من حذاء السبت فقال أبو خراش يمدحه[1]:

حَذاني بعدما خذِمت نعالي ... دُبَيَّةَ إنه نعم الخليلُ
بمثلهما يروح يريد لهواً ... ويقضي الهم ذو الأرب الرَّجيلُ
فنعم معرَّسُ الأضياف ترمي ... رحالهم شآمية بليلُ
يقاتل جوعهم بمكلَّلاتٍ ... من الفُرنيِّ يرعبها الجميلُ[2]

ومن أخبار فقره المدقع وعزةَ نفسه في وقت واحد، أن أبا خراش أفقر من الزاد أياماً، فمر بامرأة من هذيل جزلة شريفة، فأمرت له بشاة فذبحت وشويت، فقرقرت بطنه لرائحة الطعام الشهية، فضرب بيده على بطنه وقال: إنك لتقرقر لرائحة الطعام، واللهِ لا طعمت أو طعمت منه شياً، ثم قال: يا ربة البيت، هل عندكِ شي من صبر مُر، قالت: تصنع به ماذا؟ قال: أريده، فأتته منه بشيء، فاقتمحه، ثم اهوى إلى بعيره فركبه، فناشدته المرأة فأبى، فقالت له، يا هذا، هل رأيت بأساً أو انكرت شيئاً قال: لا والله، ثم أنشد[3]:

وإني لأثوي الجوع حتى يملَّني ... فأحيا ولم تدنسْ ثيابي ولا جرمي
واصطبحُ الماءَ القراحَ فأكتفي ... إذا الزادُ أضحى للمزلَّج ذا طعم
أردُّ شجاعَ البطن قد تعلمينه ... وأؤثر غيري من عيالكِ بالطعمِ
مخافةَ أن أحيا بِرَغمٍ وذلةٍ ... فللموت خيرٌ من حياة على رَغمِ

وعندما يشتد به الفقر تتنكر زوجته منه وتبدي له الازورار والاحتقار، فينظم ميمية خاطبها بها، ليخفف من غضبها، ويردها إلى الحكمة والتعقل[4]:

---

(1) الأغاني 21/ 235. ديوان الهذليين ـ 2/ 127.

(2) يرعبها: يملؤها. الفرني: خبز غليظ نسبة إلى الفرن. حذاني: ألبسني نعلاً. خذمت: تقطعت. الرجل: القوي على المشي.

(3) الأغاني 21/ 239. ديوان الهذليين 2/ 127.
اقتمحه: سَفَّه، او أخذ في راحته فلطمه. أثويه: أطيل حبسه عندي. الجِرم: الجسد. يقول لم يلحقني عار. المزلج: الذي ليس بالمتين. والمزلج من الرجال: الذي ليس بالتام.

(4) ديوان الهذليين: 2/ 128 ـ 129 و130.
المخامص: جمع مخمصة، من الجوع ـ المعدان: الجنبان. يعني أنها رأته ناحلاً من الجوع فتطلعت إلى شاب مكتنز اللحم حتى لو ضرب جنباه لكان لهما رنين من اكتناز اللحم والشحم. =

رأت رجلاً قد لوحته مخامص وطافت برنّانِ المَعَدَّيْنِ ذي شحم
تقول فلولا أنت أنكحت سيداً أُزَفُّ إليه أو حُمِلْتُ على قِرم
أفاطم إني أسبقُ الحتفَ مقبلاً وأتركُ قرني في المزاحِف يستدمي

كنت قد ذكرت ان لأبي خراش عشرة إخوة، هم أبو جندب وعروة والأبح والأسود وأبو الأسود وعمرو وزهير وجناد وسفيان، وكانوا جميعاً شعراء دهاة سراعاً لا يدركون إذا عدوا.

ويصرخ أبو خراش بأنه لولا سرعة عدوه لفجعت امرأته وابنه به،[1]:

ولو لا دِراكُ الشدِّ قاظت حليلتي تخيَّرُ من خطَّا بها وهي أيِّمُ
فَتَقعُدُ أو تَرضى مَكاني خَليفَةً وَكادَ خِراشٌ يَومَ ذِلِكَ يَيتَمُ

ثم إنه لا يرضى بالبشر طرفاً ثانياً في مباراة العدو، ليقينه أن لا أحداً يسبقه، انما يباري حمار الوحش ثم يسبقه في عدوه[2]:

أقبلت لا يشتد شدي واحد عِلجٌ أقبُّ مسيَّرُ الأقراب[3]

وهاك هذه الصورة الفنية لأبي خراش عن جماعة من العدائين يحاول كل منهم ان يكون السبَّاق، وألا يتخلف عن رفاقه لئلا يفتضح بينهم، وهم ذاهبون للغزو في ليلة ماطرة تبتل منها الأقدام، وتتكسر الأشجار من وقعها فتتجمع حتى تصبح أكواماً تشبه أوساط الإبل السود[4]:

وليلةِ دَجن من جمادى سريتها إذا ما استهلت وهي ساجيةٌ تهمي
وشوْطٍ فِضاح قد شهدتُ مشايحاً لأُدرك ذحلاً أو أشِيف على غُنمِ
إذا ابتلت الأقدام والتفَّ حولها عثاءٌ كأجواز المقرَّنةِ الدُّهم

وفي صورة أخرى اكثر جمالاً وروعة، يصور أبو خراش ابنه بطائر خفيف

---

= واحد المزاحف مزحف وهو موضع القتال.

اسبق الحتف: أرى القوم مقبلين يريدونني فأنجو منهم وأسبقهم عدوا. وقوله مقبلاً أي مقدِما.

(1) ديوان الهذليين ـ 2/ 148. د. خليّف: صعاليك العصر الجاهلي ـ 216.

دراك الشد: سرعته ـ قاظت: أتت عليها صيفة.

(2) ديوان الهذليين: 2/ 169. د. خليّف: صعاليك العصر الجاهلي ـ 216.

(3) العلج: حمار الوحشي السمين القوي. الأقب: الضامر البطن. مسير الأقراب: مخطط الخاصرتين.

(4) ديوان الهذليين ـ 2/ 130.

شوط فضاح: أي إن سبق فيه رجل افتضح. المشاريح: الجاد الحامل في لغة هذيل. أشيف على غنم: أشرف. كأجواز: كأوساط الدهم من الإبل. الدَّجن: إلباس الغيم الأرض.

العظم قليل اللحم، يجِدُّ في الطيران ليصل إلى وكره هرباً من قوم يطاردونه بعد أن شنَّ غارة عليهم، وكان الليل قد أرخى سدوله[1]:

كأنهم يَتَشَبَّثون بطائرٍ خفيف المُشَاش عظمه غير ذي نحضِ

يبادر قرب الليل فهو مُهَابذ يحث الجناح بالتبسط والقبضِ

وفي غاراته وفتكه، لا يكتفي أبو خراش بارتياد اعماق الصحراء ومفازاتها، بل يهدي اصدقاءه في الليالي الحالكة إلى أماكن نائية صعبة[2]:

وإني لأهدي القومَ في ليلةِ الدجى وأرمي إذا ما قيلَ هل من فتى يرمي

ولعل أروع ما تهبه الصحراء وما فيها لمرتادها، واجمل ما تنسقه شعابها وعالمها المدهش المخيف في آن معاً، هو هذه اللوحات الشعرية التي ترصفها أيدي الشعراء الموهوبين، فلننظر ولنستمع إلى هذه الصورة الخلابة التي يُرسمها خيال ابي خراش الهذلي، لحمار الوحش وأتنه التي بان حملها، وهو يصاولها ويتبعها وهي تتأبى له، ثم ينتقل إلى الجانب النفسي والشعوري في حياة هذا الحيوان، والقلق الذي يساوره والذعر الذي ينغص عليه حياته، الذعر من الصيادين الذين يهددونه في كل لحظة، ويصور أبو خراش بدقة متناهية منظر هذا الحمار الوحشي، وقد اعتلى ربوة من الأرض يشرف منها على الأفاق مستطلعاً ما حوله ليكون على أهبة مما يراقبه ويخشاه، ممتلئاً خوفاً وهما، ويظل على هذا المنوال حتى إذا آذنت الشمس بالمغيب بعد يوم شاق شديد الحر، تذكر إناثه، فأخذ يطاردها مرة أخرى وهي تعدو أمامه وتثير خلفها غباراً صحراوياً كنسيج أو خيوط لم تلمسها يد نساج[3]:

أرى الدهر لا يبقي على حدثانه أقبَّ تباريه جَدائدُ حُولُ

أبن عِقاقاً ثم يرمحن ظلمَهُ إباءً وفيه صولة وذميل

يظل على البرز اليفاع كأنه من الغار والخوف المحِمِّ وبيلُ[4]

وظل لها يوم كأن أواره ذكا النار من فَيْح الفروع طويلُ

---

(1) ديوان الهذليين 2/ 159. د. خليف: صعاليك العصر الجاهلي ـ ص224.

المشاش: رأس العظم الممكن المضغ. النخض: اللحم او المكتنز منه. المهابذ: الذي يسرع في طيرانه.

(2) ديوان الهذليين 2/ 159.

(3) ديوان الهذليين 2 / 118 ـ 120.

(4) البرز: ما يبرز للشمس. اليفاع: مارتفع وما فوق من الارض. الوبيل: العصا الغليظة. الإبالة: حزمة من حطب.

فلما رأين الشمس صارت كأنها ... فويق البضيع في الشعاع خميلُ
فهيَّجَهَا وانشام نقعاً كأنه ... إذا لفها ثم استمر سحيلُ[1]

وتفسح له صعلكته وتأمله للصحراء معرفة جميع ألوان الصراع الذي يدور بين كائناتها الحية، الصراع على الوجود والطعام والحياة، وقد اتخذ مثلاً الصراع بين صقر وأرنب، فبعد أن رأى الصقر من المرتفع الذي يقف عليه أرنباً ترتع بين شقوق الأرض، هوى إليها، فأسرعت لتنجو منه، إلا أنه ضاعف من سرعته وانقض والتهمها، ولعل ميزة أبي خراش الملفتة، الملاحظة الشديدة التي يوليها لكل شيء في الصحراء، ودقة الوصف لديه، وتتبع دقائق الأمور، إنها فؤائد هامة يسرتها له الصعلكة، حيث ميدانها الرحب تلك الفيافي والبيد التي تشكل جزءاً أساساً من جزيرة العرب[2]:

ولا أمعرَ الساقين ظلَّ كأنهُ ... على مُحْزَئلَّات الإكام نصيلِ
رأى أرنباً من دونها غولُ اشرُجٌ ... بعيدٌ عليهن السرابُ يزولُ
فضم جناحيه ومن دون ما يرى ... بلادٌ وحوشُ أمرُعٌ ومحمولُ
تُوائل منه بالضَّراء كأنها ... سفاةٌ لها فوق التراب زليلُ
يقربه النهضُ النجيحُ لما يرى ... ومنه بدُوٌ تارةً ومثولُ
فأهوى لها في الجوِ فاضلَّ قلبَها ... صيودٌ لحباتِ القلوبِ قتولُ[3]

وكم تمزقت في طريقِ الاغارات والسلب نعال أبي خراش، حتى غدت إحداها كالهيكل العظمي لطائر أُكِل لحمه، ودائماً أبو خراش فتى الوصف والملاحظة، ففي نعله من الثقوب والخروق ما يشبه الفروق بين الأضلاع والعظام والأجنحة، لذلك كان يهملها ويسير على قدميه في أيام الوحل والمطر والندى[4]:

---

(1) الأوار: الوهج. ذكا النار: اشتعالها. يفيح من فروعه. أي من مجراه الذي يجري منه كمثل فرغ الدلو. البضيع: الجزيرة في البحر. يقول: صارت الشمس حين دنت للغروب كأنها قطيفة لها حمْلٌ شعاعها. أنشام نقعاً: دخل فيه. أي دخل في نقع كأنه هذا النسيج قبل أن ينسج. النقع الغبار السحيل/ خيط لم يُرم شبه به الحمار.

(2) أمعر الساقين: لا ريش عليهما. المحزئل: المرتفع. النصيل: حجر طويل أملس يجعل في البئر. الأشرج: شقوق تكون في الأرض بعيدة طول. غول: ذات بعد. يزول: يتحرك. بلاد وحوش: أي بلاد واسعة تسكنها الوحوش.

(3) توائل: تتوارى لتنجو منه. الضراء: ما واراك من الشجر. السفاة: الشوكة. وفوق التراب زليل: أي من خفتها تزل فوق الأرض. اختَلَ قلبها: انتظمه.

(4) ديوان الهذليين: 2/ 131. د. حفني الشعراء الصعاليك ص187.
نعل كأشلاء السماني: أي تقطعت. الرهم: المطر الضعيف الساكن اللين والواحدة رهمة.

ونـعـلٍ كـأشـلاءِ الـسـمـانـي نـبـذْتَـهـا خـلافَ نـدى مـن آخـرِ الـلـيـل أورهـم

وإن كان من عدة لأبي خراش في صعلكته، فهي عَدْوُه أولاً، ولم يقتن الخيل كثيراً لأنه لم يكن بحاجة إليها، فرجلاه تغنيان عنها، وكان له سيف حاد مصقول على حد قوله[1]:

ولـو لا نـحـن أرهـقـه صـهـيـبُ حـسـام الـحـد مـذروبـاً خـشـيـبـا

بـه نـدع الـكـمـي عـلـى يـديـه يـخـرُ تـخـالـه نـسـراً قـشـيـبـا

ثم في مكان آخر، يمثل الفروسية والإرادة، فيما يشبه عزم الشخص نصله الفتاك[2]:

أشـم كـنـصـل الـسـيـف يـرتـاح لـلـنـدى بـعـيـداً مـن الآفـات والـخـلـق الـوخـم

والمرقبة عدة أخرى من أسلحة أبي خراش في مملكته الصعلوكية، فهو فيها يقظ منتبه مع صاحب له، يبعثه في الليل ليستطلع تحركات المتربصين حين ينام الناس، أما هما فلا ينامان أبداً[3]:

لـسـتُ لـمـرة إن لـم أوفَ مـرقـبـةً يـبـدو لـي الـحـرفُ مـنـهـا والـمـقـاضـيـبُ

بـصـاحـبٍ لا تـنـال الـدهـر غـرتـه إذا افـتـلـى الـهـدفَ الـقـن الـمـعـازيـب

بـعـثْـتُـه بـسـوادِ الـلـيـل يـرقـبـنـي إذا آثـر الـنـوم والـدفء الـمـنـاجـيـب

وعندما كانت تضيق السبل بأبي خراش، كان يطلق الريح لساقيه ويمعن في الفرار، وهو يدافع عن مزاره، وذلك عندما يرى أن القتال لا ينجم عنه سوى الهَلكة، وهو مقاتل شجاع غير جبان[4]:

فـإن تـزعـمـي أنـي جـبـنـتُ فـإنـنـي أَمُـرُّ وأرمـي مـرةً كـل ذلـكِ

أقـاتـلُ حـتـى لا أرى لـي مـقـاتـلاً وأنـجـو إذا مـا خـفـت بـعـض الـمـهـالـكِ

هذا قليل مما كان من حياة أبي خراش في الجاهلية، وقد علمنا أنه كان

---

(1) ديوان الهذليين 2/ 135.
قشيب: مسموم. أرهقه: اغشاه. الدروب: الحديد. خشيب: الصقيل.

(2) ديوان الهذليين: 2/ 153. يرتاح للندى: يخف للندى.

(3) ديوان الهذليين 2/ 159 ـ 160. أوف: أشرف. الريد: حرف ناتئ في الجبل. افتلى: احتجز. الهدف: الثقيل الوخم من الرجال. القن: العبد الخالص الرق. المعازيب: الإماء. المناجيب: الضعفاء.

(4) ديوان الهذليين 2/ 169.

صعلوكاً معدوداً من فتاك العرب وفرسانهم، سريع العدو كثير الغزوات والجنايات، وقد أوقعه في الصعلكة ما كان يعيش فيه من فقر مدقع، وقد عبر عن ذلك بقصائد أوردنا جزءاً منها في مطلع الدراسة، كما أنه عانى وتحمل مشقات وعناء في مجتمعه ولاقى الحرمان والهوان، لذلك لجأ إلى الغارات والسلب والفتك، فخبر الصحراء ومفازاتها وحيوانها، وأتقن الصيد والكر والفر متحملاً المخاطر والمتاعب في سبيل تحصيل لقمة العيش، راضياً بذلك حيث أنه تخلص من السغب والظلم والعبودية التي كان يرزح تحتها في مجتمعه القبلي.

أما وقد بزع الإسلام العظيم، وغمر بنوره السماوي الأرض، فقد تجاوب أبو خراش مع هذا الواقع الجديد، ودخل في دين الله، وآمن بالخالق الواحد الأحد، وبمحمد رسولاً وهادياً للعالمين، وقد حسن إسلامه ومتُنَتْ عقيدته، والتزم بتعاليم وقيم الدعوة المحمدية التزاماً ظهر في سلوكه وممارساته الحياتية، فإذا هو يقلع عن الغزو والنهب والغارات، ويمتنع عن المطالبة بالثأر حتى كأنه لم يكن قد مارس عمل الصعلكة.

وقد ظهرت هذه الدلائل والقيم في شعره، إذ عزف عن قصص الصعلكة والفقر، والمغامرات مع رفاق الدرب، وجُلُّ ما هناك أنه حزن حزناً عارماً على ساقه التي لدغتها حية في اواخر حياته، تلك الساق التي كانت له عوناً، إذ أسعفته في التخلص من أعدائه وخصومه المتربصين به، والذين كانوا يحيكون حوله المؤامرات على امتداد الجزيرة العربية، وحيث كانت غاراته تشق صفوفهم وتنهكهم وتجردهم مما يقتنونه ويلوذون به[1]:

لقد أهلكتَ حيَّةَ بطنِ أنفٍ ... على الأصحاب ساقاً ذات فضلِ
فما تركتْ عدواً بين بُصرى ... إلى صنعاءَ يطلبهُ بذحْلِ

وكان قد قال، وهو يعالج الموت[2]:

لعمرك والمنايا غالباتٌ ... على الإنسانِ تطلُع كلَّ نجدِ
لقد أهلكت حية بطن أنف ... على الأصحاب ساقا ذاتَ فقد[3]

---

(1) الأغاني 21/ 252.
(2) الأغاني 21/ 252.
(3) بطن أنف: موضع من مواضع هذيل. وذات فقد: أي نقدها يشق على الأصحاب ويعظم عليهم، وذلك لما وهبه الله من سرعة عدوه بها.

هكذا تعامل أبو خراش مع الدعوة الجديدة بإيجابية، فقد صفى الإسلام نفسه، وخلقه وهذبها، وصفًّاها من كل ضغينة وبطش وسطوة وفتك وتصعلك، وغمر نفسه بالهدوء والسكينة والطمأنينة، وقوى فيها الميل إلى الحق، والعدل والمساواة والمحبة، والابتعاد عن السطوة والتعدي والجهل، وكانه وجد في الإسلام حلاً لكل المعضلات التي كان يعاني منها في الجاهلية والتي دفعته إلى الصعلكة.

ومن دلائل هذا الركون إلى قيم الإسلام موقفه من جميل بن معمر قاتل أخيه أو ابن عمه زهير بن العجوة يوم حنين، فهو لم يأخذ بثاره، ولم يفعل بابن معمر شيئاً، سوى تفجعه عليه ورثائه له، والتذكير بشمائله الأنسانية كالكرم والنخوة والشجاعة، حتى أنه صرح في القصيدة أنه غير قادر على مواجهة هذا الأمر، والجهر بطلب الأخذ بالثأر، بسبب تغير الظروف الاجتماعية والدينية، وشيوع العدل والقانون وسيادة روح العدالة التي أرسى قواعدها الإسلام، حتى ان لغته الشعرية وأفقه العام دفعه إلى تشبيه شرائع الدين الجديد بالسلاسل التي تحيط بالرقاب، والتي يصعب الفكاك منها.

فليس كعهد الدار يا أُمَّ مالك ولكن أحاطت بالرقاب السلاسلُ[1]

وعاد الفتى كالكهل ليس بقائلٍ سوى العدل شيئاً فاستراح العواذلُ

وهذا المعنى وان كان جاهلياً، إلا أنه يعبر عن عمق العلاقة ومتانتها بينه وبين الإسلام، بحيث أنها لا تنفصم ابداً، فهو آمن بالدين الإسلامي، وألتزم تعاليمه، واقتصر في شعره على رثاء رفاقه وبعض أهله، كسائر الشعراء الهذليين المشهورين بمهارة الفن الرثائي، والغريب في الأمر أن أبا خراش في الإسلام يرثي أصدقاءه في الجاهلية، بمعان مألوفة في الشعر الجاهلي، كالكرم والضيافة والشجاعة وغير ذلك.

ورغم جنوح ابي خراش نحو الإسلام والتزامه به إلا أنه رثا دبية الجاهلي الذي هدم له خالد بن الوليد العزى التي في عطفان ثم قتله[2]:

مـا لِـدُبَّـيـةَ مـنـذ الـيـوم لـم أَرَهَ وسطَ الشَّروب ولم يلمْمْ ولم يَطُفِ

---

(1) ديوان الهذليين 2/ 150.

(2) الأغاني: 21/ 234 و235.

الشروب: جمع شارب كشاهد وشهود.

وكان أبو خراش قد نزل ضيفاً على دُبية، فأحسن ضيافته، واهداه نعلين من جلد مدبوغ لا شعر عليهما بعد أن رأى نعليه قد أخلقتا، فمدحه أبو خراش[1]:

حذاني بعدما خذمت نعالي ... دبية إنه نعم الخليل

ومن رثائه، قوله في زهير بن العجوة، وكان قد اخذ أسيراً يوم حنين مع مجموعة من أصحاب رسول الله، فمر به جميل بن معمر وهو مربوط في الأسرى، وكانت بينهما إحنة في الجاهلية، فضرب عنقه[2]:

وفَجَّعَ أصحابي جميل بن معمر ... بذي فجر تأوي إليه الأرامل

طويل نجاد السيف ليس بجيدرٍ ... إذا قام تسترخي عليه الحمائل

إلى بيته يأوي الغريب إذا شتا ... ومهتلكٌ بالي الدرَسين عائل[3]

وقال يرثي خالد بن زهير[4]:

أرقتُ لِهَمٍّ بعد هجعةٍ ... على خالدٍ فالعين دائمة السجم

إذا ذكرته العين أغرقها البكا ... وتَشْرَقُ من تهمالها العين بالدم

بفقد امرئ لا يحتوي الجار قربه ... ولم يكُ يُشكى بالقطيعة والظلم

وفي قصيدة أخرى رثى فيها زهير بن العجوة، ذكر أبو خراش الهذلي أنه لم يكن ليخاف قريشاً في الجاهلية، ولم يكن ليتردد عن الأخذ بثأره منها، إذا لمس اعتداء منها على أقاربه، أما في الإسلام، فإنه لا يلجأ لشيء من ذلك أبداً، لأن الإسلام أحق الحقوق ورسخ العدالة، وضمن المساواة بين الأفراد بغير أجحاف أو افتئات[5]:

فما كنتُ أخشى أن تنالَ دماءنا ... قريشٌ ولما يُقتلوا بقتيلِ

وأبرح ما أُمرتم ومَلَّكْتُمُ ... يدَ الدهرِ ما لم تُقتَلوا بغليلِ[6]

وعندما هاجر ابنه خراش في خلافة عمر بن الخطاب، غازياً مع المسلمين، الذين أوغلوا في أرض العدو، وابتعدوا كثيراً، مما حرك كوامن الشوق في قلب

---

(1) الأغاني: 21/ 231.
(2) الأغاني 21/ 236.
(3) الدريس: الثوب الخلق.
(4) ديوان الهذليين 2/ 151 و152.
(5) ديوان الهذليين: 2/ 157.
(6) ما امرتم: إذا كانت الإمارة فيكم ـ فأبرح بغليل ما لم تُقتلوا، والغليل: حر في الصدر يكون من الغيظ، ويكون من العطش في غير هذا الموضع.

الأب، لأنه شعر بالوحدة والضعف بعد سلسلة من المآسي تعرض لها، منها مقتل أخوته، وانقراض أهله، وقلة الحيلة والناصر، مما دفعه إلى مقابلة عمر شاكياً مشكلته مستلهماً رأيه مما ورد في القرآن الكريم من آية[1] البر بالوالدين إذ ليس من البر أن يترك خراش والده ويشارك في الغزو طمعاً بالشهادة في سبيل الله، وإنما البر أن يقوم بخدمة والده ورعايته في شيخوخته، وقد لاحت مناشدته صدى رحباً عند عمر، استجابة لأوامر الله سبحانه وتعالى، ثم كتب إلى قائد الحملة أن يعود خراش إلى أبيه، ثم عمم الأمر الخليفي، ألا يغزو من كان له أب شيخ إلا بعد أن يأذن له[2].

مات أبو خراش نحو سنة 15 هجرية / 636 م، بعد أن كان قد محا من ذاكرته وسلوكه معظم عناصر العمل الصعلوكي، فآمن.

دخلت أميمة امرأة عروة على أبي خراش وهو يلاعب ابنه، فقالت له، يا أبا خراش، تناسيت عروة وتركت الطلب بثأره، ولهوت مع ابنك، أما والله لو كنت المقتول ما غفل عنك، ولطلب قاتلك حتى يقتله، فلما سمع ذلك أبو خراش بكى وأنشأ يقول[3]:

لعمري لقد راعتْ أميمةُ طلعتي ... وان ثوائي عندها لقليلُ
وقالتْ أراه بعد عروةَ لاهياً ... وذلك رزءٌ لو علمتِ جليلُ
فلا تحسبي أني تناسيتُ عهدَهُ ... ولكن صبري يا أُميمَ جميلُ
أبى الصبرُ أني لا يزال يهيجيني ... مبيتٌ لنا فيما خلا ومُقيلُ

أبيات مشبعة بالعاطفة الجياشة والأخوة العارمة، والحس الانساني المرهف.

وقال يرثي إخوة له، وهم أخاه ومن قتلته ثمالة وكنانة من أهله[4]:

فقدتُ بني لبُنى فلما فقدتُهمْ ... صبرتُ ولم أقطعْ عليهمْ أبا جلي
حسانُ الوجوهِ طيِّبٌ حجراتُهُمْ ... كريمٌ نثاهمْ غيرُ لُفٍّ معازلِ
رماحٌ من الخَطِّيِ زرقٌ نِصالُها ... حِدادٌ أعاليها شدادُ الأسافلِ[5]

---

(1) سورة الاسراء ـ الآيتان 23 و24.

(2) المؤتلف والمختلف ص103.

(3) الاغاني 21/ 247. ديوان الهذليين ـ 2/ 166 و117.

(4) ديوان الهذليين: 2/ 123 و124. الأغاني 21/ 244.

(5) بنو لبنى: إخوته، وضربهم مثلاً ـ يقول: صبرت فلم أقطع نفسي في آثارهم ـ وأقطع عروتي عليهم. طيب حجزاتهم: أي هم أعفّاء. زرق: بيض. وعني بالنصال: الأسنة.
الثنا: ما أخبرت به عن الرجل. اللف جمع الف وهو الثقيل. والمعازل: بمعنى العزل من السلاح.

# أبو الطمحان القيني
## ... ـ نحو 30 هـ ... ـ نحو 650م

هو حنظلة بن الشرقي القيني القضاعي، أحد بني القين، كان شاعراً فارساً خارباً صعلوكاً، وهو من المخضرمين، أدرك الجاهلية والإسلام فأسلم ولم ير النبي، وكان خبيث الدين فيهما، من الخلعاء والشذاذ، لكن لم تورد الأخبار أسباب خلعه، وسيتضح ذلك من خلال سيرته.

قيل له، ما أدنى ذنوبك؟ قال: ليلة الدير، نزلت بديرانية، فأكلت عندها طفيشلاً بلحم خنزير، وشربت من خمرها، وزنيتُ بها، وسرقت كساءها، ثم انصرفت عنها.

ونحن لا نعلم شيئاً عن طفولته وفتوته، ولا تذكر المصادر عام ولادته ومكانها ولا تاريخ وفاته، إنما نعرفه من المصادر المتوافرة، وهو صعلوك يجوب القفار ويغزو ويغير، ويتعرض للملاحقة من رجال الحكم، جنى في أحد الأيام جناية، فطلبه السلطان، إذ ذاك هرب من بلاده، ولجأ إلى بني فزارة، فنزل على رجل منهم فآواه وأجاره وخلطه بنفسه، فأقام مدة، ثم تشوق إلى أهله، فقال له: هذه إبلي فخذ فيها دية جنايتك وأردد ما شئت. فلما أصبح ندم على ما قاله وكره مفارقة موضعه ولم يأمن على نفسه، فأتى مالكاً وأنشد:

سأمدح مالكاً في كل ركب ... لقيتهم وأتركُ كلَ رَذْلِ
فما أنا والبكارة أو مخاض ... عظامٌ جِلَّةٌ سدسٌ وبُزلُ
وقد عرفتْ كلابكم ثيابي ... كأني منكم ونسيتُ أهلي
نمتْ بك من شَمْخِ زِنادٌ ... لها ما شئتَ من فرعٍ وأصلِ

قال مالك: فإنك حبيب ازددت حباً، إنما اشتقت إلى أهلك، وذكرت أنه يحبسك عنهم ما تطالب به من عقل أو دية، فبذلت لك ما بذلت، وهو لك على كل حال، فأقم في الرحب والسعة، فلم يزل مقيماً عندهم حتى هلك في دارهم.

هكذا قضى هذا الصعلوك العاثر الحظ حياته الطويلة مشرداً بعيداً عن أهله، فلم تتحقق أمنيته بلقاء أهله ومرابع طفولته وصباه[1].

والذي اوصله إلى هذه النهاية، بدايته الشاقة المضطربة. فهو قضى حياة شائكة لم تعرف الاستقرار إلا نادراً، وقضى أعوامه متنقلاً متشرداً بين قبائل العرب وأحيائها، مستجيراً مستعطفاً، وقد شكا في شعره من غدر بعض الذين كان يستجير بهم:

أجَدُّ بني الشرقي أولِعَ أنني    متى أستجرْ جاراً وإن عز يغدِرِ

وقد لاحقت الحظوظ السيئة الشاعر منذ البداية، وطبعت حياته بالطابع المأساوي، وكان سيء الحظ مع جيرانه، جاور مرة بطناً من طيء يقال لهم بنو جديلة، فنطح تيس له غرماً منهم فقتله، فادعوا على أبي الطمحان وأسروه حتى يؤدي ديته البالغة مائة من الإبل، فاستنجد بنزيله، ونظم قصيدة يتحدث فيها عن موقفه، وحسرته على بعده عن أهله وقومه:

أَرِقْتُ وآبتني الهموم الطوارقُ    ولم يلقَ ما لاقيتُ قبلي عاشقُ
لكم نائلٌ غمرٌ وأحلامُ سادةٍ    وألسنةٌ يوم الخطاب مسالق
ولم يدعُ داع مثلكم لعظيمةٍ    إذا وزمت بالساعدين السوارق[2]

ويأبى الحظ الناكد إلا أن يتعقبه، فتقتتل طيء فيما بينها، وتنقسم حزبين، وينهزم حزب جديلة جار الشاعر، ويؤسر أبو الطمحان في هذا القتال، اسره رجلان من طيء، واشتراه منهما أحد أفراد القبيلة، بعدما بلغته أبيات يمدح فيها قومه، فمدحه أبو الطمحان، فجزَّ الطائي ناصيته وأعتقه.

واستجار مره بعبدالله بن جدعان التيمي، عندما تعدى عليه رجال من بني سهم وسلبوا إبله إلا أن ابن جدعان لم يستطع أن ينصره، لأن بني سهم أقوى منه ومن قومه، فاسودت الدنيا في وجه أبي وجه أبي الطمحان، وانشد أبياتاً يندب فيها حظه التعيس، بتشوق إلى وطنه وأهله، ثم ارتحل عنهم.

---

(1) الأغاني 13/ 4 ـ 9. الأعلام للزركلي ـ 2/ 286.
البكارة: البكر بالفتح، الفتي من الأبل بمنزلة الغلام من الناس، والنثى بكرة، المخاض: الحوامل من النوق ـ وجلة الإبل: حسانها. السدس: جمع سديس، وهو من الأبل ما دخل في السنة الثامنة. البزل: جمع بازل وهو الناقة والبعير إذا استكمل السنة الثامنة.

(2) الأغاني ـ 13/ 9 و10. د. خليف الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ـ ص101.

وما لبث أن نزل على الزبير بن عبد المطلب بن هاشم، وكانت العرب تنزل عليه، فطال مقامه لديه، واستأذنه في الرجوع إلى اهله، وشكا إليه شوقه إليهم، فلم يأذن له، وسأله المقام، فأقام عنده مدة، وما لبثت لواعج الشوق أن استعرت في قلبه، فأتاه وأنشده ابياتاً يصور فيها ما يعانيه، فلما سمع منه ذلك أذن له فانصرف:

ألا حنَّتِ المِرقالُ وائتب ربها | تذكَّرُ أوطاناً وأذكر معشري
ولو عرفت صرف البُيوع لَسَرَّها | بمكة أن تبتاع حمضاً بإذخرِ
أسَرَّك لو أنا بجنبي عنيزةٍ | وحمضٍ وضمران الجناب وصعترِ
إذا شاء راعيها استقى من وقيعة | كعين الغرابِ صفوها لم يُكَدَّرِ[1]

كان أبو الطمحان كثير الغارات والفتك والمغامرة، وقد عاتبته امرأته في ذلك، واكثرت لومه على ركوب الأهوال ومخاطرته بنفسه، فقال لها أبياتاً تكشف عن إيمان بالقضاء والقدر، وعن حتمية الموت[2]:

لو كنتُ في ريمانَ تحرسُ بابَه | أراجيلُ أحبوشٌ وأغضفُ آلفُ
إذا لأتتني حيث كنتُ منيتي | يخبُّ بها هادٍ بأمري قائف
فمن رهبةٍ آتي المتالف سادراً | وآية أرض ليس فيها متالف[3]

وفي أتون هذه الغارات يتحدث من قصيده أخرى عن ضرب حاسم يزيل الرؤوس عن الأعناق، وطعن شديد كأنه زفير ولد الحمار حين يهم بالنهق:

بضربٍ يزيل الهام عن سكناته | وطعن كتشهاق العفا هَمَّ بالنهق[4]

ثم يتمثل موته، وما يعقب أو يلي هذا الموت حين يترك وحيداً في لحدٍ ضيق، وكأنه يترقب لحظة النهاية، لحظة الموت المحقق، وقد عبر عن ذلك في قصيدة

---

(1) الأغاني 13/12 و13. ابن قتيبة الشعر والشعراء ـ ص251.
يقول: إن ناقته لو عرفت صرف البيوع، لسرها أن تنتقل من بلاد الإذخر إلى بلاد الحمض لشوقها إلى البادية، والإذخر حشيش طيب الرائحة.
حمض: موضع بالبحرين. وإدخر هنا: مكان بمكة الضمران: موضع. صعتر: موضع. الدقيقة: مكان صلب. يمسك الماء.
(2) الأغاني 13/8.
(3) يخب بها: يسير بها خبباً. الهادي بالأمر: العارف به. القائف: متتبع الآثار العارف بها.
(4) لسان العرب: مادة شهق. السكنة: مقر الرأس من العنق. العفا: ولد الحمار.

نالت استحسان الخليفة العباسي المأمون وذلك في رواية ذكرها أبو الفرج الأصفهاني، وقال:

قال اسحاق: دخلت يوماً على المأمون، فوجدته حائراً متفكراً، فأخذت أحدثه بملح الأحاديث وطرفها، استميله ليضحك، فلم يفعل، وخطر ببالي بيتان فأنشدته إياهما[1]:

ألا عَلِّلاني قبلَ نوحِ النوائح وقبلَ نشوزِ النفسِ بين الجوانح
وقبل غدٍ، يا لهف نفسي على غدٍ إذا راح أصحابي ولستُ برائحِ
إذا راحَ أصحابي تفيضُ دموعُهم وغودرتُ في لحدٍ عليَّ صفائحِ
يقولون هل أصلحتم لأخيكم وما اللحد في الأرضِ الفضاءِ بصالحِ

فتنبه كالمتفزع ثم قال: من يقول هذا ويحك، قلت: أبو الطمحان القيني، يا أمير المؤمنين. قال: صدق والله، أعدهما عليّ. فأعدنهما عليه حتى حفظهما، ثم دعا بالطعام فأكل، ودعا بالشراب فشرب، وأمر لي بعشرين ألف درهم.

ومن قصائده التي قالها خلال رحلاته الصعلوكية، أبيات تحدثت عن مأربٍ ذات السد العظيم آنذاك[2]:

ألا ترى مأرباً ما كان أحصنَهُ وما حواليه من صُوَرٍ وبنيان
ظَلَّ العباديُّ يسقي فوقَ قِلَّتِهِ ولم يهبْ ريبَ دهرٍ عقَّ ضوان
حتى تناوله من بعدما هجموا يرقي إليه على أسباب كتان

---

(1) الاغاني 13/ 11 و12.

(2) الحيوان للجاحظ 6/ 440.

# عبدة بن الطبيب[1]
# ... ـ نحو 25 هـ ... ـ نحو 645م

عبدة بن الطبيب أو الطيب، وهو يزيد بن عمرو بن علي من بني تميم، وهو أسود اللون وصفته الروايات بأنه احد لصوص الرباب، وهو شاعر مجيد، ليس بالمكثر وهو مخضرم أدرك الجاهلية والإسلان، فأسلم، وكان في جيش النعمان بن المقرَّن الذين حاربوا معه الفرس بالمدائن وقد ذكر ذلك في قصيدته اللامية المشهورة التي قالها إثر موقعة القادسية ومنها:

هل حبلُ خولةَ بعد الهجرِ موصولُ ... أمْ أنتَ عنها بعيدُ الدارِ مشغولُ
حلَّتْ خويلةُ في دارٍ مجاورةٍ ... أهل المدينة، فيها الديكُ والفيلُ
يقارعون رؤوسَ العُجْمِ ضاحيةٍ ... فهم فوارس لا عُزْلٌ ولا مِيلُ[2]

ويذكر المؤرخون تأثر الخليفة الثاني الفاروق بشعر عبدة، حيث كان يردد بيتاً من حكمة وموقف، من القصيدة اللامية التي أشرنا إليها، أما البيت المقصود فهو:

والمرءُ ساعٍ لأمرٍ ليس يدركهُ ... والعيشُ شح وإشفاق وتأميلُ

قال عمر مردداً الشطر الثاني في عدة مرات متعجباً من حسن تقسيمه وتفصيله وتضمينه الحكمة والموعظة، ويعتبر شعره من أجود الشعر العربي، وقد لقى صدى حسناً في الأوساط الأدبية، وأحتل مكاناً متميزاً في استشهادات المؤلفين القدامى منهم، ومن ذلك اعتبار بيته المشهور:

وما كان قيسٌ هلكهُ هلكَ واحدٍ ... ولكنه بنيانُ قومٍ تهدَّمَا

ارثى بيت قالته العرب، تلك كانت بعض مقاييس النقد آنذاك قائمة على النظر

---

(1) الأغاني ج21/ ص28 ـ 30 ـ واسمه في الاغاني عبدة بن الطيب. الأعلام للزركلي ـ م 4 / ص172.
(2) الميل: جميع الأميل، وهو الجبان أو من لا ترس معه ولا سيف ولا رمح.

في البيت الواحد، وهذا البيت قائم بنفسه، كما قال عنه ابن الآعرابي: ما له نظير في الجاهلية والإسلام.

وعبدة لم يوفر غرضاً من الأغراض الشعرية إلا وتصدى له، وتكشف كتب التاريخ والأدب والسيرة عن كمٍ كبير من الشعر له.

واعتبر عبد الملك بن مروان في لقطة نقدية، اعتبر أن اجود ما وصفت به مناديل الخيل أوصاف عبدة بن الطيب لها، إذ قال يوماً لجلسائه، أي المناديل أشرف، فقال قائل منهم: مناديل مصر، وقال آخر مناديل اليمن كأنها نَوْر الربيع، فقال عبد الملك، مناديل أخي بني سعد عبدة بن الطيب حيث يقول[1]:

لما نزلنا نصبنا ظِلَّ أخبيةٍ … وفارَ للقوم باللحم المراجيلُ[2]

وردٌ وأشقرُ مايونيه طابخهُ … ما غيَّر الغليُ منه فهو مأكول

ثُمَّت قمنا إلى جُرد مُسَوَّمَةٍ … أعرافهنَّ لأيدينا مناديلُ

جميل هذا الوصف والله، يعني بالمراجيل المراجل فزاد الياء فيها للضرورة.

حياة مليئة بالدروس والمواقف، عاشها عبدة، وقد عدد لبنيه حصيلة ما جمعه في حياته الطويلة في أربع مآثر، وردت في قصيدة عينية له جمع فيها كثيراً من الحكم[3]:

أَبنيَّ إني قد كبرتُ ورابني … بصري وفِيَّ لمصلحٍ مستمتعُ

فلئن هلكتُ لقد بنيتُ مساعيا … تبقى لكم فيها مآثرُ أربعُ

ذكرٌ إذا ذكرَ الكرامُ يزينكُمْ … ووراثةُ الحسبِ المقدم تنفعُ

ومقامُ أيامٍ لهنَّ فضيلةٌ … عند الحفيظةِ والمجامعُ تجمعُ

ولها من الكسبِ الذي يغنيكم … يوماً إذا احتضر النفوسَ المطمعُ

ونصيحةٌ في الصدرِ صادرةٌ لكم … ما دمت أبصرُ في الرجال وأسمعُ

لا تأمنوا قوماً يشِبُّ صبيُّهمْ … بين القوابلِ بالعداوة يُنْشَعُ

واعصوا الذي يُسدي النميمة بينكم … متنصِّحاً وهو السِّمام المنقعُ

يُزجي عقاربَه ليبعث بينكم … حرباً كما بعثَ العروقَ الأخدعُ

---

(1) الاغاني ج21/ ص28 ـ 30.

(2) يعني بالمراجيل، المراجل فزاد الياء فيها للضرورة.

(3) ابن قتيبة ـ الشعر والشعراء ـ ص489.

حـرَّانَ لا يـشـفـي غـلـيـل فـؤاده عـسـلٌ بـمـاءٍ فـي الإنـاء مـشـعـشـعُ
إن الـذيـن تـرونـهـم خِـلانـكـمْ يـشـفـي صُـداعَ رؤوسِـهـم أن تُـصـرعـوا
فـضـلـت عـداوتـهـم عـلـى أحـلامـهـم وأبـتْ ضِـبـابُ صـدورهـم لا تـنـزعُ

وتتنوع معاني وموضوعات أشعار عبدة، فها هو يخص ناقته رفيقته في إغاراته ومغامراته الصعلوكية، يخصها بعشرين بيتاً من قصيدته اللامية الطويلة، وهي من أروع وأرقى ما وصفت به الإبل، يدل على دقة في الملاحظة وتتبع لدقائق الأشياء، فطرف خفها يترك في الأرض أثراً كأنه الازميل يحفر ويقطع الجليد، وهي مع سرعتها القصوى يتطاير الحصى حول خفيها وكأنهما غربالان يلفظان الوغل الرديء، ويبدو طرف منسمها مغلولاً من طول المتابعة ومصادمة الحصى فيقول[1]:

عـيـهـمـةَ يـنـتـهـي فـي الأرض مـنـسِـمُـهَـا كـمـا انـتـهـى فـي أديـم الـصـرف إزمـيـلُ
تـخـذى بـه قـدمـاً طـوراً وتـرجـعـهُ فـحـدُّهُ مـن وِلاف الـقـبـضِ مـغـلـولُ
تـرى الـحـصـى مـشَـفِـترَّاً عـن مـنـاسـمـهـا كـمـا تـجـلـجـلَ بـالـوغـلِ الـغـرابـيـلُ[2]

ويعدد عبدة الأماكن التي يرتادها في رحلاته الصعلوكية أو في ذكرياته وخواطره فيقول[3]:

قـفـا نـبـكِ مـن ذكـرى حـبـيـب وأطـلالِ بـذي الـرضـمِ فـالـرمـانـتـيـن فـأوعـالُ
إلـى حـيـثُ سـالَ الـقـنـع مـن كـل روضـة مـن الـعـتـكِ حـواء الـمـذانـب مـحـلالُ

وهو هنا يبدأ على سنة الجاهليين بالوقوف على الأطلال واسترجاع الذكريات السالفة في مواقع مختلفة في الجزيرة العربية، وهذا نادراً ما نجده في شعر الصعاليك، ان يستهل الشاعر قصيدته بالغزل التقليدي، إلا إذا كانت القصيدة ذات منحى غزلي برمتها، ولو استطلعنا شعر الصعاليك، وقد سبق أن تعرفنا على معظمه. لما عثرنا فيه على أكثر من قصيدتين يبدأن بالمطلع التقليدي الشائع والمتداول، حتى أن كثيراً من القصائد التي كانت تستفتح بالغزل ثم تنتقل إلى

---

(1) المفضليات للضبي ـ ص134 وما بعد. د. حفني ـ الشعراء الصعاليك ـ ص256.
(2) عيهمة: شديدة. ينتحي: يعتمد. المنسم: طرف الخف. الصرف الجلد. تخذى: تسرع. به: يعني المنسم. الولاف: المتابعة في المشي والقبض: النزو. مغلول: تثلم حدهُ. مشفتر: متفرق. تجلجل: تحرك. الوغل الرديء: يعني مناسمها تميز الحصى الكبير من الصغير كما تفعل الغرابيل بالحَبِ.
(3) البكري: معجم ما استعجم: ج1 / ص655.
الرضم: موضع في ديار بني تميم باليمامة. القِنع: أرض سهلة بين رمل وجبل. تنبت الشجر الطوال.

أغراض أخرى، كان الغزل فيها صادقاً وحقيقياً، كلامية عبدة الطبيب التي استهلها بالنسيب حيث قال:

هل حبلُ خولةَ بعد الهجرِ موصولُ ... أم أنتَ عنها بعيدُ الدارِ مشغولُ

ما أشبه هذا المطلع الجميل بمطلع لامية كعب بن زهير عندما ارتحل إلى النبي ﷺ تائباً معتذراً عما كان منه:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبولُ ... متيم أثرها لم يُفد مكبول

وسبب قصيدة عبدة بن الطبيب، ان زوجه خولة رحلت إلى المدائن، وقد ذكر الرواة أنه هاجر وراءها، فلما آيسته رجع من المدائن التي شهد خلال وجوده فيها وقعة القادسية، واستقر في بادية الحجاز، ثم قال هذه القصيدة، وهي تقع في واحد وثمانين بيتاً، تبدأ بحنينه وشوقه إلى خولة ثم انتقالها إلى المدائن والكوفة، ورحيلهِ في طلبها، ثم يعبر عن يأسه منها، ولم تعرف الأسباب التي حملت خولة على ترك زوجها والانتقال إلى المدائن، ولِم لم تعد معه، وأصرت على البقاء هناك، على كل حال يتخلص عبده من الحديث عن خولة وشعوره الجارف نحوها، إلى تفصيل رحلته، ووصفها[1]:

إن التي ضربتْ بيتاً مهاجرةً ... بكوفةِ الجندِ غالتْ ودها غولُ

فعد عنها ولا تشغلك عن عملٍ ... إن الصبابةَ بعد الشيبِ تضليلُ

بجسرة كعلاةِ القينِ دوسرةٍ ... فيها على الأينِ أرقالٌ وتبغيلُ[2]

هكذا أتخذ عبدة من هذه الأبيات منطلقاً للتحلل والانتقال من حديث خولة، إلى وصف الرحلة إلى المدائن، ويدل طول القصيدة على طول الرحلة، والتوسع في وصفها، وقد أبدع كعادته في وصف عناصر الرحلة كالناقة والفرس وصفاً خلاباً جميلاً، وعرض طرق معيشهم وكيفية حصولهم على الطعام أثناء الرحلة، فوصف الصيد هواية مسافر الصحراء ومعتمده، وكان الصيد الذي أدهشه وهز مشاعره، عندما أصطاد ثوراً أبيض اللون يخالط قوائمه سواد، بعد صراع دام معه، كان الثور أثناءها يعدو من مطاردة الصائد عدواً هائلاً يثير التراب بكل قوائمه وفي كل اتجاه، وقد انهكه الجهد حتى خرج لسانه مائلاً عن شدقه[3]:

---

(1) المفضليات ص136.

(2) الجسرة: الناقة الصلبة. القين: الحداد. العلاة: سندان الحداد والدوسرة الصلبة الضخمة. الأين: الإعياء. الإرقال والتبغيل: نوعان من المشي السريع.

(3) المفضليات ـ ص136. د. حفني ـ الشعراء الصعاليك ـ ص392 ـ 393.

مستقبلُ الريح يهفو وهو مبتركٌ لسانهُ عن شمالِ الشدقِ معدول
يخفي التراب بأظلاف ثمانية في أربع مسهًن الأرض تحليل[1]

ثم ينتقل إلى الحديث عما لقيه من الترف والبحبوحة في بلاد العجم، ويشير إلى مجلس شراب عامر زيَّنَه البسط والستائر والتماثيل والسقاة، مكرساً وحدة القصيدة وتسلسل افكارها.

وإن كانت هذه القصيدة ليس فيها شيء من الصعلكة بشيء، ولا نجد عبدة المتصعلك هنا، إلا أن وصف حيوانات الصحراء، والتنقل في مفازاتها، ومطاردة الوحوش واصطيادها، جزء من عمل الصعلكة، إلا أنه الجزء السطحي وليس الجزء المعقد المتوثب، الذي يقلب الأرض ثورة وتمرداً ونهباً وفتكاً.

ورغم جمالية قصائد عبدة، وتفرده تقريباً عن زملائه الشعراء في تقديم وجبة شعرية موحية، يبقى لنا أن نتساءل، أين شعر عبدة الصعلوكي، لعل قسماً منه قد ضاع مع الزمن، ولم تتوفر فرصة لجمعه وتقديمه، حتى ان كتاب الأغاني المعروف بإفاضته في الحديث عن السير والوقائع والاحداث، لم يذكر شيئاً كثيراً عن عبدة.

وأود هنا أن أتابع ابياتاً أخرى لعبدة، ومن القصيدة السابقة، نفسها، لأشير إلى طابع الصعاليك فيها، فالثور الذي صرعه عبدة كما بَيَّنَّا سابقاً، صاده مع فرسان جهدوا معه، وتحايلوا حتى طبخوه، ثم اكلوا ثم قاموا إلى خيلهم فامتطوها، واتخذوا من أعرافها مناديل يمسحون بها عن أيديهم أثر اللحم والطعام، ثم نلمح عبدة بعد ذلك يركز على وصف حماس فرسه وجهده ونشاطه، وكثرة تنقله في فيافي الصحراء حيث يقول[2]:

ثمت قمنا إلى جردٍ مسومة أعرافهن لأيدينا مناديل
بساهم الوجهِ كالسرحانِ مُنْصَلِتٍ طرف تكامل فيه الحسن والطول
خاظي الطريقة عريان قوائمهُ قد شفَّه عن ركوب البرد تذبيل[3]

(1) المفضليات ـ ص136. د. حفني ـ الشعراء الصعاليك ـ ص393.
(2) المفضليات ـ ص134 ـ 145. د. حفني ـ الشعراء الصعاليك ـ ص253.
(3) ساهم الوجه: قليل اللحم فيه. السرحان: الذئب. المنصلت: المنجرد الماضي. الطرف: الكريم الطرفين.
الخاظي: كثير لحم الجسم. الطريقة: طريقة ظهره. شفه: أضمره وأهزله. ركوب البرد: يعني أنه دائم ركوبه في البردين (الغداة والعشي). التذبيل من الذبول وهو الضمور.

# عروة بن مرة الهذلي[1]

أحد الشعراء الصعاليك اللصوص، من شعراء هذيل، وهو اخو الشاعر أبي خراش، مخضرم، ادرك الجاهلية والإسلام، وقد شارك اخاه في غزوات ووقائع كثيرة.

وكان لا يدرك إذا عدا، ويذكر الأصفهاني في الأغاني، أن بني مرة كانوا عشرة هم: أبو خراش وأبو جندب وعروة والأبح والأسود وأبو الأسود وعمرو وزهير وجناد، وكانوا جميعاً شعراء دهاة سراعاً لا يدركون إذا عدوا.

شارك عروة أخاه أبا خراش وصهيب القردي في بضعة عشر رجلاً من بني قرد، في غزو قوم ظنهم القرديون أخصامهم من بني ذؤيبة، فطمعوا فيهم وفي سلبهم وأسروهم جميعاً، ولما تبين لأبي خراش أنهم قوم من بني ليث بن بكر وفيهم أبنا شَعوب، من أصحاب أبي خراش، وقد أسرهم صهيب القردي، استنقذهم أبو خراش جميعاً من أصحابه وأطلقهم، فقال أبو خراش في ذلك يمن على ابني شَعوب أحد بني شِجع بن عامر بفعله بهما[2]:

| | |
|---|---|
| عَدَوْنَا عدرةً لا شكَّ فيها | وخِلْنَاهُمْ ذؤيبةَ أو حبيبا |
| فنغري الثائرينَ بهم وقلنا | شفاءُ النفس أن بعثوا الحروبا |
| منعنا من عديٍّ بني حنيفٍ | صِحاب مضرسٍ وابني شَعوبا |
| فاثنوا يا بني شجعٍ علينا | وحقِ ابني شَعوب أن يثيبا |

واسرت فهم يوماً عروة، فاستنقذه من بني ايديهم بعد ان دفع اليهم ابنه خراش رهينة، ويعاتب أبو خراش أخاه، لأنه كان ياخذ من شياته ونوقه فيذبحها دون علمه، فجاء عروة يعتذر إليه، فقال أبو خراش:

---

(1) الاغاني 21 / 230 ـ 238.

(2) الأغاني 21 / ص238.

لـعـلـك نـافـغـي يـا عـرو يـومـاً إذا جـاورتَ مـن تـحـت الـقـبـورِ
أخـذت خـفـارتـي ولـطـمـتَ وجـهـي وكـيـف تـشـيـبُ بـالـمـنِّ الـكـبـيـرِ[1]

وإن كان عروة قد نجا في المرة الأولى من ثمالة، فإنه في المرة الثانية وقع في قبضتها، وكان قد أخذه بنو ثمالة مع أخيه أبي خراش، وكان ذلك عندما خرج عروة مع أخيه فأغارا على بني ثمالة وكانا متجاورين، وقد طمعا في الظفر من اموالهم بشيء، فظفر بهما الثماليون، ونجا أبو خراش وقتل عروة وقال عروة قبل مقتله[2]:

أصـبـحـتُ مـوروداً فـقـربـونـي إلـى سـوادِ الـحـي يـدفـنـونـي
إن زهـيـراً وسـطـهـم يـدعـونـي ربَّ الـمـخـاضِ والـلِّـقـاح الـجـونِ

وزهير هنا هو شقيق عروة، وقد قتله الثماليون عندما خرج معتمراً في مكة المكرمة.

وبعد مقتل عروة، دخلت زوجته على ابي خراش وهو يلاعب ابنه، فقالت يا أبا خراش تناسيت عروة وتركت الطلب بثأره، ولهوت مع ابنك، اما والله لو كنت المقتول ما غفل عنك، ولطلب قاتلك حتى يقتله، فلما سمع ذلك أبو خراش بكى وقال[3]:

لـعـمـري لـقـد راعـتْ أمـيـمـةُ طـلـعـتـي وإن ثـوائـي عـنـدهـا لـقـلـيـلُ
وقـالـت أراه بـعـد عـروة لاهـيـاً وذلـك رزءٌ لـو عـلـمـتِ جـلـيـلُ
فـلا تـحـسـبـي أنـي تـنـاسـيـتُ عـهـدَهُ ولـكـنَّ صـبـري يـا أمـيـمَ جـمـيـلُ

(1) الأغاني 21/ 239 و240. ديوان الهذليين 2/ 137. الخضارة: الأمان والذمّة ـ المال.
(2) الأغاني 21/ 243.
(3) الأغاني 21/ 247 ـ شرح ديوان الهذليين 2/ 116.

# فضالة بن شريك
## ... ـ نحو 64 هـ ... ـ نحو 684م

فضالة بن شريك بن سلمان بن سلمان بن خويلد بن سلمة بن عامر موقد النار، الأسدي بن مضر بن نزار، كان شاعراً فاتكاً صعلوكاً مخضرماً أدرك الجاهلية والإسلام، وهو كوفي وشعره حجته، وكان له ابنان شاعران، أحدهما عبدالله بن فضالة الوافد على عبد الله بن الزبير والقائل له: إن ناقتي قد نقبت ودبِرت، أي حفيت وجُرح ظهرها، فقال له: ارقعها بجلد واخصفها بهلب، وسِر بها البردان، فقال له إني جئتك مستحملاً ولا مستشيراً، فلعن الله ناقة حملتني إليك، فقال له ابن الزبير إنَّ وراكبها، فانصرف عبد الله بن فضالة من عنده وهو يقول[1]:

أقـول لـغـلـمـتـي شـدرا ركـابـي ... أجـاوزُ بـطـنَ مـكـةَ فـي سـوادِ
فـمـا لـي حـيـن أقـطـعُ ذاتَ عـرقٍ ... إلـى ابـن الـكـاهِـلِـيَّـةِ مـن مـعـادِ
أرى الـحـاجـاتِ عـنـد أبـي خُـبـيـبٍ ... نـكِـدنَ و لا أمـيـةَ بـالـبـلادِ
مـن الأعـيـاصِ أو مـن آلِ حـربٍ ... أغـرُّ كـغُـرَّة الـفـرسِ الـجـواد[2]

والابن الثاني لفضالة، اسمه فاتك، وكان سيداً جواداً، وله يقول الشاعر الأقيشر يمدحه:

يـا فـاتـكَ بـنَ فـضـالـةَ بـنَ شـريـكِ ... وَفَـدَ الـوفـودَ فـكـنـتَ أفـضـلَ وافـدِ[3]

أما فضالة الشاعر الصعلوك، فقد كان من القلة بين شعراء الصعاليك الذين أقاموا علاقات مع المجتمعات والأمراء، مما اضطرهم إلى الخوض في المديح

---

(1) الأعلام للزركلي ـ 5/ 146. الأغاني 14/ 65 و66. المرزباني ـ معجم الشعراء ص309.

(2) الهلب: الشعر. البردان: الغداة والعشي. إنَّ هنا بمعنى نعم. ذات عرق: موضع، وهو الحد بين نجد وتهامة، وابن الكاهلية هو ابن الزبير ابو خبيب: كُنية لعبد الله بن الزبير. نكدن: تعسرن.

(3) الأغاني 12/ 66.

والهجاء، وكان فضالة مع جرأته في الهجاء، حتى على الأمراء والولاة، كان عفيفاً غير مقذع فيه أحياناً، ولكنه كان يبلغ ندمومه غايته، ويستفزه ويؤلمه، ومن ذلك قصته مع عاصم بن عمر بن الخطاب، وذلك عندما وفد فضالة إلى المدينة، وزار عاصماً، إلا أنه لم يعطه ولم يقره، ولم يبعث إليه ولا إلى أصحابه بشيء، فهجاه فضالة وارتحل مع من معه عن المدينة[1]:

ألا أيها الباغي القِرى لستَ واجداً ... قِراك إذا ما بتَّ في دارِ عاصم

إذا جئتُه تبغي القِرى بات نائماً ... بطيناً وأمسى ضيفهُ غيرَ نائم

فدعْ عاصماً أفٍ لأفعالِ عاصم ... إذا حُقِّل القدام أهلُ المكارم

فتى من قريش لا يجودُ بنائلٍ ... ويحسِبُ أن البخل ضربةُ لازم

ولو لا يدُ الفاروقِ قلَّدتُ عاصماً ... مطوِّقةً يُحدى بها في المواسم

ولما بلغت القصيدة عاصماً، استعدى عليه أمير المدينة عمرو بن سعيد بن العاص، فهرب فضالة والتحق بالشام، واستجار بيزيد بن معاوية، وأخبره عن قصته، فأجاره يزيد، وكتب إلى عاصم يخبره أنه اجار فضالة وأنه يهيبه له، ولا يذكر لمعاوية شيئاً من أمره، وضمن له ألا يعود لهجائه فقبل ذلك عاصم، قال فضالة يمدح يزيد بن معاوية:

إذا ما قريشٌ فاخرتْ بقديمها ... فخرتَ بمجدٍ يا يزيدُ تليدِ

بمجدِ أمير المؤمنين ولم يزلْ ... أبوك أمينُ الله غير بليدِ

به علم الله الأنام من الردى ... وأدرك تبلاً من معاشرَ صيدِ

ومجدِ أبي سفيان ذي الباع والندى ... وحربٍ وما حربُ العُلا بزهيدِ

فمن ذا الذي إنْ عدَّدَ الناسَ مجدهم ... يجيء بمجدٍ مثلِ مجدِ يزيدِ

وواضح في هذا المدح من مغالاة وممالأة، ووسيلة للوصول إلى غايته المنشودة، ولا أريد أن أسترسل كثيراً في ذكر مدائح وأهاجي فضالة التي أشتهر بها، وشكلت معظم نتاجه الشعري، فعلاوة على ما ذكرنا من شعر له في بداية هذه الدراسة، أشير إلى ثلاث هجائيات لفضالة، صب أولها على رجل من سليم أودع عنده ناقة ورحل في سفر، ولما عاد وطلبها، ادعى السلمي أنها سرقت، ومما قاله في ذلك[2]:

---

(1) الأغاني 12/ 67.

(2) الأغاني 12/ 69.

ولـو أنـنـي يـومَ بـطـنِ الـعـقـيـقِ ذكـ
وقـد فـات قـيـسٌ بِـعَـيْـرانـةٍ إذا
ومـنَ يـبـكِ مـنـكـم بـنـي مُـوقـدٍ ولـ
هـم الـعـاسـفـون صِـلابُ الـقـنـا إذا

هجا بالثانية عبدالله بن مطيع والي عبدالله
عنها المختار الثقفي، وقد جاء فيها[3]:

دعـا ابـنُ مـطـيـعٍ لـلـبـيـاع فـجـئـتُـه إلـ
فـقـرَّبَ لـي خَـشـنـاء لـمـا لـمـسـتُـهـا بـكـ
مـعـوَّدَة حـمـلَ الـهـراوي لـقـومـهـا مَـز

فهو يتهمه وقومه بالجبن والفرار من المبارز

أما الثالثة فقد هجا بها رجلاً من الكوفة تزو
وكان يأخذ من كل رجل سأله درهمين درهمين

أنـكـحـتُـم يـا بـنـي نـصـرٍ فـتـاتـكُـمُ وجـ
أنـكـحـتـم لا فـتـى دُنـيـا يُـعـاش بـه ولا
قـد كـنـتُ أرجـو أبـا حـفـصٍ وسُـنَّـتـه حـ

إذن كما قلت. لا أريد أن أسترسل في هجـ
وجميعه إسلامي، إنما كنت أتساءل وانا أتصفـ
صعلكته وشعره الصعلوكي، خاصة أنه كما نعته
كانت له حتماً اغارات وقطع طرق وفتك، وكا
الشعر، لماذا وصل غيره ولم يصل هو.

ربما يكون فضالة نفسه ضرب صفحاً عن
عن كل ما يتعارض مع العقيدة، خاصة انه عا
امتدت إلى خلافة عبد الملك بن مروان، فجبَّ

---

(1) العيرانة من النوق: القوية التي تشبه العير، وهو الحمار
(2) زور: مائلات. واحدها أزور وزوراء.
(3) الأغاني 12/ 68.
(4) التساليف: التضارب بالسيوف.
(5) الأغاني 12/ 68 و69.
(6) الربرب: القطيع من بقر الوحش. العين: واسعة العيون

فنياً في الجاهلية، ولم يتم نضجه إلا بعد الإسلام، أو أن ظروفاً خاصة لا نعلمها عملت على ضياع شعره المتصعلك، كما أن المركز الاجتماعي المرموق الذي كان لابنه فاتك، إذ كان سيداً جواداً وكان كريماً على بني أمية، كما يذكر الاصفهاني في كتابه الأغاني، وفاتك هذا هو الذي ضمن لعبد الملك بن مروان طاعة أهل العراق وتسليم بلادهم إليه، وأن يسلموا مصعباً بن الزبير إذا لقيه ويتفرقوا عنه، هذا المركز الاجتماعي لابنه ربما دفع بفضالة إلى اهمال ما فعل وما كتب، حتى لا يكون مشكلة وحرجاً بالنسبة لابنه.

ولعل السبب الاساس علاوة على ما ذكرنا، أن الإسلام غَيَّرَ كثيراً من المفاهيم، وأسقط العديد من الممارسات، وحقق مختلف أنواع الحقوق، فاختفت الاسباب التي كان الصعاليك يثورون لها، ثم ان فضالة أدرك أيضاً أن المديح والهجاء من وسائل العيش التي تغنيه عن التصعلك، وكان شائعاً آنذاك شعر البلاط، فانخرط فضالة في الحياة السياسية الأموية، وأصبح شاعراً أموياً يمدح الأمويين خاصة يزيد بن معاوية ويهجو خصومهم.

والدليل على متانة العلاقة بين فضالة والامويين، أنه عندما ولي عبد الملك بن مروان بعث إلى فضالة يطلبه، فوجده قد مات. فأمر لورثته بمائة ناقة تحمل وِقرها بُراً وتِبرا[1].

وهو القائل يوم مات يزيد بن معاوية[2]:

| | |
|---|---|
| وإنكَ لو شهدتَ بكاءَ هندٍ | ورملةَ إذ تصكّانِ الخُدودا |
| رَأَمْتَ بكلِّ معولةٍ ثكولٍ | أبادَ الدهرُ واحِدها الفقيدا |
| رمى الحدثان نسوةَ آلِ حربٍ | بفقدانٍ سَمَدْنَ له سمودا |
| فرد شعورهن السودُ بيضاً | وردَّ وجوهَنَ البيض سودا |

والذي يؤخذ على فضالة، هجاؤه القاسي، وهو من رواسب الجاهلية، إذ تعددت قصائده الهجائية وقد ذكرنا بعضاً منها في صفحات سابقة، وكان من المنتظر أن يحدث الإسلام فيه جوانب إيجابية، وقصائد تحيي الدين الجديد وتمدحه، إلا أنه غاص في أتون الهجاء القاسي الذي حذر الإسلام منه ونهى عن التمادي في مزاولته.

(1) الأغاني 12/ 69 ـ 70. د. خليف. الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ص252 ـ 254.
(2) المزرباني ـ معجم الشعراء ص308 ـ 309.

# القتّال الكلابي

عبد الله بن المجيب بن المضرّ حي بن عامر الهصار بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. يكنى أبا المسيَّب، وأمه عمرة بنت حرفة بن كلاب، ويقال ان اسمه عبيد بن مجيب غلب لقب القتال عليه لتمرده وفتكه، وليس لدينا ما يدل على سنة ولادته ولا مكانها، وقد ذهب البعض إلى انه مخضرم، ما بين الجاهلية والإسلام، لكن المرجح أنه أموي، لأن معظم اخباره وأعماله جميعها حدثت في خلافة معاوية بن أبي سفيان، وفي ولاية مروان بن الحكم على المدينة المنورة، وخلاصة القول، إنه شاعر إسلامي، كان في الدولة المروانية وعاصر الراعي والفرزدق وجرير[1].

تزوج كثيراً في حياته، وأول زوجاته بنت ورقاء أم ولده البكر المسيَّب، وما لبث أن طلَّقها، ثم تزوج من ريًّا بنت معن بن عامر، وقد أنجبت له أربعة ذكور هم، حبيب وعبد الرحمن وعمير وعبد الحي، ثم تزوج من امرأة ثالثة وهي صفية بنت الحارث وقد رزق منها بإبنته جنوب، ويذكر له عدا عن هؤلاء الأولاد بنت أخرى وصبي اسمه عبد السلام.

ولعل هذا الولع بالزواج المتكرر وكثرة الانجاب، دليل على إيمانه بأهمية كثرة الولِد، لما تشكله من منعة وقوة للاسرة، يجعلها عزيزة الجانب مصيبة لدى الآخرين، ثم إنه يرى فيهم عوناً له ودرعاً، ينافحَون عنه وينتصرون له، وهذه من حمية الجاهلية، ومظاهر القبلية.

ومن هنا إيمان الشاعر بالحياة الجاهلية، فهو في الزمن الأموي يحمل العقلية الجاهلية، بما فيها من تعصب وتشفٍ وعشق لسفك الدم وإصرار على الأخذ

---

(1) الأغاني 23/ 319 وما بعدها. د. عطوان. الشعراء الصعاليك في العصر الأموي ص171 ـ 172.

بالثأر، وهذه المزايا جعلته يعزف عن حل المنازعات بالوجهة السليمة الواعية، ويرفض الصلح ولا يقبل الدية، وينفعل إليدرجة أنه كان ينزع إلى حل أبسط المشاكل التي يتعرض لها بالقوة والسيف، وكان يكظم غيظه ويخفي ما يدبر ما أمر، إلى أن تحين الفرصة المناسبة، فينتقم لنفسه، ومما يتطابق على هذا الأمر أن أحد أبناء قبيلته ويدعى جرير بن الحصين، ضربه بسوط على أنفه، فثارت ثائرته، وتدخل شيوخ القبيلة للصلح بينهما فأبى، وظل يكظم غيظه ويتحين الفرص للأخذ بثأره، إلى ان بلغ أولاده سن الشباب فحمل وأياهم في ليلة على خيل وأغار بهم على بني حصين قبيلة غريمه، فساق إبلهم وحبسها عنهم، وبقي مصراً عل احتجازها، إلى أن أجبره قومه على قبول دية ضربته، فكانت أربعين ناقة، ثم تنازل عن حقه نهائياً وهو كاره لذلك. ومن مظاهر عقليته الجاهلية أيضاً، ايمانه بتلاحم القبيلة وتماسكها، وضرورة الحفاظ على نقاء دمائها وصفاء عرقها، ولذلك قتل أمة عمه، عندما دعاه ألا يفضي إليها، فلم يفعل، وكانت رغبة القتال ان يحول دون أن يخالط دم الإماء دم قومه النقي، فهم قوم يأنفون من ان تلد فيهم الإماء، والواضح من خلال ما تقدم أن القتال كان اعرابياً جافاً غليظ القلب فظاً، ضعيف الإيمان، فلم يرقق الإسلام طباعه ويصقل نفسه، ولم تؤثر فيه التعاليم السمحاء، بل ظلت المثل الجاهلية طاغية على مزاجه، وليس تسميته بالقتال إلا نتيجة لسلوكه المتطرف ونزعاته الجاهلية المتمردة، وغلوه في القتل والاساءة، فقد قاوم عشيرته وناصبها العداء لأنها رفضت الانصياع لآرائه المتهورة، وأبت ممالأته ومشاركته على ما كان يرتكبه ويقوم باقترانه، لأنها ركنت بعد عقود على مضي الجاهلية إلى الأمن والسلام، وتمسكت بالنظام والقانون، وطلقت ما كان من موروثات جاهلية، وهذا ما لم يرق للقتال الذي كان يتشبه ويتمثل في شراسته وغلظته وجفائه ببعض قيم الجاهلية ويعتنقها، علماً أنه كان في مزايا أخرى يتشبه بالصعاليك الجاهليين في حياته كاحتمال الشدائد والصعوبات، والصبر عليها، وتنكب المخاطر ومواجهة المكاره دون تردد أو خوف على المصير والحياة، وكان على جانب من الأريحية والنبل والعفة والكرم في حالتي الشدة والرخاء، والعسر واليسر.

وقد أزعجت تصرفاته وتجاوزاته عشيرته، وأصابها منه شر كثير إلا أنها لم تخلعه بل عاملته بقسوة وكرهته وتخلت عن مساعدته، وقد عاملها هو بالمثل.

وقد أتت أخباره متناقضة غير واضحة، فلا مكان وزمان ولادته ووفاته معروفين، ولا معلومات عن طفولته وتربيته وعلاقته بأمه وأبيه.

كما أننا لا نستطيع أن نرسم صورة واضحة لمجمل حياته من مطلعها وحتى خاتمتها، إلا ما رشح من اخبار من هنا وهناك، متناقضة حيناً مبتورة حيناً آخر.

والغالب الأعم أنه عاش خليعاً مشرداً في طول البلاد وعرضها، مطارداً مطلوباً للمحاكمة والقصاص بين يدي السلطان الأموي، والراجح أن الذي اضطره إلى التشرد في الفلوات، والتمرد على عشيرته ومن ثم الالتحاق بعصابات اللصوص والصعاليك، انه كان يحب في عنفوان شبابه «عالية» بنت عمه، وأن أهلها نهوه عنها وحذروه من الاقتراب منها، إلا أنه ضرب بتحذيراتهم عرض الحائط، ولم يأبه بنهيهم، حتى انه زاد من التردد عليها والتشبب بها، فشكوه إلى عامل المدينة، فقبض عليه وسجنه، لكن أفراد عشيرته زاروه في سجنه، واشترطوا عليه إن هو أقلع عن التشبيب بعالية والتردد عليها أن يستشفعوا له عند السلطان، فقبل الشرط وأطلق سراحه.

إلا أن حب عالية الشديد، وولهه بها، أنساه ما كان قد وعد به، وعاهد قبيلته عليه، فعاود الاتصال بعالية، وملاحقتها، والتودد إليها، ويصادفه أخوها في احدى المرات عندها، فيهدده بالقتل، إن لم يقلع عما هو عليه، إلا أن القتَّال يصر على غيه، ولا يكف عن زيارة عالية، مستخفاً بتهديد أخيها له، ويبصره أخوها زياد عندها، فيطير صوابه. فيعلم القتَّال بحضوره، فيفر هارباً ويلحقه زياد شاهراً سيفه بغية قتله والقضاء عليه. ويدنو منه، فرجاه القتال الصفح عنه فلم يلتفت إليه، وشاءت الصدف أن يجد القتال رمحاً أو سيفاً مغروزاً في طريقه، فتناوله ومال به على زياد فقتله، ثم فر هارباً، وشرع أهل القتيل في طلبه، وعلم مروان بن الحكم عامل المدينة بالجريمة التي اقترفها، فتشدد في طلبه وأمر ولاته في مناطق نجد بتعقبه والقبض عليه، ثم إنه خصص مكافأة مالية ضخمة لمن يساعد في القبض عليه ومعرفة مكان وجوده.

ويلازم القتَّال أول الأمر أحياء قبيلته، فيلجأ إلى منزل حبيب بن جبار مختفياً عنده، وتدفع المكافأة المغرية التي اعلنها مروان بن الحكم أحد بني العجلان على السعي لمعرفة مكان القتَّال، فيتجسس عليه ويتحرى مكانه، حتى إذا عرفه ابلغ مروان بالأمر، فبعث إليه سعاته وعيونه، وقبل أن يطبقوا على القتّال أحس صاحب المنزل حبيب بهم، فأخرج ابنته من حَجلها ودخل القتال فيها، ولبس ثيابها وصبغ يديه بالحناء، وينظر السعاة في الحجل فلا يجدون إلا امرأة، فيأخذهم الحياء وينصرفون، وينجو القتال من أسر كان محققاً، ولا يجد إذ ذاك من وسيلة إلا الضرب في أرض الله الواسعة، والنجاة بنفسه فيلجأ إلى جبل عماية مقيماً في شعابه مختفياً عن رسل السلطان الذين ظلوا يتسقطون أخباره.

ثم تتناقض أخباره فيما بعد، فقيل إن رجال الشرطة عرفوا مكانه وقبضوا عليه ثم سجنوه لقتله ابن عمه زياداً، ثم اغتال السجان وفر من السجن، ورُوي أيضاً أنه سجن لأنه اغتال إسماعيل بن هبار على طريق المدينة والشام وهو يحمل تجارة له، ثم قتل السجان وهرب، وتقول رواية ثالثة أنه لم يشترك في قتل ابن هبار.

إلا أن الراجح انه لم يحبس لقتله ابن عمه زيادا. فليس في شعره ما يدل على ذلك، إنما نرى في شعره مناشدة منه لأخيه وعشيرته كي يدفعوا الدية عنه، لكنهم لم يدفعوها، فتعقبه مروان ورجاله ولم يتوفقوا في القبض عليه، فتاه البراري والقفار، مشرداً ساعياً وراء الرزق، مرافقاً للصوص وقطاع الطرق من رجال البدو والأعراب، مغيراً معهم على القوافل التجارية، وقد نظمه أبو سعيد السكري مع جماعة من رجال اللصوص وعده منهم، ويبدو أنه مع هؤلاء قتلوا إسماعيل بن هبار وأخذوا ماله وهو ذاهب بتجارته إلى الشام بدليل قول القتال نفسه، إذ يصرح علناً بأنه سفك دمه وفرَّ إلى فيافي الدهناء:

| | |
|---|---|
| تركت ابن هبارٍ لدى الباب مسنداً | وأصبح دوني شابةٌ وأروم |
| بسيف امرئ لن أخبرَ الدهر باسمه | ولو أجهشتْ نفسي إليَّ هُمومُ |
| ودوني من الدهنا بساطٌ كأنه | إذا انجاب ضوء الصبح فهو أديم |

وقد شاع الخبر بين الناس واتهم بعض بني كلاب وغيرهم بقتل ابن هبار، فخشي القتّال افتضاح أمره، فاغتال السجان وخرج مع رفاقه من السجن.

وتظلم مرحلة ما بعد فرار القتال، إلا أن المرجح أنه قضى بقية حياته مشرداً تائهاً معتمداً على الإغارة والغزو، كما اننا نجهل تاريخ وفاته، ولكن اشارته في شعره إلى «يوم بنات قين» ـ وهو من الأيام التي نشبت في عهد عبد الملك بن مروان، دليل على امتداد حياته إلى السنوات الأولى من خلافة عبد الملك.

أما شعر القتال. فقد جمع في ديوان رآه الآمدي، غير أنه ضاع، وفُقِد أيضاً ديوان مختارات «أشعار اللصوص» الذي جمعه أبو سعيد السكري، وقد جمع الدكتور احسان عباس ما توزع من شعره في بطون الكتب، ثم حققها وأصدرها في ديوان مستقل[1].

---

(1) الشعر والشعراء ـ ص475. الأغاني ج23 ـ 319 وما بعدها. الشعراء الصعاليك في العصر الأموي ص171 ـ 176.

قال حول ما حصل بينه وبين زياد بن عبيد الله، من تهديد زياد له إن بقي يتحرش بابنة عمه عالية، وقد أشرنا إلى القصة كاملة في بداية الدراسة، قال القتال[1]:

نهيت زياداً والمقامة بيننا ... وذكرّته أرحام سِعر وهيثمِ
فلما رأيت انه غير منتهٍ ... أملتُ له كفّيْ بلدْنٍ مقوّمِ
ولما رأيت أنني قد قتلته ... ندمت عليه أيَّ ساعة مندمِ

ويؤكد قتل زياد في قصيدة أخرى تحمل المعاني نفسها تقريباً[2]:

نهيت زياداً والمقامة بيننا ... وذكرّته بالله حولا مَجرَّما
فلما رأيت انه غير منتهٍ ... ومولاي لا يزداد إلا تقدما
أملت له كفي بأبيض صارم ... حسامٍ إذا ما صادف العظم صمَّعا
بكف امرئ لم تخدُمِ الحي أمه ... أخي نَجدات لم يكن مُتَهَضَّما

ولما قتل زياداً وهرب، جرى اهل القتيل يطلبونه، فمر بابنة عم له تدعى زينب، فدخل عليها، ثم ألقت عليه ثيابها وألبسته برقعها ثم حنى يديه بحناء كان معها، ولما مر مطاردوه ظنوا انه زينب، وسألوا عنه فدلوهم عليغير الوجهة التي ذهب منها، فخاف من مغبة الوقوع في الأسر ولحق بجبل عماية، فاستتر به، وقد أشرنا إلى هذه القصة آنفاً ومما قاله في هذه المناسبة[3]:

فمن مبلغ فتيانَ قومي أنني ... تسمَّيت لما شُبَّتِ الحرب زينبا
وأرخيتُ جلبابي على نبت لحيتي ... وأبديتُ للناس البِنانَ المخضبا

ثم يدعو لجبل عماية بالخير، لأنها حمته وأخفته عن عيون السعاة وعسس السلطان وقد مكث في عماية زمناً كان يأتيه فيه أخ له بكل ما يحتاج إليه[4]:

جزى الله عنا والجزاءُ بكفه ... عمايةَ خيراً أمَّ كلِ طريد
فما يزدهيها القومُ إن نزلوا بها ... وإن أرسلَ السلطان كلَّ بريد
حمتني منها كلُ عنقاءَ عيطلٍ ... وكلُ صفاً جم القِلات كؤودِ[5]

---

(1) الأغاني - ج23/ ص320 - 321.
(2) الأغاني - ج23/ ص321.
(3) الاغاني - 23/ 321 - 322.
(4) الاغاني 23/ ص322.
(5) عنقاء عيطل: هضبة طويلة. الجم: الكثير. القِلات: جمع القلة. وهي النقرة في الجبل تسلك الماء.

وقد أَلِفَ القتال في ذلك الجبل «نمراً» كان يأوي معه في شعب من شعابه، حتى أن النمر لشده تآلفه مع القتال، كان يجيء بما يصطاده من الأروى (أنثى الوعل) فيلقيه بين يديه، فيأخذ منه القتال ما يقوته ويترك الباقي للنمر. كما أن الشاعر كان يخرج إلى الوحش فيرميه بنبله، وعندما يصيبه يأتي به إلى الكهف فيأخذ لقوته بعضه ويلقي الباقي للنمر.

وكان القتَّال إذا ورد الماء ليشرب قام النمر عليه يحرسه، ثم ينتحي القتَّال عنه ويرد النمر، فيقوم عليه القتَّال حتى يشرب، وهذا الأمر من الغرائب، أن تقوم هذه المودة والتبادل الوجداني بين إنسان وحيوان معروف بالشراسة، وقال الشاعر في هذه العلاقة[1]:

أيرسل مروان الأمير رسالة ... لآتيه إنني إذن لمضلل
وما بي عصيان ولا بُعد منهل ... ولكنني من خوف مروان أوجل
ولي صاحب في الغار يعدلُ صاحباً ... أبا الجونِ إلا أنه لا يُعَلَّلُ[2]
كلانا عدوٌ لا يرى في عدوه ... مَهَزّاً وكلٌ في العداوة مُجمِلُ
إذا ما ألتقينا كان أُنسَ حديثنا ... صماتاً وطرقٌ كالمعابلِ أطحلُ[3] لا
لنا موردٌ قَلْتٌ بأرضِ مضلةٍ ... شريعتنا لأيّنا جاء أول
تضمنتِ الأروى لنا بشوائنا ... كلانا له منها سديفٌ مخردلُ[4]
فأغلبُه في صنعة الزادِ إنني ... أُميطُ الأذى عنه وما إن يُهلِّلُ
ولا يتأملُ
وكانت لنا طب بأرض مضلة ... شريعتنا لأيٍّ من جاء أولُ

وها هو يحض أخاه على مساعدته في تحمل الدية التي توجبت عليه لقتله ابن عمه، وإلا فإنه يشهر السيف على ابناء عمومته تخويفاً لهم حتى يسامحوه بالدية أو يكفوا عن مطالبتهم بالثأر، مذكراً أخاه بأنه ينفعه في الملمات ويعينه على الشدائد[*][5]:

---

(1) الأغاني ـ 23/ 323 ـ 324. الحيوان للجاحظ 6/ 476.
(2) أبو الجون يعني هنا النمر ـ كان للقتال أخ اسمه الجون فشبَّهه به.
(3) المعابل جمع المعبلة وهي نصل عريض طويل ـ الأطحل الذي لونه لون الرماد.
(4) السديف: الحم. المخردل: المقطع.
(*) هذا البيت في كتاب الحيوان للجاحظ هو التالي:
تضمنت الأروى لنا بطعامنا ... كلانا له منها نصيب ومأكل
(5) ديوان القتال ـ ص94.

أيا إخوتي لا أصبحنَّ بمضلةٍ تشيبُ إذا عُدَّتْ عليَّ النواصيا
وشمرٌ ولا تجعلْ عليك غضاضةً ولا تنسَ يا بن المضرحي بلائيا

ثم ينتقل من أخيه إلى عشيرته، فيلومها أشد اللوم، ويقرعها أشد التقريع، لأنها تخاذلت عن الأخذ بثأرها من بني جعفر الذين اعتدوا عليها، وبرأيه فإنها بهذا التخاذل تدل على ضعفها وخوفها وإيثارها للسلم على الحرب، السلم الذي لا ينفك يصمها بالعار والجبن ويقذف بها إلى مراتع الذل والهوان[1]:

أفي كل يوم لا تزال كتيبةٌ عقيليةٌ يهفو عليكم عُقَابُها[2]
وأنتم عديدٌ في حديدٍ وشفرةٍ وغابِ رماحٍ يكسف الشمس غابها[3]
لهم جَزَرٌ منكم عَبيطٌ كأنه وقِاعُ الملوك فَتْكُهَا واغتصابُها[4]
فما الشرُ كلُ الشرِ لا خير بعده على الناس إلا أن تذلَّ رِقابها

وواضح من هذه الأبيات مبلغ استنكار الشاعر لتصرفات عشيرته وشيوخها، واستصغاره لهم، وبرمه مما يفعلون، فهو لا يطيقهم جبناء لا ينتقمُون لكراماتهم، مستسلمين للذين ينكلون بهم ويقتلون أبناءهم، ويحتلون أرضهم، متلكئين عن دحر التعدي عنهم، وصد الأذى والخوف عن نسائهم وأولادهم، علماً أنهم مكتملو العدد والعدة، فيهم فرسان شجعان مجربون.

وفي رائية جميلة، يطلق الشاعر العنان لنفسه مفتخراً بها أشد أفتخار، مبيناً أنه عربي صميم نقي الدم والنسب، وليس فيه من دم الإماء شيء[5]:

أنا بن أسماء أعمامي لها وأبي إذا ترامى بنو الإموان بالنار[6]
لا أُرضعُ الدهرَ إلا ثدي واضحة لواضِح الخدِّ يحمي حوزة الجار
من آل سفيان أو ورقاء يمنعها تحت العجاجة ضرِّبٌ غيرُ عُوَّار
أما الإماءُ فما يدعونني ولداً إذا تُحُدِّثَ عن نقضي وإمراري

وكان الشاعر يؤمن بنزعة النسب والعرق ويتعصب لها، غير احتفائه بنسبه

---

(1) الديوان ص33. الأغاني ج23/ ص331. د. عطوان. الشعراء الصعاليك في العصر الأموي. ص178.
(2) العقاب: الحرب او الراية.
(3) الشفرة من الحديد: ما صُقِل وحُدد.
(4) الجزر ما يباحُ للذبح. عبيط: طري. الوقاع: المنازلة في الحرب.
(5) الأغاني ج23/ ص333. د. عطوان ـ الشعراء الصعاليك في العصر الأموي ـ ص178.
(6) الإموان بكسر الهمزة وضمها: جمع الأمة.

العربي كما رأينا، إذ يعتبر نعرة النسب أحمى للحمية، فهي تشجع الأقرباء على دفع الضيم عن أرحامهم وأقاربهم[1]:

ولم أنازعْ بني السوداءِ فيئهم ... والعِظليماتِ من يَغْر وأمهار[2]

لقد شرتني بنو بكر فما ربحتْ ... ولا رأيتُ عليها جَزْأة الشاري[3]

إن العروق إذا استنزعتَها نزعت ... والعِرق يسري إذا ما عرس الساري

قد جرَّب الناس عودي يقرعون به ... فأقصروا عن صليب غير خوار

ولا يفتأ القتَّال يهجو قومه، وينال منهم، فقد زوج ابنته أم قيس واسمها قطاة، رذاذ وقيل رواد بن الأضرم بن مالك بن أبي بكر، فمكثت عنده زمناً وتركت له اولاداً ثم أغارها حيث تزوج عليها، فشكت أبيها، فاستعدت عليه ورماه بخادمها وجاء رذاذ بالبيِّنة على قذفها إياه بالأمة فأقيم ليُضرب، فلم تنتصر له عشيرته، إذ كانت تبغضه، لما كان يقوم به من جنايات، وما يلحقها من أذاه، ولا تمنع عنه أي مكروه، لذلك كال لها مياسم هجائه[4]:

إذا ما لقيتم راكباً متعمماً ... فقولوا له ما الراكبُ المتعمِّمُ

فإن يكُ من كعبِ بن عَبْد فإنه ... لئيمُ المحيا حالكُ اللونِ أدهمُ

دعوت أبا كعب ربيعة دعوةً ... وفوقي غواشي الموت تُنحى وتنجُمُ

ولم أك أدري أنه ثُكلُ أمِّه ... إذا قيل للأحرار في الكُربةِ اقدموا

فلو كنتُ من قوم كرامٍ أعزةٍ ... لحاميتِ عني حين أحمي وأَحْرم

دعوت فكم أسمعت من كلِّ مؤذن ... قبيحِ المحيا شانه الوجه والفمُ

ولكنما قومي قُماشة حاطبٍ ... يجمعها بالكفِّ والليلُ مظلمُ

ومن أخباره أن جماعة من فهم ومنهم الأخرم بن مالك وحص بن الحارث بن الهصّان في نفر من بني أبي بكر أتوا القتال وهو في سجنه، وشرطوا عليه ألا يذكر عالية ابنة عمه في شعره وقد اشرنا إلى ذكرها آنفاً، وضمن لهم ذلك، ثم اخرجوه من السجن عشاء، وذهب وإياهم، حتى إذا كان في بعض الليل انحدر يسوق بهم ويقول[5]:

---

(1) الأغاني ـ ج23 / ص334 ـ 335. د. حسين عطوان ـ ص179.
(2) العظلميات: منسوبة غلى العظلم وهي شجرة.
(3) جزأة: لعلها جرأة.
(4) الأغاني 23/ 336.
(5) الأغاني: ـ ج23 / ص340 و341.

فقلت له يا أخرم بن مالِ ... إن كنت لم تُزرِ على وصالي
ولم تجدني فاحش الخِلال ... فارفع لنا من قلُص عِجال
مستوسِقات كالقطا عِبالِ ... لعلنا نطرقُ أمَّ عالِ
تخيري خيرتِ في الرجال ... بين قصير باعُه تِنْبَالِ
وأمةُ راعيةُ الجمالِ ... تبيتُ بين القِدر والجعال
أذاك منخرقُ السِّربال ... كريمُ عمٍ وكريمُ خالِ
متلِفٌ مالٍ ومُفيد مالِ ... ولا تزال آخرَ الليالي

قلوصُه تعثرُ في النِّقالِ(1)

ويروي الأغاني له قصة ـ أشرنا إليها في مطلع الدراسة ـ تقول: أنه قتل أمة عمه حتى لا تلد، ويذكر أنه كانت لعم القتَّال سرِّيه، فطلبها القتَّال منه، وقال له لا تطأها فإنا قوم نبغض أن تلد فينا الإماء. فعصاه عمه، فضربها القتال بسيفه فقتلها فادعى عمه أنه قتلها وفي بطنها جنين مه، فأخرجها القتال من قبرها، وذهب معه بقوم عدول، وشق بطنها وأخرج رحمها حتى رأوه لا حمل فيه، فكذبوا عمه، فقال في ذلك(2):

أنا الذي انتشلتُهَا انتشالا ... ثم دعوتُ غِلمةً أزْوالا(3)

فصدقوا وكذبوا ما قالا

ثم أنشد:

أنا الذي ضربْتُها بالمنصلِ ... عند القرينِ السائلِ المفضَّل

ضرباً بكفيّ بطلٍ لم يُشكل

(1) النقال: جمع النقل وهي الحجارة.
(2) الأغاني ج23/ ص341 و342.
(3) الزول: الخفيف الظريف وهو أيضاً الشجاع والزول: الجواد.

# يزيد بن الصقيل العُقَيْلي

أحد الشعراء الصعاليك اللصوص، من المخضرمين، أدرك الجاهلية والإسلام، كان لصاً مشهوراً يغير على الناس والقوافل في بادية الحجاز، يسرق الشاة والبعير، وظل على تلصصه وصعلكته بعد ظهور الإسلام، وكان يُطلب فيهرب ويختفي عن الإنظار، حتى مرَّ به جيش وجهه الخليفة الثالث عثمان بن عفان إلى الشام، فلما شاهد الجيش دبت فيه الحمية والنخوة فتاب، وانضم إلى الجنود وانخرط معهم إلى ان استشهد في سبيل الله.

ويبدو يزيد من حديثه واعماله أنه صادق التوبة من الصعلكة، مطمئن النفس في رجوعه عنها، فقد كان كما سلف يسرق الإبل ثم تاب، ويظهر من شعره مدى ما كان له من رهبة ونفوذ وخطورة عند أصحاب المخائض من الإبل، ولذلك يطمئنهم يزيد بصدق توبته وطلاقه النهائي، للتلصص حيث يقول[1]:

ألا قـل لأربـاب الـمـخـائـض أهـمـلـوا     فـقـد تـاب عـمـا تـعـمـلـون يـزيـدُ

وإنَّ امـرءاً يـنـجـو مـن الـنـار بـعـدمـا     تـزودَ مـن أعـمـالـهـا لـسـعـيـدُ

إذا مـا الـمـنـايـا أخـطـأتـكَ وصـادفـتْ     حـمـيـمـك فـاعـلـمْ أنـهـا سـتـعـودُ

وهكذا يطلب يزيد من أصحاب الإبل والنوق، ان يسرحوا إبلهم وينصرفوا إلى ما كان محظوراً من اعمالهم بسبب ما كان من خوفهم من إغارات يزيد وتلصصه ونهبه لقوافل الإبل، ويبشرهم بالأمن والاطمئنان وراحة البال.

---

(1) الكامل للمبرد ـ ج1 / ص61.

## الباب الثالث

# شعراء المرحلة الأموية

ابو حردبة المازني
أبو لطيفة اللص
ابو النشناش التميمي
أيمن العقيلي
تليد الضبي
توبة بن الحمير
جحدر بن معاوية المحرزي
جحدر بن مالك الحنفي
جحدر بن معاوية العكلي
الجر نفس اللص
جريبة بن الأشيم الفقعسي
الخطيم المحرزي العكلي
سعد بن ثابت
سليمان بن عياش
السمهري العكلي
شبيب الطائي
شظاظ الظبي
طهمان الكلابي
عبد الله بن سبرة الحرشي
عبد الله بن الحجاج الثعلبي
عبيد بن عياش البكري
عبيد بن أيوب العنبري
عبيد الله بن الحر الجعفي
عرقل العكلي
العطاف العقيلي
عطار د بن قران
عياش الضبي
غيلان بن الربيع
فرعان بن الأعرف المري
القتال الباهلي
قراد بن عياد
مالك بن الريب التميمي
مسعود بن خرشة التميمي
مقاتل بن رباح
الهيزدان بن خطار
يعّلى الأحول اليشكري

# أبو حردبة المازني التميمي

من الشعراء الصعاليك اللصوص الفقراء السياسيين، الذين يئسوا من عدل الدولة الأموية، فوقفوا من خلفائها وعمالها موقف عداء، وخرجوا عليها منذرين مهددين ثائرين في آن معاً.

كما انه كان احد أفراد عصابة مالك بن الريب التميمي، وكانت هذه العصابة من ألص العصابات وأخطرها، حتى انها أفزعت الناس وأصبحت مصدر خطر داهم، وكان أفرادها أهل حيل ودهاء، ومن الحيل التي لجا إليها أبو حردبة المازني، انه كان إذا اعجبه بعير من قافلة، غافل رجالها، حتى إذا أخذت عيونهم سنة من النوم، سرق البعير وعليه صاحبه، وغيَّبَه في مكان بعيدٍ، ثم عاد إلى القافلة، بعد ان يكون رجالها قد صحوا من عقلتهم، وسألوا عن صاحبهم، فإن جعلوا له جعالة، زعم لهم أنه خبير بالأثر، ودلهم على صاحبهم، وأخذ ما جعلوا له، وإلا فقد فاز بالبعير وما عليه.

إذن كان أبا حردبة المازني شاعراً صعلوكاً سياسياً فقيراً، أعدته الاوضاع السياسية المتقلبة لظهوره مع رفاقه الصعاليك أمثال عبيد الله بن الحرّ الجعفي وعبد الله بن الحجاج الثغلبي ومالك بن الريب وغيرهم، وكانت حياة أبي حردبة تشبه حياة الصعاليك الخلعاء الفارين، فجميعهم كانوا مطادرين ملاحقين مشردين، ولم يجدوا وسيلة لكبح هذه الحياة الصعبة سوى التلصص والإغارة والسلب والنهب، تحصيلاً لأرزاقهم وعلة معاشهم[1].

ولم يكتف أبو حردبة المازني بوصف الأمويين بالغدر والمكر والتقلب، وإنما راح يهددهم ويتوعدهم وينذرهم بالغارات التي تقضي عليهم، راجياً من الله أن

---

(1) الأغاني ـ طبعة الساسي ـ 19/ 167. د. عطوان في العصر الإسلامي ص78 و109.

يمده بالليوث الشجعان والكماة البواسل الذين بهم يقضي على دولتهم ويديل حكمهم من الوجود، جاء ذلك في أسلوب مليء بالغضب والنقمة[1]:

فهل الإله يشيعني بفوارس لبني أمية في سِرار جمير

وكان يغير مع أصحابه على الحجيج ببطن فلج، ويقطعون الطريق عليهم، ليسهل اصطيادهم والايقاع بهم، كما أنهم كانوا ينقضون على القوافل بطريق البصرة واليمامة[2].

(1) الأغاني طبعة الساسي ـ 19/ 163. د. عطوان ـ الصعاليك في العصر العباسي ـ ص80.
السرار: آخر ليلة من الشهر ـ ويسمى الهلال قبل ليلة السرار بليلة ابن جمير.

(2) د. عطوان ـ الشعراء في العصر الإسلامي. ص113.

# أبو لطيفة اللص

من الشعراء الصعاليك اللصوص في العصر الأموي، صرف أوقاته في الاغارة والسلب، وكان يتمنى من الله بعد كل سرقة يقوم بها، وخوف تعقب أصحابها له، يتمنى أن تهطل الأمطار بغزارة حتى تخفي معالم آثاره وآثارها، وأهلها إذا لحقوا به وبحثوا عنه، يقول أبو لطيفة:

يـا رب يـا رب الـعـشـاءِ والـسـحـر أقـدر لـنـا الـلـيـلـة مـن خـيـر الـقـدر

قـطـراً وريـحـاً قـدر مـا يـعـفـو الأثـر

وهو الذي قال فيه وفي صعلكته ولصوصيته الشاعر السليك العقيلي[1]:

أبـلْـغ أبـا لـطـيـفـةَ الـمـعـانـدا والـمُـطْـعِـمَ الـسـتـة مـداً واحـدا

قـد كـان فـي دفـعِ سـلـيـكٍ جـاهـداً وكـان لـصـاً مـن عـقـيـلٍ مـاردا

كـيـف تـرانـيَ وأخـي عـطـاردا نـذود مـن ضـيـفـةَ الـمـذاودا

نـذودُ مـنـهـم سـرعـانـاً واردا أنـشـد كـفـاً ذهـبـت وسـاعـدا

أنـشـدُهَـا ولا أرانـي واجِـدا إلا فـتـىً يـسـقـى شـرابـاً بـاردا

---

(1) المزرباني ـ معجم الشعراء ـ ص138.

# أبو النشناش التميمي النهشلي

من شعراء العصر الأموي، لم يعرف إلا بلقبه (ابو النشناش التميمي)، وغاب اسمه فلم يعرف ولم يتداوله أحد. كان من صعاليك بني تميم، ساءت علاقته بعشيرته، ففارقها متخذاً الغزو والسلب والإغارة وسائل لتحقيق مآربه في الفيافي والصحاري القاحلة. قبض عليه أخيراً أعوان السلطة الأموية وعيونها، فأودعوه السجن، وكان ذلك أيام عبد الملك بن مروان حيث عَمَّ العسف والجور.

كان أبو النشناش من فئة الصعاليك الفقراء، يغير على القوافل في شذاد من العرب على طريق بين الشام والحجاز، بعد أن افتقر، وقتَّر أهله وأقاربه عليه، وتخلوا عنه، مما جعله يضجر من هذه الحياة الشاقة، معدماً منبوذاً، تمنى خلالها الموت، وصمم على امتهان الصعلكة، وارتياد المهالك والمخاطر بغية توفير المغانم والأسلاب، مستعداً لأن يموت دونها، حيث يقول[1]:

وسائلة أين ارتحالي وسائلٍ بالغيب عني ... ومن يسألِ الصعلوكَ أين مذاهِبُهْ

مذاهبُه أن الفجاج عريضةٌ ... إذا ضَنَّ عنه بالنوالِ أقاربُهْ

إذا المرءُ لم يسرحْ سواماً ولم يَرُحْ ... سواماً ولم يبسطْ له الوجهَ صاحبُهْ

فَلَلْموتُ خيرٌ للفتى من قعودهِ ... عديماً ومِنْ مولى تُعافُ مشاربه تدبُ عقاربه

ونائية الأرجاء طامسة الصوى ... خدت بأبي النشناش فيها ركائبه[2]

---

(1) حماسة أبي تمام 1/ 166 ـ 167. د. عطوان الشعراء الصعاليك في العصر الإسلامي ص47 ـ 48 ـ 85. د. حفني ـ الشعراء الصعاليك ـ ص248.

(2) الصوى: الأعلام، مطموسة المعالم واسعة الأرجاء. خدت: أسرعت.

لـيـدركَ ثـأراً أو لـيـكـسـبَ مـغـنـمـاً ... ألا إن هـذا الـدهـرَ تـتـرى عـجـائـبـه

ويحدد أبو النشناش في هذه الأبيات حدود عمل الصعلكة وميدان الصعلوك، وأهمها الضرب في الفجاح والقفار، ثم يحدد هدفه من صعلكته، الثأر من ظلم القوم ومن الفقر، والسير خلف الرزق، فموت الفتى خير له من حياة القعود والتخاذل.

ومن أحكام الصعلكة عند أبي النشناش الإصرار على بلوغ المراد، وقتل الفقر المدقع بالغنى، لأن الاملاق والإخفاق في القضاء عليه أسوأ ما يصيب الإنسان في حياته[1]:

فـلـم أرَ مـثـلَ الـفـقـرِ ضـاجـعَـهُ الـفـتـى ... ولا كـسـوادِ الـلـيـل أخـفـق طـالـبِـهُ

ولتحقيق الغنى والتخلص من ربقة الفقر، يلجأ أبو النشناش إلى سياسة الغزو والنهب، فلا خير في حياة خاملة، إنما الخير والمجد في حياة عزيزة، تهون أمامها المخاطر والمهالك، مؤمناً ان لكل أجل محتوم، وكل امرئ جارع لا محالة كأس المنية[2]:

فـعـش مـعـذراً أو مـت كـريـمـاً فـإنـنـي ... أرى الـموت لا ينجو من الـموت هاربه

معدماً

ولـو كـان حـيٌ نـاجـيـاً مـن مـنـيـةٍ ... لـكـان أثـيـراً حـيـن جـدَّت ركـائـبُـهْ

ولم يسلم ابو النشناش من عيون السلطة، فتتعقبه في أماكن غزوه عبر الصحراء، ثم يقبض عليه ويكبل بالأغلال، فيفقد حريته، وينتقل من حرية الطواف إلى عبودية السجن، ويشبه نفسه بالفرس الذي ذرع البلاد والصحاري عدواً لا مثيل له، ثم قُيِّد بالأغلال ومنع من الجري على هواه[3]:

كـأنـي جـوادٌ ضـمَّـهُ الـقـيـدُ بـعـدمـا ... جـرى سـابـقـاً فـي حـلـبـة ورهـانِ

---

(1) الأغاني ـ طبعة دار الكتب ـ 12/ 172. حماسة أبي تمام ـ 1/ 168. د. عطوان ـ الشعراء الصعاليك في العصر الأموي ص12.

(2) الأغاني ـ طبعة دار الكتب ـ 12/ 172. حماسة أبي تمام ـ 1/ 168. د. عطوان ـ الشعراء الصعاليك في العصر الأموي ص12.

(3) الأغاني ـ طبعة الساسي ـ 19/ 111. د. عطوان. الشعراء الصعاليك في العصر الأموي ص138.

# أيمن بن الهمَّاز العقيلي

من الشعراء الصعاليك اللصوص في العصر الأموي، كان يكمن للتجار ويغير عليهم، ويأخذ ما بحوزتهم، وكان يصطنع الحيل لتحقيق أهدافه، تلك كانت سمة بعض الشعراء الصعاليك اللصوص، ويروي في شعرهِ أنه كان يسرق من التجار أجود البضائع الجلدية وأغلاها، وكان يحتال على هؤلاء التجار، حيث يتظاهر بأنه رجل بائس فقير مسكين غريب، ثم يمعن في مساومتهم على الشراء، فيشكون في أمره لضعفه وفقره / فمظهره الخارجي وهندامه لا يدلان على انه قادر على الشراء، ودفع الثمن الباهظ، وهكذا يستمر في التداول معهم حتى إذا سهوا وملوا عنه لعدم جديته سلبها وطار بها دون أن يتمكنوا من إدراكه[1]:

مـن يَـرَنِـي يـوم الـحـزيـزِ وسـيـرتـي ... يَـقُـلْ رجـلٌ نـائـي الـعـشـيـرةِ جَـانـبُ
يـقـول لـي الـحـضـريُ، هـل أنـتَ مُـشْـتـر ... أدِيـمـاً؟ نـعـم إن أسـتـطـيـع تَـقَـارَبُ
طَـلِـلْـتُ أراعـيـهـا بـعـيـن بـصـيـرةٍ ... وظـل يُـراعـي الإنـس عـنـد الـكـواكـبِ
دعـا ويـحـه الـحـضـري حـيـن أختطفتها ... أجـل وهـو أن الـحـضـر حَـضْـرُ مـحـاربِ

(1) معجم البلدان ـ 2/ 256. د. عطوان ـ الشعراء والصعاليك في العصر الإسلامي ـ ص115.

# تليد الضبي

من الشعراء الصعاليك الأمويين اللصوص، لم يكن معروفاً كغيره من عتاة الصعاليك، ولم تذكر المصادر شيئاً عن تاريخ ولادته ووفاته، أو عن تفاصيل حياته، إلا ان المتواتر أنه كان صعلوكاً فاتكاً، في أيام عبد الملك بن مروان، يغير على القوافل ويهاجمها، وقد أخذ أيام عبد العزيز بن مروان على اللصوصية وأودع السجن، حيث يقول:

يقولون جاهرْ يا تليدُ بتوبةٍ    وفي النفسِ مني عودةٌ سأعودها
ألا ليتَ شعري هل أقودنَّ عصبةً    قليلٌ لربِّ العالمين سجودُهَا
وهل أطرُدَنَّ الدهرَ ما عشتُ هجمةً    معرضةَ الأفخاذ سُجْحاً خُدودها
قضاعيةً حُمَّ الذرى فتربعت    حمى جرش قد طار عنها لبودها[1]

فرجال الشرطة يطلبون من تليد المجاهرة بالتوبة والاعتذار حتى يتمكنوا من العفو عنه، إلا انه يصر على عدم الاعتذار، لأنه يعلم أنه وإن اعتذر فإنه سيعود إلى سالف عهده، ويتراجع عن القسم ويستأنف نشاط الصعلكة والإغارة، وهو ينذر بأنه سيتزعم عصابة يغير بها عن إبل الناس ويهاجمها ويستولي عليها.

---

(1) معجم البلدان ـ ج2 / 127. د. عطران ـ الشعراء الصعاليك في العصر الإسلامي ـ 149.
جاهرنا او جاهرنا.

# توبة بن الحمير[1]

## ... ـ 85 هـ ـ ... 704م

أبو حرب، أبوه الحمير بن حزم من بني عقيل، كان من الشعراء الصعاليك اللصوص البارزين المعروفين في العصر الإسلامي، ذاعت شهرته كثيراً من خلال عشقه لليلى بنت عبد الله بن الرحال الأخيلية، حتى غلبت عليه، وأصبح هذا العشق القاتل ملازماً لإسمه، بل كاد يطغى على صفته الأصلية وهي الصعلكة واللصوصية.

ومما زاد من ذيوع صيته وشهرته أن حبيبته ليلى كانت شاعرة، بل لم يتقدم عليها من شاعرات العرب سوى الخنساء، وقد رثته ليلى بأشعار وجدانية عارمة، وكم نظم فيها هو من أشعار الحب والغرام ومن ذلك قوله:

ولو أن ليلى الأخيليةَ سلَّمتْ ... عليَّ ودوني جندلٌ وصفائحُ

لسلمتُ تسليمَ البشاشةِ أو زَقَا ... إليها صدى من جانبِ القبرِ صائحُ[2]

ومن أخبار نباهتها، أنها وفدت على الخليفة المرواني عبدالملك بن مروان وهي طاعنة في السن، فقال لها: ما رأي توبة فيك حين عشقك، قالت: ما رأى الناس فيك حين جعلوك خليفة.

إذن كان توبة من الشعراء الصعاليك المشهورين، وكان صاحب إغارات ولصوصية وفتك، كان يوجه غاراته غالباً على همدان وبني الحارث بن كعب، مع ان الشقة بعيدة بين موطنه وبينهما، وكان يصف أجواز وفضاءات القفار الواسعة

(1) الاعلام للزركلي ـ 2/ 89. الاغاني ـ ج11/ 202 ـ 229.

(2) زقا: صاح. والصدى هنا طائر كالبومة كانت العرب تزعم أنه يخرج من رأس القتيل ويصيح اسقوني حتى يؤخذ بثأره.

المخوفة التي تجتازها به ناقته القوية الصلبة، هذه القفار المتعبة المنهكة التي تجعل القوي ضعيفاً يكاد يشرف على الهلاك، كأنه بقايا حيوانات ضعيفة لم تقو على ارتياد الغدير[1]:

حمامةَ بطن الواديين ترنَّمي ... سقاك من الغُرِّ الغوادي مطِيرُها
أبيني لنا لا زال ريشك ناعماً ... ولا زلتِ في خضراءَ دانٍ بريرها
وأدماء من سر المهارى كأنها ... مهاة صوار غير ما مس كورها
قطفت بها أجوازَ كلِ تنوفةٍ ... مخوفٍ رداها كلما استَنَّ مُورُها
ترى ضعفاءَ القوم فيها كأنهم ... دعاميصَ ماءٍ نشَّ عنها غديرُهَا
وكنتُ إذا ما جئتُ ليلى تبرقعتْ ... فقد رابني منها الغداة سفورها
عليَّ دماءُ البُدْنِ إن كان بعلُهَا ... يرى ليَ ذنباً غيرَ أني أزورها
وإني إذا ما زرتها قلُت يا اسلمي ... وما كان في قولي اسلمي ما يضيرها[2]

وكان توبة بن الحمير أحد بني الأسدية، وهي عامرة بنت والبة بن الحارث، وكان يتعشق كما قلنا سابقاً ليلى بنت عبدالله بن الرحَّالة، ويقول فيها الشعر، فخطبها إلى أبيها، فأبى أن يزوجه اياها، وزوَّجها في بني الأدلع، فجاء يوماً كما كان يجيء لزيارتها، فإذا هي سافرة ولم ير منها إليه بشاشة، فعلم ان ذلك لأمر ما كان، فرجع إلى راحلته فركبها ومضى، وبلغ بني الأدلع أنه أتاها فتبعوه ففاتهم، فشكوا أمره إلى السلطان، فأباحهم دمه إن أتاهم، فمكثوا له في الموضع الذي كان يلقاها فيه، فلما علمت به خرجت سافرةً حتى جلست في طريقه، فلما رآها سافرة فطن لما أرادت، وعلم أنه قد رُصِد، وانها سفرت لذلك تحذره، فركض فرسه فنجا.

وبالاضافة إلى ما ذكرنا عن تحركات توبة، فإنه كان في صعلكته يغير زمن

---

(1) الأغاني ـ 11/ 198.

(2) البرير: ثمر شجر الأراك. البُدُن: جمع بدنة، وهي الناقة أو البقرة تسمن وتذبح بمكة.
الادماء: الأدمة في الإبل: لون مشرب سواداً او بياضاً أو هو البياض الواضح. المهاري: جمع مهرية وهي إبل منسوبة إلى مهرة بن حيدان أبي حي من العرب، وقيل: هي منسوبة إلى بلد، وقال الأزهري: هي نجائب تسبق الخيل. سرها: محضها وأفضلها.
المهاة: البقرة الوحشية. الصوار: قطيع البقر. أجواز: جمع جوز، وجوز كل شيء وسطه. التنوفة: الفلاة التي لا ماء فيها. استنَّ هاج وثار. المور: الغبار تثيره الرياح. الدعاميص: دود أسود يكون في الغدران إذا نشَّتْ. نش: يبس ونضب.

معاوية بن أبي سفيان، على قضاعة وخثعم ومهرة وهمدان وبني الحارث بن كعب، وكانت بينهم وبين بني عقيل مغاورات، فكان توبة إذا أراد الغارة عليهم حمل الماء معه في الروايا، ثم دفنه في بعض المفازة على مسيرة يوم منها، فيصيب ما قدر عليه من إبلهم، فيدخلها المفازة، فيطلبه القوم، فإذا دخل المفازة أعجزهم فلم يقدروا عليه، فانصرفوا عنه، قال: نمكث ذلك حيناً، ثم إنه أغار في المرة التي قُتِل فيها هو وأخوه عبدالله بن الحمير، ورجل يقال له قابض بن أبي عقبل فلم يتمكن من الغنيمة، فأغار في طريق عودته على بني عوف فاستاق إبلهم بعد أن قتل منهم رجلاً، فلا حقوه وقتلوه وأعرجوا أخاه، والحقيقة ان الشاعر اجتمعت فيه صفتان متباعدتان، عاطفة الحب العميق والصعلكة، فالصعلكة خشونة وقسوة وغارات وقلوب قاسية معظم الاحيان، وعاطفته لليلى الأخيلية نادرة عميقة، ولا يأخذها هذا القول للبعيد، فالصعلوك كائن اجتماعي فاعل، فرضت عليه الظروف القاسية ان يمارس حياته كما رآها هو، في اداء اجتماعي سلبي جداً عند البعض، وشأن طبيعي ناتج عن التفاعل الاجتماعي والحضاري، وتترسخ هاتان الفكرتان في رثاء ليلى الأخيلية لتوبة[1]:

فتى كان أحيا من فتاةٍ حييةٍ ... واشجع من ليث بخفان غادر
فنعمَ الفتى ان كان توبةُ فاجراً ... وفوق الفتى إن كان ليس بفاجرِ

ومما قالته في رثائه أيضاً وهو كثير[2]:

يا عينَ بكّي بدمعٍ دائم السَّجَم ... وابكي لتوبةَ عند الروعِ والبُهَمِ
على فتى من بني سعدٍ فُجعت به ... ماذا أجنَّ به في الحفرةِ الرَّجم
من كل صافيةٍ صرفٍ وقافيةٍ ... مثل السِنانِ وأمرٍ غيرِ مقتسم
ومُصدر حين يُعيي القوم مُصدِرهم ... وجفنةٍ عند نحس الكوكب الشَّبم

وقد ذُكِرَ أن توبة كان شريراً كثير الغارة على بني الحارث وهمدان، فكان يزور نساءً منهن يتحدث إليهن، وقال:

أيذهبُ ريعانُ الشباب ولم أزرْ ... عرائر من همدانَ بيضاً نحورها

---

(1) الأغاني - 11/ 202 - 228. د. حفني - الشعراء الصعاليك - ص134.
(2) الأغاني 11/ 221.
الرجم: هنا القبر. الشبم: البارد. وتحس الكوكب الشبم: كناية عن الشتاء.

وكان توبة ربما ارتفع إلى بلاد مهرة فيغير عليهم، بين بلاد مهرة وبلاد عقيل مفازة منكرة لا يقطعها طير، وكان يحمل مزاد الماء فيدفن منه على مسيرة كل يوم مزاده ثم يغير عليهم فيطلبونه فيركب بهم المفازة، وإنما كان يتعمد حمَّارة القيظ وشدة الحر، فإذا ركب المفازة رجعوا عنه[1].

(1) الأغاني ـ 11/ 230.

# جحدر بن معاوية المحرزي

شاعر فاتك صعلوك لص، عاش في العصر الأموي، تشرد في القفار والمناطق النائية بحثاً عن الحياة، تشوق خلال تأبده إلى مرابع صباه وفتوته، فدعا إلى اطلالها بالخير والبركة، والرحمة، فقد نشأ وشب على أرضها، وتكحلت عيناه بمياهجها، وبادل فيها لِداته من الفتيات الجميلات المحبة والوصال، حيث يقول[1]:

يا دار بين بُزَاحة فكثيبها ... فلِوى غبير سَهْلها أو لوُبِها

سقت الصبا أطلال ربعك مغدقاً ... ينهلُّ عارضُها بِلُبس جيوبها

أيام أرعى العين في زهر الصِّبا ... وثِمار جناتِ النساء وطيبها

وتدفع صعلكة المحرزي واغاراته به إلى السجن، فيقبض عليه ويوضع في الأصفاد، ويحس أشد الوان الألم من الهوان والذل والخزي في ظلمة سجنه، في حين كان غيره من المساجين الجبناء يتغنون بسجنهم، ويعتبرونه مفخرة وبطولة لهم، علماً ان سياطاً من التعذيب المرهق كانت تُصب عليهم، حتى ليشبه من يفرج عنه منهم، ويغادر سجنه بمن شوته النار، وأحرقته بمياسمها، واستذكرُ في هذا الموقف قول المتنبي عن الذين يفقدون الشعور بالثقة الذاتية ويستعذبون طعم الذل والهوان:

من يهن يسهل الهوان عليه ... ما لجرحٍ بميتٍ إيلام

---

(1) معجم البلدان ـ 1/ 408. د. عطوان ـ صعاليك العصر الإسلامي ـ ص97.

قال جحدر المحرزي[1]:

أقول للصحب في البيضاء دونكم ... محلةٌ سوَّدت بيضاء أقطاري[2]

مأوى الفتوة للأنذال ما خُلِقت ... عند الكرام محلٌّ الذل والعار

كأن ساكنها من قعرها أبداً ... لدى الخروج كمنتاش من النار

(1) معجم البلدان ـ 1/530. د. عطوان ـ صعاليك العصر الإسلامي ـ 134 ـ 135.

(2) البيضاء: مدينة مشهورة بفارس، كان اسمها أيام الفرس (دَرِ اسفيد) فعربت بالمعنى.

# جحدر بن مالك الحنفي

أحد الشعراء الصعاليك اللصوص في العصر الأموي.

أشتهر بالغزو والاغارة والسلب، كان ينزل باليمامة ويغير على نواحيها، وكان يغير على الأسواق وينهب ما بها من الإبل وروائع التحف الجلدية، ويختطف الناقة الفتية من سوق هجر، مدينة حجر وأم قراها، إذ كان يأخذها ويفرُّ بها، فيتبعه صاحبها بعض الوقت ثم يفقد الأمل في اللحاق به، ويخاف على نفسه، لأنه ليس من الاعراب الأشداء، بل من اهل القرى الجبناء، ويزعم انه لم يكن يسرق إلا لكي يشتري لنفسه الثياب بعد أن تكون ثيابه تقطعت وبليت[1]:

وأنّ امـرءاً يـعـدو وحَـجْـرٌ وراءه ... وجـوٌ ولا يـغـزوهـمـا لَـضـعـيـفُ

إذا حُـلَّـةٌ أبـلـيـتُـهَـا ابـتـعـتُ حُـلَّـة ... بـسـانـيـة طـوعُ الـقـيـاد عـلـيـفُ

سـعـى الـعـبـدُ إثـري سـاعـةً ثـم ردَّه ... تـذكُّـرُ تَـنُّـورٍ لـه ورغـيـف[2][3]

كما انه يصف بعض اللصوص، من بني أسد، كيف أنه كان ينتهز اشتغال التجار بشراء الإبل من أصحابها بسوق قُرْحٍ في وادي القرى، ويغافلهم ويسرق منهم أحسن نوقهم وعليها رحلها ومتاعها[4]:

لـقـد عـلـمـت ذود الـكـلابـي أنـنـي ... لـهـنَّ بـأجـواز الـفـلاة مُـهـيـن

تـتـابـعـن فـي الاقـران حـتـى حبستـهـا ... بـفـرحٍ وقـد الـقـيـن كـلَ جـنـيـنِ

ولـمـا رأيـت الـتَّـجـر قـد عـصـبـوا بـهـا ... مـسـاوِمـةً خَـفَّـت بـهـن يـمـيـنـي

---

(1) معجم البلدان ـ 2/ 190. د. عطوان ـ صعاليك العصر الإسلامي 108 ـ 114.

(2) جو: اسم ناحية في اليمامة. بسانية: الناقة. في معجم البلدان كسانيها بدل بسانيةً.

(3) هذه الأبيات يوردها د. عطوان على انها لجحدر الحنفي، بينما ينسبها ياقوت الحموي إلى جحدر العكلي، ولعلهما شخصية واحدة.

(4) معجم البلدان 4/ 321. د. عطوان ـ صعاليك العصر الإسلامي ـ 115.

فــأرأيــت مــنــهــا عــنــســةً ذات جُــلَّــةٍ      كــسِــرٌ أبــي الــجــارود وهــو بــطــيــنِ[1]

ولما أخذ الشاعر جحدر الحنفي يغير على اهل هجر ونواحيها، ورفع أمره إلى الحجاج بن يوسف الثقفي، كتب إلى عامله باليمامة يوبخه ويأمره بالاجتهاد في تعقبه بغية القبض عليه، فأرسل إلى فتية من بني يربوع، وجعل لهم جعلا عظيماً إن هم قتلوه أو أتوا به أسيراً، فلم يزالوا يترصدون له حتى قبضوا عليه وجاؤوا به إليه، فبعث به إلى الحجاج، فعاقبه أشد العقاب، إذ خيَّره بين أمرين، فإما أن يقطع رأسه، وإما أن يصارع أسداً ضارياً، وهو مكبل، فإن صرعه عفا عنه، وإلا فقد لقي جزاءه، فارتضى الشرط الثاني ونازل الأسد وقتله، فصفح عنه[2].

ورغم ما في هذه الرواية من مبالغة ونكهة أسطورية، إلا انها تكشف عن جلد الصعالكة، وشجاعتهم وجرأتهم في المواجهة.

وفي معرض معاناته من السلطات الأموية، يعرض جحدر الحنفي شريطاً من معاناته في سجن الحجاج، حيث كان يعاني وسواه من المساجين ألواناً من العذاب الشديد، إذ كانت أرجلهم توضع في الفلق، ـ وقد سبق أن أشرنا في دراستنا الأولية إلى عقاب الفلق ـ حيث تضرب أرجلهم، حتى تسيل منها الدماء وتصبح شبيهة برقبة أخذ الجزار يجردُ لحمها والدماء تنزل منها:

يُــغــشــون مــقــطــرةً كــأنَّ عــمــودهــا      عُــنُــقٌ يُــعَــرِّق لــحــمــهــا الــجــزار

وفي صورة درامية أخرى يذكر جحدر الحنفي وهو محبوس بسجن اليمامة مقدار الخوف والهلع الذي يصبيبهم، وكيف كانت تشرئب أعناقهم وتتطلع عيونهم لمعرفة ما يحمله الحارس إليهم من أنباء أو أوامر[3]:

يــا صــاحــبــيَّ وبــاب الــســجــن دونــكــمــا      هــل تــؤنــســان بــصــحــراء الــلــوى نــارا
لــو يُــتــبــع الــحــق فــيــمــا قــد مُــنــيــتُ بــه      أو يُــتــبــعُ الــعــدلُ مــا عُــمِّــرتُ دوارا
إذا تــحــرك بــاب الــســجــن قــام لــه      قــوم يــمــددن أعــنــاقــاً وأبــصــارا

وتبلغ قساوة السجن وظلم السجان، إلى أن يتضرع المساجين إلى الله ويرجونه انقاذهم مما هم فيه من بلاء وشقاء، وان ينجيهم مما هم فيه، هكذا يصرح جحدر

---

(1) في هذه الأبيات إقواء.

(2) الاغاني ـ طبعة الساسي ـ 19/ 169. معجم البلدان ـ 2/ 223. د. عطوان ـ صعاليك العصر الإسلامي ـ ص90.

(3) معجم البلدان 2 / 222 ـ 224 د. عطوان ـ صعاليك العصر الإسلامي ـ ص135 ـ 136.

الحنفي في مناجاة موحية يدعو فيها الله أن يجيره مما هو خائف منه، فقد ضاقت به الحياة، ولم يجد أحداً يلجأ إليه إلا الله جلَّ شانه، فهو مقيل العثرات، لعله يخلصه مما ينتظره من الظلم والعذاب، وقد أشار في معرض حديثه عن رفاقه المساجين الذين سيقوا إلى سجن اليمامة، من مناطق مختلفة، إلى مبلغ الظلم الذي عانوا منه، وتحملوه، حتى أصبحت حياتهم جحيماً لا يطاق، وبلغ بهم الشوق حداً بعيداً، خاصة لطول ما حيل بينهم وبين هلهم وزوارهم[1]:

إنـي دعـوتُـكِ يـا إلـهَ مـحـمـدٍ    دعـوى فـأوَّلُـهَـا لِـيَ اسـتـغـفـارُ
لِـتـجـيـرنـي مـن شـرٍّ مـا نـا خـائـفٌ    ربَّ الـبـريـة لـيـس مـثـلُـكَ جـارُ
تـقـضـي ولا يُـقـضـى عـلـيـك وإنـمـا    ربـي بـعـلـمـكَ تـنـزلُ الأقـدارُ
كـانـت مـنـازلـنـا الـتـي كـنـا بـهـا    شـتـى وألَّـفَ بـيـنـنـا دَوَّارُ
سـجـنٌ يـلاقـي أهـلُـه مـن خـوفـه    أزَلاً ويُـمـنـع فـهـم الـزوار

وعندما اتصل حبسه، وطالت مدة احتجازه، واعتلت نفسه، وملت مما هي فيه من ضنك وعذاب، استغاث بالله أن يخلصه من السجن، ويسخِّر له صاعقة مدوية تقوضه وتهد أركانه وتمحق من أقام بنيانه وشاد جدرانه[2]:

يـا ربِّ دوارَ أنـقـذْ أهـلَـهُ عـجـلاً    وانـقـضْ مـرائِـرَهُ مـن بـعـد إبـرام
ربِّ ارمـهِ بـخـراب وارم بـانِـيَـه    بـصـولـةٍ مـن أبـي شـبـلـيـن ضـرغـامِ

ودوار هو اسم السجن الذي عانى منه في اليمامة.

وينتقل من دوار في اليمامة، إلى سجن الحجاج بواسطة كما يذكر في أبيات رقيقة، وكان ينتظر هناك أن يقطع رأسه وهو كئيب حزين يبكي لحاله بكاءً مراً، ويحنُّ حنيناً جارفاً إلى زوجته أم عمرو، إذ تؤرقه خيالاتها التي تراوده باستمرار، ويرسل في ختام قصيدته رسالة مع أخوين له إلى أهله الذين سيذرفون عليه الدموع السجام، إذا علموا انه ينتظر الموت، حيث يقول[3]:

ألـيـس الله يـجـمـع أم عـمـرو    وإيـانـا فـذاك لـنـا تَـدَانـي
بـلـى وتـرى الـهـلال كـمـا أراه    ويـعـلـوهـا الـنـهـار كـمـا عـلانـي
أيـا أخـويَّ مـن جـشـم بـن بـكـرٍ    أقـلَّا الـلـومَ إنْ لا تـنـفـعـانـي

(1) معجم البلدان 2/ 479. د. عطوان ـ الصعاليك في العصر الإسلامي ـ 136.
(2) معجم البلدان 2/ 479. د. عطوان ـ الصعاليك في العصر الإسلامي ـ 137.
(3) معجم البلدان 2/ 222. د. عطوان ـ صعاليك العصر الإسلامي ـ ص139 ـ 140.

إذا جـاوزتـمـا سـعـفـات حـجـرٍ وأوديـةَ الـيـمـامـة فـانـعـيـانـي
إلـى قـوم إذا سـمـعـوا بـقـتـلـي بـكـى شـبـأنُـهـم وبـكـى الـغَـوانـي
وقـولا جـحـدرٌ أمـسـى رهـيـنـاً يـحـاذرُ وقـعَ مـصـقـولٍ يـمـانـي
سـتـبـكـي كـلُ غـانـيـةٍ عـلـيـه وكُـل مـخـضـبٍ رخـص الـبـنـانِ
وكـلُ فـتـى لـه أدب وحـلـمٌ مـعـديٌ كـريـمٌ غـيـرُ وانِ

إذن كان جحدر الحنفي لصاً فاتكاً شجاعاً شاعراً، وهو يعلل سبب إغاراته وصعلكته عبر مخاطبته الحجاج بن يوسف الثقفي، إذ كان جحدر يغير على أهل هجر ونواحيها، فبلغ ذلك الحجاج، فكتب إلى عامله باليمامة يوبخه لتلاعب جحدر به، ويامره بأن يشدد في طلبه حتى يظفر به، فاحتال العامل له حتى قبض عليه، وبعث به إلى الحجاج، فقال له: ما حملك على ما بلغني عنك، فقال: جرأة الجنان، وجفوة السلطان، وكلب الزمان[1]. فأمر بحبسه، وحن إلى بلاده واهله في السجن وكانت له تلك القصيدة التي ذكرناها آنفاً.

(1) المحاسن والأضداد ـ ص76. ياقوت الحموي ـ معجم البلدان 2/ 223. د. عطوان ـ الصعاليك في العصر الإسلامي ص46.

# جحدر بن معاوية العلكي
# ... ـ وفاة نحو 100 هـ ـ ... 718م

أحد الشعراء الصعاليك اللصوص في العصر الأموي ـ أحترف الصعلكة وسعى وراء الاغارة والسلب وقطع الطرق، فقبض عليه الحجاج بن يوسف واودعه السجن، وها هو يصدر كرهه لسجن الحجاج في الكوفة، واشتماله على جماعة من المحبوسين، ويذكر أنهم كانوا يلقون فيه أقسى وأشد ألوان العقاب، حتى لكأن النار التي يتوعد الله بها المشركين استمدت لهبها وهو لها منه، وكانوا لا يفارقونه ولا يهاجرون عنه، ولا تفتح لهم أبوابه أبداً، لذلك فهو أبغض بيت عند الله،[1]:

يا رب أبغض بيتٍ عند خالقه ... بيت بكوفانَ منه أُشعلت سقر

مثوى تجمعَ فيه الناسُ كلهمُ ... شتى الأمور فلا ورِد ولا صدرُ

دار عليها عفاءُ الدهر موحشة ... من كل أُنس وفيها البدو والحضر

وينتقل جحدر العكلي مما هو فيه إلى التوبة والاتعاظ، والنهي عن التسرع والشر، والدعوة إلى التسليم بالقضاء والقدرة، بحيث أنه تحول إلى ما يشبه الحكيم الواعظ الذي يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر، حيث يقول[2]:

إذا انقطعت نفس الفتى وأجنَّةُ ... من الأرض رمسٌ ذو تراب وجندل

رأى أنما الدنيا غرور وإنما ... ثواب الفتى في صبره والتواكلِ

وله قصيدة أخرى، يصور فيها حياته، وتقلبه بين حياتيَّ النعيم والشقاء، والعسر واليسر، ويدعو فيها إلى التأني، واتباع الحق، واعتماد الرأي السديد، والنفور من الحمق والطيش والهوى، كما أنه يشجع على التماسك والتراحم

(1) مجموعة المعاني ـ ص39. د. عطوان ـ صعاليك العصر الإسلامي ـ ص133.

(2) مجموعة المعاني ـ ص3 د. عطوان صعاليك العصر الإسلامي ـ ص149.

والتآلف، والكف عن التناحر والابتعاد عن التنابذ والتخاصم، وعدم الاساءة إلى المساكين والمعوزين والضعفاء.

وبشكل عام فهي من الشعر الحكمي التعليمي الموجه، ولعلها ردة فعل على الحياة الأولى، حياة لصعاليك وما اكتنفها من تشتت وحِدَّة[1]:

| | |
|---|---|
| بكل صروف الدهر قد عشتُ حقبة | وقد حملتني بينها كل محمل |
| وقد عشت منها في رخاء وغبطة | وفي نعمة لو أنها لا تحول |
| فإنك لا تدري إذا كنت راجياً | أفي الرَّيث نُجح الأمر أم في التعَّجل |
| ولا تمش في الحرب الضراء ولا تطع | ذوي الضعف عند لمأزق المتحفلِ |
| ولا تشتم المولى تتبَّع أذاته | فإنك إن تفعل تُسَفَّه وتجهلِ |
| ولا تخذلِ المولى لِسوء بلائه | متى تأكل الأعداءُ مولاك تؤكلِ |

(1) مجموعة المعاني ـ ص13. د. عطوان ـ الصعاليك في العصر الإسلامي ـ ص150.

# الجر نفس اللص

الجر نفس اللص بن عبدة الشاعر بن امرئ القيس بن زيد بن عبد رضا بن جذيمة ابن حبيب بن شمر بن عبد جذيمة بن زهير بن ثعلبة بن سلامان بن ثعل بن غمرو بن الغوث بن طيء.

ليست لدينا معلومات كافية عنه وعن سنة مولده ووفاته، ولا تذكر المصادر سبب هذا اللقب أو الاسم (الجر نفس) وقد ورد في معجم الشعراء للمرزباني (الجر نفش).

والجر هذا ينسب نفسه في شعرِهِ إلى بني ثعل، وهو ن الشعراء الصعاليك اللصوص، عاش في العصر الأموي، ووقع في قبضة السلطان، فأسر وذاق مرارة القيد، وهو يعبر عن هذه المرارة في بيتين ذكرا له[1]:

أبــلـغْ بـنـي ثـعـل عـنـي مـغـلـغـلـةً ... فـقـد أتـى لـك مـن نـيءٍ بـإنـضـاج

أمـا الـنـهـارُ فـفـي قـيـدٍ وسـلـسـلـةٍ ... والليلُ في جوفِ منحوتٍ من الساج[2]

وله ابيات في بني حليف، ذكرها لهم المرزباني في معجمه، يشيد بصبرهم وجلدهم، في مواجهة الموت والمصاعب[3]:

لـلـهِ درُّ بـنـي حـلـيـفٍ مـعـشـراً ... أيُّ امـرئٍ فـجـعـوا بـه ولـربـمـا

فجعوا بذي الحسب التليد فأصبحوا ... لا مـسـلـمـيـن ولا ضـعـافـاً وُخَّـمـا

قـومٌ إذا الـحـدثُ الـجـلـيـلُ أصـابـهـم ... شـدوا دوابـرَ بـيـضـهـمْ فـاسـتـحـكـمـا

حـتـى كـأن عـدوَّهـم مـمـا يـرى ... من صبرهم حسبَ المصيبةَ أنعما

---

(1) معجم الشعراء للمزرباني ـ ص74.

(2) الساج: الطيلسان الضخم الغليظ. لسان العرب 2/ 302.

(3) المرزباني ـ معجم الشعراء ـ ص74.

# جريبة بن الأشيم الفقعسي

- ... - ...

جريبة بن الأشيم بن عمرو بن وهب بن دثار بن فقعس بن طريف، وجريبة قد تكون تحقير جربة من الجرب ويجوز ان تكون تحقير جربة وهو القراح من الأرض، والأشيم الذي به شام.

وما لبث أن أسلم، فاستقام أمره، وحسنت سيرته وأخلاقه، وعدل عن طرق اللصوصية والصعلكة والإغارة والنهب، وكل ما يمت إلى ما كان يقترفه في الجاهلية، ثم مضى يعلن على الملأ عن توبته وإيمانه وابتعاده عن كل تصرف مشين[1]:

بـدَّلـتُ ديـنـاً بـعـد ديـن قـد قَـدُمْ  كـنـتُ مـن الـديـن كـأنـي حُـلُـم

يـا قـيِّـم الـديـن أقـمـنـا نـسـتـقـم  فـإن أصـادف مـأثـمـاً فـلـم أُلِـم

وعودة إلى أخبار جريبة تظهر أن افراد قبيلة بني فعقس غزوا بني مجل فقتلوا رئيسهم أبا سلهب فقال أخو بني عجل:

ولـمـا رأيـت بـنـي فـقـعـس  تـذكـرت إحـدى الـهـنـات الـقـدم

فـلاقـت بـنـا الـخـيـل اكـفـاءنـا  وقـالـوا نـزال فـقـلـنـا نـعـم

وفي رواية أخرى تذكر ان النعمان بن بجير العجلي ويكنى أبا سلهب غزا، فلقي فقعس بن طريف ورئيسهم أهبان بن عرفطة، فلما بصر بنو فقعس بالخيل، قالوا هذه عير عليها تمر، فابتدرتها خيلهم، فلحق بهم الشاعر جريبة بن الأشيم،

---

(1) شرح حماسة أبي تمام 20/ 139 ـ 140. المرزباني ـ معجم الشعراء ص77. د. عطوان ـ الشعراء الصعاليك في العصر الأموي ـ 19 ـ 20.

ويكنى ابا سعد، فلما رآهم رجع، واقتتل القوم، فقتل أهبان، قتله الحصن بن معبد بن هلال بن عجل، فقال جريبة[1]:

قالوا أبا سعد ألم تعرفهم ... ثكلت حريبة أمه من يعرف
والله ما حنوا عليَّ وإنما ... منَّت عليَّ شرافُ إذ تتحرف

وشراف أسم فرسه.

ومما نقله إلى ولده يسار[2]:

ولقد حللتَ يسارَ منزلةٍ ... مني فويقَ الخلبِ والكبد
وبذلتُ ما جمعُت من نشبٍ ... وفرشتُ خدَّكَ ساعدي ويدي

ومن شعره بيتان في العمدة لابن رشيق[3]:

لقد طال إيضاعي المخدم لا أرى ش ... في الناس مثلي من معد يخطب
حتى تأوبت البيوت عشية ... فوضعت عنه كورة تتثاءب

(1) شرح ديوان الحماسة أبي تمام - 20 / 140.
(2) المرزباني - معجم الشعراء - ص77.
(3) العمدة لابن رشيق 1/ 142.

# الخطيم المحرزي العكلي[1]
# ... ـ نحو 100 هـ ـ ... نحو 718م

الخطيم بن نويرة العبشمي المحرزي العكلي، شاعر أموي من سكان البادية، ومن لصوصها. أدرك جريراً والفرزدق ولم يلتق بهما، وهو من اهل الدهناء، وحركته ما بين اليمامة وهجر.

من فئة الصعاليك الخلعاء، الذين عدوا من خلعاء القبائل وشذاذها، والذين انحرف سلوكهم نتيجة فقرهم وحاجتهم وتمردوا على قبائلهم فخلعتهم وتبرأت منهم وامتنعت عن المطالبة بحقوقهم. اعتقل وسجن بنجران (في اليمن) زمناً طويلاً وأدرك ولاية سليمان بن عبد الملك (596 ـ 599) وهو في السجن، فبعث إليه بقصيدة رائية وثانية دالية. جمع الدكتور حمودي القيسي بعض أخباره وأشعاره في مجلة المورد العراقية.

يبدو أنه كان يعاني من ظلم عشيرته، لأنه يحذرها في أبيات له من ظلمها له، ويدعوها للكف عن الإساءة إليه، ويدعوها لمناصرته، وإن لم تفعل فهو لا يلام إذا ابتعد عنها، لأنه لا يرضى بالذل في الإقامة، وهذه الصحراء تنادي، وهو لا يتأخر من التشرد فيها، والحياة بحرية وكرامة، مع علمه بتعذر الحصول على وسائل العيش ومتطلبات الاستمرار.

والظاهر أن عشيرته أهملته، وضاعفت ظلمها له، وتخليها عنه، مما اضطره إلى مفارقتها، والانتقال إلى حياة الصعلكة، فانضم إلى الصعاليك اللصوص، وامتهن سبل الاغارة والغزو والنهب لتوفير لقمة العيش[2]:

---

(1) الاعلام للزركلي 2/ 308.

(2) معجم البلدان ج5/ 152 و153. د. حسين عطوان ـ الشعراء الصعاليك في العصر الإسلامي ص58 ـ 59.

بـنـي ظـالـم لا تـظـلـمـونـي فـإنـنـي إلـى صـالـحِ الأقـوامِ غـيـرُ بـغـيـض

بـنـي ظـالم إن تـمـنـعـوا فـضـل مـا بـكـم فـإن بـسـاطـي فـي الـبـلاد عـريـضُ[1]

فـإن الـمـعـالـمَ يُـسـلَـبِ الـدهـرُ عِـزَّه بـه الـعَـلَـجـانُ الـمـرُّ غـرُّ أريـضِ[2]

إذا يشكو الخطيم سوء معاملة قبيلته، وتضييقها عليه، وجورها وتقصيرها، وهذا ما دفعه لكي يتحرر منها وينشد حريته التي رآها في عمل الصعلكة، فيتوه في مجاهل الصحراء، متغنياً بقوته وبعد همته وصلابة قلبه، فهو يغامر غير آبه بالموت، بل ان الموت نفسه يخشى أن يقتحم ما يقدم هو عليه حيث يقول[3]:

وإنـي لـمـاضـي الـعـزمِ لـو تـعـلـمـيـنـه ورُكّـابُ أهـوالٍ يُـخـافُ بـهـا الـردى

إلا أن هذه العزيمة وهذا التحدي سرعان ما يتهاويان أما تهديد ووعيد الخلفاء والولاة وملاحقتهم له، حيث يستبد به الخوف، ويخيل إليه ان العيون تتناوله من كل ناحية، ويتربص به السعاة الدوائر، فتصبح تلك الحرية التي نشدها قلقاً وحيرة، وها هو يصور هنا هذه الملامح مشيراً إلى حنينه الجارف إلى أهله وعشيرته ومرابع صباه[4]:

ألا لـيـت شـعـري هـل أبـيـتَـنَّ لـيـلـةً بـأعـلـى بُـلَـيٍّ ذي الـسـلام وذي الـسِـدْرِ[5]

وهـل أهـبـطـنْ روضَ الـقـطـا غـيـر خـائـف وهـل أصـبـحَـنَّ الـدهـرَ وسـطَ بـنـي صـخـر

وهـل اسـمـعـنْ يـومـاً بـكـاء حـمـامـة تـنـادي حـمـامـاً فـي ذرى قـصـب خـضـرِ

وهـل أريـنْ بـيـن الـحـفـيـرةَ والـحـمـى حِـمـى الـنِّـيـر يـومـاً أو بـأكـثـبـةِ الـشَّـعـرِ

وهـل أريـن يـومـاً جـيـادي اقـودهـا بـذات الـشـقـوق أو بـأنـقـائـهـا الـعُـفْـرِ

جـمـيـعُ بـنـي عـمـرو الـكـرام وإخـوتـي وذلـك عـصـرٌ قـد مـضـى قـبـلَ ذا الـعـصـرِ

ويكرر هذا الحنين والشوق في قصيدة أخرى وهو مشرد مطلوب، مستذكراً أيامه السالفة مع اهله وأحبابه مستعيداً ذكرياته مع محبوبته وبلادها مفضلاً طبيعتها الصحراوية، وأوديتها العميقة واشجارها، وحياتها القاسية البدوية على حواضر الشام وقراها وهضابها[6]:

---

(1) هذا البيت فيه إقواء.

(2) المعالم: مغارة متصلة بالدهناء ـ العلجان: نبت لا ورق له. أريض: يابس.

(3) معجم البلدان ج4 / 151. د. عطوان ـ الشعراء الصعاليك في العصر الإسلامي ص100.

(4) معجم البلدان ج1/ ص494. د. عطوان ـ الشعراء الصعاليك في العصر الإسلامي ص90.

(5) بُلَيّ: تل قصير، من مياه عرمه، بِلوٌ وبُلَيّ.

(6) معجم البلدان 4/ 151. د. عطوان ـ الشعراء الصعاليك في العصر الإسلامي ـ ص96.

أعـوذُ بـربـي أن أرى الـشـامَ بـعـدهـا وعـمـانَ مـا غـنـى الـحـمـامُ وغـردا
فـذاك الـذي أنـكـرتُ يـا أمَّ مـالـك فـأصبحتُ منه شاحبَ اللون أسودا
لـهـا بـيـن ذي قـارٍ مَـزَمْـلٍ مـخـفَّـقٍ من الُقـفٍّ أو مـن رمـلـة بـيـن أبْـرَدَا[1]
أواعِـسُ فـي بَـرْثٍ مـن الأرض طـيـب وأوديـةٌ يُـنْـبِـتْـنَ سِـدْراً وغَـرْقـدا[2]
أَحـبُّ إلـيـنـا مـن قـرى الـشـامِ مـنـزلاً وأجـبـالِـهـا لـو كـان أنـأى تـودُّدَا

ويجمع الخطيم في بيتين اثنين أماكن كثيرة كان يرتادها، وله فيها ذكريات جمة، إنها مرابع الهوى والشوق والحنين[3]:

أمـن عـهـدِ ذي عـهـدٍ بـحـومـانـةِ الـلِّـوَى ومـن طـلـلٍ عـافٍ بـبـرقـةِ عـاذب
ومـصـرعِ خَـيْـم فـي مُـقـام ومـنـتـأى ورُمْـدٍ كسحق المرنبانِيِّ كائب[4](*)

كناية عن أن هذه الاماكن اصبحت اثراً بعد عين، كابية اللون حزينة.

وتدفع به مناظر خلابة كثيرة قضى فيها شطراً من حياته، تدفعه إلى الذوبان فيها، ومخاطبتها وجدانياً، تلك حياة الرجل المتنقل، يترك حنيناً آخر جيث حل وذهب، وما من شك أن حياة الصعلكة قوت جغرافية الشعراء وعززت خبرتهم بالنواحي والأرض ومناخاتها[5]:

ألا إن الـحـزيـزَ حـزيَـزُ عُـكْـلٍ بـه روضٌ بـه كـلأٌ ومـاءُ
تـرى ذِبَّـانَـهُ مـثـل الـنـشـاوي إذا مـا هـاجَ بـيـنـهـم الـغـشـاءُ

(1) مخفق: رمل بأسفل الدهناء.
(2) الوعساء والبرث: كل أرض سهلة لينة.
(3) ياقوت الحموي ـ معجم البلدان ـ 1/ 396.
(4) المرنباني: الفرو وجلود الثعالب ـ كائب: أراد كائب اللون أي لون معتم.
(5) معجم البلدان 3/ 88.

# سعد بن ثابت

## ... ـ 110 هـ ـ ... 728م

سعد بن ثابت بن معاذ بن جعدة المازني التميمي، من عشيرة مالك بن الريب.

وهو شاعر من الفتاك الصعاليك المردة. ورث الصعلكة عن أبيه. ولد في البصرة، وكان له فيها دار، هدمها بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري والي بني مروان، وذكرت رواية أخرى أن الذي هدمها هو الحجاج بن يوسف الثقفي، ولكن الأرجح أن بلالاً هدم داره لوجود إشارات إلى ذلك في شعره.

ذاعت شهرة سعد في عصر المروانيين، وعرف باندفاعه، فلم يثنه هدم داره عن مزاولة اعمال الصعلكة، حتى أنه سخر في شعره من هدم داره، رافضاً أن يصرفه هذا عن أهدافه، أو أن يثبط همته، مظهراً استعداده لمواجهة الموت، بل ساعياً إليه ومندفعاً نحوه بقلب لا يعرف التخاذل حيث يقول[1]:

| | |
|---|---|
| فـإن تـهـدِمُـوا بـالـغـدر داري فـإنـهـا | تـراثُ كـريـمٍ لا يـبـالـي الـعـواقـبـا[2] |
| أخـي غـمـراتٍ لا يـريـدُ عـلـى الـذي | يـهـمُّ بـه مـن مـفـظِـعِ الأمـر صـاحـبـا[3] |
| فـيـا لِـرَزَامٍ رَشِّـحُـوا بـي مُـقَـدِّمَـاً | إلـى الـمـوت خـواضـاً إلـيـه الـكـتـائـبـا[4] |
| إذا هُـمَّ ألـقـى بـيـن عـيـنـيـهِ عـزمـهُ | ونـكّـبَ عـن ذكـر الـعـواقـب جـانـبـا[5] |

(1) شرح حماسة أبي تمام 1/ 36. الأعلام للزركلي ـ 3/ 88. د. حفني ـ شعر الصعاليك. ص264.

(2) الهدم: القلع والتخريب. والغدر: ترك الوفاء. يقول: إن تخربوا داري بالغدر منكم، فإنها تراث كريم لا يأبه للنتائج، (يعني نفسه) ولا يبالي، وهو هنا جد مفاخر بنفسه.

(3) الغمرات: الشدائد، وحقيقة العزم توطين النفس، وعقد القلب على ما يرى فعله والخروج منه، وهكذا يصف نفسه بأنه صاحب همم أخو عزمات، مستبد برأيه فيها غير متخذ رفيقا.

(4) لرزام: اللام للاستغاثة، رشحوا بترشيحكم إياي رجلاً جسوراً مقدماً يخوض إلى الموت الجيوش لجرأته.

(5) قوله ألقى بين عينيه عزمه أي جعله بمرأى منه لا يغفل؟، وانحرف عن ذكر العواقب.

ولـم يـسـتـشـرْ فـي رأيـهِ غـيـرَ نـفـسـهِ ولـم يـرضْ إلا قـائـمَ الـسـيـفِ صـاحـبـا[1]

سأغـسُـل عـنـي الـعـارَ بـالـسـيـفِ جـالـبـاً عـلـيَّ قـضـاءَ الـلـهِ مـا كـان جـالـبـا[2]

وأذهـلُ عــن داري واجـعـلُ هَـدْمَـهـا لـعـرضـي مـن بـاقـي الـمـذمـةِ حـاجـبـا[3]

ويـصـغـرُ فـي عـيـنـي تِـلادي إذا انـثـنـتِ يـمـيـنـي بـادراكِ الـذي كـنـت طـالـبـا[4]

إذا هــمَّ لــم تُــرْدَعْ عــزيــمــةُ هَــمِّــهِ ولـم يـأتِ مـا يـأتـي مـن الأمْـرِ هـائـبـا[5]

إذن تابع سعد بن ثابت أهدافه البعيدة، والتزم بالانتقام ومواجهة الأغنياء والتجار، واتخذ تجاه أعدائه موقفاً صارماً حتى يحفظ لنفسه كيانها ووجودها ومصداقيتها، وكان ينتقل مع الفرسان وأبناء الحروب في أيام المحن والصعوبات ليكون وفياً لها باراً بها:

فـأنـا إذا مـا الـحـرب ألـقـت قـنـاعـهـا بـهـا حـيـن يـجـفـوهـا بـنـوهـا لأبـرار

ويفند في رائية واثقة سبب تمسكه بطابع الشراسة في علاقته بأعدائه، فهو يعتبر ان الكريم لا ينام على ضيم، وربما وجد في حال أمر من الصبر، ففي اللين ضعف، وفي الشراسة هيبة وعنفوان، وهو مسامح غير فظ مع من لان له، لكنه غليظ قاسٍ مع المتعنتين[6]:

تـفـنـدنـي فـي مـا تـرى مـن شـراسـتـي وشـدةِ نـفـسـي أُمُّ سـعـد ومـا تـدري[7]

---

(1) ولم يستشر أمره غير نفسه، أي لا يشاور أحداً وهذا خلاف ما يذهب اليه الناس، كالذي يقول:
أشيرا عليَّ اليوم ما تريانِ
خليلي ليس الرأي في صدر واحد

(2) التقدير سأغسل العار عن نفسي باستعمال السيف في الاعداء، جالباً على نفسي ما يكون الله قد قدره.

(3) التقدير، أجعل هدمها حاجباً لعرضي، ، يقول: إذا نبا المنزل بي حتى يصير دار الهدان انتقلت منه وجعلت خرابه وقاية من العار الباقي، وهذا قريب من قوله: وإذا نب بك منزل فتحول

(4) التلاد: المال القديم ـ أراد بقوله: يصغر صغر القدر، وخص التلاد لأن النفس به أضن، ونبَّه بهذا الكلام على أنه كما يخف على قلبه ترك الدار والوطن خوفاً من التزام العار، كذلك يقل في عينيه إنفاق المال عند إدراك المطلوب.

(5) يخبر عن نفسه أنه إذا أراد الأمر اعتزم ولم يتردد فيه كما قال أحد الشعراء:
فإن فساد الرأي أن تترددا
إذا كنت ذا رأيٍ فكن ذا عزيمة

(6) شرح حماسة أبي تمام 2/ 105. د. حفني ـ الشعراء الصعاليك ـ ص266.

(7) تفندني: تجهلني ـ والفند: انكار العقل من هرم ـ يقال: شيخ مفند. الشراسة: صعوبة الخلق ـ يقول تفندني هذه المرأة على ما ترى من صعوبة الخلق وإباء النفس جاهلة بأحوال الرجال والفصل بين اوقات الجد والهزل، فأجبتها وقلت: إن الرجل الحليم وإن لان عطفه وسهل خلقه فقد يوجد في وقت الغلظة وعند حالة القسوة أشرَ من الصبر وأشد من الحجر.

فـقـلـتُ لـهـا إن الـكـريـمَ وإنْ حـلا ... لَـيُـلـفـى عـلـى حـالٍ أمرَّ مـن الـصـبـرِ

وفـي الـلـيـن ضـعـفٌ والـشـراسـةِ هـيـبـةٌ ... ومن لـم يُـهَـبْ يُـحْـمَـلْ عـلـى مركـبٍ وَعْـرِ

ومـا بـي عـلـى مـن لان لـي مـن فـظـاظـةٍ ... ولـكـنـنـي فـظٌ أبـيٌّ عـلـى الـقـسـرِ[1]

أُقـيـم صـغـا ذي الـمـيـل حـتـى أردُّهُ ... وأخـطـمـهُ حـتـى يـعـودَ إلـى الـقَـدْرِ[2]

فـإن تـعـذلـيـنـي تـعـذلـي بـي مُـرَزَّأً ... كـريـمَ نـثـا الاعـسـار مـشـتـرك الـيـسـرِ

ولذلك، ولكل هذه الأسباب، يرفض الشاعر سعد بن ثابت أن يقيم على هوان صلاة مخافة الموت[3]:

ولـسـنـا بـمـحـتـلـيـن دارَ هـضـيـمـةٍ ... مـخـافـةَ مـوت إذ بـنـا نَـبَـتِ الـدارُ

ثم إنه لا يقبل من عدو ذلاً، انما يواجهه بسيف صلب المتن، حاد قاطع[4]:

إذا هـمَّ ألـقـى بـيـن عـيـنـيـه عـزمـه ... وصمم تـصـمـيم الـسـريـجـي ذي الأثر[5]

وفي رائية أخرى، يخاطب سعد بلالاً الخارجي ويعيره خروجه من طاعة السلطان على غير هدى وشقهِ عصا الاسلام، علماً أن سعداً وإن لم يواجه مباشرة ذوي السلطة، إلا أنه كان ثائراً صعلوكاً، متمرداً على النظم الاجتماعية الجائرة من خلال سعيه إلى تحصيل لقمة العيش[6]:

لا تـــوعـــدنـــا يـــا بـــلال فـــإنـــنـــا ... وإن نحن لـم نشقق عصا الدين أحرار[7]

وإن لـنـا امـا خـشـيـنـاك مـذهـبـا ... إلـى حـيـث لا نـخـشـاك والـدهـر أطـوار

---

(1) القسر: القهر على الكره يقال قسرته: اكرهته. ورمزأ: رجلاً مرزءاً. والنثا: الخير. ويستعمل في الخير والشر، والثناء لا يستعمل إلا في الخير. أني لمت رجلاً إن نابه العسر حسن بلاؤه وكرمت أخباره فيه، وان ناله اليسر اشرك الاقارب والاجانب في نفعه. والسريجي: منسوب ويجوز ان يكون وصف بذلك لكثرة مائه وورنقه حتى كأن فيه سراجا.

(2) ضغا: العوج. الخطم: من إمساك خطام الدابة ـ الغدر الاعتدال.

(3) الحماسة لأبي تمام 2/ 105. د. حفني ـ الشعراء الصعاليك ـ ص272.

(4) حماسة أبي تمام 2/ 105 ـ 106.

(5) السريجي: نسبة إلى صانع السيف أو بلده. والأثر: صلابة المتن وحدته.

(6) شرح حماسة أبي تمام ـ 2/ 106.

(7) أترك توعدنا فإن فينا كرماً وإباءً، وإن لم نخالف المسلمين خلافك، فلا طريق لك إلى تملكنا والتحكم فينا.

فلا تحمِلَّنا بعد سمع وطاعةٍ عليغايةٍ فيها الشقاقُ أو العارُ[1]
فإنا إذا ما الحربُ ألقتْ قناعها بها حين يجفوها بنوِها لأبرار
ولسنا بمحتلين دار هضيمة مخافةَ موتٍ إن بنا نَبَتِ الدارُ[2]

(1) ولا تلجئنا بعد انقيادنا لك، ودخولنا تحت هواك إلى غاية تفضي بنا الحال فيها إلى أحد شيئين، إما مشاقتك والخروج عليك، وإما الرضا بالدنية والدخول تحت العار، فلا حظ لنا ولك في واحدة منهما.

(2) ولا نحتل داراً تنقص فيها حقوقنا وتنبوبنا، أي لا ترافقنا، بل نطلب ما هو أرفق منها بنا.

# سليمان بن عياش

أحد الشعراء الصعاليك اللصوص الفقراء في العصر الأموي. لم يعلم عام ولادته وعام وفاته. إلا انه عاش في العصر الأموي وعاصر عبد الملك بن مروان، والحجاج بن يوسف.

شارك مع غيره من الصعاليك الشعراء في الإغارة على مناطق في شبه الجزيرة العربية، وقطعوا الطرق واعترضوا القوافل، خاصة في الطرق الممتدة بين العراق والحجاز، والعراق واليمامة، ومن الشام إلى الحجاز، وكانوا ينتظرون القوافل في أماكن غير مكشوفة، وهذا الشاعر سليمان بن عياش اللص، يصف طول انتظاره وتربصه بالقوافل للانقضاض عليها[1]:

يقرُّ لعيني أن تُرى بين عصبة ... عراقية قد جُزَّ عنها كتابها
وأن أسمع الطُّرَّاقَ يلقون رُفْعَةً ... مخيِمةً بالسبي ضاعتْ ركابها
أُتيحَ لها بالصحن بين عُنيزةٍ ... وبُسيانَ أصلاسٌ جرودٌ ثيابها
ذئاب تعاوت من سليمٍ وعامرٍ ... وعبسٍ وما يُلقى هناك ذئابها
ألا بأبي أهل العراق وربَحُهُمْ ... إذا فُتِّشتْ بعد الطِّراد عِيابُها

(1) معجم البلدان ـ 1/ 423. د. عطوان ـ الشعراء الصعاليك في العصر الإسلامي ـ ص114.

# السمهري بن بشر العكلي

السمهري بن بشر بن أويس بن مالك بن الحارث العكلي ويكنى أبا الديلم كان يغير على القوافل بطريق الكوفة بمكة، أو بطريق نخل والمدينة، من الشعراء الصعاليك الفقراء في العصر الأموي، عاصر أيام عبد الملك بن مروان، الحقبة التي اشتد فيها الظلم والبغي، وكان هذا الظلم سبباً من أسباب تصعلك بعض الشعراء الأمويين، ويفصح عن هذا المعنى الشاعر الصعلوك مالك بن الريب منتقداً سياسة المروانيين وسوء وفساد الاحوال الاقتصادية[1]:

أحقاً على السلطان أما الذي له ... فيُعْطَى وأما ما عليه فيمنعُ

إذا ما جعلتُ الرملَ بيني وبينه ... وأعرضَ سهبٌ بين يبرينَ بلقعُ[2]

فشأنكمُ يا آل مروانَ فاطلبوا ... سقاطي فما فيه لباغيه مطمعُ[3]

وتنطلق صرخة السمهري من السجن الذي أودع فيه، واضعاً معاناته مع المساجين الآخرين، حيث قيدوا بالأغلال، ونُكِّل بهم، فاصفرت وجوههم ونحلت أجسادهم، وانتابهم، الرعب والخوف دون أن يكون لهم ذنب اقترفوه، أو جريمة ارتكبوها، وهذا رأس الظلم والاستبداد[4]:

لقد جمع الحدادُ بين عصابةٍ ... تسائل في الأقياد أين ذنوبُها

بمنزلةٍ أما اللئيم فشامتٌ ... بها وكرامُ القومِ بادٍ شحوبُها

إذا حرسيٌّ قعقع الباب أُرعِدت ... فرائص أقوام وطارت قلوبُها

(1) الأغاني ـ طبعة الساسي ـ 19/ 163. الشعراء الصعاليك في العصر الإسلامي ـ ص45 ـ 46 و113.

(2) أعرض: امتد وترامى ـ السهب: الأرض الواسعة ـ يبرين: رمل لا تدرك أطرفه بنواحي البحرين.

(3) السقاط: ما يحملونه من التمر، يريد إنه فقير لا يملك شيئاً يرغب فيه.

(4) الاغاني ـ طبعة الساسي ـ 21/ 54. د. عطوان الشعراء الصعاليك في العصر الإسلامي ـ ص94.

ألا ليتني من غير عُكْلٍ قبيلتي ... ولم أدرِ ما شبانُ عُكْلٍ وشِيبُها
قبيلة لا يقرع الباب وفدُها ... لخيرٍ ولا يُهدى الصواب خطيُبَها

وينحي الشاعر هنا في اللوم على عشيرته التي باعته للذل والهوان لكنه رفضهما، وكيف تخلت عنه وأهملته حتى أن ابناءها امتنعوا عن زيارته، وأظهروا قلة وفاء، وقد دفعه سخطه عليها وبرمه منها إلى التفكير بالتبرؤ منها وفك الانتساب إليها.

والذي حمل السمهري إلى السجن، لصوصيته واندفاعه وتأبده في قلب الصحراء مع رفيق له سعياً وراء توفير العيش، بعد ان أكله الفقر، مما جعل عسكر الخليفة المرواني عبد الملك يطلبونه ويلحون على الإمساك به، وها هو يصور هلعه وفرقه وتشرده في الفيافي القاحلة بعيداً عن أهله ووطنه[1]:

ألم ترَ أني وابنَ ابيضَ قد جفتْ ... بنا الأرضُ إلا أن نؤمَّ الفيافيا
طريدين من حيَّيْنِ شتى أشدَّنا ... مخافَتُنَا حتى نخلنا التصافيا

وقد اتخذ البيداء جملاً مع رفيق له لص متصعلك، إلا أنه ليس من قبيلته، التقى به في القفار فتآلفا وتصاحبا واتفقا على الاشتراك في الاغارة والغزو، وفي مواجهة المصير، وقد بلغ بهما الفرق والجزع انهما تخيلا أن الأرض لفظتهما وتبرأت منهما، ولم يعد بوسعهما إلا الإمعان في مواصلة الضرب في المجاهل النائية ابتعاداً عن الاعين، وطلباً للنجاة.

ورغم عتبه على أبناء عشيرته لأنهم لم يزوروه في السجن الذي أودعه فيه رجال عبد الملك بن مروان، فإنه يتوق ويحن إلى مسارح شبابه وفتوته، ومرابع لهوه، ويصف ما يعتمَل في قلب صاحبته من حنين جارف إليه، لبعده عنها، ومفارقته لها، وكيف يبادلها الشوق نفسه والأمنية باللقاء، ثم يتحدث عن توقه إلى لقائها والعيش معها على مسارح شبابه وشبابها وفتوته وفتوتها، تلك المسارح التي يكاد الشاعر يفقد الأمل في العودة إليها، إنه الإحساس الوطني المرهف العميق[2]:

تمنَّت سليمى أن أقيلَ بأرضها ... وأني وسلمى وَيْبَهَا ما تمنيتِ

---

(1) الأغاني 21/ 261 ـ 267. د. عطوان ـ الشعراء الصعاليك في العصر الإسلامي ـ ص91 ـ 107.
(2) معجم البلدان 3/ 169.

ألا ليت شعري هل أزورنَّ ساجراً وقد رويت ماء الغوادي وعُلَّتِ[1]

ورغم موقف الشاعر من عشيرته، وموقفها منه، وسخطه على ما كان يقوم به أفراد من قبيلته ضده، فإنه في أويقات الوعي القبلي يطالب قبيلته، بأن تهب لنجدته، وتخلصه من السجن الذي هو فيه، كما نرى في هذه الأبيات التي نظمها السمهري وهو في سجن عبد الملك بن مروان[2]:

فمن مبلغٌ عني خليلي مالكاً رسالةَ مشدود الوِثاق غريبِ
ومن مبلغ حَزْماً وتيما ومالكاً وأرباب حامي الحفر رهطِ شبيبِ
ليبكوا التي قالت بصحراء مَنعِج ألِي السِّرك يا ابنيْ فائد بن حبيب
أتضربُ في لحمي بسهم ولم يكنْ لها في سهامِ المسلمين نصيبُ[3]

ويحرض السمهري في هذه القصيدة أخاه مالكاً وزعماء قبيلته وهو في السجن، على أخذ الثأر له والانتقام من ساجنيه، وممن دلوا عليه الشُرَط، وهو مختفٍ عنهم في الصحراء، لأن المكافأة التي خصصه عبد الملك بن مروان، لمن يساعد أو يتمكن من القبض عليه قد أغرتهم، وهم بنو أسد. فاجتهدوا في البحث عنه حتى وجدوه وأرشدوا الشرطة إلى مكانه، فقبضوا عليه وساقوه إلى السجن ثم قتل بعد طول حبس، وقد ذكر هذه الرواية أبو الفرج الأصفهاني فقال: لما أُخذ السمهري العلكي وحبس ـ وكانت بنو أسد أخذته وبعثت به إلى السلطان.

ويرثي السمهري نفسه لصاحبته سلمى، وكانت قد طافت به وهو نائم في سجنه، ورجله مقيدة إلى قيد أسود ضخم، مشيراً لها إلى انه لا يخاف طول الفرقة بينه وبينها، لأن لكل شيء نهاية، إنما خوفه الشديد الذي يزعجه ويرهبه أن ينفذ فيه حكم الإعدام وعندئذٍ يكون الفراق الأبدي، فإن بقي على الحياة وذلك ما يتمناه، وإن قدر عليه أن يموت فذلك ما لا مفر منه أبدا[4]:

---

(1) ساجر : ماء في بلاد صنبة وكل.
ورغم ذلك، فقد كان يتغنى بحزمه وعزمه، وشجاعته وجلده، وخبرته في معرفة مواقع واعماق الصحراء حتى لقد طاف اليمامة كلها دون دليل أو مرشد أو رفيق يسليه ويوانسه في المجاهل النائية، علماً أنه في فترة من الفترات كان يرافقه صديق له ذكره في شعره. كما أنه كان يطوف في قسم كبير من غزواته مع عصابة له، مؤلفة منه ومن بهدل ومروان الطائيين:

وما كنت محياراً ولا فزع السُّرى ولكن حذا حُجراً بغير دليل

(2) الأغاني 21/ 261 ـ 267.
(3) في هذا البيت إقواء.
(4) الأغاني 21/ 261 ـ 267. د. عطوان شعراء العصر الإسلامي ـ 136.

ألا طرفت ليلي وساقي رهينةٌ — بأسمَر مشدودٍ عليَّ ثقيلُ
فما البينُ يا سلمى بأن تشحط النوى — ولكنَّ بيناً ما يريد عقيلُ
فإن أنجُ منها أنجُ من ذي عظيمةٍ — وإن تكن الأخرى فتلك سبيلُ

إنه إيمان المسلم أمره إلى الله والاقرار بالقضاء والقدر، أما حبيبته سلمى فالأغلب أنها هي نفسها ليلى التي يذكرها دائماً في قصائده، وها هو طيفها يزوره في سجنه على غرار القصيدة الأولى، وكانت نفسه قد ذابت لوعة وشوقاً إليها، وكان في سجنه موثوق الرجل بالقيود، وأمنيته أن يجمعه الله بها، وأن يعيشا ويموتا معاً. إنه الغاية في الاخلاص والوفاء[1]:

لقد طرقت ليلى ورجلي رهينةٌ — فما راعني في السجن إلا لمامها
وكيف تُرجِّيها وقد حيلَ دونها — وأقسمَ أقوامٌ مخوَفٌ قِسامها
ألا ليتنا نحيا جميعاً بغبطة — وتبلى عظامي حين تبلى عظامها

وترسل له ليلى من الأقاصي النائية سلام المحب المشوق، فيصله مضخماً بالحب والحنين، ويرد لها سلامات عديد الحصى لتتأكد من حبه لها ووفائه الشديد[2]:

وأنبئت ليلى بالغريين سلَّمتْ — علي ودوني طِخفةٌ ورِجامها[3]
فإن التي أهدت على نأيِ دارها — سلاماً لَمردودٌ عليها سلامها
عديد الحصى والأثلِ من بطنِ بيشَةٍ — وَطْرفائها ما دام فيها حَمامُها[4]

وتتعدد اماكن الحنين التي كان يرتادها السمهري، وها هو يتشوق وهو بعيد ناءٍ إلى منزل حفر في ضلوعه ندوباً من الشوق الجارف، وأصبح ملعباً للريح بعد أن كان يزخر بأهله وأصحابه، ولم يبق منه إلا معالم ثلاثة تنطق عن قاطنيه الماضيين[5]:

بكيت وما يبكيك من رسم منزل — على حفر السيدان أصبح خاليا
خلا للرياحِ الراسياتِ تغيرتَ — معارفُهُ إلا ثلاثاً رواسيا

---

(1) الأغاني 21/ 261 ـ 267. د. عطوان شعراء العصر الإسلامي ـ 140.
(2) معجم البلدان ـ 4/ 197. الاغاني 21/ 264 و265. د. عطوان ـ شعراء الصعاليك في العصر الإسلامي ـ 147.
(3) الغريين وطخفة: موضعان.
(4) بيشة: واد يصب في نجد. الظرفاء: نخل باليمامة.
(5) معجم البلدان ـ 2/ 276.

# شبيب عمرو بن كريب الطائي

أحد لصوص طيء، وهو مخضرم من الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي وعصر صدر الإسلام، ظل يمارس الصعلكة بعد ظهور الإسلام، وكان يقطع الطريق في خلافة الإمام علي بن أبي طالب، فبعث إليه علي أحمر بن شميط واخاه مع مجموعة من الفوارس، فهرب شبيب، واستطاع النجاة منهم ومن الامام علي بن ابي طالب، ولما اطمأن إلى انه قد نجا أنشد يقول[1]:

ولــمــا رأيــتُ ابــنَــي شــمــيــطٍ　　بــســكــةِ طــيء والــبــابُ دونــي[2]
تــجــلَّــلْــتُ الــعــصــا وعــلــمــتُ أنــي　　رهــيــنُ مُــخَــيِّــسٍ إن يــثــقــفــونــي[3]

فقد فر على فرسه (العصا) وهو يعلم تمام العلم أنه سيذوق السجن إن هم أمسكوا به. ثم يتابع واصفاً الإمام علي قائلاً:

ولــو أنــي لــبــثــتُ لــهــم قــلــيــلاً　　لــجــرونــي إلــى شــيــخ بــطــيــنِ[4]
شــديــدِ مــجــامــعِ الــكــتــفــيــن بــاقٍ　　عــلــى الــحــدثــانِ مــخــتــلــفِ الــشــؤونِ

---

(1) شرح حماسة أبي تمام.
(2) السكة: السطر من الشجر.
(3) العصا: فرس شبيب المشهورة. مُخيِّس: بضم الميم وتشديد الياء المكسورة. يثقفوني: يدركوني.
(4) الشيخ: هو الإمام علي بن أبي طالب.

# شظاظ الضبي

- ... - ...

من الشعراء الصعاليك الأمويين، وأحد أفراد عصابة مالك بن الريب، التي كانت تتكون منهما ومن أبي حردبة المازني وغويث من بني كعب بن حنظلة، وكان هؤلاء من أشد الناس وأخطرها وأعلمها بفنون التلصص والإغارة، حتى لقد افزعت السابلة وروعت المواطنين، وقد شاع أمرها في أرجاء الدولة، وتناقل الناس أخبارها، وتجنبوا المرور في طرقاتها وحذروا من مفاجآتها وأخطارها، حتى لقد جمع احد الرجاز أسماء هذه العصابة في مقطوعة صغيرة يقول فيها:

اللهُ نجاك من القصيمِ وبطنِ فلَجٍ وبني تميم
ومن أبي حردبة الأثيمِ ومالك وسيفهِ المسمومِ
ومن شظاظِ الأحمرِ الزنيمِ ومن غويثٍ فاتحِ العُكومِ

وكانت أفراد هذه المجموعة من الشعراء الصعاليك اللصوص يقطعون الطريق على الحجيج ببطن فلج، ويخيفون السبيل فيه.

وقد عُرِف شظاظ الضبي باحتراف الحيل والدهاء في لصوصيته، حتى ليقال أنه كان ذات يوم يمشي في الطريق يبتغي شيئاً يسرقه، فلم يجد مبتغاه، فتفيأ ظل شجرة على الطريق، يتخذها الركبان ظلاً لاستراحتهم ونومهم، وفي مكان ليس فيه ظل غيرها، وإذا برجل يمر ممتطياً حماره، ومعه بعض المتاع، وهو قادم نحو تلك الشجرة، بغية الاستراحة من عناء السفر، فقال له شظاظ: إن المقيل الذي تريد أن تقيله يُخْسَفُ بالدواب فيه، فلم يلتفت الرجل إليه، وأناخ حماره واستراح، فظل شظاظ يراقبه حتى إذا نام، أقبل على حماره فاستاقه، ولما نأى به، قطع طرف ذنبه وأذنيه، وقاده إلى مكان بعيد، وخبأه فيه، وعندما استيقظ الرجل من نومه، قام يطلب حماره، ويقفو أثره، فبينما هو كذلك، إذ عثر على أطراف ذنبه وأذنيه، فندم

# طهمان بن عمرو الكلابي

## ... ـ 80 هـ ـ ... ـ 700م

من الشعراء الصعاليك في العصر الأموي، لم يعرف عام ولادته، توفي نحو سنة 80 هـ / 700م، عاش في خلافة عبد الملك بن مروان، جمع السكري شعره وأخباره في كتاب اللصوص الذي فقد فيما بعد، ثم طبع جزء من ديوانه من غير أن يعرف أنه له، ثم ظهر له ديوان ضمن كتاب صنعة السرج واللجام لابن دريد، وطبع في مطبعة الارشاد ببغداد سنة 1968م وحققه محمد جبار المعيبد.

ومع ذلك فأخبار هذا الشاعر قليلة جداً، وتفاصيل حياته لم تتضح بشكل عام، إنما الشائع المعروف أنه من صعاليك الدولة الاموية وفتاكها، قضى حياته مشرداً في الجبال سيء الحال، ساعياً وراء تأمين لقمة العيش بالاغارة والسلب، وكانت تطول ايام تشرده، فيتشوق إلى خليلته ويحن إليها لكنه يزجر نفسه عن التعلق بحبيبته، لأن الوقت غير ملائم، فهو بعيد مشرد في الفلوات[1]:

فيا لك من نفس لجوج ولم أكنْ نهيتكِ عن هذا وأنتِ جميعُ
وما زال صرفُ حتى رأيتُني أُطلَّي على سهوانَ فهو مريعُ[2]

إلا أن طيف أميمة حبيبته لا ينفك يلاحقه أنى ذهب، فيلمُّ به ويؤرقه عند الفجر، وهو ضارب في أعماق الفيافي النائية مع رفاقه، وقد أضناهم السير وانهكتهم المسافة الطويلة. فاستسلموا لنوم عميق في مكان من الصحراء[3]:

---

(1) معجم البلدان ج3/ ص291 ـ الاعلام للزركلي ـ جـ 3 ص233 ـ د. عطوان ـ الشعراء الصعاليك في العصر الإسلامي ص98.

(2) أطلَّي: أمرض. سهوان: أسم جبل.

(3) معجم البلدان 3/ 407. د. عطوان الشعراء الصعاليك في العصر الأسلامي ـ ص98.

طرقت أميمةُ أينقاً ورحالا ومصرَّعين من الكرى أزوالا[1]
وكأنما جفلَ القطا برحالنا والليلُ قد تبع النجوم فمالا
يتبعن ناجيةً كأن قتودها كُسيت بصعدةَ نقنقاً شوالا

وكان طهمان لصاً فاتكاً كما يصفه ياقوت الحموي في معجم البلدان، وقد سبق ان قطع نجدة بن عامر الخارجي يده، عندما سرق له بعيراً وقد استغل طهمان هذه الحادثة متعرضاً للخوارج عله ينجو بنفسه بعد أن قصد حين مدح عبد الملك بن مروان خماراً وشرب عنده، ثم سرق منه كل أمواله فاستغاث الخمار ورفع شكواه إلى الوليد بن عبد الملك، الذي قرر أن يقطع يده، فأنشا قصيدة من قطعتين، واحدة مدح بها الوليد، والأخرى مدح بها عبد الملك، وقد طلب في الثانية من عبد الملك ان يعفو عنه، ورجاه ألا يقطع يده، لأنه ليس له غيرها، فقد قطع يده الأولى نجدة الخارجي كما أشرنا وحري به أذ يصفح عنه لأنه خصم معارضيهم ومناوئيهم ثم دعا عبد الملك إلى التوجه لقتال الخوارج، فهم له كارهون، يفسدون عليه خلافته، ويجتمعون في واد باليمامة معلنين الثورة عليه، يلعنونه ويتربصون به الدوائر[2]:

يدي يا أميرَ المؤمنينَ أعيذُهَا بحقْوَيْك أن تُلقى بملقى يُهينها[3]
ولا خير في الدنيا وكانت حبيبةً إذا ما شمالي زايلتها يمينها
وقد جمعتني وابن مروان حُرَّةٌ كلابيةٌ فرعٌ كرام غصونها
وإن بحَجْرٍ والخضارم عصبةً حروريةً خُبنا عليك بطونُها[4]
وإذا شبَّ منها ناشئ شب لاعناً لمروان والملعون منهم لعيُنَها

ويبدو أن هناك علاقة قرابية من جهة الأم بين الشاعر وبين عبد الملك، فقد جمعت امرأة كلابية بينهما.

ويتذكر مرابع الأغر حيث كانت له ذكريات حميمة جمة، مرابع لعبت بها الرياح ولم يبق منها إلا رواسي كعش الطائر[5]:

---

(1) أزوال: جمع زول وهو الخفيف الظريف.
(2) ديوان طهمان ـ ص35 ـ 40. د. عطوان ـ صعاليك العصر الإسلامي ـ 142.
(3) الحقو: الإزار. عاذ بحقوه: استجار به.
(4) خُبنا: فاسدة. الخضارم: واد باليمامة.
(5) معجم البلدان ج1/ ص224.

سقياً لمرتبع توارثه البلى ... بين الأغر وبين سود العاقر[1]
لعبت بها عُصُفُ الرياح فلم تدع ... إلا رواسي مثل عش الطائر

وقد دفعته صعلكته وسعيه خلف الغارات والنهب إلى ظلمات السجن، وها هو يصور ما آل إليه وضعه وهو في سجن نجران[2]:

ألا يا اسْلما بالبئر من أم واصل ... ومن أم جبر أيها الطللان
وهل يسلم الربعان يأتي عليهما ... صباح مساء نائب الحدثان
ألا هزئت مني بنجران إذ رأت ... عشاري في الكبلين أم أبَان
كأن لم ترَ قبلي أسيراً مكبلاً ... ولا رجلاً يرمي به الرجوانِ
عذرتكِ يا عيني الصحيحة والبكا ... فما لك يا عوراء والهملان
كأنهما والآل يجري عليهما ... من البعد، عينا برقع خَلقَان
ألا حبذا والله لو تعلمانه ... ظلالكما يا أيها العلمان
وإني والعبسي في أرضَ مَذْحِجٍ ... غريبان شتى الدار مختلفان
وماؤكما العذب الذي لو وَرَدْتِه ... وبي نافضٌ حُمى إذاً لشفاني
غريبانِ مجفوان أكثرُ هَمِّنَا ... وجيفُ مطايانا بكل مكان
فمن ير حُمانا وملقى رِكابنا ... من الناس يعلمْ أننا سبُعان

---

(1) الأغر: جبل في بلاد طيء على طريق مكة من الكوفة فيه ماء يسقي نخيلا.

(2) ياقوت الحموي ـ المعجم، ج2/ ص462 و463.

# عبد الله بن سبرة الحرشي[1]

ينتسب هذا الشاعر إلى منطقة حرش، وهي موضع في اليمن، وكان أحد شعراء العرب الصعاليك الفتاك في الإسلام، وكان من الرجال المعروفين المشهورين في المجتمع بالقوة والبأس والعنفوان، وتصفه الأخبار بأنه من فتاك العرب، إلا أن حادثة جرت له مع الروم غطّت على سائر أخباره في الصعلكة والفتك والقتال، ذلك أنه في أوقات المناوشات التي كانت تحدث بين المسلمين والروم على الحدود (الصوافي) بما يشبه ما هو معروف اليوم بحرب العصابات، استعان أحد الولاة بعبدالله بن سبرة الحرشي، ليغير في إحدى العصابات على بعض الروم، وقد قاتل عبد الله في هذه الغارة بطريقاً رومياً فقتله عبدالله، بعد ان قطع الرومي يد عبد الله أو إصبعيه على اختلاف الروايات، وقال عبدالله في قطع يده شعراً كثيراً، يعتز فيه بأن قَطْعَهَا اقترن بنصر له كبير.

وذكر أبو تمام في حماسته، أن رجلاً من الروم يقال له سعد، كان يقول لصاحب الصائف: إبعث معي جنداً أدلهم على عورات الروم، فيتوغل بهم، وقد جعل لهم كميناً من الروم فيقتلون، وعندما كان يغزو عبدالله مع صاحب الصائفة أمير الجيش المكلف بالغزو، قال سعد لصاحب الصائفة: إبعث معي رجلاً من أصحابك، فإني قد عرفت غرة لهم، فانتدب عبد الله، ومضى حتى انتهى إلى غيضة ـ وهي منطقة مكتظة الاشجار ـ فقال لعبد الله أدخل، فقال له عبد الله، أنا الدليل أم انت، فأبى، وعرف عبدالله ما أراده، فقتله، وخرج عليه بطريق من بطارقتهم، فاختلف هو وعبدالله ضربتين، فضربه عبد الله فقتله، وضربه الرومي فقطع اصبعين له، ثم رجع عبدالله وسئل عن سعد فقال:

---

(1) حماسة أبي تمام ـ 2/20. د. حفني الشعراء الصعاليك ـ ص135.

ومستخبر عن حال سعد ولم أكن لآخذ شيأ في الحوادث عن سعد
وعهدي بسعد وسط شجراء جمة وما لي بسعد بعد ذلك من عهد

ومن قصيدته التي قالها في أصبعيه:

ويل أم جارٍ غداه الجسرِ فارقني اعززْ عليَّ به إذ بانَ وانقطعا
فما أسيتُ عليها أن أُصاحبها لقد جهدتُ على أن لا تفوت معا
وقائل كان من شأني بمجهلة هلا اتقيت عدو الله إذ وقعا
وكيف اتركهُ يمشي بمنصلهِ صلتاً وأنكل عنه بعد ما وقعا
ما كان ذلك يومَ الروع من خلقي ولو تقارب مني الموت فاكتنعا
ويلَ أُمِّهِ كافراً ولَّت كتيبته جانٍ وقد ضيعوا الأحساب فارتجعا
يمشي إلى مستميت مثله بطل حتى إذا أمكنا سيفيهما امتنعا
كلّ ينوء بماضي الحد ذي شطب عضب جلا القين عن ذريه الطبعا
حاسيته الموت حتى اشتف آخره فما استكات له شكري ولا جزعا[1]

ورغم الضبابية التي ألقتها قصة ابن سبرة الحرشي على اخبار صعلكته ونشاطاته الإغاراتيه، فإن ومضات خاطفة نجدها في أمهات الكتب تبين احتفاله بفكته ولصوصيته، واهتمامه بأسلحته وعدته، فبعد كل غارة يهم الشاعر أن يجلي الصياقل عن سيفه ما يعلق بنصله، كما يقول[2]:

كل ينوء بماضي ذي شطب جلى الصياقل عن ذريه الطبقا[3]

وينتظر الشاعر اشتداد الحر، عندما تطلع الثريا وتشيل الجوزاء ليعبر نهر الفرات إلى العدو بعد أن يكون ماؤه قد قل، وتصبح مخاضاته معابر[4]:

إذا شالت الجوزاء والنجم طالع فكل مخاضات الفرات معابر[5]
أي ساعٍ سيعي ليقطع شربي حين لاحت للصابح الجوزاء
ونقى الجندب الحصا بكراعيه وأذكت نيرانها المعزاء

---

(1) حماسة أبي تمام ـ 2/ 20.
(2) أمالي القالي 1/ 47 ـ د. حفني الشعراء الصعاليك ص221 و222.
(3) الشطب: طرائق السيف في متنه. وذريّة: لمعانه. الطبق: الوسخ.
(4) شرح ديوان الحماسة لأبي تمام 2/ 20.
(5) شالت الجوزاء: ارتفعت. وأراد بالنجم: الثريا. إنما ذكر الثريا مع الجوزاء لأنهما إذا طلعا فذلك حين يشتد الحر.

والشاعر يأبى على نفسه الاذلال والهوان، وإذا بخل عليه الأمير بالاذن في القفول قفل هو من نفسه غير آبه ولا مكترث، ويبدو أن هذا متعلق بالإذن في دخول الصوافي واقتحام ديار الأعداء[1]:

وإنــــي إذا ضــــنَّ الأمــــيــــر بــــإذنــــه        عـلـى الاذن مـن نـفـسـي إذا شـئـت قـادرُ

(1) ديوان الحماسة لأبي تمام 2/ 21.

# عبدالله بن الحجاج الثعلبي الغطفاني
# ... ـ نحو 90هـ ـ ... ـ نحو 708م

عبدالله بن الحجاج بن محصن بن جندب بن ثعلبة بن قيس بن عيلان بن مضر. يكنى أبا الأقرع. أحد الشعراء الصعاليك السياسيين الفقراء اللصوص. كان شجاعاً فاتكاً صعلوكاً من صعاليك العرب، متسرعاً إلى الفتن، وكان قد خرج مع عمرو بن سعيد العاص على عبدالملك بن مروان بدمشق، فلما قضى الخليفة المرواني على عمرو، لم يستسلم عبدالله، ولا هدأ واستكان، ولا فقد الأمل في دحر وهزيمة عبد الملك، بل ظل يلتمس سبل القضاء عليه، فانضم إلى نجدة بن عامر الخارجي، وساهم معه في التصدي ومقاتلة جيوش عبدالملك، لكنه لم ينتصر عليها، بل على العكس من ذلك، فقد تراجع أمامها، ثم ما لبث أن هرب تائهاً في الصحاري والقفار وتضيق الأرض خاصة لما علم بتهديد الخليفة عبد الملك له، وها هو يقول مصوراً خوفه وهلعه[1]:

رأيتُ بلادَ اللهِ وهي عريضةٌ ... على الخائفِ المطرودِ كِفَّةَ حابلِ[2]

تؤدي إليه أنَّ كلَّ ثَنِيَّةٍ ... تيمَّمها ترمي إليه بقاتلِ[3]

ومع كل الذعر الذي أصابه، وملأ عليه نفسه وقلبه، حتى تخيل أن في كل شعب من شعاب الجبال التي فرَّ إليها شرطياً يراقبه ويتحينَ الفرص ليقتله، مع كل هذا لم يذعن عبد الله، ولم يستسلم لعبد الملك، ولم ييأس من الإيقاع به والقضاء عليه، لذلك ظل يفتش عن أخصامه الذين يمكن أن يتآلفوا وينقضوا عليه ويخضعوه

---

(1) الاغاني ص13/ 163. الاعلام للزركلي ـ 4/ 7 و78.

(2) كفة الحابل: مصيدة الصائد.

(3) تؤدي: تحمل. الثنيَّة: الطريق في الجبل.

ويسحقوه، حتى وجد ضالته المنشودة، عند عبدالله بن الزبير بمكة، فالتحق به، وانضم إلى صفوفه، وحارب معه جيوش عبد الملك التي قادها الحجاج، واستمر يسانده ويدعمه، وظل إلى جانبه يحارب الحجاج وجنده حتى تمكن منه وتغلب عليه وقتله[1].

وإذ ذاك ضاقت الأرض على رحبها بعبد الله بن الحجاج الثعلبي، فقد قتل عبدالله بن الزبير، وكان قد شارك معه في الثورة على عبدالملك بن مروان، ثم شارك في الثورة عليه مع نجدة بن عامر الحنفي ومع عمرو بن سعيد بن العاص، وأصبح مطروداً في عرض الصحراء، خائفاً من سطوة عبد الملك، وأخيراً وبعد اخذ ورد، قرر أن يعتذر إليه، فدخل إلى مجلسه وطلب الصفح منه، وانشد بين يديه قصيدة جاء فيها[2]:

أبلغ أمير المؤمنين فإنني ... مما لقيتُ من الحوادث موجَعُ
منع القرار فجئت نحوك هارباً ... جيشٌ يجرُّ ومِقنب يتلمع
إن البلاد عليَّ وهي عريضة ... وَعُرَت مذاهبها وسُدَّ المطلع
كنا تَنَحَّلْنَا البصائر مرةً ... وإليك إذ عمي البصائر ترجع

وبشكل عام، فعبد الله بن الحجاج الثعلبي شاعر فاتك شجاع، من معدودي فرسان مضر، ذوي البأس، والنجدة فيهم.

والمعروف أن الشاعر من القبائل التي غضب بنو أمية عليها، وحرموها من المشاركة في السلطة، فهو من قيس عيلان التي مال الامويون عنها.

ومن أشعاره أنه، بعد أن خرج مع نجدة بن عامر الشاري الخارجي ثم انقضى أمره وهرب، وسعى الولاة في طلبه، ضاقت عليه الأرض، فلجأ إلى أحيح بن خالد بن عقبة بن أبي معيط، فوشى به إلى الوليد بن عبد الملك، فبعث إليه بالشرطة، فأخذ من دار أحيح، ثم أتى به إلى الوليد فحبسه، فقال وهو في الحبس[3]:

أقول وذاك فرط الشوق مني ... لعيني إذ نأت ظمياء فيضي[4]

---

(1) الأغاني طبعة دار الكتب ـ 13/ 158. د. عطوان الشعراء الصعاليك في العصر الإسلامي ـ 80 ـ 81 ـ 99.
(2) الأغاني ـ طبعة دار الكتب ـ 13/ 158. د. عطوان الشعراء الصعاليك في العصر الإسلامي 142 ـ 143.
(3) الأغاني ـ 13/ 164.
(4) ظمياء: اسم امرأة ـ والظمياء من الشفاه: الذابلة في سحرة. ومن العيون: الرقيقة الجفن.

تساءلُ سلمى عن أبيها صحابَهُ وقد علِقته من كثيرٍ حبائلُ[1]
فلا تسألي عني الرفاقَ فإنه بأبهرَ لاغازٍ ولا هو قاتلُ[2]
ألستُ ضربتُ الديلميَّ أمامهم فجدَّلتُهُ فيه سنانٌ وعاملُ[3]

فمكث في السجن مدة ثم أخلي سبيله فقال مخاطباً شهاب بن الحصين[4]:

سأتركُ ثغرَ الري ما دمتَ والياً عليه لأمرٍ غالني وشجاني
فإن أنا لم أُدركْ بثاري وأتّئِرْ فلا تدعُنِي للصِيدِ من غطفانِ[5]
تمنيتني يا بن الحصينِ سفاهةً وما لك بي يا بن الحصين يدانِ
فإني زعيمٌ أن أُجلِّلَ عاجلاً بسيفي كفاحاً هامةَ ابنِ قنانِ[6]

اذن هو يقسم على الأخذ بالثأر من كثير بن شهاب والي ثغر الري، لأنه ظلمه، ويعد بأن يقضي عليه بسيف بطاش، ولما عُزل كثير وقدم الكوفة، كمن له عبد الله بن الحجاج في سوق التمارين، وذلك في خلافة معاوية بن أبي سفيان وإمارة المغيرة بن شعبة على الكوفة، ولما رآه قد خرج من داره يريد قصر المغيرة ليحادثه، كمن له حتى خرج وقد شب المساء، ثم ضربه بعمود من حديد على وجهه فهتم مقاديم أسنانه كلها، وقال في ذلك[7]:

من مبلغٌ قيساً وخَندفَ أنني ضربتُ كثيراً مضربَ الظربانِ[8]
فأُقسم لا تنفكُّ ضربةُ وجههِ تُذِلُّ وتخزي الدهرَ كلَّ يمانِ
فإن تلقني تلقَ امرأً قد لقيته سريعاً إلى الهيجاء غير جبان
وتلق امرءاً لم تلق أُمُّكَ برَّه على سابح غوجِ اللَّبانِ حصان[9]
وحوليَ من قيسٍ وخندفَ عصبةٌ كرامٌ على الباساءِ والحدثانِ

ولما ظلم عمرُ بن هبيرة عبدالله بن الحجاج حقاً له، استعان عليه بقومه،

---

(1) الحبائل: جمع حبالة. المصيدة.
(2) أبهر: مدينة بين قزوين وزبخان.
(3) جدَّلته: صرعته. العامل من الرمح: صدره.
(4) الأغاني 13/ 166 ـ و167.
(5) اتئر: أدرك ثأري. الصيد: جمع أصيد. وهو الملك.
(6) ابن قنان هو شهاب الدين والي ثغر الري.
(7) الأغاني 13/ 166 و167.
(8) الظربان: دويبة كالهرة نتنة الرائحة لا تخرج رائحتها من الثوب حتى يبلى.
(9) غوج اللبان: أي واسع جلد الصدر. اللبان: كسحاب.

فلقوه في بعلبك وعاونوا عبدالله عليه، ومزّقوه بسياطهم، حتى انتزعوا حقه منه، فقال عبد الله في ذلك[1]:

ألا أبلغ بني سعدٍ رسولاً ودونهم بُسَيْطه فالمعاطُ[2]
متى ما تعترضْ يوماً لحقي تُلاقِكَ دونهم سُعرٌ سباطُ[3]
من الحيينِ ثعلبة بن سعدٍ ومرَّةَ أخذُ جمعهم اعتياطُ[4]
تراهم في البيوت وهم كسالى وفي الهيجا إذا هيجوا نِشاطُ

ثم كتب الحجاج إلى عبد الملك بن مروان يعرِّفهُ آثار عبد الله بن الحجاج وبلاءه من محاربته، وانه بلغه أنه أمَّنه، ويحرضه ويسأله أن يوفده إليه ليتولى قتله، وبلغ ذلك ابن الحجاج، فجاء حتى وقف بين عبد الملك ثم انشده[5]:

أعوذ بثوبيك اللذين ارتداهما كريمُ الثَّنا من جيبه المسكُ ينفحُ
فإن كنتُ ماكولاً فكنْ أنتَ آكلي وان كنتُ مذبوحاً فكن أنتَ تذبحُ

فقال عبد الملك، ما صنعتَ شيئاً فقال عبدالله[6]:

لأنت وخير الظافرين كرامهم عن المذنب الخاشي العقاب صفوحُ
ولو زلقت من قبل عفوك نعله ترامى به دحض المقام بريحُ[7]

فكتب عبد الملك إلى الحجاج، إني قد عرفت من خبث عبد الله وفسقه ما لا يزيدني علماً به، (هذا كما يرى الخليفة) فدخل داري وأعاذني فأعذته، فلا تعرض له ولا لأحدٍ من أهل بيته إلا بخير والسلام.

---

(1) الأغاني 13/ 171 ـ 172.

(2) بسيطة: أرض في البادية بين الشام والعراق، سلكها أبو الطيب المتنبي لما هرب إلى مصر. والمعاط: لعله مكان.

(3) السعر: جمع أسعر، القليل اللحم الظاهر العصب. السباط: الطوال

(4) الاعتياط: إلقاء النفس في الحرب، غير مكره.

(5) الأغاني 13/ 173.

(6) الأغاني 13/ 173.

(7) البريح: المتعِب.

# عبيد بن عياش البكري

من الشعراء الصعاليك اللصوص في العصر الأموي، كان يكمن للقوافل ويغير عليها في مناطق كثيرة من الجزيرة العربية، خاصة نجد وأرض الجزيرة الفراتية، واليمامة، وكان باليمامة أسواق كثيرة للإبل، تسيل لعاب الصعاليك اللصوص، وقد اتسعت دائرة غارات هؤلاء الصعاليك، حتى شملت مصر، فقد ذهب عبيد البكري مع صديق له في اللصوصية إلى مصر، وطردا إبلاً لرجل نصراني، وساقاها حتى أورداها حَجْر اليمامة، ليبيعاها فيها، إذ أن عادة اللصوص أنهم يقصدون أسواق اليمامة ويبيعون فيها الإبل التي يسرقونها في غاراتهم، يقول عياش في قصيدة هائية حول غارته في مصر[1]:

سَرتْ قصور الحوفِ ليلاً فأصبحتْ ... بدجلَة ما يرجو المقامُ حسيرُهَا[2]

نباطيَّةٌ لم تدرِ ما الكورُ قبلها ... ولا السيرُ بالَموْمَاة مُذْ دَقَّ نورُها[3]

يدور عليها حاديها إذا دنت ... وأنت على كأس الصليبِ تُديرها

سلوا اهل تيماءَ اليهودَ ممرَّها ... صبيحة خمسٍ وهي تجري صفورُها

ألا لا يبالي عارمٌ ما تجشَّمت ... إذا واجهتْهُ سُوقُ حجر ودورُها[4]

وكان عبيد وصاحبه قد طردا الإبل ليلاً، وسارا بها من قصور الحوف حتى أورداها صبحاً أرض العراق، ولم يسبق لهذه الأبل أن رحلت عبر الصحراء منذ طفولتها وحتى الآن، ويبدو أن صديقه عارم تجشم مشقة السفر، إلا أنه يعده بأن هذه المشقة سوف تزول عندما يرى أسواق حجر في اليمامة حيث يبيعان الابل ويغتنيا.

---

(1) معجم البلدان ـ ج2/ 322. د. عطوان الشعراء الصعاليك في العصر الإسلامي ـ ص112.

(2) الحسير: الضعيف المهزول. الخوف: من قرى مصر.

(3) الكور: الرحل. ـ يريد أنها لم ترحل ولا اعتادت السفر. الموماة: الصحراء. دق نورها: ذهب وبرها الأول.

(4) عارم: يبدو أن عارم هو رفيق عبيد في غارته على مصر.

# عبيد بن أيوب العنبري

.... - ....

أبو المطراب أو أبو المطراد، من بني العنبر.

أحد أعلام الشعراء الصعاليك اللصوص في العصر الأموي، ومن خلفاء العرب وشذاذها، وقد دفعه ظلم الولاة والسلطة والقبيلة إلى التصعلك، إذ حرم هو وامثاله من الصعاليك الفقراء من العطاء، فاشتد الفقر عليهم ومنهم مالك بن الريب المازني ومسعود بن خرشة المازني وعقيل السعدي، وعبيد بن أيوب العنبري، وأبو النشناش.

وقد احترف عبيد اللصوصية والصعلكة، فنذر السلطان دمه وخلعه قومه وتبرأ منه، فاستصحب الوحوش وأنس بها وارتاحت اليه، وسوف نذكر هذا لاحقاً[1].

وعاش عبيد حياة مضطربة في الصحراء نتيجة تشرده وتأبده، وانتابه الخوف والرعب الشديدين، فهو مطلوب ومطارد، وقد سيطرت هذه الافكار على شعر عبيد، حتى لتكاد تستغرق معظم شعره، ويتميز فيها عن الشعراء الصعاليك الآخرين، وقد انطقه الخوف عندما خاطب الحجاج بعد أن جدَّ في طلبه[2]:

أذقتَني طعَم النومِ أو سلْ حقيقةً ... عليَّ فإن قامتْ ففصِّلْ بنانيا

خلعتَ فؤادي فاستطارَ فأصبحتْ ... ترامى بي البيدُ القفارُ تراميا

وبلغ به الخوف مبلغاً لم يصله أحد، فقد تاق إلى النوم، وانهارت أعصابه، وخارت قواه، وذهب عقله، وعاش في هلع دائم[3]:

---

(1) الحيوان للجاحظ - 6/ 444. د. عطوان - صعاليك العصر الإسلامي - ص60. الأعلام للزركلي - 4/ 188.

(2) الشعر والشعراء - ص532 و533. د. عطوان الشعراء الصعاليك في العصر الإسلامي - ص92.

(3) الحيوان للجاحظ - 6/ 444. مجموعة المعاني - ص77. د. عطوان - الصعاليك في العصر الإسلامي الإسلام ص93.

لقد خِفتُ حتى لو تمرَّ حمامةٌ لقلتُ عدوٌ أو طليعةُ معشر
فإن قيلَ أَمْنٌ قلتُ هذي خديعةٌ وأن قيل خوفٌ قلتُ حقاً فشَمِّر
وخفتُ خليلي ذا الصفاء ورابني وقيل فلان أو فلانة فاحذر

ويبدو من خلال الابيات أن الشاعر لا يستقر له حال، فقد استحالت حياته شقاءً وهلعاً، وتوجس خيفة من المجهول القادم، واخذت تنتابه الوساوس والأشباح، فإذا كل شيء أمامه تافه لا قيمة له، فَعِدَم الثقة بأصدقائه، وانتابه الشك بهم، وخُيِّلَ إليه أن الوجود مجموعة شَرط يحيطون به ليقبضوا عليه، فهام على وجهه في الصحاري والقفار، وأضحى جوالاً في طول البلاد وعرضها، عبر المجاهل والمنحنيات، فجد في الهرب إلى الأبعد، وشبه نفسه بالحيوان الوحشي لما يجمع بينهما من التشرد في البعيد، والنأي عن الاماكن المأهولة، والفرار إلى الإماكن المهجورة، وانفرد عن سائر الشعراء الصعاليك الأمويين في هذا الميدان، ومن ذلك قوله:

وأصبحتُ كالوحشيِّ يتبعُ ما خلا ويتركُ مأنوسَ البلادِ المبعثرُ

ونتيجة لتأبده وتشرده فإنه ـ كما يقولُ ـ صاحب الذئب ورافق الغول من بعد نفور، ويعتبر عبيد بن أيوب اكثر من وصف جانب مصاحبة الحيوان في شعره، لطول تشرده في الجبال المهجورة، وانفرد عن سائر الشعراء الصعاليك الأمويين في هذا الميدان، ومن ذلك قوله[1]:

علامَ ترى ليلى تُعذِّبُ بالمنى أخا قفراتٍ كان بالذئبِ يأنسُ
وصارَ خليلُ الغول بعَد عداوةٍ صفياً وربَّته القفارُ البسابسُ
فليس بجنِّي فيُعرفَ نجلهُ ولا أنسيٌ تحتويه المجالس
يظل ولا يبدو لشيء نهاره ولكنه ينباعُ والليل دامس[2]

ورغم هذا الخوف الذي يستبد بالشاعر، فهو لا يتخلى عن قوة احتماله وبأسه، عدته في مجاهل الصحراء، إنها مرآة ذات وجهين، وجه الخوف ووجه العنفوان[3]:

---

(1) الحيوان للجاحظ ج6/ 444 و445. د. عطوان الصعاليك في العصر الإسلامي ـ ص95. حماسة البحتري ص411.
(2) انباع الرجل: وثب بعد سكون. الحيوان 6/ 446.
(3) مجموعة المعاني ـ 76 ـ د. عطوان ـ الصعاليك في العصر الإسلامي ـ ص100. الحيوان 6/ 446.

ويـوم كـتـنـور الإمـاء سـجـرتـه وألـقـين فـيـه الـجـزل حـتـى تـضـرّمـا
رمـيـتُ بـنـفـسـي فـي أجـيـج سَـمـومـه وبـالـعنْـسِ حتـى ضـبَّ منسِمُـهـا دمـا[1]

هكذا وبدون تفكير، يرمي عبيد نفسه في التهلكة، وفي الشدائد دون تردد، وهو هنا يشبه المحن التي واجهها وتغلبَ ببأسه عليها بنيران التنور التي أشعلها القيان وظللن يطعمنها الحطب حتى توقد حرها والتهبت.

ومن مظاهر صبره وجلده على حمأة الدهر والضياع والجوع والفاقة والحرمان، أنه كان يأكل جذور شجر الحنظل المر، وأزهار الصحراء التي كان يأكلها غصصاً موجعة[2]:

ألا يـا ظـبـاء الـوحـش لا تُـشـهـرنـنـي وأخـفـيـنـنـي إذ كـنـت فـيـكـن خـافـيـا
أكـلـت عـروق الـشَّـرْي مـعـكـن والـتـوى بـحـلـقـي نَـوْرُ الـقـفـر حـتـى ورانـيـا[3]

حتى أنه لم يكن ليصبر على نصب الموقدة وإقامة القدر عليها، واشعال النار كي يشوي لحم ما يصيده من حيوان الصحراء، بل يسارع إلى التهامها نيئة[4]:

إذا صـاد صـيـداً لـفَّـه بِـضِـرامـه وشـيـكـا ولـم يـنـظـر لـنـصـب الـمـراجِـل

ولعل من أسباب ما حل به وما وصل إليه، هو جبن قبيلته واستكانتها وهوانها وتمزق ابنائها وانقسامهم أمام صروف الدهر وكوارثها، وهذه مظهر من مظاهر الجاهلية[5]:

إذا مـا أراد الله ذُل قـبـيـلـة رمـاهـا بـتـشـتـيـت الـهـوى والـتـخـاذل
وأول عـجـز الـقـوم عـمـا يـنـوبـهـم تـدافـعـهـم عـنـه وطـولُ الـتـواكـل
وأول خـبـث الـمـاء خـبـث تـرابـه واول خـبـث الـنـجـل خـبـث الـحـلائـل

ويدب شوق عبيد إلى بلاده وأهله ومحبوبته، ويذكر ارتحال محبوبته إليه، وهي تجور القفار وتخب في الرمال الحارقة[6]:

---

(1) العنس: الناقة القوية الصلبة ـ ضب: سال ـ المنسم: طرف خف البعير أو ظفر الناقة الذي في يدها.
(2) الحيوان ـ 6/ 445. مجموعة المعاني ـ ص131. د. عطوان الصعاليك في العصر الإسلامي ـ ص119.
(3) الشرى: الحنظل ـ وراه من الورى وهو الشوق القاتل.
(4) الحيوان 6/ 445. د. عطوان ـ صعاليك العصر الإسلامي ـ ص119.
(5) مجموعة المعاني ص26. د. عطوان ـ الصعاليك في العصر الأموي ـ 124. الحيوان 6/ 236.
(6) معجم البلدان 4/ 70. د. عطوان الصعاليك في العصر الإسلامي ـ ص146.

انظر فَرَنِّخ جزاكَ اللهَ صالحةً رأدَ الضحى اليومَ هل ترتادُ أظعانا[1]

فرِّنق

يعلونَ من عالجٍ رملاً ويعسفهُ أخو رمالٍ بها قد طالَ ما كانا

إذا حبا عَقَدٌ نكّبْنَ أصْعَبَه واجتبن منه جماهيراً وغيطانا

ويدخل في باب المواعظ عندما يوصي الإنسان بأن يدع ما لا علاقة له به، وإلا يُسدي النصح إلا إلى من يقبله منه، ويعمل به، وأن ينصر قريبه في الازمات[2]:

فلا تعترض في الأمر تُكفى شؤونه ولا تنصحنْ إلا لمن هو قابِله

ولا تخذلِ المولى إذا ما مُلِمَّةٌ ألمَّتْ ونازل في الوغى من ينازله

ويكرر الشاعر الحديث عن تأبده في جوف الصحراء، إذ كان يتخيل ان الناس جميعهم يلهجون بأمره ويسعون للإمساك به[3]:

لقد خفتُ حتى خلتُ أنْ ليس ناظر إلى أحد غيري فكدت أطيرُ

وليسَ فمٌ إلا بسري محدِّثٌ وليس يدٌ إلا إليَّ تشير

وقد سمى نفسه لكثرة تشرده أخو قفرات أو ربيب المغاور[4]:

وأضحى صديقَ الذئبِ بعد عداوةٍ وبغضٍ وربته القفار الأمالس

وأكثر من ذلك، فإنه تشرد وتوحش منذ طفولته، فلم يسلك طرق الانس، ولا تعلم تقاليد الناس وعاداتهم وأمزجتهم[5]:

ولم يسحب المنديلَ بين جماعةٍ ولا فارداً مُذْ صاحَ بين القوابلِ

وخذ هذه الصورة الناصعة الصادقة، عن حياة التشرد التي يحياها، حيث كان يمعن في التخفي، وينقطع عن مجتمعه، مشبهاً نفسه بالصقر، محتضناً سيفه ملازماً الجن والفلوات حتى أنه اقتبس ملامح الجن وشكله وشمائله[6]:

---

(1) رنِّح: ذلِّلَ. رأد الضحى: أول النهار. أخو الرمال: الحادي المتمرس بها. يعسفه: يركبه ويقطعه. صبا عقد: تكاثرت الرمال.

(2) شرح حماسة أبي تمام للمرزوقي 3/ 157. د. عطوان الصعاليك في العصر الإسلامي 150.

(3) حماسة البحتري ـ ص412. د. عطوان. الصعاليك في العصر الإسلامي. ص152.

(4) حماسة البحتري ـ ص411.

(5) الشعر والشعراء ـ ص532. الحيوان 6/ 445. د. عطوان ـ صعاليك العصر الإسلامي ص103.

(6) الكامل للمبرد ـ ص. الحيوان 6/ 475. د. عطوان ـ صعاليك العصر الإسلامي ـ 153.

فإني وتركي الانس من بعد حُبِّهِمْ وَصَبْرِيَ عمنْ كنتُ ما إن أزايله
لكالصقرِ جليَّ بعدما صادَ قنية قديراً ومشوياً عبيطاً خرادله
أصابوا به فازداد بُعداً وصدَّهُ عن القربِ منهم ضُوء برقٍ وَوَابِلُهْ
ألم ترني صاحبتُ صفراءَ نبعةٍ لها ربذيٌّ لم تُفلَّلْ معابِلُهْ
وطال احتضاني السيفَ حتى كأنما يُلاط بكشحي جفنُهُ وحمائلُهْ
أخو فلواتٍ صاحَبَ الجنَّ وانتحى عن الإنسِ حتى قد تقضَّت وسائله ش
له نسبُ الإنسي يُعرف بحرُه وللجنِ منه شكلُه وشمائله

وقد شغف عبيد كما قلنا بتصوير مصاحبته للغيلان والذئاب والحيات، كما ورد في قصيدة دالية، والغريب أنه يذكر ان الغول ذكر وأنثى، ولونه مخطط مزركش يشبه أردية الاعراب[1]:

وحالفتُ الوحوشَ وحالفتني بقربِ عهودِهِنَّ وبالبعادِ
وأمسى الذئبُ يرصدني مخَشَّاً لخفةِ ضربتي ولضعفِ آدي[2]
وغولا قفرةٍ ذكرٌ وأنثى كأن عليهما قطع البجادِ[3]

أو قوله، وقد رافق الغول وأَوْقَدَتْ حوله نيرناً مزهره وألحاناً رنانة[4]:

فلله درُّ الغولِ أيُّ رفيقةٍ لصاحب قفرٍ خائفٍ ينتشَّرُ
أرنَّتْ بلحنٍ بعد لحنٍ وأوقدتْ حواليَّ نيراناً تلوحُ وتزهرُ

وكان عبيد يرى الغول والسعلاة، والسعلاة واحدة من نساء الجن، وكان يرى الجن يسمع أصواتها وعزيفها خلال أويقات الليل[5]:

وساخرة مني ولو أن عينها رأت ما ألاقيه من الهول جُنَّتِ
أزلُّ وسِعلاةٌ وغول بقفرةٍ إذا الليل وارى الجنَّ فيه أرنَّتِ[6]

ويختلط مع الناس ذات يوم خرج فيه من الصحراء على أساس أنه خليل الذئب والغول حيث يقول[7]:

---

(1) الحيوان 6/ 442. د. عطوان ـ صعاليك العصر الإسلامي ـ ص156.
(2) المخش: الجريء. الآد: القوة.
(3) البجاد: من أكسية الأعراب.
(4) الحيوان 6/ 231 و445.
(5) الحيوان 6/ 442 و443. د. عطوان. الصعاليك في العصر الإسلامي ـ ص156.
(6) الأزل: صغير العجز وهو من صفات الذئب الخفيف. أرَنَّت: صوتت.
(7) الحيوان 6/ 445. د. عطوان ـ العصاليك في العصر الإسلامي ـ 156.

تقول وقد ألممتُ بالإنس لمةً مخضبة الأطراف خرس الخلاخل[1]
أهذا خليل الغول والذئب والذي يهيم بربات الحجال الكواهل[2]

وتعتبر قصيدته اليائية اطول قصيدة تحدث فيها عن مصادقته للوحوش وتآلفه معها واستئناسه بها كقطعان البقر الوحشي، وكانت في أول امرها تنفر منه، ثم أضحت تأنس به وتطمئن إليه، أما السبع والغيلان، فلم تكن من أصدقائه، فقد كانت تعبث به، حتيمزقت جسده، ومع ذلك لم يخف منها، بل صبر، وتوقاها بسهامه التي كان يوجهها نحوها، وكان ينام مع الحيات العظام، وكانت الحيات تطوف به ولا تؤذيه، فإذا تعرَّف وسمعت صوته انتبهت له، فتدب به إذ ذاك المشاعر والاحاسيس[3]:

كأني وآجال الظباء بقَفْرَة لنا نست نرعاه أصبح دانيا
رأين ضئيل الشخص يظهر مرة ويخفى مراراً ضامر الجسم عاريا ش
فأجفلْنَ نقراً ثم قلنْ ابنَ جلدهِ قليل الأذى أمسى لكُنَّ مصافيا
وقد لقيتُ مني السباعُ بليةً وقد لاقتِ الغيلانُ مني الدواهيا
ومنهنَّ قد لاقيتُ ذاك فلمْ أكنْ جباناً إذا هَوْلُ الجبانِ اعترانيا
أذقتُ المنايا بعضهنَّ بأسهمي وقَدَّدْنَ لحمي وامتشقنَ ردائيا
أبيتُ ضجيعَ الأسودِ الجونِ في الهوى كثيراً وأبناء الحشيش وساديا
إذا هِجْنَ بي في حجرهن اكتنفنني فليت سليمان بن وبرٍ يرانيا
فمازلتُ مذ كنتُ ابنَ عشرين حجةً أخا الحربِ مجنياً عليَّ وجانيا[4]

ويختم عبيد بن أيوب حياته الصعلوكية بالتوبة عما كان فيه، والعزوف عنه، بالتظلل تحت خيمة الإسلام العظيم، فهو منجي من كل ضيق، وفيه ما يعيد الحقوق، ثم ان التوبة نفسها أثر من آثار الاسلام، الاسلام الذي دعا إلى الكف عن السلوك المتطرف الذي فرضته وأعطته الحق ظروف معقدة صعبة[5]:

يا رب عفوكَ عن ذي توبةٍ وجلٍ كأنه من حذارِ الناس مجنونُ
قد كان قدمَ أعمالاً مقاربةً أيامَ ليس له عقلٌ ولا دينُ

---

(1) خرس الخلاخل: كناية عن امتلاء ساقها.
(2) الحجال: بيوت العرائس. الكواهل: المسنات.
(3) الحيوان ج6/ ص445. د. عطوان ـ الصعاليك في العصر الإسلامي 157.
(4) كتاب الحيوان للجاحظ ـ ج6/ ص445.
(5) الجاحظ ـ البيان والتبيين ص. د. حفني ـ شعر الصعاليك ص312.

# عبيد الله بن الحر الجعفي[1]
# ... ـ نحو 68 هـ ـ ... ـ نحو 687م

عبيد الله بن الحر بن عمرو المذجحي، من بني مذجح ومن بني سعد العشيرة، ولد وترعرع في مدينة الكوفة. قائد، من الشجعان الأبطال، عُرف باستقامته وورعه، وعُدَّ من خيرة ابناء مجتمعه وقومه صلاحاً وصلاة وابتعاداً عن الفواحش والموبقات، عدا عن أنه كان من فرسانهم المعدودين وشجعانهم المميزين.

تزوج امرأة من بني قومه اسمها كبشة بنت مالك، وأنجبت له ثلاثة بنين هم: صدقة وبَرَّة والأسعر، وابنتين هما: سلمة وتوبة، وكنيته أبو الأشوس.

إنضم في مطلع شبابه إلى جيوش الفتوح الإسلامية، وشارك في غزوة القادسية، ثم قفل عائداً إلى الكوفة وظل فيها حتى مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان، فأعلن تشيعه له، وانضم إلى المطالبين بدمه، وانتقل إلى الشام قاصداً معاوية بن أبي سفيان، وكان آنذاك قد رفض أوامر الإمام علي عليه السلام بِتَرْكِ ولاية الشام، فشايع عبيد الله معاوية وشهد معه معركة صفين التي آل الأمر فيها إلى معاوية بعد خدعة التحكيم المعروفة وبقي عنده مكرماً مقدماً. ويبدو من سيرة عبيد الله أنه فطن للخدعة المدبرة التي اخرجت علياً من الخلافة، وكان يحفظ هذا في نفسه، ولعل معاوية التفت إلى ما في نفس عبيد الله، خاصة بعد أن علم أن جماعة من رفاقه يترددون عليه دائماً، فشك معاوية في أمره، وخشي أن يغدر به، فسأله عنهم، فقال له: «إنهم بطانتي وأصحابي وأخوتي ألتقي بهم إن نابني أمر، أو خفت ظلامة أمير جائر.»، فازداد معاوية شكاً به، وحذره من ان يكون ميالاً لعلي، فواجهه عبيد الله وافصح له بأنه حقاً من الموالين لعلي لأنه على حق، وقد دفع هذا

---

(1) الاعلام للزركلي ـ 4/ 192. أنساب الاشراف ـ 5 / 29. خزانة الأدب ـ 6 / 297.

الجدال الحاد عبيد الله إلى مفارقة معاوية، فخرج من عنده خائفاً مغتاظاً مترقباً وقصد الكوفة، فاعترضه في طريقه إليها جنودٌ من جيش معاوية، وحاولوا منعه من مواصلة المسير، فناجزهم واصحابه، وقتلوا عدداً منهم، وأخذوا ما احتاجوا إليه من سلاحهم، ومضوا يغيرون على ما يمرون عليه من قرى وينهبونها حتى وصلوا إلى الكوفة، ولعل ما قاموا به هو اول عمل متصعلك وإنطلاقة أعمالهم التي تطورت واتسعت فيما بعد.

ورغم ما قام به عبيد الله من مقاتلة جنود معاوية والتصدي لهم، واعلان موقفه صراحة لمعاوية أنه ميال لعلي لأنه على حق، رغم كل ذلك فإن عبيد الله لم يقصد علياً، ولم ينضم إلى أنصاره وينخرط في جيشه، بل ابتعد عنه ولم يتصل به حتى استشهد بسيف الخارجي عبد الرحمن بن ملجم في مسجد الكوفة سنة 41 هجرية، ثم آلت الأمور إلى معاوية بعد صلحه مع الامام الحسن، وأعلن خليفة على المسلمين، ثم انتظم أمره جيداً وأمن على خلافته بعد أن استشهد الامام الحسن بن علي عليه السلام مسموماً بيد زوجه جعدة بنت الاشعث وبطلب وإيعاز من معاوية نفسه، إذ وعدها بتزويجها من ابنه يزيد إن هي سمت الحسن، فأقدمت على فعلتها، ثم أنكر معاوية وعده لها ولم يلتفت إليها.

لعل هذه الأمور مجتمعة أثارت غضب وحنق عبيدالله، ودفعته إلى إتخاذ موقف أكثر حدة من الخلافة الأموية، وبدأت رياح التمرد والثورة تهب على نفسه وتدعوه إليها، وقد ساعدته الأحداث التي استجدت إلى حسم موقفه، فبعد وفاة معاوية بن أبي سفيان، خلفه ابنه يزيد، وكان معاوية قد جعله ولياً لعهده، بعد أن حول الخلافة ملكاً وراثياً وأخرجها عما كانت عليه في عهد الخلفاء الراشدين، ولم تزعج هذه التطورات عبيد الله وحده، فقد ثار في مكة عبدالله بن الزبير، ودعا بالخلافة إلى نفسه، وانضمت إليه أقطار كثيرة، وظلت الشام وحدها خارجة عن سيطرته، وكادت تؤول الخلافة إليه، ولم تعجب هذه الأمور مجتمعه عبيد الله، ورأى أن العرب لن تصلح حالهم وتستقر أمورهم، وتتوحد صفوفهم، لذلك أخذ يعد للأمر عدته، ورأى أنْ لا مناص من الثورة ومواجهة هذا التشرذم بالقوة، فدعا رفاقه لليقظة والاستعداد لكل جديد، ولبى دعوته سبعمائة فارس من خلعاء القبائل، وهو لا يحرك ساكناً بل ينتظر اللحظة الحاسمة، ويحدث أن يخرج الحسين بن علي عليه السلام من مكة إلى الكوفة بدعوة من أهلها وبمبايعة منهم له، كما هو معروف

من احداث كربلاء، ويمر عبيد الله فيلتقي بالحسين على شاطئ الفرات، فيدعوه للانضمام إليه، ويرفض ابن الحر، وما ان تنجلي معارك كربلاء عن استشهاد الحسين، حتى يعود ابن الحر إلى الكوفة، فيتراءى لابن زياد أنه كان جندياً في جيش الحسين، وأنه قاتل معه، فيضيق عليه، ويبث حوله العيون والعسس، الذين أخذوا يستفزونه، وهو يعصي أوامرهم ولا يأبه لطلباتهم، ثم يتوجه إلى كربلاء، ويقف على صعيد الطف راثياً الحسين متفجعاً عليه نادماً على خذلانه وعدم الوقوف إلى جانبه، ولعلها من أوائل الأبيات التي قيلت بعد استشهاد الإمام الحسين مباشرة[1]:

| | |
|---|---|
| يقول أميرٌ غادرٌ وابنُ غادرٍ | ألا كنتَ قاتلتَ الشهيدَ ابنَ فاطمه |
| فيا ندمي ألا أكونَ نصرتُه | ألا كلُّ نفس لا تُسدَّدُ نادمه |
| وإني لأني لم أكن من حُماتِه | لذو حسرةٍ ما إن تفارقُ لازمه |

ولعل جزءاً مما نوى أن يقوم به عبيد الله بن الحر، هو الثأر من قتلة الامام الحسين، والتعويض عن خذلانه عندما أبى الانضمام إليه في حركته، علاوة على أسباب اخرى، تتمثل في مواجهة فساد النظلم السياسي وتردي الوضاع الاقتصادية وعودة النظام القبلي، ومن هنا كانت حركته الصعلكية إذا صح التعبير ذات نكهة سياسية اجتماعية واضحة، ولذلك فإن الصبر الذي أكتنزه بادئ الأمر هو و أصحابه، وانتظر اللحظة الحاسمة للفكاك منه، سرعان ما حوله إلى حمم صاعقة في وجه ابن زياد وجنوده، الذين حاولوا تعقبه والإمساك به، إلا أنه استظهر عليهم وقهرهم، وعاث بأعمالهم في الكوفة وسوادها تحدياً لابن زياد، وتحطيماً لمعنوياته، وفي الوقت نفسه تشتد ثورة ابن الزبير في مكة المكرمة، وتزداد الأحداث والاضطرابات في ولايات كثيرة بعد الإعلان عن موت يزيد، ويجد ابن الحر الفرصة مناسبة لتنفيذ مهماته، فيخلع عذاره، ويخرج بأصحابه الخلعاء إلى المدائن، وهناك تتأجج نقمته على أعوان السلطة وعملائها، ولا يدع مالاً قدم للسلطان من الجبل إلا استولى عليه واغتصبه، وأخذ منه عطاءه وأعطيات أصحابه من الذين قاتلوا معه، والآخرين الذين ظلوا في الكوفة.

---

(1) الطبري ـ 2 / 389 ـ إنساب الاشراف ـ 5 / 292. د. عطوان ـ صعاليك العصر الإسلامي ص197. والكامل في التاريخ ج4 / ص288.

إلى هنا سنقف عند محطات من حياة وسلوك عبيد الله، أين كان قلبه حقيقة، مع من وضد من، تساؤلات تطرحها مواقف ابن الحر المتناقضة أحياناً في سياق تحالفاته مع الفرقاء النافذين في الحياة السياسية الأموية، من تشيعه لعثمان، إلى التحاقه بمعاوية، ثم مصارحته بالولاء لعلي، إلى وقوفه على الحياد في صفين وعدم إتصاله بالامام علي من قريب وبعيد، إلى التقائه بالحسين وعدم نجدته، ثم ندمه فيما بعد ورثائه له في الابيات التي ذكرناها، ثم مبايعته للمختار الثقفي ثم خروجه عليه، عندما لم يجنِ من مبايعته شيئاً، ثم تقربه من عبد الله بن الزبير، ومساعدته أخاه مصعباً في تثبيت حكمه للعراق، ولما أهمله مصعب شكاه إلى أخيه عبيد الله بن الزبير ثم إن إصحاب مصعب حذوره من ابن الحر، فما كان إلا أن قيده وحبسه، ويتشفع وجوه مذحج له عند مصعب، فاطلق سراحه، وأخذ عليه عهداً إن هو أطلق سراحه أن يعينه على قتال عبد الملك بن مروان واعطاه خراج (بادوريا) ولم يعجب ابن الحر هذا وامتنع على مصعب وأخذ يحرض صعاليكه على الثورة، زاعماً لهم أن مصعباً دونهم شجاعة وغنى، وليس له فضل ولا حق، فانصاعوا لآرائه ومضى يغير بهم على الكور التي بايعت للزبيرين، فأخضعوها، ثم ينازل ابن الحر الجيوش التي وجهها إليه مصعب ويهزمها، وما لبث أن جعل تكريت مقر إقامته، وطرد منها المهلب بن أبي صغره عامل ابن الزبير، فأرسل مصعب إليه جيشاً كبيراً كاد أن ينهيه ويقضي عليه، وازاء هذا الضغط انحدر إلى الكوفة، ونازل جيوش مصعب في عدة أيام تشتت معها قوته، وقتل اكثر صعاليكه، لكنه ظل صامداً وأبى الإستسلام، بل انتقل من الكوفة إلى المدائن، وقاتل جيش مصعب في معارك كثيرة إنتصر فيها عليهم، ثم امتد نفوذه فجبى السواد وأخذ خراجه.

ولما تراءى لابن الحر أن مصعباً أفنى معظم رجاله، ذهب إلى عبد الملك بن مروان، وعرض عليه أن يبعث معه جنداً لقتال مصعب والقضاء عليه، فاستحسن عبد الملك رأيه، وأكرمه وأجزل له العطاء، ووصل أصحابه بمائة الف درهم، ووعده بان يمده بالخيل والرجال، ثم انطلق مع اصحابه إلى الكوفة ونزل على اطرافها، ثم استأذنه اصحابه بدخولها، فأذن لهم، ويعلم بأمره عبيد الله بن عباس السلمي احد مساعدي مصعب وعماله، فيستأذن من الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة القباع خليفة مصعب على الكوفة، في السير إلى قتال ابن الحر، فيأذن له،

ويقود جيشاً كبيراً، ثم ينازل ابن الحر واصحابه يكادون ينفضون عنه، فيصمد في وجهه،وظل على هذا المنوال حتى اثخنته واصحابه الجراح، ففر بفرسه في وسط نهر الفرات، بغية عبوره، ووصلت هذه الانباء إلى بعض النبط أنه مطلوب لابن الزبير، فيثِبُ عليه احدهم وهو يعبر النهر ويغرقان فيه، سنة 68 هجرية[1].

إذن هذا التقلب في مواقف ابن الحر، يدل على أنه كان يميل بطبعه إلى التمرد والثورة عندما يشعر أن هناك سبباً لذلك، ويقول البلاذري عنه، إنه كان رجلاً لا يقاتل لديانة، وانما همه الفتك، والغارات والتصعلك، وكان إلى جانب ذلك متردداً لا يستقر على رأي، ولا يثبت على عقيدة، ويروي انه كان في أول عهده نقياً ورعاً مجاهداً، ثم مال إلى السياسة.

ولعل هذا التمرد على الأمراء عدا الأسباب التي ذكرناها، ناشئ أيضاً عن الرغبة في التعويض عما يشوب نسبه، إذ لم يكن عربياً صحيحاً، فأبوه عربي وأمه من السبايا، والأغلب أنه لم يكن يُقدر بين الناس حق قدره بسببها، ولم يكن يعطى حقه في المكانة التي يستحقها، من خلال ورعه وتقاه وفروسيته، فأحس بالغبن الاجتماعي، وذهب إلى تحقيق أحلامه بالثورة.

ويقول في هذا الصدد[2]:

إن تك أمي من نساءٍ أفاءها | جيادُ القنا والمرهفات الصفائح
فتبًّا لفضل الحر إن لم أنل به | كرائم أولاد النساء الصرائح

لكل هذه الاسباب التي ذكرناها آنفاً ثار عبيد الله وكر وفر، وأتعب الحكام والأمراء، وانضم إليه الخلعاء الذين نبذتهم قبائلهم، وأخذ يغير بهم على ولايات الخلافة فيحتل بعضها، ويجبي خراجها، ولعله كان يطمح لإقامة دولة الصعاليك المستقلة التي تسودها العدالة، ويغيب عنها الظلم والجور، لذلك أغار على مناطق كثيرة من ولايات الدولة، كالكوفة وسوادها، وكسكر والأنبار والمدائن، وكان يصادر أموالها ثم يوزعها بين رفاقه الصعاليك بالتساوي والعدالة، متتبعاً أستاذ الصعلكة عروة بن الورد.

كل ذلك بشجاعة نادرة وبطولة خارقة تبلغ حد الاستهانة بالحياة، وعدم النظر

(1) انساب الاشراف ـ 5 / 286. والطبري 4 / 592. ـ د. عطوان ـ ص200 ـ الكامل في التاريخ 4 / 294.
(2) الكامل للمبرد ـ ص. د. عطوان صعاليك العصر الإسلامي ـ ص198 ـ 200.

بالعواقب، مستميتاً في سبيل تحقيق الغاية وبلوغ المراد، مؤمناً أن لكل إنسان أجل محتوم لن يتأخر عنه ولن يتقدم عليه، وان الغنى والثراء يستلزمان العمل والتماس الرزق، وتحقيق الثروة يستلزم استخدام السيف والرمح والجواد، بعضٌ من عدة الصعاليك، دون خوف أو كلل أو تردد، وبصبر وتحمل[1]:

يخوفني بالقتل قولي وإنما ... أموتُ إذا جاء الكتابُ المؤجَّلُ
إذا كنتَ ذا رمحٍ وسيفٍ مُصَمِّمٍ ... على سابحٍ أدناك مما تؤمل
وإنك إن لا تركبِ الهولَ لا تنلْ ... من المالِ ما يكفي الصديقَ ويفضلُ
إذا القِرنُ لاقاني وملَّ حياته ... فلستُ أبالي أيُّنا مات أولُ

وجُلُّ غاية ابن الجعفي الاغارة على خزائن الدولة وعمالها وممتلكاتها، ولم يكن في نيته ولم يقدم على الإغارة على القبائل أو القوافل التجارية العائدة للأفراد أو للجماعات، ولا على الأسواق التي تغذي الشعب والمجتمع الذي يناضل عبيد الله في سبيله، ولم يقطع الطرق ولم يروع الناس أو يعتدي عليهم، كان هدفه تحطيم إرادة وإمكانيات الطبقة السياسية الحاكمة، والاستيلاء على أموالهم.

وكان يشرف على تجهيز عناصره وتأهليها للغزو والنهب حتى تصبح قادرة على مواجهة الجيوش الأموية[2]:

أقول لفتيان الصعاليك أسرجوا ... عناجيجَ أدنى سيرهِنَّ وجيفُ

وكان عبيد الله الجعفي ذا نظرة إشتراكية، فلم يستأثر لنفسه بما كان يغتصبه من أموال، ولم يكن يتعالى على صعاليكه وينفرد لنفسه بأمور خاصة، ومعلوم أنه أغار على مناطق كثيرة، وفي كل مّرة كان يقسم غنائمه من الاموال بين عناصره بالتساوي، فلم يفرد لنفسه نصيباً أكثر منهم، فقد اغار على الأنبار في العراق، وأخذ كل ما كان في بيت مالها، ثم قسمه بين صعاليكه، وغزا كسكر وقتل عاملها وأخذ ما في بيت المال، وقسمه بين أصحابه، كذلك فعل في نفرٍ، وفي شهرزور حيث استولى على بيت مالها وصادره فواجهه عاملها، إلا أنه هزمه وضرب عنقه[3].

---

(1) حماسة ابن الشجري ـ ص28. د. عطوان ـ صعاليك العصر الإسلامي ـ ص103 و104. تاريخ الطبري 4 / 591.

(2) أنساب الأشراف ج5/ 293. د. عطوان صعاليك العصر الإسلامي ـ ص115 ـ 116.

(3) أنساب الأشراف ج5/ 296. د. عطوان صعاليك العصر الإسلامي ـ ص116.

وكان هذا العمل الإنساني موضع تقدير من الصعاليك، فعاشوا متلاحمين متعاونين متساوين، هكذا يصفهم عبيد الله نفسه، علاوة على ما كانوا يتحلون به من وقار وجلال وتعالٍ، حيث يقول[1]:

ولـلـيـلِ أبـنـاء ولـلـصـبـح إخـوةٌ وأبـنـاء لـيـلـي مـعـشـري وقـبـيـلـي
إذا نـطـقـوا لـم يُـسـمـعِ الـلـغـوُ بـيـنـهـم وإن غـنـمـوا لـم يـفـرحـوا بـجـزيـلِ

هكذا ترتسم الاخوةوالمحبة في نفوس الصعاليك، الذين لا يأبهون لغنيمة ولا يفرحون لمكسب، تلك عاداتهم وشأنهم.

وكانوا يطبقون أزهى صور الاشتراكية، وهي العدالة والتساوي في الحظوظ التي كانت تفُرض لكل منهم فيما يجمعون من أموال وغنائم، ويستولون عليه من القوافل[2]:

إذا مـا غـنـمـنـا مـغـنـمـاً كـان قِـسـمـةً ولـم نَـتَّـبـع رأي الـشـحـيـح الـمـتـارك
أقـول لـهـم كـيـلـو بـكـمـة بـعـضِـكـم ولا تـجعلوني في الندى كابن مالكِ[3]

## شعر عبيدالله:

جمع أبو سعيد السكري اشعار عبيد الله في كتاب اللصوص، الذي ضاع كما أشرنا إلى ذلك من قبل، إلا أن شعره أو قسماً كبيراً من شعره نجده متناثراً في كتب قديمة كثيرة، منها الجزء الخامس من أنساب الأشراف، وحماسة ابن الشجري، وتاريخ الطبري ومعجم البلدان.

وتدور قصائده حول شجاعته وفروسيته، ونضاله ضد الحكم الأموي، وتشرده وتجواله وعلاقته مع زملائه الصعالكة إلى غير ذلك من القضايا التي مرت عليه، خاصة علاقته بسعيد بن عثمان ومشاركته في الفتوح الإسلامية في بخارى وسمرقند.

كان عبيد الله لا يهدأ له بال دائم التنقل سعياً وراء الرزق، الذي كان يجمعه من قوافل رجال الدولة وعمالها ووزرائها، يقول في أحدى قصائده[4]:

ألـم تـرنـي بـعـت الإقـامـة بـالـسُّـرى ولـيـن الـحـشـايـا بـالـجـيـاد الـضـوامـر

(1) حماسة ابن الشجري ـ ص29.
(2) أنساب الأشراف ـ 5 / 292.
(3) ابن مالك: ابراهيم بن الأشتر.
(4) حماسة ابن الشجري ـ ص28. صعاليك العصر الإسلامي ص201 ـ 202.

ولا يثنيه عن الرحلة شيء، فجميع مناطق الدولة بلاده واماكن لانطلاقه[1]:

لا كـوفـةٌ أمـي ولا بـصـرةٌ أبـي ... ولا أنـا يـثـنـيـنـي عـن الـرحـلـة الـكـسـلُ

وهو في كل ما يقوم به باسل شجاع ذو قوة وعزيمة ماضية، يحمي عشيرته ويذود عنها[2]:

ألـم تـعـلـمـي يـا أمَّـا تـوبـةَ أنـنـي ... أنـا الـفـارس الـحـامـي حـقـيـقـة مـذحـجِ

يتبين ذلك إذا أقدم، فيضطرب الوادي من وقع حوافر خيله[3]:

أريـنـي فـتـى يـغـنـي غَـنَـائـي ومـوقـفـي ... إذا رهـج الـوادي بـوقـع الـحـوافـر

وقد ذكرنا في حديثنا عن حياته علاقته بمصعب بن الزبير، وبالمختار الثقفي، وتصديه لهما، علماً أنه مال إلى كل منهما في وقت من الاوقات، ثم أهملهما، وها هو يتوعد ويهدد المختار الثقفي، ويصمه بالدجل والنفاق، مهدداً إياه بغزوات لا تبقي ولا تذر[4]:

ومـا تـرك الـكـذابُ مـن جُـلِّ مـالـنـا ... ولا الـزُّرْقُ مـن هـمـدانَ غـيـرُ شـريـدِ

أفـي الـحـق أن يـنـهـب ضـيـاعـيَ شـاكـر ... وتـأمـن عـنـدي ضـيـقـةُ ابـن سـعـيـد

فـإن لـم أصـبِّـحْ شـاكـراً بـكـتـيـبـةٍ ... فـعـالـجـتُ بـالـكـفـيـن غُـلَّ حـديـدِ

فـمـا أنـا بـابـن الـحـرِ إن لـم أرغـهُـمُ ... بـخـيـلٍ تـعـادى بـالـكـمـاةِ أسـودِ

ولم يوفر مصعب بن الزبير، من مياسم شعره، فهو يعده بغارات شعواء عمدتها كماة مغاوير وأفراس أشداء يطيحون به، بعد ان يندم على ما قام به[5]:

وبـارزت أقـوامـاً بـقـصـر مـقـاتـل ... وضـاربـت ابـطـالاً ونـازلـت مـن نـزلْ

فـلا بـصـرة أمـي ولا كـوفـة أبـي ... ولا أنـا يـثـنـيـنـي عـن الـرحـلـة الـكـسـل

بـالـقـصـر مـا جـربـتـمـونـي فـلـم أخِـم ... ولـم أكُ وقـافـاً ولا طـائـشـاً فـشـل

فـلا تـحـسـبـنـي ابـن الـزبـيـر كـنـاعـس ... إذا حـل أغـفـى أو يُـقـال لـه ارتـحـلْ

فـإن لـم أزُرك الـخـيـل تـردي عـوابـسـاً ... بـفـرسـانـهـا لا أُدْعَ بـالـحـازمِ الـبـطـلْ

---

(1) الطبري ـ 4 / 590. د. عطوان ـ صعاليك العصر الإسلامي ـ ص201 ـ 202.

(2) الطبري ـ 4 / 587. د. عطوان ـ صعاليك العصر الإسلامي ـ ص203. الكامل في التاريخ ـ 40 / 289 و290.

(3) حماسة ابن الشجري ـ ص28. د. عطوان ـ صعاليك العصر الإسلامي ـ ص203.

(4) الطبري 4 / 588. مراجعة نخبة من العلماء ـ مطبعة الاستقامة ـ القاهرة 1939م.

(5) الطبري ـ 4 / 590. معجم البلدان 2/ 86 و87. د. عطوان صعاليك العصر الإسلامي ص202 و203.

وإن لم تر الغارات من كل جانب عليك فتندم عاجلاً أيها الرجلْ
فلا وضعت عندي حصان قناعها ولا عشتُ إلا بالأماني والعِللْ

وفي قصيدة عينية، يرد عبيد الله على مصعب بن الزبير، الذي هدده توعده، منددأ بتهديده، مستخفاً به، منذراً بغزوة يطعنه فيها ويقضي عليه، ثم يدعوه لملاقاته ومنازلته إن كان به شجاعة وعنفوان، وسيعلمه من سيكون الجزوع في خدمة الوغى والنزال[1]:

اتاني وعيد ابن الزبير فلم أُرَعْ وما مثل قلبي بالوعيدِ يُروَّعُ
فلا ترميَّني بالوعيدِ فإنني سأترك ما تهوى وأنفك أجدعُ
فإن أنا لم أسْعِطك غيظاً بغارة وأصدعُ ما قد كان بالأمس يُرقعُ
فلا وضعت عندي حصان قناعها ولا قادني للناس قلب مشيَّع
ستعلم إن مالت بي الريح ميلةً عليك غداً أني وإياك أجزعُ

وتؤول به علاقته ونزاله مع مصعب إلى السجن، وهو يلوم نفسه لوفودها عليه حتى حبسه، متخذاً مما وقع فيه درساً للمستقبل[2]:

وقد كان في الأرض العريضة مذهبٌ وأيُّ امرئ ضاقت عليه مذاهبَهْ
وفي الدهر والأيام للمرء عبرة وفيما مضى إذ ناب يوماً نوائبه

ثم يصور هذا السجن، مشيراً إلى بابه المنيع وحارسه القوي، وبرمه من الحياة فيه، وقيوده التي تثقل رجليه وتربطها ربطاً محكماً، وهي ضيقة لا يستطيع فيها حراكاً، وكانها سجن في سجن، سوداء قصَّرت خطاه فتقاربت إلى حد بعيد[3]:

من مبلغ الفتيان أن أخاهم أتى دونه بابٌ شديدٌ وحاجبُه
بمنزلةٍ ما كان يرضى بمثلها إذا قامَ عنَّته كبولٌ تجاوبه
على الساقِ فوق الكعبِ أسودُ صامتٌ شديدٌ يداني خطوَه ويقاربُه

وما يلبث أن يهونَ أمر السجن ومشقته على أصحابه من الصعاليك الذين أسروا معه في سجن مصعب بن الزبير، فالأيام تتغير، كحالته هو المتأرجحة دائماً بين

---

(1) حماسة ابن الشجري ـ صـ 29.
(2) الطبري ـ 4 / 589. والكامل في التاريخ 4 / 289 و290. د. عطوان ـ صعاليك العصر الإسلامي ـ ص204.
(3) الطبري ـ 4 / 588 ـ 589. والكامل في التاريخ 4 / 289 و290. د. عطوان ـ صعاليك العصر الإسلامي ـ ص133.

التشرد والملاحقة، وبين الزعامة، أو هو حيناً من الملاحقين وحيناً آخر من الملوك المتوجين[1].

أقول له صبراً عطيَّ فإنما ... هو السجن حتى يجعل الله مخرجا
أرى الدهر لي يومين يوماً مطرداً ... شريداً ويوماً في الملوك متوجا

فعطية الذي ذكره هنا هو أحد أصحابه الصعاليك.

ولا يستعطف عبيد الله مصعباً ليعفو عنه، إنما يستغل وجوده في السجن ليشن هجوماً كاسحاً على سياسته، ويستنكر إبعاده له وتقريبه لسواه، ممن أوهن الدولة والسلطة[2]:

أتطعنُ في ديني غداة أتيتكم ... وللدين تدني الباهليَّ وحشرجا
ألم تر أن الملك قد شين وجهه ... ونبع بلاد الله قد صار عوسجا

ويحن إلى زوجته كثيراً، وهي حبيسة في سجن المختار، متمنياً لو انه يكون بجانبها، يواسيها ويخفف عنها، ويؤنسها، على غرار ما كان يفعل عندما كانا يقضيان أيامهما بالبهجة والسرور قبل الانتفاضة ضد الأمويين[3]:

فما العيش إلا أن أزورك آمناً ... كعادتنا من قبل حربي ومخرجي
وما أنتِ إلا همة النفس والهوى ... عليكِ السلامُ من خليط مُسَحَّجِ
ومازلتُ محبوساً لحبسكِ واجماً ... وإني بما تلقين من بعده شجِ

أما علاقته بصعاليكه، وعلاقتهم ببعضهم البعض، فهي من الموضوعات التي يكاد ينفرد بها عبد الله، وقد وصف تعاطفهم وتحاببهم وتماسكهم، ومحبتهم وطاعتهم له، واجتماعهم حوله، وانصياعهم لأوامره ومذاهبه[4]:

أقول لفتيان الصعاليك أسرجوا ... بأموالكم أو تهلكوا في المهالك
ستعلم إن جاريتني يا بن مالك ... إلى أيِّنا مأوى رحالِ الصعالك

ونتيجة لطاعتهم المطلقة له، فإنه كان ينكل بهم كثيراً، ويعاقب كل ما لا يمتثل لأوامره، ويخرج عن طاعته، كما حصل مع صعلوك أحس باليأس، وحاول تيئيس رفاقه، وتثبيط عزائمهم وثنيهم عن عمل الصعلكة، فعاجله عبيد الله بضربة من سيفه

(1) الطبري ـ 4 / 589. د. عطوان ـ صعاليك العصر الإسلامي ـ ص137.
(2) الطبري ـ 4 / 593. د. عطوان ـ صعاليك العصر الإسلامي ـ 204.
(3) الطبري 2/ 587. د. عطوان ـ صعاليك العصر الإسلامي ـ ص204.
(4) حماسة ابن الشجري ـ 28. د. عطوان ـ صعاليك العصر الإسلامي ـ ص204.

أودت بحياته، لكي يكون عبرة وعظة لكل من تسول له نفسه تحطيم إرادة المتصعلكين[1]:

أقولُ لأصحابي بأكنافِ جَازِرٍ ... ورَاذانِها هل تأماونَ رجوعا

فقال امرؤٌ هيهات لستُ براجع ... ولم تكُ للتقنيط منه بديعا

فعمَّمْتُه سيفي وذلك حالتي ... لمن لم أجِدْهُ سامعاً ومطيعا

وقد كرس عبيد الله بن الحر قسماً كبيراً من شعره لتصوير معاركه السياسية والعسكرية، خاصة مع المختار الثقفي، وآل الزبير، مصعب وعبد الله، وقد ألمحنا قبلاً إلى الرسالة التي بعث بها إلى عبدالله بن الزبير وفيها عتاب وتذكير بخدمته لهم وأياديه البيضاء عليهم، وازورارهم عنه رغم انه ساعدهم في هزيمة المختار وقتله، وقد جاء عتابه بعد ان خذله مصعب وانكر جميع الوعود التي قطعها له بتقليده ولاية من الولايات[2]:

أبلغ أمير المؤمنين رسالة ... فلست على رأي قبيح أورابه

أفي الخلق أن أُجفَى ويجعل مصعب ... وزيريه من كنت فيه أحاربه

فكيف وقد أبليتكم حق بيعتي ... وحقي يذوي عندكم وأُطالُبه

وأبليتُكُمْ ما لا يُضَيَّعُ مثلُه ... وآستيكم والأمر صعب مراتبه

فلما استنار الملك وانقادت العدى ... وأدركَ من مالِ العراقين راغبه

جفا مصعب عني ولو كان غيره ... لأصبح فيما بيننا لا أعاتبه

لقد رابني من مصعب أنَّ مُصْعباً ... أرى كل ذي غشٍ لنا هو صاحبُه

إذا قمتُ عند الباب أدخِلَ مُسلمٌ ... ويمنعني أن أدخل البابَ حاجبُهْ

وما أنا إن حلأتموني بواردٍ ... على كدرٍ قد غُصَّ بالصفوِ شاربه

بكل تلطف وعتاب فيه أدب وواقعية، يخاطب عبيد الله عبد الله بن الزبير، عارضاً أمامه قضيته مع أخيه مصعب، ذاكراً خدماته له ونضاله في سبيله وتضحياته الكبرى التي أفضت إلى النصر، ورغم كل هذه المواقف الخلاقة والمخلصة، يواجه بالصدود والرفض والإنكار، علماً أنه كان ينتظر مكافأة على تضحياته، وهو ينذر بأنه لن يسكت أبداً عن هذا الصدود.

---

(1) معجم البلدان 2/ 94.

(2) الطبري 4 / 593. د. عطوان صعاليك العصر الإسلامي ص205. رسائل الجاحظ 2/ 55.

طبعاً لم تكن مساعده ابن الحر للزبيريين منة ومحبة وإيماناً بما يحملون من مبادئ وتطلعات، إنما كان يبغي من وراء مساعدتهم الجاه والمنصب والمسؤولية والنفوذ، كان تواقاً إلى العظمة، متطلعاً إلى آمال عراض، تتحقق له، فخاب فأله، وشفى غليله بالسيف وبالشعر، ممن كان مع كل منهما بالأمس، وحارب كل منهما فيما بعد، وتصور قصيدة رائعة له هذا الانتقام حيث يقول[1]:

ويوم بحولايا فضضتُ جموَعهم ... وأفنيتُ ذاك الجيشِ بالقتل والأسر
فَقَتَّلْتُهم حتى شفيتُ بقتلهم ... حرارة نفس لا تذِلُّ على القَسْر
ومن شيعة المختار قبلُ شفيتها ... بضربٍ على هاماتهم مبطلِ السحر

ثم يتحدث عن بلائه مع كل واحد منهما على حدة، ذاكراً ما فعله بجيشهما من تنكيل وهزيمة، فمن القصائد التي صور فيها مصارعته للمختار الثقفي قوله في عينيه ساحقة[2]:

سائل بني المختار كم قد دعوته ... وشردت أطرافا له وجموعا
وقاتلتُه والناسُ قد أذعنوا له ... وقد أقشع الأحياءُ عنه جميعا

ويميل بعد المختار إلى مصعب، في رائية كاسحة، يتحدث فيها عن تمزيق جيش يزيد بن الحارث بن رؤيم الشيباني عامل مصعب على المدائن، حيث هزمه وجنوده، بعد ان أثخنوا بالجراح، فالتجأوا إلى أيوان كسرى هرباً ورعباً كالمعزى يباغتها الذئب فتفر منه خشية المنون[3]:

سلوا ابن رويم عن جلادي وموقفي ... بإيوان كسرِى لا أُولِّهُم ظهري
أكرُّ عليهم مُعلَماً وتراهم ... كمعزى تحنَّى خشية الذئب بالصخرِ
وَبَيَّتهُمُ في حصن كسرى بن هرمز ... بمشحوذةٍ بيض وخطيَّةٍ سُمْرِ
فأجزيْتُهم طعناً وضرباً تراهُمُ ... يلوذون منَّا مَوْهناً بذرى القصرِ

وإذا كان قد هُزم مرة، فإنه هزم مصعب مراراً، وصادف أن نكل بجماعته الصعاليك في تكريت على ايدي رجال مصعب، وهو يعترف بذلك في قصيدة له، ويتمنى أن يرى قوماً ينصرونه ليثيرها في الكوفة شعواء ضارية، بجند

---

(1) معجم البلدان 2/ 322 و323. د. عطوان صعاليك العصر الإسلامي - ص208.
(2) أنساب الأشراف - 5/ 294. د. عطوان صعاليك العصر الإسلامي ص207.
(3) الطبري 4/ 591. د. عطوان - صعاليك العصر الإسلامي - ص207.

كماة، وخيل ضوامر، يقتل بها أعداءه، مصعباً وجنوده، ويأخذ بثاره ويشفي غليله[1]:

فإن تك خيلي يوم تكريت أجحمتْ ... وُقتِّلَ فرساني، فما كنتُ وانِيا
وما كنت وقافاً ولكن مبارزاً ... أقاتلهم وحدي فرادى وثانيا
دعاني الفتى الأزديًّ عمرو بن جندب ... فقلتُ له: لَبَّيْكَ لما دعانيا
فعزٌّ على ابن الحر أن راحَ راجعاً ... وخُلفْتُ في القتلى بتكريت ثاويا
ألا ليت شعري هل أرى بعد ما أرى ... جماعةَ قومي نُصرةً والمواليا
وهل أزْجَرنْ بالكوفة الخيل شُرَّبا ... ضوامرَ تُردَى بالكماةِ عواديا
فالقى عليها مصعباً وجنوده ... فأقتلُ اعدائي وأدراك ثاويا

(1) معجم البلدان 2/ 38 و39.

# عرقل بن الخطيم العكلي

من الشعراء الصعاليك في العصر الأموي، قضى شطراً كبيراً من حياته في التأبد والتشرد، ومزاولة الاغارة والسلب والغزو، خاصة في مناطق اليمامة، كما أنه ظل متخفياً هناك بعيداً عن أعين عسس السلطات الأموية.

وقد اشتاق كثيراً إلى اهله، مرابع طفولته وفتوته، وحنَّ إلى أوديتها وأشجارها الظليلة الملتفة، وحياتها الهادئة الوادعة المطمئنة الحرة في مناطق البحرين وزهد في اليمامة ورمالها وصحاريها ودورها، حيث شاءت الظروف ان يتشرد بها، ويعيش مبتعداً عن الانظار[1]:

لـعُـمـرك لـلـرمـانُ إلـى بـثـاءٍ ... فـخـرم الأشـيـمـيـن إلـى صُـبَـاح[2]

وأوديــةٌ بــهــا سَــلــمَ وســدْرٌ ... وحـمـضَ هـيـكـلٌ هَـدِبُ الـنـواحـي[3]

نـحـلُّ بـهـا ونـنـزل حـيـث شـئـنـا ... بـمـا بـيـن الـطـريـق إلـى رُمـاح

أحَـبُّ إلـيَّ مـن آطـام جَـوٍّ ... ومـن أطـوابـهـا ذات الـمـنـاحـي[4]

أجـبُّ إلـيَّ مـن كـنـفـي بُـجـارٍ ... ومـا رأت الـحـواطـب مـن نـسـاح[5]

وحـجـر والـمـصـانـع حـول حـجْـرِ ... ومـا هـضـمـت عـلـيـهِ مـن لِـقـاح

---

(1) معجم البلدان 3/ 67. شعراء الامكنة وأشعارهم ج2/ ص122.

(2) ما ورد في هذا البيت اسماء مواضع وامكنة دون هجر من بلاد بني سعد. والبثاء: الأرض السهلة وهي ماءٌ في ديار بني سعد. (ياقوت 1/ 337). والاشيمين في بلاد بني سعد بالبحرين (ياقوت 1/ 1203).

(3) ما ورد من اسماء هي من أشجار الصحراء. هيكل: وارف

(4) جو: ناحية باليمامة، الأطام: الحصون. الأطواب: الدور.

(5) نِساح: من أودية اليمامة. واليمامة من نجد وقاعدتها هجر (ياقوت 5/ 442) و5/ 283.

# عطارد بن قُران الحنظلي
## ... ـ نحو 100 هـ ـ ... ـ نحو 718م

عطارد بن قران أحد بني صدي بن مالك.

أحد أهم الشعراء الصعاليك اللصوص الذين تشردوا وتاهوا في الصحارى والقفار متكلين على الإغارة والغزو والسلب، وكانت دائماً تلوح في مخيلاتهم صور صديقاتهم في حالتي الإقامة والإرتحال، وها هو عطارد هنا يستذكر وهو مشرد ناءٍ عن وطنه، منظر ارتحال محبوبته عنه، وكيف تجلد أمام لحظة الوداع وكظم مشاعره، وحاول أن يخفي ما يبدو عليه من ألم الفراق ولوعة البعاد خوفاً من أن يلاحظ ذلك صاحباه، لكن عبراته كانت أسرع منه، فسرعان ما خانته، وسالت على خديه دليل حب وشوق وحنين، حُبسَ في نجران، وكان معاصراً للشاعر جرير.

ومعظم الشعراء الصعاليك يشتد بهم الشوق وهم في بلاد ليست ببلادهم، أو ليست منطقتهم، يقول عطارد في هذا المقام[1]:

ولـمـا رأيـت الِـبْـشَـر أعـرضَ وانـثـنـت لأعـرافـهـمْ مـن دونِ نـجـدٍ مـواكـبُ
كـتـمـتُ الـهـوى مـن رهـبـةٍ أن يـلـومـني رفـيـقـاي وانـهـلـتْ دمـوعٌ سـواكـبُ
وفي الـقـلـب مـن أروى هـوىً كـلـمـا نـأت وقـد جـعـلـتْ داراً بـأروى تـجـانـبُ

ولا ينسى عطارد أيام السجن في الكوفة، عندما قبض عليه اعوان الحجاج وسلموه إليه، فهو هنا يذكر القيود التي غلت فيها أيديهم وألوانها وأنواعها، وما كانوا يقاسون من الآلام لثقلها وشدها المبرَّح على أرجلهم وأيديهم، وكيف كانت تعضها عضاً، وتقبض عليها بعنف، فيبكون ويشكون ويصيحون ويتأوهون،

(1) معجم البلدان ـ 1/ 427. د. عطوان الشعراء الصعاليك في العصر الإسلامي ـ ص95/ 96.

ويواسي بعضهم بعضاً، صور دامية مظلمة لعصر دام قاتل كما جاء في قول ابن قرّان[1]:

ليست كليلةِ دوّارٍ يؤرقني ... فيها تأوهُ عانٍ من بني السِّيد
ونحن من عصبةٍ عضَّ الحديدُ بهم ... من مشتكٍ كَبْلَه فيهم ومصفود
كأنهم أهلُ حجر ينظرونَ متى ... يرونني خارجاً طيراً أباديد

ويتذكر ليالي سجنه في نجران، وما عاناه هناك من ويلات الأسر وذل الأصفاد والقيود التي أثخنت بساقيه، هناك لم يجد من أحد يواسيه أو يساعده، بل إنه يائس من نجدة أقاربه ومتعلقيه[2]:

يطولُ عليَّ الليلُ حتى أملّه ... فأجلس والنهديُّ عنديَ جالسُ
كلانا له كبلان يرسُفُ فيهما ... ومستحكمُ الأقفال أسمرُ يابس
له حلقات فيه سمرٌ يحبها ... العناةُ كما حبِ الظماءَ الخوامسُ
إذا ما ابن صباح أرنتْ كُبوله ... لهنَّ على ساقيْ وهنا وساوس
تذكرت هل لي من حميم يهمُّهَ ب ... بنجرانَ كِبلايَ اللذان أمارسُ
فأما بنو عبد المَدَانِ فإنهم ... وإنّي من خير الحصين ليائسُ
روى نمِرٌ من أهل نجران أنكم ... عبيدُ العصا أوَ صبحتكم فوارسُ

فهو هنا يتحدث عن أيامه ولياليه في سجن نجران مع رفيق له يسمى النهدي، عانا معاً من ألم الكبول ذات الأقفال، ذلك دأب كل صعلوك، أن يتعرض لشتى الاحتمالات، والشاعر مشهود له باللصوصية وقطع الطرق، وقد وفّر لهذه الغارات عيساً يعِدُ بأن تقوم بأعمال مُكلِفة[3]:

أقول وقد قرَّنتُ عِيساً شِمْلَةً ... لها بين نِسعيها فضولٌ نفانِف
عليَّ دماءُ البُدنِ إن لم تمارسي ... أموراً على قُرَّان فيها تكالفُ

ومما قاله وهو في سجنه بنجران[4]:

لقد هزئت مني بنجران أن رأت ... قيامي في الكبلين أم أبان
كأن لم تر قبلي أسيراً مكبلاً ... ولا رجلاً يرمي به الرجوان

(1) معجم البلدان 2/ 479. د. عطوان الشعراء الصعاليك في العصر الإسلامي ص133.
(2) معجم البلدان 5/ 270. شعراء الامكنة وأشعارهم ج2 ـ ص128.
(3) معجم البلدان ـ 4/ 319. شعراء الأمكنة وأشعارهم ج2 ـ ص128.
(4) المزرباني ـ معجم الشعراء ص300.

كأني جواد ضمه القيد بعدما جرى سابقاً في حلبة درهان
خليلي ليس الرأي في صدر واحد أشيرا عليَّ اليوم ما تريان
أأركب صعب الأمر إن ذلوله بنجران لا يرجى لحين أوان

ولا ندري من هي أم أبان، لعلها زوجته أو صديقته، المهم أنه يلوم أم أبان على استهزائها منه، كأنها لم تر قبله أسيراً تقيده الأغلال، فهو فارس جواد كانت له في ميادين الغزو والاغارة جولات، إلا أنه اليوم رهين القيود، ثم يستشير في أمر نفسه صاحبيه.

وحبس أيضاً بحجر، فقال[1]:

يقودني الأخشنُ الحدادُ مؤتزراً يمشي العرضنة مختالاً بتقييدي
إني لأخشن في حجر لمختلفا حال وما ناعم حالاً كمجهودِ

هنا يقابل بين الأخش السجان وبين نفسه، هو في الأسر والاغلال والأخشن ناعم البال قرير العين، وشتان ما بين الحالتين.

ومن المعروف أن عطارداً هجا الشاعر جريراً، بعد أن هجا جرير مرار البرجمي، فطلبت بنو صدي بن مالك إلى جرير أن يهبه لهم، فقال جرير[2]:

وهبت عطارداً لبني صدِيٍ ولو لا غيرهُ عَلَكَ اللِّجاما

(1) المزرباني ـ معجم الشعراء ـ ص300.
(2) المصدر نفسه: ص300.

# العطّاف العقيلي

العطاف بن نشة الشيباني، ويقال إن نشة أمه.

من الشعراء الصعاليك اللصوص في العصر الأموي، كان يؤلف مع مجموعة من أصحابه عصابة فيغيرون على التجار والاسواق، خاصة اسواق اليمامة حيث اشتهرت بهذا اللون من التجارة، ويصف في بيتين اثنين سرقته للإبل مع أفراد عصابته، إذ كانوا يتربصون بالراعي ويراقبونه ليسرقوا إبله، ويحاذرونه ويهملونه ويراقبون تحركاته وسكناته، حتى إذا وسموا منه مللاً وتعباً، ولم يكن أحد ليراهم وهم على هذه الحالة، أرسلوا إلى ابله شيطاناً من شياطينهم ليسوقها ويهرب بها، ويسقط في يد الراعي، فلا يتمكن بعد أن ينتبه من اللحاق به:

إذا كَلَّ حاديها من الإنس أو وَنَى　　بعثنا لها من وُلْدِ إبليس حاديا

فلن ترتعي جنبَيْ ضراف ولن ترى　　جيوب سليل ما عددتُ اللياليا[1] ش

وذكر له المرزباني هذا البيت من القصيدة نفسها على ما يبدو[2]:

أنا ابن الذي لم يخزني في حياته　　ولم يخزه عند الوفاة بلائيا

وهو القائل لخاله عدي بن ضب، غامزاً من قناته[3]:

عدي بن ضب من يكن خاله له　　أخا أمه تدلج بلؤم ركائبه

---

(1) معجم البلدان ـ 3/ 455. د. عطوان ـ الشعراء الصعاليك في العصر الإسلامي ـ ص111.

(2) المرزباني ـ معجم الشعراء ـ ص299.

(3) المرجع السابق ص299

# عياش الضبي

من فئة الصعاليك الشعراء السياسيين اللصوص الفقراء الذين يئسوا من عدل الدولة الأموية، ووقفوا في وجهها، واتخذوا وسيلة الاغارة والسلب تحقيقاً لغاياتها. اذن احترف عياش الاغارة والغزو، وقطع الطرق، وغزا الاسواق وسلب اموال الدولة، مع غيره من العصابات التي أقضت مضجع الخلافة الأموية، وقد لاحقته عيون السلطة وظفرت به وأودعته السجن، ثم قطت يده ورجله.

وها هو هنا يلوم نفسه ويعنفها، لأنها مسؤولة عما آل إليه أمره في السجن، إذ أحسنت هذه النفس ثقتها بأحد أصدقائه وهو مطارد ملاحق مطلوب من السلطة، فأخلف ظنها فيه، وسار به مباشرة إلى الأمير يقدمها له على طبق من فضة، فقبض عليه وأودعه السجن، ولو لا هذه الخديعة المنكرة التي تدل على الخيانة وقلة الوفاء، لما تمكن أحد من القبض عليه والنيل منه، وفي هذا الموقف الصعب سلَّحَ نفسه بالصبر والجلد على ما آل إليه وضعه، هذا الذي لا يحتمله من وشى به، بل يستسلم أمامه للضعف والهوان[1]:

| | |
|---|---|
| ألـم تـرنـي بـالـديـرِ ديـرِ ابـنِ عـامـرٍ | زلَـلْـتُ وزلاتُ الـرجـال كـثـيـرُ |
| فـلـو لا خـلـيـل خـانـنـي وأمِـنْـتُـه | وجـدُّك لـم يـقـدر عـلـيَّ أمـيـرُ |
| فـإنِّيَ قـد وطَّـنْـتُ نـفـسـي لـمـا تـرى | وقـلـبُـكَ يـا بـنَ الـطـيـلـسـانِ يـطـيـرُ |
| كـفـى حَـزَنـاً فـي الـصـدرِ أنَّ عـوائـدي | حُـجـبْـنَ وأنـي فـي الـحـديـد أسـيـرُ |
| إذا مـا تـشـكـيـنـا أذاةَ الـذي بـنـا | أطـاف بـنـا مـثـل الـغـراب مـصـيـرُ |
| قـلـيـلُ غـرارِ الـنـوم حـتـى تـنـومـوا | ويـطـلـعُ مـن ضـوءِ الـصـبـاح بـشـيـر |

وابن الطيلسان هو صديق عياش الذي وشى به إلى السلطات الأموية.

(1) المرزباني ـ معجم الشعراء ـ ص278 و279. معجم البلدان ـ 2/ 496.

وقد أجابه ابن الطيلسان هذا بأبيات ذكر منها ياقوت بيتاً واحداً

وأحـمـوقـة وطـنـتَ نـفـسـك خـالـيـاً     لـهـا وحـمـاقـات الـرجـال كـثـيـر[1]

كما أن ابن الطيلسان دخل عليه يوماً وقال له[2]:

أعـيـاش لـو وطـنـت نـفـسـك فـاصـطـبـر     فـحـظـك مـن بـعـد الـمـمـات سـعـيـرُ

رأيت قطيع الكف تخطو على العصا     وكـفـك مـن عـظـم الـيـمـيـن جـذيـرُ

وأحـمـق قـد وطـنَّـت نـفـسـك خـالـيـاً     لـهـا وحـمـاقـات الـرجـال كـثـيـر

فـإن وطَّـن الـظـبـي نـفـسـاً ألـيـمـةً     عـلـى الـذل مـا نـفـسـي لـه بـوقـورِ[3]

(1) ياقوت الحموي ـ معجم البلدان ـ 2/ 496. د. عطوان ـ الشعراء الصعاليك في العصر الإسلامي ـ ص137 ـ 138.

(2) المرزباني ـ معجم الشعراء ـ ص279.

(3) هكذا ورد هذا البيت في معج المرزباني، وهو قد خالف سائر الأبيات في حركة البيت الأخير.

# غيلان بن الربيع

من الشعراء الصعاليك اللصوص، عاش في العَصر الأموي، ذكر له ياقوت أبياتاً تدل على أنه كان صعلوكاً طريداً، إنصرف إلى الاغارة والسلب، حتى قبض عليه وسجن في مخيس، وهو يشكو ما عاناه في ذلك السجن ومن الليل فيه، حيث يلقي سدوله العميق[1]:

إلى الله أشكو محبسي في مخيسٍ وقربَ سجا يا رب حين أقبلُ
وإني إذا ما الليل أرخى ستوره بمنعرج الخل الخفيِّ دليلُ

ثم يتذكر وهو عليل أمكنة كان له فيها ذكريات جمة، ويتمنى لو وجد سبيلاً إليها، ذلك في بيتين أثنين يحملان طاقة من الشوق والحنين إلى مرابع وجدانية[2]:

ألا هل إلى حومانة ذاتِ عَرْفَجِ ووادي سُبَيْعٍ يا عليلُ سبيلُ
ودَوِّيَّة قفرٍ كأن بها القطا بري له فوقَ الحداب يجولُ

(1) معجم البلدان ـ 3 / 189. جورج مارون ـ شعراء الأمكنة ـ ج2 / ص 197.

(2) معجم البلدان ـ 5 / 344. جورج مارون ـ شعراء الأمكنة ـ ج2/ ص197.

# فُرعانُ بنُ الأعرف المري

فرعان في رواية ابي تمام كما ذكر في حماسته، وفرغان بالغين في رواية ابن قتيبة، من بني مرة بن عبيد رهط الاحنف بن قيس. كان شاعراً فاتكاً لصاً من شعراء الصعاليك في العصر الأموي، صاحب إغارة وسلب وقطع طرق، وكان يغير على إبل الناس، وقد أخذ مرة جملاً لرجل، فجاء الرجل فأخذ بشعره، فجذبه فبرك، قال القوم: كبرت والله يا فُرعان، قال: لا والله، ولكنه جذبني جذبة محق.

كان فُرعان معقداً بنفسه مفتخراً، وقد اعتمد في فخره على قوة بنيته حيث يقول[1]:

يـقـول رجـالٌ إن فـرعـانَ فـاجـرٌ ولا الـلـهُ اعـطـانـي بَـنِـيٍّ ومـالِـيَـا
فـأربـعـةً مـثـلَ الـصـقـورِ وأربـعـاً مـراضـيـعَ قـد وفَّـيْـنَ شُـعْـثـاً ثـمـانـيـا
إذا اصـطـنـعـوا لا يـخـبـأونَ لـغـائـبٍ طـعـامـاً ولا يـرعـون مـن كـان نـائـيـا

هكذا شاء حظه السيء، أن يرى أولاده الذين يفخر بهم، أن فجوره واعتداده عائد إلي قوتهم وفضاضتهم، فقد أذاقوه الذل والهوان، فأربعة منهم كالصقور قوة واندفاعاً، والآخرون صغار رضع، ومن فضاضة الصقور الكبار كما ينعتهم أنهم أنانيون جشعون لا يتركون طعاماً لغائب، ولا يكترثون لغائب بعيد.

ومن مظاهر انحراف أولاده، أن أحدهم ويدعى «منازل» وهو أحد الثمانية الصقور كما يقول فُرعان، يعق أباه، ويؤذيه ويضربه كما يصرح هو نفسه في إحدى قصائده:

جَـزَتْ رَحِـمٌ بـيـنـي وبـيـن مُـنَـازِلٍ جـزاءً كـمـا يـسـتـنـزلُ الـديـنَ طـالُـبـه

وتمتد الحياة بفرعان حتى يضعف بصره، ويصاب بشيخوخة قاتمة، فأصبح يبصر الرجل رجالاً أو الشخص أشخاصاً، والبعيد قريباً، ولعل الذي اثخن

(1) ابن قتيبة: الشعر والشعراء ـ ص434. المرزباني ـ معجم الشعراء 51 و316.

شيخوخته بالمعاناة عقوق ابنه منازل، فقد هضم حقه ولوى يده، وهو يستجير بالله جل شأنه الذي يأخذ له حقه منه ويغلبه، (إن يغلبكم الله فلا غالب لكم).

فلما رآني أبصرُ الشخصَ أشْخصاً قريباً وذا الشخصُ البعيدُ أُقارِبه

تغمد حقي ظالماً ولوى يدي لوى يده الله الذي هو غالبه

وكان له عندي إذا جاع أو بكى من الزاد أحلى زادنا وأطاريبه

وهكذا يصبح أولاده الذين كانوا مصدر قوة وفخر عنده، يصبحون مصدر قلق وإساءة وانحراف، ويتحدث بمرارة وهو يخاطب ابنه منازل الذي اعتاد على ضربه، بعد ان كلت يداه، وضعف بصره وهان أمره، وارتعشت يداه،

وجمَّعتها هماً جلاداً كأنها اشاءُ نخيل لم تقطع جوانبه

أإن رعشتْ كفا أبيك وأصبحتْ يداك يدي ليث فإنك ضاربه

فأخرجني منها سليباً كأنني حسام يمانٍ فارقته مضاربه

هكذا يخاطب ابنه الذي استغل ضعفه وانبرى يضربه بعد أن كبر وقويت بنيته، وتوارث ابناؤه هذا العقوق، فقد ابتلي ابنه «منازل» العاق، بابن له يدعى «خليج»، إذ عق خليج أباه منازلاً، وكأن التاريخ يعيد نفسه، وأن ما كان يفعله منازل بأبيه فرعان يكرره خليج بأبيه منازل، إنه عقاب الله والتاريخ:

تظلَّمني حقي خليجُ وعقني على حينِ كانت كالحني عظامي

رجاء يغولِ من حرام كأنما تسَعرَّ في بيتي حريقُ ضرامِ

لعمري لقد ربيتهُ فرحاً بهِ فلا يفرحنْ بعدي امرؤ بغلام ش

وكيف أرَجيِّ النفعَ منه وأمهُ حراميةٌ ما غرني بحرام

ورجَّيْتُ منه الخيرَ حين استزدتُه وما بعضُ ما يزدادُ غير غرام

هكذا تماماً، يظلمه خليج حقه، ويعقه ويستبد به، بعد أن خارت قواه ولانت عظامه، وكان منازل قد قدم وشكا ابنه إلى إبراهيم بن عربي، فأراد إبراهيم ضربه، فقال خليج، أصلح الله الأمير، لا تعجل، أتعرف هذا، قال: لا، قال: «هذا منازل بن فرعان الذي عق أباه، وفيه يقول: جُزَّتْ رَحِمٌ بيني وبين منازل»، فقال إبراهيم: يا هذا، عَقَقْتَ فَعُقِقْت، فما أعلم لك مثلاً إلا قول خالد لأبي ذؤيب[1]:

فلا تَجْزَعَنْ من سيرةٍ أنتَ سِرْتَها فأولُ راضي سيرةٍ مَنْ يسيرها

---

(1) حماسة أبي تمام - ج4/ ص10. د. حفني - الشعراء الصعاليك ص136 و137.

# القتال الباهلي

الحسن بن علي القتال الباهلي، أحد بني جندب بن إياس بن عامر بن عوف، ثم أحد بني وائل بن معن بن أعصر.

أحد الشعراء الصعاليك اللصوص في العصر الأموي، كان شاعراً فارساً، فأحدث حدثاً اضطره إلى الهرب من وجه السلطات الأموية، فالتجأ إلى جبل يذبل وأقام به. لذلك قضى حياته متشرداً متنقلاً في الصحاري والمفازات حتى ألف النمر وكان يرد معه في الشريعة، وقد اضطره تهديد السلطات له إلى التشرد والخوف، مما انعكس على جسمه، فهزل وتغير لونه وانهارت قواه، وهو يشير إلى هذه المعاني حيث يقول[1]:

| | |
|---|---|
| تقول ابنة البكري لما بدا لنا | لدى السِّتر منها لِمَّةٌ وبنان |
| أراك ظللت اليوم أسود شاحباً | طريدَ دم يُرمي بك الرَّجَوان |
| أخا سفرٍ يشكو الكلال ركابُهُ | تبدَّل مُرٍّ العيش بعد البيانِ |

(1) المؤتلف والمختلف ـ ص252 ـ 253. د. عطوان ـ الصعاليك في العصر الإسلامي ـ ص63. معجم الشعراء للمرزباني ـ ص167.

# قراد بن عيار
## ... ـ 160هـ ـ ... ـ 777م

أو قراد بن العيار بن محرز بن خالد بن أرقم بن رزام المازني وأبو العيار أحد شياطين العرب وشعرائها، وهو القائل:

ولا تـرعـى الـهـدونَ و لا الـهـوينـى ... إذا خـارتْ ضـغـابـيـس الـرجـالِ
بـنـا يُـسـتـعـطـفُ الأمـرُ الـمـولـى ... ويـحـسـمُ داءُ ذي الـداءِ الـعـضـالِ
ونـخـطـمُ أنـفَ كـلِ جـعـاظـريٍ ... شـمـوخِ الأنـفِ يـنـظـرُ مـن مـعـالِ

ثم:

إذا المرءُ لـم تـغضبَ لـه حين يغضبُ ... فـوارِسُ إنْ قيلَ اركبوا الموتَ يركبوا

وهو هنا يخبر بأن عز الرجل بعشيرته ومن يسخط لسخطه. وفي الابيات اعتزاز بالذات وبالعيشرة وشموخ وكبرياء.

ولـم يَـحْـبُـهُ بـالـنـصـرِ قـومٌ أعـزةٌ ... مـقـاصـيـمُ فـي الأمـر الـذي يُـتـهـيـبُ[1]
تـهـضـمَّـه أدنـى الـعـدوِ ولـم يـزَلْ ... وانْ كـان عـضًـا بـالـظُـلامـةِ يُـضـربُ[2]
فـآخِ لـحـالِ الـسـلـم من شئت واعـلـمَنْ ... بـأنَّ سوى مـولاك فـي الـحـربِ أجـنـبُ[3]
ومـولاكَ الـذي إن دعَـوتـهُ ... أجـابـكَ طـوعـاً والـدمـاءُ تُـضـبَّـبُ

---

(1) شرح حماسة أبي تمام ـ 2/ 107. معجم الشعراء للمرزباني ص328. الاعلام للزركلي ـ 5/ 192.
يحبه: يعطيه. والحباء عطاء بلا من ولا جزاء. المقاحيم: جمع مقحام وهو الذي يخوض قحمة الشدائد أي معظمها.

(2) تهضمه: كسره أو أذلّه. العض: الداهية. وهو السيء الخلق، ويقال هو عض مال وعض سفر وقتال إذا كان حسن الغناء في جميعها.

(3) أجنب بمعنى جانب. يقول: مولاك في الحقيقة هو ابن عمك الذي ان استغثت به بعدما كان منك أغاثك.

فـلا تـخـذُلِ الـمـولـى وإنْ كـان ظـالـمـاً      فـإنَّ بــهِ تُـثْـأى الأمــورُ وتُــرْأَبُ[1]

ويذكر المرزباني في معجم الشعراء أن قرادا شاعر شرير صعلوك بذيء اللسان، عمر دهراً إذ تجاوز المائة عام، وتوفي في ولاية محمد بن سليمان الأولى، أحد ولاة العباسيين.

(1) فلا تخذل المولى: يجوز ان يكون المعنى لا تخذله وإن كان ظالماً لك، ويجوز أن يكون على منهاج انصر اخاك ظالماً ومظلوما. تثأى : تفسد. ترأب: تصلح.

# مالك بن الريب المازني التميمي

## ... ـ 60 هـ ـ ... ـ 680 م

أحد الشعراء الصعاليك من بني مازن التميمي، ولد ونشأ في بادية تميم بالبصرة، إلا أننا لا نعرف شيئاً عن سنة ولادته ولا عن أمه وأبيه وطبيعة طفولته، إلا أن الغالب أنه شبَّ تبعاً لعادات البدو والاعراب القائمة على الشدة والنبل والشهامة والإباء، وما لبث أن تزوج من امرأة أنجبت له ذكراً اسمه عقبة وانثى إسمها شهلة.

تبعاً للشعر الذي بين أيدينا، نستطيع أن نعتبر حياة مالك ذات مرحلتين، مرحلة التصعلك والتشرد، ومرحلة العودة إلى الذات والجهاد في سبيل الله.

أما المرحلة الأولى فهي حقبة النضال في سبيل لقمة العيش ومحاربة الفساد في النظام الأموي الحاكم.

وطفولة مالك وحياته في هذه المرحلة يبدو انها كانت شاقة وصعبة، وانه عاش على الكفاف والشظف، ونظر إلى أسباب شقائه فوجدها في الحكام الأمويين، وقد صرح علناً أنهم عتاة ظالمون، اكلوا مال الشعب، إذ كانوا يستوفون من قبيلته وغيرها من القبائل ما يستوفون من الصدقات والضرائب، ويحتجزون ما لفقرائها ومساكينها من حق معلوم في الأموال التي ترد إلى مالية الدولة، ولا يقسمون لجنودها في العطاء، كما أنهم ابعدوا ابناء قبيلته عن المشاركة في الحكم، ونكثوا المواثيق، فتقربوا منهم عندما كانوا يشعرون أنهم بحاجة للمساعدة في صد الثوار، وما هي إلا ان يزول الخطر حتى ينقلبوا عليهم ويرتدوا عما وعدوهم به، فلذلك حقد عليهم مالك، ويئس من صلاحهم، ووجد أن أنجع وسيلة هي الخروج على حكمهم ومحاربتهم، لذلك مال إلى الصعلكة وامتهن التلصص والنهب والاغارة لتحصيل قوته، مؤمناً أن الله يحرس المستضعفين، وكانت له عدته في النضال،

شجاعة منقطعة النظير، وسيف بتار وترس يوفر بها علة حياته ويقي نفسه ذل الحاجة وهوان السؤال.

ويذكر مالك سبب صعلكته واختياره الاغارة والنهب طريقة يكسب بها معاشه، في حديثه مع سعيد بن عثمان والي الأمويين عندما التقى به ورفاقه من اللصوص والصعاليك، وكانوا يقطعون السبيل، ويغيرون على الحجيج بالبادية، فقال له: ويحك تفسد نفسك بقطع الطريق، وما يدعوك إلى ما يبلغني عنك من العبث والفساد، فقال له: يدعوني إليه العجز عن المعالي ومساواة ذوي المروءات ومكافأة الاخوان.

وهذا اعتراف من مالك من ان ميله إلى الصعلكة ناتج عن التمييز الناشئ بينه وبين غيره، إذ كان هو فقيراً معدماً مظلوماً مغموراً، ولا يملك علة يومه وما يسد به رمقه، بينما غيره من الفتيان ثري مشهور، يستأثر بالطيبات من الرزق، وينفق عن سعة، وهذه الفروقات ناتجة عن فساد الحياة الاقتصادية، التي كانت من أبرز اسباب صعلكته كما يقول في عينية ينتقد فيها سياسة المروانيين[1]:

أحقاً على السلطانِ أما الذي له ... فيعطى وأما ما عليه فيمنعُ

إذا ما جعلتَ الرملَ بيني وبينه ... وأعرض سَهْبٌ بين يَبرينَ بلقعُ[2]

فشأنكم يا آل مروانَ فاطلبوا ... سقاطي فما فيه لباغيه مطمعُ[3]

كما أنه يعلن لمروان بن الحكم بعد أن تشدد في طلبه، بأنه لا يفر منه لجبن أو خوف، بل حفاظاً على حياته، فهو لا يخاف المخاطر، ولا تقهره الخطوب والمحن، فقد عرف الصحراء قريبها وبعيدها، وخبر دروبها ومفازاتها، وحط رحاله في وبار، ذلك المكان الذي لا يصل إليه أحد، إلا فيما ندر ويذكر في هذه المناسبة فتكه بسعاته وتنديده بعمالة[4]:

تألّى حِلفة في غير جَرم ... أميري حارث شبه الصرار[5]

عليَّ لأجلدَنْ في غيرِ جُرْم ... ولا أدنى فينفعني اعتذاري

---

(1) الأغاني ـ 22/ 308 ـ 310. د. عطوان الشعراء الصعاليك في العصر الإسلامي ـ ص45 و46.

(2) أعرض: امتد وترامى. السهب: الأرض الواسعة. يبرين: رمل لا تدرك أطرافه بنواحي البحرين.

(3) السقاط: ما يحملونه من التمر: يريد أنه فقير لا يملك شيئاً.

(4) الاغاني ـ 22/ 306. د. عطوان الشعراء الصعاليك في العصر الإسلامي ـ ص99.

(5) الضرار: العقاب الذي لا يجدي ولا يفيد. أو (شبه الصِّرار)، والصرار ما يشد خلف الناقة من خيط.

وقلتُ وقد ضممتُ إليَّ جأشي تحلَّل لا تألَّ عليَّ جارِ

ومما قوى في نفسه الميل إلى الصعلكة، وزاده إصراراً عليها، أنه عندما قُبض عليه لجناية جناها، ثم أودع السجن في مكة لمدة غير معلومة أفرج بعدها عنه، خرج من السجن أشد نقمة وحقداً وأكثر إصراراً وتصحيحاً على مزاولة العصيان وامتهان اعمال الصعلكة، ومواجهة السلطات الأموية بكل الوسائل، وقد نفذ ما صمم عليه وشملت ثورته غارات منظمة على القوافل والطرق، ثم ألف عصابة ضمت إليه شظاظ الضبي وأبا حردبة المازني وغويث بن بني كعب، وكانوا معروفين ببأسهم وصلابتهم وكرههم للأمويين، فهم جميعاً من تميم صلبية باستثناء شظاظ فهو من مواليها، زد على هؤلاء بعض الاعراب الآخرين التميميين، وقد شكلوا جميعهم هذه العصابة الفتاكة التي أرعبت الناس، وتربصت بهم في مناطق القصيم وبطن فلج، وكانت تسلبهم كل ما كانوا يحملون معهم.

وعندما ضاق الناس ذرعاً بعمل أفراد هذه العصابة، اشتكوهم إلى مروان بن الحكم عامل المدينة، فهربوا منه، فما كان منه إلا ان كتب إلى عامله على بني عمرو بن حنظلة وهو الحارث بن حاطب الجمحي أن يطلبهم ويقبض عليهم، ففروا منه واختفوا عنه، ولم يفلح في العثور عليهم، فكلف رجلاً من الأنصار بأمر القبض عليهم، فلم يزل يبحث عنهم حتى عثر عليهم، فكبل أبا حردبة وبعث به إلى المدينة، واستبقى مالكاً وغيره من الاعراب معه، وأسند أمره إلى غلام له، فجعل يسوق مالكاً، ومالك يتحين منه غفلة حتى يفلت منه، وما إن غفل الغلام حتى هب مالك فانتزع سيفه منه، وانقض به عليه، فقتله، وقتل الانصاري وكل شُرَطِه ومن كان معه من رجال مروان بن الحكم، ولحق بأبي حردبة ففك قيده، وخلصه من الأسر، واستوليا على إبل الأنصاري وسلاحه، وفرا هاربين حتى أتيا البحرين[1]، وهناك توافد أصحابه عليه، ثم انتقلوا جميعاً إلى بلاد فارس، وما لبث أن قدم عليهم سعيد ابن عثمان بن عفان، وهو يقود جيشاً من جيوش الفتح الإسلامي إلى خراسان، التقى بهم بعد ان عرف مكانهم وتيقن من خبرهم، وناقش مالكاً في الاسباب التي حملته على الصعلكة والثورة، فاعترف له بأن الفقر والحاجة، والعجز هي التي دفعته إلى القيام بكل ما بدر منه من عبث وفوضى،

(1) الأغاني ـ 22/ 308 ـ 312. د. عطوان ـ صعاليك العصر الأموي ـ ص159 ـ 160.

فأقر الوالي بحقه، وضمن له ما يريد، إذ فرض له خمسمائة درهم في كل شهر، واستصحبه معه إلى خراسان[1].

إلى هنا، نكون قد أوجزنا المرحلة الأولى والشاقة لحياة مالك، والتي كان فيها فاتكاً مغامراً يسلب ويقطع الطريق، ويقض مضاجع الولاة والحاكمين، انتقاماً لما آل إليه أمره، إذن لقاؤه مع الوالي كان الحد الفاصل بين شطري حياته، ليبدأ مسلكاً مغايراً لما سلف، مسلكاً يتصف بالعقلانية والوعي والفضيلة، وقد أفلح سعيد بن عثمان في ثني مالك عن لغة التمرد والثورة، واصطحبه معه إلى خراسان بعد أن استتابه سنة 650 هجرية ويشترك مالك في هذه الفترة مع الوالي في الفتوح الإسلامية فيما وراء نهر جيحون، ويناضل نضالاً مريراً ويبلو أحسن البلاء في معارك كثيرة منها يوم النهر ويوم طاَسي، كما يجاهد في فتح بخاري وسمرقند، وعندما أحسَّ في سعيد ضعفاً وميلاً إلى الهدنة قبل أن يفتح سمرقند، أخذ في تحريضه وتشجيعه على متابعة الحرب، إلا أن سعيداً تباطأ في الاستجابة لرأيه، مما أغضبه، فهجاه هجاءً مراً سنشير إليه لاحقاً، ويصمم سعيد أخيراً فيفتح سمرقند، مما وفَّر لمالك حظاً وافراً من الغنائم والأسلاب[2].

حقق هذا النصر العظيم لسعيد بن عثمان نفوذاً وشعبية واسعة في خراسان، مما أخاف معاوية بن أبي سفيان فعزله، وفي تقديري لا يكافأ المجاهدون الذين يضيئون الأمة بهذه الطريقة التي يبلغ فيها الحرص على العرش مبلغاً يستهان بكل شيء في سبيله. على كل حال تلقى سعيد خبر العزل بذهول، وقفل عائداً إلى المدينة، وبينما هو في طريقه إليها ومعه مالك بن الريب، اعتل مالك بمكان يسمى (الطّبسان) واشتدت به العلة، فمات قبل أن يحقق آماله بالعودة إلى أهله ووطنه في البصرة، وقيل مات وهو في الغزو، إذ نالته طعنة مقاتل فسقط وهو بآخر رمق، وقيل: بل مات وهو بخان، فرثته الجن لما رأت غربته ووحدته، ووضعت الصحيفة التي تحتوي على القصيدة اليائية تحت رأسه.

وما من شك أن هذه الرواية الأخيرة أسطورة وخارقة لا تمت إلى الحقيقة بصلة مطلقاً، كذلك رواية طعنه في المعركة ووفاته ضعيفة الأسانيد، خاصة أنه لا يذكر

---

(1) الأغاني 22/ 314 ـ 318. سمط اللآلي ص419. د. عطوان الشعراء الصعاليك في العصر الأموي، ص161.

(2) معجم البلدان 3/ 248. الطبري 2/ 179. فتوح البلدان ص401. د. عطوان ـ الشعراء الصعاليك في العصر الأموي ـ ص162.

في القصيدة التي رثى فيها نفسه رثاءً حاراً أنه طعن وهو في المعركة، انما يشير إلى انه كان يجود بنفسه وهو عائد من خراسان.

تبقى الرواية الأولى هي الأصح، موته «بطبسان» وهو عائد من خراسان، وهي تلتقي مع ما أشار إليه هو في شعره الرثائي، كما أنها تقرب جداً مما أورده أبو سعيد السكري كما يذكر معجم البلدان، ان مالكاً لم يبق مع سعيد بن عثمان بن عفان إلى سنة 58 هـ، أنما تركه وانصرف عائداً إلى البصرة قبل ذلك بوقت لأن سعيداً جفاه، ولم يحقق له شيئاً مما وعده به، كما يذكر أنه مرض في نيسابور وهو عائد إلى البصرة فرثى نفسه، كما يكشف أنه توفي قبل سنة 58 للهجرة بقليل، وهي السنة التي رجع فيها سعيد من رحلة الفتح العسكرية في خراسان إلى المدينة[1].

## شعر مالك:

في حوزتنا قدر كبير من شعر مالك، متوزع في مجموعة من المراجع والمصادر الأدبية واللغوية والتاريخية والجغرافية، نذكر منها معجم البلدان لياقوت الحموي وكتاب الاغاني لأبي الفرج، وخزانة الأدب والشعر والشعراء وغيرها كثير.

وعلى غرار حياته المنقسمة إلى شطرين، شطر التمرد والصعلكة وشطر التوبة والحنين، كذلك يدور شعره حول هذين الموضوعين الرئيسين.

ومن مظاهر قصائد الموضوع الأول، وصف مالك لتشرده وتشتته في الصحاري النائية وبأسه وشجاعته، ونبله وسمو أفكاره، وامتهانه السلب والغزو والإغارة، وحديثه عن سجنه، وشوقه إلى أهله وزوجه وأطفاله.

وها هو يستهزئ بغلام الأنصاري، ساعي الحارث بن حاجب الجمحي والي مروان بن الحكم بانه ليس من رجال الحرب المبرزين، الذين مهروا الحرب وأبلوا فيها البلاء الحسن، إنما هو مستصغر ذليل، وهو خادم مأجور مترف رخص البنان، ممتلئ الجسم لا يقوى على حمل السيف، ثم يصور لحظة انقضاضه عليه واختطافه السيف منه، ثم قتله له به، وفراره من أسره وأغلاله[2]:

---

(1) معجم البلدان 4/ 20. الشعر والشعراء 227 و228. الاعلام للزركلي 5/ 261. سمط اللآلي ـ ص419. د. حسين عطوان ـ الشعراء الصعاليك في العصر الأموي ـ ص162 ـ 163.

(2) الأغاني 22/ 311. د. عطوان صعاليك العصر الأموي ـ ص164.

غـلامٌ يـقـولُ الـسـيـفَ يُـثـقِـلُ عـاتـقـي إذا قـادني وسـطَ الـرجـالِ الـمـجـحـدَلُ[1]
فـلـو لا ذيـابُ الـسـيـفِ ظـل يـقـودنـي بـنـسـعـتِـه شَـثْـنُ الـبـنـان حَـزَنْـبَـلُ

وزبدة القول أن الشاعر شجاع متيقظ والمهجو جبان ضعيف لا حول له ولا قوة. وأشد مظاهر قوته وبأسه تجلت عندما صرع افلح اللص الحبشي، الذي كان يغير على القوافل ويقطع الطريق بفارس، وقد تراءى لمالك أنه عثر على صيد وفير عندما عثر عليه في أعماق الصحراء، دون أن يعلم أنه ابتلي برجل صلب المراس، عرك الحياة بقوة، وتمرس بالشدائد والأهوال، لا يخاف شيئاً ولا ترعبه مفازات الصحراء الموحشة، وظلمة لياليها الدامسة، ينفذ ما يقوم به دون تردد وتهيب، كما يقول في لامية أراد أن يظهر من خلالها قوته وبأسه الشديدين من خلال تعظيم أمر الخصم[2]:

أنــى أُتِـيـحـتَ لـشـائـك أنـيـابُـه مـسـتـأنـسٍ بـدجـى الـظـلامِ مُـنَـازِلِ
أنختُ

لا يـسـتـريـعُ عـظِـيـمـةٌ يُـرمـى بـهـا حصَّـاءَ تـحـسِرُ عـن عـظـام الـكَـاهـلِ[3]
لـم يـدرِ مـا غُـرفُ الـقـصـورِ وفـيـؤهـا طـيـبـاً ونـخـلُ سـوادِهـا الـمـتـمـايـلِ
يـقـظ الـقـلـوبِ إذا الـقـلـوبُ تـأنـستْ جـزعـاً وَنُـبِّـهَ كَـلُّ أروعَ بـاسـلِ
فـوجـدتـهُ ثـبـتَ الـجِـنـان مـشـيَّـعَـاً ركَّـاب مـنـسِـجَ كـلِّ أمـرٍ هـائـلِ[4]
فـقـراك أبـيـض كـالـعـقـيـقـة صـارمـاً ذا رونـقٍ يـغـشـى الـضـريـبـة فـاصـلِ[5]

ولا تقل بائيته الجميلة تصويراً لنخوته وشجاعته من اللامية التي أشرنا إليها، فها هو يتحدث عن رميه لذئب طاف به وأربكه وحاول افتراسه والقضاء عليه، إلا أن الشاعر كان اشد قوة، إذ واجهه وضربه بسيفه ضربة قسمته شطرين، ومن هذه القصيدة:

ألـم تـرنـي يـا ذئـبُ إذ جـئـتَ طـارقـاً تـخـاتـلـنـي أنـي امـرؤ وافـرُ الـلـبِ

---

(1) المجحدل: الأجير ـ والمجحدل: الذي يصرع غيره، وجحدله: صرعه. النسعة: سيور من جلد. الحزنبل: القصير.
(2) الأغاني ـ 22/ 313. د. عطوان الشعراء الصعاليك في العصر الأموي ـ ص164 و165.
(3) يستريع: من الروع ـ الفزع وهو يتحير ويرتاع. الحصاء : المشوؤمة.
(4) منسج الأمر: شره وخطره.
(5) العقيقة: ضوء البرق الساطع.

زجرتكَ مراتٍ فلما غلبتني ... ولم تنزجرْ نهنهت غربَك بالضربِ
فصرتَ لقىً لما علاك ابنُ حرةٍ ... بأبيضَ قطاعٍ يُنجّي من الكربِ
أذئب الغضا قد صرت للناس ضحكة ... تقاوى بك الركبان شرقاً إلى غرب[1]
فأنت وإن كنتَ الجريء جَنَانه ... مُنِيتَ بضرغامٍ من الأُسُدِ الغُلْبِ
بمن لا ينامُ الليلَ إلا وسيفُه ... رهينةَ أقوامٍ سراعٍ إلى الشَّغبِ
ألا رب يومِ رِيبَ لو كنت شاهداً ... لها لك ذكرىً عند معمعة الحرب
أرى الموتَ لا أنحاشُ عنه تكرماً ... ولو شئت لم أركب على المركب الصعب
ولكن أبت نفسي وكانت أبية ... تقاعسَ أو تنصاعَ يوماً من الرعب[2]

والأبيات تظهر مدى جرأة الشاعر وحماسة وإقدامه، وشموخه الكبير، ومدى جديته، فكان يرمي نفسه في المهالك، ويعرضها لألوان التحديات، دون خوف من الموت أو وجل، كل ذلك حفاظاً على إبائه وعنفوانه، وامتناعه عن الضيم والهوان.

ويرى مالك أن الحياة العزيزة والظلم خطان متوازيان لا يلتقيان، وضدان لا يجتمعان، ولا دفع للفقر والحصول على الغنى إلا بالسيف ومصادرة قوافل التجار وثرواتهم[3]:

سيغنني المليكُ ونصلُ سيفي ... وكراتُ الكُميتِ على التجارِ

اذن. حسبه رب يحميه، وسيف يذود به عن نفسه ويحقق آماله، وفرس مطهمة تحسن الكر والإغارة.

وجدير بالذكر أن ابن الريب كان يقود عصابة تتألف منه ومن غويث بن حنظلة وشظاظ الضبي وأبي حردبة المازني، وكانت هذه العصابة من اخطر وأشد العصابات، حتى لقد أخافت الناس وروعتهم وأصبحت مدار حديث الجميع، وكانت هذه المجموعة تقطع الطريق على الحجيج ببطن فلج، وتنقض على القوافل التجارية بطريق البصرة واليمامة[4].

ولم تسلم جميع غارات مالك من عيون السلطات الأموية، فقد وقع أخيراً في

(1) تقاوى: بات على القوى أي الجوع ـ أو تفادى.
(2) الأغاني ـ 22/ 315. د. عطوان ـ صعاليك العصر الأموي ـ ص165 ـ 166.
(3) الشعر والشعراء ـ 227. الأغاني ـ 22/ 307. د. عطوان ـ صعاليك العصر الإسلامي ـ ص103.
(4) الأغاني 22/ 305.

قبضة رجال الشرطة، وألقوه في سجن مكة، وها يصور ما كان يلقى في ذلك السجن من الأسى وما كان يعانيه من حارسه[1]:

أتلحقُ بالريبِ الرفاقَ ومالكٌ بمكةَ في سجنٍ يغنيه راقبه
فإني سوف يكفينيك عزمي ونصِّي العيس في البلد القفار[2]
ألا من مبلغ مروان عني بأني ليس دهري بالفرارِ
ولا جزعاً من الحدثان دهري ولكني ادورُ لكم وبارِ[3]

ويكرر في أكثر قصيده مساوئ السياسة الأموية والنظام الاقتصادي الجائر الذي أفقر الناس وشتتهم، وخلق حالة الصعلكة التي اضطر إلى ممارستها كثيرون، كما أنه يكشف عن علاقة الامويين المضطربة بالقبائل والتي كانت من أبرز اسباب تصعلكه[4]:

لو كنتم تنكرونَ الغدرَ قلت لكم يا آل مروان جاري منكم الحكم
وأتقيكم يمينُ اللهِ ضاحيةً عند الشهودِ وقد توفي به الذمم
لا كنت أحُدِث سوْاً في إمارتكم ولا الذي فاتَ مني قبلُ ينتقم
نحن الذين إذا خفتم مجلِّلَةً قلتمْ لنا إننا منكمْ لِتعتصموا
حتى إذا انفرجتْ عنكم دُجُنَّتُهَا صرتم كجرمٍ فلا إلٌ ولا رحمُ

والشاعر هنا لا يهاجم بني أمية لغاية ذاتية، أو رغبة في المناكفة والعداء، إنما يجازيهم لتجاوزهم الحدود، وغدرهم وتقلبهم، فهم لا يلجأون إليه وإلى غيره من فتيان بني تميم إلا عندما تدور بهم الدوائر، وعندما ينتصرون على مناوئيهم يقلبون لبني تميم ظهر المجن، ويتنكرون لهم، ومن هنا كانت ثورة مالك عليهم.

ورغم فقر مالك، فإنه كان عزيز النفس، يأنف من الاعمال الوضيعة، والدليل على ذلك ما روي من أن سعيد بن العاص حين تاب على مالك والحقه بجيشه، احتاج وهو بطريقة إلى خراسان إلى بعض اللبن، فطلب صاحب إبله فلم يجده، فقام مالك عليها وحلبها فأحسن حلبها، فقال له سعيد، هل لك أن تقوم بأمرها

---

(1) الأغاني 22/ 305 ـ 310. الشعر والشعراء ـ 227. د. عطوان صعاليك العصر الأموي ـ صـ 123.
(2) نصي: حثي الإبل على السير.
(3) وبار: أرض لم يطأ أحد ثراها ـ الأغاني 22/ 306 ـ 307.
(4) الأغاني ـ 22/ 310. حماسة ابن الشجري ـ 72. د. عطوان ـ الصعاليك في العصر الإسلامي. 79.

وأجزل لك الرزق إلى ما ارزقك من العطاء وأضع عنك الغزو، فرفض وانشأ يقول[1]:

إنـي لأسـتـحـيـي الـفـوارس أن أرى ... بـأرضِ الـعـدا بَـوَّ الـمـخـاضِ الـروائـم[2]

وإنـي لأسـتـحـيـي إذا الـحُـرب شـمَّـرتْ ... أنْ أرْخي وقتَ الحربِ ثوبَ المُسَالـم

ومـا أنـا بـالـنـائـي الـحـفـيـظـة فـي الـوغـى ... ولا الـمـتـقـي فـي الـسـلـم جـرَّ الـجـرائـم[3]

ولا الـمـتـأنـي فـي الـعـواقـبِ لـلـذي ... أهـمُّ بـه مـن فـاتـكـاتِ الـعـزائـم

ولـكـنـنـي مـسـتـوحـدُ الـعـزم مِـقْـدَمُ ... عـلـى غَـمَـراتِ الـحـادثِ الـمـتـفـاقـم

قـلـيـلُ اخـتـلافِ الـرأي فـي الـحـربِ بـاسـلٌ ... جـمـيـعُ الـفـؤاد عـنـد حـلِّ الـعـظـائـم

إذن. لا يريد مالك ان يكون خادماً للنوق في اوان الحرب والنزال، أو مسالماً وادعاً في زمن الحرب، بل يرى في ذلك عاراً عليه وخزياً له، فهو لم يخلق إلا لجلائل الاعمال ولا يكترث للشدائد لأنه صلب الجنان، عالي الهمة ثابت الرأي، يرمي بنفسه في التهلكة، دون تدبر في المصير.

وفي الحقيقة أن مالك بن الريب التميمي خير من نطق بلسان الصعاليك الشعراء الامويين معبراً عن أنفتهم وعزتهم وكبريائهم، وبشكل عام لم يحدثنا التاريخ عن اي صعلوك أموي خامل ذليل مستكين قاعد متكاسل، إلا في ما ندر، ولم يقبل اي منهم الذل والهوان من قبيلته أو من الدولة وولاتها، يقول مالك[4]:

ومـا أنـا كـالـعـيـرِ الـمـقـيـمِ لأهـلـه ... على القيدِ في بحبوحةِ الضيمِ يرتعُ[5]

ولـو لا رسـول الله أن كـان مـنـكـم ... تـبـيَّـنَ مـن بـالـنـصـف يـرضـى ويـقـنـعُ

وتدفع حياة ابن الريب المتنقلة وبرمه مما هو فيه، تدفعه إلى طلاق حياة التلصص، والابتعاد عن سلوك المتصعلكين، وقد أقسم على ذلك، وصمم على الانفصال عن أصدقائه من اللصوص امثال شظاظ الظبي وأبي حردبة المازني وغيرهما، اولئك الذين صرف شطراً من عمره يشاركهم اعمال الصعلكة من السلب والنهبِ وقطع الطرق، وهو بعيد عن وطنه وأهله، ولعل الذي دفعه إلى ترك

---

(1) الأغاني ـ 22/ 314 و315. د. عطوان ـ صعاليك العصر الإسلامي ـ ص88.

(2) البو ابن الناقة. الروائم: العاطفة من رؤوم. المخاض: النوق الحوامل، أو النوق امتلأت سمناً ونتاجاً.

(3) الحفيظة: الغضب والحمية.

(4) الأغاني ـ 22/ 310. د. عطوان ـ المرجع السابق نفسه ـ ص103.

(5) بحبوحة الضيم: وسطه.

الصعلكة، الملل الذي أصابه وشوقه الجارف إلى زوجه، وحنينه إلى العودة إليها، فقد طال زمن اغترابه، وأخذ طيفها يغزوه، ويلح عليه، متذكراً حق الزوجية عليه، وواجبته تجاه عائلته[1]:

عليَّ دماء البُدْن إن لم تفارقي — أبا حردب يوماً وأصحاب حردب
سرت في دجا ليلٍ فأصبح دونَها — مفاوزُ حُمرانِ الشُّرَيفِ فَغُرَّبِ[2]
تطالعُ من وادي الكلاب كأنها — وقد أنجدتْ منه عقيلةُ ربربِ

ويلح عليه في قصيدة أخرى حب العودة كثيراً، ويأسف لما أمضاه من زمن بعيداً عن ديار قومه، ومفارقته صاحبته ليلى، وأكثر ما كان يؤلمه صورة فتيان قومه وفتيانهم وهم يتنزهون في دورهم وحدائقهم، يقطفون الأزهار ويمرحون فوق العشب الجميل، بينما هو بعيد عنهم، مشرد تائه في القفار لا يشاركهم فرحة هذا اللقاء الحميم[3]:

رأيتُ وقد أتى نجران دوني — لليلى بالغَميِّم ضوءَ نارِ[4] ش
وتصطاد القلوب على مطاها — بلا جُعد القرون ولا قصارِ
وتبسِمُ عن نقي اللون عذبٍ — كما شيف الأقاحي بالقُطار[5]
أتجزع أن عرفتَ ببطنِ قوٍّ — وصحراءِ الأُديهم رسم دار
وأن حلَّ الخليط ولست فيهم — مرابعُ بين دخلَ إلى سَرارِ
إذا حلوا بعائجةٍ خلاءٍ — تقطِّفُ نَوْرَ حَنْوَتِها العذاري[6]

أما تلك الأماكن التي كان يرتادها، والتي كان يناجي منها صاحبته وأهله، فهي أكثر المناطق بعداً، وأشدها غموضاً، لذلك لم يكن هو وأصحابه ليستقروا في مكان دائم، إنما كانوا يتنقلون بغية الحصول على مصادر الحياة، كالماء والكلأ، ولا يأمنون إلا في الأماكن المقفرة، لأن ذلك أكثر أماناً، كما جاء في قول مالك[7]:

---

(1) معجم البلدان 2/ 301 ـ 302. د. عطوان ـ الصعاليك في العصر الأموي ـ ص132 و133.
(2) حمران: موضع بالرقة.
(3) الأغاني 22 / 308 و309.
(4) الغميم: ماء لبني سعد. القرون: صقائر الشعر. على مطاها: على صلابتها.
(5) شيف: زُيِّن.
(6) الحَنْوَة: نبت طيب الرائحة.
(7) الأغاني ـ 22/ 311 و312. د. عطوان ـ الشعراء الصعاليك في العصر الأموي ـ ص139 ـ 140.

أدلجتُ في مهمةٍ ما إن رأى احداً ... حتى إذا حانَ تعريسٌ لمن نزلا[1]
وضعتُ جنبي وقلتُ اللهُ يكلؤني ... مهما تَنَمْ عنكِ من عينٍ فما غفلا
والسيفُ بيني وبين الثوبِ مَشْعَرُهُ ... أخشى الحوادثَ إني لم اكنْ وكِلا[2]
ما نِمتُ إلا قليلاً نمتُهُ شزراً ... حتى وجدتُ على جثمانيَ الثقلا[3]

وخلاصة هذه الأبيات أن الشاعر كان يخوض القفار النائية المحرمة على الناس، ولا يجرؤ على المرور بها الركبان، وكان يمضي ليله وهو يتوغل عميقاً حتى يصل إلى مكان آمن لا يمكن أن يراه فيه أحد، وعندما يطمئن إلى ذلك، يلوذ إلى النوم، مسلماً أمره إلى الله، دون أن يدع نفسه يغط في نوم عميق مخافة المحذور.

ويدور القسم الثاني من شعره على أمور التوبة، ونسيان الماضي، وتنكب طريق الاستقامة والصلاح، وتكشف أبياته عن إيمان عميق، وتسليم بقدره الله ووحدانيته، وتدين عميق، وحرص على نشر تعاليم الدين وقيمه، كتعويض عن الماضي الضائع، وبدء صفحة جديدة خضراء، تنم عن استعداد لمحاربة، اعداء الله، ولعل قصيدته البائية خير معبر عن معظم هذه القيم التي أشرنا إليها، ومناسبة هذه القصيدة جاء عندما تعلقت ابنته بثوبه وانحبت حزناً على فراقه، وخوفاً من أن يطول سفره أو يقف الموت حائلاً بينه وبينها، بعد أن رأته يستعد للخروج مع سعيد بن عثمان إلى خراسان مع جيوش الفتح الإسلامي[4]:

ولقد قلت لا بنتي وهي تبكي ... بدخيلِ الهموم قلباً كئيبا
وهي تذري من الدموع على الخد ... ين من لوعةِ الفراق غروبا[5]
عبراتٍ يكدنَ يجرحْنَ ما جُزْ ... نَ به أو يدعْنَ فيه نُدوبا[6]
حذر الحتفِ أن يُصيب أباها ... ويُلاقي في غير أهلٍ شعوبا[7]
أُسكتي قد حَزَّزتِ بالدمع قلبي ... طالما حَزَّ دمعكُنَّ القلوبا

---

(1) الادلاج: السير ق الليل. التعريس: النزول بآخر الليل. التعريس: النزول بآخر الليل.
(2) مشعره: موضعه ومكانه.
(3) شنزاً: قلقاً. الثقلا: أفلح العبد اللص الذي قتله.
(4) الأغاني 22/ 317. د. عطوان ـ صعاليك العصر الأموي ـ ص166 و167.
(5) الغروب: الدموع الغزيرة.
(6) الندوب: الجروح.
(7) شعوب: المنية.

فعسى الله أن يُدافِعُ عني  رَيْبَ ما تحذرينَ حتى أؤوبا
ليس شيئاً يشاؤه ذو المعالي  بعزيزٍ عليه فادعي المجيبا
ودعي أن تُقَطِّعِي اليوم قلبي  أو تُريني في رحلتي تعذيبا
أنا في قبضةِ الإله إذا كنـ  ـتُ بعيداً أو كنتُ منك قريبا
كم رأينا امرأً أتى من بعيدٍ  ومقيماً على الفراشِ أُصيبا
فدعيني من انتحابك إني  لا أبالي إذا اعتزمْتُ النحيبا
حسبي اللهُ قد قَرّبتُ للسيرِ  علاة أنجِبْ بها مركوبا

وفرق شاسع بين مالك الصعلوك المتشرد ومالك المؤمن الصالح الحريص على الاستشهاد والواعي إليه، حتى أنه أخذ يزجر ابنته رغم محبته الشديدة لها، يزجرها لتكف عن البكاء، فهي تريده أن يقعد عن الجهاد ويتخلف عن المشاركة في الفتوحات الإسلامية ضناً به وحرصاً عليه، إذ تتجلى العاطفة البنوية بأعلى مظاهرها هنا، والعاطفة الأبوية التي تحدها الواجبات الدينية، وتخفف من وطاتها، حرصاً على المصلحة العامة،كان يطمئنها ويهدئ من لوعتها مؤكداً انه لن يصيبه إلا ما كتب الله له، ﴿لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا﴾ مؤمناً بعمق أن ما يقوم به يتعدى المصالح الآنية والعواطف الشخصية، إلى مصير الأمة ووجودها بالذات، فإن جاهد وعاد، يكون قد أدى قسطه للعلى، وإن استشهد يكون أدى الامانة والواجب، وأدى ما عليه.

وتتجلى صحوة مالك، وعقيدته المتوبثة الملتهبة، عندما شعر أن سعيد بن عثمان قائد الحملة في خراسان، دب فيه الهون، وشعر منه بعض التواني عن مواجهة الصغد في سمرقند، وآثر السلامة والقعود على النضال، والصلح على متابعة المعركة، والظاهر أن سعيداً لم يستجب لطلب مالك، مما أغضب مالك فهاجمه وندَّد به، واتهمه بالتقصير، وضعف العقيدة، حتى لقد نفاه عن والده، وجرده من كل مكرمة:

مازلت يوم الصغد تُرْعِد واقفاً  من الجُبْن حتى خِفتَ أن تتنصَّرا
وما كان في عثمان شيءٌ علمته  سوى نسلهِ في رهطهِ حين أدبرا

وهكذا، مضى الشاعر يراشق سعيد بن عثمان ويلومه على التفكير بالانسحاب من المعركة، ولعل هذا الموقف كان دافعه إثارة النخوة في قلب سعيد، عله يعود إلى سالف عهده، ويتغلب على الصغد ويفتتح سمرقند، ثم يثير نخوته ويذكره بأيام

انتصاراته الباهرة، يوم النهر ويوم طاسى، عندما استبسل هو مع سائر المجاهدين وأثمروا نصراً سحق الأعداء سحقاً[1]:

يا قلَّ خيرُ أميرٍ كنتُ أتبعه ... أليس يرهبني أم ليس يرجوني

أم ليس يرجو إذا ما الخيل شمَّصها ... وقعُ الأسنة عَطْفِي حين يدعوني[2]

لا تحسبَنَّا نسينا من تقادُمِه ... يوماً بطَاسَى ويوم النهر ذا الطينِ[3]

وأفلحت مناشدة مالك، واثمر تحريضه، فخرج سعيد إلى الصغد وقاتلهم وانتصر عليهم وفتح مدينتهم.

وخلال رحلة المعارك الطاحنة تذكره المشاهد التي رآها بمشاهد وطنه، فقد حنَّ إلى الأهل وتاق إلى معشوقته البصرة، وأخذ يتغنى معبراً عن شوقه إليهم، وحنينه الجارف إلى ملاعب الهوى، معبراً عن أثر الوحشة وهو بعيد عنهم حيث يقول[4]:

تذكرني قباب الترك أهلي ... ومبداهم إذا نزلوا سناما

وصوت حمامةٍ بجبال كِسٍّ ... دعت مع مطلع الشمس الحماما

فبِتُّ لصوتها أرِقاً وباتت ... بمنطقها تراجعني الكلاما

وما إن يرحل الصيف عن تلك البلاد النائية، ويطل الشتاء ببرده القارس، وثلجه الذي كان يغطي قمم الجبال بالترمذ، حتى يستبد الشوق بمالك، فهو لا يقوى على احتمال الصقيع، إذن لا بد من العودة، فقد أدى ما عليه من واجب الجهاد، ويلح على سعيد بن عثمان لتحقيق هذا الأمر، فالثلج عدو لا يقهر، والنصر على الأعداء قد تحقق، ومن الخير أن يعودوا وفيهم بقية من جلد وقوة، حيث يقول[5]:

هبت شمالٌ خريقٌ أسقطتْ ورقا ... واصْفَرَّ بالقاع بعد الخضرة الشيحُ

فارحل هديت ولا تجعل غنيمتنا ... ثلجاً تصفِّقُه بالترمذ الريحُ[6]

---

(1) معجم البلدان ـ 4/4. د. عطوان ـ صعاليك العصر الأموي ـ ص167 ـ 168.

(2) العطف: الكر والإقدام.

(3) طاسي: موضع بخراسان كان لمالك بن الريب فيه وفي يوم النهر بلاء حسن.

(4) معجم البلدان ـ 3/ 260. د. عطوان ـ صعاليك العصر الأموي ـ ص168.

(5) فتوح البلدن ـ 402. د. عطوان صعاليك العصر الأموي ـ ص168 و169.

(6) تصفقه: تكثفه وتزيده.

إن الـشـتـاء عـدو مـا نـقـاتـلـهُ فـاقـفـلْ هُـديـت وثـوبُ الـرِّق مـطـروحُ

وسبق أن ذكرنا أن معاوية بن أبي سفيان عزل سعيد بن عثمان عن خراسان، بعد أن خاف من شعبيته التي نمت إثر نجاح فتوحاته العسكرية واستيلائه على بخارى وسمرقند، وعاد سعيد إثر هذا القرار، ومعه مالك وقيل عاد مالك منفرداً، وفي الطريق اعتل ومرض مرضاً شديداً أودى بحياته، فرثى نفسه وهو في اعتلاله، رثاءً يفيض أسىً ولوعةً، وحنيناً وتوقاً إلى الوطن والأهل والأولاد، رثاء من ابلغ وأروع ما قيل في هذا الباب، ويبدو أنه أحس بدنو الأجل، فأكد على توبته واستقامته، راجياً من الله أن يغفر له ويدخله جنات الخلود جزاء جهاده ونضاله في سبيل الله والوطن، وإن كان قد حقق ما كان يامله من نصر في ميدان الحرب، إلا أنه لم يظفر بعودة سالمة إلى وطنه، فمات وفي قلبه حسرة لاهبة، والقصيدة التي رثى فيها نفسه طويلة يقول إنها ثمانية وخمسون بيتاً، غير ان بعض الروايات تحصرها في ثلاثة عشر بيتاً، ومما جاء فيها[1]:

لَعَمْرِي لئن غالتْ خراسانُ هامتي لقد كنتُ عن بَابيْ خراسان نائيا
ألا ليت شعري هل أبيتنَّ ليلةً بجنب الغَضَا أزُجي القلاص النواجيا
فليتَ الغضا لم يقطع الركبُ عرضَهُ وليت الغضا ماشى الركاب لياليا
ألم ترني بعتُ الضلالة بالهدى وأصبحت في جيش ابن عفان غازيا

ويبدو ان هذه القصيدة قالها في اماكن متعددة، خلال رحلة العودة التي كان يمر فيها ببعض الأماكن فيستريح وتهيج مشاعره ويتابع كتابة القصيدة، بمعنى أن هذه القصيدة كما يبدو كتبها في مواضع متعددة. ولئن كانت الأبيات الأربعة السابقة تحمل طاقة من الحنين والشوق والألم النفسي، فإن أبياتاً أخرى من القصيدة نفسها قالها في منطقة بولان على درجة عالية من المرارة والشوق، يذكر فيها زوجته وأمه وابنتيه وخالته، وجارية معهن، ونسوة أخر يعرفهن، ويخيل أنهن لو رأينه على ما هو عليه لبكينه من الأعماق وفدين انفسهن بطبيب يداويه ويخلصه مما هو فيه[2]:

إذا عُصب الرُّكبانُ بين عُنيزةٍ وبَوْلانَ عاجوا المُنْقِباتِ النواحيا
ألا ليت شعري هل بكت أمُّ مالك كما كنتُ لو عالوا نعيَّك باكيا
إذا مت فاعتادي القبور وسلمي على الرسم أُسقيتِ الغمام الغواديا

---

(1) معجم البلدان ـ 2/ 353. د. عطوان ـ صعاليك العصر الأموي. ـ ص169.

(2) معجم البلدان 1/ 511.

أُقَلِّبُ طرفي حولَ رحلي فلا أرى ... به من عيونِ المؤنساتِ مراعيا
وبالرملِ منا نسوةٌ لو شهدْنَني ... بكيْنَ وفدَّين الطبيبَ المداويا
فمنهنَّ أمي وابنتاها وخالتي ... وجاريةٌ أخرى تَهيجُ البواكيا
فما كان عهدُ الرمل عندي وأهلُه ... ذميماً ولا وَدعتُ بالرمل قاليا

ويتابع ذكرياته السالفة لأماكن فتوته وشبابه ومراتع أهله في رحا المثل، يوم كانوا يرعون البقر في أفق عابق بشذى الخزامى والأقاصي، ويوم كانت العيس تدرج في تلك الأمكنة العالية[1]:

فيا ليت شعري هل تغيرت الرَّحَا ... رَحَا المثلِ أو أمست بِفلجٍ كما هيا
إذا القومُ حلوها جميعاً وأنزلوا ... بها بقراً صُمَّ العيون سواجيا
رَعَيْنَ وقد كان الظلام يَجُنُّها ... يَسُفْنَ الخزامى غَضَّه والأقاحيا
وهل تركَ العيسُ المراسيلُ بالضحى ... ثعاليها تعلو المتانَ القواقيا

ويبلغى به الأسى والحزن حداً بعيداً عندما يمر على بئر الشُّبينك، حيث الوحش والبيض الحسان، هناك خلَّفه رفيقاه بمكان بعيدٍ قفرٍ تسفي عليه الريح، هناك تكاد أوصاله تتقطع وتبلى عظامه، وكانه ينعى نفسه ويستعد لمواجهة الاقدار بقلق وخوف، عندما شعر أنه خلا من كل شيء[2]:

وَقُومَا على بئر الشُّبَيْكِ فأسمِعَا ... بها الوحشَ والبيضَ الحسانَ الرَّوانيا
بأنكما خلفتماني بقفرةٍ ... تهيلُ عليَّ الريحُ فيها السوافيا
ولا تنسيا عهدي خليلي إنني ... تُقَطَّعُ أوصالي وتَبْلَى عظاميا
ولن يَعْدَم الوالون بيتاً يجنُّني ... ولن يعدمَ الميراثَ بعدي المواليا
يقولون لا تَبْعَدْ وهم يدفنونني ... وأينَ مكانُ البعدِ إلا مكانيا
غداةَ غدٍ، يا لهفَ نفسي على غدٍ! ... إذا أدلجوا عني وخُلِّفْتُ ثانيا
وأصبحتُ لا أنضو قَلوصاً بأنْسُعٍ ... ولا أنتمي في غورِها بالمثانيا
وأصبح مالي من طريفٍ وتالدٍ ... لِغَيْري، وكان المَالُ بالإمسِ ماليا

وعند مرو الشا هِجان، وهي من قرى أقليم مرو في ايران، اشتدت العلة على مالك، وطفق يرثي نفسه بحرارة، في أبيات مشبعة بالألم النفسي والحسرة والاستسلام، كان على السلطات أن تكرم هذا الرجل، الذي أسهم في النصر

---

(1) المرجع السابق ـ 3/ 32.
(2) معجم البلدان ـ 3/ 324.

المبين مع سعيد بن عثمان، وكان له الدور الأبرز في وصول المعارك إلى نهايتها السعيدة بالاستيلاء على سمرقند وبخاري، لم نكن ننتظر أن يقضي هذا القائد الشجاع مشرداً على الطريق بين إيران والعراق، ويموت بعيداً عن وطنه وأهله، وكم كان يمني النفس بالعودة الظافرة إليهم لينعم عينيه بمرابع فتوته وشبابه[1]:

ولما تراءت عند مروٍ منيتي ... وحلَّ بها سقمي وحانتْ وفاتيا
أقول لأصحابي: ارفعوني فإنني ... يقَرُّ بعيني إنْ سهيلٌ بدا ليا
فيا صاحبيْ رحلي دنا الموت فانزلا ... برابية إني مقيم لياليا
أقيما عليَّ اليوم أو بعض ليلةٍ ... ولا تعجلاني قد تبيَّن شانيا
وقومَا إذا ما استُلَّ روحي فهيئا ... لي السدرَ والاكفان ثم ابكيانيا
وخُطَّا بأطرافِ الأسنةِ مضجعي ... ورُدَّا على عينيَّ فضلَ ردائيا
ولا تحسداني باركَ اللهُ فيكما ... من الأرضِ ذاتِ العرضِ أن توسعا ليا
خُذاني فجرَّاني ببُرْدي إليكما ... فقد كنتُ قبل اليوم صعباً قياديا
وقد كنتُ عطَّافاً إذا الخيلُ أجحمتْ ... سريعاً لدى الهيجا إلى من دعانيا
وقد كنتُ محموداً لدى الزادِ والقِرى ... وعن شتم ابنِ العم والجارِ وانِيا
وقد كنتُ صباراً على القِرن في الوغى ... ثقيلاً على الأعداء عضباً لسانيا
وطوراً تراني في رحى مستديرة ... تخرَّق أطراف الرماح ثيابيا

ويبدو مالك في هذه الأبيات واضحاً في حديثه لأصحابه ووصاياه لهم، في كيفية الاهتمام به بعد موته، من خلال تكفينه ودفنه، ثم يَسرد شريطاً من سيرة حياته المفعمة بالمناقبية والاخلاق الحميدة والمزايا الخالدة، فهو يذكر شجاعته في الحروب، وسخاءه وكرمه، وحميته وحرصه على الجار وأولاد العمومة والأقارب، صعباً على الأعداء، شهماً في مواجهة الأمور، وتلك لعمري بعض مزايا الصعاليك، وقيمهم الانسانية.

---

(1) معجم البلدان: ج5 / 115.

# مسعود بن خرشة التميمي

مسعود بن خرشة أحد بني حُرقوص بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم. شاعر اسلامي بدوي من لصوص بني تميم. هكذا قدمه أبو الفرج في الأغاني.

وهو أحد الشعراء الخلعاء الفقراء اللصوص في العصر الأموي، مارس الاغاره والنهب على القوافل والتجار، وكان كما يذكر الاغاني فاسد الخلق سيء السيرة، فخلعه قومه وتبرأوا منه، فهجر ديارهم، وامتهن الصعلكة وسيلة للكسب والرزق[1].

وصادف يوماً أن سرق مسعود وهو ورفاق له إبلاً لرجل من مالك بن سفيان، وساقوها إلى اسواق اليمامة ليبيعوها، فكشف أمرهم، واعترضهم واليها، وكان من بني أسد، لكنه عُزل وولي مكانه رجل من بني عقيل، فسعى مسعود إليه ومدحه بقصيدة رجاه فيها أن يتغافل عنه ويسمح له ببيع ما سرق من الأبل[2]:

يقول المرجفون أجاء عهدٌ ... كفى عهداً بتفيذِ القِلاص

أتى عهدُ الإمارة من عقيلٍ ... أغرُّ الوجه رُكِّبَ في النواصي

حصونُ بني عُقيل كلُّ عَضبٍ ... إذا فزعوا وسابغةٍ دلاصِ[3]

وما الجاراتُ عند المَحْلِ فيهمْ ... ولو كثر الدَّوارجُ بالخِماصِ[4]

الروازح[5]

وفي محطة أخرى من حياة مسعود نلمح فيها خوفه، ووحشته في البلد المقفر

(1) الأغاني ـ 21/ 273. د. عطوان الصعاليك في العصر الإسلامي ص60.
(2) الأغاني ـ 21/ 274. د. عطوان ـ الصعاليك في العصر الإسلامي ص141.
(3) العضب: السيف القاطع. سابغة الدلاص: الدرع التي تغطي معظم الجسم.
(4) الدوارج: الرباح. الخماص: النساء الهزيلات.
(5) الروازح: جمع الرازحة أو الرازح لما لا يقعل، وهو الذي يهلك هزالاً.

والمكان المظلم الذي يتنقل فيه، بحيث أنه لا يشعر فيه بالأمان ولا يحسُّ بالانس والبهجة، فلا إنسان فيه ولا جليس يسليه، ولا أثر للحجر والعمران، إنما هو ميادين لكُنُسِ الظباء وأصوات القطا وهي تلوذ بالماء لتشرب منه[1]:

ألا ليت شعري هل أبيتنَّ ليلةً بِوعثاء فيها للظباء مكانِسُ
وهل أسمعنْ صوتَ القطا تندبُ القطا إلى الماء منه رابعٌ وخوامسُ
وهل أنجونْ من ذي لبيد بن جابر كأنَّ بنات الماء فيه المجالس

وكان مسعود قد طلبه والي اليمامة، فلجأ إلى هذا الموضع المكتظ بالماء والقصب، وقال هذه الأبيات.

ويورد له الاصفهاني في الاغاني أبياتاً قالها عندما كان يهوى جارية من قومه من بني مازن يقال لها جُمل بنت شراحيل، اخت تمام بن شراحيل المازني الشاعر، فانتجع ونأوا عن بلادهم، فتأثر مسعود لذلك قال[2]:

كلانا يرى الجوزاء يا جمل إذ بدت ونجم الثريا والمزار بعيد
فكيف بكم يا جمل أهلاً ودونكم بحور يُغمصنَّ السفين وبيد
إذا قلت قد حان القفول يصدنا سليمان عن أهوائنا وسعيد

إنه يشعر بألم الفراق ومرارة البعاد، دون أن يجد لذلك حلاً، ودون أن تحقق أحلام مسعود بالزواج منها، بل على العكس، فقد خطبها رجل من قومها، وبلغ مسعود هذا الخبر فقال[3]:

أيا جمل لا تشقيْ بأقعس حَنْكلٍ قليل الندى يسعى بكيرٍ ومحلب[4]
له أعنزٌ حوٌ ثمان كأنما يراهن غرَّ الخيل أو هُنَّ أنجبُ

ومسعود هنا يتناول غريمه في الهوى بالقدح والذم والهجاء.

---

(1) الأغاني 21/ 274. د. عطوان صعاليك العصر الإسلامي ص152.

(2) الأغاني ـ 21/ 273.

(3) الأغاني 21/ 274.

(4) الأقعس هنا من رخج صدره ودخل ظهره خلقه. الحنكل: القصير. والحنكل أيضاً اللئيم.

# مقاتل بن رباح

من الشعراء الصعاليك اللصوص في العصر الأموي، اشتهر بشن الغارات خاصة على بني تغلب، بأرض الجزيرة، امتهن الصعلكة والاغارة والنهب، وها هو ينصح من يود ان يسير بسيره، ويحذو حذوه في طريقته، أن يسلك بالإبل التي يسرقها منهم الطريق الواقع إلى الغرب من منازلهم، ويبعد بها حتى يصل إلى أرض هجر، حيث الاسواق الكثيرة، التي يتمكن من بيع مسروقاته فيها، وينصحه أيضاً بأن يغير اسمه وينتسب إلى غير قبيلته لكي لا يعرف أنه من اللصوص[1]:

إذا أخــذتَ إبــلاً مــن تــغــلــبِ فــلا تُــشَــرِّقْ بــي ولــكــنْ غــرِّبِ
وبِع بـقـرحَـى أو بـخـوض الـشـعـلـب وإن نُـسِـبـتَ فـانـتـسـب ثـم اكـذب
ولا ألـــوَمـــنَّـــكَ فـــي الـــتـــنـــقُّـــبِ

(1) معجم البلدان 4/ 321. د. عطوان ـ الشعراء الصعاليك في العصر الإسلامي ـ ص112.

# الهيزدان بن خطار

الهيزدان بن خطار بن حفص بن مجدعبن وابش بن عمير بن عبد شمس بن سعد.

من الشعراء الصعاليك اللصوص في العصر الأموي، وأحد الذين ألفوا طائفة الصعاليك الفارين من السلطات الأموية، كان لصاً، فطلبه السلطان وبث العيون للإمساك به إلا أنه فر إلى خراسان ملتجئاً إلى المهلب بن أبي صفرة، ويقول في هذا الأمر[1]:

| | |
|---|---|
| ومـــا لـــلـــهـــيـــزدان ولا عـــلـــيَّ | لـفـتـق الـسـيـف إذ رهـقـا نـصـيـر |
| سـوى شـريـانـةٍ خـطـمـتْ بـكـل | لـهـا فـي كـف نـازعـهـا خـطـيـر |
| إذا طـــرحـــت وراء الـــقـــوم ســـهـــم | مـضـى صـرداً واتـبـعـه الـبـصـيـرُ |

والصرد هنا، الذي يخرج من الرمية وينفذ إلى الجانب الآخر.

وكان للهيزدان صاحب له لص صعلوك مثله، وحدث أن نفرت ناقة الهيزدان عندما كانا معاً عند باب المهلب فقال:

| | |
|---|---|
| لـــحـــاكِ الله يـــا شـــرَّ الـــمـــطـــايـــا | أمـــن بـــاب الـــمـــهـــلـــب تـــنـــفـــريـــنـــا |
| فـــلـــولا أنـــنـــي رجـــلٌ طـــريـــدٌ | لـــكـــنـــتِ عـــلـــى ثـــلاث تـــعـــتـــبـــيـــنـــا |

(1) معجم الشعراء للمزرباني ص487 و477. د. عطوان الصعاليك في العصر الأسلامي ـ ص62 و63.

# يعّلى الأحول اليزدي اليشكري[1]

## ... ـ 90 هـ ـ ... ـ 710 م

يعّلى الأحول بن مسلم بن أبي قيس، أحد بني يشكر بن عمرو بن رالان، بن عمران بن كهف الظلام بن ثعلبة بن عمرو بن عامر.

أحد الشعراء الصعاليك اللصوص في العصر الأموي، طاف في القفار والفيافي غازياً مهاجماً، وقد كمن في الطرق للقوافل، حتى طلبته السلطة الأموية فقبض عليه وأودع السجن في مكة، وقال وهو في سجنه متذكراً متشوقاً، حاناً إلى البيت العتيق[2]:

أرقت لبرقٍ دونه شدوانِ ... يمانٍ وأهوى البرق كلَّ يمانِ[3]

إذا قلتُ شِيماه: يقولان والهوى ... يصادفُ منا بعضَ ما يريان

فَبِتُّ أرى البيتَ العتيقَ أشيمه ... ومطوايَ من شوقٍ له أرقانِ

جرى منه أطراف الثرى فمشيَّع ... فأبيان فالحيان من دمران

هنالك لو طوفتما لوجدتما ... صديقاً من أخوان بها وغوانِ

وعزفُ الحمام الورقَ في ظل أيكةٍ ... وبالحي ذي الرَّوْدين عزف قيان

فليتَ القِلَاص الأُدم قد وخدتْ بنا ... بوادٍ يمانٍ ذي رُباً ومجاني

بوادٍ يمانٍ ينبتُ السِّدر صدرُه ... وأسفلُه بالمرخ والشَّبهان

وليت لنا بالجوز واللوز غيلةٌ ... جَناها لنا من بطن حليَة جاني

وليت لنا بالديك مُكَّاءَ روضةٍ ... على فَننٍ من بطن حليةَ داني

---

(1) الأغاني 22/ 142 ـ 144.

(2) معجم البلدان 3/ 329. د. عطوان ـ الشعراء الصعاليك في العصر الأموي ـ ص127.

(3) الشدوان: جبلان باليمن أحمران وقيل بتهامة ـ وقيل إنه جبل واحد.

وليت لنا من ماء حزنة شربة ... مبردة باتت على طهمان

هنا يفيض يعّلى الأحول الأزدي حباً وشوقاً بموطنه وهو رهين في أحد سجون مكة المكرمة، ثم يعدد مواضع وطنه، وربوعه، ويتشوق إلى طبيعته الخلابة الموحية، وما يتخلل سماءها من بروق وغيوم، وما يصدح على أشجارها من طيور وما يجري في أنحائها من أنهار وغدران وما يعيش في كنفاتها من حيوان وما ينبت من اشجار متنوعة، تلك هي المظاهر التي يتوق إليها يعّلى ويفضل العيش فيها على العيش في مكة المكرمة، وهو لا ينسى في لحظات تأمله أهله وصحابه، فيبثُهم لواعج حنينه، ويتذكر مجالس سمرهم ولهوهم حيث كان وكانوا. ويذكر الدكتور حسين عطوان في كتابه (الشعراء الصعاليك في العصر الأموي) ص 123 و124، بيتين ليعلى الأحول، يعبر فيهما عن معاناته، وعن شدة العقاب الذي كانوا يسومونه إياه في محبس المخيس، وعما كان يحس به من ضيق في السجن، وتلوح له عبرها ذكرياته السالفة عندما كان حراً في قمة السعادة يلعب على ماء سجا، وعندما كان يتجول في الصحراء القاحلة غير عابئ بأهوالها ومتاعبها، خبير بطرقاتها ومجاهلها، لكثرة تردده عليها[1]:

إلى الله أشكو محبسي في مخيس ... وقربِ سجا يا رب حين أقيلُ[2]

وإني إذا ما الليل أرخى ستوره ... بمنعَرج الخلِّ الخفي دليل

وهكذا فقد كان يعلى لصاً فاتكاً خارباً يجمع صعاليك الازد وخلعاءها، ويغير بهم على أحياء العرب، ويقطع الطريق على السابلة، فشُكي إلى نافع بن علقمة والكناني والي مكة، فأخذ به عشيرته الأدنين، فلم ينفعه ذلك، وإجتمع إليه شيوخ الحي وعرفوه أنه خليع قد تبرأوا من جرائره إلى العرب، فلم يقبل ذلك منهم وألزمهم إحضاره، وضم إليهم شرطاً يطلبونه إذا طرق الحي حتى يجيئوا به فلما اشتد عليهم في أمره، طلبوه حتى وجدوه، فأتوا به، فقيده وأودعه السجن[3].

---

(1) ذكر د. عطوان في كتابه الشعراء الصعاليك في العصر الأموي أن هذين البيتين هما ليعلى الأحول وأشار إلى مصدرهما عنده وهو معجم البلدان ج5 / 36، وبعد التدقيق وجدنا أن هذين البيتين هما لشاعر آخر هو غيلان بن الربيع وقد ذكرهما ياقوت في الجزء الثالث صفحة 149.

(2) سجا: اسم بئر ـ أو ماء لبني الأضبط بن كلاب.

(3) الشعر والشعراء ص787. الأغاني ـ طبعة الساسي ـ 19/ 111. د. عطوان صعاليك العصر الإسلامي ص61.

## الباب الرابع

# الشعراء المخضرمون
# المرحلة الأموية ـ العباسية

جعفر بن علية الحارثي

الأحيمر السعدي

# جعفر بن علبة الحارثي[1]

## ... ـ 145 هـ ـ... ـ 762 م

جعفر بن علبة بن ربيعة بن عبد يغوث الشاعر أمير يوم الكلاب، وهو ابن معاوية ابن صلادة بن كعبٍ بن الحارث بن كعب، ويكنى أبا عارم. من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، شاعر مقل غزل فارس ومذكور في قومه، وكان أبوه علبة بن ربيعة شاعراً أيضاً، وقد مال إلى الصعلكة والاغارة والتلصص، يذكر انه شرب حتى سكِر فأخذه السلطان فحبسه، فقال في حبسه[2]:

| | |
|---|---|
| لقد زعموا أني سكرت وربما | يكون الفتى سكران وهو حليم |
| لعمرك ما بالسكر عار على الفتى | ولكنَّ عاراً أن يُقال لئيم |
| وانَّ فتى دامت مواثيق عهده | على دونِ ما لاقيتهُ لكريم |

والحوا عليه بالسجن نتيجة تصعلكه وفتكه، فحبس مع رجل من قومه من بني الحارث في ذلك الحبس، وكان يقال له دوران، وهو يتحدث عن ألم السجن وأغلاله وشدتها عليه، خاصة عندما يعاني من ظلم حراس أشداء، وعلج شديد غليظ، لا يرحم ولا يشفق، وهو لا يرى خلاصاً أو حيلة في النفاد مما هو فيه، وكيف يصبر ذو الشجاعة على الذل، لظالمين ثلاثة مأمور السجن والعلج والوالي:

| | |
|---|---|
| وأظلمَ ليلٌ قام علجٌ بجلجل | يدور به حتى الصباح بأعمال |
| وحراسُ سوء ما ينامون حوله | فكيف لمظلوم بحيلة محتال |
| ويصبر فيه ذو الشجاعة والندى | على الذل للمأمور والعلج والوالي |

فجعفر بن علبة الحارثي اذن. استمر يغير ويقطع الطرق، وكان شاعراً فارساً

(1) الأغاني 13/ 44 ـ 55.

(2) الأغاني 13/ 44.

مذكوراً في قومه وعشيرته، وكان بين سلوكه وسيرة حياته وبين ما عرف عن رفاقه من الصعاليك القدامى شبه كبير، ومن المعروف أن ابن علبة تربى في البادية، ونشأ في العصر الأموي إذ قضى فيه معظم حياته، وأقام مع قومه في نجد، وقد جعلته هذه الظروف التي ذكرناها قريباً من الشعراء الصعاليك الجاهليين، وهو لذلك يعيد إلينا صوره الصعاليك الخلعاء الشذاذ الذي كانوا ينفون من قبائلهم فيتيهون في أعماق الصحراء، كما أنه كان يماثل الصعاليك الجاهليين والأمويين في طرق التصعلك، كالاغارة والغزو والنهب وقطع الطرق وما إلى ذلك، وكانت له عصابة تشاركه في إغاراته وغزواته وتنقلاته، وقد حفظ لنا التاريخ آخر مغامرة له تسببت في هلاكه، بل في قتله على يد والي مكة، فقد أغار على بني عقيل مع أصحابه منهم، علي بن جندب الحارثي، والنضر بن مضارب المعادي، وعندما شعر العقيليون بهم، شدوا في طلبهم، وافترقوا عليهم في الطريق، ووضعوا عليهم الأرصاد في المضائق، فكانوا كلما أفلتوا من عصبة لقيتهم أخرى، حتى انتهوا إلى بلاد نهد، فرجع عنهم بنو عقيل، وقد قتل منهم كثيرون، ولجعفر الحارثي في ذلك قصيدة يصور فيها إغاراته الفاشلة وملاحقة العقيليين له ولرفيقيه، ونجاتهم منهم[1]:

وسائلة عنّا بغيبٍ وسائلٍ ... بمَصْدَقنا في الحربِ كيف نحاولُ[2]

عشيةَ قُرَّى سَحْبَلٍ إذ تعطَّفَتْ ... علينا السرايا والعدوُ المبَاسِلُ[3]

إذا ما رصدنا مرصداً فَرَّجتْ لنا ... بأيماننا بيضٌ جَلَتْهَا الصياقِلُ[4]

ولما أبوا إلا المضَي وقد رأوا ... بأنْ ليسَ منا خشيةَ الموتِ ناكِلُ[5]

حلفتُ يميناً بَرَّة لم أُرِدْ بها ... مقالَة تَسْميع ولا قولَ باطلِ[6]

وقالوا لنا ثِنتانِ لا بُدَّ منهما ... صدورُ رماحٍ أُشرعتْ أو سلاسلُ

(1) الأغاني ـ 13/ 45 ـ 47 معجم البلدان. د. عطوان الشعراء الصعاليك في العصر العباسي الأول ـ ص70 ـ 71.

(2) المَصْدق: الجد والصلابة، ورجل ذو مصدق، إذا كان صادق الحملة، وتقال للشجاع.

(3) قرى وسحبل: موضعان في ديار بني الحارث بن كعب، تعطّف: كرَّ ـ السرايا: جمع سرية، وهي الطائفة من الجيش ـ الباسل: الشجاع كثيرا.

(4) البيض: السيوف. جلا السيف: شحذه وصقله. الصياقل: جمع صيقل، هو شحاذ السيوف وجَلاَّؤها.

(5) الناكل: الجبان.

(6) التسميع: التشهير والتشنيع، وهذا البيت فيه إقواء (الخامس).

فقلنا لهم تلكُمْ إذاً بَعْدَ كَرَّةٍ ... تُغادرُ صرعى نَهْضُهَا متخاذلُ
وقتلى نفوس في الحياةِ زهيدةٍ ... إذا اشتجرَ الخطيُ والموتُ نازلُ
تراجعهمْ في قالةٍ بدأوا بها ... كما راجعُ الخصمَ البذيُّ المناقلُ[1]
لهم صدرُ سيفي يومَ بطحاءَ سَحْبَلٍ ... ولي منه ماضُمَّتْ عليه الأناملُ

والمتتبع لأبيات القصيدة، لا يشك في أنها قريبة السنحة والملامح من الشعر الصعلوكي الجاهلي، ليس في الأسلوب فقط، وإنما في اختيار الألفاظ واستعمال التراكيب، فالشاعر يتحدث عن إحدى غزواته الصعلوكية الفاشلة، ويصور أعداءهم كيف انهم تعقبوهم ولاحقوهم ثم ادركوهم في نهاية المطاف، ووضعوهم أمام أمرين لا ثالث لهما، إما الاستسلام فالأسر، أم القتال وفيه الموت المحتم، فاختاروا القتال استناداً إلى شجاعتهم ونخوتهم، ودارت رحى معركة حامية بينهم جرد لها جعفر سيفه مع رفاقه ونازلوهم حتى قهروهم وفتكوا بهم.

ويبدو أن هذه المعركة التي انتصر فيها الشاعر ورفاقه تركت صدى كبيراً في نفسه، إذ لم يكتفِ بتصويرها في قصيدة واحدة، إنما أعاد وكرر، وها هو في يائية حاسمة، ينتقم من العقيليين الذين قاتلهم ومزقهم شر ممزَّق، وكان يتمنى أن تستقيم حياته بعد ذلك، إلا أنه تشرد وتأبد، وعانى وتشرد، وأخذ يتشوق إلى وطنه وأهله وعشيرته، ناعياً نفسه، متفجعاً، داعياً نساء قومه إلى أن يندبنه ويبكينه بكاءً حاراً، موصياً أهله بابنه، فقد تشاء الأقدار أن يموت دون ان يلتقيه، وتخيم على المقطوعة مسحة من التشاؤم والحزن[2]:

أحقّاً عبادَ اللهِ أن لستُ رائياً ... صحاريَ نجدٍ والرياحَ الذَّواريا[3]
ولا زائراً شُمَّ العرانينِ أنتمي ... إلى عامرٍ يَخْلُلْنَ رملاً مُعَاليا[4]
إذا ما أتيتُ الحارثياتِ فانعني ... لَهُنَّ وخَبِّرهُنْ أن لا تلاقيا
أُوَصِّيكُمُ إن متُّ يوماً بصارمٍ ... لِيُغْني شيئاً أو يكونَ مكانيا

وإلى جانب هذه المسحة الحزينة التشاؤمية، لم يكن الشاعر نادماً على ما قام

---

(1) المناقل: الذي يتحدث مع غيره ويراجعه.
(2) الأغاني: 13/ 45. د. عطوان ـ صعاليك العصر العباسي الأولى ـ ص72 و73.
(3) الذواري: التي تحمل التراب وتسفيه أي التي تذري.
(4) الشم: الارتفاع، وهو كناية عن الرقعة. العرانين: جمع عرنين، وهو أول الأنف، وشمم العرانين، أعزة ذوو أنفة.

به، ولا مبالياً بعد نضاله وما حققه من نصر إذا فاجأه الموت، يكفي أنه شفى غليله وانتقم، بعد أن حاولوا ثنيه عن نواياه ومخططاته، إلا أنه كان عند حسن ظن نفسه، وترك اعداءه يصارعون مصيرهم الأسود.

ألا لا أبالي بعد يوم بسَحْبَلِ ... إذا لم أُعذَب أن يجيء حماميا
تركت بأعلى سحْبل ومضيقه ... مراقَ دم لا يبرح الدهر ثاويا[1]
شفيتُ به غيظي وجُرِّبَ موطني ... وكان سناءً آخر الدهر باقيا[2]
أرادوا ليثنوني فقلت تجنبوا ... طريقي فمالي حاجة من ورائيا
فدى لبني عمٍ أجابوا لدعوتي ... شفوا من بني القرعاء عمي وخاليا
كأن بني القرعاء يوم لقيتهم ... فِراخُ القطا لا قين صقراً يمانيا
تركناهم صرعى كأن ضجيجَهم ... ضجيجُ دباري النيب لاقت مداويا[3]

وهنا يشير الشاعر إلى شجاعته وعنفوانه في مواجهة خصومه، وبعد أن حاولوا ثنيه عن عمله، والتعرض له، ازاحهم من طريقه وشفى غيظه منهم، وتركهم صرعى يضجون ضجيجاً مداوياً.

وليشهدوا بعد انتهاء المعركة مالهم من ضحايا، وليبكوا مصيرهم الاسود، وقرى سحبل شاهدة على دمائهم التي اريقت في ساحة العراك.

أقول وقد أجلت من اليوم عركة ... ليبكِ العقيليين من كان باكيا[4]
فإن بقرى سحبل لأمارة ... ونضحَ دماء منهم ومحابيا[5]

وبعد ما تعرض له العقيليون من الشاعر ورفاقه، وما أصابهم من قتل وأسر، لم يسكتوا أو ينسوا، بل رفعوا أمرهم إلى السري بن عبد الله الهاشمي، عامل مكة لأبي جعفر المنصور، الذي أرسل إلى أبيه علبة بن ربيعة، وأخذه به، وحبسه حتى دفعه وسائر من كان معه إليه، أما النضر بن المضارب المعاوي، فاقْتُصَّ منه بجراحة، وأفلت علي بن جندب من السجن، اما الشاعر جعفر بن علبة الحارثي، فقد أقامت عليه بنو عقيل شهوداً أنه قتل رجلاً منهم، فحكم عليه بالقتل، وأُلقي

---

(1) سحبل: موضع في ديار بني الحارث. (العلح: هو الرجل الشديد الغليظ ـ الجلجل: الجرس الصغير،)
(2) موطني: موقفي. السناء: المجد والشرف والرفعة.
(3) الأغاني 13/ 45.
(4) العركة: المرة من العراك.
(5) الأغاني 13/ 46. قرى: موضع في بلاد بني الحارث بن كعب.

في السجن بمكة المكرمة مدة قبل أن يقتل، وقد وصف في قصيدة قافية، حنينه إلى زوجته، ووفاءه لها، وصبره الشديد في احتمال الشوق، والنوى، ومرارة احتماله وثباته في موقفه الصعب، ودائماً يحي شجاعته وعنفوانه، فهو لا يخاف الموت، ولا يهتز قلبه لوعيدهم وتهديدهم، ولكنه الهوى والشوق إلى العائلة والوُدُّ الطافح المخلص[1]:

فلا تحسبي أني تخشعتُ بعدكم ... لشيءٍ ولا أني من الموت أَفْرَقُ
وكيف وفي كفي حسامٌ مذلَّقٌ ... يعضُّ بهاماتِ الرجالَ ويَعْلَقُ[2]
ولا ان قلبي يزدهيه وعيدُهُمْ ... ولا أنني بالمشي في القيدِ أخْرَقُ[3]
ولكنْ عرتني من هواكِ صَبابةٌ ... كما كنتُ ألقى منكِ إذ أنا مطلقُ
فأما الهوى والودُّ مني فطامحٌ ... إليكِ وجثماني بمكةَ مُوثَقُ

ثم أخذ يوضح لأخيه «ماعز» ما يلاقي من الضيق والألم في السجن، فهو مسجون دائماً، مقيد بالأصفاد في رجليه، ولا يستطيع الحراك، وحوله الحراس والعيون، كما أخذ يحرضه على الأعداء، ويدعوه إلى الانتصار له، والذود عنه، والسعي لإطلاق سراحه، مستدراً عاطفته الأخوية، بأنه لو كان له مكان لما تأخر لحظة في سبيل انقاذه، وتخليصه من المعاناة المريرة، حيث يقول[4]:

تَعَلَّمْ وَعَدِّ الشكَّ أَني يَشُفُّنِي ... ثلاثةُ أحراسٍ معاً وكُبُولُ[5]
إذا رُمْتُ مشياً أو تبوأتُ مضجعاً ... يبيتُ لها فوَق الكعابِ صَليلُ
ولو بكَ كانت لا بتَعَثْتُ مطيتي ... يعودُ الحَفا أخْفافَها ويجولُ[6]

إلا أن جميع محاولاته واستغاثته لم تجد فتيلا، ولم يلبث ان قتل، خلال ولاية السري بن عبد الله على مكة المكرمة ما بين سنة 143 و 146هـ.

ثم لما قتل جعفر بن علبة، قام نساء الحي يبكين عليه، وقام أبوه إلى كل ناقة وشاةٍ فنحر أولادها، وألقاها بين أيديها وقال: ابكين معنا على جعفر، فمازالت

(1) الأغاني 13/ 49 و50.
(2) مذلق: محدد.
(3) الأخرق: الدهش فزعاً.
(4) الأغاني 13/ 50. د. عطوان ـ الشعراء الصعاليك في العصر العباسي الأول ـ ص74.
(5) شفه: أهزله وأضناه وأخمره. الكبول: القيود.
(6) إبتعث: حث. الحفا: المشي بغير خف. عاد الحفا أخفافها: أفناها وذهب بها.

النوق ترغو والشاءُ تثغو والنساء يصحن ويبكين وهو يبكي معهن، فمارُئي يوم كان أوجع وأحرق مأتماً في العرب من يومئذ.

وكان الذي ضرب عنق جعفر بن علبة، نخبة بن كليب، وهو أحد بني عامر بن عقيل وقد قال:

شفى النفس ما قال ابنُ علبة جعفرٌ … وقَولي له اصبرْ ليس ينفعكَ الصبرُ
هوى رأسهُ من حيث كان كما هوى … عُقاب تدلى طالباً جانب الوكر[1]
أيا عارم فينا عُرام وشدةٌ … وبسطةٌ أيمانٍ سواعدُهَا شُعر[2]
هم ضربوا بالسيفِ هامةَ جعفرٍ … ولم يُنجهِ برٌّ قريضٌ ولا بحرُ

وقال علبة يرثي ابنه جعفراً:

لعمرك إني يوم أسلمت جعفراً … وأصحابه للموت لما أُقاتلِ
لمجتنب حب المنايا وإنما … يهيج المنايا كل حق وباطلِ

ثم قال لامرأته قبل مقتل ابنه:

لعمرك إن الليلَ يا أمَّ جعفرٌ … عليَّ وإن عللتني لطويلُ
احاذر اخباراً من القوم قد دنت … ورجعة انقاضٍ لهن دليلُ[3]

فأجابته قائلة متشفية منه لائمة عاتبة:

أبا جعفر أسلمت للقوم جعفراً … فمتْ كمداً أو عش وانت ذليل[4]

---

(1) هذا البيت فيه إقواء.

(2) العرام: الشدة والقوة والشراسة.

(3) الانقاض: جمع نقض وهو المهزول من الأبل والخيل.

(4) الأغاني 13/52. (التباليون: المنسوب إلى تبالة، وهي بلدة باليمن)

# الأحيمر السعدي[1]

## ... ـ 170 هـ ـ ... ـ 787 م

من قبيلة بني سعد، شاعر مخضرم، أدرك الدولتين الأموية والعباسية.

كان لصاً شاعراً صعلوكاً كثير الجنايات، فخلعه قومه، وخاف السلطان، فتاه في الفلوات والقفار بحثاً عن الحياة، في انفتاحها الجميل، وها هو يصور خوفه من الموت بعد ان أباح السلطان دمه، بعد جناية ارتكبها[2]:

عوى الذئبُ فاستأنستُ بالذئب إذ عوى ... وصـوَّتَ إنـسـانٌ فـكـدتُ أطـيـرُ
رأى الـلـهُ أنـي لـلأنـيـسِ لـشَـانِـئٌ ... وتُـبـغـضـهـمْ لـي قـلـةٌ وضـمـيـرُ
فـلـلـيْـلُ إذ وارانـي الـلـيـلُ حـكـمُـه ... ولـلـشـمـسِ إذ غـابـتْ عـلـي نـذورُ

هكذا سيطر عليه الرعب، فتاه في الهرب وانقطع عن الناس، حتى انه كرههم، وألف الحيوان وأنس به كل الأنس، واطمأن إليه، وأصبح يألف مصاحبته وصوته، ورغم تأبده وبعده، فقد ظل خائفاً يتمنى ألا تزول ساعات نهاره، وها هو في قصيدة رائية، يتحدث عن مصاحبته للحيوان، وشغفه به حيث قال[3]:

أرانـي وذئـبُ الـقـفـرِ إلـفـيـنِ بـعـدمـا ... بـدأنـا كـلانـا يـشـمـئـزُ ويُـذعَـرُ
تـألَّـفـنـي لـمـا دنـا وألـفـتُـهُ ... وأمـكـنـنـي لـلـرمـي لـو كـنـتُ أغـدِرُ
ولـكـنـنـي لـم يـأتـمـنـيَ صـاحـبٌ ... فـيـرتـابَ بـي مـا دامَ لا يـتـغـيـرُ

هكذا أصبحا صديقين حميمين، الشاعر والذئب، واطمأن كل منهما للآخر، بعد أن توجسا من بعضهما خيفة عند لقائهما لأول مرة، وهو يتحدث عن حياته مع

---

(1) الشعر والشعراء ص534. د. عطوان ـ الصعاليك في العصر الإسلامي ـ ص94.
(2) الشعر والشعراء ص535. د. عطوان ـ الصعاليك في العصر الإسلامي ص94 و95.
(3) المرجع السابق.

الوحوش في القفار حين خلعه قومه وطارده السلطان فيقول كنت أرى النوى في رجيع الذئاب، وكنت أغشى الذئاب وغيرها من بهائم الوحش ولا تنفر مني لأنها لم تر أحداً قبلي.

وقد اعتاد الأحيمر قطع الطرق وإعتراض القوافل، بالإضافة إلى مجموعة من الصعاليك منهم السمهري العكلي وأبو النشناش ومالك بن ريب وسواهم، وكانوا ينتظرون القوافل على الطريق الممتدة من العراق إلى الحجاز، ومن العراق إلى اليمامة ومن الشام إلى الحجاز وكانوا إذا طال انتظارهم يتفاءلون بنهيق الحمار، كدليل على قرب وصول القوافل، وقد عبر عن ذلك الأحيمر حيث يقول[1]:

نهق الحمارُ فقلتُ أيمنَ طائرٍ إن الحمارَ من التِّجار قريبُ

ومن ابرز أسباب تصعلك الأحيمر، النظام الاقتصادي الجائر، والعدالة المفقودة، حتى أن الدوافع التي أجَّجَتْ في قبيلته الرغبة في التمرد تشكل احد أهم أسباب تصعلكه، وأية عدالة اجتماعية تلك، والأحيمر لا يملك ناقة ولا جملا، بينما يغرق غيره في الإبل الكثيرة، على حد قوله في رائية له[2]:

وإني لأستحيي من الله أن أرى أطوفُ بحبلٍ ليس فيه بعيرُ
وأن أسألِ المرءَ اللئيمَ بعيَرهُ وبُعرانُ ربي في البلادِ كثيرُ

ومعلوم أن الأحمير صعلوك خليع، خلعته قبيلته منها وتبرأت منه، وها هو يتشفى منها الآن، ويشمت بعد تعرضها لمكروه، وذلك بعد أن تخاذلوا عن حماية حيهم ودورهم، فدارت عليهم، دائرة الحرب[3]:

ونُبِّئْتُ أن الحيَّ سعداً تخاذلوا حِماهُم وهُمْ لو يعصبون كثيرُ
أطاعوا لفتيان الصباح لِئامَهم فذوقوا هوان الحرب حيثُ تدورُ
نظرتُ بقصرِ الأبرَشيةِ نظرةً وطرفي وراء الناظرينَ بصيرُ
فردَّ علي العينَ أن انظرُ القُرى قُرى الجوف نخلٌ معرضٌ وبحور
وتيهاءَ يزوَرُّ القطا عن قِلاتها إذا عبلتْ فوق المِتان حَرورُ

وهو هنا يلوم قبيلته لأنها تفرقت، وولت أمورها صبيانها وضعافها، وطالما

---

(1) الشعر والشعراء ـ ص535. المؤتلف والمختلف ـ ص43. د. عطوان ـ صعاليك العصر الأموي ـ ص113. د. حفني الشعراء الصعاليك ـ ص301.

(2) الأغاني ـ طبعة الساسي ـ 19/ 164. د. عطوان ـ صعاليك العصر الأموي ـ ص118.

(3) معجم البلدان. 1/ 66.

نصحها إلا انها لم تستجب له، ولم تعمل بنصيحته، فتمزقت شر ممزق، وانهزمت أمام أعدائها الذين غزوا بلادها ونكلوا بها، ومن هنا سيب سروره وفرحه لما أصابها، ولما لحقَ بها من خزي وهوان[1].

ومن مغامرات الأحيمر، أنه قدم يوماً العراق، وقطع الطريق، فتناهت أخباره إلى سليمان بن علي أمير البصرة، فأهدر دمه، وبث خلفه العيون، فهرب الأحيمر ناحية بلاد فارس، ولما استشعر الغربة والبعد، دب فيه الشوق والحنين، إلى الوطن والأهل، واخذ يسترجع أيامه السالفة وحياته اللاهية مع أترابه ورفاقه، متبرماً ساخطاً على حياته الجدية المثقلة بالهموم والمسؤولية والمشقة والتشرد والاغتراب[2]:

لئن طالَ ليلي بالعراق لربما ... أتى لي ليلٌ بالشام قصيرُ
معي فتيةٌ بيضُ الوجوهِ كأنهم ... على الرحلِ فوقَ الناعجاتِ بُدورُ
أيا نخلاتِ الكرم لا زال رائحاً ... عليكُنَّ منهلُّ الغمامِ مطير
سقِيتُنَّ ما دامت بكرمانَ نخلةٌ ... عوامرُ تجري بينهن بحور
ومازالت الأيامُ حتى رأيتني ... بدَورقَ ملقى بينهنَّ أدورُ[3]
تذكرني أطلالكُنَّ إذا دَجَتْ ... عليَّ ظلالُ الدوْمِ وهي هَجيرُ
وقد كنتُ رملياً فأصبحتُ ثاوياً ... بدورقَ ملقى بينهنَّ أدور

يبلغ الأحيمر رفاقه الصعاليك أنه تاب، وطلق حياة الصعلكة، بما فيها من سلب ونهب وقطع طرق، إلا أنه لم يستطع مع الوقت أن يغالب شوقه، إلى أيام غابرة كان يجد فيها متعته بنهب مثل هذه الزوامل، ويسترجع ذكرياته في عهد الصبا والشباب، عندما كان لصاً فاتكاً، يغتصب من القوافل أغلى وأثمن ما تحمله من حرير وتحف اليمن حيث يقول[4]:

قُلْ للصوصِ بني اللخناءِ يحتسبوا ... بزَّ العراقِ وينسوا طرفَةَ اليمنِ

---

(1) د. عطوان ـ صعاليك العصر الإسلامي ـ ص124.
(2) معجم البلدان 2/ 483. د. عطوان ـ صعاليك العصر الإسلامي ـ ص146.
(3) دورق بلد بخور ستان، وقد الأحيمر السعدي قد اتى العراق، فقطع الطريق، وطلبه سليمان بن علي، وكان أميراً على البصرة، فأهدر دمه، فهرب وذكر حنينه إلى موطنه.
(4) د. عطوان ـ الشعراء الصعاليك في العصر الإسلامي ـ ص148. مجموعة المعاني ـ ص217. د. حفني الشعراء الصعاليك ـ ص312. المؤتلف والمختلف ـ ص43.

ويتركوا الخزَّ والديباجَ تلبسهُ ... بيضُ الموالي ذوو الشَّزراتِ والعُكَنِ[1]
أشكو إلى الله صبري عن زواملهم ... وما ألاقي إذا مروا من الحزن
لكن ليالِيَ تلقاهم فتسْلُبُهمْ ... سقياً لذاك زماناً كان من زمنِ
فرب ثوب كريم كنتُ آخذُه ... من القطار بلا نقدٍ ولا ثمنِ

ورغم ما ذكرناه سابقاً، من أن الأحيمر لام قبيلته على تمزقها، وسُرَّ لما أصابها من وهن، إلا أنه سرعان ما يعود إلى حسِّه القبلي، وحبه لقبيلته، وتأسفه على ما آل إليه قومه على يد واحد منهم هو ابن جندل أمير بني سعد، ويهاجمه الأحيمر هنا هجوماً عنيفاً، ويدفعه بأسوأ هجاء، ويصمم من يسمَّى ابن موسى بأقبح المعاني والصفات، متهماً إياه بأنه ليس من أسرة عريقة مجيدة، نما من أسرة وضيعة، ثم متفجعاً على ما أصاب قومه من الضعف والهوان والتمزق، حتى لم يبق في بلادهم أحد منهم[2]:

كفى حَزَناً أن الحمارَ بنَ جندل ... عَليٌّ بأكنافِ السِّتارِ أميرُ
وأنَّ ابن موسى بائع البقلِ والنوى ... له بين بابٍ والستارِ حظيرُ[3]
وإني أرى وجهَ البغاةِ مقاتلاً ... أدَيْرة يسدي أمرنا وَيُنيرُ
خلا الجوفُ من قُتَّاك سعد فما بها ... لمستصرخٍ يدعو التُّبُول نصيرُ

وأكثر المناطق التي أثارت شجن الأحيمر جذع «أُبَيِّم وأبام وهي شعبة بنخلة اليمانية لقبيلة هذيل، تلك المنطقة شطر من فؤاده المشتاق[4]:

وإن بذاك الجزع بين أُبَيِّم ... وبين أبَام شعبة من فؤاديا

إنه عشق الأرض والوطن عندما يشتعل الشوق في أويقات الفراق.

(1) الشرزة: البغض والحقد. العكن: أطواء البطن من السمنة.
(2) معجم البلدان ـ ج2 / 187. د. عطوان ـ صعاليك العصر الإسلامي ص161.
(3) الستار: منطقة من بلاد تميم.
(4) 1/ 86.

## الباب الخامس

# شعراء المرحلة العباسية
# شعراء الصعلكة المسلحة

بكر بن النطاح الحنفي

أبو النداء

# بكر بن النطاح الحنفي[1]

## ... ـ 192 هـ ـ ... ـ 808 م

بكر بن النطاح الحنفي، ويكنى أبا وائل، وذُكرَ أنه عجلي من بني سعد بن عجل بدليل قوله:

فإن يك جدُّ القوم فهر بن مالك	فجدي عجلُ قرم بكر بن وائل

ومن زعم أنه حنفي استشهد بقوله:

وإن يك جدُّ القوم فهر بن مالك	فجدي لجيم قرم بكر بن وائل

وعجل بن لجيم وحنفية أخوان.

كان بكر بن النطاح صعلوكاً يصيب الطريق، ثم أقصر عن ذلك، وكان شجاعاً فارساً شاعراً حسن الشعر والتصرف فيه كثير الوصف لنفسه بالشجاعة والإقدام.

ومن صور صعلكته، أنه أنشد يوماً أبا دلف العجلي القائد المظفر في عصور الرشيد والأمين والمأمون، وعامل همدان وبلاد الجبل، انشده من شعره، فقال له ابو دلف: إنك لتكثر الوصف لنفسك بالشجاعة، وما رأيت لذلك عندك أثراً قط، ولا فيك، فقال له: أيها الأمير، وأي غناء يكون عند الرجل الحاسر الأعزل؟ فقال: اعطوه فرساً وسيفاً ودرعاً ورمحاً، فأعطوه ذلك أجمع، فأخذه وركب الفرس وخرج على وجهه، فلقيه مال لأبي دلف يُحمل من بعض ضياعه، فأخذه، وخرج جماعة من غلمانه فمانعوه عنه، فجرحهم جميعاً وقطعهم وانهزموا، وسار بالمال، فلم ينزل إلا على عشرين فرسخاً، فلما اتصل خبره بأبي دلف قال:

نحن جنينا على أنفسنا، وقد كنا أغنياء عن إهاجة أبي وائل، ثم كتب إليه

(1) الأغاني ـ 19/ ص 36.

بالأمان، وسوَّغه المال، وكتب إليه، صر إلينا فلا ذنب لك، لأنا نحن كنا سبب فعلك بتحريكنا إياك وتحريضنا، فرجع، ولم يزل يمتدحه حتى مات[1].

هنا نرى إقرار الوالي بشرعية خروج بكر بن النطاح، وبصعلكته وممارسته واعتراف صريح بالمسبب لحركة الصعاليك في المجتمع.

وقد وضعت صعلكة بكر حياته على المحك، وعرضته للأخطار، يذكر يزيد بن مزيد الشيباني القائد العربي، ان الرشيد وجه بطلبه في وقت يرتاب فيه البريء، فلما مثل بني يديه، قال له: من الذي يقول:

وَمَنْ يفتقرْ منا يعيش بحسامهِ ... وَمَنْ يفتقرْ من سائرِ الناسِ يسألِ

قال له يزيد: والذي شرفك بالخلافة ما أعرفه، قال الخليفة: والذي كرمني وشرفني إنك لتعرفه، هذا جلف من أجلاف ربيعة فأتني به، فانصرف زيد، وسأل عن قائل الشعر، فعلم أنه لبكر بن النطاح، وكان أحد أصدقائه، فدعاه وأعلمه بما كان من الرشيد، ثم أمر له بألفي درهم، وأسقط إسمه من الديوان، وأمره ألا يظهر ما دام الرشيد حيا[2]:

وانتقد الخليفة المأمون بكر بن النطاح على بيتين قالهما في مجال صعلكته:

وَمَنْ يفتقرْ منا يعيش بحسامهِ ... وَمَنْ يفتقرْ من سائرِ الناسِ يسألِ
وإنا لنلهو بالسيوف كما لهت ... عروس بعقدٍ أو سِخاب قرنفل[3]

إذ قال لمن روى له هذين البيتين، أحسن والله، ولكنه قد كذب في قوله، فما باله يسأل أبا دلف ويمتدحه، وينتجعه، هلا أكل خبزه بسيفه كما قال؟

وكانت بعض أعمال الصعلكة لا تزال تراود وتشغل بكر بن النطاح، يذكر الأصفهاني في الأغاني أن معقل بن عيس كان صديقاً لبكر بن النطاح، وكان بكر فاتكاً صعلوكاً، وكان لا يزال إن احدث حادثة في عمل أبي دلف، أو جنى جناية، يهم به معقل فيقوم دونه حتى يتخلصه، فمات معقل، فرثاه بكر النطاح بقوله[4]:

---

(1) الأغاني 19/ 36 و37.
(2) الأغاني 19/ 38 و39.
(3) الأغاني 19/ 39.
سخاب: قلادة من القرنفل ونحوه، ليس فيها لؤلؤ ولا جوهر.
(4) الأغاني 19/ 43.

كـأن الـذي يـبـكـي عـلـى قـبـر مـعـقـل | ولـم يـره يـبـكـي عـلـى قـبـر حـاتـم يـسـألِ
ولا قـبـر كـعـب إذ يـجـود بـنـفـسـه | ولا قـبـرِ حلْفِ الجـود قـيسِ بن عـاصـم
فـأيـقـنـت أن الله فـضَّـل مـعـقِـلاً | عـلـى كـل مـذكـور بـفـضـل الـمـكـارم

وكان بكر ملحاحاً، يتحايل على الأمور حتى يكسب الأموال بطرق فيها ابتزاز ودهاء في الوقت نفسه، إذ يذكر الأغاني أن بكر بن النطاح كان يأتي أبا دلف في كل سنة، فيقول له: إلى جنب أرضي أرض تباع وليس بحضرتي ثمنها، فيأمر لي بخمسة آلاف درهم ويعطيه ألفاً لنفقته، فجاءه في بعض السنين، فقال له مثل ذلك، فقال له أبو دلف: ما تغنى هذه الأرضون التي إلى جانب ضيعتك، فغضب بكر وانصرف وهو يقول[1]:

يـا نـفـسُ لا تـجـزعـي مـن الـتـلـفِ | فـإنَّ فـي الله أعـظـمَ الـخَـلَـفِ
إن تـقـنـعـي بـالـيـسـيرِ تـغـتـبـطـي | ويُـغـنـيـكِ الله عـن أبـي دلـفِ

وهذه المواقف من بكر تتعارض بوضوح مع بيته الشعري المعروف الذي قاله في عزِّ الصعلكة، (ومن يفتقر)، وتؤكد أخبار أخرى مبلغ ما كان يصل إلى بكر بن النطاح لقاء تركه الصعلكة، ومبلغ الأسراف الذي كان يعيشه، كان بكر بن النطاح يأتي قرة بن محرز الحنفي بكرمه فيعطيه عشرة الاف درهم، ويجري عليه في كل شهر يقيم ألف درهم، فاجتاز به قرة يوماً وهو ملازم السوق وغرماؤه يطالبونه بدين، فقال له: ويحك! أما يكفيك ما أعطيكَ حتى تستدين وتلازمها في السوق، فغضب عليه وانصرف عنه وهو يقول[2]:

ألا يـا قُـر لا تـكُ سَـامِـريًّـا | فـتـتـركُ مـن يـزوركَ فـي جـهـادِ
أتـعـجـبُ إن رأيـتَ عـلـيَّ ديـنـاً | وقـد أودى الـطـريـفُ مـلا الـتـلاد
مـلأت يـدي مـن الـدنـيـا مـراراً | فـمـا طـمِـعَ الـعـواذلُ فـي اقـتـصـادي
ولا وجـبـت عـلـيَّ زكـاة مـالِ | وهـل تـجـبُ الـزكـاةُ عـلـى جـوادِ

جميع هذه الصور التي ذكرناها تبين ان ابن النطاح لم يقصر تماماً عن التصعلك، ولم تشغله الحرب التي خاضها كل الانشغال، ولم تستهلك أوقاته كلها، كان الحنين إلى حياة الصعلكة يدق بابه من حين لآخر، فيعود إلى سيرته الأولى من الاغارة على الناس وترصدهم وسلبهم ما معهم. وكان لنزوحه من

---

(1) الأغاني 19/ 41.
(2) الأغاني 19/ 42 ـ د. عطوان الشعراء الصعاليك في العصر العباسي الأول ـ صـ 81.

البصرة إلى بغداد ومكوثه فيها حيناً من الدهر، ومعاشرته لمجموعة المجان والقيان، وانغماسه في ذلك الجو المتخم بالملذات والملاهي، أثر كبير في سلوكه ومزاجه، كان يحن ويتشوق إلى بغداد وجواريها وملذاتها ونسيمها وهو في بلاد الجبل تشوقاً جارفاً:

نسيم المدام وبرد السحر     هما هيجا الشوق حتى ظهر
سقى الله بغداد من بلدة     وساكن بغداد صوب المطر
ونبئت أن جواري القصو     ر صَيَّرْنَ ذِكري حديث السمر[1]

ولعل حبه للمال وتعلقه به جعله بخيلاً، كما تبين هذه الرواية التي ذكرها الأصفهاني، كان بكر بن النطاح الحنفي أبو وائل، بخيلاً، فدخل عليه عباد بن الممزق يوماً، فقدم إليه خبزاً يابساً قليلاً بلا أُدْم، ورفعه من بين يديه قبل أن يشبع، فقال عباد يهجوه:

من يشتري مني أبا وائل     بكر بن نطاحٍ بفلسين
يأكله من خبزه     كأنما الآكل من شحمة العينِ[2]

وأكبر مظهر من مظاهر حياة بكر هو علاقته الحميمة ببعض أمراء وقادة العباسيين، كأبي دلف العجلي ويزيد بن مزيد الشيباني ومالك بن علي الخزاعي، وكان الصعاليك الذين اعتادوا الغارات وقطع الطرق والفتك في مطالع حياتهم ثم كفوا عنها والتحقوا ببعض الامراء والقادة والولاه كثيرون، حتى ليروى أنه تجمع عند أبي دلف القاسم بن عيسى العجلي وحده عشرون ألفاً منهم، تقريباً، ولعل هؤلاء الصعاليك وجدوا عند ابي دلف وسواه من القادة الشجعان ما يروي غليلهم ويرضى طموحهم ويؤكد ما اعتادوا عليه من فروسية وبطولة وعنفوان، بعد انتقالهم من حياة التصعلك والفتك والسطو والتشرد والتأبد التي عانوها في متاهات الصحاري ومجاهل البيد، ولم يكن الولاة والقادة ليقربوا هؤلاء ويمحضوهم الرعاية والعطاء لو لم يعرفوا عنهم من رجولة وحمية ونخوة وهمة كانت تطبع حياة المتصعلكين، لذلك ضموهم إلى جيوشهم واستعانوا بهم في القضاء على معارضيهم ومناوئيهم السياسيين، وعلى حركات التمرد التي كانت تشتعل أحياناً ضدهم، ومن بين هؤلاء الصعاليك الذين يمثلون هذه الحالة بكر بن النطاح كان

---

(1) الأغاني 19/ 47 ـ د. عطوان ـ الشعراء الصعاليك في العصر العباسي الأول ـ صـ 80.
(2) الأغاني 19/ 43 و44. د. عطوان ـ الشعراء الصعاليك في العصر العباسي الأول ـ ص76 ـ 78.

أول قائد ضمَّ ابن النطاح إليه، هو يزيد من مزيد الشيباني القائد العربي المشهور لعهود المهدي والهادي والرشيد، وقد ضمه يزيد إلى جنده وقربه وسجله في ديوان العطاء، وأجرى له راتباً سلطانيا، وقد مدحه بكر بغرر قصائده، إلا أن إحداها أغضبت الرشيد لأنه غض فيها من قدر قريش وأشاد فيها بقبيلته هو، علاوة على أنه انتقد الحكم العباسي ونظامه الاستبدادي الوراثي، معتبراً أن قريشاً إنما فضلت العرب في الجاهلية، أما وقد أتى الإسلام، فإنه نزع هذه الاستمرارية عنها، ولم تعد بعد أن اسلموا أهلاً لأن تحكمهم على مدى العصور:

فإن يكُ جد القوم فِهر بن مالك ... فحسبي فخراً فخر بكر بن وائل
ولكنهم فازوا بإرث أبيهم ... وكنا على أمر من الأمر باطلِ

ويقال، إن الرشيد استدعى ابن مزيد وعاتبه على رعايته بكراً وطلب إليه أن يحضره إلى مجلسه وقد ذكرنا هذه الرواية في مطلع الدراسة، وأشرنا إلى أن ابن مزيد لم يحمل بكراً إلى الرشيد، بل نصحه بالاختفاء في الجزيرة، ومنحه ألفي درهم ثم أسقطه من الديوان، وبقي مستتراً إلى حين وفاة الرشيد، فعاود الاتصال بيزيد، الذي أعاده وزاده في نواله. هذه رواية الأغاني، وهي تتعارض مع التسلسل التاريخي للأحداث، وهذا خطأ واضح وقع فيه أبو الفرج، خاصة إذا علمنا أن ابن مزيد استشهد سنة 185 هـ، بينما توفي الرشيد سنة 193 هـ.

أما الشخصية الثانية التي أتصل بها بكر، فهو أبو دلف العجلي القائد العربي لعصر الرشيد والأمين والمأمون والمعتصم، وعامل همدان وبلاد الجبل، وقد قرب أبو دلف بكراً كثيراً، وجعله من جنده، وأجرى له رزقاً سلطانياً، والمقصود بالرزق السلطاني أرض خصبة تدر سنوياً على صاحبها الخيرات ـ وتوطدت أواصر المودة بين الرجلين كثيراً، ويظهر ان بكراً شارك في كثير من الحروب التي وصف فيها معاركه وتحدث عن شجاعته وبلائه الرائع في المعارك، ومن ذلك أن أبا دلف لحق اكراداً قطعوا الطريق في عمله، وقد أردف منهم فارسٌ رفيقاً له خلفه، فطعنهما أبو دلف جميعاً فأنفدهما، فتحدث الناس بأنه نظم بطعنة واحدة فارسين على فرس[1]، قالوا:

وينظمُ فارسين بطعنةٍ ... يومَ اللقاءِ ولا يراهُ جليلا
لا تعجبوا لو أنَّ طولَ قناتِه ... ميلٌ إذاً نظمَ الفوارسَ ميلا

---

(1) الاغاني ـ 19/37 و38. د. عطوان ـ الشعراء الصعاليك في العصر العباسي الأول ـ صـ 77 ـ 79.

فأمر له أبو دلف بعشرة آلاف درهم، فثنى الشاعر قصيدته الأولى برائية خلابة منها:

لـه راحـةٌ لـو أن مـعـشـارَ جـوُدِهَـا على البَرِّ كان البرُّ أندى من البحرِ
ولـو أن خـلـقَ الـلـهِ فـي جـسـمِ فـارسٍ وبـارزَهُ كـان الـخـلـيَّ مـن الـعُـمْـرِ
أبـا دلـف بـوركـتَ فـي كـلِ بـلـدةٍ كما بوركتْ في شهرها ليلةُ القَدْرِ[1]

وهكذا ظل بكر منعطفاً إلى أبي دلف، يمدحه ويثني عليه، بينما هو يغدق عليه الصلات والاعطيات حتى توفي أبو دلف في السنة 226 هـ، نانضم إلى مالك بن علي الخزاعي الذي كان يتولى طريق خراسان، فأحسن استقباله، ورحب به، وأطلقه بجنده، وجعل له رزقاً، وظل معه إلى أن قتله الخوارج الشراه بحلوان، وكان مالك قد قاتل الخوارج قتال الأبطال، وهزمهم، إلا أن الحظ العاثر كان يكمن له، فأصيب بضربة على رأسه قضت عليه، بعد أن استبسل بكر دونه، وشاركه في معاركه، إلا أنه القدر، فمات مالك وحزن عليه بكر حزناً عميقاً ورثاه بقصائد كثيرة، هي من عيون الشعر العربي، ومنها نونيته الجميلة حيث يتحدث فيها عن وجده وحزنه، وعن فجيعة العرب والمسلمين باستشهاد رجل عملاق، ثم يعترف بكر بفضله وبما قدموه له من جوائز وهبات ساعدته على مواجهة اعباء الحياة ومنها[2]:

أيُّ امـرئٍ خـضَـب الـخـوارجُ تـربَـهُ بـدمِ عـشـيـةَ راحَ مـن حـلـوانِ
يـا حـفـرةً ضـمـنـتْ مـحـاسـنَ مـالـكٍ مـا فـيـك مـن كـرمٍ ومـن إحـسـانِ
لـهـفـي عـلـى البطـل الـمـعـرض خَـدَّه وجـبـيـنَـهُ لأسـنَّـة الـفـرسـان
ذهـبـت بـشـاشـة كـل شـيء بـعـده فـالأرض مـوحـشـة بـلا عـمـران
هـدم الـشـراة غـداه مـصـرع مـالـكٍ شـرف الـعـلا ومـكـارم الـبـنـيـان
قـتـلـوا فـتـى الـعـرب الـذي كـانـت بـه تـقـوى عـلـى الـلـزبـات فـي الأزمـان[3]
عـزَّ الـغـواةُ بـه وذلـت أمـة مـحـبُـوَّةٍ بـحـقـائـق الإيـمـانِ
وبـكـاه مـصـحـفـه وصـدر حـسـامـه والـمـسـلـمـون ودولـة الـسـلـطـان

فبموت مالك ذهبت بشاشة كل شيء، وامحلت الأرض وأقفرت، وتقوضت

(1) الأغاني ـ 19/ 40. د. عطوان ـ الشعراء الصعاليك في العصر العباسي الأول ـ ص79.
(2) الأغاني ـ 19/ 46 و47. د. عطوان الشعراء الصعاليك في العصر العباسي الأول ـ ص79.
(3) اللزبات: الشدائد.

مكارم البنيان والعلا، ولعظيم مكانته، بكاه القرآن وحد حسامه والمسلمون عامة، فقد كان درعاً ضد الشدائد والأزمات[1].

وفي ميمية رثائية أخرى، يؤبن بكر فتى الدنيا وفارسها المغوار، ويدعو ناظريه إلى الجود بالدموع الغزيرة حزناً على رجل أيتم فقده بني البشر، وأوصدت الخيرات أبوابها، فقد ذهب جوادها، ومن كان لأهل الأرض غنى في كفه عن البحر والمطر[2]:

يا عين جودي بالدموع السجام ... على الأمير اليميني الهمام

على فتى الدنيا وصنديدها ... وفارس الدين وسيف الإمام

طاب ثرى حُلوان إذ ضُمِّنتْ ... عظامه سقياً لها من عظام

أغلقت الخيرات أبوابها ... وامتنعت بعدك يا بن الكرام

كان لأهل الأرض في كفه ... غِنِيً عن البحر وصوب الغمام

وكان في الصبح كشمس الضحى ... وكان في الليل كبدر الظلام

هذا هو بكر بن النطاح. شاعراً صعلوكاً، ومن ثم محاطاً بعطف القادة والولاة، مقرباً منهم وجنديا في جيوشهم ومداحاً لهم. وإن كان قد ذكرنا علاقاته مع أولي الأمر في الدولة العباسية، إنما لنبين رحلته عبر الصعلكة ومشواره فيها، ثم انكفاءه عنها إلى حد بعيد إلى مناخات أخرى، حددت ملامح شخصيته وطبيعة علاقاته وفنونه الشعرية.

ولبكر في الغزل قصائد حسان، قال معظمها في جارية من جواري القيان كان يهواها وتهواه، يقال لها درة، قال في أحدى قصائدها متغزلاً بها، شاكياً جفوتها[3]:

دُرَّةُ ما أنصفتني في الهوى ... ولا رحمت الجسد المضنى

مرت بنا في قُرطق أخضر ... يعشق منها بعضها بعضا

غضبى ولا والله يا أهلها ... لا أشرب البارد أو ترضى

كيف أطاعَتْكُمْ في هجري وقد ... جعلتُ خدي لها أرضا

---

(1) الأغاني 19/ 46 و47.

(2) الأغاني 19/ 46.

(3) الأغاني 19/ 49.

# أبو النداء

من الشعراء الصعاليك في العصر العباسي، عاش في مصر، وانتفض على الولاة الجائرين في الثورات الفلاحية التي نشأت هناك.

كان شديد الفتك، وكانت حركته طويلة وعنيفة في آن معاً، وكانت لها علاقة شديدة بما كان يتعرض له العمال من ظلم وجور في جباية الضرائب، ودليل ذلك أن الحسين بن جميل والي مصر للخليفة العباسي أبي جعفر المنصور، قد أسرف في جميع الخراج من أهل الحوف من العرب سنة 190 هـ، فاستاؤا من ذلك، وثاروا، وامتنعوا عن أداء ما يفرضه عليهم، ووجد أبو الندى هذا الأمر فرصة للأنتقام، فجمع من متمردي الحوف جمعاً كبيراً، وانطلق يغزو ويغير بهم على قرى وبلدات الشام، قاطعاً الطرق، متربصاً بالقوافل التجارية، مترصداً للناس بالمراصد والمراقب، شأنه شأن الصعاليك في العصرين الجاهلي والأموي، ثم يَنقضُّ عليهم مع رفاقه وينهب ما تحمله قوافلهم من أمتعة وذخائر، وما معهم من أموال، وكان كلما طاف في المناطق واستمرت حركته انضم إليه شذاذ و فتاك، حتى اشتد ساعده، وقويت شوكته، وأصبح يشكل خطراً حقيقياً على سلامة الحكم في مصر، فأرسل حينئذ هارون الرشيد الخليفة، جيشاً من بغداد نفسها بغية القضاء على حركته وعليه[1].

فخرج أبو الندى يتصدى لجيش الخليفة ومعه ألف رجل، وأخذ يقطع بهم الطريق والمفازات والمفارق، ويخيف السبل، ثم مال بجيشه نحو بدا، وهو واد قرب أبلة من ساحل البحر، ثم إلى شغب وهي ضيعة خلف وادي القرى، فمدين وهي مدينة على بحر القلزم أو الأحمر محاذية لمدينة تبوك، ثم أغار على نواحي

(1) الولاة والقضاة ـ ص168 ـ 170. د. عطوان ـ الشعراء الصعاليك في العصر العباسي الأول ص74 ـ 75.

الشام، ولحق به صعاليك من جذام وغيرها كان من أشدهم بأساً وعزيمة المنذر بن عابس وسلاَّم النوبي، فعاثوا في الأرض تخريباً، وأفسدوا وروعوا الناس وأفزعوهم، وبالغوا في القتل والنهب كثيراً، حتى وصلت أخبارهم إلى بغداد عاصمة الخلافة، فجهز الرشيد لمواجهتهم جيشاً كثيفاً أوكل قيادته إلى يحيى بن معاذ فتوجه به إلى فلسطين، ومن هناك بعث يحيى قائداً من قادته في طلبهم، ومن جهة ثانية أرسل والي مصر الحسين بن جميل جيشاً آخر بقيادة عبد العزيز بن الوزير الجزري، فدارت بينه وبين خصومه معركة حامية الوطيس، كان أبو الندى فيها يشجع صعاليكه على الاختيار بين أمرين، الفرار أو الثبات في المعركة والقتال، حيث قال لهم:

| | |
|---|---|
| أقولُ إذا الرفاقُ بدتْ لوجهي | ألا حُلوا رحالكمُ وطيروا |
| وإن لم تتركوها فاستعدوا | لحربٍ مثلِ حاصبةٍ تغورُ[1] |
| أقولُ لصحبتي كروا عليهم | فليس يهرُّهُمْ إلا الكرورُ[2] |

وأختار هؤلاء القتال ومتابعة المعركة، فاستبسلوا إلا أنهم هزموا آخر الأمر، ووقع أبو الندى نفسه في الأسر، وقتل المنذر بن عباس، وفر سلام النوبي وهما من صعاليك جذام، كانا شديدي البأس والمراس، ثم وصل والي العباسيين الجديد يحي بن معاذ إلى مصر، فهُزِمَ أهل الحوف، وركنوا للطاعة وأدوا ما عليهم من خراج بما فيها المتأخرات التي امتنعوا عن ادائها، بمعنى أن حركة هؤلاء الصعاليك الاجتماعية الاقتصادية لم تأت أكلها، فعاد الظلم والضغط الاقتصادي يلاحق أهل الحوف الفقراء.

وقد وقف السُّكري أثر هذه المعركة يمدح يحيى بن معاذ ويلوم الثائرين الصعاليك على ما قاموا به،

| | |
|---|---|
| قد جبينا قيساً ولم تكُ تُجبى | وقتلنا أبا الندى وابن عابسْ |
| وتركنا لخماً وحيي جذام | لا يطيقون رفع كف تلامسْ |
| أمَّنَ الله بالمبارك يحيى | جوف مصر إلى دمشق فبالسْ |

---

(1) الحاصبة: ريح شديدة تحمل التراب ودقاق الحصى. تغور: تسرع، وربما كانت الرواية الصحيحة "تمور" لأنها أقرب إلى المعنى، فمار تعني تحرك واضطرب واهتز، أو ذهب وجاء وتردد.

(2) الولاة والقضاة - ص170. د. عطوان صعاليك العصر العباسي الأول - ص75 و76.
هره: طرده، ويهرهم: يشتتهم.

وأبــاد الــخُــلاَّعَ مــن كــل أرض بــعــدمــا حــاد عــنــهــم كــلُّ فــارسْ[1]

ثم استقدم ابن معاذ رؤساء أهل الحوف إلى مكان إقامته، ولما حضروا غدر بهم وقيدهم وحملهم معه إلى بغداد، إمعاناً في الإذلال، وهذه الحركة التي قام بها الثوار الصعاليك تكشف بوضوح عن ظلم العمال وطغيانهم في مصر، واستهانتهم بالعرب، وكان معظم الشعراء الصعاليك الذين امتهنوا الإغارات وقطع الطرق والسلب في مطالع حياتهم ثم انصرفوا عنها وانضموا إلى بعض القادة والولاة العباسيين كثيرين جداً. حتى ليقال إنه تجمع منهم عند أبي دلف القاسم بن عيسى العجلي وحده قرابة عشرين ألفاً. وهذا يدل على مبلغ ما كان عليه الصعاليك من سوء الحال، وهؤلاء هم من الشعراء ومن انضم إليهم في صعلكتهم، كما تدل هذه الكثرة على شيوع الفقر والحاجة بين ابناء المجتمع العباسي، وعلى تردي الحياة الاقتصادية وتفشي التسول والكدية، ولعل هؤلاء وجدوا عند بعض الولاة والقادة ما كانوا يطمحون إليه، وما يرغبون به، وما يحققون فيه نزعتهم إلى الفروسية بعد انتقالهم من حياة التصعلك وما تعنيه من فتك وإغارة وسطو وتشريد وتأبد، إلى حياة الدعة والاستقرار، وإشباع الحاجات إلى الحفاظ على الحياة، لذلك اتكل كثير من القواد عليهم، وضموهم إلى جيوشهم واستعانوا بهم في اعمال ولاياتهم[2].

(1) الولاة والقضاة ـ ص171. د. عطوان. الشعراء الصعاليك في العصر العباسي ـ ص76.
بالس: بلد بسورية بين حلب والرقة

(2) تاريخ التمدن الإسلامي 2/ 565 ـ 567.
د. عطون. الشعراء الصعاليك في العصر العباسي الأول ـ ص76 و77.

## الباب السادس

# الشعراء الصعاليك الفقراء الهجاؤون

أحوال ومبادئ
إسماعيل بن إبراهيم بن حمدويه
محمد بن ذؤيب العماني
مروان بن محمد (أبو الشمقمق)
شويس (أبو فرعون الساسي)
عاذر بن شاكر (أبو المخفَّف)
العباس بن طرخان (أبو الينبعي)
عمرو بن الهدير

# أحوال ومبادئ

يذهب قسم كبير من أشعار الشعراء الصعاليك الفقراء في وصف فقرهم المدقع، وإملاقهم الشديد، ومعاناتهم وبؤسهم، علاوة على الحرمان الدائم الذي لم يكن ليحول أو يزول، واليأس القاتل الذي طبع سلوكهم بسبب انقطاع الرزق عنهم، وفشلهم في إيجاد فرص للعمل يوفرون من خلالها بلغ العيش التي يحمون بها حياتهم وحياة أولادهم، والذي كان يتألم منه هؤلاء الصعاليك الفقراء أنهم أضحوا في مجتمعهم طبقة مظلومة عديمة الشأن، منبوذة مهمَّشة، لا يمد إليها أحد يد العون والمساعدة، في حين كان غيرهم، من الأغنياء المترفين والذين كانوا السبب الرئيس في ما كانوا عليه من محن وبلايا ـ ينعمون بالخيرات ويغرقون في الرياش والأثاث الأسطوري ويجمعون إلى أنفسهم كل ما لذ وطاب، ضاربين بعرض الحائط مصير فئة كبيرة من المجتمع، لا تجد حتى الرغيف أحياناً لتبعد عنها غائلة الجوع والهوان.

ما الذي يجب أن يفعله هؤلاء الصعاليك، في ظل هذه الأوضاع الدامسة، واستشراء الطبقية والفوقية وسيادة القهر والظلم، بعد أن سدت أمامهم أبواب الرزق الحلال، ألا تحل هنا بعض المحرمات عندما تقبض الفئة الباغية سياسياً واجتماعياً واقتصادياً على المقدسات، وتضعها في خدمة مآربها الخاصة.

ألا يصبح عند ذاك الهجاء والتقريع واللوم والعتاب محللاً وجائزاً، بل ضرورياً يقول الإمام علي عليه السلام: عجبت ممن لا يجد قوت يومه، كيف لا يخرج على الناس شاهراً سيفه، ويقول الخليفة الثاني عمر بن الخطاب: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا. والحرية هنا تعني الحصول على الحقوق الكاملة كافة وفي كل الميادين.

وقد لجأ هؤلاء الشعراء الصعاليك الفقراء إلى وصف أوضاعهم السيئة،

والنتائج المترتبة عنها، فتحدثوا عن عري ابنائهم واصفرار ألوانهم وهزال أبدانهم، وخلو منازلهم من كل شيء، وجوعهم المستبد الذي جعلهم كالخيال يكادون لا يُرَوْنَ من ضعفهم وتداعيهم، وملازمة الفقر الشديد لهم، حتى أصبح كالظل والمرافق الدائم.

وأشاروا إلى سوء حظهم وخيبتهم مما كانوا يتوقعونه ويأملون به، وضياعهم، وقلة أكتراث الناس بهم.

من هنا دعوا إلى إعادة النظر في العلاقات الاجتماعية، وضرورة وضع كل فرد في مكانه الطبيعي الذي تقدره امكانياته، ونادوا بالمساواة والعدالة مع غيرهم.

وقد واجه الصعاليك الفقراء أزماتهم بوسائل مختلفة وطرق متعدده، منها الترفع عن الكدية وذل السؤال، وعرض مشاكلهم باللطف والتقرب، أو استعمال الهجاء الفاحش واللوم العنيف والحدة في المواقف، والانحدار إلى التسول والكدية ومد اليد إلى الآخرين، والإلحاح في الطلب.

واعتمدوا إلى جانب ما ذكرنا، رفع رقاع الشكوى إلى الولاة والامراء والقادة والوزراء، والقضاة والأشراف، وفي هذه الرقاع شرح لأوضاعهم التعيسة، ومعاناتهم القاسية، وطلب المساعدة والاحسان إليهم وتخفيف عبء أزماتهم المعيشية بتقديم العون اللازم.

كما لجأوا إلى المديح الذي اقتصر على الاحتفاء بالولاة والقادة دون الخلفاء ومعظم الوزراء لأن هؤلاء لم يفسحوا لهم في مجالسهم ولم يستقبلوهم، ومعظم قصائد المديح احتوت إلى جانب الثناء على الممدوح، الشكوى والاستعطاف والإلحاح في الطلب.

أما الهجاء فهو وسيلة أخرى من الوسائل التي احترفها الشعراء الصعاليك الفقراء ومهروها، وذهبوا فيها أشواطاً بعيدة.

وآخر الوسائل التي استخدمها الصعاليك الفقراء، هي الطواف في الأسواق للكدية ومد اليد طلباً للعون والمساعدة. وكانوا لا يميلون إلى هذه الوسيلة إلا إذا ضاقت بهم السبل، ولم تفدهم الوسائل الأخرى[1].

---

(1) د. حسين عطوان ـ الشعراء الصعاليك في العصر العباسي الأول. ص85 ـ 107.

# إسماعيل بن إبراهيم بن حمدوية
# (الحمدوني)

ابو علي. إسماعيل بن إبراهيم بن حمدوية البصري الحمدوني. من الشعراء الصعاليك الفقراء الهجائين، عاش في العصر العباسي، وسلك طريق رفاقه الشعراء الأخرين في اعتماد الهجاء وسيلة من وسائل كسب الرزق، وتجاوز غائلة الفقر والحرمان، إلى جانب رفع الشكوى إلى كبار رجال الدولة ومطالبتهم بمد يد العون لهم ومساعدتهم في تجاوز أزماتهم المعيشية، وقد تبدلت كثير من الوسائل التي انتهجها الصعاليك الفقراء في هذا العصر عما سلف من عصور.

وقد انتهج ابن حمدويه في شعره أسلوب الفكاهة والسخرية اللاذعة، يقيناً منه أنها تجلب له الرزق، وكان أحمد بن حرب المهلبي أحد المنعمين المحسنين إليه، لذلك كال له الشاعر المديح والاطراء، ونفحه بقصائد جمة، حتى إذا أهداه طيلساناً بالياً قديماً مال عليه بهجاء دامغ، ووصف الطيلسان بقصائد ومقطوعات ذهبت على كل شفة ولسان، وطارت شهرتها في كل مكان حتى بلغت خمسين مقطوعة، فالصعاليك الفقراء العباسيون لا يبيت قسم منهم على ضيم، إنما هم حاضرون دائماً لرد الكيل كيلين، والانقلاب على ممدوحيهم عند أدنى هفوة.

وطيلسان ابن حرب متداع لا يصلح لشيء، أكل الدهر عليه وشرب، يزيد الذليل الوضيع ذلاً واتضاعاً، ولا يستقيم أمره في يد الرقاع، فسرعان ما يتداعي من اللمسة الأولى، لأنه تحول إلى رقاع من كل نواحيه، ويحار الشاعر في أمر هذا الطيلسان، ويقوده الأمر إلى الظن بأنه كان يوماً شراعاً لسفينة النبي نوح:

رأينا طيلسانك يا بن حرب ... يزيد المرء ذا الضعة اتضاعا
إذا الرَّفاء أصلح منه بعضاً ... تداعى بعضُه الباقي انصداعا
يسلم صاحبي فيقد شبرا ... به وأقد في ردي ذراعا

أجيلُ الطرفَ في طرفيه طولاً وعرضا ما أرى إلا رقاعا
فلستُ أشك أنْ قد كان دهراً لنوحٍ في سفينته شراعا[1]

هذه الهنات في الطيلسان، وهذه التكاليف الباهظة التي اقتضت إصلاحه، زادت من بؤسه خاصة عندما لبسه وظهر للناس غرابة ما يلبس، فاحتقروه وازداد هواناً على هوان:

يا ابنَ حربٍ أطلتُ فقري برفوي طيلساناً قد كنتُ عنه غَنِيًّاً
فهو في الرفوِ آلُ فرعونَ في العَرِ ضِ على النار غدوة وعشيا
زرتُ فيه مَعاشراً فازدروني فتغنيت إذ رأوني زريا
جئت في زي سائلٍ كي أراكم وعلى الباب قد وقفت مليا

ويذكر ابن المعتز في طبقات الشعراء، أن الحمدوني من أملح الناس وأقدرهم على الوصف، وها هو يعيد حديثه عن الطيلسان، وعن وهنه وضعفه، وقدمه، وضجره من الزمان الذي رافقه، فهو لم يعد يتحمل شيئاً، حتى إذا ما تنفست فيه أو تنحنحت، فإنه يشقُّ ويبلى[2]:

يا بن حربٍ كسوتني طيلسانا مَلَّ من صُحبةِ الزمان وَصدًّا
فحسبنا نسج العناكب لو قيـ ـس إلى ضعف طيلسانك مَدًّا
إنَ تنفَّستُ فيه يَنْشَقُّ شقا أو تنحنحتُ فيه ينقدُّ قَدًّا
طال ترداده إلى الرفوِّ حتى لو بعثناه وحده لَتهدَّى

هكذا كان يصور الحمدوني وضعه البائس التعيس في مجتمعه، وكيف أنه وأمثاله من الصعاليك الفقراء كانوا يعيشون في مجتمعهم وكأنهم ليسوا منه، يشاهدون زينة الدنيا ومحاسنها ونعمها ولا يحظون منها بنصيب، أو يفوزون بشيء حيث يقول[3]:

من كان في الدنيا أخا ثروةٍ فنحنُ من نَظَّارةِ الدنيا
نرمقُّها من كثبٍ حسرةً كأننا لفظٌ بلا معنى

ومن مظاهر بؤس هؤلاء الشعراء الصعاليك الفقراء، افتقارهم إلى الخيول والإبل التي يمتطيها غيرهم ويرحلون عليها في يسر ودعة، بينما يمتطون هم

---

(1) وفيات الأعيان لابن خلكان: 6/ 93. ابن المعتز طبقات الشعراء ص370.
(2) طبقات ابن المعتز ص370 ـ 371.
(3) المحاسن والمساوئ للبيهقي ـ ص277 ـ د. حسين عطوان ـ صعاليك العصر العباسي الأول ـ ص86.

أرجلهم حتى تعبت وتلفت، وحتى ذابت نعالهم وتمزقت، وقد دفعتهم هذه الحياة الشاقة إلى السخط والحقد والانتقام، حتى وصلت بهم الأمور إلى حد الاحتجاج على الله (جل شأنه)، إذ يسألونه المساواةبحيث لا تجحف طبقة على أخرى، ولا ينعم رجل ويشقى آخر، وقد عبر الحمدوني عن ذلك بلهجة الغاضب الثائر[1]:

تسامى الرجالُ على خَيْلِهِمْ ورجلَي من بينهم حافية

فإن كنتَ حاملنَا ربَّنَا وإلا فأرْجِلْ بني الزانية

وقد سبق أن ذكرنا أن من بين الوسائل التي اصطنعها الشعراء الصعاليك الفقراء للحصول على بغيتهم وتطلعاتهم، اعتماد طريقة الهجاء اللاذع والسخرية، وهما تعويض عما يشعر به الشاعر الصعلوك من إحباطٍ وفشل في تحقيق ما يريد، وأذكر في هذا الصدد قصيدة للحمدوني يتناول فيها سعيد بن أحمد بن خو سنداد، ويهجوه لا مباشرة، وإنما عن طريق رميه بالبخل، وذلك بعد أن وهبه شاه ليذبحها في عيد الأضحى، وكانت هذه الشاة هزيلة ضامرة، لا شحم فيها ولا لحم، ولا تنفع ولا تغني من جوع، هكذا صورها الحمدوني، متخذاً من هذا الوصف طريقاً إلى السخرية منه والاستهزاء به، كما يتبين في قوله[2]:

أبا سعيدٍ لنا في شاتكَ العبر جاءتْ وما إذْ لها بولٌ ولا بَعَرُ

وكيف تبعرُ شاةٌ عندكم مكثتْ طعامُهَا الأبيضان الشمسُ والقمرُ

لو أنها أبصرتْ في نومها علفاً غنَّتْ له ودموعُ العينِ تنحدرُ

يا مانعي لذةَ الدنيا بأجمعها إني ليقنعتي من وجهكَ النظرُ

وتأخر الحسن بن إبراهيم عن الحمدوني سنة، فلم يبعث له فيها بأضحية، فضاقت حاله وكتب إليه شاكياً[3]:

سيدي أعرض عني وتناسى الود مني

مَرَّ بي أضحى وأضحى أخلفاني فيه ظني

لا يراني فيهما أهـ ـلاً لظلف أو لقرنِ

فَتَعَزَّيتُ بِيَأسْ ثم ضحيتُ بجني

واصطحبت الراح يوماً ثم أنشدت أغني

لا لجُرم صَدَّ عني صَدَّ عني بالتجنيٍّ

---

(1) المحاسن والمساوئ للبيهقي ـ ص278 ـ د. حسين عطوان ـ صعاليك العصر العباسي الول ـ ص91.

(2) فوات الوفيات: 1/ 173. د. عطوان ـ صعاليك لعصر العباسي الأول. ص105 و106.

(3) العقد الفريد 7/ 317.

# العماني[1]
# نحو 95 هـ ـ 713 م ـ 228 هـ ـ 842 م

**أبو العباس العماني:**

محمد بن ذؤيب، من بني نهشل بن دارم راجز من بني تميم ثم من بني فقيم، من أهل الجزيرة، لم يكن عمانياً، ولكنه لقب بذلك لصفرة وجهه، ويقال إنه خرج إلى عمان وأقام فيها طويلاً فنسب إليها، عاش نحو 133 سنة، وهو من شعراء الدولة العباسية، وكان مفلقاً مطبوعاً مفيداً، جيد الرجز والقصيد، مدح من الأمويين يزيد بن عبد الملك وإبراهيم بن الوليد ومروان بن محمد، ومن العباسيين أبا العباس السفاح والمنصور والمهدي والرشيد.

سدت في وجه العماني أبواب الرزق عندما نزل بغداد، وعانى الجوع والضياع قبل أن يتصل بالمهدي والرشيد، كما شاهد الفروق الطبقية بين أبناء المجتمع، ومستوى المعيشة بين الأفراد، فأثر ذلك في نفسه وأنشد أراجيز كثيرة صور فيها تفاوت الحظوظ بين الناس، كما قابل بين ما يكابده هو من فقر وعوز، وما ينعم به التجار من يسر ودعة وترف:

لا يستوي منعمٌ بندار ... له قيانٌ وله حمارُ[2]

مقصص قصصه البيطارُ ... يطيف في السوق به التجارُ

وعربي برده أطمارُ ... يظل في الطرقِ له عثارُ

قد نصلتَ من رجله الأظفارُ ... يأوي إلى حصنٍ له أوارُ[3]

---

(1) طبقات الشعراء لابن المعتز ص109 و110. والاعلام للزركلي 6/ 123.

(2) بندار: كلمة فارسية ومعناها تاجر أو صاحب ملك، ثري محتكر. (المعجم الذهبي ص121)

(3) أوار: شدة حر الشمس ولفح النار والعطش وقيل الدخان واللهب. (لسان العرب 4/ 35).

أحدب قد مال به الجدارُ لا درهمٌ فيه ولا دينارُ
يأكلُ هزلي النار فيه الفار في بلدةٍ عالَ بها الغبارُ
ليس على كهلٍ بها وقارُ مثل الشياطين إذا استثاروا
لهم دنانٌ ولهم جرارُ وفاشفارات لها قتار[1]
في السير لا يطمع فيه الجار

فلا يستوي التاجر المنعم الثريُّ الذي يخزن البضائع للغلاء طمعاً في الربح وابتزاز أموال الناس، وبين الشاعر المعدم الفقير العاثر الحظ، الذي يلبس أثواباً بالية، ويسكن منزلاً يعاني فيه من الحر والعطش والغبار والجوع.

وفي قصيدة ثانية هاجم الأثرياء الجفاة، وانتقدهم وتظلم متألماً لطول فاقته فقال:

يا رب شيخٍ عرق الجبين يغدو ببغدادَ مع الغادين
بعارضيه شبه الطحين وليس في دنيا ولا لدين
وواقف في متوافقين بباب كل مخصب بطين
في ثوب قوهي وثوب لين إذا دعا لجمل سمين[2]
وفاشفارات مع الطرّدين حاسر كفين بفارجين[3]
هانت عليه حاجة المسكين[4]

فالشاعر هنا وضع يده على أزمة عنيفة كانت تعصف بالمجتمع العباسي، وهي ذلك التفاوت بين طبقة الفقراء المعدمين، وبين الأثرياء الذين كانوا يرتدون الملابس الفاخرة ويأكلون الأطعمة الشهية، ويستصغرون المحتاجين البائسين ولا يقدمون لهم العون والمساعدة.

وكان هو يمثل طبقة الفقراء خير تمثيل، إذ دفعه جوعه وإقلاله إلى التجول في شوارع بغداد والوقوف على أبواب المتخمين علهم يرأفون به، ولكن دون جدوى. وكان ذلك قبل اتصاله بالخلفاء.

---

(1) طبقات ابن المعتز ص112. الفاشفارات: نوع من الطعام. (هامش طبقات ابن المعتز ص113). وقتار: القتار عند العرب ريح الشواء أو الدخان من المطبوخ. (لسان العرب 5/ 71).
(2) ثوب قوهي: قوهي كلمة فارسية وتعني نوع من القماش القطني. (المعجم الذهبي ص446).
(3) الطردين: نوع من الطعام. فارجين: فارسية زعمناها ملعقة. (هامش طبقات ابن المعتز ص113)
(4) طبقات ابن المعتز ص113.

# أبو الشمقمق
## نحو ... ـ ... ـ 180 هـ ـ 795 م

مروان بن محمد، بصري المنشأ والمربى ظل تاريخ ميلاده مجهولاً، وهو خراساني الأصل من بخاربهِ، من موالي الأمويين وخاصة مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية

الشمقمق هو الطويل. عاش في العصر العباسي الأول، فقيراً معدماً، وظل الفقر يلازمه مدة حياته، تنقل سعياً وراء الرزق ولقمة العيش لكي يقيم أود نفسه وأولاده، ويكافح داء الفقر والجوع اللذين أنهكا حياته، ويعتبر ابو الشمقمق أعظم شاعر صعلوك في العصر العباسي الأول، لأن شعره احتُفِظَ به، وظل متداولاً معروفاً على ألسنة الخاصة والعامة، لقربه من قضايا الناس ومصالحهم، ولد أبو الشمقمق على الأرجح في أواخر العصر الأموي في مدينة البصرة، ونشأ في سِكة البخارية في أسرة فقيرة بائسة، يقول ابن عبد ربه في العقد الفريد: إنه كان صعلوكاً متبرماً يلزم بيته في أطمار مسحوقة، وكان إذا استفتح عليه أحد بابه فنظر من فُرَجِه، فإن أعجبه الواقف له فتح له، وإلا سكت عنه[1].

أما أسباب فقره وصعلكته، فهي غير واضحة، فعدا عن أنه عاش في أسرة معدمة، إلا أن الفترة التي ولد ونشأ فيها، شاهدت عهداً جديداً وصراعاً دامياً بين الأمويين وتنكيلهم بهم، وقتلهم ومطاردة ذويهم وأنصارهم، مما خلق أزمة اقتصادية معيشية وبالتالي أثر كل ذلك في مستوى حياة الشاعر، وأسهم في فقره وهو بعد في عنفوان شبابه، وقد يكون لقبح خلقته أَثَرٌ في ابتعاد الناس عنه، وقِلَّةِ

---

(1) طبقات ابن المعتز ـ 125 ـ 128. الوزراء والكتاب 224 ـ 238. د. عطوان ـ صعاليك العصر العباسي الأول ص109 ـ 110.

احتفاء الممدوحين به، فقد كان خفيف العثنون، عظيم الأنف، أهرت الشدقين، مُنكَرَ المنظر، ضيق الصدر، قليل الحيلة، خبيث اللسان، لذلك عاش منبوذاً صعلوكاً محروماً من العطف والشفقة والإحسان إلا ما كان يصله من بعض العمال والقادة وأصدقائه الشعراء، من صلات يسيرة لم تكن تغني من جوع[1].

عاش الشاعر القسم الأول من حياته في مدينة البصرة، وكانت هذه الفترة جافة من حيث علاقاته واتصالاته، لذلك ما ظفر بنوال، ولا حظي بأعطية، وكان يزور بين الفينة والأخرى بشار بن برد الشاعر المشهور، ويسأله بعض الدراهم، وكان بشار يعطيه في العام الطويل بعد العام مائتي درهم دفعاً لشرِّه وخوفاً من لسانه وهجائه، وكان يسميه أبو الشمقمق جزية.

إلا أن ما كان يأخذه من بشار كان زهيداً جداً، ولا يسد حاجته، فصمم على التوجه إلى بغداد حاضرة الخلافة، ومقر الحكم ومصدر السلطات وبيت المال، لعل الحظ يتسم له هناك، وينعم عليه المسؤولون بما يحلم به. وحقق رغبته وقصد بغداد، إلا انه لم يحقق أياً من طموحاته بالتقرب من الوزراء والولاة ونيل جوائزهم وأعطياتهم، بل أنه هجا مروان بن ابي حفصة لأنه رفض أن يعطيه شيئاً من صلة أجراها عليه الخليفة المهدي. وهكذا عاش بعيداً عن الخلفاء والولاة، رغم محاولاته التقرب من البرامكة، ورغم شكواه التي كان يتفوه بها أمام بعض العمال، وقد انقلبت رغبته في مدحهم، إلى هجائهم، فهجا الفضل بن يحيى البرمكي، ومنصور بن زياد أحد كتاب الرشيد وسعيد بن سلم الباهلي، وظل مبعداً مكروها يعيش حياة الغربة والضيق، رغم علاقاته الطيبة التي ربطته بيزيد بن مزيد الشيباني قائد الرشيد، ومالك بن علي الخزاعي وغيرهما ممن كانوا يصلونه ببعض المال، كما أنه كان يبتز بعض الشعراء المشهورين الذين حظوا بجوائز كبرى من الخلفاء والوزراء، كأبي العتاهية وأبي نؤاس، ويذكر أنه قصد يوماً الشاعر سلم الخاسر بعد أن وهبه الرشيد عشرة آلاف درهم، واستماحه وطلب منه إعانةً فرده خائباً، فهجاه هجاء مراً حيث قال[2]:

وإذا سَرَّك يوماً يا خليلي نَيْلُ خيره
قم فَمُرْ راهبك الأصلع يقرغ باب ديره

---

(1) العقد الفريد 2/ 352. العثنون من اللحية: ما نبت على الذقن وتحته سفلاً. الأهرت: الواسع.

(2) الاغاني ـ 3/ 189. د. عطوان ص110.

فأعطاه خمسة دنانير، وطلب منه ألا يعود إلى هجائه والطعن عليه بالفسوق والفجور، وقال له[1]: أحب جعلت فداءك أن تصرف راهبك الأصلع عن باب ديرنا.

ومن الحالات النادرة التي مرت معه، وسر لها لما حصل عليه من مال، أنه قصد يوماً بشار بن برد على عادته يشكو له الحاجة والضيقة، ويحلف له أنه ما عنده شيء، فقال له بشار، و الله ما عندي شيء يغنيكَ، ولكن قم معي إلى عُقبة بن سَلَم، فقام معه، فذكر له أبا الشمقمق وقال: هو شاعر وله شكرٌ وثناء، فأمر له بخمسمائة درهم، فقال له بشار:

يا واحد العرب الذي أمسى وليس له نظير
لو كان مثلك آخر ما كان في الدنيا فقير

فأمر لبشار بألفي درهم، فقال له أبو الشمقمق: نفعتنا ونفعناك يا أبا معاذ، فجعل بشار يضحك[2].

على كل حال. بعد أن خاب ظن أبي الشمقمق في بغداد، وجرت الأمور على غير ما كان يهوى، فظِلُّ الفقر يلازمه ويحيط به، طلب السفر إلى بلاد فارس، وكان قد كبر، وصار في أخرة من عمره، وفي فارس، زار بعض ولاتها وعمالها فاستقبله بعضهم، وازورَّ عنه البعض الآخر، وممن اكرمه منهم أبو دهمان الغلابي والي نيسابور، فنوَّهَ به، أما الآخرين ومنهم جميل بن محفوظ والي أُرَّجان، وعمر بن مساور الكاتب وداود بن بكر الذين كانوا يتقلدون بعض اعمال الأهواز، فقد اعرضوا عنه ولم يستجيبوا له، وصدوه، فهجاهم هجاء مقذعا. ولما لم يحقق مآربه، عاد إلى بغداد، وقضى الشطر الأخير من حياته، ولم تكن الفترات السابقة بأحسن منها، قضاها بائساً حزيناً فقيراً مُقِلاً، وظل تاريخ وفاته مجهولاً كذلك تاريخ ميلاده، والمتواتر، أنه لم يدرك أوائل القرن الثالث الهجري، بل توفي في أواخر القرن الثاني على وجه التقريب[3].

---

(1) الأغاني 19/ 240. د. عطوان ـ العصر العباسي الأول ـ ص111 و112.
(2) الأغاني 3/ 171 و172.
(3) الورقة ص63 و64. د. عطوان ص111 و112.

تسود أشعار أبي الشمقمق روح شعبية عارمة حتى في المديح، وكان يخلط تصوير تعاسته بتعاسة أمثاله من أفراد الشعب، ولذلك كان يقبل عليه الناس ويلتفون حوله. إذ مست اشعاره التي نظمها في الحديث عن فقره وبؤسه قلوب الناس ومشاعرهم، كما لم تمسها أشعار أخرى.

وهكذا يمثل شعره حياته الصعبة الفقيرة المضنية خير تمثيل، تلك الحياة المثقلة بالمعاناة والحرمان والفقر المدقع في تحقيق الطموحات والغايات، كما أنه يمثل سعيه الدائم للحصول على الدراهم حتى لو كانت قليلة، وذلك كي يقيم أوده ويضمن حياته وحياة أولاده، ويعبر أيضاً عما حل به من إخفاق وفشل، جعله يكثر من الهجاء، مبتغياً إذلال مهجويه والنيل من كراماتهم وإهانتهم وجعلهم أضحوكة بين الناس، كما أن شعره ذو نكهة شعبية، بسيط واضح يتسم بسلاسة إيقاعه وسهولة استيعابه ولا نلمح للخيال كبير أثر فيه، ثم إنه ترجمة لواقع العصر الاقتصادي والاجتماعي، ولون من ألوان الشعر المختلفة التي شاعت في العصر العباسي.

ففي أحدى قصائده، يصور أبو الشمقمق إملاق عياله، وهو في الواقع إنما يصور فقر الطبقة العامة الكادحة في المجتمع، التي كانت تعمل لصالح الطبقة المترفة، بينما تعيش هي في المسبغة والشقاء، وأقصى أمنياتها أن تجد الخبز والأدم، وهي على استعداد لأن تسعى إليهما ولو كانا في مكان شاهق، ولكن أنى لها ذلك وقد استهلك الجوع طاقاتها وإمكاناتها:

| | |
|---|---|
| مـا جـمَّـعَ الـنـاسُ لـدنـيـاهـم | أنـفـعُ فـي الـبـيـت مـن الـخـبـز |
| والـخـبـزُ بـالـلـحـم إذا نـلـتـه | فـأنـت فـي مـأمـن مـن الـتـرز[1] |
| وقـد دنـا الـفـطـر وصـبـيـانـنـا | لـيـسـوا بـذي تـمـرٍ ولا أُرُزْ |
| وذاك أن الـدهـر عـاداهـم | عـداوة الـشـاهـيـن لـلـوز |
| فـلـو رأوا خـبـزاً عـلـى شـاهـقٍ | لأسـرعـوا لـلـخـبـز بـالـجـمـز[2] |

(1) الترز: التارز: اليابس الذي لا روح فيه. وترز: مات ويبس - وترز الماء: إذا جمد (لسان العرب 5/ 314 و315).

(2) الجمز: السرعة - وحمار جمزي: وثاب سريع، (لسان العرب 5/ 323).

ولــو أطــاقــوا الــقــفــزَ مــا فــاتــهــم    وكــيــف لــلــجــائــعِ بــالــقــفــزِ[1]

وقد بلغ الإفلاس بأبي الشمقمق مبلغاً بعيداً، حتى ليروى أن أحد أصدقائه دخل عليه يوماً فرأى سوء حاله فقال له: أبشر يا أبا الشمقمق، فإنه روي في بعض الحديث أن العارين في الدنيا هم الكاسون يوم القيامة، فقال ساخراً: إن كان والله ما تقول حقاً أكونن بزازاً يوم القيامة. ثم أنشد مصوراً ما هو عليه من فقر مدقع حتى أصبح كالشبح لا يرى، وتلك مأساة طبقة كبرى في المجتمع العباسي:

أنــا فــي حــالٍ تــعــالــى الــلّـــ    ـــهُ ربــي أي حــال

لــيــس لــي شــيءٌ إذا قــيـــ    ـــلَ لــمــن ذا؟ قــلــت ذا لــي

ولــقــد أهــزلــتُ حــتــى    مَــحَــتِ الــشــمــسُ خــيــالــي

ولــقــد أفــلــســتُ حــتــى    حــلَّ أكــلــي لــعــيــالــي

مــن رأى شــيــئــاً مــحــالا    فــأنــا عــيــنُ الــمــحــالِ[2]

لــو أرى فــي الــنــاس حــراً    لــم أكــن فــي ذا الــمــثــال

وفي قصيدة ساخرة جداً تحدث الشاعر عن منزله الخالي من كل شيء، حتى هربت منه السنانير والجراذين تفتش عن مكان آخر تجد فيه بغيتها، وهذه القصيدة رغم سخريتها اللاذعة، تحمل قضية اجتماعية كبرى وأزمة معيشية خانقة، تعانيها طبقة بائسة في المجتمع، تلك قضية حقوق الإنسان بالعيش الكريم في ظل دولة عادلة تحقق رغد العيش للمواطنين كافة دون تمييز، وهذا ما ما كان مفقوداً في العصر العباسي، وتعتبر هذه القصيدة رسالة موجهة إلى الخلفاء وأولي الأمر، لكي يلتفتوا إلى مصير الشعب ومصالحه الحيوية بعيداً عن الأنانية:

ولــقــد قــلــتُ حــيــن أحــجــرنــي الــبــر    دُ كــمــا تــحــجــرُ الــكــلابُ ثــعــالــة[3]

فــي بُــيَــيْــتٍ مــن الــغــضــارة قــفــر    لــيــس فــيــه إلا الــنــوى والــنــخــالــة

عــطــلــتــه الــجــرذانُ مــن قــلــةِ الــخــيــ    ــرِ وطــارَ الــذبــابُ نــحــو زبــالــة[4]

هــاربــاتٍ مــنــه إلــى كــلِّ خــصــب    حــيــن لــم يــرتــجــيــن مــنــه بُــلالــة

---

(1) طبقات ابن المعتز ص127.

(2) العقد الفريد 2/ 352.

(3) ثعاله: الأنثى من الثعالب. ويقال لجمع الثعلب ثعالب وثعالى. ومنهم من رأى أن الثعلب إذا كان ذكراً يقال له ثعاله ولا يقال ذلك للأنثى. (لسان العرب 11/ 84).

(4) زباله: موضوع في الكوفة. البلالة: النداوة ـ السنانير جمع سنور وهو الهر.

وأقام السنور فيه بشرٍ يسأل الله ذا العلى والجلالة
أن يرى فأرة فلم ير شيئاً ناكساً رأسه لطول الملالة
قلت لما رأيته ناكسَ الرأ سِ كئيباً يمشي على شر حاله
ويكَ صبراً فأنت رأسُ السنانيـ ـر وعللته بحسنِ مقاله[1]
قال: لا صبرَ لي وكيف مقامي في قفار كمثلِ بيد تَبالة[2]

ومنزل الشاعر أدنى من الكوخ، إنه العراء، أو الأرض الممتدة، وسقفه السماء العالية، دون باب أو سرير، وتلك مأساة المأساة، أن لا يجد الإنسان ما يؤويه في الوقت الذي تتعالى فيه القصور الشاهقة، وتقوم الدور الرائعة، على جماجم الفقراء وبعرقهم ودمهم المستهلك:

برزتُ من المنازلِ والقباب فلم يعسرْ على أحدٍ حجابي
فمنزلي الفضاءُ وسقفُ بيتي سماء الله أو قطع السحاب
فأنت إذا أردت دخلتَ بيتي عليّ مسلماً من دون باب
لأني لم أجدْ مصراعَ بابٍ يكونُ من السحاب إلى التراب
ولا انشقَّ الثرى عن عودِ تختٍ أؤملُ أن أشدَّ به ثيابي[3]

وأبو الشمقمق وأمثاله من أفراد الطبقة البائسة في المجتمع العباسي، لم يطالبوا بالمستحيل، بل كانوا ينادون بالمساواة مع باقي أفراد الشعب، والحصول على وسائل الحياة الضرورية التي تكفل لهم البقاء والحياة الكريمة. ويظهر ذلك في رائية أنشدها أبو الشمقمق مشيراً فيها إلى أمنياته في الحياة، معدداً مطالبه البسيطة، وكأن ما قاله بيان مرفوع إلى السلطات الحاكمة، يبين فيه ما تفتقده طبقة مهمة وأساسية في المجتمع، إذ يطلب أرغفة الخبز، وبضعة من الماعز والطيور وقليلاً من الخمر وثوباً ثميناً جميلاً. وبغلة فتية يستعين بها على السفر، وبيتاً له جيران كرماء، ورفيقاً وفياً حليماً، وبعض المال حتى يسعفه في الشدة والأزمات، والشاعر يتخيل هذه الأمور تخيلاً، وكأنه يستبعد وقوعها، لأنه لم يعتد عليها، وهي بالنسبة إليه الأمل بالخلاص من المسبغة والمشقة:

---

(1) الحيوان للجاحظ 5/ 279.
(2) العقد الفريد 2/ 353. تباله: بلد باليمن مخصب مريع. وفي المثل أهون من تباله على الحجاج، إذ أن عبد الملك بن مروان ولى الحجاج أمرتها، إلا أن الحجاج استحقرها ولم يدخلها. (لسان العرب 11/ 76).
(3) العقد الفريد 2/ 353.

مُـنـاي مِـن دنـيـاي هـاتـي الـتـي ... تـسـلـحُ بـالـرزقِ عـلـى غـيـري
الـجـردقُ الـحـاضـرُ مع بـضـعـةٍ ... مِـن مـاعـزٍ رخـصٍ ومِـن طـيـر[1]
وجـرةٌ تـهـدرُ مـلآنـةً ... تـحـكـي قـراة الـقـسِ فـي الـديـرِ
وجـبـةٌ دكـنـاءُ فـضـفـاضـةٌ ... وطـيـلـسـانٌ حـسـنُ الـنَّـيْـر[2]
وبـغـلـةٌ شـهـبـاءُ طـيـارةٌ ... تـطـوي لـي الـبـلـدانَ فـي الـسـيرِ
وبـدرةٌ مـمـلـوءة عـسـجـدا ... مـا بـالـذي أذكـرُ مـن ضـيـر
ومـنـزلٌ فـي خـيـر مـا جـيـرةٍ ... قـد عُـرفـوا بـالـخـيـر والـمـيـر[3]
وصـاحـبٌ يـلـزمـنـي دهـرهُ ... مـثـل لـزوم الـكـيـس لـلـسـيـر
مـسـاعـدٌ يـعـجـبـنـي فـهـمـهُ ... مـرتـفـعُ الـهـمـةِ فـي الـخـيـر[4]

وعلى هذا النحو، كان أبو الشمقمق يتحدث لا عن نفسه فقط، بل عن أفراد الطبقة الفقيرة البائسة في المجتمع العباسي، مثيراً بذلك قضية خطرة تدين السلطات الحاكمة آنذاك، وأهل اليسر والترف والثراء الفاحش، وكان أسلوب الشاعر سهلاً واضحاً يجري بيسر على الألسنة، ولذلك كان شعره حديث الناس، يردده الصبيان وأفراد الطبقات الشعبية لأنه يمس قضاياهم ويتحدث عن معاناتهم.

ويأبى الحظ العاثر إلا أن يلاحق أبا الشمقمق، فهو لا يظفر بشيء أنى ذهب وحيثما توجه، حتى ليتوهم أنه لو خاض عباب البحر لجف وغار، ولو أمسك براحتيه بالياقوتة لتحولت زجاجاً، ولو ورد عذب الماء الفرات صار في فمه ملحاً أجاجاً، وهذا الأمر من الصور الجديدة التي تكشف عن معاناة الصعاليك الفقراء ووسائلهم في التعبير عن فقرهم وسوء طالعهم[5]:

لـو ركـبـتُ الـبـحـارَ صـارت فـجـاجـاً ... لا تـرى فـي مـتـونِـهَـا أمـواجـا
ولـو أنـي وضـعـتُ يـاقـوتـةً حـمـ ... ـراءَ فـي راحـتـي لـصـارتْ زجـاجـا
ولـو انـي وردتُ عـذبـاً فـراتـا ... عـادَ لا شـكَّ فـيـه مـلـحـاً أجـاجـا

(1) الجردق: الرغيف الرخص الطري.
(2) النير: القصب والخيوط إذا اجتمعت ـ (لسان العرب 5/ 246).
(3) المير: اجتلاب الطعام ـ (لسان العرب 5/ 188).
(4) د. عطوان ـ الشعراء الصعاليك في العصر العباسي الأول ص99 و100.
(5) كتاب الورقة ـ ص57 ـ د. عطوان صعاليك العصر العباسي الأول ـ ص92.

ومما كان يتمناه أبو الشمقمق ويحلم به في حياته أن ينجيه الله من التعب والمشقة، والعناء، لكثرة ما سار على قدميه، وأن يهبه بعيراً يحمله أنى ذهب[1]:

أتراني أرى من الدهرِ يوماً لي فيه مطيةٌ غيرُ رحلي
كلما كنتُ في جميع فقالوا: قربوا الرحيل قربتُ نعلي
حثيما كنتُ لا أخلّفُ رَحْلاً من رآني فقد رآني ورحلي

ودائماً يطوف على قدميه، فقد أخذ الفقر منه كل مأخذ، وها هو يصور رحلته إلى يزيد بن مزيد الشيباني عندما كان والياً على اليمن، إذ أرتحل راجلاً، ووصل إليه وهو مجهد متهالك في حال يرثى لها، فمدحه وشرح له ما حلَّ به، تلك سميفونية الصعاليك الفقراء الجدد، الشكوى وتصوير الحال بأسلوب ساخر هازئ، ينتقد الاوضاع الاجتماعية[2]:

رحل المطي إليك طلابُ الندى ورحلتُ نحوك ناقة نعلية
إذْ لم تكنْ لي يا يزيدُ مطيةً فجعلتها لي في السِّفار مطيَّةْ
تحدو أمام اليَعْمُلاَتِ وتعتلي في السير تترك خلفها المهرية[3]
تنتأب أكبرَ وائلٍ في بيتها حسباً وقُبَّةُ مجدها مَبْنِيَّةْ
أعني يزيداً سيفَ آلِ محمدٍ فَرَّاجَ كُلَّ شديدةٍ مخشِيَّة
يوماه يومٌ للمواهب والجَدَا خضِلٌ ويومُ دمٍ وخطفِ منيَّة
ولقد أتيتُكَ واثقاً بك عالماً أنْ لستَ تسمَعُ مِدحة بِنَسيَّةْ

فأعطاه الف دينار مكافأة ومساعدة.

والمدحة هنا كما نراها، وعند سائر الصعاليك الفقراء، لا تحتوي على عناصر المدح التقليدية ولا على الثناء على الممدوح فقط، بل ربما تكون هذه قليلة جداً، إنما يخصص أكثرها للشكوى، ووصف الحال والاستعطاف وطلب المساعدة.

ويشتط الأمر بالصعاليك الفقراء إلى الهجاء المقيت العنيف، إذ يصبون جام غضبهم على مهجويِّهم، وينعتونهم بأشد العبارات، وقد تخرج أحياناً عن المألوف، وتعبر عن السخط اللاذع، كما فعل ابو الشمقمق عندما حقَّرَ أحد

(1) المحاسن والمساوئ ـ ص278. د. عطوان ـ صعاليك العصر العباسي الأول ـ ص91.
(2) تاريخ بغداد 13/ 146. د. عطوان ـ صعاليك العصر العباسي الأول ـ ص98 و99.
(3) اليعملات: جمع يعمله، وهي الناقة الفتية السريعة ـ المهرية: نوع من النوق الكرام.

مهجويه أشد التحقير، لأنه حرمه بعض المال، ويذهب في تحقيره والنيل منه مبلغاً بعيداً، ويسرف في تصوير بخله وشحه، وعبادته للمال وحرصه عليه حرصاً يُذهب منه كل كرامة وشرف وعزة ومروءة، هذا ما أسبغه ابو الشمقمق على معبد قائلاً[1]:

يا من يؤمِّل معبداً    من بين أهلِ زمانهِ
لو أن في استك درهماً    لاستلَّه بلسانه

وله يهجو ابن البختكان، وكان خبيث اللسان[2]:

ومحتجب والناس لا يقربونه    وقد مات هزلاً من ورا الباب حاجبه
إذا قيل من ذا مقبلاً قيل: لا أحد    وإن قيل من ذا خلفه؟ قيل كاتبه

أو من دالية له، يهجو فيها سعيد بن مسلم الباهلي أحد القادة العباسيين، وقد مزج أبو الشمقمق هذا الهجاء بالتحقير والإزراء له والسخرية منه، علاوة على أنه أشار إلى بخله الشديد، حتى أنه لو ملك البحار جميعها لما تبرع منها بشربة إلى سائله، فكيف إذا كان هذا السائل أبوه سلم، وتكشف هذه الصورة عن نفس أنانية شديدة الحرص والبخل تحب أن تحتفظ بكل شيء لها دون الآخرين[3]:

هيهات تضربُ في حديد باردٍ    إن كنتَ تطمعُ في نوالِ سعيدِ
واللهِ لو ملكَ البحارَ بأسرها    وأتاهُ سَلْمٌ في زمان مُدود[4]
يبغيه منها شربةً لِطَهُورِهِ    لأَبى وقال: تَيَمَّمَن بصعيدِ

ويجمع أبو الشمقمق المدح والذم في قصيدة واحدة، بعد أن قارن بين مالك الخزاعي الجواد الكريم وبين سعيد الباهلي البخيل المقتر، شديد الحرص[5]:

قد مررنا بمالك فوجدناه    جواداً إلى المكارم ينمي
ما يبالي أتاه ضيف محقٌ    أم اتته يأجوج من خلف ردم
فانتهينا إلى سعيد بن سلم    فإذا ضيفه من الجوع يرمي
وإذا خبزه عليه سيكفيكهم    الله ما بدا ضوء نجم

---

(1) معجم الشعراء ص319. د. عطوان صعاليك العصر العباسي الأول ـ ص102.

(2) طبقات الشعراء لابن المعتز ـ ص128.

(3) الكامل للمبرد ـ مكتبة المعارف ـ بيروت ـ 2/ 25. د. عطوان ـ الشعراء الصعاليك في العصر العباسي الأول ص102 ـ 103.

(4) مُدود: جمع مد، وهو كثرة الماء وزيادته.

(5) الكامل للمبرد: 2/ 24.

فارتحلنا من عند هذا بحمد وارتحلنا من عند هذا بذمِ

أو قوله وهو يهجو جميل بن محفوظ الأزدي، عامل يحيى بن خالد البرمكي، فهو يرميه بالمجونِ والزندقة والفسق والفجور، مذكراً إياه بما كان عليه من الضعة ودنو الشأن والمكانة قبل أن يصبح قريباً من السلطان غنياً[1]:

وهذا جميلٌ على بغلِهِ وقد كان يعدو على رجلِهِ
وقد زعموا أنه كافرٌ وأن التزندقَ من شكله
كأني به قد دعاه الإمامُ وآذن ربُّك في قتلِهِ

ولا أظن أن هناك هجاء أمر من هجاء ابي الشمقمق لداود بن بكر والي الأهواز وفارس، فبعد أن مدحه، لم يحتفل الوالي به، ولم يهبه شيئاً، فانطلق يهجوه بألسنة حداد، في سخرية لاذعة وتهشيم لا مثيل له[2]:

وله لحية تيسٍ وله منقار نسر
وله نكهة ليثٍ خالطتْ نكهةَ صقرِ

ولما قصد عمر بن مساور وكان والياً على بعض أعمال الاهواز، مدحه في بداية الأمر، ولما لم يُلاق احتفاء واهتماماً ومساعدة، أخذ يهجوه ويشهِّرُ به[3]:

أنا بالأهواز جار لِعمرْ لعظيم زعموا ضخم الخطرْ
لا يُرى منه علينا أثرْ لا يكون الجودُ إلاَ بأثر
إن تكنْ وِرْقُكَ عنا عجزت يا ابا حفص فجُدْ لي بحجر
يكسرُ الجوز به صبياننا وإذا ما حضر اللوز كُسِرْ

هكذا بكل هذه السخرية اللاذعة يتناول الشاعر غريمه، الذي يقصر رغم غناه عن التضحية بحجر.

ويندد أبو الشمقمق ممن يتسترون بالتقوى والورع، وهم يخدعون الناس ليخفوا ما هم عليه من انحراف، وما يقترفونه من دنايا وكبائر[4]:

إذا حجبت بمال أصله دِنسُ فما حجبت ولكن حجَّتِ العِير

---

(1) الحيوان 4/ 161 ـ 168. د. عطوان ـ ص103.

(2) الكامل للمبرد ـ 2/ 53 مكتبة المعارف بيروت. د. عطوان. صعاليك العصر العباسي الأول ـ ص68.

(3) الجهشياري ـ الوزراء والكتاب ص232.

(4) معجم الشعراء للمرزباني ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ط2 ـ 1982م. ص397.

لا يـقـبـل الله إلا كـل طـيـبـة    مـا كـل مـن حـج بـيـت الله مـبـرور

وهذا أمر شائع في أي مجتمع، وما موقف أبي الشمقمق هذا من هؤلاء إلا لسوء علاقته بهم ولا نصرافهم عن مساعدته.

ذكر ابن المعتز في طبقات الشعراء أن إعرابياً مَرَّ بأبي الشمقمق الشاعر فقال له: يا اعرابي، قال: ما تشاء؟ قال: أتقول الشعر؟ قال: بعضه. قال خذ هذا الدرهم واهجني. قال: فأطرق الاعرابي هنيهة ثم قال: ما رأيت أحداً يشتري الهجو بالثمن غيرك[1].

ومن الفرص النادرة التي حظي بها شيخ الصعاليك العباسيين أبو الشمقمق، أنه لما ولى الخليفة العباسي المأمون خالد بن يزيد بن مزيد الموصل، خرج معه أبو الشمقمق، فلما كان وقت دخوله البلد اندقَّ اللواء، «وهذا الأمر يعتبر نذير شؤم»، فتطير خالد لذلك، واغتمَّ غماً شديداً، فقال أبو الشمقمق فيه:

مـا كـان مـنـدق الـلـواء لِـريـبـةٍ    تُـخـشـى ولا سـبـبٍ يـكـون مُـزيَّـلا

لـكـنْ رأى صـغـر الـولايـة فـانـثـنـى    مـتـقـصِّـداً لـمـا اسـتـقـلَّ الـمـوصـلا

وكتب أصحاب الأخبار بذلك إلى المأمون، فولى خالداً ديار ربيعة كلها، وكتب إليه: هذا لأستقلال لوائك ولاية الموصل، وأحسن إلى أبي الشمقمق، ووصله بعشرة آلاف درهم[2].

ويرد أبو الشمقمق أزورار الناس عنه، وابتعادهم عن مساعدته، ومد يد العون له، إلى ما هم فيه من لؤم وحقارة، وتفكك في علاقاتهم الاجتماعية الانسانية، فبعد أن رحل مواليه الذين كانوا يغدقون عليه الأعطيات، ويهبون لانقاذه في كل ضائقة كان يتعرض لها، لم يعد للآخرين من العرب اي شأن في المجتمع، فقد تخلى من نزل منهم إلى المدن عن حميتهم ونخوتهم، فلا يصدر منهم سوى الوعود البراقة والكلام المعسول[3]:

ذهـب الـمَـوَال فـلا مـوا    لِ وقـد فـجـعـنـا بـالـعـربْ

(1) طبقات الشعراء لابن المعتز. ص125 و126.

(2) طبقات الشعراء لابن المعتز ـ ص129.

(3) طبقات ابن المعتز ـ ص129. د. عطوان ـ صعاليك العصر العباسي الأول ـ ص93.

إلا بـقـايـا أصـبـحـوا بـالـمـصـر مـن قِـشـر الـقـصـبْ
بـالـقـول بـذوا حـاتـمـاً والـعـقـل ريـحٌ فـي الـقِـربْ

هكذا تعددت وسائل الصعاليك الفقراء الهجائين، وأصبح من جملتها انتقادهم للمفاسد الاجتماعية، وإن كانوا قد ربطوها بذهاب مصالحهم الخاصة، كما كانوا ينادون بالمساواة والعدل في توزيع الحقوق والحظوظ.

# أبو فرعون الساسي[1]

أبو فرعون الساسي التيمي العدوي، من عدي الرباب، اسمه شويس، أعرابي بدوي، قدم من البصرة يسأل الناس فيها، وكان أفصح الناس وأجودهم شعراً، وأكثرهم نادرة.

أخبار هذا الشاعر قليلة جداً، فلا أثر لتاريخ ولادته أو وفاته ولا لمكان نشأته، وجل ما نعرفه أنه عاش في العصر العباسي الأول، وكان معتاداً على الكدية والسؤال.

والساسي أحد الشعراء الصعاليك الذين مثلوا حياة الطبقة الاجتماعية البائسة المعدمة خير تمثيل، فقد صور تصويراً دقيقاً حياة البؤس والحاجة التي كان يرزح تحتها لا هو وحده فقط، وإنما جماهير الشعب الكادح.

ولعل نوادر الساسي التي كان يوشح بها بعض قصائده، كانت تعويضاً عما كان يعانيه من ذل السؤال وألم الفقر، وكانت أشعاره صورة حية لطبيعة الحياة التي كان يحياها هو وعائلته في ظل نظام إقطاعي ديكتاتوري جائر، وحكم طبقي مستغل، تحرم فيه الطبقات البائسة من الحياة الحرة الكريمة، وخير ما يمثل ذلك أرجوزة يصور فيها جوع عياله وحياتهم المنهكة الصعبة في الشتاء القارس حين كانوا يبيتون عراة:

وصِبْيَةٍ مثل صغارِ الذر
سود الوجوهِ كسواد القدر
جاءهم البردُ وهم بِشَر
بغيرِ قُمص وبغير أُزْرِ

---

(1) طبقات ابن المعتز ص375 والورقة ص53.

تــــراهـــــم بـــــعـــــد صـــــلاة الـــــعـــــصـــــر
بـــــعـــــضـــــهُـــــم مـــــلـــــتـــــصـــــقٌ بـــــصـــــدري
وآخـــــرٌ مـــــلـــــتـــــصـــــقٌ بـــــظـــــهـــــري
إذا بـــــكـــــوا عـــــلـــــلـــــتـــــهـــــم بـــــالـــــفـــــجـــــرِ
حـــــتـــــى إذا لاحَ عـــــمـــــودُ الـــــفـــــجـــــرِ
ولاحـــــت الـــــشـــــمـــــسُ خـــــرجـــــتُ أســـــري
عـــــنـــــهـــــم وحـــــلـــــوا بـــــأصـــــولِ الـــــجُـــــدر
كـــــأنـــــهـــــم خـــــنـــــافـــــسُ فـــــي جُـــــحْـــــرِ
فـــــارحـــــم عـــــيـــــالـــــي وتـــــولَّ أمـــــري
كـــــنَّـــــيْـــــتُ نـــــفـــــســـــي كـــــنـــــيـــــة فـــــي شـــــعـــــري
أنـــــا أبـــــو الـــــفـــــقـــــر وأم الـــــفـــــقـــــر[1]

فأولاد الشاعر صغار جداً، سود الوجوه كسواد القدر، يتحلقون حوله طالبين المساعدة على فك غائلة الجوع والحرمان، يمضون النهار جائعين عراة، حتى إذا حلت صلاة العصر التصقوا بابيهم وهو يمنِّيهم بالفجر القادم عله يحمل إليهم الجديد، وما هو إلا وقت خروجه للتسول.

وله قطعة أخرى يصور فيها إغلاقه باب بيته، ليس خوفاً من السرقة، بل حتى لا يبصر من يمر به ما يعيش فيه من الشقاء والتعاسة:

لـيـس إغـلاقـي لـبـابـي أن لـي ... فـيـه مـا أخـشـى عـلـيـه الـسَّـرِقـا
إنـمـا أغـلـقـه كـي لا يـرى ... سـوء حـالـي مـن يـجـوبُ الـطـرقـا
مـنـزلٌ أوطـنـه الـفـقـرُ فـلـو ... دخـلَ الـسـارقُ فـيـه سُـرقـا
لا تـرانـي كـاذبـاً فـي وصـفـه ... لـو تـراهُ قـلـتَ لـي قـد صـدقـا[2]

وفي ميميته التي وجهها إلى الحسن بن سهل، صرخة مدوية إلى أولي الأمر، كي يرفعوا الحيف عن تلك الطبقة المسكينة في المجتمع العباسي، وينقذوا ماء الوجوه من هوان التسول وذل السؤال[3]:

إلـيـك أشـكـو صـبـيـةً وأمَّـهُـم ... لا يـشـبـعـون وأبـوهـم مـثـلُـهُـم

(1) طبقات ابن المعتز ص375 و376 والورقة ص53 ـ 55.
(2) طبقات ابن المعتز ص376.
(3) طبقات ابن المعتز ص377.

لا يعرفون الخبزَ إلا بإسمه والتمرَ هيهات فليس عندهم
وما رأوا فاكهةً في سوقها وما رأوها وهي تنحو نحوهم
زُغر الرؤوسِ، قرعت هاماتهم من البلا واستك منهم سمعهم
كأنهم جنابُ أرضٍ مجدبِ محلٌ فلو يُعْطَوْن أوجى سَمهُهُم[1]
بل لو تراهم لعلمتَ أنهم قومٌ قليلٌ ريُّهم وشبعهم
وجحشهم أجرب منقورُ القرَى ومثلُ أعوادِ الشُّكاعي كلبهم[2]
كأنهم كانوا وإن وليتهم طراً ـ مواليَّ وكنت عبدَهمْ

فمن المآسي العظام حقاً أن لا يعرف بعض الناس طعم الخبز ولا يرون التمر والفاكهة في مجتمع يغرق بالنعيم حتى أخمص قدميه، وليست تلك مشكلة الساسي وحده وعائلته، بل هي مشكلة فئة كبيرة في المجتمع العباسي، هزت أركان الحكم فيه ودفعته إلى شفير الهاوية.

كما وصف ملازمة الفقر له، حتى أفناه وأبلاه، ولم يبق فيه إلا العظام البالية التي عشش وسكن فيها العنكبوت، أما تنوره فقد نبت فيه العشب لعدم استعماله، إذ ليس عنده شيء من القمح يطحنه ويخبزه فيه:

أنا أبو فرعون فاعرفْ كنيتي حلَّ أبو عمرةَ في حجرتي[3]
وحلَّ نسجُ العنكبوتِ برمتي أعشبَ تنوري وقَلَّتْ حِنطتي[4]

وإذ ييأس من طلاق الفقر، يتوجه إلى بعض القضاة بالبصرة يتظلم إليه ويسأله العون على (أبي عمرة) رمز الفقر الذي لازم بيته:

يا قاضيَ البصرةِ ذا الوجهِ الأغرْ إليك أشكو ما مضى وما غبرْ
عفا زمانٌ وشتاءٌ قد حضرْ إنَّ أبا عمرةَ في بيتي انحجرْ
يضربُ بالدفِ وإن شاء زَمَرْ فاطردْه عني بدقيقٍ يُنتظر[5]

---

(1) أوجى سهمهم: أخطأ ولم يصب الهدف. وأوجأ: جاء في طلب حاجة أو صيد فلم يصبه (اللسان 1/ 191. و15/ 379).

(2) القرى: الظهر أو وسط الظهر وتثنيته قريان وقروان وجمعه أقراء، وقروان ـ (لسان العرب 15/ 176).
الشكاعي: نبت دقيق العيدان ـ والشكاعي شجرة صغيرة ذات شوك زهرتها حمراء، والشكاعي دقيقة العيدان صغيرة خضراء والناس يتداوون بها خاصة للبطن ـ (لسان العرب 8/ 185).

(3) أبو عمره: صاحب شرطة المختار بن عبيد الله الثقفي، وكان لا ينزل بقوم إلا اجتاحهم فصار مثلاً لكل شؤم وشر. وأبو عمرة هنا رمز واسم للجوع.

(4) الإمتاع والمؤانسة 2/ 53.

(5) الإمتاع والمؤانسة 3/ 34.

وفي خطابه لابنته صورة عن حياته المثقلة بالمآسي والأحزان، فقد هده الزمان، وملـه الأهل والأخوان، ومنعه الناس، ولم يبق إلا أن يستعين بالله رب العالمين:

بُنيتي هدني الزمانُ ومـلني الأهلونَ والاخوان
ردَّ فلان وجفا فلان والله رب الناس مستعان[1]

وأخيراً أليس كل ما ذكره فرعون الساسي يعبر عن مآسي فئة عريضة في المجتمع العباسي، وعن نقمة عارمة وثورة دفينة وجدت متنفسها في هذا الشعر الذي يحمل في أعماقه سخطاً على السلطة وأربابها.

وكغيره من الشعراء الصعاليك الفقراء الهجائين، لجأ ابو فرعون الساسي، إلى وسيلة الهجاء، لعلها تجدي في إثارة نخوة المهجو، علماً ان الهجاء ذا حدين في نتائجه إما سلبي أو إيجابي، ولنسمعه يهجو تاجراً وينعته بالبخل الشديد، ويتناوله بالاستخفاف والازدراء، فهو قلما يجود، وان جاد فبالقليل القليل[2]:

ولا يريمُ الدهرَ من مكانه أشجعُ من ليث على دكانه
لا يطمعُ السائلُ في رغفانهِ أعطاني الفلسَ على هوانهِ

ومن هجائه المر، تعرضه لقومه، وقد خذلوه وتطاولوا عليه ونالوا منه:

إن عدياً نفشت لحاها وظلمت في حقها أخاها
لا يرني الله كما أراها

وكان الساسي التميمي العدوي يتسول في البصرة، ولا يصبر عن الكدية هناك، طلباً للرزق وسداً للحاجة والفقر[3].

---

(1) الورقة ص54.
(2) الورقة: ص54. د. عطوان الشعراء الصعاليك في العصر العباسي الأول ـ ص100 و101.
(3) الورقة ص55. طبقات ابن المعتز. د. عطوان الشعراء الصعاليك في العصر العباسي الأول ص107.

# أبو المخفَّفْ
## عاذر بن شاكر[1]

أبو المخفف، عاذر بن شاكر، كان في أيام المأمون وبعد ذلك ببغداد، وله أشعار في وصف الخبز، وكان شاعراً مقلاً ولكنه كان طريفاً طيباً. عاش في حرمان وبؤس، وكان يدور في بغداد يسأل الناس حتى كسرة الخبز. ومعظم شعره يدور حول وصف الرغيف الذي كان شغله الشاغل وهمه في الحياة، وكان هو وأمثاله من البؤساء المسحوقين يعيشون على الكسر اليابسة يتبلغون بها. ولم يكن المسؤولون والحكام يسمعون أصواتهم ومعاناتهم، لأنهم كانوا يصمون آذانهم عنها، غير مبالين بها وبما يترتب عليها من نتائج سلبية على صعيد وجود دولة الخلافة وسلطتها.

والرغيف هو هدف الشاعر الأسمى، لذلك دعا إلى ترك الحديث عن الأطلال والقفار والخمرة ونبذ التغزل والاستعاضة عن كل ذلك بالسعي وراء الرغيف علة الوجود والبقاء، وكان قلبه المحروم يمتلئ به حباً وصبابة وشغفاً ووجداً:

دعْ عنك رسمَ الديارِ ... ودعْ صفاتَ القفار
وعد عن ذكرِ قومٍ ... قد أكثروا في العقار
ودعْ صفاتِ الزنانيـ ... ـر في خصور العذارى[2]
وصفْ رغيفاً سريا ... حكته شمسُ النهار
فليس يحسن إلا ... في وصفهِ أشعاري

(1) كتاب الورقة ص114 و115.

(2) العذارى: الفتيات اللواتي ما زلن بكرا. وجارية عذراء: بكر لم يمسها رجل (لسان العرب 4/ 551).

وذاك أنـــي قـــديـــمـــاً خـــلـــعـــتُ فـيــه عـــذاري[1]

وكان أبو المخفف يضطر إلى التسول، دفعاً لأزمة الجوع والحرمان، إذ كان يركب حماراً، وتركب جارية له حماراً آخر ـ وتحتها خرج ـ ويدور بغداد ولا يمر بذي سلطان ولا تاجر ولا صانع إلا أخذ منه شيئاً يسيراً، مثل قطعة أو رغيف أو كسرة، وكان له دفتر فيه أسماء كل من له عليه وظيفة وعلى الدفتر مكتوب:

دفـــتـــرٌ فـــيـــه أســـامـــي كـــل قـــرمٍ وهـــمـــام
وكـــريـــم يـــظـــهـــر الـــبـــشـــرَ لـــنـــا عـــنـــد الـــســـلام
يـــوجـــبُ الـــنـــصـــف عـــلـــه حـــاتـــمـــاً فـــي كـــل عـــام
أو فـــلـــوســـاً كـــل شـــهـــر لـــثـــلاثـــيـــن تـــمـــام[2]

وذكر الرغيف كما أسلفنا لا يبارح مخيلة الشاعر ولا يفارق عقله وقلبه قط. لقد طلق الدنيا وما فيها من مغان وحسان وأطلال، ومدح الرغيف نجم الليل، والمعشوق المحبب/ ولذلك فمن السفه منعه عن المحتاجين، لأنه هبة ونعمة ينبغي تركها وتقديمها:

جـــانـــبـــتُ وصـــلَ الـــغـــانـــيـــات وصـــحـــوتُ عـــن وصـــلِ الـــلـــواتـــي
نـــعـــمـــت بـــهـــن عـــيـــون مـــن واصـــلـــنـــه حـــتـــى الـــمـــمـــات
فـــدعِ الـــطـــلـــولَ لـــجـــاهـــلٍ يـــبـــكـــي الـــديـــارَ الـــخـــالـــيـــات
ودعِ الـــمـــديـــحَ لأمـــردٍ ولـــخـــادم ولـــغـــانـــيـــات
وامـــدحْ رغـــيـــفـــاً زانـــه حـــرفٌ يـــجـــل عـــن الـــصـــفـــات
يـــدعُ الـــحـــلـــيـــمَ مـــولـــهـــاً حـــيـــرانَ يـــغـــلـــط فـــي الـــصـــلاة
وكـــأنـــمـــا نـــقـــش الـــرغـــيـــف نـــجـــوم لـــيـــل طـــالـــعـــات
مـــنـــع الـــرغـــيـــف ســـفـــاهـــة تـــرك الـــرغـــيـــف مـــن الـــهـــبـــات[3]

وكان يخاطب كبار القوم متهماً إياهم بالمماطلة والتسويف في واجباتهم نحو الطبقة المسحوقة في المجتمع العباسي، طبقة الصغار كما يقول:

إذا كـــنـــتـــم الـــكـــبـــار وكـــنـــا لـــكـــم الـــصـــغـــار

(1) الورقة ص115. عذارى: حيائي ـ وخلع العذار أي الحياء، ويقال للمنهمك في الغي: خلع عذاره. (لسان العرب 4/ 550).
(2) كتاب الورقة ص116.
(3) الورقة ص115.

وصـــرتـــم تـــمـــاطـــلـــون مـــتـــى يـــقـــضـــم الـــحـــمـــار[1]

وإذا كان عاذر بن شاكر الشاعر المتصعلك يتصدق ويسأل، ويطوف الأسواق بغية حاجته، فقد كان وراءه كثيرون يحسبهم الجاهل بهم أغنياء من التعفف، لأنهم لعزة نفوسهم لا يمدون أيديهم إلى أحد للسؤال، وربما احتاجوا إلى كسرة الخبز فلم يجدوها.

ومن يدري؟ لعل أبا المخفف أيضاً كان يمكن أن يكون واحداً من هؤلاء، لولا زراية حاله ومأساويتها ومرارتها، هذه الحالة التي ألجأته إلى الكدية، والتي تبقى عند الكثيرين المنفذ الوحيد إلى الرغيف وإلى إقامة أود الروح والأولاد. وبعد، فرغم سذاجة هذه الأبيات، ألا نرى أنها تحمل في أعماقها نفساً من عدم الرضا وإرهاصاً للثورة الهادفة الواعدة، فهي كالبحر الهادئ يحمل في أعماقه احتمالات الموج والعواصف.

من ثم يدعو أبو المخفَّفْ إلى عدم لومه على ما يقوم به، فلشدة شوقه للرغيف، أصبح ينظر إليه نظرة المحب، الذائب للحصول عليه، في ظل ما يعانيه من فقر مدقع، وقع فيه الشعراء الصعاليك الفقراء، إنها وسائل جديدة استعملها الصعاليك في العصر العباسي، تعبيراً عما يعانونه ويشعرون به، يقول الشاعر[2]:

دع عـــنـــك لـــومـــي يـــا عـــذو ل فـــلـــســـت أفـــهـــم مـــا تـــقـــول
إن الـــرغـــيـــف مـــحـــبـــبٌ فـــي الـــنـــاس مـــطـــلـــبـــه جـــمـــيـــل
وشْـــطَ حـــروفـــه عـــرق نـــبـــيـــل لا ســـيـــمـــا إن كـــان
وثـــلاثـــة مـــن بـــعـــده يـــشـــفـــي فـــؤادي والـــغـــلـــيـــل

وفي لفتة نقدية عارمة للسلطات الحاكمة، ينطلق عاذر بن شاكر في لوم المسؤولين لأنهم يهملون الضعفاء والمساكين، ويماطلون في تادية حقوقهم الاجتماعية[3]:

إذا كـــنـــتـــم الـــكـــبـــار وكـــنـــا لـــكـــم الـــصـــغـــار
وصـــرتـــمْ تـــمـــاطـــلـــون مـــتـــى يـــقـــضـــم الـــحـــمـــار

(1) الورقة ص116.
(2) الورقة ص116.
(3) الورقة ص116.

# العباس بن طرخان

ابو الينبعي، العباس بن طرخان، من الشعراء الصعاليك الفقراء الهجائين في العصر العباسي، كان هجاءً سريع الفحش، شديداً جيد البديهة خبيث اللسان، سريعاً إلى أعراض الناس، يهجوهم ويقطعهم، كما كان لا يتورع عن اتهامهم في شرفهم بالسباب اللاذع، والشتائم القاسية، بأقبح الألفاظ، وأرق وأسهل الأساليب، التي تشيع بسهولة على ألسن الخاصة والعامة، ويتناقلها الصبية، ويتندرون بها، حتى تصبح عاراً يرافق مهجوه طيلة عمره، ويذهب بعد ذلك سبة مدى الدهر، ولم يكن هذا الشاعر يخشى أي إنسان مهما علا شأنه، ورقت منزلته، وبلغت سطوته، حتى أنه تعرض للوزير يحيى بن خالد البرمكي في موكبه، ومعه وجوه الناس من مرافقين وأتباع، علاوة على ولديه: الفضل وجعفر عن يمنيه وشماله، وأخذ يتناوله ويشهر به غير عابئ بالنتيجة التي يمكن أن تنجم عن هذا الفعل حيث قال:

صحبت البرامك عشراً ولا ... فخبزي شراءٌ وبيتي كِرا

فهو لم يجن من صحبته البرامكة شيئاً بعد أن صحبهم عشر سنوات، فقد ظل يشتري الخبز بماله ويكتري المنزل دون أن يلقى منهم مساعدة.

وما أن عاد العباس إلى بيته حتى وصلته بدرتين ذهباً من كل من جعفر والفضل، واجريا له من مطبخهما ما يكفيه من الزاد[1].

وقد لخص أبو الينبعي في بيتين اثنين قريبين كثيراً من عامة الشعب من حيث السهولة والبساطة كما أنهما لا يعبران عن مشاكله هو عن نفسه، وإنما يتمثل فيهما

---

(1) طبقات ابن المعتز ـ ص131 و132. الوزراء والكتاب للجهشياري ـ ص201. د. عطوان ـ الشعراء الصعاليك في العصر العباسي الأول ـ ص101 و102.

روح الشعب، ويتحدث باسم المعذبين والمساكين، حتى أن البيت الثاني ذهب مثلاً، وطار في الآفاق وحفظه الناس، وكان يُنشد في كل مجلس ولقاء أو سوق وطريق[1]:

صبراً على الذلِ والصغارِ     يا خالقَ الليلِ والنهارِ
كم من حمارٍ على جوادِ     ومن جوادٍ بلا حمارِ

أما فقر العباس بن طرخان، فقد دفعه إلى الكدية والاستعطاء من الناس، وطلب عطفهم، وقد علل في شعره هذا التصرف الذي لجأ إليه شأنه شأن الآخرين من الشعراء الصعاليك الفقراء، فهو إنما كان يعمد إلى التسول في أوقات الشدة والضيق والحاجة الملحة القاتلة، فالله ابتلاه ولم ييسر أموره ولا أغناه، وقد أشار إلى ذلك في أبيات خفيفة سهلة رواها كل الناس وسار في الدنيا بسهولة ويسر[2]:

ألا يا ملك الناس     وخير الناس للناس
أتنهاني عن الناس     فأغنيني عن الناس
وإلا فَدَع الناس     ودعني أسأل الناس
فهل سُمِّعْتَ في الناس     بشعر كلُّهُ الناس

وفي شريط حياة ابن طرخان، انه مات في السجن بعد أن اودع به لأنه هجا الفضل بن مروان، وكان هذا الأخير قد اوشى به إلى الخليفة العباسي الواثق، وأوهمه أنه هجاه[3].

---

(1) طبقات ابن المعتز ـ ص130. المحاسن والمساوئ ـ ص27. د. عطوان ـ صعاليك العصر العباسي الأول ص93.

(2) طبقات ابن المعتز ـ 131 ـ د. عطوان ـ صعاليك العصر العباسي الأول ص107.

(3) طبقات ابن المعتز ـ ص131.

# عمرو بن الهدير

أحد الشعراء الصعاليك الفقراء البائسين في العصر العباسي، عاش حياة الفقر والحيرة، كما يروي في بائيته المشبعة بالألم النفسي والحسرة والمرارة، والحظ العاثر التعيس، وسوء الحال وضيق اليد وقلة الرزق، والضياع والجوع القاتل ومرارة الظروف القاسية التي لم تكن إلا لتزداد عمقاً وهوَّةً[1]:

وقفتُ فلا أدري إلى أين أذهبُ ... وأيُّ أموري بالعزيمةِ أركبُ
عجبتُ لأقدارٍ عليَّ تتابعتْ ... بنحسٍ فأفنى طولَ عمري التعجبُ
ولما طلبتُ الرزقَ فانجدَّ حبلُهُ ... ولم يصفُ لي من بحرهِ العذبِ مشربُ[2]
خطبتُ إلى الإعدام إحدى بناتهِ ... لدفعِ الغنى إياي إذ جئتُ أخطبُ[3]
فَزَوَّجَنِيهَا ثم جاء جهازُها ... وفيه من الحرمان تختٌ ومشَجبُ[4]
فأَوْلَدْتُهَا الحُرْفَ النقِّي فما له ... على الأرضِ غيري والدٌ حين يُنسبُ[5]
فلو تهتُ في البيداء والليلُ مسبلٌ ... عليَّ جناحيه لما لاحَ كوكبُ
ولوخِفْتُ شراً فاستترتُ بظلمةٍ ... لأَقبل ضوءُ الشمسِ من حيثُ تغربُ
ولو جادَ إنسانٌ عليَّ بدرهمٍ ... لَرُحتُ إلى رحلي وفي الكف عقربُ
ولو يُمطرُ الناسُ الدنانيرَ لم يكنْ ... بشيءٍ سوى الحصباءِ رأسيَ يُخْصَبُ[6]
ولو لمستْ كفاي عِقداً منظما ... من الدُّرِ أضحى وهو وَدْعٌ مثقَّبُ

---

(1) العقد الفريد 7/ 241. د. عطوان ـ صعاليك العصر العباسي الأول ـ ص47.

(2) انجد: انقطع.

(3) الاعدام: الرفض. ـ الدفع الرد والرفض.

(4) المشجب: خشبات موثقة منصوبة توضع عليها الثياب..

(5) الحُرْفَ: الحرمان.

(6) الحصباء: الحجارة الصغيرة.

وإن يَـقْـتَـرَفْ ذنـبـاً بِـبُـرْقـةَ مـذنـبٌ　　فـإن بـرأسـي ذلـك الـذنـبُ يُـعْـصَـبُ[1]
وإن أرَ خـيـراً فـي الـمـنـامِ فـنـازحٌ　　وإن أرَ شـراً فـهـو مـنـي مـقـرَّبُ
وإن أغْـدُ فـي أمـرٍ أريـدُ نـجـاحَـهُ　　فـقـابـلـنـي إلا غـرابٌ وأرنـبُ
أمـامـي مـن الـحـرمـان جـيـشٌ عـرمـرمٌ　　ومـنـه ورائـي جـحـفـلٌ حـيـن اركـبُ[2]

وملخص قصيدة ابن الهدير هذا الطالع السيء والحظ العاثر اللذان يلاحقانه ليل نهار، فهو لا يقدم على أمر إلا حظي بنقيضه، ولا يبغي حاجة إلا ضاعت، ولو لمس عقداً جميلاً تحول في كفيه حجارة صماء، وإن اقترف ذنباً في أقصى الأرض اتهم هو به، إلى غير ذلك، ولعمري إن هذا ناشئ من حالة الحرمان التي يعيشها، والإحباط التي تزنره وتعصف بحياته، وهذا دأب الشعراء الصعاليك الفقراء الشاكين مرارة الدهر وظلم الأيام، وعلى هذا النحو من الفقر المدقع والضياع والتشتت كانت تعيش الطبقات المعوزة المعدمة في العصر العباسي.

(1) عصب الذنب برأسه: اتهم به ونُسب إليه.
(2) العقد الفريد 7/ 241. د. عطوان صعاليك العصر العباسي الأول ـ صـ 48 و49.

## الباب السابع

# الشعراء الصعاليك الفقراء اللصوص

### أحوال وغايات

عثمان الخياط

# أحوال وغايات

يمتاز الصعاليك اللصوص في العصر العباسي بانهم على درجة ممتازة من الوعي والثقافة الواسعة، والاطلاع الشديد على أوضاع السلطة ومفاسد الحكام وهِناتهم، وقد لمسوا سوء الأحوال الاقتصادية، وارتابوا منها، بسبب جشع التجار وطمعهم وتلاعبهم بالأسعار، وامتناعهم عن دفع زكاة ما عندهم، مما دفع بالصعاليك إلى الاعداد لمواجهة هذه المخاطر التي تهدد حياتهم ووجودهم، فنظموا امورهم تنظيماً محكماً، وأمروا عليهم زعماء أذكياء كانوا بمثابة الموجهين والمدربين، وقد حددوا لمعركتهم أهدافاً وغايات ومبادئ اقسموا على الالتزام بها والمحافظة عليها.

وقد استرعى وجودهم انتباه المؤرخين والكتاب، فألَّفوا فيهم وفي حركتهم كتباً متعدده، منها «الخراب واللصوص» وصاحبه لقيط بن بُكير المحاربي المتوفي سنة 190 هـ، وملاص قريش لأبي عبيدة بن معمر بن المثنى، والجاحظ في كتابه اللصوص أو حيل اللصوص، وغيرها، إلا أن هذه لم تصل إلينا البتة.

على كل حال، وكما ذكرنا نظَّم الصعالكة اللصوص أنفسهم تنظيماً دقيقاً، واتخذوا شكل عصابات للاغارة والسطو على المدن، وكان يقوم افراد كل عصابة بعمل معين، ولكل فرد في العصابة دور محدد يُناط به.

وقد مارس هؤلاء اللصوص العباسيون أعمالهم بالحذر والانتباه والمراقبة والملاحظة، وقد اتخذوا لأنفسهم أتباعاً ومساعدين، يراقبون لهم الاماكن التي يريدون الاغارة عليها وسرقتها، أو التجار الذين ينوون الاجهاز على مقتنياتهم، أو الاسواق التي يحملون إليها ما سرقوه من الحلي والمصاغ والبضاعة والمتاع لكي يبيعونه هناك، كما كان يحرس البعض منهم الآخر لكي ينجزوا ما يقومون به بنجاح تام.

وهذه المهارة في التخطيط والتوجيه والتنفيذ عائدة إلى نوع من التدريب ضمن جمعيات متخصصة على فنون التلصص وحيله ووسائله، وتركز هذه الجميعات في تدريبها حول كيفية الحذر والهرب عند الخطر، والسرقة بالتحايل اللطيف والتخلص من المآزق والأفخاخ التي يمكن أن يقعوا فيها، مع ضرورة الصبر على تعب السجن وعذابه وعدم الكشف عن الأسرار مهما بلغت الضغوط، لذلك عرفوا بشدة الاحتمال، والثبات على الموقف، وعدت هذه المواقف الصلبة مظهراً من مظاهر الفتوة والعزيمة والمروءة[1].

وكان زعماؤهم هم مدربوهم ومثقفوهم، يقدمون لهم النصح والموعظة والوصايا التي تحدد للصعاليك اللصوص حياتهم العملية، وطرق تكوين شخصياتهم التي تتلخص بالتمرس على الفروسية وتجاوز المحن والمصاعب، والتمييز بين الصواب والخطأ، وتجنب الفواحش والرذائل والمعاصي، ومجاورة الأفاضل وذوي السيرة الطيبة، وهذه ملخص وصية زعيمهم عثمان الخياط لهم.

وأكثر من ذلك يطلب الخياط من هؤلاء الصعاليك أن يكونوا عادلين في تعاملهم مع الناس، من دون بغي أو جور، ثم يوصيهم بمراعاة حق الجار، والابتعاد عن الحرام، وألا يأخذوا جميع أموال التجار وإن كانوا أحق منهم بها لفسادهم وامتناعهم عن دفع الزكاة، وانكارهم الودائع.

وإذا كان الصعاليك في العصرين الجاهلي والأموي قد نشأوا في بيئة صحراوية ومناخ جاف، معتمدين على السلب والغزو والنهب والاغارة وقطع الطرق وسائل لتحقيق أغراضهم، فإن الصعاليك اللصوص العباسيين نشأوا في بيئة متطورة متحضرة، وعاشوا في المدن كالبصرة والكوفة وبغداد ودمشق، لذلك اختلفت وسائلهم، واماكن عملهم وتلصصهم، فهجروا الرماح والنبال والسيوف والجياد والغزو، واعتمدوا على الحيل، والخدع والكمائن، والمباغتة والمفاجأة، لتحقيق أهدافهم، وكانت اماكن اعمالهم الأسواق مركز التجارة، وحركة البيع والشراء والتداول، والطرق الماهولة التي كانت تصل بين المدن، علاوة على طرق نهرية متعددة.

وقد اخترعوا لكل مكان حيلة تتناسب وموقعه وجو الناس فيه، فللمسجد

---

(1) محضارات الأدباء ـ 2/ 189 ـ 191. د. عطوان صعاليك العصر العباسي الأول ـ ص126 ـ 128.

حيلة، وللمسافرين في النهر حيلة، وللمارين في الشوارع والطرق حيلة، وللتجار في الاسواق حيلٌ مختلفة، وللدور والمساكن حيلة، ومن اشهر حيلهم التي اعتمدوها للسطو على المساجد، أنهم كانوا يكمنون للتجار والاغنياء فيها، حتى إذا رأوا أحدهم دخل إليها، وأدّى الصلاة، ثم نام ووضع ماله تحت رأسه، ربطوا رجله بحبل متين، وشدوه إلى وتد قوي ثم استلوا صرته أو كيسه، فإن لم يشعر بهم فروا، وإن أفاق وعلم أنه سُرق وانطلق يعدو خلفهم، لم يمكنه الاستمرار في العدو إلا بمقدار ما أرخوا له الحبل، ثم يقف[1].

أما المسافرون في السفن بين المدن في الطرق النهرية، فقد ابتكروا لهم حيلاً طريفة جداً، ومنها أنهم كانوا يعملون بنقل المسافرين على سفنهم، يختارون لهم الأوقات الملائمة لعملهم، خاصة في الساعات الاخيرة من النهار، عندما يتوقف غيرهم من الملاحين عن العمل، ويكون المسافر المتأخر في امس الحاجة إلى من يوصله إلى بلده، فكان يظهر له ملاح منهم في السفينة، ويقترب منه ويرخِّص الأجرة له، ثم لا يلبث أن يظهر لصٌ آخر منهم على الشط ويتعامى، ويأخذ في قراءة القرآن وترتيله ترتيلا يخلب الألباب، ثم يستنجد برفيقه أن يحمله، ويشكو له سوء حاله وعجزه، فلا يلين له قلبه، ولا يعطف عليه، بل يغلظ له في القول، ويسبه ويشتمه، فيشفق المسافر عليه، ويسأله أن يحمله فيستجيب له، ولا تكاد السفينة تسير حتى يستأنف اللص المتعامي قراءته للقرآن وتجويده له تجويداً رائعاً، حتى يذهل المسافر ويغفل عما معه من المال فيسرقه منه، وقبل وصولهم إلى الشط الثاني ينتظرهم لص ثالث في موضع محدد، حتى إذا بلغوه ساح منه ولاحق السفينة، وعلى رأسه قوصرة للتعمية والتمويه، فيعطيه اللص المتعامي المال المسروق، فيأخذه بخفة، ويعود به إلى الشط، فإذا انتهت الرحلة، وَهَمَّ المسافر بالنزول وافتقد ما معه، تظاهر الملاح واللص المتعامي بأنهما لا يعلمان من أمره شيئاً، وشرح له الملاح سوء حاله وأنه المعيل لأولاده وأهله، وشكى وبكى، وفعل الضرير مثله، فلا يجد المسافر وسيلة إلى العثور على ماله إلا بتفتيشهما، وتفتيش السفينة، ولا يظفر بشيء، فينزل وهو لا يشك في أنهما سرقاه[2].

كذلك نعثر على حيل أخرى يقوم بها الصعاليك اللصوص ضد السائرين في

---

(1) الاذكياء ص193. د. عطوان ـ صعاليك العصر العباسي الأول ـ ص131 و132

(2) الفرج بعد الشدة 2/124. الأذكياء ص186. د. عطوان صعاليك العصر العباسي الأول ـ ص132 ـ 133.

الطرق، ومنها ما يشبه التنويم، وإذا أحسوا بعد قيامهم بهذه الحيلة ان السائرين غفلوا وأخذتهم سِنَة من النوم، استلوا أموالهم أو إبلهم مع ما تحمل من المتاع وفروا بها.

كما أنهم ابتدعوا حيلاً أخرى لسرقة أصحاب الحوانيت من بزازين وصيارف وغيرهم، ومنها أن اللص منهم كان يودع عند صاحب الدكان وديعة، ويختلف إليه في الحين بعد الحين، ويأخذها متفرقة على أيام، حتى يعرف صندوقه الذي في حاله، ويألفه، وتنعقد بينهما مودة وثيقة، وحينئذٍ يزين له أن قُفْلَ الرجل صاحبه في سفره، وأمينهُ في حضره، وخليفته على حفظ ماله، والذي ينفي الظنة عن أهله وعياله، وإن لم يكن وثيقاً تطرقت الحيل إليه، ثم لا يلبث أن يسأله عن قفل دكانه، وممن ابتاعه ليبتاع مثله لنفسه، فيخبره ممن اشتراه فيشتري قفلاً مثله، ويأتي بليلٍ وقد تزيا بزيه، فإن كان حارس السوق غائباً، فتح الدكان وسلب ما فيها من المال، وان كان حاضراً، لا يشك بأنه صاحب الدكان، لأنه يظهر بمظهره، فيدَّعي أن له بدكانه في تلك الليلة شغلاً، فيساعده في فتحها، ويخرج الدفاتر وينظر فيها، ثم ينهب ما بها من المال، ويغلق الباب، والحارس يعاونه، فيثيبه ببعض الدراهم ويفر[1].

ثم إنهم كانوا يراقبون التاجر، ويعرفون ثروته ومكانها، فإذا تعذر عليهم سرقتها من دكانه أو من منزله لعلو سوره، وكثرة أقفال بابه وقوتها، احتالوا له بحيلة مناسبة، وذلك بأن ينتهزوا فرصة غيابه عن داره، ويطرقوا بابه عند المساء قبل حضوره، ومعه شيء من ماله، ويتظاهروا بأنهم يطلبون الصدقة، فتفتح لهم جاريته، فيختفون عنها، ثم يعاودون الطرق، فتفتح لهم، وتخرج في طلب الطارق، وتبتعد بعض الخطوات عن الباب، وبعد مضي شطر من الليل، يعبث اللص بشاة من شياه صاحب الدار، ويعركها، فتصيح، ويصحو صاحب الدار، ويسأل جاريته أن تفتقدها، فلا تجدها، فتسرع وترجع إلى سيدها، فيكرر اللص عركه للشاة فتصيح، ويغضب صاحب الدار على جاريته ويوبخها، ويخرج بنفسه ليفتقد الشاة، ويطرح لها علفاً، فيدخل اللص إلى غرفته ويفتح خزانته ويحمل ما

(1) الفرج بعد الشدة ـ 2/ 125. الأذكياء ص185. د. عطوان ـ العصر العباسي الأول ـ ص133 و134.

فيها، ويعود مسرعاً إلى موضعه، ويختفي فيه إلى الفجر، حين تفتح الجارية الباب لسيدها فيخرج اللص ويهرب[1].

إن هذه الأخبار جميعها تكشف عن مدى معرفة الصعاليك اللصوص العباسيين بأحوال صناعتهم، ومدى مهارتهم بحرفتهم، ودقتهم في تتبع ما يريدون سرقته والتلصص عليه، مموهين أعمالهم بدقة متناهية بحيث لا يكاد الناس يشعرون بهم أو يشكون من تصرفاتهم.

من هم هؤلاء الصعاليك اللصوص وما هي أسباب حركتهم ودوافعها؟.

لعل البعض ظلمهم من حيث أنه لم يدرس ظروفهم الاجتماعية والانسانية والمعيشية، التي أدت إلى نشأتهم واضطرارهم لحرفة التلصص وسيلة لحفظ الحياة وكسب الرزق والقوت، كما ان حركتهم خفيت على بعض الباحثين، حتى لقد عدهم جرجي زيدان رعاعاً يرتزقون من اللصوصية، ورأى أنهم من أهل البطالة، وهذا موقف غير مدروس، وأحكام مبتورة منقوصة غير صحيحة، جاءت دون تمحيص وتدقيق في استكشاف مناحي حياتهم وأسباب خروجهم وتلصصهم.

والحقيقة أن هؤلاء الصعاليك اللصوص كانوا من الطبقات الفقيرة البائسة المظلومة، امتازوا بثقافة واسعة خاصة حول أحوال الصعلكة في الجاهلية والأموية، وكانوا عالمين بأحوال مجتمعهم وما حفل به من مفاسد وتُرَّهَات، مدربين تدريباً دقيقاً منظماً بتوجيه من رؤساء أو زعماء يأخذون بأيديهم وينفحون فيهم الشجاعة والوعي، مبينين لهم، أسباب اختيارهم عمل اللصوصية، موضحين المبادئ التي يجب أن يسيروا عليها والحدود التي يلزم الوقوف عندها.

وكان هؤلاء اللصوص على دراية تامة بطبيعة الأفراد، وامتنعوا عن ايذاء الناس والنيل منهم دون تمييز بينهم، فقد ميزوا بين المنحرف والصالح، وبين الكريم والبخيل، ومارسوا ادوارهم ضمن قواعد سليمة، ومثالية رفيعة، اصطلحوا على تسميتها بالفتوة، فتوة تشبه إلى حد بعيد فتوة الصعاليك الجاهليين الأمويين، ومن أبرز مظاهر فتوتهم أنهم لم يسرقوا الاغنياء كلهم، ولا التجار كلهم، وإنما من اتضح لهم فسادهم، واعتبروا اغتصابهم والتعرض لهم أمراً واجباً ومبرراً، وقد

---

(1) الأذكياء ص194. د. عطوان ص134 و135.

اتصف هؤلاء الاغنياء بالبخل والشح والكذب والنفاق كما يرى الصعاليك اللصوص[1].

وكانوا ينهبون من التجار مال الكاذب المخادع، والمتلاعب بالاسعار، والذي يحجز الزكاة ويأكل أموال الناس بالظلم والعدوان، حت انهم توسعوا في تفصيل حديثهم عن التجار وأبانوا عن علم بفقه الدين وقانون المعاملات الشرعية، عندما رأوا ان مال التاجر إذا كان حلالاً ثم اتَّجرَّ به ونماًه، ولم يدفع زكاته في كل عام، فقد استحال كله حراماً، وجاز لهم اغتصابه ووضع اليد عليه دون أثم أو حرج لأنهم فقراء يستحقون هذا المال، وهم محتاجون إليه، في حين أنه يفيض كثيراً جداً عن حاجة الأغنياء، وقد اعتمد هؤلاء اللصوص في موقفهم هذا، على قول مشهور لأحدهم ذكره الجاحظ في كتاب اللصوص، واتخذه الصعاليك حجة قوية لتبرير عملهم والاحتجاج على لائميهم ومنتقديهم: «إن هؤلاء التجار لم تسقط عنهم زكاة الناس، لأنهم منعوها وتجردوا، فتركت عليهم، فصارت أموالهم بذلك مستهلكة واللصوص فقراء إليها، فإذا أخذوا أموالهم، ـ وان كره التجار أخذها ـ كان ذلك مباحاً، لآن عين المال مستهلكة بالزكاة، وهم يستحقون أخذ الزكاة شاء أرباب الأموال أو كرهوا[2].

وكانوا يحتجون أمام منتقديهم ولائميهم على اقتناص بعض مال التجار، بالدليل العملي علاوة على الدليل النظري، الذي يقوم على قاعدة فقهية مقررة، وذلك بأن يحضروا جماعة من التجار، ويسألوهم عن مبلغ أموالهم، وعدد السنين التي اتجروا بها فيها، ومقدار ما أخرجوا من الزكاة في كل عام عنها، ومراجعتهم في ذلك واحداً واحداً، فكان التجار لا يعرفون الزكاة على حقيقتها، فضلاً عن أن يخرجوها، وكان من سارع إلى لومهم يقتنع برأيهم، ولا يجد سبيلاً إلى الطعن فيهم أو معاودة الاحتجاج عليهم[3].

أما التجار الخونة، فلم يتردد الصعاليك اللصوص لحظة في سرقتهم، ولم يجدوا حرجاً في المسّ بهم والتعرض لهم ونهب أموالهم، لأنهم لم يفوا بالعهود

---

(1) جرجي زيدان ـ تاريخ التمدن الاسلام منشورات مكتبة الحياة ـ بيروت 2/ 466. د. عطوان ـ صعاليك العصر العباسي الأول ـ 136 ـ 137.

(2) الفرج بعد الشدة ـ 2/ 117. د. عطوان ـ ص137 ـ 138.

(3) الفرج بعد الشدة ـ 2/ 117. د. عطوان ـ ص137 ـ 138.

والوعود، وما اتصفوا بالتقوى والورع والايمان، بل على العكس من ذلك، فقد غاصوا في المحرمات والملذات، وكانوا بفضلون أنفسهم درجات على رجال الدولة الذين كانوا يرتكبون الآثام، والفواحش، فيرتشون ويغشون، ويأكلون أموال اليتامى والمساكين ويعتبرون أن نهب هؤلاء هو الاقتصاص منهم واجب اجتماعي وشخصي، يوفر لهم مقومات العيش الضروري.

وأما التجار الأثرياء الأسخياء فقد نالوا احترام وتقدير اللصوص، فلم يتعرضوا لهم ولم يصيبوهم بسوء، أما ما كان منهم بخيلاً مقتراً، فقد سطوا عليه وسرقوا منه ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، وفي ذلك يقول أحد الشعراء[1]:

وعـيَّـابـةٍ لـلـجـود لـم تـدرِ أنـنـي ... بـإنـهـاب مـالِ الـبـاخـلـيـن مـوكَّـلِ
غـدوتُ عـلـى مـا احـتـازه فـحـويـتـه ... وغـادرتـه ذا حـيـرة يـتـمـلـمـلُ

إنه مكلف بسلب أموال البخلاء، واحتوائه، ويذكر أنه اغتصب مال أحد الأغنياء البخلاء وتركه في حيرة من أمره لا يعرف ماذا يفعل.

وتتلخص مظاهر فتوة الصعاليك اللصوص، بالتلصص على الاغنياء والمقترين والخلفاء وشذاذ الآفاق، وقطاع الطرق، والفاسقين العابثين، ثم في رعاية حق الجوار واجتناب الظلم في السطو على الأموال، والصدق والامانة والوفاء بالعهد، والابتعاد عن الحاق الضرر بالناس، وعن اللجوء إلى القتل أثناء السرقة.

ومن أهداف الصعاليك اللصوص من تحركهم ونشاطهم، هو العمل على طلب الرزق، لمحاربة الحاجة والفاقة والوصول إلى نوع من المساواة بين غيرهم من الأثرياء المترفين، وتحقيق مجتمع الكفاية والعدل.

---

(1) محاضرات الأدباء ـ محاضرات الأدباء 3 / 189 ـ 191. د. حسين عطوان ـ ص139 و140.

# عثمان الخياط

أحد الشعراء الصعاليك اللصوص، عاش في العصر العباسي، كان يلص على حواشي الخلفاء المترفين المنغمسين في ملذات الحياة ومباهجها، وعلى الشاذين الهائمين وقطاع الطرق، وعلى الفاسقين العابثين المستهترين، والأغنياء المتخمين الذين كانوا يقبضون على أموال الدولة وثرواتها الهائلة، وتساق إلى خدمتهم طيبات الأرض من كل صنف ولون ونوع، وقد تمثل ببيتين لأبي نواس ـ بعد أن بدل في روايتهما لكي يتناسبا مع غاياته وأهدافه:

سأبغي الفتى إما جليس خليفة ... يقوم سواءً أو مخيفَ سبيلِ
وأسرق مال الله من كل فاجر ... وذي بطنةٍ للطيبات أكولِ

ومن خصائص وميزات عثمان الخياط الفتوة، والحفاظ على الجيرة، واحترام الكريم لكرمه، وهي من خصائص الصعاليك الأوائل حيث قال الخياط: ما سرقت جاراً وإن كان عدواً، ولا كريماً، ولا كافأت غادراً بغدره. ثم يؤكد قيماً أخرى أخلاقية إنسانية هي من صلب دستور الصعاليك: «ما خنتُ ولا كذبتُ منذ تفتيت.» لأنه لم يكن يستحسن مع الفتوة إلا الصدق.

وهو لا يسرق لأجل السرقة، إنما يعاقب الأغنياء المقترين الظالمين كغيره من أجداده الصعاليك، لذلك فإنه يترفع عن إيذاء الناس، وعن النيل منهم، يتجسد ذلك في قوله لأحد تجار البصرة الكبار، كان عثمان قد اقترض منه مالاً، ولما ردَّه إليه، حاول التاجر استمالته واسترخاءه بتقديمه له هبة منه، فرفض وأجابه: لو أردت أخذ مالك باللصوصية فعلت، ولكنك رئيس بلدك، ولا أريد أذيتك، لإن ذلك يخرج عن الفتوة[1].

(1) الأذكياء: ص195.

وفي الحقيقة أن عثمان الخياط هو زعيمهم وقائدهم وموجههم، وهو الذي عمل على تدريبهم وتثقيفهم من خلال إلقاء الدروس والوصايا التي كان يسعى إلى نشرها بينهم كي ينشأوا نشأة صالحة قائمة على الصدق والمحبة والشجاعة والجرأة، يقول في إحدى وصاياه:

«جسروا صبيانكم على المخارجات، وعلموهم الثقافة، وإحضروهم ضرب الأمراء أصحاب الجرائم لئلا يجزعوا إذا ابتلوا بذلك، وخذوهم برواية أشعار الفرسان، وحدثوهم بمناقب الفتيان، وحال أهل السجون، وإياكم والنبيذ، فإنها تورث الكظة، وتحدث الثقل، وتدعو إلى النوم، ولا سيما بالليل، ولا بد لصاحب هذه الصناعة من جراءة وحركة، وفطنة وطمع، وينبغي أن يخالط أهل الصلاح، ولا يتزيا بغير زيه[1]».

ونعم الوصية هذه، كان يجب على كل فرد من الصعاليك اللصوص أن يتعلمها ويتقنها فهي بمثابة دستور ومنهج، تكون شخصية متصفة بالفروسية، والصبر على الشدائد، والقدرة على النفاد من المواقف الحرجة، والتمييز بين الحق والباطل ومعرفة كل منهما، واجتناب الرذائل ومصاحبة أهل الفضل، ومعرفة الصواب من الخطأ.

ثم يقول لفتيانه: «إضمنوا لي ثلاثاً، أضمن لكم السلامة: لا تسرقوا الجيران، واتقو الحُرمُ، ولا تكونوا أكثر من شريك مناصف، وإن كنتم أولى بما في أيديهم لكذبهم وغشهم وتركهم إخراج الزكاة، وجحودهم الودائع.

حتى أنه يتدخل بسلوكهم الشخصي، وينصحهم بما ينفعهم ويؤمن لهم الفوز في عملهم: «إياكم وحبِّ النساء وسماع ضرب العود، وشرب الزبيب المطبوخ، ودعوا لبس العمائم، وعليكم بالقناع، والقلنسوه كفر، والخفُّ شرك، واجعل لهوك الحمام، وهارش الكلاب، وإياك والكباش واللعب بالصقورة والشواهين، واياكم والفهود، وعليكم بالنرد ودعوا الشطرنج لأهلها[2]».

إذن هو لا يبيح لهم الإسراف في طلب الملذات، ولا المبالغة في التهالك على

---

(1) محاضرات الادباء 3 / 189 ـ 191.

(2) خزانة الأدب 2/ 197.

المسرات حتى لا تذهب قُوَّتهم، ويضعفوا عن طلب حاجاتهم، إنما كان يبيح لهم ما يسبب لهم الراحة الجسدية والنفسية، ويجلب لهم النفع والفائدة في العمل.

أما تعقب الجواري وملازمة مجالس اللهو بما فيها من خمر وغناء وقصف، واللهو بالصقور والفهود، فإنه كان ينهاهم عنها، لأنها تستهلك حيويتهم، وتضعف قدرتهم وتلهيهم عن غاياتهم، وإذا كان قد أجاز لهم شرب النبيذ المصنوع من التمر فلأنه كما يرى لا يقضي على فطنتهم، ولا يسلبهم نشاطهم، بل يضاعف نشاطهم وحيويتهم، أما إجازته لهم باللعب بالنرد والودع، ومواثبة الكلاب ومقاتلتها، فلأنها رياضة تضيف إلى حذقهم حذقاً، وإلى مهارتهم مهارة.

تلك بعض نثريات عثمان الخياط زعيم الصعاليك اللصوص أهل الفتوة، أما أشعاره فهي قليلة لا تكاد تذكر، والسبب أن المصادر التي تتحدث عن أخبار اللصوص العباسيين وأشعارهم قد اختفت وضاعت في المجهول، ولو وصلت إلينا، لكان لنا شعر كثير، خاصة أن عثمان الخياط زعيم اللصوص كان شاعراً معروفاً وقد ذكر له البغدادي في خزانة الأدب بيتاً في فن المدح:

يـا مـطـعـمَ الـطـيـرِ لـحـومَ الـعِـدَا فـكـلـهـا تـثـنـي عـلـى بـأسِـهِ

# الباب الثامن

# الشعراء الصعاليك الفقراء الطفيليون

## أحوالهم وأهدافهم

طفيل بن زلال

عثمان بن درَّاج

# الطفيليون
# أحوالهم وأهدافهم

فئة من الصعاليك الفقراء المعدمين، عاشوا في فقر مدقع وعوز شديد، وسوء حال وحيرة بال، شاهدوا البون الشاسع بين حياتهم المثقلة بالحاجة والهوان، ومن السعي الحثيث وراء الرغيف لسد الجوع، وبين الاغنياء والمترفين الذين غرقوا في نعيم كبير وحياة مترفة صارخة، وانشغلوا بإقامة ألوان المآدب والولائم، واشكال الأعراس والملاهي.

والطفيلي في اللغة هو المتطفل الذي يدخل دون استئذان على القوم، وإلى الأماكن الخاصة دون أن يُدعى، والكلمة مأخوذة من الطفل، وهو إقبال الليل على النهار بظلمته، والرابط في المعنى، ان المتطفل يتلبس أمرهُ على القوم فلا يدرون من دعاه، أو كيف دخل إليهم وخالطهم، كما يمكن يكون منسوباً أمرهم إلى رجل من اهل الكوفة من بني غطفان يدعى طفيل بن زلاًل، كان يفدُ إلى الولائم دون استئذان، ومن غير أن يُدعى إليها، وكان يدعى بـ طفيل الأعراس، ومن هنا نسب الطفيلي إليه.

وغاية التطفيل ومغزاه تحقيق المساواة بين ابناء المجتمع، أو هو دعوة حاسمة إلى المساواة في طرق المعاش وأسبابه، ومشاركة الفقراء الأغنياء في ما ينعمون به ويحصلون عليه، خلافاً لما يعتقده البعض بأنه ذل وإهانة وتنازل عن الكرامة، وان المتطفل القادم شره جشع لا يعرف حرمة لأدب وليس له ذمة ولا شرف.

ما الذي جعل الطفيليين يقدمون على هذا التصرف، والسلوك المباغت والمفاجئ، ربما وهذا هو الأغلب البؤس الاجتماعي والعدم وترفع الأغنياء عن المبادرة إلى مساعدة الفقراء والضعفاء، وإشعار الجائعين أن هناك شريحة مثلهم ومعهم، تساندهم وتقف إلى جانبهم، كل هذه الاسباب وغيرها جعلتهم يتجاوزون

كل لياقة وذوق ودبلوماسية وعرف، كل هذه تنتفي بنظرهم عندما يتعلق الأمر بمصير وحياة، يقول أحدهم معبراً عن فحوى هذه المعاني[1]:

ولما رأيتُ الناس ضنوا بمالهم فلم يكُ فيهم من يهش إلى الفضل
ولم أر فيهم داعياً لابن فاقة يحِن إلى شرب ويصبو إلى أكل
ركبتُ طفيلياً وطوَّفتُ فيهمُ ولم أكترث للحلم والعلم والأصلِ

وهكذا التطفيل حركة مؤثرة هادفة في العصر العباسي، وقد عني القدماء بهم، وافردوا لهم دراسات وكتباً كثيرة، علاوة على أنهم أصحاب غايات وأهداف، مزودين بموجهين ومعلمين يقومونهم ويوجهون مسيرتهم العملية.

ومن أهم هؤلاء الاعلام والمعلمين طفيل بن ذلال وعثمان بن درَّاج.

(1) كتاب التطفيل ص80. د. عطوان ـ صعاليك العصر العباسي الأول ص160 و161.

# طفيل بن زلال[1]

إلى هذا الشاعر نُسِب الطفيليون[2]، وهو رجل من أهل الكوفة من بني غطفان، كان يأتي الولائم من غير أن يدعى إليها، وكان يقال له: طفيل الأعراس والعرائس، فنسب الطفيلي إليه وسمي به[3].

إذاً، إلى هذا الشاعر نسب الصعاليك الفقراء الطفيليون، أولئك الذين عاشوا في فاقة وعوز شديدين، ووازنوا بين حياتهم المعدمة الذليلة القاسية التي كانوا يتمنون فيها رغيف الخبز، وبين حياة الميسورين والمسؤولين المستغلين الذين كانوا يغرقون في نعيم لا يفوتهم فيه شيء من الملذات، فهالهم الأمر، ودعوا إلى المساواة بين الناس، ومشاركة الفقراءِ الأغنياءَ في طيبات الحياة، وهم يعلنون بصراحة تامة، أن العدم وشح الأثرياء وقعودهم عن مساعدة الجائعين، هي التي دفعتهم إلى التطفيل[4]، وإلى الثورة على تقاليد المجتمع وقيمه، حتى أضحوا لا يبالون بذوق ولا بعرف ولا بشهامة في سبيل الحصول على قوت الحياة، كما جاء في قول الشاعر طفيل بن زلال الذي نحن بصدده الآن وهو يوصي ابنه عبد الحميد:

«إذا دخلت عرساً فلا تلتفت تلفت المريب، وتخير المجالس، فإذا كان العرس كثير الزحام، فأمر وانْهَ، ولا تنظر في عيون أهل المرأة، ولا في عيون أهل

---

(1) كتاب التطفيل ص6. والأذكياء ص177.

(2) الطفيلي في اللغة هو الداخل على القوم من غير أن يدعى. مأخوذ من الطفل وهو إقبال الليل على النهار بظلمته، يريدون أن أمره يظلم على القوم فلا يدرون من دعاه، ولا كيف دخل إليهم. (كتاب التطفيل ص5 والأذكياء ص177 ولسان العرب ـ مادة طفل ج11 / ص404).

(3) كتاب التطفيل ص6. والأذكياء ص177.

(4) التطفيل ص80.

الرجل، ليظن هؤلاء أنك من هؤلاء، ويظن هؤلاء أنك من هؤلاء، فإن كان البواب غليظاً وقاحاً فابدأ به، ومره وانهه من غير أن تعنفه»[1]، ثم أنشد الشاعر مخاطباً ابنه بأبيات يعلّمه فيها فن الثورة على الارستقراطية الاجتماعية، وطرق الحصول على لقمة العيش بأسلوب فكه وصريح، فيه دعوة إلى الانتقام من المترفين، وسلبهم دونما حياء وتردد:

لا تجزعنَّ من القريبِ ولا من الرجل البعيد
وأدخل كأنك طابخ بيديك مغرفةَ الثريد
متدليا فوقَ الطعا م تدليّ البازي الصيود
لتلُفَّ ما فوق الموا ئدِ كلِّها لفَّ الفهودِ
واطرحْ حياءك إنما وجهُ المطفَّل من حديد[2]

أليس في ما ورد ثورة حقيقة اجتماعية على التمييز الطبقي وفقدان العدالة والمساواة بين المواطنين، وهذه الحركات والتصرفات وإن كانت غير مسلحة ولا تطال مباشرة سلطة الخلافة العباسية، فإنها تؤثر بصورة غير مباشرة تأثيراً كبيراً سلبياً على تلك السلطة. إن معظم الثورات في العالم ذات منشأ اقتصادي، إذ ليس أصعب على المرء من أن يذل ويسلب لقمة عيشه وحقه في حياة حرة كريمة.

(1) العقد الفريد 7/ 227.
(2) كتاب التطفيل ص74.

# عثمان بن درَّاج[1]

عثمان بن دراج، أبو سعيد.

من موالي كندة، عاش في زمن الخليفة العباسي المأمون، وله شعر مليح وأدب صالح وأخبار طيبة، وهو من الشعراء الصعاليك الفقراء الطفيلين، وكان مع تطفيله أشره الناس.

ويلخص ابن دراج صعلكته وتطفله في حواره مع سعيد بن عبد الكريم الخطابي، وكان عثمان يتردد على مجلسه، قال له سعيد:

ويحك إني أبخل بأدبك وعلمك وأضنُّ بك عما أنت فيه من التطفيل، ولي وظيفة راتبة في كل يوم، فالزمني وكن مدعواً أَصْلَحُ لك مما تفعل. فقال: رحمك الله، أين يُذهب بك؟ فأين لذة الجديد وطيب التنقل كل يوم من مكانٍ إلى مكان؟ وأين نَيلك ووظيفتك من احتفال العروس؟ وأين ألوانك من ألوان الوليمة، قال: «فأما إذ أبيت فإذا ضاقت عليك المذاهب فإني فيئةٌ لك، قال: أمَّا هذا فنعم، قال: فبينا هو عنده ذات يوم إذ أتت الخطابي مولاةٌ له فقالت: جعلتُ فداءك، زوَّجْتُ ابنتي من ابن عم لها، ومنزلي بين قوم طفيليين لا آمنهم أن يهجموا عليَّ فيأكلوا ما صنعت ويبقى من دعوت، فَوَجِّهْ معي بمن يمنعهم، فقال: نعم، هذا أبو سعيد، قم معها يا أبا سعيد، فقال: مُرِّي بين يدي، وقام وهو يقول:

ضَجَّتْ تميم أن يقاتلَ عامر يوم النِّسار فأُعتبوا بالصَّيْلَمِ[2]

قال: وقال هذا الخطابي لابن دراج: كيف تصنع بأهل العرس إن لم يدخلوك؟ قال: أنوح على بابهم، فيتطيَّرون من ذلك فيدخلوني.

(1) الأغاني 16/ 186 وما بعدها.

(2) الاغاني 16/ 187. الصيلم: الداهية.

وقال له رجل: ما هذه الصفرة في لونك؟ قال: من الفترة بين القصعتين، ومن خوفي في كل يوم من نفاد الطعام قبل أن أشبع.

من فكاهات ابن دراج، عندما قيل له: أتعرف بستان فلان، قال: إي والله وإنه للجنة الحاضرة في الدنيا، قيل له: فلم لا تدخل إليه فتأكل من ثماره تحت أشجاره وتسبح في أنهاره، قال: لأن فيه كلباً لا يتمضمض إلا بدماء عراقيب الرجال[1]. قال عثمان بن رداج في التطفل:

لــــذة الـــتـــطـــفـــيــــل دومـــي وأقـــيـــمـــي لا تـــريـــمـــي

أنـــت تـــشـــفـــيـــن غـــلـــيـــلـــي وتُـــســـلِّـــيـــن هـــمـــومـــي

ومن صور فقره المدقع، وهذه صفة الصعاليك الطفيليين، يقول هو نفسه، مررت بجنازة ومعي ابني، ومع الجنازة امرأة تبكي وتقول: يذهبون بك إلى بيت لا فراش فيه ولا وطاء، ولا ضياء ولا غطاء، ولا خبز ولا ماء، فقال ابني: يا أبتِ إلى بيتنا يذهبون[2].

نلاحظ أن هذه السخرية الممزوجة بألم الحاجة متفشية حتى في صغار الطفيليين، وهي نوع من الصعلكة التي يبتعد فيها الطفيليون عن التلصص إلا على الأغنياء أو الإغارة عليهم إلى اعتماد الحيلة اللطفية وسيلة إلى الحصول على لقمة العيش، مع ما يستتبع ذلك أحياناً من تقبل بعض الإهانة والتحقير.

وقد وضع عثمان بن دراج شبه وثيقة تتضمن أصول صناعة التطفل، وحيلها ووسائلها واهدافها كما فعل سلفه طفيل بن زلال، إلا أن ابن دراج كان أكثر رؤية ووضوحاً من ابن زلال.

ومما انفرد به ابن الدرّاج، أنه كان يرى أن رفاقه من الطفيليين فقراء إلى الطعام محتاجون إليه أكثر ممن صُنِع لهم، ودُعُوا لأكله والاستمتاع به، ومما قاله لهم مدرباً ومعلماً: «لا يهولنكم إغلاق الباب، ولا الحجاب، وسوء الجواب، وعبوس البواب، ولا تحذير الغراب، ولا منابذة الألقاب، فإن ذلك صائر بكم إلى محمود النوال، ومُغنٍ لكم عن ذل السؤال، واحتملوا اللكزة الموهنة، واللطمة المزمنة في جنب الظَفَر بالبغية، والدرك للأمنِية، والزموا المطارحة للمعاشرين، والخفة

(1) الاغاني 16/ 186.

(2) الاغاني 16/ 187 و188. فوات الوفيات ـ 2/ 439 و440.

للواردين والصادرين، والتملق للملهمين والمطربين، والبشاشة للخادمين والموكلين، فإذا وصلتم إلى مرادكم فكلُوا محتكرين، وادَّخروا لغدكم مجتهدين، فإنكم أحق بالطعام ممن دُعي إليه، وأولى به ممن وُضع له، فكونوا لوقته حافظين، وفي طلبه مستمرين، واذكروا قول أبي نواس:

لِنَخْمُسَ مال الله من كل فاجر وذي بطنة للطيبات أكولِ

هذا ما جاء في وصية ابن الدراج لأصدقائه الصعاليك الطفيليين، فهو يدعوهم إلى تحمل الأذى وعدم المبالاة للصعوبات والمضايقات، وتذكيرهم بأن لهم حقاً في الطعام الذي يهيء للأغنياء، تماماً كما كان يرى صعاليك العصور الأولى أن لهم حقاً في مال التجار والأغنياء، ولكن أختلفت الطرق التي توصل إلى هذه الغاية المنشودة[1]، كما يذكر لهم، أنهم إنما يأخذون حقهم من الصدقة المفروضة لهم في ثروات الأثرياء.

(1) الأغاني 16/ 188. د. عطوان الشعراء الصعاليك في العصر العباسي الأول. ص162 و163. زهر الآداب ص98.

## الباب التاسع

# الشعراء الصعاليك
# الشطار، العيارون والمكدون

### الشطار

### العيارون

إسحاق بن خلف الحنفي
شعراء عيارون مجهولون
الأحنف العكبري
مسعر بن مهلهل
الحسين بن أحمد الحجاج

# الشطار الفتيان

يعتبر الشطار من الصعاليك الفقراء اللصوص، وقد نعتوا بهذا الاسم تمييزا لهم عن غيرهم من الصعاليك الآخرين، وقد التبست طبقة الشطار على المؤرخين، فخلطوا بينهم وبين غيرهم من أهل الفوضى في المجتمع، ولم يدركوا تماماً أسباب تصعلكهم وتلصصهم، كما ضاع اللغويون أيضاً بتحديد معنى هذه الكلمة ومدلولها العام، الاجتماعي والوظيفي، ومما ذهبوا إليه «إن الشاطر من تباعد عن الاستواء، أو نزح عن أهلهم وتركهم مراغماً أو مخالفا، وأعياهم خبثا»[1].

وهؤلاء الصعاليك الشطار تركوا مجتمعاتهم مكرهين، بعد أن ضجروا من الظلم والاستبداد، فثاروا على القوانين، ورسموا طريقاً خاصة ساروا عليها، غير تلك التي يسلكها غيرهم، وقد اشتهروا بهذه الطريق، فأزعجوا السابلة واربكوا السلطات الحاكمة.

هذا علاوة على ما تؤكده أخبارهم وأشعارهم من ان سبب تمردهم وثورتهم هو الفقر، كل هذه المعاني التي أشرنا إليها تقدم لنا صورة واضحة عن هؤلاء الصعاليك الشطار، فهم من الطبقات الاجتماعية التي عانت ألم الفقر والحاجة، وقاست أهوال الظلم والاستبداد، فاضطرت إلى التمرد والثورة بغية تحصيل لقمة العيش، واختارت التلصص مهنة ووسيلة إلى بلوغ الغاية.

نشأ الصعاليك الشطار في مدينة بغداد، وظهروا فيها لأول مرة في السنة 201هـ، وكثروا واشتد خطرهم وأمرهم، حتى عجز السلطان عن مكافحتم والتعرض لهم، أو القبض عليهم، وحتى أنهم داووا الداء بالداء، فقطعوا الطرق،

---

(1) لسان العرب ـ ابن منظور ـ مادة شطر ـ 4 / 406 ـ 408.

وغَالَبوا عليها أهل القرى، وسلبوا منهم ما يريدون، من مال ومتاع ثم باعوه علناً في الأسواق.

لماذا لجأ هؤلاء الصعاليك الشطار، إلى قطع الطرق وايذاء السابلة، والاغارة على القرى، هل كانوا مخطئين أم مصيبين، أمر يجب تمحصُهُ والتروي به، ولم يكن موقف الكاتب المصري أحمد أمين منصفاً ولا منطقياً، فقد ذهب إلى ان هؤلاء يختلفون عن أسلافهم الشعراء الصعاليك الجاهليين، لأنهم كانوا ينهبون ما قدروا عليه، ويعتدون على الأغنياء من غير تفرقة بين كريم ولئيم، ولم يكونوا يوزعون ما يغنمون بينهم بالتساوي، هكذا ساق إليهم هذه التهم دون أن يحتج في ما ذهب إليه بأي دليل أو حجة، بل أعاد ما قاله القدماء فيهم[1].

على كل حال. اغتنم الشطار الفوضى التي دبت في بغداد على خلفية الخلاف الذي نشأ بين الأمين وأخيه المأمون على الخلافة بعد وفاة هارون الرشيد، واخذوا يغيرون على الأغنياء والتجار، ويغيرون على القرى ويهاجمونها، مستولين على كل ما وضعوا أيديهم عليه طلباً للقوت ودفعاً للحاجة والجوع.

وكان للشطار الصعاليك زيهم الخاص، ولهم مبادئهم واهدافهم وغاياتهم، التي كانت تشبه مبادئ الصعاليك الأولين، وكانوا يعرفون بالفتيان وأهل الفتوة[2].

ومن أبرز الشطار في العصر العباسي الشاعر اسحق بن خلف الحنفي (ابن الطبيب)، وقد نشأ هذا الصعلوك فقيراً معدماً، مما دفعه إلى الالتحاق بفئة الشطار، عله يحقق بانتسابه إليهم ما يريد، ويدفع عن نفسه الجوع والحاجة، وقد ذكر ابن شاكر الكبتي في كتابه فوات الوفيات أنه كان في صدر حياته رجلاً شأنه الفتوة ومعاشرة الشطار، وانه حُبِسَ في جناية جناها، فقال الشعر في السجن[3].

(1) تاريخ التمدن الإسلامي لأحمد أمين ـ 2/ 565 ـ 567. د. عطوان صعاليك العصر العباسي الأول ـ 152 و153.

(2) تاريخ التمدن الإسلامي لأحمد أمين ـ 2/ 565 ـ 568. د. عطوان صعاليك العصر العباسي الأول ص153.

(3) فوات الوفيات 1/ 163 و164. د. عطوان ـ ص154.

# العيارون

العيارون، ومفردها عيار، يعني لغوياً الكثير التجول والتطواف، والذي يتردد على الامكنة بلا عمل، يخلي نفسه وهواها، والمِعيار بالكسر، الفرس الذي يحيد عن الطريق براكبه، والعيار، الكثير الذهاب والمجي، كثير التطواف، يقال: عار الفرس يعير ذهب كانه منفلت، يهيم على وجهه لا يثنيه شيء، فهو عاثر أي متردد، جوال، والعيار أيضاً بمعنى الكيال والوزان[1].

والعيارون من الصعاليك الفقراء، عاشوا في حاجة ملحة، وضيق شديد وعسر ملفت، فطفقوا يفتشون عن لقمة العيش، والحرية ووجود الذات، ولعل ريشة أبي حيان التوحيدي تقدم لنا أفضل صورة فنية لرجل عيار بُهِرَ به الكاتب فقال:

«كان أسود الزند عبداً يأوي إلى قنطرة الزبد، ويلتقط النوى، ويستطعم من حضر ذلك المكان، يلهو ويلعب، وهو عريان لا يتوارى إلا بخرقه، ولا يؤبَه له، ولا يُبالى به، ومضى على هذا دهر، فلما حلت النقرة، أعني لما وقعت الفتنة وفشا الهرج والمرج، ورأى هذا الأسود من هو أضعف منه قد أخذ السيف وأعمله، طلب سيفاً وشحذه، ونهب وأغار وسلب، وظهر منه شيطان في مسك إنسان، وصبح وجهه وعذب لفظه، وحسن جسمه، وعَشِقَ وعُشِقْ[2].

وهذا الوصف الدقيق للرجل العيار، يكشف عن أن معظم العيارين، فقراء عراة، وأن الحرب التي خاضوها شحذتهم ورقعت ألفاظهم وحسنت أجسامهم، وإن منهم أحباشاً وافارقة بدليل قوله «كان أسود الزبد عبداً».

---

(1) لسان العرب ـ 4/ 620 ـ 624.

(2) سلسلة عالم المعرفة عدد 45 ص82. الامتاع والمؤانسة لابي حيان التوحيدي 3/ 147 ـ 160 تحقيق أحمد أمين. لجنة التأليف والترجمة ـ القاهرة.

أما لماذا ثأر هؤلاء، ما أهدافهم وغاياتهم.

كان العيارون من الطبقات السفلى المرذولة والمنبوذة في المجتمع العباسي، عاشوا فقراء، ولم يجدوا وسيلة لكبح جماح الفقر والحاجة، لذلك ثاروا على واقعهم المتردي، واستغلوا كل فرصة يمكن أن ينفذوا من خلالها إلى أهدافهم في محاربة التجار الأغنياء والمترفين، ومن هنا استغلوا النزاع بين الأمين والمأمون، ومالوا إلى الأمين لأن أمه عربية في حين كانت اهواء المأمون فارسية لأن أمه من الفرس.

كما انهم احترفوا التلصص لتحقيق مآربهم، واتصفوا بالفطنة والنشاط والذكاء، وهم ليسوا كما نعتهم بعض الكتاب الموالين للسلطات آنذاك، لصوصاً بالمعنى التقليدي الشرير، إنهم . . . والشطار عاشوا على هامش الحياة دون أن يأبه بهم أحد أو يلتفت إليهم مسؤول على حد قول ابي حيان التوحيدي كما ذكرنا آنفاً.

إن العيارين وأمثالهم من الشطار والزعار متمردون منتفضون على واقعهم المعيشي الصعب، وهم أصحاب قضية، فقد سدت في وجوههم السبل المشروعة للرزق، فلم يجدوا إلا وسائل ابتزاز واستغلال وسرقة مانعي الزكاة، وحاجبي الحقوق، والاغنياء المقترين، علاوة على رسائل الشطاره والعيارة وقطع الطرق تعبيراً عن انفسهم وقضاياهم المحقة.

إن الانتفاضات التي قادها العيارون والشطار والزعار وغيرهم، إنما كانت لتحقيق العدل الذي اغتيل، ورفع الظلم الذي جثا على رقاب الفقراء، وإقامة الشرع الحنيف، ليحق الحق ويزهق الباطل.

لقد شكل العيارون مع الزمن مقاومة شعبية عارمة، ضد قوى التسلط والظلم الاجتماعي، في بغداد ـ دمشق القاهرة، المحور الحضاري ضد الغزاة والمحتلين والدخلاء، ضد الاستعمار الأجنبي، والسيطرة الغاشمة، يستوي في ذلك شطار العراق وعياروها وأحداث الشام وفتيانها، وزعار مصر وحرافيشها.

وقد بلغ من اهمية وقوة تأثير هؤلاء العيارين ان الخليفة العباسي يستنجد بالزيبق لإخماد الفتنة التي حدثت في بغداد بين السنة والشيعة سنة 443 هـ، والزيبق إلى جانب أحمد الدنف من أشطر الشطار والعيارين في القصص الشعبي العربي، الذي يشكل النواة الرئيسة التاريخية للوجود الفني لهؤلاء الأبطال.

وفي تاريخ ابن الأثير نص تاريخي يشير فيه إلى الزيبق، عندما تمكن من الاستيلاء على السلطة في بغداد وجباية أسواقها سنة 444 هـ، وأخذ ما كان يأخذه أرباب الأعمال، وكان إلى جانبه الطقطقى.

ويشير نص آخر إلى شخصية عيارية تسمى أحمد الدنف، فقد كان لهذا اللص الشاطر، حكايات في فن السرقة، وقد دخل أسواق الادب الشعبي، خاصة ألف ليلة وليلة، وعاش الدنف في العهد المملوكي.

ويفتخر العيار أبو القاسم البغدادي في حكاياته النادرة في التراث الشعبي الغربي بنفسه فيقول: أنا الموج الكدر، أنا القفل العسر، أنا النار، أنا العيار، أنا الرحى إذا استدار أنا الذي أسستُ الشطارة، وبَوَّبْتُ العيارة، أن فرعون أنا هامان، انا النمرود. أنا الشيطان[1].

كما بُهر ابن الأثير باللص العيار ابن حمدي، فيقول: «وعظم أمر ابن حمدي، فأعجز الناس وكان ذلك في أحداث سنة 332 هـ، وفيها كثرت الكبسات من اللصوص بالليل والنهار، من أصحاب ابن حمدي وتَحَارسَ الناس بالبوقات، وعظم أمر ابن حمدي فأعجز الناس وأمنَّه ابن شيرزاد[2].

ووصف آدم متيز ابن حمدي قائلاً: «إن فيه شهامة الفرسان وأخلاقياتهم وحدبهم على الفقراء واحترامهم للنساء.

وقد رأت فيه العامة سيف النقمة الالهية الذي سلطه الله على ظلم الكافرين، واستطاع أن يحفر اسمه ليس في ذاكرة التاريخ فقط، وإنما في ذاكرة العامة أيضاً[3].

يقول أحد التجار، البغداديين أنه خرج بسلع له يريد واسط، فاعترضه لص كان في الطريق يقال له ابن حمدي، فأفقره، فسهل عليه الموت، ثم إنه سلم نفسه لابن حمدي بعد ما عرف عنه من نخوة ومروءة، يروي التاجر فيقول:

«كنت أسمع وأنا ببغداد أنَّ ابن حمدي هذا، فيه فتوة وظرف، وأنه إذا قطع الطريق لم يعرض لأرباب البضائع اليسيرة، التي تكون دون الألف درهم، وإذا أخذ ممن حاله ضعيفة شيئاً قاسمه عليه، وترك شطر ماله في يديه، وأنه لا يفتش امرأة

---

(1) عالم المعرفة ـ 45/ 65. حكاية ابي القاسم البغدادي ـ ص3 مطبعة هيدلبرج 1902م.

(2) عالم المعرفة ـ 45/ 60 ـ 63. تاريخ ابن الأثير 8/ 416.

(3) عالم المعرفة 45/ 62. آدم متيز 2/ 400 ـ 401. دار الكتاب العربي بيروت 1967م.

ولا يسلبها، فاطمعني ذلك في أن يرقَّ لي، فصعدت إلى الموضع الذي هو جالس فيه وخاطبته في أمري، وبكيت ورققته ووعظته، وحلفت له أن جميع ما أملكه قد أخذه، وأني احتاج إلى أن أتصدق من بعده، فقال لي: يا هذا، الله بيننا وبين هذا السلطان[1] الذي أحوجنا إلى هذا، فإنه قد أسقط أرزاقنا وأحوجنا إلى هذا الفعل، ولسنا في ما نفعله نرتكب أمراً عظيماً أعظم مما يرتكبه السلطان.

ويشرع ابن حمدي في فضح وكشف فساد الدولة والنظام، وقد بلغ بها الأمر إلى مصادرة الضياع والدور والعقار، ويتجاوزن ذلك إلى الحرم والأولاد، وهكذا يفعل الجميع، جميع العيارين الصعاليك، شيرزاد ببغداد، والبريدي بواسط والبصرة والديلمي بالأهواز، ولكنه لم يفعل مثلهم، فيقره التاجر على ذلك قائلاً: أعزَّك الله، ظلم الظلمة لا يكون حجة.

ثم تتحرك مروءة ابن حمدي، هذا اللص الثائر والصعلوك العيار، ويشفق على هذا التاجر الضحية ويحن عليه، فيأمر بإعطائه نصف ماله، ثم انفذ معه من يوصله إلى مأمن، فالطريق فاسد، ولا يملك هذا التاجر إلا أن يعجب بابن حمدي، ويدعو له بالخير وينصرف، وصار يقص حكاياته ومروءته على الناس[2].

في النص مزايا إنسانية خلاقة يتمتع بها الصعلوك العيار ابن حمدي، ويصرح بأنه يتعرض لأرباب الأموال الكبيرة، ولا يتعرض للنساء ولا للفقير.

ثم يصرح علناً بظلم السلطان وعدوانه وبغيه، مما يشرع له ثورته ضده، فمن مبادىء وأهداف الصعاليك العيارين محاربة الظلم والفساد والبغي.

وكان ابن حمدي لص بغداد الظريف، واحداً من رؤساء اللصوص المشهورين في القرن الرابع الهجري، وكان كما يذكر المؤرخون لصاً فاتكا، اشتهر في أول القرن الرابع الهجري، وكان موضع اعجاب العامة، وقد بدأ حياته حمالاً في أسواق بغداد، ثم صار ينهب أموال أهل بغداد وأسواقهم وتجارتهم، ويقطع الطريق، ويعترض السفن التجارية النازلة إلى واسط أو الصاعدة منها، ويأخذ من التجار إتاوة معينة يحددها لهم، وحصل له بذلك مورد كبير، كان يفرقه على

(1) السلطان هو الخليفة المقتفي الخليفة العباسي الحادي والعشرون 329 ـ 333 هـ.
(2) الفرج بعد الشدة 4/ 238 و240. تحقيق عبد الشارجي ـ دار صادر ـ بيروت 1978م ـ عالم المعرفة عدد 45. الشطار والعيارون في التراث العربي 1981م الكويت ـ ص60 و61.

أصحابه وأتباعه الكثيرين، وقد اشتهر بفتوته وظرفه وقوته، وكان لا يعرض لأصحاب البضائع اليسيرة، وتخلق بأخلاق الفروسية، فكان لا يفتش إمرأة ولا يسلبها، فَنَبُهَ ذكره بين العامة وتعصبوا له، ولما أعيا السلطان أمره، وعجزت الدولة عن مطاردته، شرعت تخطب وده، فخلع عليه أبو جعفر بن شيرزاد بعد أن أمَّنَه سنة 332 هـ، وأثبته برسم الجند، ووافقه على أن يؤدي للسلطان في كل شهر خمسة عشر ألف دينار، مما يسرقه وأصحابه، في مقابل إطلاق يده في جباية القوافل التجارية الواردة على أسواق بغداد، ولكنه لم يفِ بوعده وبما عقده مع ابن شيرزاد، ورأى أنه احق بالمال منه، ولم يرتدع عن رأيه، فقبض عليه ابن شيرزاد غدراً وقتل توسطاً في السنة نفسها أي 332 هـ، والقتل توسطاَ، أي قتله توسيطاً من وسط الجسد نصفين[1].

ويمثل الصعلوك ابن حمدي في سلوكه وشخصيته وأخلاقياته، طبيعة الصعاليك العيارين وغيرهم من المجموعات المتمردة التي تنوعت وسائلها واتفقت اهدافها وغاياتها، وسبق ان ذكرنا ان الأسباب الاقتصادية والاجتماعية هي التي ادت إلى انتشار العيارين والشطار والمكدين، واحترافهم الكدية مهنة تدر عليهم الاموال وتقيهم شر الفقر والحرمان.

---

(1) عالم المعرفة عدد 45 ـ ص60 ـ 63. الفرج بعد الشدة ـ 4/ 234 ـ 240

# إسحاق بن خلف الحنفي[1]
# ابن الطبيب
# نحو ... ـ ... ـ 230 هـ ـ 845 م

إسحاق بن خلف، الشاعر المعروف بابن الطبيب. من اهم الشطار الفتيان الصعاليك في العصر العباسي الأول. كان رجلاً شأنه الفتوة ومعاشرة الشطار وإيثار أصحاب الطنابير، وكان من أحسن الناس إنشاداً، حبس مرة بجناية جناها، فقال الشعر في السجن، ثم ترقى في ذلك حتى مدح الملوك، ولم يزل على رسم الفتوة إلى أن توفي في حدود السنة 230 هـ ـ 845م.

نشأ إسحاق فقيراً بائساً، والظاهر أن الفقر والحاجة هما اللذان دفعاه إلى الانضمام إلى الصعاليك الشطار، وهو يعلن بصراحة أن الحاجة هي التي حملته على التلصص والإغارة على الناس وعلى تجشم الأخطار والمشقات، لكي يوفر لابنة أخته التي تبناها ورباها لقمة العيش، ويجنبها ذل السؤال، حتى انه تمنى أن تموت قبل أن يقعده العجز عن خدمتها:

لولا أميمة لم أجزع من العدمِ ... ولم أجبْ في الليالي حِندِس الظلم
وزادني رغبةً في العيش معرفتي ... ذُل اليتيمةِ يجفوها ذوو الرحم
أحاذرُ الفقرَ يوماً أنْ يُلِمَّ بها ... فيهتكَ الستر عن لحمٍ على وضم
تهوى حياتي وأهوى موتها شفقا ... والموتُ أكرمُ نزال علَى الحُرمِ[2]

وظل الشاعر منتهجاً سبيل الفتوة ومبادئها حتى آخر حياته، وكان ثائراً على كبار رجال السلطة، الذين كانوا يسيطرون على مقدرات الدولة وثرواتها، في حين

---

(1) فوات الوفيات 1/ 163 و164.
(2) فوات الوفيات 1/ 164.

يعيش الفقراء حياة الذل والهوان، وها هو ينال من الحسن بن سهل وزير المأمون ويسخر منه لأنه رفض الإحسان إليه[1]، معبراً بذلك عن ثورة جمهور الصعاليك في وجه من يمنعون الحياة عن طبقة كبرى في المجتمع العباسي، لها حق العيش بكرامة وشرف:

باب الأمير عراء ما به أحد ... إلا امرؤ واضعٌ كفاً على ذقن
قالت وقد أمَّلت ما كنت آملُهُ ... هذا الأميرُ ابن سهل حاتَمُ اليمن
كفيتُكَ الناسَ لا تلقى أخا طلبٍ ... بفيء دارك يستعدي على الزمن
إن الرجاءَ الذي قد كنت آمله ... وضعته ورجاء الناس في كفن[2]

وتصور هذه الأبيات تحطم آمال المحتاجين، وانصرافهم إلى ذل السؤال والاستعطاء على أبواب المثرين والمسؤولين، إذ لم يكن ما حصل للشاعر مقتصراً عليه وحده، وإنما كان يشمل فئة كبيرة من أبناء المجتمع العباسي، أفقرتها الظروف ودفعتها دفعاً إلى ممارسات هي أقرب إلى الثورة النفسية والاجتماعية والحياتية، والتي تعتبر إرهاصاً للثورة المعلنة المسلحة على النظم الطبقية والسياسات المستغلة الجائرة.

إن شعر هؤلاء الصعاليك وممارساتهم وإن كانت في ظاهرها تميل أحياناً إلى السخرية المضحكة، لكنها تخفي في أعماقها تمرداً ونقمة عارمين، دفعا المجتمع كله في ما بعد إلى الثورات العنيفة وساعدا بشكل أو بآخر على زعزعة الكيان العباسي.

ومن شعره الصعلوكي الاجتماعي، قصيدة هجا فيها رجلاً منافقاً، يتظاهر بالدين والتقوى وممارسة الشعائر الدينية، والمحافظة على السنن، كإطالة اللحى، وهذا هجاء سلكه الصعاليك الفقراء بغية كشف المزيفين الذين يخدعون الناس بنفاقهم، ويصرحون بغير ما يضمرون من سلوكهم وتصرفاتهم، وعما كانوا يقترفون من الآثام والكبائر، وهو هجاء يتأرجح بين التحقير والسخرية المضحكة ومنه[3]:

ما سَرَّني أنني في طولِ داودِ ... وأنني علمٌ في البأسِ والجودِ
ما شَيْتُ داودَ فاستُضحِكتُ من عجب ... كأنني والدٌ يمشي بمولود

---

(1) الكامل للمبرد 1/ 247.
(2) المصدر نفسه.
(3) الكامل للمبرد: 1/ 316. د. عطوان ـ الشعر الصعاليك في العصر العباسي الأول ـ ص157 و158.

مـا طـولُ داودَ إلا طـولَ لـحـيـتـهِ … يـظـلُّ داودَ فـيـهـا غـيـرَ مـوجـودِ
تُـكِـنُّـهُ خُـصْـلـةٌ مـنـهـا إذا نـفـحَـتْ … ريحُ الـشـتـاء وجـفَّ الـمـاءُ فـي الـعـود
كـالأنـبـجـانـيِّ مـصـقـولاً عـوارضُـهَـا … سـوداءُ فـي لـيـنِ خَـدِّ الـغـادةِ الـرؤُد[1]
أجزى وأغنى من الخزِّ الصفيقِ ومن … بعضِ الـقـطـائفِ يـومَ الـقُـرِّ والـسُّـودِ[2]
إن هـبـت الـريـح أدَّتـه إلـى عـدن … إن كـان مـالَـفَّ مـنـهـا غَـيْـرَ مـعـقـودِ

ومن مظاهر شعر الصعلكة، قصيدة رثى فيها ابن الطبيب ابنة أخته أميمة، مظهراً حزنه وأسفه عليها، وفي الوقت نفسه سروره وسعادته لموتها، نقيضان يصوران آثار الصعلكة على طبيعة حياة الفقراء المساكين، وهو إن كان يرتاح لشيء، فلأنه اعتنى بها وسهر عليها، وحماها، ولكن أنى له القدرة لدفع غائلة الموت عنها.

وما كان يؤرق ابن الطبيب، ما كان يؤرق الشعراء الشعراء الصعاليك الآخرين، الذين كان كثير منهم حريصين على تأمين لقمة العيش لمتعلقيهم، وخوفهم من أن يجد اقرباؤهم وأولادهم بَعدهم ما يكفي مؤونتهم.

وهذا ما كان يقلق ابن الطبيب، الوضع الاجتماعي السيء، الذي يرمي بثقله على المحتاجين، مما جعله يفرح ويغتبط لرحيل ابنة أخته التي كان رؤوفاً بها حدبًاً عليها، وهو يعبر عن ذلك لأنه يخاف إذا توفي قبلها، أن لا تجد من يسد رمقها، ويعتني بها، ويحافظ على شرفها وكرامتها[3]:

أمـسـتْ أمـيـمـةُ مـعـمـوراً بـهـا الـرَّجَـمُ … لَـقـى صـعـيـدٍ عـلـيـهـا الـتـربُ مـرتـكـم
يـا شِـقَّـةَ الـنـفـسِ إن الـنـفـسَ والـهـةٌ … حَـرَّى عـلـيـكِ ودمـعُ الـعـيـنِ مـنـسـجـمُ
قـد كـنـتُ أخـشـى عـلـيـهـا أن تـقـدمـنـي … إلـى الـحـمـام فـيـبـدي وجـهـهـا الـعـدم
فـالآن نِـمـتُ فـلا هَـمٌّ يـؤرقـنـي … يـهـدا الـغـيـورُ إذا مـا أوردَتِ الـحُـرَمُ
لـلـمـوتِ عـنـدي أيـادٍ لـسـتُ أنـكـرُهَـا … أحـيـا سـروراً وبـي مـمـا أتـىَ ألـمُ

(1) الأنبجاني: كساء من الصوف منسوب إلى منبج على غير قياس. العوارض: الجوانب. الغادة الرود: الفتاة الحسناء الشابة.
(2) القطائف: جمع قطيفة، وهي كساء له خمل ووبر. القر البرد. السود: السحب الداكنة.
(3) الكامل للمبرد 2/ 315. د. عطوان ـ صعاليك العصر العباسي الأول ـ ص158 و159.

# شعراء عيارون مجهولون

أحد الشعراء الصعاليك العيارين المجهولين، عاصر الأمين والمأمون، وشهد الحرب الطاحنة بينهما، وكان من جند الأمين، وقد رثى بغداد رثاءً حاراً إثر المعركة الطاحنة التي جرت بين الفريقين في قصر صالح، يقول هذا العيَّار[1]:

بكيت دماً على بغداد لما ... فقدت نضارة العيش الأنيقِ

تبدلنا هموماً من سرور ... ومن سعة تبدلنا بضيقِ

أصابتنا من الحساد عين ... فأفنتْ أهلها بالمنجنيق

فقوم أحرقوا بالنار قسراً ... ونائحة تنوح على غريقِ

وصائحة تنادي: وا صباحا ... وباكية لفقدان الشقيق

وحوراء المدامع ذات دلٍ ... مضمخة المجاسد بالخلوق

تفر من الحريق إلى انتهاب ... ووالدُها يفر إلى الحريق

وسالبة الغزالة مقلتيها ... مضاحكها كلألاء البروق

حيارى هكذا ومفكرات ... عليهن القلائد في الحلوق

ينادي الشقيقَ ولا شقيق ... وقد فقد الشقيق من الشقيق

ومغتربٌ غريبُ الدار مُلقى ... بلا رأس بقارعةِ الطريق

توسطَ من قتالهم جميعاً ... فما يدرون من أي الفريق

فما ولد يقيم على أبيه ... وقد فر الصديق عن الصديق

وصف دقيق مؤثر لتفاصيل هذه الحرب المدمرة، وما جلبته من ويلات وخراب، والظاهر أن هذا العيار مجهول الهوية نظمها بعد أن سكتت الأسلحة،

---

(1) مروج الذهب ـ 3/ 404 و405. سلسلة عالم المعرفة ـ عدد 45 ـ الشطار والعيارون ـ ص22 و23.

ووقف ينظر إلى بغداد متأملاً ما حدث لها متذكراً صورتها الرائعة التي كانت عليها قبل الحرب.

وهذا شاعر عيار آخر، من الصعاليك العيارين الذين خاضوا غمار هذه الحرب بين الأخوين، وقد شاهد هذا الشاعر بغداد عاصمة الدنيا تتمزق أمام عينيه، في يوم وقعة صالح، أي فتى عيار هذا الذي يرثي بغداد هذا الرثاء الدامي النبيل[1]:

| | |
|---|---|
| من ذا أصابك يا بغداد بالعين | ألم تكوني زماناً قرة العينِ |
| ألم يكن فيكِ قوم كان قُربهمُ | وكان مسكنهم زيناً من الزين |
| صاح الزمان بهم بالبينِ فانقرضوا | ماذا لقيت بهم من لوعة البينِ |
| استودع الله قوماً ما ذكرتهم | إلا تحدر ماء الدمع من عيني |
| كانوا ففرقهم دهر وصدَّعهم | والدهر يصدع ما بين الفريقينِ |

يلقي العيار، هنا المسؤولية على السلطة المناوئة للأمين، أي على المأمون وجنده، وهذا شيء طبيعي، لأن جميع الصعاليك العيارين كانوا من جند الأمين، هذا في بداية النزاع، أما فيما بعد، فإن جزءاً من جند الأمين تخلى عنه وانضم إلى قائدي جيش المأمون طاهر بن الحسين وهرثمة.

وهذا شاعر آخر صعلوك عيار مجهول من أهل بغداد من جند الأمين يذكر قائد جيش المأمون طاهر بن الحسين بوقعة طحن فيها المأمونيون بأيدي العيارين الأشداء الطراة[2]:

| | |
|---|---|
| لنا من طاهر يوم | عظيم الشأن والخطب |
| علينا فيه بالأنجا | دعن هرثمة الكلب |
| ومنا لأبي الطيـ | ـب يوم صادق الكرب |
| أتاه كل طرار | ولص كان ذا نقب |
| وعريان على جنبيه | آثار من الضرب |
| إذا ما هلَّ من شرق | أتيناه من الغرب |

(1) مروج الذهب 3/ 404. عالم المعرفة ـ الشطار والعيارون عدد 45 ص23.

(2) مروج الذهب للمسعودي ـ 3/ 400.

# الأحنف العكبري

## نحو ... ـ ... ـ 385 هـ ـ 995 م

أبو الحسن عقيل بن محمد العكبري، شاعر المكديين وظريفهم، مليح الجملة والتفصيل منهم، وهو فرد من بني ساسان عاش بمدينة السلام بغداد، وحسن الطريقة في الشعر، ظريف، حسن النظم، شاعر أديب من أهل عكبرا، كثير من شعره في وصف القلة والذلة، يتفنن في معانيهما ويفاخر بهما ذوي المال والجاه.

وهو من الشعراء الصعاليك المكديين، من شعره في موضع الفخر، يعتز بخراسانيته، ويحذر من الاعراب والاكراد[1]:

| | |
|---|---|
| بإخواني بني ساسان أهل الجد والحد | على أني بحمد الله في بيت من المجد |
| لهم أرض خراسان | فقاشان إلى الهند |
| إلى الروم إلى الزنج | إلى البلغار والسند |
| حذارا من اعاديهم | من الأعراب والكرد |

ثم يتحدث عن شجاعة قومه وبأسهم:

| | |
|---|---|
| قطعنا ذلك النهج | بلا سيف ولا غمد |
| ومن خاف أعاديه | بنا في الروع يستعدي |

يريد هنا، أنه إذا وقع أحد من ذوي الثروة وأهل الفضل والمروءة في أيدي قطاع الطرق وأحب التخلص، قال: أنا مكدي.

وفي أبيات من قصيدة لامية، يتحدث الأحنف عن ضيق حاله، وفقره، شأنه شأن العيارين والمكدين الآخرين:

---

(1) يتيمة الدهر ـ 3/ 117 ـ 118. الاعلام للزركلي 4/ 243.

عشت في ذلة وقلة مالِ واغتراب في معشر أنذال
بالأماني أقول لا بالمعاني فغذائي حلاوة الآمال[1]

هكذا كانت معيشته، ذل وفقر واغتراب وقلة مال، حتى أنه لم يحقق ما يريد، فعاش يلوك ويتغذى بالآمال والأحلام.

وتلوح دنياه الجميلة في المنام فقط، حيث يقول[2]:

رأيت في النوم دنيانا مزخرفة مثل العروس تراءت في المقاصير
فقلت جودي فقالت لي على عجل إذا تخلصت من أيدي الخنازير

لا أدري من هم الخنازير. لعلهم الأثرياء والمترفون الذين يعيشون حياة الترف الفاحش، في حين يعيش هو في الاحلام فقط.

ويبلغ به اليأس والاحباط مبلغاً كبيراً، عندما يرى أنه لا يملك حتى مثل سكن الخنفساء، ولا حتى مثل بيت العنكبوت، وليس له إلف يصادقه الود والاحترام[3]:

العنكبوت بنتْ بيتاً على وهنٍ تأوي إليه ومالي مثله وطن
الخنفساء لها من جنسها سكن وليس لي مثلها إلف ولا سكن

وهو يلتجئ إلى الحيل أحياناً شأنه شأن العيارين المكدين لتحقيق لقمة عيشه، وقد شهر أمره هذا بين الناس[4]:

قد قسَّم الله رزقي في البلاد فما يكاد يدرك إلا بالتفاريق
ولست مكتسباً رزقاً بفلسفة ولا بشعر ولكن بالمخاريق
والناس قد علموا أني أخو حيل فلست انفق إلا في الرساتيق

ويعجب الأحنف العكبري من كيسه الذي يظل فارغاً، خالياً مثل كفه من أي فلس[5]:

ترى العقيان كالذهب المصفى تركب فوق أثفار الدواب
وكيسي منه خلو مثل كفي أما هذا من العجب العجاب

(1) يتيمة الدهر 3/ 118.
(2) المصدر نفسه.
(3) المصدر نفسه.
(4) يتيمة الدهر ـ 3/ 118.
(5) يتيمة الدهر للثعالبي ـ 3/ 119.

أما سيده، ولا أدري من يقصد، فإنه لا يستفيد منه إلا بإلقاء تحية الصباح، مما يكشف أنه لا يستفيد منه بشيء أبداً، ولا ينال منه الأعطيات، جاء ذلك في رائية من مجزوء الرمل[1]:

لـيـس لـي مـنـك سـوى صـبـحـك الله بـخـيـر

(1) يتيمة الدهر للثعالبي ـ 3/ 119.

# مسعر بن مهلهل
## نحو ... هـ - ... م - 390 هـ - 1000 م

**أبو دلف الخزرجي الينبوعي، مسعر بن مهلهل:**

يقول الثعالبي في يتيمة الدهر، شاعر كثير الملح والظرف، مشحوذ المدية في الجدية، خنق التسعين في الإطراب والاغتراب، وركوب الأسفار الصعاب، وضرب صفحة المحراب بالجراب، في خدمة العلوم والآداب.

وكان ينتاب حضرة الصاحب بن عباد، ويكثر المقام عنده، ويرتفق بخدمته، ويرتزق في جملته، ويتزود كتبه في أسفاره، أتحفه بقصيدة دالية عارض فيها دالية الاحنف العكبري، في ذكر المكدين والتنبه على حرفهم وأنواع رسومهم، وقد تنادر بإدخال الخليفة المطيع لله في جملتهم[1]، وهو إن لم يكن من المكدين إلا أنه أَرَّخَ لهم وتحدث عنهم.

إذن أبو دلف، مسعر بن هلال، شاعر رحالة، كثير الملح، تجاوز التسعين من عمره متنقلاً في البلاد، له رسالة في أخبار رحلته إلى ايران الغربية والشمالية وأرمينية، كانت مخطوطتها في مكتبة مشهد، ونشرت في القاهرة سنة 1952م ثم في موسكو سنة 1960م.

يقول في قصيدته الساسانية[2] الرائية من الهزج:

فنحنُ الناس كل النا ... س في البر وفي البحر
أخذنا جزية الخلق ... من الصين إلى مصر

(1) يتيمة الدهر 3/352 - 353 و358. الأعلام للزركلي 7/216.
(2) بنو ساسان: قوم من العيارين والشطار لهم حيل ونوادر.

إذا ضـــاق بـــنـــا قـــطـــر ... نـــزل عـــنـــه إلـــى قـــطـــر
لـــنـــا الـــدنـــيـــا بـــمـــا فـــيـــهـــا ... مـــن الإســـلام والـــكـــفـــر
فـــنـــصـــطـــاف عـــلـــى الـــثـــلـــج ... ونـــشـــتـــو بـــلـــد الـــتـــمـــر

ومن صفات الكدية:

ومـــن بـــشـــرك أو نـــو ... ذك أو أشـــرك بـــالـــهـــبـــر
ومـــنـــا الـــعـــشـــيـــريـــون ... بـــنـــو الـــحـــمـــلـــة والـــكـــر
ومـــنـــا كـــل مـــطـــراشٍ ... مـــن الـــمـــكـــلـــوذة الـــبـــتـــر
ومـــنـــا قـــيـــم الـــديـــن ... الـــمـــطـــيـــع الـــشـــائـــع الـــذكـــر
يـــكـــدى مـــن مـــعـــز الـــدو ... لـــة الـــخـــبـــز عـــلـــى قـــدر
ومـــنـــا الـــزنـــج والـــزط ... ســـوى الـــكـــبـــاجـــة الـــســـمـــر[1]

(1) بشرك: تزيا بزي الرهبان تزهدا ـ نودك: إذا كدّى على أنه من الحجاج ـ أشرك بالهبر: إذا قاسم زملاءه ما يأخذه.
ـ العشيريون: الذين يتثاقفون على دوابهم كالغزاة يكدون.
ـ المطراش: الذي معه يده يكدي عليها ـ ويقال لليد المقطوعة ـ المكلوذة.
ـ الكباجة: اللصوص ـ كبج إذا سرق.

# الحسين بن أحمد بن الحجاج
## نحو ... هـ ـ ... م ـ 391 هـ ـ 1001 م

أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن الحجاج النيلي البغدادي، نسبة إلى قرية النيل على الفرات بين بغداد والكوفة. توفي فيها ودفن في بغداد، كان في أكثر شعره لا يستتر عن العقل بسخف، ولا يبني جل قوله إلا على سخف، ورغم ذلك فإنه من سحرة الشعر، وعجائب العصر، وهو كما يقول الثعالبي في اليتمية فرد زمانه في فنه الذي أشتهر به، وأنه لم يسبق إلى طريقته، مع سلاسة الألفاظ وعذوبتها وانتظامها في سلك الملاحة والبلاغة وإن كانت مفصحة عن السخافة، مشوبة بلغات المكدين وأهل الشطارة.

وهو على علاته وسخفٍ كثيرٍ من شعره، يتفكه الفضلاء بثمار شعره، ويستملح الكبراء بنات طبعه، ويحتمل المحتشمون فرط رفثه وقذعه، ويستخف الأدباء أرواح نظمه، وهو من كتاب العصر البويهي، مدح الملوك والامراء، والوزراء والرؤساء، فلم تخل قصيدة فيهم من هزله وفحشه، وهو عندهم مقبول الجملة غالي مهر الكلام، موفور الحظ من الاكرام والانعام، يجاب إلى مقترحه من الصلات الجسام، وديوان شعره أَسْيَر في الآفاق من الأمثال، وأسرى من الخيال، وسوف أتجاوز كل شعره الفاحش والمترذل، وأشير فقط إلى شعر الكديه والشطاره في نتاجه، فقربه من الملوك والأمراء، انقذه من الفقر والحاجة، ولكنه ظل يشكو سوء الحال ويكدي ويسأل، كما يذكر في مديحه لابن العميد[1]:

فـداؤك نـفـس عـبـد أنـت مـولـى ... لـه يـرجـوك يـا خـيـر الـمـوالـي
حـديـثـي مـنـذ عـهـدك بـي طـويـل ... فـهـل لـك فـي الأحـاديـث الـطـوال

(1) يتيمة الدهر ـ 3/ 53 و54.

وإنــي بــيــن قــوم لــيــس فــيــهــم  فــتــى يــنــهــي إلــى الــمــلــك اختــلالــي
فــلــحــمــي لــيــس تــطــبــخــه قــدوري  وحــوتــي لــيــس تــقــلــيــه الــمــقــالــي
ومــائــي قــد خــلــت مــنــه جــبــابــي  وخــبــزي قــد خــلــت مــنــه ســلالــي
وكــيــســي الــفــارغ الــمــطــروح خــلــفــي  بــعــيــد الــعــهــد بــالــقــطــع الــحــلال
أفــكــر فــي مــقــامــي وهــو صــعــب  وأصــعــب مــنــه عــن وطــنــي ارتــحــالــي

ولعل صعلكته هذه وكديته كانتا في حداثته، أرأيت هذا الاستجداء الكبير، لتجاوز ما هو فيه من فقر وسوء حال، ويظهر من لاميته أنه كان معدماً لا يظفر بشيء، لا يذوق اللحم ولا يتوفر له الماء، حتى أنه فكر في ان يرتحل عن وطنه، ليفتش عما ينقذه مما هو فيه.

وهو يؤكد في قصيدة أخرى بأن علته في حاله، وأزمته في فقره المدقع، كان يكتب في حداثته لرئيس، فتأخر عنه، فكتب يسأله عن حاله في تأخره، فكتب إليه ابن الحجاج[1]:

ســألــتَ يــا مــولاي عــن قــصــتــي  ومــا اقــتــضــى بــالــرسـم إخــلالــي
لــيــســت بــجــســمــي عــلــةٌ تُــشــتــكــى  وإنــمــا الــعــلــةُ فــي حــالــي
وذاك داءٌ لــم تــزلْ ضــامــنــا  مــن ســقــمــهِ بــرئــي وإبــلالــي

وظلت محنته تتسع، وضاقت حيله في تجاوز أزماته، والمعلوم أن الحيل من طرق الصعاليك العيارين والشطار والمكدين[2].

خــلــيــلــيَّ قــد اتــســعــتْ مــحــنــتــي  عــلــيَّ وضــاقــتْ بــهــا حــيــلــتــي
إلــى كــمْ يــخــاسِــسُــنــي دائــمــاً  زمــانــي الــمــقَّــبــحُ فــي عــشــرتــي
وكــنــتُ تــمــاســكــتُ فــيــمــا مــضــى  فــقــد خــانــنــي الــدهــرُ فــي مــســكــتــي
إلــى مــنــزل لا يــوارى إذا  تــحــصــلــتُ فــيــه ســوى ســوأتــي
مــقــيــمــاً أروحُ إلــى مــنــزلٍ  كــقــبــري ومــا حــضــرتْ مــيــتــتــي
إذا مــا ألــمَّ صــديــقــي بــه  عــلــى رغــبــة مــنــه فــي زورتــي
فــرشــت لــه فــي بــســط الــحــد  يــث مــن بــاب بــيــتــي إلــى صــفــتــي
ومــعــدتــه فــي خــلال الــكــلا  م تــشــكــو خــواهــا إلــى مــعــدتــي

(1) يتيمة الدهر ـ 3/ 54.
(2) يتيمة الدهر ـ 3/ 54 و55.

ولا لـــي غـــلام فـــأدعـــو بـــه | ســوى مــن أبــوه أخــو عــمـتـي
وكــنــت مــلـيـحــاً أروق الــعـيــو | ن أيـضـاً فـقـد قـبـحـت خـلـقـتـي
يـعـرق خـدي جـفـاف الـهـزال | وحـاف الـشـنـاج عـلـى وجـنـتـي
وقـوسَّـنـي الـهـم حـتـى انـطـويـت | فـصـرت كـأنـي أبـو جـدتـي

تلك حاله، على أسوأ ما تكون، منزل خال معدم، ليس فيه شيء، وجسد متهالك من الجوع، ويكرر الأمر نفسه في أبيات أخرى يشبه فيها منزله بالمسجد، كناية عن خلوه وفراغه[1]:

مــا حــال مــن يــأوي إلــى مــنــزل | أرفـق مـنـه الـمـسـجـد الـجـامـع
لا يـرتـوي الـعـطـشـان فـيـه ولا | يـلـحـق مـا يـقـتـاتـه الـجـائـع
وســوقــه كــاســدة بــيــنــكــم | لا مــشــتــر فــيــهــا ولا بــائــع

ويصور ما يصيبه من جوع وصفاً أخاذاً، فهو يحيا وحده بين ملائكة الدولة دون غذاء، وتلك آية لم تظهر لأحد في الخافقين[2]:

أتــعــشــى بــغــيــر خــبــز وهــذا | خــبــزي مــنــذ مــدة فــي غــدائــي
فــأنــا الــيــوم مــن مــلائــكــة الــدو | لــة وحــدي أحــيــا بــغــيــر غــذاء
آيــة لــم تــكــن لــمــوسـى بـن عـمـرا | ن ولا غــيــره مــن الأنــبــيــاء

وفي واسط، باع ثيابه حتى لم يبق لديه شيء يقتات به، تلك سمة العيارين الصعاليك[3]:

يــا ســادتــي قــولُ مــيــتٍ | فــي مــثــل صــورة حــي
لــم يــبــقَ فــي الــخــرج شــيءٌ | أتــأذنــون بــشــي

ويأبى الفأل السيء إلا أن يلاحقه أنى ذهب، فقد تولى إقطاعاً، وخرج إليها فوجدها خربة لا تصلح لشيء فقال من السريع[4]:

ســيــدي عــبــدك فــي الــزيــت | فــر مــن الــمــوت إلــى الــمــوت
حــالــي وإقــطــاعــي خــراب فــقــد | فــررت مــن بــيــتــي إلــى بــيــتــي

وهو لا يعرف طعم اللحم مطلقاً، حتى أنه يتشهى المرق فلا يجده، ويتمنى

(1) يتيمة الدهر ـ 3/ 56.
(2) يتيمة الدهر ـ 3/ 56.
(3) المصدر نفسه ـ 3/ 57.
(4) المصدر نفسه ـ 3/ 57.

الخبز الطري فلا يفوز به، سوى بعض خبز يابس يدمي حلقه، تلك مأساة الحاجة، جاء ذلك في قصيدة ميمية من المنسرح[1]:

يا سيد الناس عشت في نعم ... تأوي إليها ممالك العجم
هذا وخبزي حاف بلا مرقٍ ... فكيف لو ذقت ثردة اللحم
ما لي وللحم إنَّ شهوته ... قد تركتني لحماً على وضم
وما لحلقي والخبز يجرحه ... بالملح يشكو حزونة اللقم

وقد اضطر يوماً إلى التسول والكدية، بعد أن ساءت حاله، واشتاق إلى النبيذ ولا يقدر على شرائه، وعز عليه أن يروى غيره ويظمأ هو، يقول من مخلع البسيط[2]:

يا سيدي عشت لي وبعدي ... وأرض نعليك صحن خدي
عندك يا سيدي نبيذٌ ... وليس لي منه رطل دردي
تروى وأظمأ وذاك بين الـ ... أحرار ضرب من التعدي
وقد تناهى أمري إلى أن ... بكرت من منزلي أكدي

وفي تذمره من مر الدهر، يقول من المنسرح، مدلياً بسلسلة من الحكم عن الحياة وحلوها وصابها، وتضاداتها وخضوع الإنسان لهذه المتغيرات التي هي طبيعة الحياة البشرية عامة[3]:

والعيش كالصاب في مرارته ... طوراً وطوراً أحلى من العسل
ودار هذي الحياة مذ بُنِيَتْ ... لم تخلُ من ساكن ومنتقل
والناس في طيبهم ونتنهم ... ضدان مثل التفاح والبصل
وهم مليح وآخر وحش ... ما بين رامشة إلى جعل

ويتألم من موقف رجل دعاه إلى عرس ثم تراجع، وقد عبر عن ذلك في قصيدة من المنسرح[4]:

يا وقح الوجه جيد الحدقة ... خنست بوعدي وكنت غير ثقة
أين نصيبي من الطعام وما ... طمعت في لعقه من المرقة

---

(1) يتيمة الدهر ـ 3/ 60.
(2) يتيمة الدهر ـ 3/ 62.
(3) يتيمة الدهر ـ 3/ 62.
(4) يتيمة الدهر ـ 3/ 62.

أشفقت مني وكان يقنعني　　عندك ما ليس يوجب الشفقة
قطعة لحم في وزن خردله　　على رغيف كأنه ورقة

وكان يتمنى أن يحظى من هذا العرس ولو بقطعة لحم صغيرة على رغيف أو شبه رغيف.

تلك حياة الصعاليك المكدين الذين يفتقرون إلى أبسط متطلبات العيش ولعل شعر ابن الحجاج في الجانب الآخر، أقصد الفاحش والخمري، كان ردة فعل على الجانب المظلم من حياته، وتعويضاً عن آلام ومشقات مر بها.

## الباب العاشر

# الصعلكة على مشارف عصر الإنحطاط

ابن بقيٍّ

ابن دقيق العيد

# ابن بقيٍّ
## 484 هـ ـ 542 هـ

**الحياة والمعاناة والشاعرية:**

هو أبو بكر، يحيى بن محمد بن عبد الرحمن بن بقي الأندلسي القرطبي، عاش في عصر المرابطين عندما حكموا الأندلس، وعاصر زعيمين منهم، هما يوسف بن تاشفين وابنه علي الذي مات سنة 540 هـ، أي قبيل سقوط دولتهم سنة 542 هـ.

لم تذكر المراجع مكان ولادته ومنشأه، فهو حيناً من طليطلة، وحيناً آخر من اشبيلية، وتارة من سرقسطة، إلا ان الرأي السائد لدى معظم المؤرخين أنه من قرطبة، استناداً إلى نسبته، وأيا كان موطنه الأول، فأنه كان متنقلاً، لم تستقر به الحال، ولم يلقِ عصا الترحالِ حتى تاريخ وفاته.

قال في حقه ياقوت في معجم الأدباء: كان آية في النثر والنظم، بارعاً في نظم الموشحات، مجيداً فيها الإجادة، وقال ابن خلكان في وفيات الأعيان، أنه كان نبيل النثر والنظام، كثير الارتباط في سلكه والانتظام، أحرز خصالاً، وطرزًّ محاسنه بكراً وآصالا، وجرى في ميدان الإحسان إلى أبعد أمد، وبنى من المعارف على أثبتِ عمد، ونقل ابن خلكان عن صاحب قلائد العقيان قوله: هو رافع راية القريض، وصاحب آية التصريح فيه والتعريض، أقام شرائعه، وأظهر روائعه.

ويبدو من خلال ما تقدم، أن مؤرخي الأدب الكبار أجمعوا على أنه فارس في الشعر والنثر لا يشق له غبار[1].

---

(1) ابن خلكان ـ وفيات الأعيان ـ دار الثقافة ـ بيروت ج6 / ص202 و203. شعراء ماتوا جوعاً ـ ص339.

هذا الشاعر المحلق، ورغم مكانته المرموقة في عالمي النظم والنثر، فإنه ذاق الحرمان، وعانى من الفقر والحاجة، ففي الوقت الذي تحدث فيه المؤرخون عن أدبه، تحدثوا عن حرمانه أيضاً، وصوروا ما عاناه من بؤس وشقاء، فكان نديم الصعالكة، شابههم في فقره، وتنقله، وبؤسه، ومحاولاته المتكررة لكبح جماح الفقر والحرمان.

قال ياقوت الحموي: كان حرب زمانه، حسبت حرفة الأدب عليه براعته من رزقه، فحكمت باقلاله وحرمانه، فامتطى غارب الاغتراب، ووقف في البلاد على كل باب، فلم تستقر به النوى.

ويقول ابن خلكان: إن الأيام حرمته، وقطعت حبل رعايته وصرمته، ولم تتمّ له وطرا، ولم تسجم عليه من الخطورة مطرا، ولا نولته من الحرمة نصيبا، ولا أنزلته مرعى خصيبا، فصار راكب صهوات، وقاطع فلوات، لا يستقر يوماً، ولا يستحسن قوماً مع توهم لا يظفره بأمان[1].

إذاً كانت حياة ابن بقي رحلة دائمة وتنقلا متواصلاً وقلقاً ممضاً مؤلماً، لا يستقر به حال، أنه لا يعرف الركون، بسبب ما لحق ذاته من غبن وحيف، وما لازمه من شعور بالغربة لا يبارحه، فها هو يشكو إلى الله أمره، ويضجر من غربته وتنقله، فهو منجد حيناً، مُتْهِمُ حيناً آخر[2]:

إلى الله أشكو نوى أجنبية ... لها من أبيها الدهر شيمة ظالم

إذا جاش صدر الأرض بي كنت منجداً ... وإن لم يُجِشْ بي كنت بين التهائم

ثم يتابع متسائلاً محتجاً، لأنه يدفع ضريبة إبداعه وعطائه وأدبه، علماً أنه يجب أن يعطى هو مكافأة على خدمته الفكر والشعر، وهو يحاول أن يفسر ذلك القدر الذي طبع حياته، والحظ العاثر الذي حاصره من كل الجهات، والظلم والانكار الذي عاناهما من ابناء قومه، تماما كما الخلعاء الصعاليك في الماضي، وذنبه الذي اقترفه بنظرهم هو حرفة الشعر[3]:

أكلُّ بني الآداب مثلي ضائعٌ ... فأجعل ظلمي أسوة في المظالم

---

(1) ابن خلكان ـ وفيات الأعيان ـ 6/ 202. شعراء ماتوا جوعاً ـ ص339.

(2) شعراء ماتو جوعاً ـ ص329.

(3) شعراء ماتوا جوعاً ـ ص329.

ولا ذنب لي عند الزمان وأهله سوى أنني للشعر آخر ناظم

ويزداد إهمال قومه أياه، وتنكرهم له وبرمهم منه، ويزداد بذلك غربة، وألماً ومرارة، لذلك نسب إلى قومه هؤلاء ما أصابه، وما لاقاه من فشل وفقر وعوز، حتى أنهم ضيعوه علماً أنه لسانهم الذي يذبُّ عنهم عندما يعجزون هم عن الدفاع عن أنفسهم:

وضيعني قومي لأني لسانهم إذا أفحم الأقوام عند التكلمِ
وطالبني دهري لأني زنته وأنيَّ فيه غِرَّةٌ فوق أدهم

وقد دفعه يأسه من اهتمام قومه، وحرصهم عليه، إلى الهجرة والتشرد، فرحل إلى المشرق بعد أن هجر مدينة اشبيلية مكيلاً لقومه التهم بالبخل وضحالة العيش، ولا يستطيع امرؤ كريم سخي أن يعيش بين قوم بخلاء مقترين، وهو يلتقي هنا مع الصعاليك في ذم البخل، ومدح الكرم:

قالوا تغربت عن أقطار أندلس ومن يقيم على هونٍ وإقلالِ
مالي وإيطانها داراً وقد سئمت من المقام بها خيلي وأجمالي
نفضت فيها من العيش الهنيء يدي وهل يعيش كريم بين بُخَّالِ

وهكذا أزمع على الرحيل، فهيَّأ خيله وجماله، قاصداً العراق أو الشام، علَّه يجد من يقدر موهبته، ويعرف مقامه، وينيله ما يتمناه وما يحلم به:

أنا امرؤ إن نبت بي أرض أندلس جئت العراق فقامت لي على قدمِ

ثم يقول في ميمية أخرى:

ولي همم ستقذف بي بلاداً نأت إما العراق أو الشآما
وألحق بالأعاريب اعتلاءً بهم وأجيد مدحهم اهتماما[1]

كان يأمل الكثير من قدومه إلى هذين الصقعين العربيين، وعند ذلك يستحقون مدحه ويعلو شأنه بهم ومعهم، ولكن انى له ذلك، فقد تبخرت آماله، وخاب رجاؤه، وربما أيقن بعد ما لمسه أن لا فائدة من المشرق، فلم يكمل رحلته إليه، إذ حظي برجل كريم انقذه من ورطة الفقر وذل التشرد، فأقال عثرته، وصان حرمته، ولاح له أن باب السعد قد انفتح له، وأن ايام الصعلكة والفقر على وشك ان تخبو، ليبزغ فجر حياة جديدة، إلا ان فأله خاب، فبعد ان أقام عند صاحبه هذا

(1) السفير صالح الغفيلي ـ شعراء ماتوا جوعاً ـ ص340 و341.

ردحاً من الوقت، قرر العودة إلى الاندلس مفلساً معدماً كما بدأ، وها هو يهجو أهل المغرب، بعد أن ذاق منهم الأمرين، فقد أقام فقيراً معدماً متصعلكاً نادباً همه، ناعتاً نفسه بالوضاعة لأنه صبر على مقتهم وذلهم له، علماً أنه كان يحاول أن يجد لهم الأعذار، علهم يستيقظون من غفوتهم، إلا أنه لم يجن إلا التعب والمرارة، ولم تثمر حديقتهم ولم تمطر سماؤهم، ويقطع الأمل نهائياً منهم، فلا رزق له عندهم وسيواجه هذا الأمر بالتنقل والاغتراب، فقد يكون له فيهما نصيب[1]:

أقمت فيكم على الإقتار والعدم … لو كنت حراً أبي النفس لم أقِم
وظلت أبغي لكم عذراً لعلكم … تستيقظون وقد نمتم عن الكرمِ
فلا حديقتكم يجنى لها ثمر … ولا سماؤكم تنهلّ بالديم
لا رزق لي عندكم لكن سأطلبه … في الأرض ان كانت الأرزاق بالقِسَمِ

---

(1) السفير صالح الغفيلي ـ شعراء ماتوا جوعاً ـ ص341.

# ابن دقيق العيد

## الحياة والشاعرية:

الشيخ تقي الدين، محمد بن علي بن وهب بن مطيع، وهو الإمام العلامة شيخ الاسلام، تقي الدين، أبو الفتح ابن دقيق العيد القُشَيْري المالكي الشافعي، كان أحد أعلام وجهابذة عصره، وقاضي القضاة، فقيهاً محدثاً مدققاً أصولياً أديباً شاعراً، نحوياً متتبعاً رؤوس المعالي وأصولها، سمحاً جواداً، قل ان ترى العيون مثله.

ولد الشاعر سنة 625 هـ بناحية ينبع، ونشأ كما أسلفنا نشأة علمية أدبية، فمن صفاته، أنه كان مجتهداً متبحراً في علوم الدين، واسع المعرفة كبير العقل هادئاً، لا يتكلم كثيراً، حتى انه نُعت بالبخل في الكلام، وقد أفنى عمره في المطالعة والجمع.

ترك تقي الدين شعراً يذوب رقة ولطافة، أضف إلى ذلك أنه أحسن التصرف بفنون الشعر، فقدم قصائد في النسيب والمديح والوصف والشكوى.

وحياة كمثل التي قضاها الشاعر، كفيلة بأن توفر له البحبوحة واليسر فقد كان قاضي القضاة، إلا أنه عاش في فقر مدقع، وحاجة قاتلة، وقد ذُكر أنه كان معيلاً، مما يعني أنه أخفق في توفير عبء الانفاق عليهم، فجاع وجاعوا، ووسمه الحظ العاثر، فلم يفلح في سد حاجاته، وأخفق في نيل الرزق، رغم محاولاته الكثيرة، فهو كالبدر يبغي الشروق، فيعارض الفلك الأعلى مسعاه:

الحمد لله كم أسعى بعزميَ في ... نيل العلا وقضاءُ الله ينكسه

كأنني البدر أبغي الشرق والفلُكَ ألا ... على يُعارضُ مسعاه فيعكسه

وتبقى الشكوى تتردد على لسانه، وترافقه، شأنه شأن الصعاليك الفقراء، الذين

لا يجدون إلا ذم الدهر والأيام، وها هو الشاعر يستعد للخروج من الدنيا صفر اليدين، فلم يظفر بأي شيء، ولم يحقق ما يريد، علماً أنه خسر ما عنده، وأتعب نفسه وأضاعها، فلم يكن بين الماجنين ولا بين الوقورين، فترك حظ الدنيا والآخرة، وعاش بمعزل عن الناس.

وتبين المسحة التشاؤمية في حياة الشاعر حيث يقول:

أتعبتَ نفسكَ بين لذةِ كادحٍ ... طلبَ الحياة وبين حرصِ مؤملِ
وأضعتَ نفسكَ لا خلاعةَ ماجنٍ ... حصّلتَ فيه ولا وقارَ مبجَّلِ
وتركتَ حظَّ النفسِ في الدنيا وفي الـ ... أخرى ورحت عن الجميع بمعزلِ

وقد دفعه ذم الأيام إلى اعتزال الناس، وظل الله وحده مجيره، وأمله في التخلص مما هو فيه:

قد جرَّحتنا يدُ أيامنا ... وليسَ غيرُ الله من آسِ
فلا تُرَجِّ الخلق في حاجةٍ ... ليسوا بأهلٍ لِسوى الياس
ولا تزدْ شكوى إليهم فلا ... معنى لشكواك إلى قاسِ
وإن تخالط منهم معشراً ... هويت في الدِّين على الراس
يأكل بعض لحم بعض ولا ... يخاف في الغيبة من باس
لا ورعٌ في الدين يحميهم ... عنها ولا حشمة جُلاسِ
فاهرب من الناس إلى ربهم ... لا خير في الخلطة بالناس

إذن بلغ الاحباط واليأس من الناس ومخالطتهم مبلغاً بعيداً، فهو محبط من مجتمعه، غير واثق بمن فيه، لأنه مجتمع تفشت فيه كل المساوئ، وأضحَى غير جدير بالثقة، وهذا ما دفعه نحو الهروب إلى الله، الملجأ الناجع من المحن.

لقد شاكل ابن دقيق الصعاليك بشكواهم وفقرهم، إلا أنه لم يستعمل أسلحة، ضد مسببي فقره، وبقي عند حدود الشكوى والتذمر والتبرم من المجتمع والناس، وانتظار لقاء ربه الذي يخلصه من محنة الفقر القاسي، ومن سائر المآسي التي ألمت به، :

لعمري لقد قاسيتُ بالفقر شدة ... وقعت بها في حيرة وشتاتِ
فإن بحتُ بالشكوى هتكت مروءتي ... وإن لم أبح بالصبرِ خفت مماتي
واعظمْ به من نازل بملمة ... يزيل حيائي أو يزيل حياتي

بين حد الفقر والحرمان وحد الشكوى المريرة التي تورث الذل والهوان، توفي

ابن دقيق الصعلوك الهادئ، المنفعل داخلياً، سنة 672 هـ، وهو دون الخمسين من عمره! مخفقاً في كل ما كان يصبو إليه، ناقماً على الناس وما يحملونه من مزايا قاتمة لا تورث إلا الفشل والإخفاق[1].

وقد جاء شعره واضحاً سلساً، يتسم بخيال واقعي مادي، وتكثر فيه الشكوى وحدة المعاناة، لذلك تتعدد ألفاظ الحيرة والمرارة فيه.

---

(1) شعراء ماتوا جوعاً ـ ص392.

## الباب الحادي عشر

# شعراء الصعلكة المعاصرة
# العصر الحديث

## الصعلكة في المجتمع المعاصر

رشيد أيوب
عبد الحميد الديب
الياس فرحات
الياس عبدالله طعمة
نديم محمد
التيجاني يوسف بشير
مصطفى وهبي التل
علي الرقيعي
أمل دنقل
بدر شاكر السياب
أحمد الصافي النجفي
محمد زينو شومان
محمد الماغوط

# الصعلكة في المجتمع المعاصر

كان للصعلكة في العصور السالفة ظروفها وبيئتها وأدواتها ووسائلها وممارساتها المختلفة، أما في المجتمعات المعاصرة فقد أضحت ذات طوابع مختلفة بعض الشيء، وان كانت حافظت على بعض دوافعها وتطلعاتها وأسبابها.

إن جوهر حركة الصعلكة أنها رافضة متمردة على واقع، متطلعة إلى الأفضل، تطالب برفع الظلم والحيف ووقف الاعتداء على جمهور الفقراء وما أكثره، إنها دعوة تحريض من أجل إعادة توزيع الثروة، بحيث يتوفر لكل إنسان ما يسد حاجاته اليومية بكرامة، ودون إذلالٍ وامتهانٍ وبيع ضمائرْ.

إن الصعلكة المعاصرة استمرار جوهري لخط الصعلكة التاريخي، ثم إن مفهوم الصعاليك الفكري هو تعبير عن تطلعات كل المثقفين الفقراء الذين يسعون لإنشاء مجتمع العدالة والمساواة، وصياغة دستور الحق والإنصاف، إنه مفهوم فكري يرفض اشكالَ الظلم والاعتداء على حقوق الآخر، وبالتالي فالصعلكة هي في الوقت نفسه إنسانية الطابع والاتجاه[1].

وعلى هذا القياس، خرج الصعاليك العرب فيما مضى على المفاهيم والقيم السائدة في عصرهم، واختاروا أماكن إقامتهم بعيداً عن التجمعات المدجنة وتبادلوا معها العصيان والرفض.

وخير من يمثل هؤلاء، عروة بن الورد، الذي كان ضمير الصعلكة الانساني، فقد رفض ايديولوجيا القبيلة وأعرافها وتقاليدها ونظامها القائم على القهر، والذي يتطلب من الفرد الخضوع والسكوت عن الضيم والاعلان عن موت الحياة، وهذا هو مفهوم ونظام الصعلكة، وجوهر حركة الصعاليك، إنها كما يظهر مما ورد،

---

(1) شكل آخر للصعلكة ـ ص144 ـ 146 ـ إصدارات كراس ـ بيروت ـ ط1 ـ 2000م

تريد إعادة الحقوق وتعميم سياسة العيش المتكافئ، عبر توزيع أموال الأغنياء بالتساوي بين الفقراء.

واليوم. في عصرنا الحاضر . . . . . دقت ساعة الصعاليك.

زعيمُ صعالكة العصر الحديث، لم أره بعد، لكنني اكتشفته من خلال كتابه: «شكلٌ آخرُ للصعلكة»، فوجدتُه صعلوكاً من نوعٍ آخرَ جديد، أَوَ لاَ يلزمُ هذا الكونَ صعالكةٌ متمردون، يحملونَ صلبانهم على ظهورِهم وينادون من يصلبهمْ عليها. كما فعل الصعلوك العلوي دعبل الخزاعي، يغزونَ وينهبون ناهبي وسارقي مال الشعب، يسترِ دون الحقوقَ إلى أصحابها.

إحدى سياساتِ الصعلكة، أين أنتَ تكون، من تساندُ ومع من تقفْ، مع المعذبين والفقراء والمظلومين، أم مع مصاصي الدماء.

أين يكونُ وعيُكَ في المشهدِ الكوني الذي تحددهُ اليوم العولمة، إن العالمَ أجمع بحاجة إلى صعاليك جدد، إلى صعلكة ذات فضاء فروسي، ملحميةِ الطابع إنسانية الهدف. قال الإمام علي عليه السلام: عجبتُ لمن لا يجد قوت يومه، كيف لا يخرج إلى الناس شاهراً سيفه، هكذا فعل الصعلوكُ العباسي بكر بن النطاح عندما قال:

ومن يفتقر منا يعش بحسامه          ومن يفتقر من سائر الناس يسأل

منذ القديم، والصعلكةُ تقاتل في ظلال برامجها وتوجهاتها ومخططاتها عبر خروجها على الظلم المنظم الذي يستهدف حرية الشعوب ورفاهيتها، ثم كسرها للهالة التي تحاط بها المقامات الحاكمة الظالمة المستبدة، ولعلنا يحسن بنا أن نردد مرة أخرى، دقتْ ساعةُ الصعاليك، كلُ حزام بؤسٍ في أي مكان من العالم، كل بؤرة فقر وهوان، هي مشروعُ صعلكة وميلادُ متصعلكين.

لا يجب أن ينام الظالمون، وآكلو حقوق المستضعفين، ومال المحرومين، هانئين مطمئنين، يجب أن يجرد الصعالكة سيوف الثورة والعنفوان لا جتثاثهم والقضاء عليهم.

أطفال الحجارة في فلسطين صعاليك جدد، ورجال الانتفاضة صعاليك متمرسون، ورجال المقاومة هنا صعالكة أشاوس، سلبوا النوم من عيون المعتدين، والراحة من أجسادهم، والاطمئنان من نفوسهم.

فالصعلكة الحديثة جهد أفراد غير قابلين للخضوع والتدجين والمصالحة المجانية، إنهم يبحثون عن صيغ مشتركة للتعاون، وأطر متوافقة للتلاقي، كي يصبح العمل أكثر نجاحاً وتحقيقاً[1].

إن الكونَ والحياة اليوم مليئان بالصعاليك، إن أكواخَ الفقراء والحرمان وأحزامَ البؤس والحاجة في كل مكان هي مساكنُ متصعلكين، ينقمون على نظمهم السياسية والإجتماعية التي لا تفعل شيئاً لتخليصهم من هذه الأعباء المرهقة، وأكثر هؤلاء الصعاليك فاعلية وحيوية هو من يفقه حركيةَ الصعلكة، وأبعادها وأهدافها وفضاءها إن المثقفَ الصعلوك يتقن ويدرك مواقيتَ الخروج، ولحظاتِ الانطلاق والبدء، يعرف متى يشعلُ الرؤوس[2]، والصعلوكُ ثوري يؤمن بالفعل والتغيير والتجديد، كما لا بد من التصعلك للخروج على نظام الأسياد وعلى القبيلة المحلية والعالمية، قال فاوست: «يبدو الليل البهيم نازلاً بكثافة أكثر من ذي قبل، غير أن نوراً ساطعاً يتألق داخلي». فالصعلكة وعي وإرادة واختيار.

والصعلوك تاريخياً ثوري متمرد اشتراكي بالفطره، تدل على ذلك أخبار ودواوين من قرأنا عنهم.

وإطار الصعلوك، أنه نموذج يؤسس مواقفه خارج الحسابات الآنية، وخارج أطر التدجين والتلقين، فطموحه يستدعي منه العمل الجاد والفاعل، من أجل تحقيق الغايات المنشودة من حركته، والأهداف البعيدة التي انتفض من أجلها[3].

ولإبعاد الصعلوك عن مهمته الهادفة الرائدة مارست إيديولوجيا القبيلة عملية تزوير ضد حركة الصعاليك، لحمل الناس على مقتها وكرهها والابتعاد عنها، ذلك لأن حركة الصعاليك، ـ في الماضي واليوم ـ تتطلع لإنشاء قيم اجتماعية وإنسانية كبرى، وتكوين اعراق وتقاليد تنتصر للحق والعدل، وهذا لا يناسب المجتمع القبلي في الماضي، والعولمة الأحادية في العصر الحديث.

وهكذا، فالصعلوك مُخاطِرٌ من أجل إنجاز هدفٍ اجتماعي نبيل، فهو يرفض الظلم واحتكار الثروة، وتركيزها بيد الأقلية، يتطلع ـ كما قلنا آنفاً ـ نحو بزوغ شمس مجتمع الحرية والمساواة[4].

---

(1) أحمد الرفاعي ـ شكل آخر للصعلكة ـ ص12.
(2) أحمد الرفاعي ـ شكل آخر للصعلكة ـ ص12.
(3) أحمد الرفاعي ـ شكل آخر للصعلكة ـ ص143.
(4) المرجع السابق ـ ص150.

كما أن مملكةَ الصعاليك عالمٌ ليس له حدود وهو رحبٌ رحابةَ الخيال البشري الخلاق، لأنها لا توجد في الواقع وجوداً مستقلاً بذاته، فهي عالم بلا ضغوط ولا حساسيات، فمن يحيا فيها يتملك إرادته امتلاكاً ذاتياً مطلقاً، ولا يستجيب لأية ضغوط خارجية، ولا يترك نفسه نهباً للرغبات العابرة التي تمزق كيانه وتجذب لسانَهُ من شفتيه.

ثم إن الرغبة لدى الصعلوك الحقيقي حالةٌ مزاجيةٌ خاصة، حالةٌ يطلقها في الزمان والمكان الملائمين، وقد يحدث أن تتوفرَ بين يديه مثيراتٌ معينة، تدعوه لأن يمتلكها دون مجهود مقابل، لكنه قد يرفض، أو يمتنع، لا لشيء سوى أنه يمتلك قرارَ لحظته الخاصة، والذي قد يتعارض مع ما هو معروض عليه، فيرفض أو يمتنع، دون تردد أو رهبة.

وهذا التعالي الذي لديه، قد نجد شبيهاً له في الفكر الصوفي، لكنه يختلف عن الصوفي من حيث هو تعالٍ وجوديٌّ لا ديني، وهو غايةٌ في ذاته، وليس وسيلة للتسامي أو طريقاً للعهر الديني[1].

ومن خصائص حركة الصعلكة، إنها مستقلة، يدل على ذلك خبر يقول أن أحد الفتيان شكا إلى عروة الصعاليك قومه من شدة الفقر، فما كان من عروة إلا أن زَوَّدَ الفتى بفرس ورمح، وقال له: «إن لم تستعن بهما، فلا أغناك الله».

وتتضح إنسانية الصعلكة، ومكانتها في قول لم تستطع ايديولوجيا القبيلة أو الحكام آنذاك محوه وشطبه من فصول التاريخ، ويدل هذا القول على تحول الصعلوك إلى انموذج ومثال للأمة، يترقب الفرصة التي ينقض بها على القبيلة وايديولوجيتها، ويقيم بدلاً منها المجتمع العربي الإنساني، هذا القول هو حديث عبد الملك بن مروان: «ما كنت أحب أنَّ أحداً ولدني من العرب إلا عروة بن الورد».

ولعل قلة المصادر والمدونات الصعلوكية، وعدم اهتمامها بالحضور، كان سبباً في ظلمها وطمس معالمها، علاوة على عدم مكافأتها على بعض ما تقوم به من نبل وسخاء وفروسية، كما أنها كانت تواجه بالصدود والنكران.

إن ما يلاحظ من قصائد الصعاليك وفي مقدمتهم عروة بن الورد، وفي الكم

---

(1) أحمد الرفاعي ـ شكل آخر للصعلكة ـ ص162.

الهائل للتراث التراجيدي للشطار والعيارين، أنها تعبير عن سلوكيات مشبوبة بالملائكية، وروحانيات ثقيلة العيار بإيثارها، بلغت إلى حد توزيع كيانها وظلها وذاتها على الآخر دون مقابل، بل دون تمن أو ادعاء، ذلك لأن هذه السلوكيات مصابة بداء العدالة، بعصابية البطل العادل، بإدمان الكرم، والحمية والنخوة والعنفوان، بابتعاده عن الوجاهة والزخرف والنجومية، ومحبة الخباء والإمِّحَاء[1].

وقد تجلجلت الملاحم الشعبية الأوروبية بمثل هذا البطل، مثل «زورو» الاسباني المستولد من شطار وصعاليك الأندلس، وبهاء تلك الاثرة القربانية ضد فساد النفس البشرية، أن هذه البصمة المأثرية الجبارة حفلت بها معظم آداب العالم، حيث لا نصوص، لا قرارات، لا مؤسسة، لا سلطة، لا مكافأة ولا ضمانات، فالحقائق الأعظم والأثبت هي تلك الموجودة بالفطرة البشرية التي لا تؤلف أو تتركب، إنما هي موجود تلقائي، غير قصدي، وهذا ما دل على حقائق نبوغية هائلة قام بها صعاليك بغداد إبان العصر العباسي وخلال مراحل الفتن المذهبية و الطائفية، فقد أعاد الشطار والعيارون الاعتبار للخليفة العباسي بعد أن استضعفته الحركات الشعوبية، حيث لم يستطع جيشه ولا فقهاؤه ولا مفكروه من إعادة هذا البهاء الذهبي الأول إليه، كذلك استعان أحد الخلفاء بالصعاليك خلال الفتن المذهبية، وذلك لما كانوا يشكلونه من سطوة نفسية وأدبية في نفوس العامة، لأنهم أعدل الفرقاء بسبب نزعاتهم اللا إنتمائية[2].

ويتابع الدراجي: فاللا إنتماء هو مسلك الأنبياء في أزمنة الغوغاء والأوثان والفساد، مثال على ذلك: إذا كانت الحرب الطائفية هي مسوغ الانتماء للخالق في هذا الدين أو ذاك، فإن فضيلة الخالق ستكون في اللا إنتماء الديني أو الطائفي لأنه محكوم بموصِّف خارجي، إذن، اللهُ لا منتمٍ للفتن والدم والحروب الاجرامية، هكذا تكشف الهوية الصعلوكية شهادة صك براءة مطلقة من الانتماء، وهي أنبل شهادات حسن السلوك في أزمنة الانتماء الموحشة[3].

ذلك رأي، إلا أن الانتماء المنتج والمثالي، هو الانتماء لقيم السماء، التي تؤكد على مجموعة الفضائل والمحامد الخلقية الخالدة، والتي حملتها جميع

---

(1) أمير دراجي ـ شكل آخر للصعلكة ـ ص157 و158.
(2) أمير الدراجي ـ شكل آخر للصعلكة ـ ص158 و159.
(3) المصدر نفسه ـ ص159.

الاديان السماوية، ومنها الدعوة إلى التسامح والعدالة والمساواة والحرية والإخاء والوفاء والكرم ونبذ التعصب والظلم والعبودية.

ولأن هذه التعاليم والقيم الأخلاقية يضرب بها أو ببعضها عرض الحائط في كثير من أنظمة الحكم العالمية، خاصة المستبدة منها، كان لا بد من الصعلكة، أو قل إننا الآن أكثر من أي وقت مضى بحاجة إلى الصعلكة، لأنها الخطاب الوحيد الذي يرضع من حليب الذئاب، والذي يستطيع أن يقطع دابر المستبدين الظالمين ويعيد الحق إلى نصابه.

وخطاب الصعلكة هو ذلك الخطاب الملعون، لأنه عاصٍ ومتمرد، لا يلتقط اللذائذ بالشوكة والسكين، ويتأسس ذلك الخطاب خارج البروتوكول والمراسم، ولا تأخذه في الحق لومة لائم، ولا يمكن العثور في قواميسه على مفردات لها علاقة بالأقنعة والرياء والنفاق، وتمسيح الجوخ وتبويس اللحى، لأنه جمرة عذراء في بال المطر[1]، ثم إن خطاب الصعلكة ليس له علاقة بقانون العرض والطلب، ولم يتأسس على أرضية السلعة.

طوبى للعاشق الحالم، والثائر المتمرد بحق، والشاعر الثائر الحالم، واللعنة على كُتَّابِ التقوقع والتزحلق ومبرري سياسات الخيانة والعمالة والاستسلام.

إن مئات القصائد والمقالات تتهافت كلَّ يوم على صحف البترو دولار، تحت شعار العوز والحاجة، وهي تبرر سياسات الأمر الواقع والخنوع التي تنسجم وتتلاقى مع إرادة العولمة والأمركة التي تريد أن تبتلع حريتنا وثقافتنا، وتلغي هويتنا، وهي التي تتهم المقاومة وأبطال المقاومة بالجنون والركون إلى الخيانة والاستسلام، وحين يرتفع في سوق الشعر من يطبل لهذا ويزمر لذاك ويبجل ذلك، وينحني لهؤلاء ممن ينهبون ثروات الأمة والشعوب، عندها يحلو الشعر المتصعلك، وتباح الصعلكة لقطع رأس القصائد المنحنية الذليلة لقاء منصب فانٍ أو حفنة من المال. هنا، نصبح في حاجة إلى المواقف الثورية الصعلوكية[2] التي ترفض وتواجه، التي تقمع المواقف الجبانة والتصرفات المذلة.

دعنا نردد مع محمد الماغوط في صعلكته الأدبية: «سأظل مع القضايا الخاسرة حتى الموت، سأظل مع الأغصان الجرداء حتى تزهر».

---

(1) شكل آخر للصعلكة ـ ص38.

(2) شكل آخر للصعلكة ـ ص44 و45.

وحتى تزهر هذه الأغصان بحاجة إلى مخاض عسير بفضي إلى الولادة، تلك هي معركة الصعلكة.

دعنا نتساءل اليوم في عصرنا الحاضر، من هو الشاعر الصعلوك والاديب الصعلوك والفنان الصعلوك.

بالتأكيد. ليس كل من نال جائزة نوبل، أو حظي بمنحة سلطانية ملكية، ولا أولئك الذين يطبلون ويزمرون لأي كان، صالحاً أم طالحاً، مصلحاً أم مفسداً، المهم النفع المادي الذي يتلقونه والربح الزائد الذي يحصلون عليه، ولا أولئك الذين يبيعون قصائدهم في سوق النخاسة، ويعرضون الشعر لأبشع صورة عندما يسقطونه في حمأة المنفعة الخاصة وليس المصلحة العامة، عندما يجعلونه في خدمة الباطل، إن الباطل كان زهوقا، ولا الذين يميلون مع كل وجبة ليحظوا ببريق منصب وعظيم جاه.

إن أعظم صعلكة هي التي تمارس ضد العدو الصهيوني، وأطفال الحجارة كما ورد آنفاً صعاليك فتيان، والسود الذين يعانون ويكافحون ضد التمييز العنصري صعاليك محترفون، وكل فقراء العالم، الذين يرفعون الصوت من أجل العدالة والمساواة، وينتقدون سياسة الكيل بمكيالين والتعصب لفريق ضد فريق، هم صعاليك شجعان، إسمع ما يقول شعراء الصهانية وأدباؤهم في الوقت الذي نتلهف نحن على سلام هش مذل معهم، يقول الشاعر الصهيوني أشلوم كور: «سنسفك الدماء الكثيرة، ونقتل الأطفال والنساء والشيوخ»، وقد فعلوها في دير ياسين وحولا وقانا ومخيم صبرا وشاتيلا، وفي مدن الضفة الغربية وقراها.

ويقول الشاعر الصهيوني «يونثان غيفن»: «إن والدتي قد بكت لأني لم أحضر لها رأس أحدهم، والدتي بكت، لأنني لم أقتل المزيد»، ثم قال: «في صبرا وشاتيلا شاهدت دماءً كثيرة، فارتاحت نفسي».

وما ورد في كتاب «همجية التعاليم الصهيونية»، للأب بولس حنا مسعد:

« إن غير اليهود ليسوا كلاباً فحسب، بل حمير أيضاً».

أما الصهيوني ناتان شاحم في قصة غبار الطريق يقول: «العرب مثل الكلاب، فإذا رأوا أنك مرتبكٌ ولا تقوم برد فعل على تحرشاتهم يهجمون عليك، أما إذا قمت بضربهم سيهربون».

ثم يقول: العربي الجيد، هو العربي الميت، وإذا أردت أن تعرف العربي على حقيقته فيجب أن تفتح رأسه[1].

ويقول الصهيوني ابربا نبيل: «الشعب المختار وحده يستحق الحياة الأبدية، أما الشعوب الباقية فمماثلة للحمير[2].

وفي مقطوعة شعرية صهيونية، تدرس لتلامذة الصف السابع في مدارس الكيان الصهيوني نقرأ ما يلي: «حول قلوبنا إلى حجارة كي لا ترتعش أو تلين حينما نغرس رماحنا في أجسادهم، ونرى دماءهم التي أرقناها»[3].

ويقول مؤرخ الصهيونية الأول ناحوم سوكولوف (1869 ـ 1936م) في مقال قديم له نشرته صحيفة يديعوت أحرونوت بتاريخ 7/ 5/ 1978م:

إن العرب ليسوا أكثر من تجمع مختلف الأجناس والمذاهب والشيع والأنظمة الاجتماعية، بدو، برابرة، غزاة، والحكومة الوحيدة التي بإمكانهم أن ينشئوها هي من النوع البربري البحت.

هذا قليل من كثير، من مواقف الصهاينة شعراء وكتاباً وسياسيين وعسكرين، من العرب عامة، ونظرتهم إليهم، ونواياهم نحوهم، ولعل رجال المقاومة في لبنان أول من أذاقهم ويلات الهزيمة وأشعرهم أن في العرب رجلاً أشداء مناضلين، وأن جميع آرائهم لا تعكس مطلقاً حقيقة الشعب العربي الذي إذا ما تيسر له رجال دولة ومسؤولون مدركون منتصرون لكرامتهم فإنه يفعل المعجزات، دعنا نتذكر صرخة الرسول محمد ﷺ في موقعة أحد، وهو يقاتل بنفسه مع جنده «أنا النبي لا كذب، انا بن عبد المطلب.» أو صرخة عمر بن الخطاب (رض) في وجه جبلة بن الأيهم: «عنق المرتد بالسيف تجز»، وحمية علي بن أبي طالب عليه السلام، عندما انبرى لعمرو بن ود العامري اعظم فرسان الجاهلية قائلاً للرسول عندما دعا قومه إلى مبارزته: أنا له يا رسول الله.

لم نخرج من دائرة الصعلكة، مازلنا في صميمها، إن كل نضال ضد الباطل

---

(1) شكل آخر للصعلكة ـ ص137 ـ 138.

(2) شكل آخر للصعلكة ـ ص137.

(3) نجيب الأحمد الصهيونية هدفاً وأسلوباً وممارسة ـ مكتب الدراسات الفلسطينية ـ دمشق 1978م. شكل آخر للصعلكة ـ ص137

والظلم والعبودية والاحتكار هو نزعة صعلوكية.

آن لنا أن نقطع شعرة معاوية مع من يحتقرنا، ويمس كرامتنا ويستثمر ثرواتنا ويقف ضدنا في الوقت نفسه، آن للأنظمة العربية أن تعي ما تفعله وأن تدرك أنها تسلم رقبةَ شعوبها للجزارين، وآن للشعوب العربية أن تدرك فداحة مواقف مسؤوليها واستسلامهم المقيت للأجنحة الظالمة في العالم، ووقوعهم في فخ العولمة المدمر.

لنفكر ملياً، ماذا نفعل وماذا يجب ان نفعل، وأن نصرخ معاً، طوبى للصعاليك. ولأن الصعاليك يحبون الحياة نقيةً وخالية من الاعتداء، ومسكونٌ فيهم حب العدالة والمساواة فهم يشبهون المتصوفة، لكنهم صعاليك لا دراويش، يجهرون بما في قلبوهم دون وجلٍ ولا تقية ولا زهد، ويؤمنون بالإنسان فاعلاً إلى ما لا نهاية[1]، محدثاً تغييراً نوعياً في طبيعة الحياة البشرية نحو الأفضل والأسمى والأكمل.

---

(1) شكل آخر للصعلكة ـ ص14.

# رشيد أيوب
## 1871 ـ 1941م

**حياته ومعاناته:**

مواليد بسكنتا في أعالي كسروان سنة 1871م، بسكتنا مبدعة الكاتب والفيلسوف ميخائيل نعيمة، والشاعر جورج غانم.

عانى كغيره من الذين هاجروا إلى المنافي وراء البحار، لما كان يتعرض إليه لبنان في مطالع القرن العشرين من ظلم واستبداد الحكم العثماني، فقد تفاقم الوضع الاقتصادي سوءاً ونكل بالأبرياء، وتفشت البطالة وعم الفقر، فهاجر شباب ورجال كثيرون، قاصدين البلاد النائية سعياً وراء لقمة العيش، وهناك نشأ أدب مهجري جديد، فرسانه أدباء عرب، حفظوا اللغة العربية وكانت ترجمة لحنينهم وشوقهم إلى أوطانهم الغالية.

أدب المهجر من أنبل ما ابدعته القرائح العربية في الأدبين المغترب والمقيم، وكان رشيد أيوب أحد هؤلاء الفرسان الذين أسسوا الرابطة القلمية تأكيداً على وعيهم لقضيتهم العربية.

هاجر رشيد أيوب لكي يقضي على الفقر والعوز، لكن دون أن يفلح في ما كان يقوم به.

لقد عبثت به الأيام ورمته في همين، هم الفقر وهم البعد عن الوطن والأهل وما نال في كليهما سوى العناء والتعب، لذلك شكا الزمان كثيراً فسمي الشاعر الشاكي.

ولعل ما جمعه مع الصعالكة الجدد والأقدمين، قضية الفقر، والتنقل من مكان إلى مكان إلى آخر سعياً إلى طلب الرزق، ولعله يقرب من الصعاليك العباسيين،

من أنه كان يعبر عن معاناته بالشكوى من ظلم الدهر والأيام، في حين واجه الصعاليك الأمويون والجاهليون قضيتهم بالثورة المسلحة على مزاجهم.

إذن رشيد أيوب الشاعر الدرويش، هاجر إلى اميركا الشمالية بعد رحلات شملت باريس ومانشستر، ووصل إلى نيويورك سنة 1905م، عله يجد ضالته المنشودة، وحلمه المعسول، بالثراء والبحبوحة إلا أنه كان يؤوب من محاولاته صفر اليدين، فبكى حظه المتقلبَ وردَّدَ زفراتِ الحنين والشوق إلى الوطن، علماً انه كان بهجة المجالس وواسطة العقد بين الندامى كما يذكر صديقه جورج صيدح[1].

ولعل ولعه بالخمرة وإدمانه المفرط عليها ناتج عن محاولة الهروب من واقعه المزري، الفقر والحاجة:

| | |
|---|---|
| وقائلة لما رأتني مكثراً | من الخمر إن الخمر تذهب باللبِ |
| فقلت دعيني في رشادي فإنني | أعوض عما يشرب الحزن من قلبي |

أما سبب حزنه فهو الطفر، الفقر الشديد، الذي يشرب من قلبه ويدميه، كما كان يدمي الشعراء الصعاليك الماضين.

| | |
|---|---|
| رباه ما هذا الطفر | فاسمح لعبدك إن كفرْ |
| للناس عيش طيب | أما أنا . . . يا ما أَمَرْ |
| أسعى ولكن لا أرى | للحسن في حظي أثر |
| إن كان بالصبر الغنى | أيوب مثلي ما صبرْ |

إنه الصبر على الحاجة وظلم الدهر والأيام. لكن ليس إلى الحد الذي يقوده إلى الكفر، ولكن دعنا نأخذ الأمور على المحمل الجيد، ولا نتهم الشاعر، فلعله يكفر بالظلم، ولكن أنى يكون ذلك وهو يخاطب الله سبحانه وتعالى.

والذي دعاه إلى القنوط والإحباط الحياة المرة التي لا تحيد عنه، وهو صبر كثيراً، إلى ان أُسقط في يده وانفجر شاكياً مخاطباً رب العالمين.

إنها الشكوى سمة الشعراء الصعاليك، ممزوجة بالفقر المدقع والتمرد القاسي على الناس والايام. لذلك سمي بالشاعر الدرويش بسبب ما حل به من فقر، وبالشاعر الشاكي لكثرة ما شكا من ظلم الأيام، ثم بكى حظه التعيس، وتذكر وطنه

(1) جورج صيدح ـ أدبنا وأدباؤنا ـ ص288 ـ 289. د. الغفيلي ـ شعراء ماتوا جوعاً.

وهو متأرجح بين حالتي العسر واليسر. وعندما رحل سنة 1941م، كان بلا مال، بعيداً عن وطنه، ونتصور صورة ذلك الدرويش الصعلوك في هذه الابيات التي رسم فيها نفسه:

وقفنا عند مرآة حيارى ما عرفناه
عجيب في معانيه غريب في مزاياه
له سربال جوّاب غبار الدهر غشاه
ووجه لوحته الشمس غارت فيه عيناه
سألنا الناس من هذا فقالوا يعلم الله

إنه الفقر، لا يترك شيئاً من سحنة الإنسان[1].

ويبقى التشرد، السمة التي طبعت حياته، ممزوجة بالحيرة النفسية القاتلة، تلك إرهاصات الصعلكة ومنطلقاتها الأولية. الفقر والتشرد والشكوى:

لك يا نفس حياةً بعدما ألقي العصا
فالأماني جائعات عللها بالحصى
كي تنام

هي تذكارات شاعر عاش في الدنيا شريد
ومضى في الأمر حائر يقصد الضوء البعيد
في الظلام[2]

انها نفثات قلب بائس حزين، تضيئها لغة واضحة وأسلوب سهل فيه تأمل وحيرة، تلك سمة معظم الشعراء المهجريين، الذين عانوا مرارة الفراق، وبثوا الشكوى من الأيام والمعاناة، في شعر يتسم بالجدة والصراحة.

(1) جورج صيدح ـ أدبنا وادوباؤنا ـ ص289 و290.
(2) جورج صيدح ـ أدبنا وأدباؤنا ـ ص292.

# عبد الحميد الديب[1]
# الشاعر البائس (من صعاليك العصر الحديث)
# 1898 ـ 1943م

## حياته وصعلكته:

عبد الحميد الديب، شاعر مصري بائس، يروى أنه ولد سنة 1898م بقرية كمشيش في محافظة المنوفية في مصر، انتقل وهو فتى إلى مدينة القاهرة والتحق بمدرسة الدعوة والإرشاد لصاحبها رشيد باشا.

وأولى مظاهر صعلكته موقفه أمام الخديوي عباس حلمي عندما زار المدرسة، وانشد أمامه قصيدة يبغي حاجة بسببها، وقد أثارت القصيدة حفيظة الخديوي عندما قال عبد الحميد: مولاي إن المسلمين كما ترى ما بين مظلوم ومهان، فقربه الخديوي منه وسأله عمن يقصد بالمظلوم والمهان، فقال: أنا، وأخبره بأنه يود دخول القسم الداخلي لعدم تمكنه من توفير سكن في المدينة، فحقق الخديوي رغبته، وأهداه ساعة ثمينة احتفظ بها مدة، إلى ان اضطر إلى بيعها بسبب الجوع والحاجة.

إذن. عاش عبد الحميد في عهد الخديوي عباس حلمي، كان ذا روح متمردة، أنف حياة الفقر والتشرد، وقد تحول موقفه من تشرده إلى سخرية من كل شيء، حتى أن أقرب أصدقائه نال سياط سخريته اللاذعة، يقول عبد الحميد:

---

(1) شعراء ماتوا جوعاً ـ السفير صالح الغفيلي. ـ ص39. يوسف الشريف ـ مجلة الدبلوماسي المصرية ـ عدد 45 / يونيو 1999م. مقال بقلم محمد ماجد الخطاب ـ مجلة الفيصل عددد 271/ ـ الذين أدركتهم حرفة الأدب، تأليف طاهر أبو قاش

لـو لـم يـكـن نـبـل الـحـيـاء طـبـيـعـتـي أقـسـمـت مـا عـرف الـشـقـاء طـريـقـي
فـبـكـل مـضـمـار سُـبـقـت وإنـنـي لأعـيـش عـيـشـة خـاسـر مـسـبـوقِ

خلال الأزمات الاقتصادية الخانقة التي سادت مصر في الثلاثينات من القرن العشرين، خصوصاً في المنوفية مقر الشاعر، نشأت حالات الفقر والاسى، والفاقة عند عبد الحميد، وسببها أن أباه ـ وكان يعمل جزاراً أبلغه أن أحوال الناس تغيرت وساءت أمورهم، فعزفوا عن شراء اللحم، مما أفلسه، ولم يعد قادراً على تزويده بالدعم المالي لمساعدته في تدبير شؤونه، ولم يفت هذا الموقف من عضد الشاعر، فرفض العودة إلى القرية، وحاول أن يسترزق من الشعر الذي برع فيه، إلا أن أصحاب الصحف كانوا يرفضون شعره، لأنهم لم يصدقوا أن هذا الشاعر الهزيل هو صاحب هذا الشعر الجميل، فازدادت مأساة الديب، وسدت في وجهه منافذ الرزق، فهام على وجهه متنقلاً بين الأصدقاء، ومن بينهم الشاعر كامل الشناوي الذي كان يعطف عليه ويقدره، ورغم ذلك لم يسلم آل الشناوي من لسان الشاعر، فقد ذهب يوماً لزيارة صديقه الشاعر في منزله يوم عيد الأضحى، فلم يجده، فانتظره أمام المنزل ريثما يعود، وكان الجزار قد ذبح كبشاً، راحت والدة الشناوي توزع منه على الفقراء، فرأت في طريقها الديب واقفاً ولم تكن تعرفه، فظنته من الفقراء الذين قدموا لأخذ نصيبهم من الكبش وقدمت له لفافة لحم، فثارت ثائرته، وألقى باللحم للكلاب والهررة، ثم توجه إلى مسجد السيدة زينب فصلى، ثم وقف بين المصلين وألقى قصيدة هجا فيها آل الشناوي متهماً إياهم بالتفوق على اليهود في البخل والتقتير، وأنهم يتسترون بالورع والدين.

ومما قاله في هذه المناسبة يائساً ناقماً:

جوعـان .. يا محنة أربت على جلدي كـأن لـيـلـي بـيـوم الـبـعـث مـتـصـل
وإنْ تـطـلـبـت عـيـشـي مـت مـن كـمـدٍ وإنْ تـطـلـبـت مـوتـي يـبـعـد الأجـل

ولقد هضم لئام الناس حقوقه، وضاقت في وجهه الدنيا، لو لم يكن فيه هذا النبل الحيي، لما عرف الشقاء طريقاً إليه:

لـو لا مـنـاوأة الـزمـان لـهـمـتـي أزرى بـنـور الـشـمـس نـور شـروقـي
ضـاقـت وجـوه الـعـيـش دونـي بـعـدمـا هـضـمـت لـئـام الـنـاس كـل حـقـوقـي
لـم لـم يـكـن نـبـل الـحـيـاء طـبـيـعـتـي أقـسـمـت مـا عـرف الـشـقـاء طـريـقـي[1]

(1) السفير صالح ـ شعراء ماتوا جوعاً ـ ص38 ـ 40.

وهو عظيم، إلا أن الشدائد اعظم منه، وشهم، لكن الزمن غدار:

عظيمٌ .. ولكنَّ الحوادثَ أعظمُ    وشهمٌ، ولكني على الذلِ مُرغمُ

ميزات الصعاليك، فقر مدقع، يأس من الأهل، تنقل في سبيل لقمة العيش دون جدوى، نقمة على الأصدقاء، هذا هو سلاحه الوحيد.

ومن الذين التقاهم الشاعر وسَعُدَ بهم الموسيقار سيد درويش، وكان ذلك في أحد مقاهي القاهرة، وكان درويش يحاول إتمام أغنية ليلحنها، فاقترب منه الديب واقترح عليه هذين البيتين:

والله تستأهلْ يا قلبي    ليه تميل ما كنت خالي

أنت أسباب كل كربي    وأنت أسباب ما جرى لي

فاستحسنهما درويش وأضافهما إلى قصيدته، وتوطدت منذ ذلك الوقت العلاقات بين الرجلين، وعاش الديب أياماً مفعمة بالرغد والبحبوحة، إلى أن رحل سيد درويش فعاد الديب إلى سابق عهده أسير الفقر التشرد.

ولم يتمرد الشاعر على المجتمع فقط، وإنما على الساسة والحكام أيضاً فالسلطة كما يرى هي سبب شقائه ومأساته، فقد تخلت عنه ونفرت منه، كأنه غريب في وطنه:

وحكومتي إن رمْتُهَا    لظلامتي لم تقبلِ

ولو أنني رمتُ الحجارة    فَجَّرَتْ عن سلسل

أو لست من شعب المليك    فأستظل وأجتلي[1]

ويبقى الحظ العاثر ملاحقاً لحياة الشاعر، فما ان يسمع عنه أحمد حسنين باشا رئيس الديوان الملكي حتى يستدعيه إلى مكتبه في قصر عابدين، ويحثه على نظم قصيدة يمدح فيها ملك مصر فاروق بمناسبة عيد جلوسه على العرش، ووعده بأن تكون الجائزة دسمة، وأن يرى ما لم يكن يمر بباله أو يحلم به، ويفترق الرجلان، وإذا بقصيدة تأتي عكس ما هو مطلوب، لعل عدم رغبته في التملق دفعه إلى هذا الموقف، وهذا ما صرح به عندما سئل: لماذا أضعت على نفسك الفرصة الذهبية والمال الموعود، قال: حاولت أن أتملق الملك، لكن ضميري لم يطاوعني، وفقري وجوعي غلباني، فكيف أُسعِد الملك بشعري، ومما جاء في القصيدة

---

(1) الغفيلي ـ شعراء ماتوا جوعاً ـ ص40 ـ 44.

المعكوسة، ماذا يقدم إلى الملك وهو على شفير الهاوية، ثم إنه ليس من بطانته وشعبه، إنه من أفقر الناس:

أَنَّاتُ محرومٍ وذلَّةُ عافي ... وشقاء مغمورِ المواهب خافي
وأجوُس جناتِ النعيم إلى العلا ... فإذا بأرجاءِ الجحيم مصافي
أأصوغُ في عرس المليك قصيدةً ... وأنا إلى الموتِ الرهيب زفافي
لو كنتُ من شعب المليك نظمتها ... من مهجتي وعواطفي وشغافي

ويدفعه اليأس والإحباط، إلى أن يعتبر كل الناس أساؤوا إليه، حتى صار ملعوناً في السموات والأرض، وكان ذلك بعد فصله من مدرسة كان يعمل فيها، لأنه تعرف إلى معلمة واتفقا على الزواج:

أفاطمَ إن الناسَ قد فرحوا عرضي ... وصرتُ لعيناً في السموات والأرض
يقولون: «وما شمَّ معطي ... سوى الوردة الفيحاء والنرجس الفضي

ومن قصيدة مؤثرة، يصور الديب الغرفة التي كان يسكنها، فهي اصبحت مرتعاً للنمل ووكراً للأفاعي والأمراض، ولم يكن له سوى الصبر، واشتد هزاله، حتى شابه في الصبر النبي أيوب، وبالهزال غاندي زعيم الهند:

أرى النمل يخشى الناس إلا بأرضها ... فأرجلها أمضى من الصارم الهندي
تساكنني فيها الأفاعي جريئة ... وفي جوها الأمراض تفتك أو تعدي
تعلمت فيها صبر أيوب في الضنى ... وذقت هزال الجوع أكثر من غاندي[1]

وتشبه اشعاره هذه في الصعلكة، اشعار أبي الشمقمق وأبي فرعون الساسي الصعلوكين العباسيين، فاستمع إليه في هذه القصيدة المعبرة:

لحافي وهل غيرُ الحباءِ لحافي ... بقيةُ نسجٍ دارسٍ ونُدافِ
أطاف به لص فقير كعيشتي ... فيا بؤسها من هجرة ومطافِ
فليتك يا لصي الجريء وجدتني ... غنياً وسعدي في الحياة موافي

ومناسبة هذه القصيدة، أنه استأجر يوماً غرفة بثمانين قرشاً، عجز عن دفعها، ولم يكن في الغرفة إلا لحاف يتدثر به من شر البرد، فأتى لص وسرقه، وهنا يتمنى الديب لو كان غنياً ليستطيع ان يسرق منه أكثر من ذلك[2].

---

(1) الغفيلي ـ شعراء ماتوا جوعاً ـ ص45 و46.
(2) صالح الغفيلي ـ شعراء كاتوا جوعاً ـ ص46 ـ 47.

فمسكنه كان الغبراء، أو الحدائق العامة، أو المساجد، ورغم مآسيه فهو من الشعراء الظرفاء الذين أسبغوا على المجالس والنوادي الادبية مسحة ظرف وفكاهة بأخباره وأشعاره.

تزوج في أخريات أيامه من أرملة لها ولدان، وبقي معها بقية عمره، إلى ان توفي فقيراً معدماً بائساً كما عاش، بعد أن أصيب بانفجار في الشرايين، في مستشفى القصر العيني نهار 30 نيسان 1943م، ولم يرثه أحد، باستثناء رجل واحد أحبه، وأعجبه، إنه صديقه كامل الشناوي الذي قال:

اليوم مات شاعر تعرى، واكتست الأضرحة. وجاع وشبِعتِ الكلاب. لقد اشبه الصعاليك بتشرده ونقمته وفقره المدقع وترفعه.

حسبه أنه لم يوظف كرامته من اجل حفنة من المال[1].

(1) صالح الغفيلي - شعراء كانوا جوعاً - ص47.

# الياس فرحات

## 1893 - ....

### الحياة والشاعرية والمعاناة:

ولد الشاعر الياس فرحات في بلدة كفر شيما سنة 1893م، ويبدو ان طفولته كانت قاسية، وحياته مريرة، فذاق مر الفقر منذ يفاعته، وقد أجبره فقره المضني على ترك المدرسة وهو في العاشرة من عمره، فدخل مدرسة الحياة، وانطلق في خضم الوجود، مفتشاً عن رزقه، متعلماً فصول الحكمة مما مر عليه من تجارب مريرة قاسية، وقد قاده التفتيش عن العمل إلى التدرب على بعض المهن اليدوية، فتعلم النجارة، وتقشيش الكراسي وتنضيد الحروف، ولعل عمله في صف الحروف دفعه إلى عشقها والتلاعب بها، فتفتحت قريحته الشعرية وانجلت موهبته، فنظم مقطوعات من شعر الزجل، وأصبح وهو الفتى اليافع يباري كبار شعراء الزجل المعروفين آنذاك، وفي حين تفتحت أمامه أبواب الشعر والموهبة، فإن أبواب الرزق ظلت موصدة، وظل يفتش عن رزقه سبعة أعوام فلم يفلح. وإزاء هذا الوضع القائم، وتخلصاً من شبح الفقر والحرمان، صمم على ترك الوطن، والهجرة إلى ما وراء البحار، ووصل سنة 1910 م إلى أحدى بلدات أمريكا الجنوبية، ولكن يبدو أن الحظ السيء رحل معه على السفينة نفسها، ورافقه أنى ذهب، وأقام معه حيث أقام، فقد كانت له في المنزل الوضيع الذي كان يملكه صديقه المهجري توفيق ضعون، غرفة معروفة باسم غرفة فرحات، ويذكر توفيق ضعون في كتابه «ذكرى الهجرة»: أصبح أصدقائي أصدقاءه، ولكن كنّا جميعاً فقراء، فعجزنا عن أن نقيه غائلة الفقر، فكان يجوع ويعرى، وكأن النوائب كالأمراض لا تهاجم سوى العضد الضعيف[1].

---

(1) جورج صيدح - ادبنا وادباؤنا - ص365 - 366.

وما لبثت الشدائد أن عصفت أكثر بالشاعر، بعد أن بحثوا له عن عمل يقيه شر الفقر، فأتى عكس ما تمنى، وجرَّ عليه المزيد من الفشل والإخفاق والبؤس. وبعد مضي خمسة عشر عاماً على وصوله إلى البرازيل صمم على جمع أفكاره ضمن قالب الرباعيات، وأصدره سنة 1925م في كتيب لاقى اهتماماً كبيراً في المهجر والاقطار العربية التي كانت تتوق لمعرفة أخبار أبنائها ونتاجهم الشعري، وما وصلوا إليه في هذا المضمار...

ورغم هذه المكانة الأدبية، ورغم تنقله وتشرده فقد عاش حياة الفقر الذي لم يغب عن شريط حياته، حياته المثقلة بالهموم والمشقات، فقد قضى ثلاثين عاماً من حياته سعياً وراء الرزق الحلال متنقلاً في كل مكان والرزق يهرب منه ويفرَّ من طريقه، وكم من مرة نام جائعاً وعجز عن توفير خبز يومه، وشرب مما تشربه الخيل، وأحياناً مما تأنف الخيل منه، إنها الصعلوكية الفرحاتية المتمثلة بالفقر والحرمان والسعي والتشرد والتنقل دون جدوى، حيث يقول(1):

أُغـرِّبُ خـلـف الـرزق وهـو مـشـرقٌ — وأقـسـم لـو شـرقـت راح يـغـربُ
حـيـاةُ مـشـقـاتٍ ولـكـنْ لـبـعـدهـا — عـن الـذل تـصـفـو لـلأبـيِّ وتـعـذبُ
طوى الدهرُ من عمري ثلاثين حقبةً — طـويـتُ بـهـا الاصـقـاعَ أسـعـى وأداب
ومـأكـلـنـا مـمـا نـصـيـدُ وطـالـمـا — طـويـنـا لأن الـصـيـدَ عـنـا مُـغَـيَّـبُ
ونـشـربُ مـمـا تـشـربُ الـخـيـلُ تـارةً — وطـوراً تـعـافُ الـخـيـل مـا نـحـن نـشـربُ

وفقره هذا أورثه مرارة في الفؤاد وعلقماً في اللسان، إذ يعز على شاعر متألق ألا يحصد إلا الشقاء ولا يجني إلا الأشواك:

مـاذا أقـول وفـي الـفـؤاد مـرارة — مـنـهـا يـسـيـل عـلـى الـلـسـان الـعـلـقـم

والياس فرحات رغم ذلك لا ينحني ولا يهون، بل يظل منتصباً شامخاً لا تلويه الشدائد، ولا يأبه لبؤس أو حاجة، فقد وُلِد الفقر معه يوم وُلِدَ، بل هو توأمه الملازم له، نما معه، وربي في ظله، إنه التعبير الواضح الدامي عن حياة شاعر صعلوك، فيه العفة والكبرياء معاً، والفقر والحرمان والتنقل الدائم:

إنـي لأحـمـل ثـقـل الـفـقـر مـنـتـصـبـاً — عـالـي الـجـبـيـن وألـقـى الـدهـر مـبـتـسـمـا
ولـيـس فـقـري طـفـلاً عـمـره سـنـةٌ — لـكـنـه تـوأمـي لـمـا نـمـيـت نـمـا

(1) جورج صيدح ـ ادبنا وادباؤنا في المهاجر الامريكية ـ ص366.

وإزاء هذا الوضع المتردي، وصل إلى حافة اليأس، فقد قطع به الفقر والحرمان والبؤس شوطاً بعيداً، ولم يظفر بشيء، بل ازداد سؤاً على سوء، وها هو يخاطب رجلاً كان قد اشتغل هو عنده أجيراً، وحتى أنه رأى مبلغه الزهيد كثيراً عليه فقال:

هل خِفتَ أن أغتني ... أم خفتَ أن تفتقر
يا صاحب النَّولِ جُزْ ... وأظلم فلن انتحر
من كان في أسفل الـ ... هوة لا ينحدر

ويظن أصدقاؤه أنه اغتنى، بعد أن علموا أنه اشترى منزلاً له، لكنه لا يكمل عليهم تعجبهم، عندما يخبرهم بأنه قد رهنه من الفقر، واضطر لحجزه لقاء مبلغ من المال يعالج به أموره الحياتية.

يهنئني صحبي ببيت شريته ... ولم يعلموا أني من الفقر راهنه

ويلوح في خاطره وطنه الحبيب لبنان، فيتمنى أن يعود إليه، إلى حضن الطبيعة التي يعشقها، ولكن أنى له ذلك والفقر يلازمه ويلح عليه:

أروم إلى ربي لبنان عوداً ... ويمنعني من العود افتقار
ولو خُيرتُ لم أترك بلادي ... ولكن ليس في العيش اختيار[1]

صعلكة هادئة عنيفة في آن معاً. لقد افتقر وتشرد وسافر، ولكنه ظل عالي الجبين، ذو عفة وإرادة كالصعاليك الأوائل، أهل المروءة والعنفوان.

يقول صديقه جورج حسون في كلمته التي قدم بها ديوانه «ديوان فرحات» عام 1932م فرحات الذي طرحته النوى مطارح الشقاء، وجيَّش الدهر في وجهه كل مصائبه ونوائبه، وأناخ عليه بكلكله دون أن يتمكن من حبس مجرى شاعريته الفياضة، وإخماد جذوة وطنيته المستعرة.

إن عثراتِ الحظ لم تحدَّ من كبريائه، فهو لم يأكل خبزه إلا بعرق جبينه، ولم يعفر جبينه بتراب الزلفى والمداهنة، استغنى بالقناعة عن الأغنياء فساواهم حرية واختُصَّ دونهم بالعبقرية.

لقد رأيناه عام 1933م يبيع عدداً من حملانه ـ وهي كل رأس ماله ـ استعداداً

---

(1) د. الغفيلي ـ شعراء ماتوا جوعاً ـ ص418 و419. جورج صيدح ـ ادبنا وادباؤنا ـ ص371.

للسفر إلى سان باولو ومنها إلى عاصمة الأرجتين، لكي يشترك في حفلة الذكرى للملك فيصل الأول.

وهو يواجه كلمات الاستحسان والاجادة التي يحظى بها، بموقف صارم، تُرى أيحي الإطراء القلوب العطشى والأكباد الجوعى:

تُرى هل أعيش بقول أجدتَ ... ويا لك من شاعر مفلقِ

خلقتُ شقياً وعشت شقيا ... وأحسب أني أموت شقي

هكذا يتراءى له أنه خدن الشقاه، لازمه منذ الولادة ورافقه في رحلة الحياة، وهو يحسب أنه ميت على هذا المنوال، إنها الصعلكة اليائسة الحزينة، التي تكاد تستسلم لمصيرها المحتوم.

وعندما فاز سنة 1947 م، بجائزة المجمع العلمي المصري وقدرها سبعون جنيهاً، رفض قبولها واستلامها، رغم فقره وصعلكته وحاجته الماسة الملحة إلى المال، وحولها إلى صندوق إغاثة فلسطين، متحدياً الفقر الذي لم يحن هامته، ولم يضعف شيمته الأصلية وحسه الدافئ بالكرم[1].

وهو يأسف، في أبيات تكشف عن مظاهر صعلكته وتمرده وأساه في آن معاً، عندما يجد الخائنين تقدم لهم أوسمة العز والفخار، ولذلك يدعو الشاعر إلى تحطيم أصنام السياسة، الذين يبتلعون الخيرات منفردين، ويدخرون الأموال لأنفسهم دون مراعاة لحقوق الفئات المسحوقة من الشعب المسكين[2]:

أكل امرئ عقَّ البلاد وخانها ... يلوح وسام فوق برديه زاهرُ

أليس لكم يا قوم بعد محمد ... نبيّ لأصنام السياسة كاسر

من كان يدَّخر الأموال مختلساً ... تأتي بلاياه مما كان يدَّخِرُ

---

(1) جورج صيدح ـ أدبنا وادباؤنا في المهاجر الامريكية ـ ص371 ـ 373.

(2) جورج صيدح ـ أدبنا وادباؤنا في المهاجر الامريكية ـ ص370.

# الياس عبدالله طعمة
# أبو الفضل الوليد
# ولادة 1889م ـ وفاة 1941م[1]

## 1 ـ التعرف إلى الذات:

الياس بن عبد الله بن الياس بن فرج ابن طعمة، المتلقب بأبي الفضل الوليد، شاعر، من أدباء لبنان في المهجر الأميركي، ولد بقرنة الحمراء من قضاء المتن بلبنان، وتخرج بمدرسة الحكمة في بيروت، هاجر إلى اميركا الجنوبية سنة 1908م فأصدر جريدة الحمراء، وكانت أسبوعية، وذلك في ريو دي جانيرو «المدينة البرازيلية» سنة (1913 ـ 1917) واتخذ لنفسه سنة 1916م اسماً جديداً هو أبو الفضل الوليد، فكان يوقع به ما يكتبه، ثم تسمى «الوليد بن طعمة» والوليد بن عبدالله طعمة، وأبحر سنة 1922م عائداً إل لبنان، وكان قد اهتدى إلى الدين الإسلامي[2].

ولدت ومهدي يسطع النجم فوقه وجئت على أهل القريض أميرا

إذا ولد الشاعر مستمداً جذوره من نسب عريق، وثراء ملموس، وتربية ارستقراطية، فمضى يجرر أذيالها عجباً بالسليقة الشعرية التي وافته منذ العاشرة، أي في السنة الأولى لدخوله مدرسة عينطورة في الجبل.

## 2 ـ صِراع الماضي والمستقبل:

إن عراقة النسب وموهبة الأدب، لم تحققا المصالحة ينه وبين المحيط الذي عاش فيه، ولا بينه وبين نفسه، فاحتدمت في أناه نوازع الماضي وتطلعات

(1) تاريخ الولادة في الإعلام هي سنة 1887 ـ والأصح هو 1889.
(2) الاعلام للزركلي 200/ 10 د. حسن محمد بشروش، أبو الفضل الوليد. الانسان ص3 ـ 7.

المستقبل، رواسب التربية الطفولية الأولى والاغراءات المهجرية، مؤمناً أن العلم الذي تيسر له في مدرسة القرية، وكان آنذاك في السادسة من عمره، ثم في عينطوره، وقد بقي فيها ثلاث سنوات 1910 / 1913م. ومدرسة الحكمة، وقد درس فيها ثلاث سنوات، وغادرها سنة 1905، بشكل غامض، كما يذكر مارون عبود في كتابه جدد وقدماء[1]، مؤمناً أن كل ذلك لا يجدي نفعاً في عصر المادة، ولا يحقق طموحات الإنسان إلى المجد والرفعة والسؤدد، فنظر إلى الكون نظرة مأساوية، أسلمته إلى عزلة مبكرة أبصرها بقوله:

فهذا الكون ظاهره صلاح ... وباطنُه فسادٌ لا يُقصُّ
أحاولُ عزلةً لأعيش وحدي ... وكيف العيشُ والدنيا مِقصُّ

في ظل هذه العزلة القاتمة التي خلقت في قلبه الضيق، أسرج صهوة الرحيل، قرر السفر، فالوطن لا يحقق الآمال والاحلام، والاستعمار التركي لا يترك مجالاً للحركة بحرية وفاعلية، فقال متذمراً شاكياً، وتلك أولى أرهاصات الصعلكة لديه:

وطني يضيق عن المطالب والمنى ... فالنفسُ لا تُقضى هنا أوطارها

إذا يحدد سلفاً أسباب رحيله وسفره، السعي وراء المنى والغنى:

تصبو إلى السفر البعيد وطالما ... لذت لعاشقة العلى أسفارُها
أأسيح في هذي البسيطة آملاً ... وسهولها لي رحبة وبحارها
أنا خاملٌ في بقعة مجهولةٍ ... أسرى بها أحرارها وخيارها
وضخورها في غابها وهضابها ... حرسٌ مجردةٌ عليَّ شفارها[2]

يحاول ابو الفضل هنا البحث عن جوهر الوجود وراء البقعة المجهولة (الوطن) التي سلبته كل معنى للحياة، وجردت عليه شفار الصخور والهضاب، وكأنها أوحت إليه بالعدوانية والتهديد، لقد جعل المستعمر والظروف الاخرى الخاصة التي أحاطت بالشاعر، جعلته يتصور أشياء وطنه مصدر تهديد وخطر، مما دعَّم في نفسه فكرة الهجرة، محاولاً أن ينتقل من عالم الظلم والعبودية والقهر، باحثاً كغيره من اللبنانيين والسوريين آنذاك عن كرامة العيش ورخاء المستقبل وتحقيق الاحلام[3].

---

(1) مارون عبود ـ جدد وقدماء ـ ص245. د. حسن محمد بشروش ـ ابو الفضل الوليد ـ الإنسان والأديب ص6.

(2) ابو الفضل الوليد ـ رياحين الأرواح ـ ص154 و23 ـ د. حسن محمد بشروش ـ أبو الفضل الوليد ـ الإنسان والاديب ـ ص7.

(3) د. حسن محمد بشروش ـ أبو الفضل الوليد ـ الإنسان والاديب ـ ص8.

### 3 ـ القدر المأساوي:

لم يكن نعيم العيش ورفاهية الحياة ليحولا دون البأساء والقلق، فاشتد في داخل أبي الفضل تيار التناقض مع الواقع، وارتفع صوت الاصطراع بين الميول والرغبات، إلى أن استسلم الشاعر لقدر مأساوي لا راد له ولا حائل دونه، وقضاء مبرم يدفعه إلى خوض الأبحر، والرحيل في اتجاه المجهول المعلوم في آن معاً، وقد تجلت هذه النوازع في قصيدة موقف الوداع، إذ يُقبِّلُ صاحبته ويلثمها ويبوح لها بفكرة السفر، لكنها ترجوه العدول والتأخر، فينشد رائية منها:

فأجبتها وجعلت باعي طوقَها ... لا بُدَّ لي من أن أخوض الأبحرا
نفسي أبت إلا العلى لا تجزعي ... من أمرِ ترحال عليَّ تقدرا[1]

إذن. هو مُصِرٌّ على الهجرة، طلباً للعلى والمجد، فلا داعي للجزع، وفي حوار آخر، يرفض نصيحة صاحبته التي دعته إلى عدم تكلف البؤس والذل والقهر، فقال لها:

فقلت لها إن القضاء يقودني ... إلى حيث لا أدري ولا ينفع الجهر
فلا تفتحي جرحي القديم لأنه ... عميق فيستولي على قلبك الذعرُ[2]

لقد عاش مع أسرته في ترف وجاه، إذاً لماذا الإصرار على السفر والهجرة، هل كانت هجرته طلباً للمال والجاه والعلى، أم خلاصاً من الاضطهاد والتأزم والخيبة في مسقط رأسه، أم استجابة لدواعي الرسالة الفكرية التي وهب لها ماله وقلمه ودمه.

منذ البدء، كانت في أعماقه أفكار الصعاليك، تمردهم، تشردهم، وسعيهم وراء العلى.

### 4 ـ منطلق الغربة:

ترك الشاعر لبنان سنة 1908م ـ 1329 هـ في أواسط شهر نيسان (ابريل)، معتمداً على ما يسَّره له أهله من نقود، وقد سافر بغية السياحة والاطلاع أولاً، ومرَّ سائحاً بمصر وإيطاليا وفرنسا واسبانيا و البرتغال، ثم توجه إلى الأرجنتين فأقام فيها

---

(1) ابو الفضل الوليد ـ رياحين الأرواح ـ ص125. د. حسن بشروش ـ ابو الفضل الإنسان الاديب ـ ص8.
(2) أبو الفضل الوليد ـ أغاريد في عواصف ـ ص29. د. حسن بشروش ـ ابو الفضل ـ الإنسان والاديب ـ ص8.

متجولاً، ثم غادرها وعرج على مونتيفيديو عاصمة الأورغواي، ونزل البرازيل واستقر فيها اثنتي عشر سنة، وكان مركزه في ريو دي جنيرو العاصمة.

بقيت جولاته في الولايات البرازيلية غامضة، ولم يعرف ما إذا كانت استمراراً لسياحته، أم طلباً للرزق، كغيره من الأدباء المهجريين الباحثين عن لقمة العيش.

ويظهر من أخباره، أنه غادر لبنان على يسر، بفضل ما كان معه من نقود وفرها له أهله قبل سفره.

كما يبدو من خلال كتاباته في الغربة، أن مآسيه تراكمت، فعانى وقاسى، وتلقى سهام العاديات، كما أنشب الفقر أنيابه فيه بعد أن أتت البطالة وضرورات العيش على رأسماله، فاقفلت كبرياؤه وحدة طبعه وعزة نفسه أي منفذ يُرتجى، حتى شعر بمزيد من اليأس وضياع الآمال، ولم يبق له من مؤنس ومعين سوى متابعة الكتابة والتأليف شعراً ونثراً، وإصدار جريدته الحمراء[1].

## 5 ـ تفتح الوعي الجماعي:

تبدى في تلك الفترة وعي أبي الفضل للجماعة، وارتقاء الايقاع الذاتي لديه إلى إيقاع الجماعة وآلامها وآمالها، فتغدو الأنا الشاعرية متحدة مع الأمة، وتغدو الأمة وجوداً مكثفاً في قلم الأديب وروحه، ينعكس تسامياً واخلاصاً، ويتبلور انقياداً لا إرادياً، وتسليماً باستمرار الشكوى والسخط والثورة على الدهر (وهذا الدهر لذَّ له الجحود) وفي هذا مظهر من مظاهر صعلكته وتمرده.

في انتفاضته الذاتية، ظل تفانيه الرسالي مشوباً بالخيبة والخسران، مغموراً بالكآبة والتعس الذين رافقاه منذ الطفولة، وطفقا يقضان مضجعه بالحيرة والقلق، فيقول في بوح صارخ:

أرى حياتي كلها خسائرا ولم اكن مقامراً أو تاجرا
وهكذا أمشي كئيباً حائرا كمن أضاع في الدجى جواهرا
وكل تعسي أن أكون شاعرا

ابيات تغمرها الكآبة ومرارة الضياع، اللذين شكلا دافعاً بارزاً للهجرة، والبحث عن ملاذ آمن نفسياً، وراء أمواج السفر.

إن ملامح الصعلكة تتكون في جو من الإصرار على كبح الأمواج العاتية[2].

(1) ابو الفضل الوليد ـ الانفاس الملهبة ـ نفخات الصدر ـ كتاب القضيتين ـ التسريح والتصريح ـ ص8. د. حسن محمد بشروش ـ أبو الفضل الوليد ـ الإنسان والاديب ـ ص9 و10.

(2) أبو الفضل الوليد. د. حسن محمد بشروش ـ أبو الفضل الوليد ـ الشاعر والإنسان ـ ص12.

**6 ـ العودة:**

في الخامس عشر من نيسان (ابريل) سنة 1922م / 1341 هـ، حزم أبو الفضل حقائب العودة، وقد ألوى على خسران قاتم حظاً ومالاً وهمة وآمالا، فأبصر وتخيل منيته في ربع الشباب، (في الثلاثين)، ويظهر في هذا النص تشاؤمه وازوراره من الحياة، إن صعلكته تعني أنها تناديه ليتمرد، لينتقم، ليعيد عقارب ساعته إلى حيث يجب أن تكون، ليحدد سبب ما هو فيه، وما الذي أفقده ما كان له، يقول في وصف فجيعته: فقدت في امتحاني بياض ثغري، وسواد شعري، الشيب ثقبني، وكاد يلوحني فتراءى لي تبابي في شبابي، يكمدني وضح مشيبي في الثلاثين عندما رأى رؤوساً ستينية مظلمة الشعور، وقد أسلمت شعري لشيبي، كما أسلمت وجهي لربي، ثم تفجع على النكبة التي حصدها، بعد ضياع قدره ومكانته، وأيامه، معرفته وأمانيه، فقال في دالية مكسورة كانكسار أمانيه وأحلامه، التي أيقظت فيه روح الصعلكة والتمّرد[1]:

سلِ الشواطئ ما أبقين من جسدي ... وما عليهن من دمعي ومن كمدي

ضيَّعْنَ قدري وأيامي ومعرفتي ... في غربة فلذت أحزانها كبدي

يخدعْنَ نفسي بآمالٍ مزخرفةٍ ... حتى أرى الحظ في أثوابه الجدد

الدهر لما طلبتُ المجد عاكسني ... فقال عني عدوي .. غير مجتهدِ

والحظ لما طلبتُ المال أرجعني ... صفر اليدين، إذا فتشت لم أجدِ

وهكذا يتقلب أبو الفضل في عودته على جمر الضياع والخسران والحيرة والأحزان، فكيف لا يتصعلك لا يتمرد، لا يجرد سلاح ثورته.

وقد عرَّج في طريق العودة على الجزائر وتونس، وأقام مدة متنزهاً في الربوع السورية، فصعقته الاحوال السياسية والازمات الاجتماعية الخانقة.

وما كانت قدماه تطآن تربة الحمراء في وطنه لبنان، حتى تلقى أول سهم من أقاربه وابناء بلدته، فاستوحش ويئس من كل قريب، وايقن ان القرابة الحقيقة تكمن بالخلق والفكر والاحساس[2].

---

(1) د. حسن محمد بشروش ـ أبو الفضل الوليد ـ الشاعر والإنسان ـ ص13.

(2) أبو الفضل الوليد ـ أحاديث المجد والوجد ـ (الرسائل الست) ـ لام. لان. ط2 (1929م ـ 1367 هـ) ص205 ـ 206. د. حسن محمد بشروش ـ أبو الفضل الوليد ـ الإنسان والأديب ـ ص12 و13.

### 7 ـ الواقع الأليم:

وهو من مبررات صعلكته.

لم يهنأ أبو الفضل بالعودة إلى لبنان، حيث وجده لا يعرف للكريم فضلا، وفيه النابه خاملا، والقادر عاجزا، والمقدام قعيدا، وأهل كالسمك يأكل بعضه بعضا، ولبنان في الأغلال، وبيروت دمار وخراب، قال في هذا المعنى:

خلَّفتُ أرضي في قيد، ولشقوتي، عدت لأراها في قيد آخر (يقصد الانتداب الفرنسي) وقد أَمضَّهُ وأرهقه عذاب قاس من حال أسرته التي أتلفت الصروف بسط كفها، وحدت كثيراً من سخائها وامكاناتها، واحالتها قسوة الأيام عن الرضا واليسر، إلى الشدة والعسر، فكانت تذوي محرومة، مغضوباً عليها من الولاة الأجانب.

وسط هذه الظروف المظلمة، انطلق الشاعر إلى مصر في السنة 1924م ـ 1393 هـ، وفي آخر كانون الثاني (يناير) توجه من القاهرة إلى القدس فعَمان فالعقبة، لمقابلة الشريف حسين بن علي، وحل في معان وثم بين أركان الدولة الهاشمية، قبل أن يتوجه إلى العراق أوائل شهر آب سنة 1925م ـ 1343هـ، ماراً على حوران ودمشق[1].

في كل رحلاته كانت رسالة الوحدة هاجسه الكبير، وحلمه العظيم، فأهاب بالحكام الغاء الحدود المصطنعة وإقامة الدولة العربية الكبرى.

أما موقفه من الحكومة آنذاك فكان معارضة صاخبة، حيث يقول عنها إنها عصابة يشد بعضها أزر بعض، فلا يدخل فيها إلا الذي منها، وكان لهذا الموقف أثر سلبي على حياته الأدبية، فزادت محنته وآلامه، فمؤلفاته بين 1924 و1943م، لم تؤت أكلها من الرواج والتوزيع، لأن خصومه في الوسطين الأدبي والسياسي حاصروا مطبوعاته، بل تجاهلوا أدبه مكراً، وأغفلوه أديباً مرموقاً مارس كتابة النثر والشعر وغير ذلك.

كان لهذه المواقف السلبية تجاهه، أثر كبير في نمو اسلوبه الصعلوكي الرافض والمنتقد[2].

---

(1) د. حسن محمد بشروش ـ أبو الفضل الوليد ـ الإنسان والأديب ـ ص12 و13.

(2) د. حسن محمد بشروش ـ أبو الفضل الوليد ـ الإنسان والاديب ـ ص14 و15.

**8 ـ العزلة فالرحيل:**

منذ العام 1934م، ركن أبو الفضل إلى العزلة، وبقي خارج أي نشاط، سوى ما يكتبه في بعض الصحف أمثال الصفاء لصاحبها نديم ناصر الدين، والبيرق ليوسف أسعد عقل والحديث للياس حرفوش، في الأعوام 1925 ـ 1939م متابعاً حملته على الحكومة اللبنانية والانتداب الفرنسي، وقضى جل وقته بين القرنة الحمراء وبيروت، مستسلماً إلى مرض عضال فتك به عضواً عضواً وأقعده عن اية حركة، واردى بحياته سريعاً.

وكان قد زهد في الحياة، فلم يعد لديه طموح لشيء، وما لبث أن ألقى سلاحه، بعد أن كانت له وقفات عز ورجولة على ضفاف النيل وبردى والفرات ودجله، كأنه يحقق بهذا الوقوف حلمه في وحدة عربية شاملة متينة قادرة على الوقوف ضد موجات التخلف والتمزق[1]، وهكذا أسلم شاعرنا الروح سنة 1941م ـ 1360 هـ بعد ان ترك وصية تقضي بأن يُدفن في ثرى دمشق الفيحاء، وأن يكتب على قبره هذان البيتان المعبران أكبر تعبير عن موقفه من الحياة والموت، بيتان غاية في الزهد والتشاؤم يفصحان عما كان يعانيه في تلك الحياة الغرارة التي يضيع فيها الأفذاذ:

| | |
|---|---|
| علـى عـمـرانـهـا الـدنـيـا خـراب | ومـع قُـمـرِيِّـهـا يـنـعـى الـغـراب |
| فـدعـهـا غـيـر مـأسـوف عـلـيـهـا | فـأولـهـا وآخـرهـا تـراب[2] |

**نتاج الياس طعمة ومؤلفاته الشعري:**

ترك ابو الفضل الوليد مجموعات شعرية ملفتة، عبرت خير تعبير عن حقبة زمنية عانى خلالها لبنان واهله جميع الوان الاضطهاد، وله في الشعر:

1 ـ رياحين الارواح، وأبياته 3086 بيتاً في مئتين وتسع وثمانين قصيدة ومقطوعة، نظم الشاعر هذا الديوان بين سنوات 1905 ـ 1908م طبع طبعة أولى في البرازيل سنة 1918م، وثانية في بيروت سنة 1931م في مائتي صفحة كبيرة.

---

(1) د. حسن محمد بشروش ـ أبو الفضل الوليد ـ الإنسان والاديب ـ ص15.

(2) ابو الفضل الوليد ـ الديوان ص70. د. حسن محمد بشروش ـ أبو الفضل الوليد الإنسان والاديب ـ ص16.
ـ نشر أبو الفضل وصيته أول مرة في ديوان الانفاس الملهبة (ص 15) بعنوان، كلمة إخلاص، جاء فيها إني أموت كما عشت عربياً أملاً مشوقا، وتنشق نفحاتها الطاهرة، وتطرب لهدير بردى، تلك رقدةٌ أشتهيها، وأعلل نفسي بها، وأراها خير مكافأة لي إذا كنت مستحقا.

2 ـ أغاريد في عواصف، نظمه أبو الفضل في سنوات 1908 ـ 1910م، وطبعه ثلاث طبعات في البرازيل سنة 1915م، بأسم الغريبات، ورابعة في بيروت سنة 1934م.

يقع هذا الديوان في 133 صفحة من القطع المتوسط، ويحتوي 44 قصيدة ومقطوعة في 1827 بيتاً، تردد في عناوينها اصداء الغربة ولواعج الذكرى، وتلوح بين عباراتها روح عربية شفافة.

3 ـ الأنفاس الملهبة ـ نظمه في سنوات 1913 ـ 1916م، وطبعه طبعة أولى في البرازيل سنة 1917م، وطبعة ثانية في بيروت سنة 1934م، متضمناً القصائد الحماسية، وقد منعت السلطات الانكليزية دخوله إلى البلاد العربية.

يقع في 152 صفحة، ويتكون من 2208 أبيات في أثنين وسبعين قصيدة ومقطوعة.

4 ـ نفخات الصدر: هو ديوان الوحي والنبوة والرؤيا ـ

نظمه في سنتي 1919 ـ 1920م ـ فكان آخر شعره كما زعم، لأنه أبى النظم بعد الثلاثين رصانة ونزاهة.

طبعه للمرة الأولى في البرازيل سنة 1921م، بأسم القصائد، وللمرة الثانية في بيروت باسم نفخات الصدر سنة 1934م.

بلغ مجموع أبياته 2415 بيتاً، في اربع وعشرين قصيدة.

5 ـ غافر ولبانة ـ هي منفحة شعرية ذات مشهدين، نظمها من أجل مصر سنة 1929م وطبعها في بيروت سنة 1932م في عشرين صفحة من القطع الوسط.

6 ـ الديوان ـ

هو المجموعة الشعرية الكاملة، إذ يضم بين دفتيه القسم الأكبر من تراث إبي الفضل الذي سلم من الضياع والتلف، وقد تولى مقدمته الأديب والروائي اللبناني جورج مصروعة.

### نثريات أبي الفضل:

1 ـ كتاب القضيتين = تم الفراغ من تأليفه في 7 آب (اغسطس) 1919م، وطبع قسم منه باسم الحائف في ريودي جانيرو سنة 1921م، أعقبته طباعة كاملة في مطبعة الوفاء في بيروت سنة 1934م بحجم 242 صفحة من القطع الصغير، وهو كتاب سياسي المضمون.

2 ـ أحاديث المجد.

مؤلف متنوع المواد، متباين المواضيع، متقارب الجوهر والمغزى والغاية، يحوي ثلاثاً وثلاثين مقالة وأقصوصة، تتجه معظمها نحو الروح القومية والوطنية والإنسانية، وتهدف إلى الاصلاح والفضيلة.

طبع في القاهرة، أو بيروت طبعة ثانية سنة 1929م، ولا يعرف تاريخ الطبعة الأولى ولا زمان تأليفها. يقع في 261 صفحة من القطع الصغير.

3 ـ المالك. تم تصنيفها سنة 1930م، وطبعت لأول مرة في بيروت سنة 1932م، في 159 صفحة من القطع الصغير

يتضمن الكتاب عشرين رسالة، تتخذ مادتها من قضايا الناس والمرأة والحب والصداقة والمجتمع، بأسلوب مرسل حيناً، أو مسجع أحياناً، على نوادر متفرقة من التراث.

4 ـ التشريح والتصريح:

ألَفه أبو الفضل سنة 1931م، وطبع للمرة الأولى في بيروت سنة 1934م في مطبعة الوفاء، يقع في 166 صفحة من القطع الصغير، ومحاوره آراء في الأدب واللغة والشعر والغناء والتلحين.

وله في التعريب زوال الحب والملك وهي رواية تمثيلية ذات خمسة مشاهد من تأليف الشاعر الانكليزي اللورد بيرن وقد عربَّها أبو الفضل الوليد في أقل من شهر سنة 1923م بعد إلحاح جماعة من هواة التمثيل، عدا عن المؤلفات المفقودة، أصدر مجلة الحمراء سنة 1913م في 15 نيسان (ابريل)، وقد حرر جرائد كثيرة غير جريدته، وكتب في مجلات وجرائد كثيرة، منها الصفاء والرياحين والبيرق والحديث من 1935م وحتى 1939م[1]

## المظاهر الصعلوكية في شعر أبي الفضل:

### 1 ـ الصعلكة المتحركة:

تتكامل الصورة الصعلوكية في حياة وشعر أبي الفضل الوليد، في ما عبر عنه

---

(1) استندتُ في كل ما ورد عن مؤلفاته إلى رسالة أبي الفضل الوليد الإنسان والاديب للدكتور حسن محمد بشروش. من صفحة 17 وحتى 40.

من شكوى وتذمر، وتمرد على ما آلت إليه أموره، صراع بين الأنا وتشظياتها داخل المجتمع، كما كانت تشظيات الجاهليين مع قبائلهم.

إنها الشكوى والمرارة والاحباط، والتعبير عن انحطاط المستوى الأخلاقي في المجتمع، واستبداد المال واختلال القيم وسيطرة الحقد والحسد، فكأنه وجد ليمشي بين الأحقاد والضغائن، وكان أشد مضاضة عليه أن يعاقب على وفائه وإيمانه بأمته العربية وان يأخذ عليه أصدقاؤه نزوعه القومي، مما خلق هذه الصعلكة المتمردة الغاضبة على واقع لا يريده، فيه جحود الناس واختلال المقاييس ووحشية الانسان وسيطرة القوة والمال.

إن الواقع المزري الذي ألقى بظلاله على الشاعر، دفعه إلى رفع الصوت والشكوى، فقد تعاقبت عليه المظالم في حله وترحاله، ولم يجد من يقدر عطاءه وموهبته، ويشاطره نزعاته وهمومه، لقد تصيدوا أخطاءه وضخموها، وشهَّروا به في مجالسهم ومنتدياتهم، فوقف أمام هجماتهم شامخاً، لكنه وبعد اغلاق صحيفته «الحمراء»، لم يبق له من سلاح سوى سوانح الشعر والنثر يبث عبرها شكواه ويدافع بها عن نفسه.

لقد جعلته الظروف أكثر خبرة بالناس، أشقاهم وأتقاهم، أخبثهم وأطيبهم، ومن خطرات تمرده وشكواه هذه المناجاة: أفٍ لدنيا يأخذ الورد شوكها، والعوسج طيبها، وكفى صاحب النبوغ ما يعانيه من حساده وخصومه، المدعين المعاندين، فكأنه وجد ليمشي على الأحقاد والضغائن[1].

**2 ـ الشكوى من الحسد:**

انسابت حصيلة خبرته الحياتية في شعره شكوى قاسية عنيفة قائمة على ثنائية الحبيب ـ الحسود، فقال:

| | |
|---|---|
| استقبل الصبح الجميل ببسمةٍ | وحياته مني ليال سود |
| روحي تعذبه وتسحق روحه | لا يلتقي التنعاب والتغريد |
| ذكري كجمر في حشاه وأذنِهِ | ولسانِهِ، إني إذاً لسعيد |

ويبدو من خلال هذه الأبيات مدى ما كان يعانيه الشاعر من وسطه الاجتماعي

(1) د. حسن محمد بشروش ـ أبو الفضل الوليد، الإنسان والأديب ص154 و155 ـ رسالة دكتوراة لبنانية.

الذي كان يحاول أن ينشر فيه مبادئه، خطان متقابلان لا يلتقيان، طبائع الشاعر والحسود، أو التغريد والتنعاب[1].

وهكذا. حسبه ان يكون ذنبه عند العدى العلم والمعرفة، والفضل والاقدام والجود، وهذا ما يثلج به قلبه، فهو إن كتب، فهو يكتب لأمته، لخيرها ومستقبلها، فليمنعوا في الحسد والحقد، ويكفي الشاعر أن يقابلهم:

ولئن كتبتُ وإن خطبتُ لأمتي إن الكتابة والخطاب رعود
لا ذنب لي عند العدى إلا النهى والفعل والاقدام ثمَّ الجودَ

ثم يبدي ترفعاً ومناقبية، وحباً عظيماً لأمته، وبني قومه في مواجهة أولئك الذين غرسوا أنيابهم في الأعراض والأحساب، ليكون قصاصها على الإسفاف والافتراء، ترفع واباء واحتفاء من جانب أبي الفضل حيث يقول:

آداب قومي وآدابي أعوذُ بها من أن أكون مع الأوغاد ثلابا
الأريحية هزتني فصنتُ بها من الأكارم أعراضاً وأحسابا
وفي احتقاري لمن دوني أرى ظفراً هذا افتخاري على من ذمَّ أوغابا

هكذا تستحيل الثنائية بينه وبين الأوغاد أريحية وظفراً يرفعانه على الذام المسيء[2].

## 3 ـ الشعور بالوحدة:

ويستمر صراع أبي الفضل مع حساده، ولكن هذا الصراع أوقعه مع منعطف ضيق وأزمة، أزمة قلَّ فيها الناصر، وشمت الحاسد، لأنه متروك من أهل المروءة وأنصار العروبة، يناضل وحده في الميدان، ويشقى ويفتقر، ويبشر وينذر، ولا من مستجيب أو معين، فلنسمع هذه الأبيات المضمخة بروح الصعلكة والتمرد:

أيا ربُّ كُنْ لي في الجهاد نصيرا لأبقى على أهل الفساد قديرا
نفخت لهيباً في حشاي وقلت لي: خلقْتُكَ للأمر الكبير كبيرا

ثم يستنصر الله على أهل الفساد، بعد ان ضاع الحق وتخاذل القوم:

---

(1) ابو الفضل الوليد ـ ديوان الانفاس الملهبة ـ ص115. د. حسن بشروش ـ ابو الفضل الإنسان والاديب ـ ص155.

(2) ابو الفضل الوليد ـ ديوان ـ نفخات الصدر ـ ص43. د. حسن بشروش ـ ابو الفضل الانسان والاديب ص157.

عزيز علينا أن نرى الحق ضائعاً ونسمع مع ذاك العواء زئيرا[1]

ويعنف تمرده، وتشتد صعلكته، في تساؤله المرير عن الحق الضائع بعد أن أنكر القوم كريمهم، وطربوا لكل ناعب، وجحدوا من قدم روحه حرصاً، وذاب شعورا:

هدى الله قوماً ينكرون كريمهم، فيقضي شهيداً أو يعيش فقيرا
ولا من يعزيه على غدر خائنٍ فيكتم ما بين الضلوع زفيرا
لقد طربوا بين الخراب لناعب وما سمعوا وسط الجنان صفيرا[2]

## 4 ـ الرفض والاحتجاج:

وهو أحد أهم روافد الصعلكة، الاحتجاج على ما يعانيه الأحرار والشرفاء من شقاء وألم في أمتنا العربية، فالذين مالأوا الاستعمار والانتداب، وصلوا إلى المناصب والمحافل، والذين ناضلوا وتحملوا ضريبة الإلتزام وتبعات الشهامة والاقدام، أزيحوا عن واجهة العمل قسراً وأديلوا، وهضمت حقوقهم، ودفعوا ثمن مواقفهم المبدئية، ومنهم الشاعر وهذا ما جعله من رواد الاحتجاج والثورة والتمرد[3]:

كفى الحر أن يشقى وأن يتألما وأضلاعه في الذل قاطرة دما
لقد فسد المعروفُ والمنُّ واقعٌ على مِنة كانت من الموت أعظما
فكم ذُل شهم القوم واحتاج ضيغم إلى كلْبِ سوق كان يجمع أعظما
أذاك لظلمٍ أم لعلم وحكمة جهلت، وكل القول كيف وربما
فلا قل مال في اكف سخيةٍ رأيت نداها نضرة وتبسما[4]

من عنوان هذه الميمية (أنفة الحر) ومن خلال الأبيات السابقة، نرى الشاعر يؤكد على الاعتراض بل يلح عليه، وعلى إعلاء لهجة الإحتجاج والنقد والثورة

---

(1) أبو الفضل الوليد ـ الأنفاس الملهبة ـ ص32. د. حسن بشروش ـ ابو الفضل الوليد الإنسان الأديب ص157.

(2) أبو الفضل الوليد ـ الأنفاس الملهبة ـ ص32. د. حسن بشروش ـ ابو الفضل الوليد الإنسان والأديب ص157.

(3) أبو الفضل الوليد ـ رياحين الأرواح 141. د. حسن بشروش ـ ابو الفضل الوليد الإنسان والاديب ـ ص162.

(4) ابو الفضل الوليد ـ رياحين الأرواح ـ ص141 ـ 142. د. حسن بشروش ـ أبو الفضل ـ الإنسان والأديب ـ ص162.

والحكمة، وجميعها ميزات صعلوكية تغلغلت في أبيات الشاعر، ومن خلال نفسه المتألمة المتمردة، أوَ أقسى على النفس العزيزة من ان تذل لغاصب، ومن ان يحتاج ضرغام همام، إلى وضيع القدر والمكانة.

ويؤكد على المعاني نفسها في دالية جميلة، تفيض غيرة على المعاني الانسانية، ووجوب المحافظة عليها، لأن ما يدمي ضلوعه ويمزق قلبه أن يرى الاسود ترسف في قيودها، وتتمتع القرود بالفراش الوثير والرياش الوفير، وطيب الحظوة عند المسؤول، أولا تدعو هذه التجاوزات إلى صعلكة من نوع جديد، نوع يمزق ويفتِت:

إلام تعالج الأسد القيودا وهذا العصر قد رفع القرودا
فكم أصبحتُ أرسفُ في قيودي فقطعت السلاسل والقيودا
وفي الأرزاء قد جردتُ عزمي حساماً يفلق الخطب الشديدا
خبرتُ الناس حتى بتُّ أخشى لفرط اللؤم أن أبقى وحيدا[1]

ومن مظاهر احتجاجه أيضاً وإن كانت ذات منحى اجتماعي - ما رآه من انحراف في المجتمع، وذلك عبر مقابلة صارخة نعيشها في كل عصر، بين أحرار عشاق للعمل، وسعي لخير الأمة وبين زمرة فاسقة تنال الجاه والثراء، ومن دأبها التضليل والفتن، :

أيضيق عن أحراره الوطن ويضم عُشاق العلى كفن
ما كان أتعس أمة فقدت خير البنين وخانها الزمن
هذا يموت على خرائبها كمداً وتحمل ذلك السفنُ[2]

وقد خلَّف هذا الانحراف الاجتماعي شعوراً بالغبن والظلم لديه، ويُظهر استغرابه حين يُرفع الجاهل ويُذل العاقل، ويحرم العالم ويُوهب البخيل:

لقد أظلمت نفسي لفرط ضيائها كما تقبح العينان من كثرة الكحلِ
لكِ البؤس يا دنيا إلام ترينني لئيماً على غرٍ، وشهماً على ذُلٍّ
فيرفع ذو جهل، ويُوضع ذو حِجى ويُحرم ذو جودٍ، ويوهب ذو بُخلِ[3]

---

(1) د. حسن محمد بشروش - ابو الفضل الوليد - الإنسان والاديب - ص163.

(2) أبو الفضل الوليد - الأنفاس الملهبة - ص57 - د. حسن بشروش - ابو الفضل الوليد الإنسان والاديب - ص162.

(3) د. حسن بشروش - ابو الفضل الوليد - الإنسان والاديب - ص163.

ثم يهاجم المال والأغنياء بأسلوب إلتفافي واضح، عندما يعتبر أن الحرمان يقترن بالحفاظ على الشرف، وأما أغنى الناس، فهو لص سارق، لأن غناه ناتج عن تلصصه واحتياله، وسطوته الغير مشروعة على أموال الناس:

وما الحرمان إلا من حفاظ ... على شرف وأغنى الناس لِصُّ
فكم كلب ينام على الحشايا ... وكم أسدٍ له ربط وقفصُ[1]

ومن مصادر تمرد الشاعر وشكواه، هو تلك المفاهيم الاجتماعية المدمرة التي تسمح بالحصول على المال بالاختلاس والتملق والانتهازية، واستثمار السلطة لتكوين الثروات، فيما لا ينال أهل العلم والشرف (الأسد) شيئاً من الأماني وحسن التقدير، وقد عبر الشاعر عن كل هذه المفاهيم بقصيدة ميمية جاء منها:

رويدك لا تأسف ولا تتندم ... إذا أنكر الجهال فضل المعلم
أرى الدهر قد ساوى جهولا وعالماً ... وما نال أهل العلم أيسر مغنم
وما كان سعدُ المرء من بطن مصحف ... ولكن كل السعد من وجه درهم[2]

وتنتقل صعلكته من إطاره الخاص إلى الإطار الإنساني العام، فهو يثور على تقاليد الحياة وقيمها التي تعبد المال، وليس للشرع والقانون والحق فيها قيمة ولا معنى، وليس للفقير من حق لدعوى أو سند، وهذا دليل فساد المجتمعات الإنسانية التي نسيت الشرع الإنساني في العادل:

أما الشعوب فقد خالطت أكثرها ... فكم تجولت في حي وفي بلد
الشرعُ في عرفها حبرٌ على ورق ... والحق للمال والأعوان والسند
لا ترفقنَّ بإنسانية فسدت ... لا خير من فاسد فيها ومُنفسدِ[3]

والمرارة، هي شموخ هذه القصور التي بنيت على دماء الفقراء، شموخها على الأكواخ التي تكشف صلافة الأغنياء، وإهمال المسؤولين، في زمن ضاع فيه الحق:

ما الأرض إلا للقوي المتقيِّ ... فالنسر يُردي الإلف والأفراخا
والقصر يشمخ للسحائب ناطحاً ... ويودُّ أن يتلقف الأكواخا[4]

---

(1) د. حسن بشروش ـ ابو الفضل الوليد الإنسان والاديب ـ ص163.
(2) ابو الفضل الوليد ـ رياحين الأرواح ـ ص160. د. حسن بشروش ـ أبو الفضل الإنسان والأديب ص164.
(3) ابو الفضل الوليد ـ رياحين الأرواح ـ ص52. د. بشروش ـ ص164.
(4) ابو الفضل الوليد ـ رياحين الأرواح ـ ص166 ـ د. بشروش ـ ص164.

ثم يؤكد الشاعر المتمرد، انتصار الاشرار في ممالك الفخار، فما يُرجى لهم إصلاح، إلا بقوة مضادة تطيح بقوتهم الظالمة العاتية، حيث يقول:

يسير الشر شوطاً بعد شوطٍ فلا تأخذ محبيه بحوْطِ
لقد أعيا الهوى ديناً وشرعاً فما إصلاحهم إلا بِسَوْطِ

## 5 ـ إنحطاط الأخلاق:

من القضايا التي حمل من أجلها صعلكته على كتفيه وفي قلبه، وانبرى يلح على الحديث عن الفقر الذي كُوي بميسمه، وكان ممن تألم منه ونال من وطئه، فتمرد وتصعلك، وحمل سيف نقمته، ليواجه انحطاط الاخلاق واندثار الفضائل.

وتألم لما شاهده في لبنان والشرق، من تيه وصلف وبطر عليغير عز وشبع، ثم وجد أن الحرمان والفقر، والمخمصة بؤرة الرذيلة والجريمة، في ظل الفوارق الاجتماعية الهائلة، التي هي المسببة الكبرى لكل حركة صعلوكية، فقد اقتسم الاجلاف الطماعون الغنى وتركوا الأشراف يتسولون، فلنسمعه يعبر عن رأيه:

وإذا رأيت اليأس يحمل خنجراً لا تعذل الزنديق والجنونا
الفقر أصل الشر والكفر الذي في اليأس مزق ستر علَّيينا
من للفضيلة أن تخر صريعةً وتجرَّعَ الزقوم والغِسلينا[1]

والذي جعله يتمرد على واقعه الاجتماعي، ما رآه من أولئك الذين يدَّعون الايمان والعبادة، وهم ينصرفون عن الجائع الفقير إذا رأوه، في حين تذهب أموالهم في سوق البغاء:

ما اكذب الناس في التقوى وأخبثهم فهم مراؤون كالذؤبان والعُبد
إذا رأوا جائعاً داسوه وانصرفوا وللبغايا عطاياهم بلا عددِ[2]

لقثد أخمدت الرذيلة شعلة الفضيلة، وشانت سلوك المتدينين بعبادة رخيصة أبعد ما تكون عن الإيمان الخالص لوجه الله[3].

هكذا ثار شاعرنا على الشرور والآثام، ثار على مفاسد البشر وجشعهم وطمعهم واستئثارهم بالمال، وسعيهم إلى الغنى المستند إلى سلب مال الشعب

---

(1) أغاريد في عواصف ـ ص45. د. حسن محمد بشروش ـ ابو الفضل الوليد الإنسان والاديب ـ ص166.
(2) المصدر نفسه ـ ص52. م ن ـ ص166.
(3) د. حسن بشروش أبو الفضل الوليد الإنسان والاديب ـ ص166.

والعيش على دمائه، لقد كرس أبو الفضل عمره القصير للمواجهة، للصعلكة، التي لا تنحني ولا تركع، إنما تنتقد وتواجه، وتتحدى، لقد تشرد وتنقل وعانى وتألم من ظلم مجتمعه وقومه، وافتقر في مراحل حياته الأخيرة، وبقي على مواقفه لا يحيد عنها.

كذلك وجه سهامه النقدية إلى بني مجتمعه، إلى شوائب المجتمع وعلله، بغية إصلاحه، أو تنبيهه وإيقاظه مما هو فيه.

## الصعلكة الراكدة: وأول منابعها العزلة

تحول الشاعر قليلاً إلى العزلة، وقد ارتبطت عزلته بالوحشة والغربة، مصدرها القمع الروحي والفكري في أرض الوطن، والصدمة من العوائق التي تحد من حرية المبدع وتحط من قيمة المواهب والإمكانات، وقد حولت هذه العزلة صعلكته إلى تمرد على ضياع ما حاول تحقيقه، إلى شكوى من ضياع الجهد.

كان الشاعر قد اعترف بقسوة الحياة وشح النشاط بعد العودة من المهجر، وذلك عندما أخلد إلى الاعتزال فقال: إن للزمان والمكان تأثيراً شديداً في الرجال، فأبو الفضل الوليد كان كثير النشاط والتعرض في الغربة، فصار في الوطن أليف السكوت والإعتزال، وهذا دليل على أن الموهبة والمقدرة، لا تظهران إلا بالمجال الواسع والشأو البعيد[1]. لكنها عزلة نابعة من الشعور بالوحدة والتذمر من الفساد المستشري والانهيار القيمي السائد، يقول أبو الفضل:

كذا لا يهتدي ولد مضاعُ ويسكن ساعة قلب يُراع
فمن سفر إلى سفر بعيد كأن جميع أيامي وداع
فبتُّ أسير في الدنيا وحيداً وأكثر ما ارُجيه خداع[2]

إن العيش كما يرى الشاعر في عراك دائم، وصراع مستمر، وهو من سفر إلى سفر، سفر مخادع لا يحقق الأحلام وينتهي إلى وداع.

وعندما ذهبت نضالات الشاعر سدى، وكان الجهد مضاعاً، في عمر قصير سرعان ما انقضى، غمر الشاعر إحساس عميق بالوحدة والغربة، فانفصل عن محيطه الواقعي باحثاً عن جمال الحياة في هدأة العزلة.

---

(1) أبو الفضل الوليد ـ الأنفاس الملهبة ـ ص13 ـ 14. د. حسن بشروش ـ ابو الفضل الوليد الإنسان والأديب ـ ص173.

(2) ابو الفضل الوليد ـ الانفاس الملهبة ـ ص49.

وإذا كانت شكواه مما هو فيه، ومما يعانيه مجتمعه، وإذا كانت صعلكته المتحركة لم تنتج له فعلاً حقيقاً وتحقيقاً فاعلاً، فإنه لجأ إلى الصعلكة الراكدة، أي العزلة الشاكية المتمردة من داخله، يقول أبو الفضل من تائية جميلة[1]:

فما زلت أهوى خلوةً وسكينةً ... لتمثيل رؤيا دونها كل رؤيةِ
فأغمض أجفاني وأشتاق أن أرى ... بروحي جمالاً لا أراه بمقلتي
غريب أنا بين الذين أحبهمْ ... وأبغضهم، والموتُ آخرُ غربتي
إلى الملأ الأعلى أحِنُّ لأنني ... عن الملأ الأدنى أُنزِّه رفعتي

ومن صميم عزلته، يعبر الشاعر عن صعلكته وتمرده وشكواه مما في الكون من تملق وفساد لا أمل في القضاء عليه:

فهذا الكون ظاهره صلاح ... وباطنه فساد لا يُقص
أحاول عزلةً لأعيش وحدي ... وكيف العيش والدنيا مِقص[2]

يقول الشاعر:

لقد عمَّ الفساد حتى يئس الفضلاء من الصلاح، ولا عجب إذا كان صيفنا شتاءَنا، فلا تسألني لِمَ لا تمطر السماءُ الأرض؟ الغيث رحمة، وفي هذه البلاد المنحوسة، قلَّ من يستحق أن يُرحم ويُغاث[3] ومن هذه العزلة الساكنة، ومن هذه السكينة التي مازالت مرتبطة بالواقع الاجتماعي، تستمر النكهة الصعلوكية في أداء ابي الفضل الشعري، وفي قرارة نفسه أيضاً، هذا البوح الداخلي الخارجي المتمرد دائماً على كل إسفاف وترد في المجتمع، لا يسكت عنه، بل يواجهه ويعلن موقفه منه، يصارعه داخلياً إن لم يستطع بالوسائل الأخرى، ولعله يجد أن من واجباته أن يتصعلك، أي أن يتمرد على فقره ونفسه هو، لأنها لم تستطع أن تتحرر وأن تكبح جماح وانحراف من يعتبرهم حيوانات في طباعهم، لذلك يدعو إلى الابتعاد عنها، واتقاء غدرها والسخرية منها، والتطلع إليها من الخارج، إن المجتمع الذي يتحول أفراده إلى وحوش، وتحكمه المظاهر البراقة الخاوية، يصبح العيش فيه عبثاً ثقيلاً على المبدع، تأباه الروح كما يأباه السجن، وتشقى في مجاراته والسير إلى جانبه،

---

(1) ابو الفضل ـ نفحات الصور ـ ص19. د. حسن بشروش ـ أبو الفضل الإنسان والاديب ـ ص174.
(2) ابو الفضل الوليد ـ رياحين الأرواح ـ ص154. د. حسن بشروش ـ ابو الفضل الانسان والاديب ـ ص175.
(3) ابو الفضل الوليد ـ الممالك ـ ص154. د. حسن بشروش ـ ابو الفضل الإنسان والاديب ـ ص175.

بهذه الومضات المتمردة يطل أبو الفضل بقصيدة من العيار الثقيل يصب فيها جام صعلكته، ويحن إلى السكينة بعدما رأى القصور سجوناً، والناس وحوش ضارية:

نفسي تحنُّ إلى السكينة بعدما رأت المدائن والقصور سجونا
والناس فيها كالوحوش فليت لي مأوى على تلك الصخور أمينا[1]

## حتمية البؤس:

كره أبو الفضل الوليد الحياة الصعبة وسط المراءاة والمخاتلة، فوقفت نفسه متعالية مترفعة عن الغش والشر والوحشية حيث يقول[2]:

وجود الفتى غش وعيشته غشٌّ فأفضل من هذا الورى الطير والوحش
فكيف يعيش الحر غير مخادع وأصحابه كالقطن يبسطهم نفش
كرهتُ حياة صعبةً واحتقرتُها وأولَها مهدٌ وآخرُها نعشُ

وكره الحياة صادر عن عوامل الشقاء التي تغلق حقيقة الإنسان بغلالة من الكآبة الطافحة، تضمحلُّ في ظلها الليالي الملاح، بينما تطول هي وتقسو، لتصبح ثقلاً وعبئاً لا يطاق، يقول أبو الفضل:

ولكن ليلاتِ الشقاءِ طويلةٌ وفيهنَّ تهوي نجمةٌ بعد نجمةْ
أرى السعدَ وهماً والشقاءَ حقيقةً فما كان أشقانا بحكم الحقيقةْ
فكم بسمةٍ تبدو سريعاً وتمحي وكم دمعةٍ تكوي الفؤاد كجمرةْ[3]

ويذكر أبو الفضل في أبيات صدامية بمحيطه الاجتماعي، وشعوره بالغربة والغبن، عندما أيقن أن نجمه قد أفل، كذا الدهر تحني همومه وأحزانه الظهور، وما ولدنا إلا لنشقى، هكذا يحيل شقاءه إلى حتمية ثابتة من طبيعة الحياة، التي لا تخلو من منغصات.

علماً أن الصعلوك لا ينحني إنما يبقى في المواجهة، ويظل يحمل سيف النقمة إلى أن يحقق أمنية أو يقضي في سبيلها، هكذا في العرف، إنما صعلكة أبي الفضل

---

(1) ابو الفضل الوليد ـ أغاريد في عواصف ـ ص44. د. حسن محمد بشروش ـ ابو الفضل الإنسان والاديب ـ ص176.
(2) أبو الفضل الوليد. رياحين الأرواح ـ ص168. د. حسن محمد بشروش ـ ابو الفضل الإنسان والاديب ص177.
(3) ابو الفضل الوليد ـ اغاريد في عواصف ـ ص13. د. حسن بشروش ـ ابو الفضل الوليد الإنسان والاديب ـ ص177.

الآن في داخله، وسيفه لم يهوِ، إنما ينحني لكثرة حمله، ولشدة ما فعل وناضل، والآن يواجه الشقاء لأنه حتمي، ولكن في ظل صراعها الدائم مع سعادة الجهال:

نُحسب فتياناً وتحني ظهورنا هـمـومٌ وأحـزانٌ كـأثـقـال أحـمـالِ
وُلدنا لنشقى، هكذا كُلُّ عاقل يعيشُ لتشقيه سعادةُ جُهَّالِ
كما ينحني غصنٌ لكثرةِ حملهِ ويشمخُ غصنٌ مورقٌ غيرُ حَمَّالِ[1]

ويحس الشاعر بمرارة دامية، ويعز عليه أن يزرع في أرض قاحلة، لا تنبت إلا الضياع واليأس، تلك هي صعلكته وتمرده على شقاء الفتى:

شقاءُ الفتى من فكرهِ وشعورهِ فأعظم ببلوى شاعرٍ وحكيمِ
شقيتُ بعبءٍ ما خلقتُ لِحمله فكم بدميم جاءني وذميمِ
إذا شغل الإنسانُ غير محلهِ يضلُّ بليلٍ في الشقاء بهيم
لعمرك إن العقلَ في الجهل ضائعٌ كما ضاع ماءُ المزَن فوق هشيمِ[2]

**أمنية الموت وسعادته:**

ها هو أبو الفضل، يتمنى الموت، لأنه يجد فيه راحته، ويعتبره خلوداً له وبقاء، حسبه أن ينام في قبره امرءاً ماجداً لم تدنسه الموبقات.

أتراه رمى أسلحة المواجهة والصعلكة الصامتة، أم أن تمني الموت صعلكة دامية من اجل البقاء تحقيقاً لما قاله الشاعر المتنبي:

كم مات قومٌ وما ماتت مكارمهم وعاش قوم وهم في الناس أموات

يقول الشاعر أبو الفضل الوليد في لذة الموت، بنمط وصفي، إنه تمرد على الحياة الميتة بالموت الحي:

ذوى خداكَ من سهر الليالي وجسمكَ مثلُ مرجٍ فيه محلُ
وجلُدكَ شفَّ سقماً عن ضلوعٍ فؤادك بينها يهوي ويعلو
تعزَّ بلذةِ الموت الموافي فأنك فوق هذي الأرض ظلُّ[3]

---

(1) ابو الفضل الوليد ـ أغاريد في عواصف ـ ص54 و55. د. حسن بشروش ـ ابو الفضل الإنسان والاديب ـ ص178.

(2) م. ن ـ ص77 ـ 78. المصدر نفسه ـ ص178.

(3) أبو الفضل الوليد ـ رياحين الأرواح ـ ص146. د. حسن محمد بشروش ـ أبو الفضل الوليد ـ الإنسان والكاتب ـ ص179.

فالموت راحة وأمنية، خاصة بعد ان تحولت الدنيا إلى مرتع للدجالين، والموت هو المخلص من أعباء العيش، وفي سعادة عند الحكيم، لأنه المخلص من الحزن والهم والمرض والهرم، والتراب يكفن العيوب والعاهات، ويثأر للفقر والقبح من الحسن والغنى، فلو لم يأتنا الموت لطلبناه بتوسل وإلحاح، لأن فيه الأنس بعد الوحشة والاستقرار بعد الغربة، كما جاء في قوله، متأملاً ذاته في حيرة ومرارة وشك وريبة.

أيوحشكِ الملهى ويؤنسكِ الرمس ... غريبة دارٍ أنتِ أيتها النفسُ
تعِسَّفَنِ في ليلٍ من الشك دامسٍ ... ولا بد من أن يطلعَ الصبحُ والشمسُ
رحيلكِ هذا هجعةٌ أبديةٌ ... أم اليقظة الكبرى التي بدؤها الرمس[1]

تلك صعلكة أبي الفضل الوليد، الهادرة في بدايتها والراكده في خواتيمها، لقد رأينا كيف أنه تمرد وثار في مواجهة قضايا كثيرة في مجتمعه ومحيطه، وتأذى من جحود الناس ونكرانهم فضله، وتآمرهم عليه، وشكا من اختلال المقاييس والموازين والأعراف، وتذمر من البشر، ومن اهتزاز القيم، بعد أن سادت لغة المال ولهجة القوة، فساءت الاخلاق، وعلت المساوئ على الفضائل، وسيطر الشر على لغة الخير[2].

وقد ردَّ الشاعر على الواقع الفاسد في عناوين صعلوكية ممثلة بالتمرد والغضب والمرارة والحاجة والشقاء، وذلك عائد إلى الالتزام الذي تحمله الشاعر، والالتزام هو برنامج صعلكة، فواجه ودفع الاثمان، وتحمل التبعات، وكان الموت والحياة، سلاحين استخدمهما في حياته لبلوغ ذروة الصعلكة في مواجهة الموت والاستعداد له.

---

(1) أبو الفضل الوليد ـ رياحين الأرواح ـ ص146. د. حسن محمد بشروش ـ أبو الفضل الوليد ـ الإنسان والاديب ـ ص180.

(2) د. حسن محمد بشروش ـ أبو الفضل الوليد ـ الإنسان والاديب ـ ص181.

# نديم محمد[1]
# 1909 ـ 1994م

نديم محمد، أحد أهم شعراء سوريا والعرب في العصرالحديث، ولد في قرية عين شقاق إحدى قرى محافظة اللاذقية سوريا، نهار الخميس في الخامس والعشرين من شهر شعبان لسنة 1327هـ، الموافق 1909م، وهو نديم بن محمد بن حسن بن نصور بن محمد بن صقر بن علي (أبو شلحاء)، كناية عن السيف الحاد كما يعرف الشاعر بنفسه، ويعتبر نديم أحد أربعة شعراء كبار في سوريا، هم: بدوي الجبل (سليمان الأحمد) مواليد سنة 1914م، وعمر أبو ريشة مواليد 1908م، ونزار قباني المولود سنة 1923م، علماً أن شعراء كثيرين غيرهم برزوا في سوريا خلال النصف الثاني من القرن العشرين.

ولد نديم في أسرة ميسوره ذات مستوى اجتماعي مرموق، ولذلك عاش طفولة سعيدة، لم تتُح لأترابه الذين كان يعايشهم في بيئته، وهذا ما جعله يشعر بالتفوق، مما نما ملكة الوعي بكل من حوله وما حوله، وكان لهذا التطور أثر على شعره.

تلقى نديم دروسه الأولى في الكتَّاب، على يدي أحد شيوخ قريته، ثم انتقل إلى مدرسة العنَّازة القريبة من قريته، فأتقن فيها اللغة العربية، ثم انتقل إلى تجهيز الفرير في اللاذقية سنة 1921م، ثم في جبلة سنة 1922، وما لبث أن عاد إلى مسقط رأسه عين شقاق، فنال الشهادة الابتدائية سنة 1925م، ثم اتجه سنة 1926م إلى مدينة «مونبيليه» في فرنسا بغية إتمام الشهادة الثانوية والعمل على نيل إجازة في الأدب الفرنسي، وبعد ذلك نراه طالباً في كليته الحقوق بجامعة برن، عاصمة سويسرا، إلا أنه ارغم على العودة إلى وطنه سنة 1930م قبل إتمام هذه الدراسة.

---

(1) ديوان نديم محمد. السفير صالح الغفيلي ـ شعراء ماتوا جوعاً ـ ص137 وما فوق.

### عمله الوظيفي:

تقلب نديم محمد في وظائف كثيرة، بدأت سنة 1933م، واستمرت مدة طويلة تخللها أحياناً خلافات وطرد ومرارة، مما يعني عدم استقراره الوظيفي.

ومن الطرائف التي يذكرها الشاعر عن حياته، أنه أدخل يوماً مصحَّ ـ بحنس) في لبنان سنة 1949م بسبب اصابته بالتدرن الرئوي السرطاني، وهو ما لا يرجى منه الشفاء، وإذا به بعد فترة يخرج من المشفى سليماً معافى، ويعود إلى مزاولة وظيفته، التي يقول بأنها كانت أقسى من المرض.

### مكونات شاعرية نديم:

ساهمت أسباب كثيرة في تكوين شاعرية نديم محمد، منها شاعريته المتأصلة الفطرية، وموهبته التي برزت في سن مبكرة، علاوة على ثقافته الواسعة التي امتلكها ومن مقومات هذه الثقافة، القرآن الكريم، حيث اتقن الشاعر قراءته وتفسيره، كما أنه تعمق بدراسة آداب العرب وأيامهم وتاريخهم وأشعارهم.

وقد لعب تطوافه في دول كثيرة دوراً في تكوين مناحي شخصيته، واسهمت ثقافته الأجنبية خاصة في الفرنسية في بلوره هذه الشخصية وتعميقها، علماً أنه كان غير متوافق تماماً مع المجتمع الذي عاش فيه، ولعل ذلك عائد إلى نزعة الأنا التي ملأت عليه حياته.

### شعره:

ترك نديم محمد تراثاً شعرياً كبيراً، وقد سمح عمره الطويل بذلك، إذ بقي ينشد وينظم الشعر مدة سبعين عاماً، وقد فقد من مخطوطاته الكثير ولم يسلم إلا القليل من شعره، وخلال مسيرته الحياتية والشعرية عفَّ عن مديح الحكام وأرباب السلطة والجاه، بل إن كثيرين منهم تعرضوا لهجائه المر، هجاءً لا مثيل له في تاريخ الهجاء العربي، وقد رأينا شخصية نديم المتصعلكة تتكامل شيئاً فشيئاً، وسنشير إلى عناصر هذه الصعلكة عندما نتصدى لأشعاره.

إذن. هجا نديم كثيراً من السلاطين والملوك والرؤساء والوزراء والأعيان، وقد أوصل هجاءه إلى مسامعهم، وأنشده في المنتديات والمحافل غير عابئ ولا ملتفت[1].

---

(1) شعراء ماتوا جوعاً ـ ص137 ـ 139.

نعم بدأت صعلكة نديم محمد تبدو من خلال تمرده، برمه بالمجتمع، وهجائه للسلاطين والملوك والامراء، وتنقله من مكان إلى آخر، مع شعوره بالقلق والمرارة، ومن ثم حاجته وفقره الشديد الذي كان من جملة منغصات حياته، فعاش معذباً على امتدادعقوده الطويلة ولم يرث من قومه وأهله مالاً، وفي العقود الأخيرة من حياته، سكن في مدينة طرطوس من مدن الساحل السوري، لا يبرحها مطلقاً، وأخذت الأيام تجور عليه، حتى عاش فقيراً معدماً، يعوزه الدرهم والفلس، لشراء زجاجة خمر، فلا يجد معه شيئاً فيستجديها من الناس استجداءً.

والغريب في هذا الشاعر المتمرد عل مجتمعه ومحيطه ونفسه أيضاً، رغم صبغة الأنا التي طبعت حياته، الغريب أنه كان يقدم الخمر على كل شيء في حياته، وقد وصف الخمرة كما لم يصفها أي شاعر عربي حتى ابو نواس، وقد عاش كما يروى عنه ويعرفه الناس، عاش للشعر والمرأة والخمر، أفنى الليالي الطوال ثملاً، يتعتعه الخمر كما يذكر هو، وكانت المرأة دنياه، وإن كان لا يشير إلى ملهمات محددات، أو اسماء معينة.

أما الشعر فإنه كان يغرف من بحر، حسبه أن له ديواناً من خمسة مجلدات صدرت سنة 1996م عن مطبوعات وزارة الأعلام السورية.

قال من قصيدة يصور فيها بعض مراحل حياته:

لا يدخلنْ أحدٌ كوخي فلست أرى ... في الداخلين سوى لص ومغتاب
جارٌ من الوحش أو طير أعلمها ... أوفى وأخلص من جاري وأترابي
حولي من الذئب والعقبان طائفة ... هم كل صحبي وسماري وأحبابي
فارجع نصحتك، لا أمن ولا دعةٌ ... أو أنت منهبة للظفر والناب

إنه الألم صديق الشاعر الأوحد، مذ وعى حالته الشعرية، أصر على أن يسمي ديوانه آلام، وأصر على هذا العنوان في الجزء الثاني، ثم في الجزء الثالث.

الألم المبرح، لكن لم يدعه الشاعر يأخذ منه عنفوانه وتمرده وهو يقول في هذا المعنى[1]:

أيها المشفقون لا تلمسوا الجر ... ح بصدري فتوقِظوا كبريائي

واستمر على تمرده وعنفوانه رغم فقره الشديد، وقد شكلت هذه الموضوعات

(1) السفير الغفيلي ـ شعراء ماتوا جوعاً ـ ص140 ـ 141.

بالاضافة إلى برمه بالسلاطينِ وهجائه الملوك والطلاق بينه وبين مجتمعه، عناوين صعلكته، ومن أقواله: عشتُ عمري منصفاً للجار والصديق والقريب، ولكنني لم أكن أُنصف من أحد.

كما انه كان يردد: أنا لا أريد من الدنيا، إلا أن تتركني كما أنا معذباً شقياً. وقد استجابت الأيام طلبه، فعاش معذباً في حياته كلها. لم يصل إلى يده فلس، وإذا وصل قليل من المال اشترى زجاجة خمر، وذاك لعمري الشطط الأكبر والنزق المزري.

في السابع عشر من كانون الثاني سنة 1994م، رحل الشاعر نديم محمد عن عمر بلغ ستاً وثمانين سنة، ولم يكن في جيبه ما يكفي لشراء كفن يدرج به، بقي حتى آخر حياته مصراً على تمرده وعنفوانه وخيلائه، مؤمناً أنه لا مثيل له، وأن الزمن لا يأتي بمثله دائماً، قال وهو يحتضر[1]:

سيذكرني غداً أهلي كثيرا ... ويسأل بعضهم عني طويلا
فلن يجدوا وإن راحوا وجاؤوا ... ولن يُهدوا إلى عندي سبيلا

ولعل ما يجمعه علاوة على ما ذكرناه ـ مع الصعاليك ذلك الإحساس بمن عذبتهم الحياة على شاكلته، تماماً كما كان يحس الشعراء الصعاليك بمن يشعرون مثلهم بالغبن والحاجة وضرورة اعتماد العدالة والمساواة في الحقوق.

وإذا كان نديم محمد قد كرَّس ديوان (آلام) بأجزائه الثلاث لإحساسه بالحرمان والمرارة من الآخرين، فقد تألم أيضاً لما حوله ولما يعانيه غيره أيضاً لمن عذبتهم الحياة وتألب عليهم الدهر، هذا رغم ما قلناه سابقاً عن مرارته من المجتمع الذي يعيش فيه ورغبته الدائمة في الابتعاد عنه، فمعاناة المعذبين كانت هاجساً ألحَّ عليه في معظم أشعاره.

إنه الشاعر العربي السوري نديم محمد، الشاعر المتصعلك المتمرد الذي مات جوعاً وحرماناً إلا أنه يقول:

جزتُ للنجم كل نسر وخلّفـ ... ـتُ فحول النسور صرعى ورائي[2]

---

(1) شعراء ماتوا جوعاً ـ ص141 و142.

(2) شعراء ماتوا جوعاً ـ ص142.

# التيجاني يوسف بشير[1]
## 1912 - 1937م[2]

التيجاني يوسف بشير، شاعر سوداني، ولد سنة 1912م، من أسرة عربية الأصول، وقد لقب بالتيجاني تيمناً باسم الطريقة التيجانية[3].

ألحقه أبوه (الخلوة) أي الكتاب في أم درمان، وكان شيخ الخولة، عمه محمد القاضي الكتياني، صارماً شديداً على أقربائه بصورة خاصة، مما انعكس سلباً على الصبي فضاق ذرعاً بهذه الخلوة، وبنظامها التعليمي، الذي يقتصر على التعليم الديني الصِّرف، والذي يقوم على الحفظ دون غيره.

وكان شيخ الكتاب قاسياً على تلاميذه، وغالباً ما يظهر السطوة والشدة في إلزام الصغار على الحفظ البحت، ومعاقبة المهملين منهم أشد العقاب، ولم يرق هذا الأسلوب للتيجاني، وكثيراً ما كان يتمرد عليه، وأصبح من المألوف أن يعود إلى البيت باكياً حزيناً، وقد عبر بعد ذلك الشاعر فيما بعد، مستذكراً تلك اللحظات العنيفة التي شكلت أول انتكاسة في حياته الخاصة، وسالت عل شفتيه أبيات يصور فيها تلك المعاناة الظالمة:

هبَّ من نومه يدغدغ عينيه ... مشيحاً بوجهه في الصباحِ
حنقت نفسه وضاقت به الحيلة ... واهتاجه بغيض الروَّاحِ
ومشى بارماً يدافعُ رجليهِ ... ويبكي بقلبهِ الملتاحِ
ورمى نظرة إلى شيخه الجبا ... رِ مستبطناً خفيَّ المناحِ

(1) د. أحمد سويلم - شعراء العمر القصير - دار أوراق شرقية - بيروت - طبعة أولى - 1999م - ص93
(2) الولادة في «الشعر في السودان» هي سنة 1910م.
(3) الشعر في السودان - د. محمد عبده بدوي - ص257 - 261.

| | |
|---|---|
| نظرة فسَّرت منازعَ عينيه | ونمَّتْ عما به من جراح |
| حبذا (خلوةُ) الصبي ومرحى | بالصِّبا الغضِّ من ليالٍ وِضاح |
| ربَّ يوم أغرَّ يزهو بدريٍّ | نطاقٍ وعبقري وِشاحِ |
| وظلال من الضحى ظفرت منـ | ـها بعِقدٍ من الصبا لَمَّاحِ |

ويبدو من هذه الأبيات أن أيام السعادة كانت قليلة، وأن المعاناة تلوح أمامه وتنقض عليه، هكذا تنتهي الخلوة بذكرياتها المؤلمة المريرة لدى التلميذ الصغير، ليلحقه أبوه بعد ذلك بالمعهد العلمي، فيرى الفرق شاسعاً بين ما كان فيه وما استجدَّ عليه، فالمكان الجديد يسَّر له انفتاحاً عقلياً ووجدانياً على العالم[1]، مما أثقله، فلم يستطع إعادة تشكيل طاقاته التي تؤهله لتقبل الوضع الجديد، بل وجدها فرصة ذهبية للانتقام من هذه البداية التي أرهقت فكره وأقامته على مضض، ولعل ذلك أولى إرهاصات الصعلكة، حيث بدأت تتشكل في تفكيره بذور التمرد، والشكوى.

**دراسته وتعليمه:**

وأول هذه الواقع، قرر طلاق التعليم، والاعتماد على تثقيف نفسه بنفسه، معتبراً أنها الوسيلة الوحيدة في تخفيف معاناته وهو في مقتبل العمر.

لكن الأمر يحتاج إلى تكاليف باهظة، فأبوه يعمل إسكافياً بسيطا لا يكفي ما ينتجه ثمن طعامه وشرابه، ومن ثم فلا يستطيع منح ولده ثمن شراء الكتب المطلوبة، قس على ذلك أن الولد نفسه لم يكن يحظى بمتطلباته، كان مظهره مزرياً يدل على طبيعة الحياة التي يعيشها، والقائمة على الفاقة والعوز، كان يرتدي ثوباً ممزقا، وحذاءً دون رباط، وعمامة دون قلنسوة.

إذن. كيف الخلاص مما هو فيه، كيف يحقق أحلامه.

أخذ يفتش عن عمل، حتى وفق إلى ان يشتغل مساعداً لدى صاحب مكتبة وكانت هذه فرصة ذهبية له تمكنه من القراءة والتزود بما يحتاج من معارف، فانكب على الكتب وكتب التراث والمعرفة ينهل منها بشغف ولهفة ما استطاع إلى ذلك سبيلا.

---

(1) أحمد سويلم ـ شعراء العمر القصير ـ ص94.

وإلى جانب العمل في المكتبة، لجأ إلى اعمال وحرف مختلفة، مثل صناعة الطواقي[1]، أو محصلاً في إحدى شركات صناعة ماكينات الخياطة، ومصححاً بجريدة النيل، وأحياناً كاتباً لآخرين لقاء أجر زهيد[2]، وإذا كان الشاعر قد عاش مرحلة سياسية واجتماعية حرجة في وطنه السودان، فإن هذه المرحلة قد أثرت عل إحساسه ووجدانه، ومثلت عبوراً حاداً وقلقاً من القديم إلى الجديد، ومن النظر إلى المستقبل.

وإذا كان الشاعر قد تربى ونشأ على القديم التقليدي، فإن تمرده على ظروفه الاجتماعية وسخريته منها كانت معبراً له إلى الجديد، أو انعكاساً لمجتمعه الذي يتمزق أيضاً بين التخلف والتقدم.

أحسَّ الشاعر بهذا التناقض في وجدانه، فأحدث نوعاً من الدراما والرفض، وولج ساحة المرحلة الوجدانية في الشعر السوداني، التي تعني المرحلة الرومانسية، حتى أصبح رئيساً للشعر الوجداني في السودان لأنه أخلص لقضية الشعر، حتى قيل: يحق للتيجاني أن يقول: ضربت خيمتي بإزاء الشعر.

وقد اعتمد في تأملاته على الحدس،. فأبدع وحلق على أجنحة الخيال في سماء الحرية، علاوة على انه مَجَّدَ في شعره الفقر، وعشق الكآبة، وتغنى بالألم بعد أن أصيب بذات الصدر، وراح ينتظر الموت والموت يمتصه على مهل.

إن التمرد الذي هو أحد روافد الصعلكة عند الشاعر بالاضافة إلى الفقر والحاجة والحيرة، والتي كان من المفترض أن تتحول جميعها إلى نوع التحدي والمواجهة كما كان يفعل الصعاليك الأوائل، أخذت بالشاعر إلى أجواء صوفية، إلى تبني مقولات مختلفة، مثل وحدة الوجود عند ابن عربي، أو الحلول عند الحلاج، ثم نراه يغرق ذاته في النور الإلهي متأثراً بطريقته التصوير الإسلامي للإله حيث يقول في قصيدة «الله»[3]:

نحن مجلى علاهُ في كل دانِ

---

(1) أحمد سويلم ـ شعراء العمر القصير ـ ص96.

(2) المرجع السابق.

(3) أحمد سويلم شعراء العمر القصير ـ ص97 و98. ديوان النيل ـ لجنة الشعر بالمجلس الأعلى للثقافة ـ القاهرة ـ 1980.

من مراثي الوجود أو من كل ناءِ

ظن أدنى الظنون في قربه منك

وأقصى ما شئت من علياء

كل شيء لديه في مستقر العلم

عداً .. ورقعة الإحصاءِ.

ولا يلبث أن يثور في قلبه الشك، لكنه يحس وخزاً مؤلماً كلما أحسن أنه يعيش هذا الشك، فكتب قصيدته: يؤلمني شكي:

أشكُّ، يؤلمني شكي وأبحث عن

برد اليقين، فيفنى فيه مجهودي

أشك لا عن رضا مني، ويقتلني

شكي ويذبل من وسواسه عودي

وفي الفكرة نفسها تظهر حيرته الشديدة وقلق:

بين اثنتين أُسرُّ أم أبكي

قبسُ اليقين وجذوة الشك[1]

عدا عن هذه النزعات الوجدانية المتبانية، فإن الشاعر يدرك ضياع عبقريته وأدبه في وطنه، وهنا تبدو ملامح تمرده الاجتماعي وهي من روافد الصعلكة في حياة التيجاني[2]:

ويا مهيض الجناح كم أملٍ

تبغي وكم من الأسماء تطلبُ

تود مصر الزمان هي لمَّا

يأمل منها الشباب مطلبُ

وبعد حالة التأرجح بين الفكر الحالم والواقع الرديء، يتخذ الشاعر الايمان خلاصاً، ووحدة الوجود مذهبه الذي أخلص له على الدوام، وأسرار الكون وكل ما فيه موضوع تأملاته وتفكيره:

---

(1) أحمد سويلم ـ شعراء العمر القصير ـ 98.

(2) أحمد سويلم ـ شعراء العمر القصير ـ 99.

الوجود الحق ما أوسع في النفس مداه
والسكون المحض ما أوثق بالروح عراهُ
كل ما في الكون يمشي في حناياه الإله
هذه النملة من رقتها .. رجع صداه
هو يحيا في حواشيها .. وتحيا في ثراه
وهي إن أسلمت الروح تلتقها يداه
لم تمت فيها حياة الله إن كنت تراه
من ثم يستسلم التيجاني لقدره من الفقر والمرض.

كان من المتوقع أن يتمرد الشاعر على الفاقة والحاجة والفقر، فالمرض لا مفر من الاستسلام له، والظاهر أن الاستسلام للفقر عند التيجاني، كان يترجمه زهده في المال والحياة، لقد شكل المرض لديه إحباطاً، فضعف تمرده على ما هو حاجة وعسر،

وله شأنُ الصعاليك الماضين ـ قصيدة يمجد فيها الفقر، ويزينه للناس إذ يقول:

| | |
|---|---|
| وما يبتغي فقراء الحياة | خزائنها خشيةً أن تضيع |
| ولا تزدهيهم ملاهي الوجود | ولا يطيِّبهم خداعُ الصنيع |
| وما بهم عوزٌ للطنا | فس أو حاجة للأثاث الرفيع |
| فيا آهة ملء دنيا الفقير | ويا أنّةً ملء دنيا الوجيع |
| لأنت لدى الله أسمى وأنبلُ | من الأرض في بسماتِ الخليع[1] |

هكذا يمجد الشاعر الصعلوك المتمرد بصمت، كما كان متمرداً فيما مضى، التيجاني بشير، يمجد الفقر، ويتلاقى مع الصعاليك بنبله وترفعه، وإن كان الصعاليك يحاربون فقرهم بالإغارة وقطع الطرق، ومهاجمة الأغنياء المترفين، فالتيجاني واجه فقره بالتمرد الهادئ، وإن كنا ننتظر منه مواجهة واقعه المزري بالتحدي والثورة، وقد نكص مرضه فيه هذا الخيار، يقول من قصيدة:

فلله فؤاد تآكلته الرزايا

رحل التيجاني الشاعر الصعلوك بعد المعاناة الجسدية والنفسية وهو في عمر

---

(1) أحمد سويلم ـ صـ 101.

الزهور عن خمسة وعشرين يوماً، وترك مقالات في الادب والنقد، وديوان شعر صغير (إشراقة).

كان فقيراً معدماً حائراً متردداً، ناقماً متمرداً بصمت، نبيلاً، وتلك بعض مزايا الصعاليك وتذكر منفعة لهذا الشاعر، أنه فتح إلى الشعر السوداني باب الشعر الوجداني[1].

---

(1) أحمد سويلم ـ صـ 102.

# مصطفى وهبي التل

## 1899 ـ 1969م

مصطفى وهبي التل، من شعراء المملكة الأردنية الهاشمية، لقب بـ «عرَّار»، تلقى علومه في المدارس الأردنية، ثم نال شهادة الليسانس في الحقوق، ومارس مهنة المحاماة، وانخرط في العمل السياسي، ودافع عن الحقوق الوطنية ضد الاستعمار الانكليزي، فما كان منهم إلا أن سجنوه عدة مرات، ونكلوا به، فانقلبت حياته من النعيم والغنى والثراء المادي إلى الفقر المدقع والفاقة والحاجة.

قضى أيامه الأخيرة متنقلاً بين مضارب النَّوَرْ، منشداً الشعر، إلى أن توفي سنة 1969م عن عمر يناهز السبعين سنة.

من مجموعاته الشعرية، ديوان مطبوع باسم «عشيات وادي اليابس»، ومسرحية بعنوان «سدوم»[1].

تعرض الشاعر عرَّار إلى اضطهاد رجال الانتداب الانكليزي على شرقي الأردن، وناضل ضدهم ما وسعه إلى ذلك سبيلا، وتمرد على ظلمهم وأحكامهم، فألقوه في غياهب السجون، وقد شكلت هذه المرحلة المناضلة انطلاقة صعلكته، تمثلت في تمرده، وكفاحه ثم تكتمل حركة الصعلكة هذه بعد خروجه من السجن، وتبدل حاله من الغنى إلى الفقر الشديد، فتشرد، وطفق ينتقل بين مضارب البدو في جوانب الصحاري، مردداً أشعاره التي تحكي صعلكته وبؤسه، وها هو يتحدث عن الفقر ساخراً فيقول:

يـا هـبُـر[2] بـي فـقـرٌ كـفـقـرِكَ لـلإبـاءِ ولـلـحـمـيـهْ

---

(1) تاريخ الشعر العربي الحديث ـ أحمد قبش ـ ص272. د. سالم المعوش ـ شعر السجون ـ ص662.

(2) هبر: رئيس النَّوَرْ وزعيمهم، ويذكره الشاعر كثيراً في شعره، وكان كثير التنقل بين مضارب النور التي سماها الخرابيش.

أومـا تـرانـي قـد شـبـعـتُ    عـلـى حـسـاب الأكـثـريـه
وأكـلـتُ بـسـكـوتـاً وهـذا    الـشـعـب لا يـجـد الـقـلـيـه
ولـبـسـتُ إذ قـومـي عـراةٌ    غـيـر مـا نـسـجـت يـديـه[1]

بهذه الابيات القليلة، يتناول مصطفى التل قضيته الجوع والفقر، متحدثاً عن أوضاع المجتمع الذي يسود فيه الاستغلال، والظلم والمحسوبية، وتعيش فيه فئة قليلة على حساب فئات الشعب المحرومة من كل شيء، من هنا تبدو صعلكة الشاعر، تمرد على الفقر، على واقعه وواقع جماعته وابناء شعبه، «فالهبر» فقير، وكذلك الشاعر، والهبر يمثل الشحاذين، فهو زعيم، لكن للفقراء المعدمين، فيرى أن العلم في زمنه سراب بسراب، لا يجدي نفعاً، كما أنه يدفع بصاحبه إلى التهلكة، أما الجهلاء والغفلة، فلهم الحظوة، والمكانة المرموقة، في هذه الحياة القائمة على التزييف والخداع، يقول عرَّار:

يا شيخ ما للعلم حسب المرء معرفة    أن الـشـفـاء بـوادي الـسـيـر لـمـيـاء
وأن لـلـجـهـل فـضـلاً لـسـتَ صـاحـبـه    بـالـعـلـم والـعـلـم فـي عـمـان أزيـاء[2]

وتصبح الحياة مع النوَّر مدرسة يستمد منها الشاعر الكثير من دروس الحياة وضروبها ومواقفها المختلفة وهو يستمد منها أسس فلسفته الاجتماعية، وخصائص صعلكته، فتصبح الخرابيش مصدر الهام ووحي للشاعر، وواقعاً يستند إلى معطياته في توضيح صورة الفساد الاجتماعي، حيث يسود الرق والعبودية، وعم الجريمة والمنكر والطمع، ففي مجتمع الخرابيش نعثر على نقيض هذه المصطلحات، يقول التل:

بـيـن الـخـرابـيـش لا عـبـد ولا أَمَـةٌ    ولا أرقـاء فـي أزيـاء أحـرار
ولا جـنـاةٌ ولا أرض يـضـرجـهـا    دم زكـي ولا أَخَّـاذُ بـالـثـار
بـيـن الـخـرابـيـش لا حـرصٌ ولا طـمـع    ولا احـتـراب عـلـى فـلـس وديـنـار
الـكـل «زطٌ» مـسـاواةٍ مـحـقـقـةٍ    تـنـفـي الـفـوارق بـيـن الـجـار والـجـار[3]

من الواضح ان الشاعر انتقل من مكان إقامته الأولى، أو تغرب عنها، صارفاً معظم أوقاته بين مضارب البدر الفقراء، كما تشرد الصعاليك الاوائل من مرابعهم

(1) تاريخ الادب العربي الحديث ـ أحمد قبش ـ ص448. د. سالم المعوش ـ شعر السجون ـ 92.
(2) المصدر نفسه ـ صـ 448. المصدر نفسه ـ صـ 93.
(3) أحمد قبش ـ تاريخ الادب العربي الحديث ـ ص448. د. سالم المعوش ـ شعر السجون ـ ص93.

الأولى إلى أكناف الصحاري، هنا في الخرابيش يجد القوم الفقراء الذين يتأسى بهم ويشبههم، فمعهم لا فروق ولا تمييز بين بني البشر، ولا عبيد ولا إماء، وما من جناة ظالمين يأخذون حق الضعيف، ولا يختلف الناس على ابسط الاشياء كما يفعل غيرهم، فالكل (صعاليك) زُطٌّ[1] متساوون في الحقوق والواجبات.

تلك هي الصورة النقية التي قدمها التل (عرار) للمجتمع في عمان، المجتمع المنقسم، الذي تعشش فيه الجريمة والفساد والقهر والتمييز الطبقي، وبين مضارب البدو الفقراء الذين يتمتعون بالنبل والاريحية والكرم والمزايا الاجتماعية السليمة، ومن أجل هذه الافكار والمواقف، لقي الشاعر مزيداً من القهر والظلم والسجن والتشرد، ذاك لتكتمل عناصر صعلكته، فهو متمردٌ فقير صعلوك من الدرجة العالية، والجدير بالذكر ان الشاعر صرح بهذه الافكار الديمقراطية، في وقت خفت الصوت المنادي بها والساعي لأجلها لأن العقاب شديد، وإذا كان الأمر في عمان على هذا المنوال، فإن باقي الوطن العربي لم يسلم من هذا الأمر، إنه مجتمع فيه شتى ألوان الاضطهاد والتمييز والقهر الخ . . .

فمنذ الحكم العثماني وأحوال الأمة في تردٍ وسوء مصير[2].

وتظهر ملامح صعلكته وحزنه بوضوح في هذه الأبيات التي تكشف عن إحساسه بالضياع والتشرد، دون أن يستطيع دفع ما هو مقدر له:

فمن سجن إلى منفى ... ومن منفى إلى غربه

ومن كرٍ إلى فرٍ ... ومن بلوى إلى رهبه

فبي من كل معركة ... أثرت عجاجها ندبه[3]

وقد عانى كثيراً من السلطات الحاكمة، وقد أشار في قصيدة طويلة إلى الثمن الفادح الذي يدفعه لقاء كل وظيفة نجود بها عليه، من هنا صعلكته وتذمره وتمرده:

---

(1) الزُّط قوم من أهل الهند وبلاد السند والسودان، لونهم أسود، وإليهم تنتسب الثياب الزُّطية، انزلهم الساسانيون بين واسط والبصرة، وبعد فتح العرب بلاد السند، استقدم الحجاج اعداداً منهم واسكنهم في المنطقة نفسها، للاستفادة منهم في الفلاحة والزراعة، ومعنى ذلك أنهم كانوا فقراء من الطبقة الدنيا في المجتمع، لذلك شعروا بالغبن اللاحق بهم وبالتمييز الطبقي الذي يظهرهم عبيدا، فقاموا بعدة انتفاضات وقطعوا الطرق وأخذوا الغلات وأخافوا السبل، فواجههم الخلفاء العباسيون وأرسلهم المعتصم إلى عين زربة أحد الثغور فاغارت الروم عليهم ولم يفلت منهم أحد. الكامل في التاريخ 6/ 446.

(2) د. سالم المعوش ـ شعر السجون ـ ص93.

(3) الديوان ـ ص106 ـ د. محمد مصطفى هداره دراسات في الشعر العربي ـ ص188.

أأسجن الناسَ إرضاء لخاطركم وخشية العزل من ذا المصب الدون
أم رغبة بتقاضي راتب ضربوا نقوده من دماء شرايني ن ة

ولذلك يميل إلى الصعاليك ويصبح منهم، ويجعل نفسه أخاهم، إذ كان فقراء الشعب بنظر الفئة الحاكمة مجرد صعاليك حيث يقول:

إن الصعاليك إخواني وإن لهم حقاً لو شعرتم به لم تلوموني
فالعزل والنفي حباً بالقيام به أسمى بعيني من نصبي وتعييني
يا شر من مُنِيت هذي البلاد بهم إيذاؤكم فقراء الناس يؤذيني
إن الصعاليك مثلي مفلسون وهم لمثل هذا الزمان (الزفت) خبوني[1]

كانت السلطات الحاكمة واسترضاء له قد عينته مديراً للمدرسة الابتدائية في بلدة الحصن سنة 1928م، إلا أنها سرعان ما عزلته عندما ثار على المعاهدة الاردنية الانكليزية التي اعترفت بحق الانكليز في وضع جيوشهم في الأردن، وقد تناول هذه المعاهدة بطريقة ساخرة هي إحدى ملامح شاعرية «عرار»، ويخاطب الشاعر في هذه القصيدة (الهبر) شيخ النور الصعاليك الذين كان يأنس بهم ويألفهم، يقول من هذه القصيدة متناولاً الحكومة المحلية والاستقلال السراب الخادع[2]:

يا هبر لا بشرى ولا حواره يطربها عزفك بالقيثاره
يا هبر حسب الأمة الحماره حكومة بًّراجة بصاره
فلان فيها لولب الوزارة[3]
يا هبر استقلالنا الكرتوني أخرجني كما ترى عن ديني
فدرتُ بين الناس كالمجنون اسألهم عنه فما دلوني
إلا على «قعوار» والخماره[4]

ويبدو من هذه الابيات مدى السخرية العميقة من هذا الاستقلال الرث الذي منحه الانكليز للأردن كذباً وزوراً.

ومن مظاهر الصعلكة عند «عرار» الشاعر الاردني المتمرد، أن إحدى ليالي

(1) الديوان ـ ص116 ـ 118. د. محمد مصطفى هداره ـ دراسات في الشعر العربي ـ ص190 و191.
(2) الديوان ـ ص97. دهداره ـ دراسات في الشعر العربي ـ ص192.
(3) بشرى وحواره قريتان في الأردن.
(4) قعوار رجل من كبار تجار الخمور في الاردن، وكان الشاعر مدمناً على شرب الخمره، وقد ليم على ذلك كثيراً.

العيد أقبلت على الشاعر وهو رهين محبسه، مشغول بتوبته وإثمه، بعيد عن زوجه وأولاده، فانفعلت نفسه بأحاسيس النوى واستبدَّ به الشوق والحنين حين لاح له خيال أطفاله، وكاد يضعف وتخور عزيمته لولا أنه استمسك بالصبر وبنضال المكافح قائلاً:

خيال أطفالي وقد زرتني غداة أمسى العيد مستعتبا
من كوخ إرهاقي وهذا الحمى حذار بعد اليوم ان تقربا
فالناس إنسانان من همة أن يرتوي ذلاً وأن يكعبا
وآخر تأبى عليه الحجا إلا بأن يشقى وأن يتعبا
ما قيمة الالقاب منصوبة والظهر بالخزي قد أحدودبا[1]

(1) الديوان ـ ص55 د. محمد مصطفى هداره ـ دراسات في الشعر العربي ـ ص193.

# علي الرقيعي
## 1934 ـ 1966م

علي بن محمد الرقيعي، شاعر ليبي، ولد في طرابلس الغرب سنة 1934م، ولقب بشاعر المدينة، فقد والدته صغيراً، ولم ينل من التعليم إلا ما يسعفه على القراءة والكتابة، وتثقف بعدها على نفسه، وقد واجهته صعوبات جمة في حياته، ناوأ الاستعمار الانكليزي وناضل ضده، فلوحِق ومنع من العمل، وقدم له الجنود الانكليز المغريات لينضم إليهم، فأبى عليه حسه الوطني والقومي ذلك، لذا اضطهدوه وعذبوه، واعتقلوه لمدة من الزمن، وقصيدته «الأرض» تعبر عن فترة السجن التي عاناه الشاعر مناضلاً ضد الاستعمار، ولقد توفي الرقيعي وهو عاطل عن العمل لا يلقى ما يقيم أوده، من هنا مصدر صعلكته، التمرد والفقر والنضال في سبيل المبدأ. ترك الشاعر عدة دواوين منها: الحنين الظامئ و أشواق صغيرة[1].

كان الشاعر الليبي قد أدمى القيد معصمه وهو مسجون في أحد السجون التي حاول الانكليز أن يكبلوا بها حرية الشعب الليبي ونضاله في سبيل الحرية والاستقلال، لقد عومل الشاعر بإذلال شديد أمام جلاده الانكليزي، لا يؤلمه ما يعانيه، وما يواجهه من شدائد، ولا يهزه وضعه المأساوي أمام سجّانه، لكن ما اقلقه وآلمه وفجعه أكثر، سؤال المستعمر له أثناء المحاكمة «من أين جئت»، يسأل المستعمر صاحب الأرض وسيدها، تلك هي لغة الاحتلال والسيطرة، والتي في سبيل كبحها ومواجهتها تمرد الشاعر وتصعلك وافتقر وناضل، في سبيل وطنه وحرية مواطنيه، يقول:

---

(1) تاريخ الشعر العربي الحديث ـ قبش ـ ص686. شعر الطليعة في المغرب ـ د. عزيز الحسين ـ ص117. د. سالم المعوش ـ شعر السجون ـ ص669.

فبكيت أرضي
أرضي التي أغتصب الدخيل حقولها
باسم الدفاع عن السلام
غنى . . . أضعت مزارعي
ولكم تنـزَّى في دمي حقد العبير
ولكم صرخت من الاسى الطاغي المرير
أألجوع يا حقلاه . . . والقرصان يسرق غلتي
ويحيك من أرباحها نيري ومقود ذلَّتي
ونعال أقدام الطغاة تدوس أقدس
حرمتي[1]

لقد تفجرت الصعلكة المتمثلة بالفقر والحاجة، تمرداً عاصفاً وثورة شعواء ضد الاستعمار الانكليزي وأعدائه، لأنهم كانوا يعيشون ظلماً وعدواناً، ويسكتون أصوات الحق في القطر الليبي الشقيق، ولقد قادته صعلكته إلى السجن ليزيد فقره هناك وكل ذلك في سبيل الوطن لأن الشاعر يعلم ان السجن سيقود إلى الحرية، وان الفقر والصبر على الحاجة في الليالي الحالكات سيفضي إلى يوم أخضر خصيب.

هكذا سجن هذا الشاعر، سجن من أجل الأرض التي منعه الاستعمار من استغلالها لتخضر عبره أيامه، وهو واحد من سكان البلاد، عانى وافتقر، وذاق ويلات الحاجة.

(1) حلم الثورة في الشعر الليبي الحديث ـ ص61 ـ 68. د. سالم المعوش ـ شعر السجون ـ ص144 و145 و386.

# أمل دنقل

## 1940 ـ 1983م

### شريط حياته:

محمد أمل أبو القاسم محارب دنقل، ولد في قرية القلعة أو القلقة بمركز (قَفْط) سنة 1940م بمحافظة قنا في صعيد مصر، كان أبوه مدرساً للغة العربية، وما لبث أن توفي وأمل دون العاشرة من عمره، وكان قبل ذلك بثلاث سنوات قد فقد أخته، ولم يعره أقاربه أي اهتمام بل سرقوا ميراث أبيه، فاحتج على ما فعلوه، وكان هذا احتجاجه الأول، وكان حرص أمه على الاحتفاظ بتماسك الأسرة وتآلفها دافعاً لها كي لا تتزوج، وكان أمل مشهوراً بين اصدقائه وزملائه بالذكاء والنباهة والوعي، وقد تفتحت عيناه على محتويات مكتبة أبيه، وكان على ما يبدو ميالاً إلى المطالعة، شغوفاً بالكتاب، وهكذا أخذ أمل ينهل مما في هذه المكتبة، وشيئاً فشيئاً بدأ يقرض الشعر، وقد اتهمه زملاؤه بسرقة أشعاره، مما دفعه إلى نظم قصائد الهجاء القاسية المغرقة في الشتيمة لمتهميه، وكان ذلك دليلاً ساطعاً على صدق شاعريته.

عاش أمل حياة ملأى بالصعلكة والتمرد، وربما اقتربت مرتبة التمرد عنده من مرتبة العقيدة. وكأنه جاء إلى هذ العالم ليقول «لا» صارخة مدوية رافعاً راية الاحتجاج طوال حياته حتى طغت على كل ملامحه، وربما اتخذها مريدوه شاهداً على قبره.

إذن. كانت حياة أمل حافلة بالصعلكة، فبعد دخوله كلية الآداب في جامعة القاهرة، انقطع تماماً عن الدراسة منذ العام الأول، فقد شغله الشعر عن أي قيود وأمور أخرى، وإن كانت تمس مستقبله، فعمل موظفاً في محكمة قنا، وفي جمارك

مدينة السويس والاسكندرية، ثم موظفاً في منظمة التضامن الأفروأسيوي التي كان يرأسها الاديب يوسف السباعي، وجمع فيها بعض المبدعين ليحيمهم من شظف البطالة وألم الحاجة. وراح أمل ينتقل بين المكتبات العامة ومقاهي وسط البلد بالقاهرة، يكتب ويقرأ وينظم شعراً، لا يعرف طريقاً للاستقرار، متمتعاً بفوضى يومية منظمة، وهي قدرة أهَّلته عن جدارة ليحتل المرتبة الأولى في المزج بين الشعر والحياة، ثم عرفت حياته نوعاً من الهدوء والاستقرار بعد زواجه المفاجئ بالصحافية في جريدة الأخبار «عبلة الروين» عام 1976م، بعد أن عزف طويلاً عن الزواج، معتبراً اياه مشروعاً خاسراً لا يناسب الشعراء والمبدعين[1].

إذن. حاول أمل دنقل (الجنوبي) كما اسمته زوجته، أن يتأقلم وينسجم مع اجواء الأدب والشعر في العاصمة القاهرة، لكنه بقي محتفظاً بصفات ابن البلد، وهو ذلك الصعيدي المحافظ العنيد الذي لا يتراجع عن رأيه، وكانت قضيته المركزية هي الحرية.

وهذه الحرية هي التي جعلته يعيش قلقاً متنقلاً بين الامكنة والوجوه، ولا يستقر على بيت يسكنه ولا صديق تدوم معه علاقة وطيدة، باستثناء اثنين هما أحمد عبد المعطي حجازي وفاروق شوشة، مع علاقة عادية مع آخرين، بعيداً عن المرأة بكل أشكالها، وبعيداً عن (ربطة العنق) والأماكن الفاخرة.

ويتحدث هو عن نفسه فيقول: «إنني رجل بدأت رحلة معاناتي من سن العاشرة، وفي سن السابعة عشرة اغتربت عن كل ما يمنح الطمأنينة حتى الآن، واعتقد أن السهم الوحيد الذي يمكن أن يصيبني في مقتل سوف يجيء من امرأة، لذلك اتسمت علاقاتي بالرفض، كنت استغرق في الحب، لكنني في صميمي كنت هارباً من التمسك بها، ولذلك يقول:

متى القلب في الخفقان اطمأن

وعطفاً على علاقاته الاجتماعية الضيقة، إذ ربما تكون طبيعة أمل الصريحة والحادة أحياناً سبباً في ابتعاد البعض عنه، وتحاشي الإصطدام به، فهو كما تقول عبلة: صخري شديد الصلابة، ولا يخشى شيئاً ولا يعرف الخوف أبداً، لكن من السهل إيلام قلبه.

---

(1) جريدة البلد ـ عدد 391 ـ الأثنين 31 كانون الثاني ـ 2005 ـ مقال للسيد محمد فتحي يونس (القاهرة) ص14.

وها هو يصور نفسه:

إنني أول الفقراء الذين يعيشون مغتربين

يموتون محتسبين لدى العزاء

قلت فلتكن الأرض لي ولهم

وأنا بينهم

فأنا اتقدس في صرخة الجوع

فوق الفراش الخشن . . .

وهكذا عاش، صعلوكاً فقيراً، لم يعرف فراشاً وثيرا، ولم يكن له عنوان سكن دائم، ولم يرتدِ الغالي النفيس، ولم يكن له رصيد في حسابه المصرفي، هذ إذا كان لديه حساب مصرفي.

عاش أمل حياته التي ارادها لنفسه، دون ان يحقق ما كان يريده، فقصة حياته كانت مأساة كئيبة، وقصة موته كانت مدمرة، قضى بالسرطان بعد صراع عنيف:

ـ هل تريد قليلاً من الصبر؟

لا

فالجنوبي يا سيدي يشتهي أن يكون الذي لم يكنه

يشتهي أن يلاقي اثنتين

الحقيقة والأوجه الغائبة . . .

كانت أقسى لحظات حياته وهو يصارع المرض، تأمين ثمن العلاج، يبحث هو وزوجته دون طائل، إلى أن التفت المسؤولون بعد زمن، فأصدر رئيس الوزراء المصري آنذاك د. فؤاد محي الدين قراراً بعلاج أمل على نفقة الدولة، علاوة على مشاركة أصدقاء الشاعر من السعودية والكويت، وقد بكى أمل آنذاك. بكى للعجز والمرض والمعاناة.

وعندما زاره أحد كبار الناشرين الاثرياء في بيروت ووضع له مبلغاً من المال تحت الوساده، أقسم أمل ألا يفعل الرجل ذلك، وأقسم مرة أخرى بغضب أفزع الرجل، فتراجع عن وضع المبلغ.

تلك هي العفة التي كانت إحدى سمات الصعاليك على امتداد عصورهم، ومع

ذلك، ظل الرجل مدة أسبوع فترة إقامته في القاهرة يتحدث عن مساهَمته في علاج أمل.

يقول أمل منتفضاً حزيناً على ما آل إليه وضعه:

سنة تمضي وأخرى سوف تأتي

فمن يقبل موتي

فقبل أن أصبح مثل الصقر، صقراً مستباحا

شهدت الغرفة رقم (8) حيث كان يرقد أمل، بمعهد السرطان مولد ست قصائد هي: (ضد من ـ زهور ـ لعبة النهاية ـ الخويل ـ السرير ـ الجنوبي).

قصيدة لعبة النهاية هي القصيدة نفسها التي نشرها أمل في مجلة (اليمامة ـ السعودية) بعنوان «الموت» قبل أن يعدل اسمها، فما هو الموت، إنه[1]:

ـ في الميادين يجلس

يطلق ـ كالطفل ـ نبلته بالحصى

فيصيب بها من يصيب من السابلة

يتوجه للبحر، في ساعة المد

يطرح في الماء سنارة الصيد

ثم يعود

ليكتب أسماء من علِقوا

في أحابيله القاتلة . . .

لا يحب البساتين

لكنه يتسلل من سورها المتآكل

يصنع تاجاً

جواهره الثمر المتعفن

إكليله .. الورق المتغضن

يلبسه فوق طوق الزهورِ

---

(1) ديوان دنقل ـ ص448.

الخريفية الذابلة.
يتحول أفعى .. ونايا
فَيُرِي في المرايا
جسدين وقلبين متحدين
وتحكي العيون حكايا
فينسل بينهما
مثل خيط من العرق المتفصد
يلعق دفء مسامهما
يغرس الناب في موضع القلب
تسقط رأس الفتى في الغطاء
وتبقى الفتاة محدقة ذاهلة
أمس فاجأته واقفاً بجوار سريري
ممسكاً ـ بيد ـ كوب ماء
ويد بحبوب الدواء
فتناولتها . . . !
كان مبتسماً
وأنا كنت مستسلماً لمصيري.

هكذا يواجه الصعاليك المتمردون مصيرهم دون وجل، في ساحات النضال أو في مواجهة الموت في كل الظروف.

في آخر ليلة من حياته، وجدت بجواره عند الصباح مسودة قصيدة كتبها خلال الليل، يخاطب فيها زوجته، زوجته التي وقفت إلى جانبه، لكنها لم تمنع الموت عنه فرحل في الثامنة صباحاً من يوم 21 يوليو 1983 م، فغابت شمس شاعر مبدع، حقق لنفسه موقفاً متقدماً في مسيرة الشعر العربي، وقد ملأ الدنيا تمرداً وغضباً وصعلكة، ولم ينل منها قرشاً واحداً[1]:

(1) السفير الغفيلي ـ شعراء ماتوا جوعاً ـ ص 183 ـ 185. ديوان أمل دنقل ـ دار العودة ـ بيروت.

جاء في قصيدة الليل الأخيرة:

لا تنتظري أن يبتسم العابسْ
فالفارس ليس الفارسْ
مدي بإنائك عبر السلك الشائكْ
واسقيه من مائكْ
مدي طرف روائحك
حتى يصنع منه للقلب ضمادا
ويسد شقوق البرد القارس
ويرد البرد القارس
تتوالى فصول العام على القلب الباكي
لم يستروح عبر الاشواك سوى رؤياك
فعيناك الفردوسانِ: هما الفصل الخامس
عيناك هما آخر نهر يسقيهْ
بيت يأويهْ
وآخر عجم أن يستفتيهْ
أَرِيحيه
أَرِيحيه على الحجر البارد
كي يرتاح قليلاً فلقد سار طويلاً
وقفي كملاك الحب الحارسْ
وقفي حتى لا يفاجئه الموت
قفي كملاك الحب الحارسْ.

## شاعرية أمل، وآثار الصعلكة فيه:

كان شعر أمل صورة صادقة لنفسه المتمردة، فقد استطاع أن يخرج قصائده من سطوة الميثولوجيا اليونانية والغربية التي انتشرت في الخمسينات، وأن يستلهم رموز التراث الغربي، رابطاً الحاضر بالماضي، واعادة ترتيب مفردات الماضي مع مزجه

بالحاضر. ومن ميزات أمل الصعلوكية التمرد، والفقر، والصبغة الاجتماعية التي طبعت شعره، إذ تحالف مع شعره ومزجه بحياته، فنراه يخرج ملتحماً بالجماهير في تظاهراتها وانتفاضاتها مردداً شعره، فحوَّل الشعر من الصالونات وجلسات المقاهي إلى الشارع يدور على ألسنة الناس، وتنطق به العامة والخاصة على السواء، وهذا ما كتب له الخلود، ولذلك لم ندهش عندما رأينا قصائده على السنة المتظاهرين في قلب القاهرة احتجاجاً على احتلال العراق العام الماضي، ولم نفاجأ عندما حررت كتائب شهداء الأقصى بياناتها مصدرة بقصيدة أمل دنقل: «لا تصالح».

وتميز شعر دنقل بموقفه السياسي الواضح، حتى أُتهم بالمباشرة والخطابية، كما تميز باعلانه موقفه بصوت عال، وهي من خصائص المدرسة الصعلوكية. وقد ساعده على ذلك آنذاك تداعي الأحداث السياسية وسخونتها، فقد بدأ مشروعه الشعري مواكباً لثورة يوليو (تموز)، فاعتبر ابناً من أبنائها، ولكن سرعان ما ظهرت رماحه الشعرية ضدها:

أبانا الذي في المباحث نحن رعاياك

باق لك الجبروت، وباق لنا الملكوتْ

وباق لمن تحرس الرهبوت[1]

ثم علت نبرة التمرد والصعلكة والانتقادات في شعره بعد سقوط الأحلام العربية وضياع الآمال مع هزيمة يونيو (حزيران) 1967 م، فكان ديوان «البكاء بين يدي زرقاء اليمامة» راصداً أسباب وقوع المأساة، وقد أصبحت بعض قصائد هذا الدايون على كل شفة ولسان[2]:

آه ما أقسى الجدارْ

عندما ينهض في وجه الشروق

ربما ننفق كل العمر كي نثقب ثغرة

ليمر النور للأجيال مرة

---

(1) ديوان أمل دنقل، قصيدة صلاة، طبعة دار العودة، ص326. جريدة البلد عدد 391 ـ محمد فتحي يونس ـ دنقل عاش صعلوكاً متمرداً ـ ص14

(2) جريدة البلد 31 كانون أول / 2005 ـ ص14. ديوان أمل دنقل ـ دار العودة ـ بيروت ـ ص 143.

ومن قصيدة زرقاء اليمامة[1]:

ايتها النَّبِيَّةُ المقدسة، لاتسكتي، فقد سكَتُّ سنة فسنة،

لكي أنال فضلة الأمان.

قيل لي. إخرس، فخرست وعميت وائتممت بالخصيانْ

ظللت في عبيد عبس أحرس القطعانْ

اجتزُّ صوفها، أردُّ نوقها،

أنام في حظائر النسيانْ ... الخ.

ثم ارتفع صوت التحريض والتمرد من قصيدته «أغنية الكعكة الحجرية» التي قالها في المتظاهرين في ميدان التحرير سنة 1972 م، احتجاجاً على حالة اللاسلم واللاحرب وقال فيها:

أيها الواقفون على حافة المذبحةْ

اشهروا الأسلحة، سقط الموتُ

وانفرط القلب كالمسبحةْ

والدم انساب فوق الوشاحْ

المنازل أضرحةْ والزنازين أضرحةْ والمدى أضرحةْ

فارفعوا الأسلحة واتبعوني

أنا خدم الغد والبارحةْ

رايتي عظمتان وجمجمة

وشعاري الصباح[2]

أما أشهر قصائده الصعلوكية، فهي الوصايا العشر التي كتبها تعليقاً على عقد الرئيس أنور السادات تسوية مع إسرائيل، بعد اتفاقية فك الاشتباك الثاني سنة 1975م[3]:

---

(1) ديوان أمل دنقل - ص161 - 162.

(2) ديوان أمل دنقل - ص336 - جريدة البلد ص14.

(3) ديوان أمل دنقل - ص395 - جريدة البلد ص14.

إنها الحرب، قد تـثقل القلب

لكن خلفك عار العربْ

لا تصالح ولا تتوخ الهربْ

لا تصالحْ

والذي اغتالني محض لص

سرق الأرض من بين عيني

والصمت يطلق ضحكته الساخرةْ

وفي موقف واضح من مسألة الصراع العربي الاسرائيلي، يدعو دنقل إلى عدم المصالحة والتنازل عن الحقوق، وعدم الانصياع إلى من يقولون خذ الحق على مراحل، فالأجيال القادمة ستثأر، وتتابع المسيرة وتستعيدُ المكتسبات من ضلع المستحيل[1]:

لا تصالح .. ولو ناشدتك القبيلة

باسم حزن (الجليلة)

أن تسوق الدهاءْ

وتبدي لمن قصدوك ـ القبولْ

سيقولون: ها أنت تطلب ثأراً يطولْ

فخذ الآن ما تستطيع

قليلاً من الحق

في هذه السنوات القليلة

إنه ليس ثأرك وحدك

لكنه ثأر جيل فجيلْ

وغدا

سوف يولد من يلبس الدرع كاملةْ

---

(1) ديوان دنقل ـ ص 402 و403.

يوقد النار شاملةْ

يطلب الثأرَ، يستولد الحقَ

من أضلع المستحيلْ

فهو إذن ضد التسويات المنفردة، والمبتورة والمجتزأة، وهو يغمز في ذلك من قناة الرئيس المصري انور السادات، إذ كتبت هذه القصيدة في تشرين الثاني (نوفمبر) 1976م. وهو يحذر من المصالحة أو الصلح المجتزأ، لأنه يكرس شرعية للعدو، ولا يفرحن أحد بتاج أو بملك وإمارة:

لا تصالح ..

ولو توجوك بتاج الإمارةْ

كيف تخطو على جثة ابن أبيك

وكيف تصير المليك

على أوجه البهجة المستعارةْ

كيف تنظر في يد من صافحوك

فلا تبصر الدم

في كل كف[1]

لا تصالحْ

ولا تقتسم مع من قتلوك الطعامْ

واروِ قلبك بالدم

وارو التراب المقدس، وارو اسلافك الراقدين

إلى أن تردَّ عليك العظامْ

لا تصالح على الدم .. حتى بدمْ

لا تصالح، ولو قيل رأس برأسْ

أَكُلُّ الرؤوس سواءٌ؟

---

(1) ديوان دنقل ـ ص399 ـ 401.

أقلب الغريب كقلب أخيك

وهل تتساوى يدٌ ... سيفها كان لكْ

بيدٍ سيفها أثكلك[1]

ثم يهاجم ملوك الثريد والبطون، ومقتني الجواري والعبيد، والشيوخ الذين اكتنزوا المال وعبدوا الثريد، أصحاب العمائم المتدلية والسيوف التي نسيت سنوات النضال والكفاح، بهذا الأسلوب الصعلوكي الكاسح، هاجم دنقل الفقير أولئك الأغنياء والمترفين الذين يتحكمون بمال الأمة وثرواتها لصالحهم الخاص، تماماً كما كان يفعل الصعاليك مع قوافل التجار الاغنياء والحكام المترفين، هؤلاء لا يرجعون ارضاً ولا يحرزون نصراً[2]:

لا تصالحُ

ولو وقفتْ ضد سيفكَ كل الشيوخ

والرجال التي ملأتها الشروخْ

هؤلاء الذين يحبون طعم الثريدْ

وامتطاء العبيد

هؤلاء الذين تدلَّتْ عمائمهم فوق أعينهم

وسيوفهم العربية قد نسيت سنوات الشموخْ

لا تصالح:

فليس سوى أن تريد

أنت فارس هذا الزمان

ـ وسواك المسوخ

هكذا يخاطب الشعب وحده، والذي يمثله في القصيدة سالم الزير.

وفي كل الأحوال لا يطلب الشاعر إلا حقه، الشاعر الذي يمثل الشعب، الذي هو صاحب كل شيء[3]:

---

(1) ديوان دنقل ـ ص396.

(2) ديوان دنقل ـ ص406 و407.

(3) ديوان دنقل ـ ص410.

أبي لا مزيد.

أريد أبي عند بوابة القصر

فوق حصان الحقيقة، منتصباً من جديد.

ولا أطلب المستحيل، لكنه العدل:

هل يرث الأرض إلا بنوها

ولا تتناسى البساتين من سكنوها

وهل تتنكر أغصانها للجذور

(لأن الجذور تهاجر في الاتجاه المعاكس

وفي موقف صارخ عنيف اجتماعي صعلوكي، ينتقد الشاعر أوضاع العرب المعيشية، وينعى مستقبل الأجيال التي لا ترى إلا الذل والهوان والاستكانة، ولا تؤمن إلا بالطبقية بين بني البشر، والتفاوت الاجتماعي، حتى أن الناس لم يتساووا إلا بالذل والهوان:

الناس سواسية ـ في الذل ـ كأسنان المشط

ينكسرون كأسنان المشط

في لحية شيخ النفطْ

وفي مقطع آخر من قصيدة رسوم في بهو عربي يقول[1]:

آهٍ .. من يوقف في رأسي الطواحين

ومن ينزع من قلبي السكاكينْ

ومن يقتل اطفالي المساكينْ

لئلا .. يكبروا في الشقق المفروشة الحمراء

خدّامين

مأبونين ـ قوّادين

ومن يقتل اطفالي المساكين

(1) ديوان أمل ـ ص389 ـ 390.

لكيلا يصبحوا ـ في الغد ـ شحاذين ـ

يستجدون أصحاب الدكاكين

وأبواب المرابينْ

يبيعون لسيارات أصحاب الملايين . . . . . . الرياحين.

وفي «المترو» يبيعون الدبابيس و«يس»

وينسلُّون في الليل

يبيعون الجعارين لأفواج الغزاة السائحين

ثم يعرض صورة دامغة لما كان عليه الوضع العربي من تمزق وتفتت، ومشاهد ساخرة محذرة:

نحن جيل الألم

لم نر القدس إلا تصاويرْ

لم نتكلم سوى لغة العرب الفاتحين

لم نتسلم سوى راية العرب النازحين

ولم نتعلم سوى أن هذا الرصاص

مفاتيح باب فلسطين

فاشهد لنا يا قلم .. أننا لم ننم

أننا لم نقف بين «لا» و«نعم»

هكذا تمر السنون وأحلامنا تضيع، فنحن جيل الألم والمرارة، هكذا يتحدث دنقل في اداء صعلوكي مشوب بالانسحاق والمرارة والغضب في آن معاً، لقد نمنا وضعنا ولم نعد كما كنا في مطالع عهودنا نتكلم.

نحن جيل السباحة في الدم

ألقت بنا السفن الورقية فوق جبال العدمْ

قبضاتُ القلوب ـ وحدها ـ حطمتها...

وما زال فيها الأسى والندوب[1]

---

(1) ديوان دنقل 20/ ص471.

وتظهر الصعلكة السياسية في أجلى مظاهرها عبر قصيدة أمل (خطاب غير تاريخي على قبر صلاح الدين)، يستعيد التاريخ الماضي ويلبسه الحاضر، ودائماً يستخدم أسلوب السخرية لنقد الوضع السياسي العربي الذي كان قائماً آنذاك، فالحكام دمى، وطبول تراقص الموتى وقوارب من الفلين لا تقوى على مواجهة الموج والعاصفة، وعلى انقاذ العرب الغارقين، وها نحن تمر علينا جميع الخيول وتدوسنا أقدام الأحصنة، والمسؤولون في المذياع يرفعون الرايات ويستردون المدن المستباحة، ونحن لا نملك إلا أن نستجدي القروض الحسنة والمساعدات التي تسلبنا الحرية والحياة[1]:

يا صلاح الدين
يا أيها الطبل البدائي الذي تراقص الموتى
على إيقاعه المجنونْ
يا قارب الفلين
للعرب الغرقى الذين شتتتهم سفن القراصنة
وأدركتهم لعنة الفراعنة
وسنةً بعد سنة
صارت لهم حطينْ
تميمة الطفل، وأكسير الغد العنينْ
مرت خيول الترك
مرت خيول الشرك
مرت خيول التتر الباقين
ونحن ـ جيلاً بعد جيل ـ في ميادين المراهنة
نموت تحت الأحصنةْ
وأنت في المذياع، في جرائد التهوين
تستوقف الفارينْ

(1) ديوان أمل دنقل ـ ص470 ـ 471.

تخطب فيهم صائحاً «حطين»
وترتدي العقال تارة
وترتدي ملابس الفدائيين
وتشرب الشاي مع الجنود
في المعسكرات الخشنةْ
وترفع الرايةْ
حتى تسترد المدن المرتهنة.
وتطلق النار على جوادك المسكين
حتى سقطتَ ـ أيها الزعيم
واغتالتك أيدي الكهنةْ.
نم يا صلاح الدين
نم . . . تتدلى فوق قبورك الورود
كالمظليينْ
ونحن ساهرون في نافذة الحنينْ
نقشر التفاحَ بالسكينْ
ونسأل الله الفروض
فاتحةً . . . آمين[1]

والصعاليك لا يحنون الرقاب، تاريخهم أنهم يناضلون ليستعيدوا حقوقهم، وينتقمون من الحكام الظالمين.

معلق أنا على مشانق الصباح
وجبهتي ـ بالموت ـ محنية
لأني لم أحنِها حيَّة

ويذكر الناس بحقوقهم، وأنهم أحرار يجب أن تبقى رؤوسهم مرفوعة ليروا هذا المشنوق ويعتبروا مما هم فيه، علهم يشعرون بأنهم يجب أن يثوروا:

---

(1) ديوان دنقل ـ ص472.

لا تخجلوا، ولترفعوا عيونكم إلي
لأنكم معلقون جانبي . . . على مشانق القيصرْ
لربما إذا التفتت عيونكم بالموت في عيني
يبتسم الفناء داخلي لأنكم رفعتم رأسكم مرة![1]
فالإنحناءُ مرٌّ
والعنكبوت فوق أعناق الرجال ينسج الردى
فقبلوا زوجاتِكم، فإني تركت زوجتي بلا وداعْ
وإن رأيتم طفلي الذي تركته على ذراعها بلا ذراعْ
فعلموه الإنحناءْ
وليس ثمَّ من مفرْ
لا تحلموا بعالم سعيد
فخلف كل قيصر يموت .. قيصر جديد[2]

وقيصر، هو الملك، أو المسؤول، أو التاج والصولجان، وهو الذي يظل الصعاليك في صراع معه، عندما لا يكون عادلاً، وعندما يجر بيديه مواطنيه لحبل المشنقة، فهو قاتله، وكأسه عظام جمجمته وهي صك براءة وغفران لهذا المشنوق أو المقتول!

يا قيصر العظيم قد أخطأتُ . . . إني أعترف
دعني ـ على مشنقتي ـ ألثمُ يدكْ
ها أنذا أُقبلُ الحبل الذي في عنقي يلتفُ
فهو يداك، وهو مجدك الذي يجبرنا أن نعبدك
دعني، اكفِّرُ عن خطيئتي
أمنحك ـ بعد ميتتي ـ جمجمتي
تصوغُ منها لك كأساً، لشرابك القويْ

(1) ديوان دنقل ـ ص147 و148
(2) ديوان أمل دنقل ـ ص149.

فإن فعلتَ ما أريد

إنْ يسألوكَ مرةً عن دمي الشهيدْ

وهل تُرى منحتني «الوجود» كي تسلبني «الوجودْ»[1]

فقل لهم، قد مات .. غير حاقد عليّ

وهذه الكأسُ ـ التي كانت عظامُها جمجمته ـ

وثيقة الغفران لي.

ويوصي الشاعر غريمه أو قاتله الملك سيد الأرض والبشر، يوصيه إن كان سيشنق الجميع أن يرحم الشجر، وألا يقطع الجذّوع، فربما يأتي الربيع، والجوع قد أكل من قلوب الناس، فلا يجدون عند ذلك الثمر:

يا قاتلي إني صفحت عنكْ

في اللحظة التي استرحت بعدها مني

استرحت منك!

لكنني . . . أوصيك إن تشأْ شنق الجميع

أن ترحم الشجرْ

لا تقطع الجذوع كي تنصبها مشانقا

لا تقطع الجذوع

فربما يأتي الربيع

والعام عام جوع

فلن تشمَّ في الفروع نكهة الثمر

وهكذا نقل الصعاليك الجدد صراعهم مع الأنظمة والخصوم من الصحراء البعيدة، إلى مركز الأزمة، إلى عقر دار الملوك والسلاطين وزعماء القبائل، وصراعهم هنا أشد شراسة، لأن الإنسان هو المهدد في حياته ومستقبله ومستقبل أولاده، في الوقت الذي كثرت فيه الشواهد البيضاء (القبور) التي ترمز إلى كثرة القتل والموت، وسادة هذه الشواهد هم الحكام الظالمون، قياصرة الصقيع:

---

(1) ديوان أمل دنقل ـ ص150.

وربما يمر في بلادنا الصيف الخَطِرْ

فتقطع الصحراء، باحثاً عن الظلالْ

فلا ترى سوى الهجير والرمال والهجير الرمالْ

والظمأ النازي في الضلوعْ

يا سيد الشواهد البيضاء في الدجى

يا قيصر الصقيعْ[1]

ثم يخاطب إخوانه الذين يعبرون ميدان الحياة بانحناء، ويمرون منحدرين في مساء قاتم، بألا يحلموا بالمستقبل السعيد، وألا يتوقعوا أن ينعموا بالحصاد الوفير، لأن خلف القيصر الذي يموت، قيصر آخر على شاكلته، لا يسمح للفجر بأن ينبثق.

ثم يطلب من إخوانه (اي سبارتكوس) ويعني به الشاعر نفسه، يطلب من إخوانه إن مروا بهنيبعل وهو رمز البطل الذي يولد على يديه الانتصار، والذي تأخر وصوله وجنوده المقاتلين الشجعان إلى نجدة روما التي تمثل هنا العواصم العربية، التي تتلهف على هنيبعل جديد يحقق لها الانتصار[2]:

يا إخوتي الذين يعبرون في الميدان بلا انحناءْ

منحدرين في نهاية المساءْ

لا تحلموا بعالم سعيد

فخلف كل قيصر يموت .. قيصر جديدْ

وإن رأيتم في الطريق «هانيبال»

فأخبروه أنني انتظرته مدى على أبواب روما المجهدةْ

وانتظرتُ شيوخ روما ـ تحت قوس النصر ـ قاهر الأبطال

ونسوة الرومان بين الزينة والمعربدةْ

ظللن ينتظرن مقدم الجنودْ

ذوي الرؤوس الأطلسية المجعدةْ

---

(1) ديوان أمل دنقل ـ ص151.

(2) ديوان دنقل ـ ص152.

لكن «هانيبال» ما جاءت جنوده المجندةْ

فأخبروه أنني انتظرته . . . انتظرته

لكنه لم يأتِ

أنني انتظرته . . . حتى انتهيت في جبال الموت[1]

**أخيراً:**

خلاصة القول ـ أن الشاعر أمل دنقل عبَّر عن تجربة شعرية عاشها وأدركها بعمق وقد أداها بلغة مميزة واضحة جلية ليس فيها غموض وابهام، قريبة من أفهام الناس على شتى مشاربهم، مرتبطة بقضايا الأمة العربية ومصيرها.

ودنقل شاعر ثائر متصعلك متمرد جريء، لم يخف التهديد والوعيد، ولم يساوم السلطة، لأنه يعي تماماً دور الشاعر الذي يجب أن ينظر إلى الأمور دون تحيز، وفق مصلحة الشعب والأمة، ولذلك رفع الصوت عالياً وشهر سوط الكلمات مدافعاً عن البسطاء الفقراء الطيبين.

لقد تعذب وعانى، وبقيت الخيبة والمرارة تحاصره، وهاجس الموت يرافقه باستمرار، وكأنه يشعر أن عمره سيكون قصيراً وأن قطار الموت سيحمله في شرخ الشباب، يقول في قصيدة «فقرات من كتاب الموت»:

كلَّ صباحْ

أفتحُ الصنبورَ في إرهاقْ

مغتسلاً في مائه الرقراقْ

فيسقطُ الماءُ على يدي .. دما

وعندما أجلسُ للطعام .. مرغما

أبصرُ في دوائرِ الأطباقْ

جماجماً

جماجما

مغفورة الأفواه والأحداقْ.

---

(1) ديوان دنقل ـ دار العودة بيروت ـ ص152.

أمل دنقل ذو الصوت الصادق المبدع في الشعر العربي الحديث، بقي منسجماً مع نفسه وذاته وقناعاته، مستميتاً في سبيل وطنه وشعبه، مدافعاً بقوة عن أمته، حزيناً لما آل إليه وضعها من هزائم وانتكاسات.

في شعره تجديد في الموسيقى واللغة والبناء الشعري، وهو شاعر متوتر متمرد متصعلك، ثائر على الظلم والتعدي، عكس في شعره نبض الشارع المصري والعربي[1].

تقول عنه زوجته عبلة الرويني في كتابها عن زوجها بعنوان «الجنوبي» منشورات مكتبة مدبولي ـ القاهرة: «أمل يجمع المتناقضات، فهو هادئ وثائر، بسيط ومركب، انفعالي وكتوم لا يظهر مشاعره، وقح وخجول ولكنه حزين دائماً، وهو عنيّد لا يتزحزح عما في رأسه، عاشق للحياة، مقاوم لا يهادن، يحلم بالمستقبل والغد الأجمل مع قدر كبير في العدمية، يزدري فيها كل شيء، ويدمر كل شيء ويؤمن بحتميه موته.

انفعالي حاد، لكنه قادر على كتمان انفعالاته ومشاعره، وفي صباه كان متديناً، ولكنه تحول إلى ماركسي، صعيدي حتى العظم، شديد الغيرة في كبرياء، شديد العناد، شديد الثأر شأن سكان الصعيد المصري، لذلك تكثر في شعره كلمة «ثأر» وهو من عشاق الحرية، ولكنه مطارد من القدر ملاحق بالموت، في العشرين من عمره ذكر أنه لا بد منتحر في الثلاثين، وفي الثلاثين أكد أن حياته لا بد وأن تنتهي في الاربعين، وقد صحَّ توقعه فمات وهو في الثالثة والأربعين.

وهو في السابعة ماتت أخته، وفي العاشرة مات والده، وهكذا وجد نفسه في مواجهة دائمة مع الموت، حيث واجهه بشجاعة فائقة في صراعه الطويل مع السرطان، وهو موصول العذاب مطارد صعلوك ومرفوض معارض لا يهادن.

كان مسكوناً بالشعر كما كان مسكوناً بهاجس الموت، فالشعر في رأيه له قدسيته، وهو لا يحتمل أنصاف الموهوبين، ولا يسكن منطقة الوسط، وهو طريقه إلى النضال، ويرى أن الشعر يأخذ ماهيته من صلته بالناس، لأن له دوراً اجتماعياً وسياسياً يجب ان يلعبه، ورغم تعلقه بالثورة لم ينخرط في أي حزب سياسي مخافة

---

(1) ديوان دنقل ـ ص. د. ميشال خليل جحا ـ الشعر العربي الحديث دار العودة ـ بيروت ـ ط1 ـ 1999م ـ ص250 ـ 251.

ان يفقد حريته، لذلك التزم الشعر كوسيلة للتعبير عن الثورة والتغيير، وعن هموم الوطن وعروبة مصر.

هكذا كان اعتقاده برسالة الشعر، وهو يقول عن نفسه «إنه واحد من جنود الشعر، يحتضن لواءه بالمرفقين إن قطعوا منه اليدين، وأهم هدف لرسالة الشعر: الحرية والاخلاق.

يقول أمل: «إنني لا اكره عبد الناصر، ولكن في تقديري دائماً أن المناخ الذي يعتقل كاتباً ومفكراً لا يصح أن انتمي إليه، أو أدافع عنه، إن قضيتي ليست عبد الناصر، حتى ولو أحببته، ولكن قضيتي دائماً هي الحرية[1].

وقد استخدم أمل في شعره الرموز ذات المصادر المتنوعة، وقد وفق إلى توظيف هذه الرموز في شعره، بما أعطاها بعداً وقدرة على الايحاء والتعبير ومعالجة مواضيع واقعية وسياسية كما أنه لجأ أحياناً إلى استخدام اللغة اليومية وبصورة مباشرة، مما يقربها من لغة الشارع، فينقل أحاديث المذياع وبلاغات الإذاعة وقصص الملاهي والملصقات:

ـ تصير الأذن سلة مهملات

ـ انفقت راتبي على أقراص منع الحمل

ـ ذباب الذكرى

ـ اطفال القمر ـ يريد الشمس

ـ تخلع الذكرى ملابسها المغبرة القديمة.

كما أنه لجأ إلى استخدام التضمين في شعره ببراعة نادرة، إذ تصبح الابيات من خلالها أكثر التحاماً وتداخلاً في بناء القصيدة وفي اعطائها الدلالة الرمزية التاريخية، وقد أحسن توظيف التراث في شعره مما يدل على سعة اطلاعه وحفظه لألوان الشعر العربي والتفاعل معه بحيث يأتي التضمين موفقاً مندمجاً في السياق الشعري ومنسجماً مع المعنى الذي يرمي إليه الشاعر، مما يساعد على ترسيخ المعاني ويترك أكبر الأثر في نفس القارئ[2].

---

(1) عبلة الرويني ـ ص140. د. ميشال جحا ـ الشعر العربي الحديث ـ ص242 ـ 251.

(2) د. عبد العزيز المقالح ـ الاعمال الشعرية الكاملة ـ دار المعرفة ـ بيروت ومكتبة مدبولي ـ القاهرة ـ ط2 ـ 85 ـ ص15. د. ميشال جحا ـ الشعر العربي الحديث ـ ص244.

ومن الرموز التي استخدمها في شعره: المسيح ومريم وسدوم ونوح والمزامير وسفر التكوين وسفر الخروج، وهي رموز مأخوذة من القرآن والانجيل، وبعضها مشترك بين المسيحية والاسلام.

كما أخذ بعض الرموز المعروفة من التراث الاغريقي مثل: سيزيف وسبارتاكوس، وأوزيريس وطرواده وأوديب.

ومن التراث الفرعوني طيبة وأبو الهول، ومن التراث العربي: زرقاء اليمامة وأبو موسى الأشعري، صقر قريش، حرب البسوس، صلاح الدين الآيوبي، أبو نواس، المتنبي، الخنساء كليب، سيف الدولة، كافور، إرم ذات العماد، يوسف[1].

وختاماً يقول صديقه الشاعر أحمد عبد المعطي حجازي في مأساة أمل دنقل: «كان السرطان يأخذ من جسده الناحل فتزداد روحه، تألقاً وجبروتا. حتى كان باستطاعة زواره وعائديه أن يروا صراعه مع الموت رأي العين.

صراع بين متكافئين، الموت والشعر، وفي اللحظة التي دفع فيها الجسد بكامله بين مخالب الوحش، خرج أمل دنقل من الصراع منتصراً، لقد أصبح صوتاً عظيماً سوف يبقى يتردد أصفى وانقى من اي وقت مضى»[2].

مات الصعلوك المحرض المتمرد الثائر، لكنه مازال حياً في ذاكرة الأمة والأجيال.

(1) ديوان الشاعر ـ د. ميشال جحا. ص250 و251.

(2) عبلة الرويني ـ ص140 و141. د. ميشال جحا ـ الشعر العربي الحديث ـ ص251.

# بدر شاكر السياب
## 1926 ـ 1964

**تفاصيل حياته:**

من أبرز متصعلكي القرن العشرين، شاعر عراقي، ولدتـه أمه كريمة سنة 1926م، وكان البكر بين أبنائها، وقد أبصر النور في قرية صغيرة تدعى جيكور تقع على ضفاف بويب أحد الروافد المتفرعة من شط العرب، بالقرب من مدينة أبي الخصيب جنوب مدينة البصرة.

في تلك السهوب الحانية المكتظة بأشجار الفاكهة والنخيل، عاش السياب طفولته مع أطفال قريته، يلعب في ظل النخيل، ويغوص في المياه، ويراقب البواخر العابرة، كما كان في الأماسي يستمع إلى حكايات جده وجدته.

يذكر في اسم العائلة، أن آل السياب من سكان جيكور، فيها يقيمون من أجيال، والسياب هي البلح الأخضر، ولكن يروى أن هذا الأسم التصق بالعائلة لأن الطاعون أصابها، فلم يبق منها إلا «سياب» ابن محمد بدران المير، الذي فقد كل أقاربه الأقربين، وبدأ هذا الفرع من عائلة المير يسمى السياب.

أصيب بدر بنكسة دامية في طفولته، فقد ماتت أمه وهو في السادسة من عمره، فَحُرِمَ من حنان لم يذق منه إلا القليل، وقد شكلت له هذه الخسارة المدوية أسىً عميقاً نفذ إلى هشاشة فؤاده ونفسه، وشكل أول جرح من الجروح النفسية التي أثقلت سني حياته، وجسده المهيض.

وكثيراً ما كان الطفل اليتيم يصحو من نومه، باحثاً متسائلاً عن مكان وجود أمه، وكان أقرباؤه يخففون عنه دون أن يذكروا له أنها رحلت إلى الأبد، وقد صور هو هذا المشهد الدامي بعد نضوجه الشعري مجيباً عنهم:

بـــعـــد غـــدٍ تـــعـــود . . . لا بـــد أن تـــعـــود . .
وان تـــهـــامـــس الـــرفـــاق إنـــهـــا هـــنـــاك
فـــي جـــانـــب الـــتـــل تـــنـــام نـــومـــة الـــلـــحـــود
تـــســـفُّ مـــن تـــرابـــهـــا وتـــشـــرب الـــمـــطـــر . .

ورغم هذا الحادث الجلل، وما تركه في أعماق الطفل الحزين، فقد باشر دراسته الأولى في مدارس محيط قريته، إذ كانت جيكور آنذاك بلا مدرسة، فارسل الوالد ابنه إلى المدرسة الحكومية في قرية باب سليمان المجاورة لجيكور، وكان بدر يذهب إليها ويعود منها على قدميه، ولما كانت الدراسة في هذه المدرسة لا تتجاوز الاربع سنوات، انتقل السياب إلى مدرسة المحمودية في أبي الخصيب، حيث قضى سنتين باقيتين عليه لانجاز المرحلة الدراسية الأولى.

بعد وفاة أمه بمدة تزوج أبوه، فانتقل ليسكن في دار جده، يلعب مع الأطفال في منزل الأقنان، أو «كوت المراجيح»، كما كانوا يسمونه.

وما لبث الطفل أن أخذ ينظم الشعر بالعامية، ثم باللغة الفصحى، وإذا كان قد بدأ يقول الشعر واصفاً الطبيعة، أو ساخراً من أترابه، فإنه تقدم خطوة وأخذ ينظم شعراً وطنياً، ومن ذلك قصيدة يصف فيها معركة القادسية، فما كان من إعجاب المدرس به إلا أن حمله لكي يلقيها.

وأصدر بدر في هذه المرحلة جريدة مخطوطة أسماها جيكور، مقرها منزل الأقنان، وموزعوها من أترابه الأطفال.

الطفل الصغير، الذي حرم عطف أمه، وهجره أبوه، تفتق عن شاعر ملأ الاسماع والقلوب. أنهى بدر دراسته الابتدائية في صيف سنة 1938 م، فأرسله جده إلى البصرة لمواصلة تعليمه الثانوي، وفي البصرة سكن مع جدته لأمه.

وحين كان يعود إلى جيكور بين الفينة والأخرى، كان يساعد جده في رعاية قطيع صغير من الخراف، ويملأ عينيه من ملاعب طفولته، ومن رؤية ابنة عمه وفيقة، التي أحبها بشغف كبير، وكان حبه لها من الحوادث التي أثرت فيه تأثيراً كبيراً، إذ أنها تزوجت، وظلت تمثل الحلم الممتنع بالنسبة له، وقد ظهر ذلك جلياً في شعره.

كان الفتى مبرزاً في اللغة العربية والأدب العربي، ورغم أختياره الفرع العلمي في الثانوية التي انتسب إليها في البصرة سنة 1941 م، إلا أن اندفاعه نحو الأدب لم

يخف، بل ازداد ألقا، ونظم قصائد كثيرة، ضاع قسم منها، وأول هذه القصائد، قصيدة (على الشاطئ).

كون في المدرسة حلقة أدبية مع بعض زملائه، كان بعضهم يكتب الشعر، والآخر القصة، أو النقد، وكانوا يقيمون نشاطات أدبية مختلفة، ومنهم محمد علي إسماعيل، وخالد الشواف، ومحي الدين إسماعيل، وقد ظلت مراسلاته ومناقشاته مع هؤلاء من مصادر شاعريته . . .

في نيسان (ابريل) ـ أيار (مايو) 1941 م حاول العراق انتزاع استقلاله من الانكليز، فكانت حركة رشيد عالي الكيلاني، وقد تدخل الانكليز، مما أدى إلى حدوث الحرب العراقية البريطانية التي هُزمت فيها قوات الثورة في العراق، وعادت السيطرة إلى القوى الاستعمارية وعملائها، وانتقمت مما حدث فأقدمت على اعدام قادة الثورة، ومنهم محمود سلمان وفهمي سعيد ويونس السبعاوي.

وكان السياب آنذاك في الخامسة عشرة من عمره، فانفعل أيما انفعال بالحادثة، وعبَّر عن ذلك بقصيدة جميلة جاء فيها:

رجـال أبـاة عـاهـدوا الله أنـهـم ... مضحون حتى يرجع الحق غاصبه

أراق عـبـيـدُ الانـكـلـيـز دمـاءهـم ... فـيـا ويـلـهـم ممـن تـخـاف جـوالـبـه

أراق عـبـيـدُ الانـكـلـيـز دمـاءهـم ... ولـكـن دون الـثـأر مـن هـو طـالـبـه

أراق ربـيـب الانـكـلـيـز دمـاءهـم ... ولـكـن فـي بـرلـيـن لـيـثـا يـراقـبـه

رشـيـد ويـا نـعـم الـزعـيـم لأمـة ... يـعـيـث بـهـا عـبـد الإلـه وصـاحـبـه[1]

وإذا كان العراق يفقد استقلاله، فإن جدَّ بدر كان يعيش أزمة معيشية حادة، لقد أخذت أمواله تتضاءل، وأحواله تضيق وتتأزم، وكان يستدين بفوائد عالية فتزداد مشاكله ومعاناته، وفي الوقت الذي كان فيه الأب يعاني من مشاكل مالية، كان ابنه عبد القادر يشن حملات قاسية على المرابين والمستغلين في جريدة الناس، ولكن هذه الحملات لم تستطع إنقاذ السفينة المثقوبة.

وتفتق وعي بدر السياسي والاجتماعي في ظل هذه الظروف المعقدة، وتحت سطوة المعارك الطاحنة، معركة الوطن مع العدو الأجنبي، ومعركة الطبقات الكادحة والبرجوازية الصغيرة مع كبار المستغلين والمرابين، ولقد شكل هذا كله ركناً هاماً من أركان وعي بدر وحدد إطار صعلكته وتمرده.

---

(1) الديوان ـ ج2 ـ ص28 ـ 31.

كان العام الدراسي الأخير في الثانوية (1941 ـ 1942) غنياً حافلاً بالشعر، إن قريحة الصبي أخذت تتبلور، وموهبته تنضج، وبدأ الشعر يتحول إلى وسيلة للتعبير عن نفس جياشة قلقة، كما أنه أصبح في طريق إثبات الهوية.

فجع بدر بعد تخرجه في 9/ 9/ 1942 م بموت جدته، فأضيفت هذه النكبة إلى النكبات التي سبقتها، وفاة أمه الحبيبة، وخسارة أبيه الحاني، وأضحت علاقته مع جيكور علاقة مع النخيل والتراب والقبور، يعبر عنها بشعر رثائي حزين[1].

كان بدر عندما تخرج سنة 1942 م لا يعرف غير البصرة، ولم يكن قد رأى بغداد بعد، وقد حلم مرة أنه رأى دجلة في منامه، وكتب إلى صديقه الشاعر خالد الشواف رسالة في 26/ 3/ 1942 م، تساءل فيها عما إذا كان دجلة هو كما رآه في المنام، وحين كتب إليه صديقه خالد يطلب منه أن يأتي إلى بغداد أجابه بدر بأن الصبايا العذارى الريفيات يتشبثن ببقائه، ولم يكن هذا هو السبب الحقيقي، إذ ان الصبايا الريفيات كن أكثر بعداً عنه من بغداد، إلا أنه تعلل بالوهم، وستر عجزه عن الذهاب بخدعة طفولية.

وأخيراً وصل بدر إلى عاصمة الرشيد، وكان صديقه خالد في انتظاره، وكان أول عمل يقوم به أن عرفه على هذه المدينة الكبيرة، المرغوبة المرهوبة.

وأقبل الشاب على حياته الجدية في بغداد إقبال الغريب، والحنين إلى جيكور والريف يغمر قلبه، وما لبث أن انتسب إلى كلية دار المعلمين العالية في بغداد في خريف سنة 1943م، قسم اللغة العربية.

وقد اختار بدر دار المعلمين لأن الدراسة فيها كانت مجانية، ولم يكن باستطاعة عائلته أن تتكفل بدراساته في مكان آخر.

وجد بدر نفسه في بغداد غارقاً في مشاغل جديدة، كان المجتمع البغدادي يزدحم بالنشاطات الأدبية، في النوادي والمقاهي والصحف، فانتسب إلى جماعة أدبية، مشاركاً في الاحتفالات التي تقيمها، مساهماً في نشاطاتها، وخارج هذه الحلقة، كان يتردد بصحبة خالد الشواف إلى جمعية الشبان المسلمين، وعلى مقر جريدة الاتحاد ومقهى الزهاوي.

---

(1) الديوان ـ ج2 ـ ص28 ـ 31.

لقد تعرف بدر في مقهى الزهاوي على ناجي العبيدي صاحب جريدة الاتحاد، فأعجب الاستاذ العبيدي ببدر، وكان أول من نشر شيئاً من شعره.

وهكذا، عرفت بغداد شاعراً جديداً، يقتحم قلوب الأدباء والمتأدبين بشعره الوجداني وإلقائه المؤثر، ويحتل مكانة مرموقة في الحياة الأدبية العراقية.

جاء بدر إلى بغداد شاباً وطنياً، لم يكن منتمياً إلى حزب، ولا كان منحازاً إلى فلسفة، وظل بدر كذلك مدة من الزمن يرجح انها امتدت إلى سنة 1945م، عندما اصبح عضواً مؤازراً في الحزب الشيوعي، ثم عضواً منتسباً[1].

يروي الاستاذ محمود العبطة أحد أصدقاء بدر في السنة الدراسية الثانية (44 ـ 45) فيقول: «كان بدر هادئاً وديعاً، لم يرتفع صوته في هذه الأيام عندما كنا نتراشق، ونتلاسن وننقسم إلى معسكرين، منا من يؤيد الحلفاء ومعسكر الديمقراطية، ومنا من يمجد النازية وهتلر، وإذا ما احتدام النزاع ـ وكثيراً ما يحتدم ـ يستأذن في الذهاب إلى القسم الداخلي من الدار، تاركاً النـزاع وأهله».

ويروى لبدر حديث صرح به عن نفسه وكان يميل إلى الحركة الشيوعية:

«وصرنا نبث الدعاية لروسيا وللشيوعية جنباً إلى جنب مع الدعاية للنازيين، سوف ينتصر المحور على الحلفاء وسوف تنتصر روسيا معه، وستعم الشيوعية العراق، فبشرى للفقراء، بشرى للفلاحين الجائعين».

ويؤكد الشاعر سليمان العيسى زميل بدر في دار المعلمين في بغداد آنذاك، أن بدراً كان يكتب قصائد يسارية في هذه المرحلة، ولكنه في بعض الأحيان يسبُّ الشيوعيين، وكان في أحيان أخرى يعلن للأستاذ سليمان العيسى أنه يؤيد آراءه القومية»، كان هذا قبل انتماء بدر إلى الحزب الشيوعي.

كانت بغداد في تلك الفترة تمور بنشاط سياسي غير عادي، ذلك أن الحرب الكونية الثانية كانت قد انتهت، وافسحت السلطة في العراق في المجال لبعض الحريات السياسية، كتكوين الأحزاب وإنشاء الصحف، وحاول الشيوعيون انتزاع اعتراف رسمي بهم فلم يفلحوا، فكان أن لجأوا إلى انشاء حزب التحرر الوطني برئاسة حسين الشبيبي، وأصبح بدر عضواً في هذا الحزب، ثم ما لبث ان انتخب رئيساً لاتحاد الطلبة في دار المعلمين.

---

(1) ديوان بدر ـ ج2 ـ ص 31 ـ 35.

وصادف في هذه الأثناء أن أخذت بغداد تغلي بمظاهرات ضد السياسة البريطانية في فلسطين، فشارك بدر في هذه المظاهرات (حزيران 1946 م)، وردت السلطة على المد الجماهيري بسياسة قمعية، فاعتقلت عدداً كبيراً من المتظاهرين، وأغلقت عدداً من الصحف، وكان بدر بين المعتقلين.

وهكذا، عاش بدر تجربة السجن المُرَّة لأول مرة، في بغداد، ثم في بعقوبة، حيث قضى حتى منتصف الصيف في زنزانة رطبة، ينام عل صفائح البنزين التي تركها له السجين السابق.

وظل بدر حتى سنة تخرجه سنة 1948 م، يشارك في المظاهرات الوطنية، ويلقي القصائد في المهرجانات الجماهيرية[1].

وكان الشاعر خلال حياته في الكلية يعود إلى قريته ما بين الفينة والأخرى، وكان في المدينة يقضي وقته بين المقاهي والنوادي أو متسكعاً في الشوارع، ومن المقاهي التي كان يتردد عليها: مقهى إبراهيم عرب ومقهى البلدية، ومقهى الزهاوي.

وكان بدر يقرأ في هذه الفترة من الأدب العربي الحديث شعر الياس أبي شبكة وعلي محمود طه، وقد تأثر بدر بهذين الشاعرين كثيراً، وكان ان كتب قصيدته «بين الجسد والروح»، في ظل هذا التأثير، ثم أرسل هذه القصيدة إلى علي محمود طه حتى يكتب مقدمة لها، وكان شديد الاهتمام بالأدب العربي الحديث يتابعه بحرص واهتمام وعناية. وبدأ بدر بمحاولة توسيع معلوماته عن الآداب الأجنبية، فقرر أن ينتقل من فرع اللغة العربية إلى فرع اللغة الانكليزية، وأخذ يقرأ شكسبير وبايرون وشلي وكيتس، وما لبث أن اكتشف اليوت، واعجب به اعجابه بالشعراء الآخرين المذكورين سابقا.

وحاول إثراء معرفته بالأدب الفرنسي، عن طريق قراءة الشعر المترجم، فقرأ ترجمة لقصائد بودلير، وكان يطلب من زميله سليمان العيسى أن يترجم له بعض الشعر الفرنسي، ولا سيما شعر لامارتين وبودلير.

وظل بدر مع ذلك محافظاً على قراءته التراثية فقرأ ابن الرومي، ومهيار الديلمي والمتنبي والبحتري وأبا تمام، وكان يحفظ من الشعر الذي أورده ابن قتيبة في الشعر والشعراء.

---

(1) ديوان بدر - ج2 - ص31 - 38.

يقول صديق بدر محي الدين إسماعيل:

«كان يقدس التراث، لم يخرج عليه، بدأ يقرأه واستمر على ذلك، أما أكثر من تأثر بهم من الشعراء بالعربية فهما: المتنبي وأبو تمام، وكان يلازم حماسة أبي تمام ويحفظ منها الكثير، وكان يهتم بالشعر الجاهلي.

حاول أن ينفلت من التراث مدة، ولكن تلك المدة كانت قصيرة جداً وعقيمة نسبياً. هذه الفترة هي سنتا 1945 و 1946، ولكنه ما لبث أن عاد إلى الاهتمام بالتراث، ويبدو أن اهتمامه بالأدب الانكليزي شغله مؤقتاً عن مواصلة الاهتمام بالأدب العربي القديم.

ولقد سعى بدر إلى الينابيع الفكرية والفلسفية، فتعرف على الماركسية وقرأ الكتب المتوافرة عنها، سواء التي كانت في السوق، أو التي كان يوفرها الحزب الشيوعي. وهكذا نرى، أنه خلال سنواته في الكلية وسَّعَ مداركه، وأغنى معلوماته في اتجاهات متعددة، أهلته جميعها لأن يصبح شاعراً كبيراً يشار إليه بالبنان.

تعرف بدر إلى نازك الملائكة سنة 1946م، وكانت نازك قد تخرجت من دار المعلمين قبل سنتين، وأخذ بدر يزور نازك، فيتناقشان في القضايا الأدبية، وفي الشعر خاصة، وكان من نتائج لقاءاتهما، ان اتفقا على إصدار ديوان شعر مشترك، يضم شعرهما الجديد، وكانا يأملان أن يكون هذا الديوان مفاجأة، ولكن الديوان لم يصدر، لأسباب لم تعرف.

وفي تلك الفترة، كان بدر مازال يزاول نشاطه السياسي، قد انتخب ليمثل طلاب دار المعلمين في المؤتمر الأول للطلاب العراقيين الذي عقد في بغداد في ربيع سنة 1948م.

كما أن نشاطه الشعري كان مميزاً، وقد وُفِّق إلى طباعة مجموعته الشعرية الأولى «أزهار ذابلة»، وكان قد أرسلها مع بعض أصدقائه في خريف 1947م، وصدرت ووصلت يغداد قبل نهاية العام، ولكنه لم يوفق في إصدار ألفتيه: «بين الروح والجسد» والتي أرسلها إلى الشاعر علي محمود طه والتي ضاعت كما يبدو عنده[1].

(1) ديوان السياب ج2 / ص44 ـ 47.

## سنوات العمل والنضال والتشرد:

وهي تمتد من سنة تخرجه في العام 1948 وحتى انبلاج ثورة تموز سنة 1958. تخرج السياب من الكلية سنة 1948 وتقدم بطلب إلى وزارة المعارف، فعين مدرساً للغة الانكليزية في ثانوية الرمادي ابتداء من مطلع العام 1948 ـ 1949.

استهل بدر عمله بحماس ونشاط نادرين، فعمله الجديد هذا يوفر له فرصة استكشاف النشء الجديد وإقامة علاقة معه.

في الرمادي. كان السياب لايعرف أحداً، فنزل في فندق هو أحسن فنادق البلدة كما ذكر هو نفسه، كان آنذاك مازال شيوعياً، ولم يكن في البلدة التي حل فيها شيوعيون سوى هو وزميل له تخرج من دار المعلمين وأحد الأطباء غير العراقيين.

وكان العراق مازال يغلي داخلياً، بسبب انعكاسات القضية الفلسطينية على الوضع الداخلي فيه، فقد استقالت وزارة الباجهجي في 6 كانون الثاني الثاني سنة 1949 بعد ستة أشهر من توليها السلطة، وجاء نوري السعيد، كانت ذكرى الوثبة قريبة 27/ 1/ 1949م، وكانت السلطة تتفادى احتفال القوى الوطنية بالذكرى، فقررت استباق الظروف والتبكير بالعطلة، وهنا، قرر بدر أن يعود إلى جيكور، وقد سمع وهو في محطة القطار همسات عن فصله عن عمله.

وصل بدر قريته، فأخبره والده أن الشرطة سألت عنه، وطلب منه أن يختفي، لكن بدراً ظن أن الشرطة لن تعود بسبب المطر، فاطمأنت نفسه، إلا أن الشرطة جاءت في اليوم التالي، واقتادته إلى البصرة، ومنها إلى بغداد.

كانت حكومة نوري السعيد قد صعَّدت حملتها ضد الشيوعية، مستغلة الأحكام العرفية التي كانت مفروضة على البلاد، فاعتقلت «مئات من الشيوعيين والوطنيين، وأقدمت على إعدام أربعة من قادة الحزب الشيوعي.

وما لبث بدر أن أُخرج من السجن، وهو في حالة نفسية صعبة، لقد مُني الحزب بضربة قوية، وحين عاد إلى قريته وجد عمه عبد المجيد مسؤول الحزب في أبي الخصيب مسجوناً، كما وجد نفسه قد فصل من العمل رسمياً يوم 25/ 1/ 1949م، ومنع من التدريس عشر سنوات.

قضى بدر بعض الوقت في قريته جيكور، ثم ذهب إلى البصرة يبحث عن عمل، مع ندرة الأعمال، فقضى الوقت عاطلاً، لم يجد ما يسد به رمقه، وما لبث

أن اشتغل ذواقة في شركة التمور العراقية، ثم انتقل إلى شركة النفط العراقية في البصرة. لم يستقر بدر طويلاً في شركة نفط البصرة، قضى عاماً وبعض عام، ثم رحل سنة 1950م إلى بغداد، يبحث عن عمل آخر، وإذ لم يجد ما يعتاش به، عاد إلى ارتياد مقاهي بغداد ونواديها، عاد إلى أصدقائه، خالد الشواف ومحي الدين إسماعيل وغيرهم، لقد وجدهم ولم يجد عملاً، إلى أن عُين مأموراً في مخزن شركة لتعبيد الطرق، ثم أخذ ينتقل من عمل إلى لآخر.

أصدر عام 1950 م مجموعته الشعرية الثانية، «أساطير» التي تضم انتاج سنته الأخيرة في دار المعلمين (1947 ـ 1948).

وفي هذه الفترة عمل صحفياً، وتنقل بين عدد من الصحف منها: الثبات، والجبهة الشعبية والعالم العربي، وكان عمل بدر في الصحافة متقطعاً، لأن الحكومة كانت تغلق الصحف الوطنية، ولهذا بحث بدر عن عمل دائم، واستطاع أن يجد وظيفة في مديرية الأموال المستوردة في آب سنة 1951م، بعد أن رضيَ مديرها العام، بعدم مطالبته بشهادة حسن سلوك، وكان راتبه خمسة عشر ديناراً لا غير. عاد بدر إلى العمل الرتيب، لكنه كان يوفر به على الأقل قوت يومه ودخلاً ثابتاً يعتمد عليه.

قام الدكتور محمد مصدق في هذه الأثناء بتأميم النفط في إيران، فهبت المعارضة في البرلمان العراقي، مطالبة بتأميم شركة نفط العراق والشركات الأخرى، واستطاعت الحكومة العراقية ان تعقد اتفاقية جديدة يحصل بموجبها العراق على نصف الأرباح، لكن هذا الاتفاق لم يرض المعارضة، فنظمت إضرابات ومظاهرات، ولجأ نوري السعيد رئيس الوزراء إلى كل الإجراءات لقمع الحركة الشعبية، وحين استقال نوري السعيد في تموز 1952م، خلفه مصطفى العمري، فقدمت إلى الوصي على العرش الأمير عبد الإله مجموعة من المطالب منها: حق الانتخاب المباشر، وتحديد ملكية الأراضي وإلغاء معاهدة سنة 1930م.

رفضت السلطة هذه المطالب جملة وتفصيلاً، فقررت المعارضة مقاطعة الانتخابات التي كان يُعد لها إذا لم يقر قانون الانتخابات المباشرة.

كان السياب يعيش هذه الأحداث لحظة بلحظة، فنشر قصيدة في جريدة الجبهة الشعبية تنبأ فيها بإنتفاضة، وما ان حل تشرين الثاني حتى حصلت تلك الانتفاضة، فأضرب طلاب كلية الصيدلة في 22/ 11/ 1952م، ولم يكن سبب الاضراب سياسياً، ومع ذلك فقد انفجرت بغداد التي كانت تعض على جراحها.

شارك بدر في المظاهرات الصاخبة التي هزت بغداد، وكان من بينها مظاهرة كان فيها بدر، اتجهت إلى مخفر باب الشيخ، وقد قتل في الصدام اشخاص بينهم بعض رجال الشرطة وأحرق المخفر، وكان من نتيجة هذه الأحداث أن استدعي الجيش لتسلم السلطة، وأصبح نور الدين محمود رئيساً للوزراء، فأعلن الأحكام العرفية، وبدأت حملة اعتقالات واسعة.

فكر بدر في ما عليه أن يصنع، وقرر بعد تفكير ان يهرب إلى إيران، فتنكر في زي إعرابي، وذهب إلى المسيب، ومنها إلى البصرة، ومن البصرة إلى ابي الخصيب بالسيارة ثم إلى قريته جيكور، حيث لم يعرفه أحد إلا حين أخذ يتكلم، وساعده أحد المهربين على الوصول إلى المحمرة (خرمشهر).

ظل بدر في إيران مدة شهرين وعشرة أيام، كان خلالها شبه متضايق، فعزم على السفر إلى الكويت، وقد زوَّده رفاقه من حزب «توده» بجواز سفر ايراني، ومع ذلك فقد كان عليه أن يدخل الكويت مهَرَّبا.

نزل بدر الكويت في العام 1953م، بعد رحلة متعبة، وكان معه صديقه محمد حسين، والتقى بدر بجماعة من الشيوعيين فروا من العراق وحكم عليهم غيابياً، وقد سكن بدر ومحمد مع المجموعة التي بلغت ثمانية، تختلف مهنهم وأمزجتهم وثقافاتهم وكان من بين هؤلاء مصابون بالسل.

كانت مهمة بدر في حياته المنزلية الجديدة، أن يقوم بالأعمال المنزلية، وكم كانت المهمة صعبة بالنسبة للشاعر، خاصة إذا كانت المهمة الموكلة إليه تتطلب منه أن يهتم بهذا الحشد المتناقض من الناس، وعمل بدر خلال إقامته في الكويت موظفاً في شركة كهرباء الكويت.

كان الشاعر خلال إقامته في الكويت يحنُّ إلى العراق، ويفكر بالعودة، وقد حقق ذلك بعد ستة أشهر، حيث عاد إلى جيكور، وكان قد أصبح فيصل الثاني ملكاً في أيار سنة 1953م، وفاضل الجمالي رئيساً للوزراء.

لم تطل إقامة بدر في جيكور، فقد كان بحاجة إلى عمل، لذلك توجه إلى بغداد، ونزل في فندق رخيص، وأخذ يتصل بأصدقائه، ويتردد على مقهى حسن العجمي، ويلتقي بمحيي الدين إسماعيل، وعبد الوهاب البياتي وخالد الشواف ومحمود العبطة وآخرين.

سافر إلى بوخارست عاصمة رومانيا لحضور مهرجان الشبيبة، ولما عاد إلى بغداد عمل في جريدة الدفاع لصادق البصام، وما لبث أن عين في مديرية الاستيراد مرة أخرى بتاريخ 23/ 12/ 1953. فاستأجر بيتاً في الأعظمية، ودعا عمته آسية لتعيش معه وتدبر له شؤون البيت.

وهكذا، عاد بدر إلى حياته السابقة، لقاءات في المقاهي، تَرَدُّدٌ عل الحانات ونقاشات في السياسة والأدب، ومسيرات على شاطئ دجلة وزيارات لمبغى بغداد[1].

كانت علاقة بدر بالحزب الشيوعي تتداعى في هذه الإثناء لأسباب وعوامل كثيرة منها:

أن بدراً شاعر، وهو ابن فلاح، وقد كان فردياً مفرط الحساسية، قومياً مثل كل المثقفين من أبناء البرجوازية الصغيرة، مثالياً في تكوينه النظري، ولم يكن يستطيع أن يستمر شيوعياً، وكان نمو هذه المشاعر وهذه الاتجاهات عنده يزيد من اختلافه مع الشيوعيين.

علاوة على معاناته الشخصية مع بعض الشيوعيين، ومهاتراته مع زملائه في الكويت واحتكاكاته مع أحد الشيوعيين الايرانيين، خلال زياراته القصيرة الثانية لإيران، والتي تمت بدعوة من حزب توده الايراني خلال زيارته بوخارست، ثم كانت مواقف الشيوعيين من اتجاهات بدر الجديدة، مثل قراءته للأدب البرجوازي، واعجابه الشديد بشكسبير، اتجاهه نحو ايليوت وبداية اهتماماته العربية.

يقول خالص عزمي أحد الأدباء العراقيين: كنا نتردد كل ليلة على المجلة، انقطع بدر فترة، بسبب السفر، ثم عاد ولديه تحول جذري في أفكاره، جعله ينفر من أي تجمع سياسي، كان منكمشاً آنذاك، ولم يذكر الأسباب.

ويبدو مما تقدم، أن شاعرنا كان يعيش مرحلة جديدة، إنه ينهي التزامه الشيوعي، الذي استمر بضع سنوات من حياته، كانت سنوات شاقة وغنية.

كان بدر يوقع كل عام نداء أنصار السلام، إلا أنه لم يوقعه سنة 1954م. إنه عام انفصاله عن خطه السياسي.

---

(1) ديوان السياب ـ ج2 / ص57 ـ 60.

وكان من أهم ما أنتجه بدر خلال السنوات (1951 ـ 1954م) مطولاته الأربع: فجر السلام 1951م ـ حفار القبور 1952 ـ المومس العمياء 1954 ـ الأسلحة والأطفال 1954م. وكانت هذه المطولات تجربة جديدة في الشعر العربي الحديث..

كان بدر قد بدأ يكشف عن اتجاهات قومية عربية، وقد أقام علاقات مع مناضلين قوميين، منها علاقته بفيصل حبيب خيزران، أحد قادة حزب البعث العربي الاشتراكي ويقول صديقه محي الدين إسماعيل إن أحد أكثر اثنين أثرا في حياة بدر هما: فيصل، وعبد الجبار وهبي (شيوعي)، كما أنه أنشأ علاقات مع مجلة الآداب، وأخذ ينشر قصائد على صفحاتها، ذات اتجاه وطني وتقدمي وانساني، ومنها قصيدته القومية: في المغرب العربي[1].

في سنة 1955، قرر بدر أن يتزوج، ولقد أختار أخت زوج عمه عبد القادر، كانت إقبال من أبي الخصيب، ولكنها ام تكن من عائلة بدر، وكانت قد تخرجت من دار المعلمات الابتدائية قبل سنتين، واشتغلت بالتدريس، كتب العقد في البصرة نهار 19/ 6/ 1955، ولم يحضر العرس إلا الأقارب الأقربون، وقد استأجر بدر بيتاً في بغداد، وأصبح لأول مرة بعيداً عن التشرد، رب بيت بالمعنى الحقيقي.

كانت الصراعات تتصاعد في المنطقة العربية عامة، ومن جملتها العراق، ولكن بدراً كان في تلك الفترة يكتب ويقرأ ويترجم، ويتحسس مشاكل الجماهير وآلامها ومعاناتها، ولكنه لا يشارك في النضال العملي كما كان.

وعبرت بعض القصائد عن المنحى الجديد في حياته، مثل قصيدته «تعتيم» التي نشرتها مجلة الآداب في عدد كانون الأول سنة 1955 م، وحين نشر مجموعة مترجمة من القصائد في خريف سنة 1955م سجن أسبوعاً، وغُرِّم خمسة دنانير، لأنه لم يذكر اسم المطبعة على غلاف الكتاب.

وقد تحمل بدر بالزواج مسؤوليات جديدة، زادت أعباؤه المادية ومشاغله ومشاكله، وقادته إلى أن يقلل من الشراب ويحد من ارتياد الحانات والمقاهي، كما أن هذا الزواج لم يسعده كثيراً، لأنه كان يتوقع أن تعينه زوجه على تحقيق أحلامه وطموحاته فلم تستطع، وما كان ممكناً أن يسعد الزواج رجلاً مثله، فردي بلا حدود، مطامحه كبيرة، كما أنه اعتاد ان يعيش وحيداً مشرداً دون بيت ولا زوج ولا أم، علماً ان زوجته حاولت ان تكوِّنَ بيتاً وحياة منظمة.

---

(1) ديوان السياب ج2 ـ ص60 ـ 63.

كان بدر في هذه الفترة يزداد شهرة داخل العراق وخارجه، وقد ظل يواكب حركة الجماهير العربية بشعره، وحين وقَّع نفر من رجال الفكر والأدب بياناً بتأييد الثورة الجزائرية لم يتخلف بدر[1].

وحين كُوِّنَ الوفد العراقي الرسمي إلى مؤتمر الأدباء العرب المنعقد في دمشق من 20 إلى 27 أيلول سنة 1957م، كان بدر أحد أعضائه الثلاثة، وكان العضوان الآخران: نازك الملائكة ومحمد بهجت الأثري، وقد ساهم بدر بمحاضرة في المؤتمر حول «وسائل تعريف العرب بنتابهم الأدبي الحديث»، كما اختير عضواً في لجنة صياغة المقررات، وكان المؤتمر مناسبة يتعرف بدر من خلالها على عدد كبير من الأدباء العرب.

وحين حدثت حرب السويس، بعد أن عاد بدر إلى بغداد بقليل، أحسَّ بدر بمثل ما شعر به الوطنيون العرب جميعاً، فنظم قصيدة باسم «بور سعيد»، ألقيت في مهرجان أقيم في دار المعلمين العالية ببغداد، حيث درس بدر وتخرج.

في 24/ 12/ 1956، ولدت غيداء ابنة الشاعر البكر، وانصرف هو إلى العمل في جريدة الشعب لصاحبها يحيى قاسم، ومع أنه كان يترجم للجريدة، ويكتب مقالات أدبية لملحقها الأسبوعي فقط، إلا أن عمله في جريدة الشعب أثار عليه الأوساط الوطنية وقد كانت الحاجة هي دافعه الأساسي، ولعل السبب أن جريدة الشعب آنذاك لم تكن توجهاتها سليمة ومريحة.

وصدرت في هذه الأثناء «مجلة شعر» في بيروت لصاحبها الشاعر «يوسف الخال» فتحول بدر إليها، ومنشأ هذا التحول، تغير كبير في مفاهيمه الأدبية، ولقد دعته مجلة شعر إلى بيروت، ليلقي شعراً في ندوتها المسماة «خميس مجلة شعر»، فسَرَّهُ ذلك، وقدَّم لشعره بمقدمة تدل على التحول الذي ذكرناه في مفاهيمه للأدب، وسنتحدث في صفحات قادمة عن علاقته بمجلة شعر، والرسائل المتبادلة بينه وبين محرريها وأصحابها.

وما لبثت أن انفجرت ثورة 14 تموز 1958م. وقضت على النظام الملكي وأعلنت الجمهورية[2].

---

(1) ديوان السياب ـ ج2 ـ ص63 ـ 65.

(2) ديوان السياب ـ ج2 ـ ص65 و66.

في هذه الفترة بالذات دخل بدر أهم معاركه الأدبية، معركة إثبات الوجود الشعري، وشهدت مجلة الآداب صفحات من هذا الحوار 1953 ـ 1956 م. كان بدر يريد أن يثبت أنه رائد الشعر الحديث، بالشعر وبالنثر، ودار نقاش شارك فيه بدر وصلاح عبد الصبور، وكاظم جواد وصالح عبد الغني كبه وآخرون، ونشر بدر في هذه المرحلة قصائد من أفضل شعره: يوم الطغاة الأخير(ة) (نيسان 1954م) أنشودة المطر (حزيران 1954م) و المخبر (تشرين أول 1954م).

في هذه المرحلة كرَّس بدر افتراقه عن مفهومه السابق في الالتزام الأدبي، إنه مازال من دعاة الأدب الواقعي، ولكن يقول بدر «ولكن الواقعية التي أدعو إليها هي الواقعية الحديثة التي تحدث عنها الناقد الانكليزي الكبير ستيفن سبندر في محاضرته القيمة عن الواقعية الجديدة والفن،» ويضيف بدر، «إن الفنان الحديث من وجهة نظر سبندر أصبح انطباعياً وسريالياً وتكعيبياً ورمزياً في محاولته الهادفة إلى إيجاد انسجام بين ذاته وذات المجتمع، لكنه أبى لنفسه أن يكون من زمرة الطبيعيين الذين ينقلون الواقع نقلاً فوتوغرافيا، ولم يلبث هذا الفنان الحديث أن اهتدى إلى مخرج لحيرته، وجدها في الواقعية الحديثة، وهي في رأي سبندر تحليل الفنان للمجتمع الذي يعيش فيه تحليلاً عميقاً فيه اكبر عدد مستطاع من الحقائق التي يدركها بنفاذ صبره.

هذا التحول في موقف السياب، سيترك آثاره على المرحلة المقبلة، وهو تحول سياسي أدبي وذاتي كبير، يمثل معالم مرحلة جديدة في حياة السياب.

المرحلة الثانية من ثورة 14 تموز 1958 وحتى المرض:

بشَّر بدر بالثورة كما لم يبشر بها شاعر آخر- ولعل قصيدته قارئ الدم من أوضح ما كتب في هذا المجال، ولكن لبدر قصائد أخرى أكثر أهمية مثل أنشودة المطر، ومدينة بلا مطر، وهو في قصيدته «رسالة من مقبرة» متذمر برم من بغداد التي لا تثور[1]:

هـــذا مـــخــاض الأرض لا تـــيـــأســـي
بـــشـــراك يـــا أجـــداث حـــان الـــنـــشـــور
بـــشـــراك فـــي وهـــران أصـــداء صـــور

(1) ديوان السياب ـ ج2 ـ ص67 و69.

سيزيف ألقى عنه عبء الدهور
واستقبل الشمس على الأطلسي
آهِ لوهران التي لا تثور

وجاءت الثورة، بعد أن بدأ بدر رحلة تغربه السياسي، إلا أن بدراً فرح بثورته كما فرح بها كل الوطنيين العرب، ولقد حياها بقصيدة لم ينشرها في مجموعاته التي صدرت بعد سنة 1958م.

سبق ان ذكرنا ان السياب عين في مديرية الاستيراد بتاريخ 23/ 12/ 1953م، وما لبث ان استقال منها في العام 1958م وعين مدرساً للغة الانكليزية في وزارة المعارف، ولقد قاده تحسن راتبه إلى الانتقال من محل سكناه إلى محلة هيبة خاتون بالأعظمية، ثم نقل بعد قرابة شهرين أيضاً 20/ 11/ 1959 إلى مديرية التجارة العامة.

كان بدر في هذا الصراع ضد الشيوعيين، وحين حدثت حركة الشواف، وتصاعد العداء بين أطراف الجبهة الوطنية، وقف بدر إلى جانب القوميين، وقد طلب منه أحد زملائه في العمل ذات يوم أن يوقع عريضة تدين حركة الشواف وتتهم الرئيس عبد الناصر بتدبيرها، ولكن بدراً رفض التوقيع، وحدثت مشادة كلامية، فما كان من بعض زملائه في العمل إلا أن شكوا بدر إلى وزارة الاقتصاد، بتهم شتى، فاقتيد إلى المخفر للتحقيق معه فلم يثبت عليه شيء، وخرج من السجن بكفالة بعد أيام، إلا أنه فقد عمله.

كان فقدان عمله نكسة كبيرة له، ومصدر ضيق وقلق، ذلك أنه أصبح معيلاً، كما أنه بات غير ملتزم سياسياً، ولذلك شعر بهول ما هو فيه، وحاول أن يجد عملاً في الدولة فلم يستطع، لأن كل الأبواب كانت تسدُّ في وجهه، ولذلك رضيّ أن يعمل مترجماً في السفارة الباكستانية براتب ضيئل[1]..

ولقد تعرض في هذه الفترة لمضايقات أخرى، ذلك أن رفاقه الشيوعيين تعمدوا إيذاءه، وحدث مرة أن تعرضوا له في الشارع، فأجبروه بعد أن أهانوه على أن يعلق صورة الزعيم عبد الكريم قاسم على ياقة معطفه.

إزاء ذلك، حاول أخوه مصطفى أن يقنعه بأن الحزب مازال يكنُّ له الاحترام،

---

(1) ديوان السياب ـ ج2 / ص69 ـ 71.

الموانئ، ولم يتردد بدر، ذلك أنه بحاجة إلى العمل، واللواء مزهر رجل محب للآداب، ينظم الشعر، ومن المعجبين بشعر بدر.

أصبح بدر بعد أسبوعين موظفاً في مصلحة الموانئ براتب مثل راتبه السابق البالغ حوالي خمسين دينارا، ولكن قرار تعيينه صدر وهو في السجن، ذلك أنه اتهم بأنه شارك في مظاهرة قامت في بغداد، والحقيقة أن بدراً لم يكن في بغداد، ولما استطاع اثبات ذلك أفرج عنه بعد أن قضى في السجن مدة اسبوعين من 4/ 2/ 1961 وحتى 20/ 2/ 1961.

وكان أول تعيينه في مديرية الشؤون الثقافية، ثم نقل إلى مديرية النقليات بأرصفة الميناء، وأعيد ثانية إلى الشؤون الثقافية، ليكون مسؤولاً عن شؤون البعثات الطلابية التي ترسلها المديرية، كما عين عضواً في أسرة تحرير مجلة الموانئ التي تصدرها المديرية، وكانت عضويته في أسرة التحرير تضيف إلى دخله خمسة دنانير..

كانت صحة بدر في هذه الأثناء تتدهور، بات الألم في أسفل ظهره محسوساً، وتثاقلت حركة رجليه، وولدت له زوجه طفلة في السابع من تموز سنة 1961م سماها آلاء، وشاء سوء الطالع أن تقرر الحكومة العراقية في هذا الوقت استرداد المكافأة التقاعدية التي تسلمها سنة 1959م، فأوقعه ذلك في ضائقة مالية، مما اضطره للتعاون مع مؤسسة فرانكلين لانجاز بعض الترجمات.

كان في ربيع هذا العام 1961م، قد زار مسقط رأسه جيكور، فأثارت زيارته في نفسه حشداً من الذكريات، وأنتجت عدداً من القصائد المسربلة بالموت. كانت صحته تزداد تدهوراً، وبدأ الموت الخاص الفردي يأخذ مساحة تفكيره كلها، فقد بدأ نصفه الأسفل يستسلم للشلل، وأخذت قواه الجنسية تضعف وسيطرته على اعضائه تتناقص وجاءته في تلك اللحظات دعوة لحضور مؤتمر للأدب العربي المعاصر يعقد في روما ما بين 16 و 20 تشرين الأول سنة 1961م، فشارك بمحاضرة عنوانها: «الإلتزام واللاإلتزام في الأدب العربي الحديث[1]».

وعلى صعيد كتابته ومقالاته وقصائده، فقد انتقل بدر من المشاركة في مجلة شعر إلى المشاركة في مجلة حوار، ثم قرر أن يعود إلى الآداب.

---

(1) ديوان السياب ـ ج2 / ص75 ـ 77.

وكان يتنقل بين بيروت وبغداد وباريس ولندن من أجل العلاج، والموت نصب عينيه وبنات الجن تلاحقه، لكن العلاج لم يجده فتيلا، كان الجزء الأسفل من جسمه يضمر ويذوب، والقروح تأكل ظهره، وحين جربوا معه العلاج الطبيعي، كسرت عظمة الساق لهشاشتها ..

وأخيراً. مات بدر يوم 24/ 12/ 1964م في المستشفى الأميري في الكويت، وكان ديوانه شناشيل ابنة الشلبي قد صدر، ولكنه لم يصله قبل الوفاة، وكان بدر قد صدر له قبل ذلك : المعبد الغريق 1962م ومنزل الأقنان سنة 1963م.

يقول تقرير المستشفى الأميري في الكويت:

كان بدر يعاني من مرض عضال ألمَّ به منذ سنة 1960م، حيث أصابه ضعف في حركة أطرافه السفلى، أدخل على اثره مستشفى الجامعة الاميركية في بيروت ولم يتحسن، سافر بعدها إلى انكلترا، بعد أن فقد القابلية على السير، فأجريت له الفحوصات اللازمة وعولج ولم يحصل إلا على تحسن جزئي، وأخيراً حطَّ به المطاف في الكويت حيث أدخل المستشفى الأميري بتاريخ 6/ 7/ 1964م، وقضى فترة ستة أشهر، أجريت له شتى الفحوصات المخبرية والشعاعية، أعطي بعدها العلاج الطبيعي الذي سبب له من سوء حظه كسراً. في عظم الفخذ الأيسر، وذلك لشدة ضعف العظم والعضلات.

انتكست حالته الصحية اثناء مكوثه في المستشفى عدة مرات، بينما كان المرض يتطور من سيء إلى أسوأ مع مضاعفاته كافة، إلى أن وافاه الأجل الساعة، 2,50 صباحاً يوم 24/ 12/ 1964 إثر إصابته بذات الرئة الشعبي الحاد.

حمل صديقه علي السبتي جثمانه وسار به إلى البصرة، كان الجو ممطراً والشوارع مقفرة، وحين وصل بيته لم يجد أحداً لأن الشرطة كانت قد أخرجت عائلته من البيت في ذلك اليوم نفسه، فالبيت لمصلحة الموانئ، ومصلحة الموانئ طردت بدراً، بعد أن استنفد الإجازات المرضية، ولأن عائلة بدر لم تدفع المتأخر من الايجار ونفقات الكهرباء.

ودفن جثمان بدر، بعد الصلاة عليه في مقبرة الحسن البصري، ولم يحضر جنازته إلا عدد قليل من أصدقائه.

واليوم، يقف لبدر شاكر السياب تمثال في البصرة على شط العرب، أقيم في احتفال بمناسبة ذكرى وفاته السادسة سنة 1971م.

إذن. انتهت رحلة الألم في الكويت وعاد الجسد لينام في ثرى البصرة، هناك قريباً من جيكور، وبويب. عاد الصعلوك الطائر إلى الهدف الأبدي في ظلال النخيل الذي أحبه:

وبقيت أدور

حول الطاحونة من ألمي

ثوراً معصوباً، كالصخرة هيهات تثوز

والناس تسير إلى القمم

لكني أعجز عن سير ويلاه بلا قدمي

وسريري سجني، تابوتي، منفاي إلى الألمِ

وإلى العدمِ

وأقول سيأتيني يوم من بعد شهور

أو بعد سنين من السقم أو بعد دهوزْ

فأسير أسير على قدمي، عكاز في يديَ اليمنى

عكاز، بل عكازانِ

تحت الإبطين يعينان

جسماً من أوجاع يفنى، طللاً يغشاه مسيل دمِ

هكذا يموت الصعلوك فقيراً، وهو يخشى على عائلته التشرد والضياع، وهي لا تملك طعاماً ولا شراباً، ولا كلفة ايجار المنزل، لذلك يسعى هو إلى الموت ففيه منأى عن الهوان والضياع والفقر:

لو كان الدرب إلى القبر

الظلمة والدود الفراس بألف فم

يمتد أمامي في أقصى اركان الدنيا

لسعيت إليه على رأسي أو هدبي أو ظهري

فهنا لا يشمت بي جاري.

أو تهتف عاهرة مرت من نصف الليل على داري

بيت المشلول هنا أمسى لا يمتلك أكلاً أو شربا
وسيرمون غداً بنتيه وزوجته دربا
انثرني ويك أباديدا
وافتح بابك لا تتركه أمام شقائي مسدودا
ولتطعم جسمي للنار[1].

وفي الكويت، وفي الأشهر القليلة التي سبقت وفاته، يتشوق إلى طفلته الصغيرة الثانية آلاء، ويخاطبها بشوق لا يغالب:

ويا حديثك عن آلاء يلذعها
بُعدي فتسأل عن بابا «أما طابا»
أكاد أسمعها، رغم الخليج المدوي تحت رغوتهِ
أكاد ألثم خديها وأجمعها في ساعديَّ
كأني أقرع البابا
وتخفي ظلنا السُّتُرُ[2]

## رسائل السياب:

وتشكل مضامين رسائل السياب إلى يوسف الخال وأدونيس وغيرهما محور صعلكة هذا الشاعر الحزين، لما تضمنته من شكوى وتذمر، وإقرار بالحاجة واستعطاف في طلب المعونة، إلا أنها صعلكة مستسلمة وليست ناقمة ثائرة، ناقمة في اعماقها المستورة، وداخلها المتمزق، ويبدو أن آمال السياب في يوسف الخال جاءت أكبر بكثير من حجمها الطبيعي، ولم يكن المال الذي قبضه يعادل ذرة من الهوان الذي أصابه، والسمعة التي لوثها، فقد أراق ماء وجهه وكرامته، لقاء صفقة غير رابحة، وسراب خادع، وكل ما جناه من كل هذه الرسائل لم يكن ليبقيه على قيد الحياة، أو يرد عنه الحاجة وغوائل الدهر، علماً أنه تساهل وتخلى عن كثير من مبادئه لقاء مسايرة الذين يراسلهم، وهاجم مسؤولي الصحف المناهضة لصحفهم، فاسمعه يقول ليوسف الخال في إحدى رسائله:

---

(1) الديوان ـ ج1 / 692 ـ 693.

(2) الديوان ج1 / ص 709.

«لا تدري أي شوق يشدني إليك، يبدو أن دكتورنا إدريس (أي سهيل أدريس صاحب مجلة الآداب) فقد أعصابه نتيجة النجاح الساحق الذي تناله مجلة شعر وشعراؤها ومناصروها، تحياتي للعائلة الكريمة».

وفي رسالة أخرى يقول: إني في فقر مريع، سوف آتي إلى بيروت وأنا لا أحمل في جيبي سوى بضعة دنانير، عسى أن تستطيع تدبير شيء لي حين أكون في بيروت، قاتل الله الشعر إنه لا يشبع من الجوع ولا يكسو من عري، الدكتور ادريس وما ادراك ما الدكتور إدريس، إنه يريد الاقتصاص من مجلة «شعر».

وينال السياب من الماغوط، ويصب عليه سيلاً من شتائمه فيقول: الماغوط، هذا الذي أظهرته مجلة شعر إلى الوجود وأعطته قيمة، لا بد أن خلافكم معه لا يعدو مسألة بضع ليرات، لقد خسَّرني مرة 300 ليرة في بضع ساعات، سل أدونيس يخبرك بالتفاصيل».

ولم يلبث السياب أن ينفجر باكياً شاكياً أمام يوسف الخال فيقول في إحدى رسائله له: أحوالي المالية مضطربة للغاية، وفوق ما تتصور، ألا تستطيع أن تحول لي بضع مئات الليرات على الحساب، يكفي أن تعلم أنني في الشهر الماضي قبضت 24 ديناراً، في حين كان ينبغي أن يقبض 68 ديناراً[1].

يبدو من خلال ما تقدم مدى ما وصلت إليه حال السياب المزرية، من حيرة وفقر وشكوى، دفعته إلى الاستجداء، وطلب المساعدة علناً، حتى أن تملقه ممن كان يستجديهم دفعه إلى التخلي عن بعض ما كان يعتقده من مبادئ واتجاهات.

### مظاهر الصعلكة عند السياب:

صعلكة حائرة، تلك التي طبعت حياة السياب المتخمة بالمتاعب النفسية والجسدية فالفقر الفقر، سب خروج الصعاليك، هذا الفقر هو رفيق السياب الملازم له.

ويؤكد هذا في قصيدة له في قصيدة له تنضح بالألم واليأس والمرارة.

من الذي يسمع أشعاري

---

(1) مجلة الكويت ـ عدد 173 ـ مارس 1998م. وقال بعنوان: رسائل السياب إلى الخال تكشف المستور، بقلم جهاد فاضل ـ ص58 ـ 60.

فإن صمت الموت في داري، والليل في ناري

من الذي يبكي ومن يستجيب، للجائع العاري.

ومن ينزل المصلوب عن لوحه؟ من يطرد العقبان عن جرحه

أو اه يا جيكور لو تسمعين،

ثم يقول في مقطوعة أخرى دامية حزينة:

نزعٌ ولا موت، نطقٌ ولا صوتُ

طلقٌ ولا ميلاد.

من يصلب الشاعر في بغداد

من يشتري كفيه أو مقلتيه ..

وأزمته الحياتية لا تخصه وحده، إنها أزمة الأمة العربية، هذا ما يوضحه في قصيدة له، قالها في المناضلة الجزائرية جميلة بوحيرد حيث يقول[1]:

الله لو لا أنت يا فادية

ما أثمرت أغصاننا العارية.

أو زنبقت أشعارنا القافية

أنا هنا، في هوّةٍ داجية

ما طاف لولا مقلتاك الشعاعْ

يوماً بها نحن العراة الجياع

لا تسمعي ما لفقوا ما يُذاع

إنا هنا كوم من الأعظمِ

لم يبق فينا من مسيل الدمِ

شيء نروي منه قلب الحياة.

إنا هنا موتى، حفاة، عرة،

وتكفي هذه الأسطر التي تعبر عما يعتري الشعوب العربية من عري وموت

---

(1) ديوان بدر شاكر السياب ـ دار العودة بيروت 1989م ـ مجلد أول ـ ص386 ـ 387.

وجوع، ومن انزلاق نحو الهوة المدمرة، تكفي هذه لتجعل من كل عربي صعلوكاً يجرد نفسه لانقاذ نفسه ومجتمعه، كل فقراء العرب وعراتهم وجياعهم صعاليك، وكلما بزغت ثورة واستقلت دولة عربية ظَنَّ أن عهد الجوع ولّى، ولكن، ها نحن على حافة الهاوية، طوبى للصعاليك.

ويطير على أجنحة المدى، يغترب، ليحارب، الجوع والفقر في عيني أولاده وزوجه، مصمماً عل العودة، بعد أن يكون قد حقق ما يريد، ولكن أنى له ذلك[1]:

ماذا حملت له سوى الخرز الملون والضباب

ما خضت في ظلمات بحر، أو فتحت كوى الصخور

ما بلَّ ثوبك، ما حملت لها سوى الدم والعذاب

في سجنها هي خلف سور، في سجنها هي وهو من ألم وفقر واغتراب

عشر من السنوات مرت وهي تجلس في ارتقاب:

اطفالها المتوثبون مع الصباح، صمتوا وكفوا عن مراح

زجرتهم لتحس وقع خطاك

وأتى الربيع وما أتيت

ماذا يعيقك من رجوع، لم تبق للغد من دموع

في مقلتيها، ولم يبق ابتسام للَّقاء.

ولكنه يغترب ليتداوى، وهو يعاني من آلام الفقر والحرمان، عيون الجوع والوحدة نجومه التي سيبصر بها، في ليل داج صارم بالصقيع، إنها الصعلكة الدامية، التي تحارب لتعيش، تحارب على عدة جبهات، جبهة المرض وجبهة الفقر، وجبهة الغربة، وهو في جميعها جيكوري حميمي، إنها الوطنية الصارخة، فجيكور تمثل العراق بأكمله، صرح النخيل والأرجوان:

بعيداً عنك في جيكور عن بيتي وأطفالي

تشد مخالب الصوان والأسفلت والضجر

---

(1) الديوان ـ ج1 ـ ص246 و247.

على قلبي، تمزق ما تبقى من وتر
تشد مخالبُ المالِ
على بطني الذي ما مرَّ فيه الزاد من دهرِ
عيون الجوع والوحده
نجومي في الدجى صارعت بين وحوشه بَرْدَه
وإن البرد أفظع، لا .. كأن الجوع أفظع، لا فإن الداءُ
يشلُّ خطاي، يربطها إلى دوامة القدر
ولولا الداء صارعت الطوى والبرد والظلماء
ولولا الداء ما فارقت داري يا سنا داري

ويكاد يصرخ بإخوانه، بالصعالكة جميعهم ليساعدوه، علهم يخففون عنه الآلام:

بعيداً عنك أشعر أنني قد ضعتُ في الزحمهْ
وبين نواجذ الفولاذ تمضغ أضلعي لقمة
يمرُّ بي الورى متراكضين كأن على سفرِ
فهل أستوقف الخطواتِ، أصرخ، أيها الإنسان أخي،
يا أنتَ، يا قابيل، خذ بيدي على الغمَّة
أعنّي، خفف الآلام عني وأطرد الأحزان
ولكن يبدو أن متصعلكي العصر الحديث كل يغني على ليلاه:
وأين سواكِ من أدعوه بين مقابر الحجرِ[1]

وفي مقابلة صارخة حاسمة بين لندن التي كتب فيها هذه الأبيات السالفة وبين جيكور وعراقه الحبيب، فرق ما بعده فرق، بين مدن الزهر الحديدي والطير الفولاذي، وبين طيور الطبيعة الخلابة الحية، جغرافية الصعلوك الذي لم يستبدل بوطنه وطنا، وإنما يطأ أرضاً غير أرضه. لأجل مسمى ثم يعود ليحضن أحباءه ابناء جلدته، ولعله هنا يتلاقى تماماً مع شعراء المهجر في هذا الحس الوطني العارم، الذي نحس بضرورته في ليالي الظلم والاستبداد.

---

(1) الديوان ـ ص254 ـ 255.

ضاعوا ضياع اليتامى في دجى شاتِ
ياربِّ أرجع على أيوب ما كانا
جيكور والشمس والاطفال راكضة بين النخيلات
وزوجة تتمرى وهي تبتسم[1].

ويطلق صعلكته السياسية من على سريره في مستشفى سان ماري في لندن نهار 8/ 2/ 1963 م، حيث كان يعالج، وكان نظام الزعيم العراقي عبد الكريم قاسم قد زال وحل مكانه نظام آخر، وهو في هذه القصيدة يعبر عن موقفه المعارض لقاسم، حتى أنه يكيل له سيلاً من النقد الجارح والشتائم القاسية:

عملاءُ قاسم، يطلقون النار، آه على الربيع
سيذوب ما جمعوه من مالٍ حرام كالجليد
ألق الحياة إلى الغصون اليابسات فنستعيد
ما لُصَّ منها في الشتاء القاسمي، فلا يضيع.

ويظن أنه وجد الدواء مما كان يسعى إليه في صعلكته وتنقله الذي كان في قسم كبير منه لداعي المرض، ولكبح جماح الجوع والفقر والحرمان، ولعله شهر في هذه الصعلكة أحد أسلحتها الفتاكة القاسية، أعني سيف النقمة والشعر البارودي الناري:

هرع الطبيب إليَّ ـ آهِ، لعله عرف الدواء
للداءِ في جسدي فجاء؟ ـ
هرع الطبيب إليَّ وهو يقول: ماذا في العراق ..؟
الجيش ثار، ومات (قاسم) .. أي بُشرى بالشفاء
ولكدت من فرحي أقوم، أسير، أعدو دون داء
مرحى له أي انطلاق . .؟
مرحى لجيش الأمة العربية انتزع الوثاق ـ
يا إخوتي بالله، بالدم، بالعروبة بالرجاء،

---

(1) ديوان السياب ـ ج1 / ص257 و258.

هبوا، فقد صُرِع الطغاة وبدر الليلَ الضياء

فلتحرسوها ثورةً عربية صُعِقَ الرفاقْ

منها وفر الظالمونَ لأن تموز استفاق

من بعد ما سرق العميل سناه، فانبعث العراق[1].

ويتضح في هذه القصيدة اتجاه الشاعر القومي العربي، وقد جاء هذا بعد أن ترك الحزب الشيوعي الذي بقي أحد أعضائه لعقد من الزمن.

والصعلكة في السياب، تعني أحياناً الثورة، والانتفاضة على الأغلال والقيود:

ويعظم الحب للوطن العربي برمته:

وكان يطوف من جدي

مع المدِّ

هتاف يملأ الشطآن: يا ودياننا ثوري.

ويا هذا الدم الباقي على الأجيالْ

يا إرث الجماهيرِ

تشط الآن واسحق هذه الأغلال

وكالزلزال هُزَّ النير، أو فاسحقه واسحقنا مع النير[2]

وظل أمل السياب الصعلوك في بذور العراق كبير، إنهم الخير الواعد الذي تدخره الأرض، إنهم الصعاليك القادمون على الجياد الشهباء:

أكاد أسمع العراق يذخرُ الرعود

ويخزن البروق في السهول والجبال

حتى إذا ما فضَّ عنها ختمها الرجال

لم تترك الرياح من ثمودْ، في الوادِ من أثر

أكاد أسمع النخيل يشرب المطر، وأسمع القرى تئن، والمهاجرين،

(1) الديوان ـ ج1 ـ ص309 ـ 311.

(2) الديوان ج1 / ص 396 و397.

يصارعون بالمجاذيف وبالقلوع
عواصف الخليج، والرعود، منشدين:
مطر ... مطر ... مطر
وفي العراق جوع، وينثر الغلال فيه موسم الحصادْ
لتشبع الغربان والجراد، وتطحن الشوان والحجر
رحى تدور في الحقول. حولها بشر،
مطر ... مطر ... مطر
وكم ذرفنا ليلة الرحيل من دموع
ثم اعتللنا خوف أن نلامَ ـ بالمطر
وكلُ عام ـ حين يعشب الثرى ـ نجوع
ما مَرَّ عام والعراق ليس فيه جوع
مطر ... مطر ... مطر
في كل قطرةٍ من المطر
حمراء أو صفراء من أجنة الزَّهَرْ
وكل دمعة من الجياع والعراة
وكل قطرة تراق من دم العبيد
فهي ابتسامٌ في انتظار مبسم جديد
أو حُلمةٌ تورَّدَتْ على فم الوليد
في عالم الغد الفتي، واهب الحياة.
مطر .. مطر .. مطر .. سيعشب العراق بالمطر.

إنها القصيدة الصعلوكية العصماء، كل ما فيها صعلوك يهم بالمساهمة في خلق العراق، صعلوك بمفهوم استعادة الحياة والنبض والخير والمستقبل والوجود، لمواجهة أفاعي العراق التي تشرب الرحيق وتسلب الفقراء ما يشتهون:

وفي العراق ألف أفعى تشرب الرحيق
من زهرةٍ يربُّهَا الفرات بالندى

وأسمع الصدى يرن في الخليج: مطر .. مطر .. مطر

ويهطل المطر[1]

وكان السياب قد هاجم الزعيم عبد الكريم قاسم كما أشير في ما سبق، وها هو يغمز من قناته مرة أخرى إثر ثورة 14 رمضان، في قصيدة كتبها وهو على سرير الاستشفاء في مستشفى سان ماري في لندن، وفي يوم الثورة بالذات نهار 14 رمضان الموافق 8 شباط (فبراير) 1963م، ومما جاء في هذه القصيدة:

جزاك الإله الخير عن أم صبية ... أعدت لها البعل الذي كاد يقبر

فصار اليتامى من جداك ذوي أب ... فداك الأب الفاديهِ در وجوهر

ألست الذي أحيا - وقد ثار - شعبه ... فصاح ابتهاجاً عنه «الله أكبر»

وواضح من هذه الأبيات أنه يمدح عبد السلام عارف الذي قاد هذه الثورة ضد عبد الكريم قاسم، وكشف السياب عن ثورته الصعلوكية التي ترمز إلى التمرد على الجوع والظلم والغربة كما يرى هو هنا.

ولا يلبث أن يهاجم قائد ثورة 14 تموز الذي نقل العراق من الملكية إلى الجمهورية ويهاجم معه أنصاره ومساعديه، في أداء صعلوكي عنيف، يحركه المرض والفقر والضياع:

تقحمت أوكار المنيات والنا ... ئين وآلاف الشياطين تصفر

فما هي إلا ضربة الثأر وانجلى ... ظلام من البلوى وبغداد تنظر

ثأرت لشواف وأمطرت ناظماً ... بما قد روى القبر الذي كاد يطمر

وسدًّ من التهريج أعلاه قاسم ... وما كان كاسمه فهو يشطر

ألوف الضحايا سامها الخسف والأذى ... غلوم ورقاع وبخش وقنبر

ولولاه ما عاد الشيوعي حاكماً ... كما شاء أو كان الشيوعي ينحر

فكنت الجواب المرتجى من دعائه ... وكنت لنا النور الذي فيه نبصر[2]

هكذا. علماً أنه كان قد مدح عبد الكريم قاسم مدحاً هائلاً، وأجزل له في الإطراء كما جاء في بائية كتبها سنة 1961م عنوانها ليلة القدر وألقاها في احتفال في مكتبة ناحية الزبير[3]:

---

(1) ديوان السياب - ج1 / ص475 - 481.

(2) الديوان ج2 / ص582 - 585.

(3) الديوان ج2 / ص569 - 571.

يا ليلة القدر أعلي قدر أمتنا شهمٌ تعالى على الشطينِ وانتصبا
عبد الكريم الذي جاد الكريم به أقال من عشرة شعباً بما وهبا
ما كان يرغب عن أنوار ثروته إلا الخفافيش ساءت تلك منقلبا
هووا إلى قاع بئر لا قرار له مستمسكين بحبل من دم خضبا

لقد صنعت صعلكة السياب أشعَاره الهادرة وفقَره المدقع، وداءه الذي ألحَّ عليه، وتشرده من مكان إلى آخر سعياً وراء المال والاستشفاء، وكل انفعال وتمرد وغضب تحمله قصائده هي تعبير عن مفهوم الصعلكة لديه، فمنزله الذي بارحه في الطفولة، لم يعد إليه إلا نادراً، وظل من البعيد يحمل جيكور في ذاكرته وأشعاره وأشواقه، وصعلكته التي تتمرد على الظالمين وآكلي حقوق الناس، لم تقتصر على مخاطبة بني جلدته، إنما تعدتهم إلى كل مكان في العالم يمارس فيه الظلم ضد الإنسان، ويفجر فيه صعاليكُ أنفسهم دفاعاً عن الرغيف والحق، جاء من قصيدة الأسلحة والأطفال:

لمن كل هذا الرصاص
لأطفال كوريَّة البائسين
وعمال مرسيليا الجائعين
وأبناء بغداد والآخرين
إذا ما أردوا الخلاص
كان جواب المستبدين: حديد رصاص
رصاص .. .. رصاص[1]

إنه الطابع الإنساني الخلاق، صعلكة من أجل مجتمع إنساني خالٍ من الفقر والجوع والحرمان. وهذا الحديد الذي يستعمله الظالمون، إنما يدخرونه ليواجهوا به الشعب، ويستنزفوا دمه المناضل:

حديد ..
لمن كل هذا الحديد
لقيد سيلُوى على معصم

(1) الديوان ج1 / ص571.

ونصلٍ على حُلمةٍ أو وريد

وقُفلٍ على الباب دون العبيد

وناعورة لاغتراف الدم.

حديد عتيق .. رصاص .. حديد

لك الويل من تاجر أشأم

ومن خائض في مسيل الدم

ومن جاهل أن ما يشتريه

ـ لدرء الطوى والردى عن بنيه ـ

قبور يوارون فيها بنيه

حديد عتيق لموت جديد[1]

لكل ذلك شمر السياب عن صعلكته، لنزع الأغلال عن أيدي المظلومين، والأقفال عن الأبواب الموصدة التي تمنع الحرية والحياة، ولمواجهة التجار الذين يحبسون الأموال الطائلة في حين يرتع الشعب في الفاقة والجوع والحرمان، ولمقارعة شاربي الدم أَوَ لا تستحق هذه المعاناة بأشكالها كافة صعلكة من نوع ساحق، يميل لمصلحة الجماهير الفقيرة والناس البسطاء.

(1) الديوان ج1 / ص570 و571.

# أحمد الصافي النجفي
## 1897 ـ 1977م

له مع الصعلكة سمات مشتركة، أحمد الصافي النجفي الشاعر العربي العراقي الظريف اللسن البسيط الفقير المتشرد، يسلي أحزانه في شعر عذب يحمل روح النكتة والنقد، زاهد في عيشه وملابسه وطعامه وعلاقاته، لأن الدهر فرض عليه أن يعيش حياة الزهد هذه، حياة التصعلك، ففيه تمرد العنف الأدبي، وعنفوان لا يستسلم إلا لما يرسمه هو لحياته.

أحمد بن علي بن السيد الصافي بن عبد العزيز بن أحمد الموسوي النجفي، ولد في النجف الأشرف سنة 1897 م وترعرع فيها، وكان والده من علماء النجف الأعلام، وكان لوالدته السيدة شريفة اعظم الأثر في تربيته الروحية والعلمية.

إذن نشأ الصافي في بيت علمي، وقد أدخله والده عند «الشيخة» حيث تعلم القرآن الكريم، ثم إلى الكتاب لدى الشيخ علي البوشهري، وأظهر التلميذ تفوقاً على أقرانه جعل الشيخ يعتمد عليه في تعليم المبتدئين من تلاميذه.

توفي والده بداء (الهيفة) الكوليرا، وهو في الحادية عشرة من عمره، وكان هذا الوباء قد اجتاح العراق يومئذ، وترك في كل دار مناحة، وكانت الفاجعة قاسية على نفسه، فأدار شؤون العائلة الشقيق الأكبر للشاعر السيد محمد رضا الصافي، وكان رغم عاطفته على أخيه أحمد، إلا أنه كان قاسياً في معاملته، مقيداً له تقييداً يكاد يكون استعباداً، وما لبث الشاعر أن فُجع بوفاة والدته سنة 1912م وهو في الخامسة عشر من عمره.

وكان حين بلغ الثالثة عشرة قد انكبَّ على دراسة قواعد اللغة والمنطق وعلم الكلام، والمعاني والبيان وشيئاً من الفقه على أساتذة مرموقين في النجف

الأشرف، وكان التفوق حليفه، لكن السقم الذي ألح عليه والأمراض التي كان يعاني منها منذ الصغر، على فترات، خاصة الملاريا، والتيفوئيد والدوزنتاريا، حالت بينه وبين متابعة هذه الدراسة المستفيضة، فأمره الأطباء بالاكتفاء بالمطالعة السهلة، فأقبل على متابعة الجرائد والمجلات والكتب الأدبية.

إلا أن الحاجة وقلة ذات اليد دفعته سنة 1916م إلى مغادرة النجف باتجاه البصرة بغية العمل، لكن لم يجد شغلاً فيها يسد رمقه، فذهب إلى المحمرة وخلع بزته الدينية وارتدى ملابس العمال، وتنقل بين البصرة وعبدان والكويت، إلا أن ضعف جسمه منعه من العمل، فاتجه من الكويت إلى إيران ثم عاد إلى العراق، دون أن يجد عملاً أو يفلح بشيء، فقد كان عليلاً، نحيف البنية، لا يوحي مظهره لأحد باستخدامه، يقول في ترجمة حياته:

رُمْتُ الاشتغال في أحد المخازن، فلم يقبلوني. مما اضطرني أن أكون عامل بناء طيلة يوم كامل وقعت في انتهائه ميتاً من شدة التعب، فذهبت قبل أن استلم الأجرة، ثم سافرت إلى (بندر بوشهر) بمركب شراعي أغرقته عاصفة بحرية، ولولا مشيئة الله وصندوق شاي كان معنا في الزورق، فطفا على سطح الماء وتعلقت به، لكنت أحد الغرقى».

وهكذا بعد تسعة أشهر من الترحل والتشرد، رجع الصافي إلى النجف دون أن يحقق شيئاً، فعاود الانكباب على المطالعة والتزود من علوم اللغة العربية، وعندما ثار النجفيون على الاحتلال البريطاني خلال الحرب العالمية الأولى 1918م، شاركت عائلة الصافي بالثورة، كما أنها ساهمت بشكل فعال في الثورة العراقية سنة 1920م فحكم على الشقيق الأكبر للشاعر بالاعدام، الذي استبدل السجن به، فتخفى الشاعر متنقلاً من بلدة إلى أخرى، إلى أن التجأ إلى إيران، ووصل إلى طهران، فتعلم اللغة الفارسية وعمل مدرساً للأدب العربي في المدارس الثانوية، ثم ترك التدريس بعد سنتين واشتغل بالترجمة والتحرير في أمهات الصحف الايرانية، وكانت له اتصالات سياسية ومشاركات أدبية، وانكب على مطالعة الأدب الفارسي، وقام بترجمة رباعيات الخيام من الفارسية إلى العربية شعراً.

وبعد مضي ثماني سنوات عاد الصافي إلى العراق سنة 1923م، بطلب من الحكومة ومن أصدقائه من زعماء الثورة العراقية الكبرى، للمساهمة في خدمة العراق الذي أصبح مستقلاً.

وفي العراق عرضت عليه الحكومة منصب قاضٍ شرعي، فاعتذر عن قبوله بسبب الأمراض الصعبة التي ألحت عليه، فقد كان مصاباً بتضخم في الكبد، وضعف في القلب، ومرض في الكلية، والتهاب مزمن في الحنجرة، وضعف في الاعصاب، فنصحه طبيب سوري بالسفر إلى سوريا لجودة مناخها، أملاً أن يساعده هذا الانتقال والجو المعتدل على إراحة أعصابه.

وهكذا وصل الصافي إلى دمشق في صيف سنة 1930م، فطاب له المقام فيها سنين طويلة، متنقلاً بينها وبين لبنان وفيها يقول:

أتيتُ جلق مجتازاً على عجل　　فأعجبتني حتى أخترتها وطنا
لا يبرح الحسن يوماً من مرابعها　　كأنما الحسن من قِدْم بها افتتنا

كانت حياته في دمشق متواضعة جداً، غرفة في مدرسة الخياطين، مهجورة لا يتعدى أثاثها فرشة ممدودة على الأرض، وكمية من الصحف القديمة، وحقيبة كرتونية مربوطة بحبل، وكان يشاطره فيها فأر وعنكبوت، وقبائل من البق، حيث يقول:

أكابد البرد في سراج　　يكاد من ضعفه يموت
في غرفة ملؤها ثقوب　　قُلْ ملؤها بيوت
يسكن فيها بلا كراء　　فأر وبق وعنكبوت
للفأر من مأكلي غذاءٌ　　والبق جسمي لديه قوت
واعتزل العنكبوت أمري　　وفي بقاه معي رضيتُ

إنه الفقر والحاجة والتنقل، سمات الصعاليك وصفاتهم الأساسية.

كان لبنان مقره الدائم أخيراً، أمضى فيه ستة وأربعين عاماً متنقلاً بينه وبين سوريا، كانت مقاهي بيروت خاصة البحرين والحاج داود وفلسطين وفاروق، محط رحال الصافي نهاراً، وشقة صغيرة بسيطة متواضعة في محلة البرجاوي يأوي إليها في الليل، وقد أوصد بابها دون كل زائر، في تلك المقاهي كانت تعقد المجالس الشعرية والحوارات الادبية والسياسية، قامت بين الصافي وأبرز رجال السياسة في لبنان (وسوريا) علاقات مودة واحترام، منهم شكري القوتلي وفارس الخوري وسعد الله الجابري من سوريا، ورياض الصلح وصائب سلام ورشيد كرامي من لبنان، كانت تربطه مع الاخطل الصغير وشائج المودة والاعجاب المتبادل، وكان الصافي على الداوم يعتذر عن هداياهم وعطاياهم.

وقد دعاه يوماً شكري القوتلي وكان رئيساً للجمهورية السورية إلى الغذاء في مقر إقامته في الزبداني، وقدم له بعد الغذاء عباءة فخمة ثمينة كان قد جلبها من السعودية، فشكره الصافي، ورفض الهدية معتذراً، وقال له: اخترْ يا فخامة الرئيس بيني وبين العباءة، فإذا كنت تريدني أن أقبلها هدية منك، فسوف تخسرني، ولن ترى وجهي بعد الآن، وإذا كان العكس فأعِدِ العباءة إلى مخبئها، وستظل تراني.

تلك هي الأريحية وشموخ النفس وعزة الروح والإباء، قيم يتلاشى كثير منها مع الأيام فقليلون اولئك الذين يصمدون أمام المغريات، وتلك بعض قيم الصعلكة التي لا تحابي ولا تصادق من أجل منفعة آنية وغاية فانية.

وعندما خصَّصَت له الحكومة العراقية راتباً شهرياً قدره مائة دينار وكان قد جاوز السبعين، تحركت فيه أريحية الإباء المعهودة قائلاً:

| | |
|---|---|
| ليس مالي فضة أو ذهبا | مالي الفكر الذي عز نظيرا |
| مالي الخير الذي أعمله | ماليَ السعي الذي يرضي الضميرا |
| مالي النور الذي أرسله | يبدل الظلمة في الأفكار نورا |
| مالي الوحي الذي يلهمني | مالي الشعر الذي يحيي الشعورا |
| لم يُغير خُلقي أو سيرتي | عارض المال وإن كان وفيرا |
| أعشق الزهد صريحاً فكرتي | أعشق الكوخ ولا أهوى القصورا |
| أعشق العيش بسيطاً هادئاً | اشتهي الأرض مهاداً لا سريرا |
| كم هويت الصخر لي متكئاً | وافترشت الصخر لا الفرش الوثيرا |

ذلك هو ماله، الفكر والخير والنور والعمل الذي يرضي الضمير، والوحي الذي يلهمه السفر الحي الجميل، فهو عاشق للزهد، يعشق الكوخ، والبساطة، ويتخذ الصخر فراشاً، لأنه لا يريد منة من أحد، ولا يريد العطية على حساب كرامته وإبائه، وهو يعشق الكوخ والزهد والبساطة في المأكل والمشرب لأنه لا يستطيع غير ذلك، ولا يريد أن يأكل إلا كد يمنيه.

صعلكة من نوع هادئ، يتمرد على دناءة النفس وانحدارها عندما تستلم للمغريات المادية، فهو ليس كالشعراء والادباء المتكسبين الذين يعيشون على فتات القصور وموائد المسؤولين الظالمين.

اقتاده الاستعمار الانكليزي إلى السجن عند دخولهم إلى لبنان سنة 1941م، بعد دحرهم سلطات فيشي، ثم اطلق سراحه بعد مضي ثلاثة وعشرين يوماً، نظم

خلالها قصائد جمعها في ديوان شعري، ومما جاء في إحدى قصائده تعليقاً على ما جرى له:

حبستُ وضاق الحبس بي حين زُجَّ بي    إلى غرفة ظلماء محكمة السدِّ
فقلت علام الحبس لا أنا سارق    ولا آثم عمداً ولا دونما عمدِ
ولما رأيت الذنب خدمة موطني    حلا السجن حتى خلته جنة الخلدِ

تلك هي الوطنية المخلصة والحس القومي الرائع، أن يشعر العربي أينما كان بانه ينتمي إلى أمة واحدة، لا تفرق بينها المحن بل توحدها وتشد من أزرها، عراقي يحلو له السجن في لبنان، لأن في هذا السجن خدمة للوطن وتضحية في سبيله.

ولعل في وصف أمين الريحاني للشاعر الصافي ما يحدد مظاهر صعلكته، جاء ذلك في كتابه قلب العراق حيث قال:

إنه (أي الصافي) تنقل من كوخ إلى كوخ، ومن بلد إلى بلد، وكان يدعى عجمياً في النجف، وعربياً في بلاد العجم، ثم راح يقيم بين البدو فظنوه من الحضر، وجاء سوريا فظنه أهلها من البدو، ثم أردف الريحاني: إنه لطير عجيب غريب، يحسن الطيران والغناء، ولا يحسن سواهما، وهو وليد برج النحوس، فالدمامة أمه، والسقم أبوه، والبؤس أخوه، أما الروح منه فهي سليمة قوية، بل هي روح جبارة في هيكل سقيم، ثم يرثي الصافي نفسه قائلاً:

أسير بجسم مشبه جسم ميت    كأني إذا أمشي به حاملٌ نعشي

إلا أن هذا الضعف والبؤس لم يدفعا بالصافي إلى التشاؤم، فهو وإن كان في السبعين من عمره، فروحه ثابتة على العشرين، تبقى حية شابة.

ونستكمل بعض ملامح صعلكته بما ذكره السيد محمد علي الأمين في رسالته للماجستير (الصافي يقدم نفسه، حيث يقول:

لم يرهبه عنفوان الجاه، ولم يشأ أن يستبدل بالفقر غنى يسلبه غناه الذي ارتضاه، وأمده مران التحدي بطاقة أمسكت بيده، وكانت من أركان زهده، فلم يملك الشاعر الفقير، كما لقبه أبو شبكة من حطام الدنيا شيئا، فلا قصر ولا كوخ ملك لسكناه، إنما هي غرفة في أغلب الأحيان، غرفة مستأجرة أو تابعة لمدرسة دينية قديمة يسكنها الصافي بلا مقابل، وتبقى بُلغة العيش.

مُرَّ الشكوى، مرُّ العتب، يعتقد أنه لا يبدأ أحداً بالإساءة، فإذا أوذي عمد إلى الانتقام بلا هوادة، سريع الانفعال، لا يغتفر الهفوة إلا بصعوبة.

يشكو جفاء الأصدقاء، ويبالغ في اعتقاده أن الكثرة منهم لم تنصفه لا أدبياً ولا اجتماعياً، فيبالغ في العزلة ويمعن في النفور، ثم تراه في الوقت نفسه يأنس بالاجتماع.

مبالغ في إهمال المظهر، ولا يأبه للنظافة، بطيء الخطو يتمايل في مشيته، وفي حناياه مذ كانت غضة جور الأمراض المتعاقبة[1].

في منتصف شهر كانون الثاني (يناير) 1976م، وخلال الحرب الطاحنة المجنونة في لبنان، خرج الصافي من غرفته الكائنة في مبنى قديم في محلة البرجاوي يفتش عن رغيف خبز يأكله، بعد أن مضى عليه ثلاثة أيام لم يذق فيها طعاماً، فأصابته رصاصة في صدره، أطلقها قناص على تلك المحلة دون تمييز، فنقله أناس ذوو أريحية ونخوة إلى مستشفى المقاصد الخيرية الاسلامية حيث عولج باشراف السفارة العراقية، ولما تحسنت حاله نقل إلى بغداد، وكان قد مضى على غيابه عن العراق نصف قرن تقريباً، ومما ضاعف من آلامه الجسدية والنفسية أنه كان قد فقد بصره أو كاد، وفي بغداد أجريت له عملية جراحية ناجحة لاخراج الرصاصة من صدره، في مستشفى مدينة الطب ببغداد، ثم انتقل بعد شهر معافى إلى بيت ابن اخيه الدكتور علي الصافي، فإلى شقة خاصة مجاورة، كان خلالها يتمتع بصحة جيدة، ويستقبل زائريه بكل حيوية ونشاط.

غير أنه بعد شهر أخذ يشعر بالإعياء، ثم اصابه شلل جزئي منعه من النطق، فنقل بسرعة إلى مدينة الطب، ولكن الشلل امتد إلى كل أطرافه، وبعد تغذية اصطناعية لبضعة أيام، أسلم الروح في 27/ 6/ 1977م ودفن في النجف الأشرف..

كان الصافي قد قال وهو في طريق عودته من لبنان إلى بغداد[2]:

يا عودة للدار ما أقساها اسمع بغداد ولا أراها

---

(1) محمد علي الأمين ـ الصافي يقدم نفسه ـ رسالة ماجستير ـ ص14 / 15. د. سالم المعوش. أحمد الصافي النجفي ـ حياته من شعره ـ مؤسسة بحسون ـ بيروت ص13 ـ 50.

(2) د. الغفيلي ـ شعراء ماتوا جوعا ـ ص131 ـ 133.

**آثاره:**

من آثاره الشعرية تعريب رباعيات عمر الخيام، وقد عربها في طهران سنة 1924م بعد أن اتقن الفارسية اثناء لجوئه إلى إيران في أواخر الحرب العالمية الأولى.

ـ رباعيات عمر الخيام المصورة، منشورات دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

وله عشرة دواوين طبعت في حياته هي:

1 ـ الأمواج ـ 1932م طبعة أولى

2 ـ أشعة ملونة ـ طبعة ثالثة. حصاد السجن ـ 1941م. الأغوار 1944م طبعة أولى. هواجس ـ 1948م. شرر 1948 ـ 1951. التيار ـ 1962م ـ طبعة ثانية. ألحان اللهيب ـ 1962م طبعة ثانية. اللفحات وهو مفقود. الشلال 1962 طبعة أولى.

أما الدواوين المخطوطة فهي: 1 ـ شباب السبعين ـ 2 ـ وقد سماه الصافي بلا إسم ـ 3 ـ وقد سماه الصافي (كما جاء) ـ 4 ـ تمرد المشيب ـ 5 ـ المطعم.

**أبيات متصعلكة من شعره[1]:**

قلت للطالبين مني رثاءً ... لعظيم في موقف التأبين

كيف أرثي سواي ميتاً وإني ... الحي في حاجة لمن يرثيني

إنما الحي بالرثاء لأولى ... حين يشقى من ميت مدفون

وأشد مآسي الصعاليك الفقر والحاجة، وهما اللتان نغصا على الشاعر حياته، وإن كان الصعاليك الأوائل يقطعون الطرق على الصعاليك ويسلبونهم ما معهم، فإن الصافي يعتبر مجالسة التجار مصيبة، فهو يهوى الاغتراب عنهم، لأنهم رأوا غناهم الفاني ولم يروا غناه الباقي، وإن كانوا هم لا يستفيدون منه، فهو يعف عن الاستفادة منهم.

مجالسة التجار عندي مصيبة ... أحسُّ اغترابي بينهم حين أجلس

يرون غناهم، لم يروا قطُّ لي غنى ... وأيُّ غنى من جوهر النفس أنفس

لفقري رثوا، إذ كنت أرثي لفقرهم ... كلانا لدى الثاني بما نال مفلس

فهو ينفر من التجار، كما كان يحقد وينفر الصعاليك منهم أيضاً، قيل له: إن

---

(1) الصافي يقدم نفسه ـ ص36.

جماعة التجار مسرورون بلقائك هنا سروراً عظيماً وذلك عندما التقوا به في نبع بقين، فقال لمخاطبه هو الأديب الشيخ عبد القادر المبارك عضو المجمع العلمي بدمشق، ولكني شخصياً على خلاف ذلك[1].

وإذا كان أولئك الصعاليك يداوون فقرهم بتمردهم وثورتهم وانتزاعهم مال التجار والأغنياء بكل الوسائل المتاحة، فإن الصافي الشاعر المتمرد يواجه فقره بالإعتزاز به، وإن كان الاغنياء يعمون عنه ولا يلتفتون إليه:

كوخي على أهل القصور محرم ... لا يعلمون به فشكراً للعمى
كوخي قطاف الوحي ليس يؤمه ... إلا ملاك الأرض أو ملك السما
لم أبنِ كوخي للأبالس منزلاً ... وفتحت خلداً ما فتحت جهنما[2]

وإن كان الشاعر لا يبالي بالتجار، فلأنه يعتبر نفسه أعلى مقاماً وأسمى فهم، فالشعراء الشعراءكما يقول هم أمراء، لأن شاعرية الشاعر يجب أن ترفعه إلى حيث مصدر الشعر، وهو الشعور النقي المترفع.

وكان قد سبق للشاعر أن رفض عوناً مالياً من الرئيس شكري القوتلي، وعباءة هدية منه في مناسبة ثانية، ورفض قنبازاً من عبد الحميد ذياب رئيس الغرفة التجارية في دمشق[3].

ومن مظاهر صعلكته وفقره، أن عباءته كانت ملعباً الريح، يخاف من أن تتناثر هباء إن مسَّها ومرَّ بها، في الوقت الذي يرفل فيه الأثرياء والتجار في بحبوحة ليس لها نظير.

عباءتي تقلقها ريح الصبا ... كأنها إرثي من أهل العبا
أمشي به مراعياً شعورها ... أخاف إن مسَّها تعدو هبا

وهو يأبى العطية، إن لم تكن من عرق جبينه وكدح زنديه، فيه عزة وعنفوان الصعاليك ولذلك يرفض أن يستبدل عباءته المهترئة المهلهلة بعباءة ذهبية قدمت له، لأن الأولى اشتراها من نتاج يمنيه، والأخرى حمل اين منه حمل الجبال، لذلك يرضى بعباءته حتى لو ملئت ثقوباً ورتقاً وخبنا[4]:

---

(1) الصافي يقدم نفسه ـ ص88.
(2) ديوان هواجس ـ ص41. الصافي يقدم نفسه ـ ص17.
(3) الصافي يقدم نفسه ـ ص 117 و109 و110.
(4) الصافي يقدم نفسه ـ ص117. ديوان هواجس ـ ص25.

خبنت عباءتي ستراً لنقصٍ بدا فيها من الزمن العقوقِ
وأخشى أنها بالخبن تفنى إذا واليتُ إخفاء الفتوق

وتتمظهر صعلكته في أبيات كثيرة ساقها في ديوانه الماتع «أشعة ملونة».

يقول في بعضها وقد اعتبر نفسه لصيقاً بالتراب، لم يحصد غير السراب، انما هو طائر قُصَّ منه جناحاه، فظل طوال حياته يسبح في التراب لصيق الفقر والحاجة[1]:

وما أنا غير طير قُصَّ منه جناحاه وألقي في يباب
توخى في الهوا سبحاً فأعيا عليه فظل يسبح في التراب

ويلح على المعنى نفسه تقريباً، ناحياً باللائمة على الدهر (والمقصود مصائب الدهر) الذي حوله إلى طائر مقعد لا يمشي ولا يطير[2]:

أنا طائر لا يرتضي الأرض مسكنا كأني بين الجو أبحث عن عرشي
ولكن دهري قصَّ جنحي وأرجلي فما حال طير لا يطير ولا يمشي

وصعلكته (فقره الشديد وتشرده وتجوله) لم يعشقها أحد[3]:

وسائل مِمَّ عيشي؟ قلت، من كتبي فقال لي أنت حقاً عائشٌ برغدْ
فليس مثلُكَ شخص عاش من كتب فقلت، لكنَّ عيشي لم يعشه أحدْ

ورفاقه الصعاليك أمثاله، هم المفتشون عن لقمة العيش، البائسون المشردون، من إنسان وحيوان:

يجيء إليَّ البائسون كأنهم يروني لهم من دون باقي الورى خلا
وأعجب للحيوان إن كان بائساً أتاني كأني كنت أعرفه قبلا
فكم جاءني قط ينوء ببؤسه فشاطرته هماً وشاطرني أكلا
يجيء إليَّ الهائمون كأنني - ولا أهل لي - أهلٌ لمن فقد الأهلا[4]

والشاعر لا يطلب مِنَّةَ إلا من الله عز وجل، رغم صعلكته القاسية وحاجته الملحة، وهو يجيب بهذا المعنى أحد المتسولين الذي طلب منه مالاً[5]:

---

(1) أحمد الصافي النجفي - أشعة ملونة - المكتبة العصرية - صيدا - ط 2 ص10.
(2) أحمد الصافي النجفي - أشعة ملونة - المكتبة العصرية - صيدا - ط 2 ص8.
(3) أحمد الصافي النجفي - أشعة ملونة - المكتبة العصرية - صيدا - ط 2 ص41.
(4) النجفي - أشعة ملونة - ص46.
(5) النجفي - أشعة ملونة - ص35.

وسائل قال لي هب لتسعدني فلساً من المال ينجيني وينجيكا
فقلت لا فلس عندي كي أجود به فقل لربك يعطيني لأعطيكا

وإذا كان للصعاليك في الماضي أمل يعملون له، ويسعون لأجله، فالشاعر يحيا بلا أمل، وإن كانت تراوده بعض الآمال، فإن الفشل قطعها وأرداها:

كلٌ له أملٌ يحيا ليدركه فكيف بي وأنا أحيا بلا أمل
خيط ضعيف من الآمال كنتُ به معلقاً قطعته أنملُ الفشل

رغم أنه كان يطلب من آماله الضعيفة أن تتماسك، بعد أن رام تهديمها الزمن النذل الذي أرخى عليه سدوله:

أقول لآمالي الضعاف تماسكي فقد رام تهديماً لكِ الزمن النذل[1]

وفي حياته كلها لم يكن مالكاً غير الوهم، ولم يجرد كالصعاليك الاوائل سيف النقمة، ويقتص من آكلي مال الشعب وخيراته، إنما ركن إلى الصعلكة الهادئة ورضي بما قُدِّر له:

أملكُ الدرهم الذي لم يصلني فإذا حل في يدي طار مني
فأنا لست مالكاً غير وهم ذاك لم يأتِني وذا فرَّ مني

إلا أنه سرعان ما يثور، عندنا تشتد عليه مظالم الدهر، وتفرغ يده حتى من أصدقائه، وممن حوله، والذين لم يعد يرى فيهم سوى عقارب سامة، وأفاعٍ أدمية، تلك هي الصعلكة، الدامية التي حولته إلى إنسان يهوى العزلة والتشرد، نديمه الفقر المدقع[2]:

أرى بشراً قد حفَّ بي أم عقاربا أم أني أرى في زيِّ ناسٍ أفاعيا
أُسجل أعدائي لآمنَ غدرهم وقد كثروا حتى نسيتُ الأعاديا
صفعتهم حتى برى صفعهُم يدي ودستُهم حتى غدا النعلُ باليا
ركلتهم دهراً فأصبحتُ أعرجاً وألقمتهُمْ نعلي فأصبحت حافيا

وتبلغ به الصعلكة المرة أقصاها. فهو متشرد، أعزل من الأهل والأصدقاء، مفلس فقير، حتى خالط الإفلاس قلبه وسمعه وبصره، والذي أدمى قلبه البائس أنه غدا مفلساً حتى من الصحب والرفاق.

---

(1) النجفي - أشعة ملونة - ص37.
(2) الصافي النجفي - أشعة ملونة - ص42.

ولعمري كم تحمل هذه الابيات والتي سبقتها من ثورة داخلية دفينة، نسميها الصعلكة الخفية حيناً والقاصمة أحياناً، كما بدا عندما لم يجد ما يستحقه أعداؤه سوى الصفع والركل.

وعزة نفسه منعته من التسكع على أبواب الأثرياء، حتى أنه رفض مراراً هدايا وأعطيات منهم، حفاظاً على حرمة الشعر التي أذلها شعراء كثيرون، رهنوا نتاجهم الشعري في سوق المال: وباعوا كراماتهم على أعتاب السلاطين والملوك[1]:

أنا حسبي ثروة من أدبِ ... قد كفتني عن طلاب الذهبِ
فليعشْ جيبي فقيراً إنما ... فقر جيبي ثروةٌ للأدب

ويتمنى أن ينهي حياة صعلكته بالموت، الموت الذي يدعوه الشاعر فلا يستمع لصوته، ذلك لأنه بائس، وحياة البائسين أمر من الموت[2].

أرى الموت لي أحلى وأعظم نعمة ... وكم أنا أدعوه فلم يستمع صوتي
وليس يموت البائسون بسرعة ... لأن حياة البؤس شرٌ من الموت

وفي قصيدة نظمها عندما نزل بجزين في فندق «الشالوف»، يتضاءل القصر ويتواضع أمام فقر الشاعر وعنفوانه في آن معاً، حتى أن الشاعر قد احتله، وجعله كوخاً له، في حين يبدو كوخه أمام ناظريه قصراً ملئياً بالدر، وفي الحقيقة أن فقره هو الذي احتل القصر، كي يقهر المال ويذله، وهنا صورة الصعلكة الخفية في هذه المعاني، الفقر سمة الصعاليك، دائماً في مواجهة المال، والعنفوان الصعلوكي يتجلى بوضوح من خلال شموخ نفسية الشاعر، وإخضاع كل متعال إلى تواضعه[3]:

جعلت كوخي قصرا ... ملآن مني درا
تواضع القصر لما ... تخذته لي مقرا
فلم يعد مشمخراً ... يزهو على الكوخ كبرا
كأن سكناي فيه ... غزو وأعظم أمرا
أخضعته باحتلالي ... فانصاع ذلاً وأسرا
الفقر بي أحتل قصرا ... ليقهر المال قهرا

---

(1) أحمد الصافي النجفي ـ أشعة ملونة ـ ص80.
(2) أحمد الصافي النجفي ـ أشعة ملونة ـ ص83.
(3) أحمد الصافي النجفي ـ شرر ـ ص72. مطابع صادر ريحاني ـ بيروت.

فــصــار كــل غــنــي إلــيَّ يــنــظــر شــزرا
فــقــد حــطــمــتُ غــنــاه فــصــار بــالــفــقــر مــغــرى

هنا، يظهر الصراع التاريخي بين الصعاليك الفقراء، والرجال الاغنياء، الصعاليك، الذين كانوا يغيرون وينهبون حتى يحققوا أحلامهم بالعدالة والمساواة.

والشاعر لا يستهين بثيابه الرثة، بل يفتخر بها، ويعتبر الفقر فخراً، يعتز الفقير به، هكذا يعتبر الشاعر نفسه ممثلاً لهؤلاء الفقراء[1]:

يــا عــابــد الــلــبــس مــهــلاً يــا بــالــي الــثــوب صــبــرا
لــبــســت بــالــيَ ثــوبٍ لــيــصــبــح الــفــقــر فــخــرا
حــتــى أعــز فــقــيــراً فــيــصــبــح الــفــقــر ذخــرا
مــمــثــل لــلــمــقــلــيــنَ أجــعــلُ الــقُــل كــثــرا
يــحــق لــي أخــذ جــرٍ مــن الــفــقــيــر الــمــعــرى
أمــا جــعــلــتُ بــفــقــري لــه مــقــامــاً وأمــرا
فــلــي عــلــى الــفــقــر أجــرٌ لــو يــمــلــك الــفــقــر أجــرا

ولأجل الفقراء وقف حياته، وهو الفقير مثلهم، ولكنه الذي حول فقره إلى غنى، وصنع ملكاً يضم الصعاليك جميعهم، فهو رئيسهم المتصعلك الأول، عروتهم، وقف لأجلهم حياته، بما فيها من فكر وشعر وروح، مقدماً لهم كل عطف يفيض بالانس والبِشر واللطف:

فــاعــتــز كــل فــقــيــرٍ وقــال يــا فــقــرُ شــكــرا
حــتــى ازدهــوا بــي وقــالــوا إنَّ مــع الــعــســر يــســرا
بــاهــوا بــأنــي مــنــهــم أنــا الــمــمــجــد ذكــرا
أنــا الــمــكــرم شــأنــاً أنــا الــمــعــظــم شــعــرا
كــذاك أصــنــع مــلــكــاً يــحــوي الــصــعــالــيــك طــرا
رئــيــســهــم أنــا فــيــه مــمــلَّــكٌ لــم يُــغــرًّا
لــهــم وقــفــت حــيــاتــي روحــاً وشــعــراً وفــكــرا
احــبــوهــم كــل عــطــفــي أنــســاً ولــطــفــاً وبِــشــرا
كــســوتــهــم بــي مــقــامــاً وحُــلَّــة لا تُــعــرَّى

---

(1) أحمد الصافي النجفي ـ ديوان شرر ـ 73.

إن لـم أهـبـهـم بـوفـرٍ أُصَـيِّـرُ الـفـقـر وفـرا
ومـانـح الـمـال جـهـرا وسـارق الـمـال سـرا
سـبـيـت بـالـجـود مـن قـد سـلـبـتـه الـمـال، غـدرا
فـسـالـب الـعـز أقـسـى مـن سـالـب الـمـال قـسـرا
وسـارق الـلـيـل أدنـى مـن سـالـب الـنـاس ظـهـرا[1]

ودائماً يرى الأغنياء في مواجهة الفقراء، ويعتبر مجالستهم مصيبة، ويحس باغترابه عنهم، ذلك لأنهم لم يروه غنياً كما يرى هو نفسه، غني النفس والفكر والجوهر، وان كانوا يرثون لفقره المادي، فهم أولى بالرثاء لفقرهم المعنوي وإفلاسهم الفكري[2]:

مـجـالـسـة الـتـجـار عـنـدي مـصـيـبـة أحسُّ اغـتـرابـي بـيـنـهـم حـيـن أجـلـس
يـرون غـنـاهـم، لـم يـروا قـطُّ لـي غـنـى وأيُّ غـنـى مـن جـوهـر الـنـفـس أنـفـس
لـفـقـري رثـوا، إذ كـنـت أرثـي لـفـقـرهـم كـلانـا لـدى الـثـانـي بـمـا نـال مـفـلـس

تلك صورة من صور الصعالكة في خصومتهم التاريخية للأغنياء المترفين.

## الصورة الشعرية عند الصافي النجفي:

في جميع القصائد التي مرت معنا، حتى في معظم نتاجه الشعري، يقدم الصافي النجفي أفكاراً واضحة واقعية، وصوراً جذابة بعيدة عن الايغال والغموض، فخياله لا يجنح كثيراً إلى البعيد، إنه مصور حاذق، يلتقط المظاهر الإجتماعية، ويتناولها، بالنقد اللاذع حيناً والساخر أحياناً، إنه شاعر محدث واسع الثقافة، وقد طغى على دواونيه الشعرية الاتجاه الاجتماعي والوصفي والنقدي، يتناول بالابيات القليلة الموضوعات التي تثير عامة الشعب، وقد عفَّ بشعره عن الابتذال والتكسب الرخيص، رغم تناوله الأغنياء بالنقد والهجوم، لأنه يعتبرهم كما اعتبرهم أجداده أحد أسباب الفقر في المجتمع.

---

(1) أحمد الصافي النجفي ـ ديوان شرر ـ ص72 و73. مطابع صادر ريحاني ـ بيروت.
(2) محمد علي الأمين ـ الصافي يقدم نفسه ص88 ـ رسالة ماجستير سنة 1980م.

# محمد زينو شومان
## 1953م -

**الشاعر يقدم نفسه:**

ولدت في بلدة زفتا (الجنوب اللبناني) سنة 1953م، وفي بيئة تركت آثارها وبصماتها على حياتي، وشعري.

أبصرت النور في منزل طيني يقع في أحياء القرية القديمة، من أبوين مكافحين، عشقا الريف والتربة، وأفنيا عمرهما في خدمتهما، مصدر رزق حلال.

في هذا البيت المتواضع درجت طفلاً، وتفتحت على من معي وما حولي، يشاركني في هذا المنزل الفدان والغلة، بحيث امتزجت أنفاسي بأنفاس الحيوانات التي كانت تقيم معي تحت سقف واحد، مشهد لم يغرب عن بالي وذاكرتي لحظة واحدة.

كنت أحسُّ في تلك اللحظات الوجدانية عندما أخاطب الفدان أني أتحدث مع إنسان ما، تلك هي العلاقة الحميمة التي كان يشعر بها والدي أيضاً، في ذلك المنزل المتقشف الزاهد.

تتزاحم مشاهد أخرى رسمت ملامح حياتي، ومنها مشهد جرت فصوله في مكان آخر، وذلك عندما قرر والدي الانتقال سنة 1968م من المنزل القديم إلى مكان مهجور، ثم بنى فيه منزلاً هو عبارة عن غرفة واحدة، كانت الحيوانات والغلة تشاركنا المبيت فيه، وقد تفتقت قريحتي آنذاك ـ بعد أن أعياني توفير مكان للدراسة ـ عن فكرة ازاحة كومة من التبَّانة، أضع مكانها مسنداً وطاولة صغيرة عليها قنديل (نواصة صغيرة) كي استطيع القيام بواجباتي الدراسية.

ومن خلال هذا الركن الضيق إرتسمت علاقتي بالعالم الخارجي القريب (محيط

المنزل والطبيعة) والذي أتاح لي أن أختلي بنفسي، وأن أتدرب بشكل تلقائي على عمليات التأمل التي قادتني أو نقلتني من تأملات ظاهرية لها علاقة بالطبيعة ومظاهرها، إلى التأمل الأوسع رغم صغر سني، لكن الفطرة واستعدادات نفسية واجتماعية لها علاقة مباشرة بالبيئة وظروفها، وظروف نشأتي، جميعها سمحت لي أن أتعرف على ذاتي كخطوة أولى على طريق الأدب والكتابة والشعر.

هذا المكان، كان عبارة عن فجوة في بيئة مظلمة محدودة جداً، استطعت أن أطلَّ منها على العالم الأكبر.

وسأذكر مشهدين آخرين لشجرتي تين تركتا في نفسي آثاراً وحكايات لا تمحى، أولهما، مشهد أبي والتينة.

كانت تلتصق بجانب بيتنا القديم شجرة تين لها حظوة كبيرة في العائلة، وشعر والدي يوماً أننا أصبحنا بحاجة إلى غرفة إضافية، فقرر أن يبنيها فوق السطح لتكون غرفة استقبال حديثة بمقاييس تلك المرحلة، وكان لا بد بعد ذلك من سلم للوصول إلى الغرفة، وبما أن هذا السلم الاسمنتي ليس له مكان إلا مكان الشجرة، وانه لا بد من قطعها، آنذاك وقعت الأزمة، حين أشار البناء على والدي بضرورة قطع الشجرة، ليتسنى بناء السلم، وكان موقف والدي الرفض القاطع، وهدد وتوعد، ورفض أن يمسَّ غصن واحد من الشجرة مهما كانت الاعتبارات، وبعد محاولات التدخل والمفاوضة والمساومة بين والدي والبناء، وإخوتي الذين كانوا إلى جانب البناء لدعم فكرته، توصل الجميع إلى أخذ تنازل بسيط من والدي، وهو أن يُقطع غصن وحيد، وإلا فلا حلَّ آخر، وإزاء هذا الإصرار، اضطروا إلى القبول بهذا الإقتراح، ولذلك بُني السلم ملتويا.

**مشهد أمي والتينة:**

الأمر مرتبط بتينة أخرى كانت نابتة جانب بيتي اليوم، ومن شدة حرص أمي على الأشجار، صودف مرورها يوماً بالقرب من تلك التينة، وتلك كانت عادتها في تفقد الأشجار بين الفينة والفينة لتراقب نموها وتطمئن إلى أحوالها، وصُدِعت عندما وجدت غصناً مقطوعاً منها، ولما لم تجد حولها رباطاً يُضمد كسر التينة، لجأت إلى قطع رباط من منديلها، ولفَّتْ به الغصن المكسور، وكأنها طبيب يُجبِّر عضواً مهشماً من إنسان.

إن هاتين الحادثتين إن دلتا على شيء، فإنما تدلان على عشق أهلنا للتربة والأشجار، وعلى الخير العميم الذي كان آنذاك، ببركة الأكف الصلبة التي عشقت الشجر عشقها للأبناء، وأن الأرض هي الملاذ الأخير للإنسان في أيام الشحّ والحاجة، وأن أرضاً بلا محبين صحراء قاحلة لا تنبت إلا السراب.

أما حياتي الدراسية، فإن الصدفة كان لها دور كبير في ذهابي إلى المدرسة، فقريتي كانت تفتقد إلى بناء مدرسي، وكان المبنى الموجود عبارة عن كُتَّاب بالمواصفات القديمة، يشرف عليه مدرس وحيد، كل عُدَّته أنه حائز على الشهادة الأولى، (السرتفيكا)[1]، وكان الطلاب يجتمعون في غرفة واحدة موزعين على ثلاثة صفوف من المرحلة الابتدائية، ولا أدري ما الذي حمل والدي على استدراك الأمر وإلحاقي في المدرسة، إذ ذات صبيحة مفاجئة أرسل في طلبي وأنا أرعى القطيع بعيداً عن المنزل، فلبيتُ الطلب خوفاً من عاقبة ما، وعندما وصلت إلى البيت أبلغني بوجوب الالتحاق في المدرسة، وتلك كانت الخطوة الأولى نحو المصير الذي دفُعت إليه من دون حسبان.

ثم تابعت الدراسة، وتوقفت عنها قبل نهاية المرحلة الثانوية لأسباب كثيرة، بعضها مادي، والبعض الآخر كان بتأثير من الحرب الطاحنة، حيث دفعتني الظروف إلى السفر بحثاً عن مصدر للرزق، واستمرت فترة غيابي عن لبنان قرابة اثنتي عشرة سنة.

بعد العودة إلى ربوع الوطن في أوائل التسعينات اخترت العمل في الصحافة، فتوليت رئاسة القسم الثقافي في إحدى المجلات السياسية، ثم رئاسة تحرير إحدى المجلات اللبنانية، ومازلت أمارس العمل الصحافي والاعلامي.

شاركت في امسيات شعرية هنا في لبنان وفي بعض بلدان العالم العربي، وأنا الآن عضو في اتحاد الكتاب اللبنانين وفي اتحاد الكتاب العرب.

لي حتى الآن عشر مجموعات شعرية هي على التوالي:

عائد إليكِ يا بيروت ـ مواعيد الشعر والجمر ـ قمر التراب ـ اغمضت عشقي لأرى ـ طقوس الرغبة ـ أهبط هذا الكون غريباً ـ مراوغات الفتى الهامشي ـ قيامة القلق ـ هوَّة الأسماء.

---

(1) شهادة انهاء دراسة المرحلة الابتدائية.

كما نشرت العديد من المقالات في الأدب والنقد والفكر السياسي في المجلات والجرائد اللبنانية والعربية، علاوة على قصائد شعرية كثيرة.

تكشف هذه السيرة عن عمق المعاناة التي عاشها الشاعر، والتي اكتملت فصولها عندما هاجر من بلده طلباً للرزق الحلال.

عاشق للتربة والوطن، وها هو اليوم يمحضها أجمل قصائده، ويزرع شوقه وهيامه في تربة اللغة، فتثمر حتى الآن عشرة دواوين تحمل طاقات إبداعية خلاقة.

وهو وإن لاقى في حياته الشعرية الإهمال وقلة الاهتمام والعنت، ذاك لأن مجتمعنا هكذا اليوم، لا يحتفل بالمتواضعين المبدعين، الذين لا يحملون قصائدهم على اكتافهم كبائعي الكشله، وينادون عليها في كل محفل وناد، ويقصدون ذوي الثراء والجاه والمسؤولين ليمهروهم بعض المال، ليس ثمناً وحباً بالشعر الذي يقدمون، وإنما لقاء ما يبيعون من ذواتهم للآخرين.

ولماذا محمد زينو شومان الشاعر الكبير المتألق، كان في عداد الشعراء الصعاليك، بل هو أبرزهم في عصرنا الحاضر، «ذاك لأنه ينطلق من رؤية واضحة للصعلكة، على انها رفض هذا العالم المزيف الذي اختلت فيه الموازين، وطغت فيه المادة على قضايا الروح، وهدمت القيم والأخلاق، وأُهدِر جوهر الإنسان، فالصعلكة بهذا المفهوم، الحديث محاولة أو تمرين أولي على إعادة الإعتبار إلى القيم الروحية، خصوصاً بعد أن استفحلت ظاهرة استلاب الإنسان، فيما يطرح اليوم من نظريات حديثة، أو ما يحكى عن عولمة ظاهرها العدالة والمشاركة، وباطنها استلحاق الإنسان وتصنيفه على أسس مصلحية ومادية.

لذلك تأتي الصعلكة رداً على مثل هذه المفاهيم المشوِهة لانسانية الإنسان، والتي تنظر إليه كمستهلك وطالب سلعة فقط، في حين ان مساحة الروح تنحسر وتتقلص باستمرار، وبالمقابل تمتد رقعة الفقراء أكثر فأكثر تجاه حدود الروح»[1].

## شعره:

محمد زينو شومان، عروة العصر الحديث، بل هو زين الصعاليك الجدد، الذين يحملون على مناكبهم أثقال الحياة، بعد أن ورث الفقر المجبول بالعفة

---

(1) آراء لمحمد زينو شومان حول الصعلكة في لقاء بمنزله نهار 15/12/2005.

والصبر وقوة التحمل، والرزانة والتمرد في آن معاً، والعنفوان الأشد، ومعاركة مصاعب الحياة بالحيل وحسن التصرف، وقد جاء شعره صورة لنفسه ومعاناته وبيئته وتمرده واتصاله حتى الحلول تقريباً مع مكونات شخصيته وأشيائه الأولى التي رسمها بحذق ومهارة وطواعية، وقدرة على الامساك باللغة واستيعابها بطريقة تخدم النص وتقدمه مستوفياً شروط العمل الفني جميعها، ومن ديوانه الأول وحتى الأخير، تلمس هذه الوحدة الوجدانية والتمازج الشعوري مع الأرض والطبيعة وأشياء الأرض.

وتتصدر الصعلكة قصائده، فهي نابعة من وجعه وألمه، وتذكره وحاجته، وكما عق المجتمع الجاهلي عروة وسواه من الشعراء الصعاليك الجاهليين، عق المجتمع الحالي محمد زينو شومان، وقلب له ظهر المجن، وطعنه دون ان يطعنه هو، حتى عاش في غربة قاسية، أميراً في الشعر وأميراً في الصعلكة.

إذن ... محمد زينو شومان. شاعر منبعث من أفق المعاناة والوجع والصبر والصمود.

في حلكات الليالي وقسوة الأيام، صاغ دفاتر عمره، ورتق بالوجع والحاجة صور الأيام، من بيادر الجوع قطف قمح عينيه وأرغفته الممزوجة بعرق التعب والنضال، ومن عصارة الحاجة نهل شراب الحياة.

قصائده في معظم دواوينه صورة منزله الطيني الأول، مع أبوين أضاءا منزلهما بأنوار عيونهم الريفية، وبنيا حجارته بزنود فولاذية مقدودة من صلابة الريف، وإخوة من سلالة الطيب والحزن الريفي المقطر، والناضج مع ليالي المعاناة، نهلوا والشاعر معهم الصدق والحب والتأمل والصبر على الجوع والعطش والمرارات.

أما هو فكان فيما بعد حبره دمعه، وكلماته شابيب قلبه، وصوره مخيلة جامحة أثقلها وجع السنين وعبء الحاجة، فانطلقت دون حدود ناقمة متمردة، في عالم لم يسلم منه الطيبون، ولم يحقق فيه البسطاء أحلامهم، لأنها مصادرة من قطاع الطرق وسماسرة الشعوب.

ومحمد زينو شومان. غريب، بل هو أبو الغرباء، في وطن يضيق بالشعراء الذين لم يتزلفوا، ولم ينحنوا، وإنما ظلوا شامخين في كبرياء جريح، وألم وعنفوان كبيرين، وهو في كل ما كتب أرخ لصعلكته، بل هو عميد الصعالكة الجدد، الشعراء الصعاليك المتمردين والقابضين على الجمر بلا خشية أو خوف.

ورث الغربة والحاجة والصبر عن أمه وأبيه المتشبثين في الأرض المنغرسين في ذراتها قامات دمع وفرح في آن معاً، في حياة أشبه بالاسطورة الدامية، في عفة ونخوة ورجولة، ورثها الشاعر ودخلت عيون قصائده الصعلوكية:

يقول شومان من قصيدة عنوانها رغيف أمي:

أمي تلك المسكينة لم تتبدل

تستيقظ حين تود الخبز على وقع هواجسها

لم أدرك في تلك الأيام

سر مذاق الخبز المرقوق

حتى أبصرت بنفسي أمي

تلقي في المعجن ملح الوجدِ

ليحمرَّ رغيف من وجع فوقَ الصاج ...

في هذا الجو النبيل والمنزل المتواضع، في ظل هذه الأمومة الطيبة الرائعة والكدح الريفي بدأت تتكون الأطر الأولى لصعلكة الشاعر، نمو حسه الصعلوكي المتمرد.

من باب الفقر والمعاناة، ومن وجع الأرغفة لتولد فوق الصاج، خرجت الصعلكة حاملة سيف التمرد للثأر من وجع طال أمده.

محمد زينو شومان في حياته وشعره سفير الفقراء، حامل همهم، مصور تضحياتهم وصبرهم، صعلوكهم الذي يقارن بعروة بن الورد مع مجموعة صعاليكه.

يقول في مجموعته الشعرية (مراوغات الفتى الهامشي):

«محاطاً ببعض الصعاليك أنفش ريشي

كديك الغواية.

وأرنو إلى مأرب لا يُنال

أجوب القرى واثقاً بفؤادي الذي لم يخنِّي

وما ابتسمت لي شبابيك منفى

وما من مشردْ

رمى خلفه ضجر الصمت مثلي

إنه الصعلوك المخلوع المنفي المشرد من قومه، تحمله أحزانه شرقاً وغربا، غريب في مملكته:

وكنت وحيد أبي، وليس على جسدي غير ثوب السماء

وسرب من الطير، يدنو ويمطرني بحصى الوجد ثم

يسد عليَّ الفضاء[1].

معاناة دامية، أو كثير على الشاعر إن تصعلك، وخلع جبة القعود، وهو خدن الحزن والفقر من قمة الرأس حتى أخمص القدمين:

«وخالطني الحزن من فروة الرأس

حتى القدم . . .

فمن أي ضلع سأقطع غصن الندم[2].

ويؤكد على امتشاقه سيف الصعلكة، والخروج من صومعة الصبر، وسأم الفراش، بحثاً عن البرق الذي يثمر المطر:

«سأمضي أهشِّم قنديل صمتي

على سلم الباخرة»

والباخرة هنا رمز للانطلاق، وللإبحار نحو الغاية المنشودة

«فيا أيها العابرون اشفعوا لي

إذا جئت اقرع باب الندم

على شجرات الرياح، سأنشر كل ظنوني

وأخرج بحثاً عن البرق في اللغة الضامرة

فإني سئمت الفراش الذي لم يعد يتحسس مثلي السأم»[3]

وتتلون مظاهر تصعلكه في أسماء شتى، تاريخية ذات مردود زمني قديم،

(1) مراوغات ـ ص76 و77.

(2) مراوغات ـ ص79.

(3) مراوغات ـ ص64.

ولكن بحلة جديدة، وكأنه يستنهض من جديد أجداده الصعاليك الأوائل، ويحمل مثلما حملوا واجب الثأر من المستبدين الظالمين، آكلي خير الشعب وشاربي دمه، فهو وأترابه من طائفة الصعاليك الشطار الذين سينتقمون لواقعهم المزري.

والشاعر خمسونيٌّ نفض عن كتفيه الدنيا، ولوح بتمرده وثورته وإعصاره، ذلك دأب الصعاليك قديماً وحديثاً، يثيرونها شعواء في وجه الغاصبين:

«لكن القلق المؤود بصدري

لو عبثت بجناحيه الريح

لتشظى ريشاً ودخاناً في كل سماء

النقمة قد تتخفى عن اترابي

من طائفة الشطار

فاحترزوا

قد أفجؤكم في إحدى المرات كظيماً

أو منفرج الجبهة

إياكم أن تتَّبعوني

لا تأتوا بالصنج ولا بهراوات الشرطة

فأنا لا للرقص ولا للثأرِ

ولستُ نبياً لأسير بكم نحو سدومِ

أو عمورَهْ

حسبي أن افلح عن ذاتي

خمسونيٌّ ينفض عن كتفيه الدنيا

نفض الأشجار

ويلوح بالقبضة

يُخرج شيئاً ما من كُم الإعصار[1]

---

(1) مراوغات الفتى الهامشي - ص39 و40.

وإن حكى شومان عن معاناته وفقره وحزنه، فإنه يتحدث نيابة عن الملايين الذين لا يجدون مأوى لهم، المنفيين في اصقاع الدنيا، والصعاليك المطرودين في فجاج الأرض، إنه صوتهم، وأميرهم:

«لا أعرف لي وطناً

أنفي العالم والعالم ينفيني

لا تعرفني لغة الأضواء»

فالشاعر ثائر على شيءٍ من الاستكانة والدعة، متمرد لأن في عينيه الإباء وصورة الحق المستهدف:

«إذا استفسر القوم عني

فقولوا: قضى، كأي قتيل هوى

في شباك البطاله»

«لذلك عبر شومان نار الجحيم وحيداً، ولا عصا يتكئ عليها إلا جراحه، ولا شهامة، إلا دموعه، ولا خبز إلا سرابه، فكان أحد المصلوبين في هذا الوطن، وما أكثرهم، رجاء أن تنبت على خشبة العذاب ورود بهية من غير هذا العالم»[1]

وينتفض الشاعر على صديقه الصعلوك (الفقر) الذي يلازمه ليل نهار، ويدخل في كل تفاصيل حياته، منغصاً عليه، لا يترك له أثراً من نعمة، ويجرده من خبزه وشبعه، ويرميه فريسة للجوع، هذا المشرد المنسي الذي لا يسمع به المسؤولون وبطاركة السلطة والأمناء على مصالح الشعب وحياة الأفراد، فاسمعه في هذه الصرخة المدوية التي تحمل في أعماقها روح التمرد، والدعوة إلى تخليص العالم من أعتى ادوائه «الفقر»، جاء ذلك في قصيدة عنوانها «شريك اللعنة»:

«هذا الملعون صديقي

رافقني أيام الذل، وقاسمني وجعي

والنوم معي في إسطبل

أو فوق مكب قمامهْ

(1) جريدة الأنوار ـ الصفحة ـ الثقافية ـ عدد ـ جان طنوس ـ محمد زينو شومان أمير الحزن والتشرد.

أعرف كم غافل بائع كعكٍ في الشياح
ليفوز من الكعك بنظرة جائعْ
أعرفه مضطجعاً في سنوات التيهِ على
لوحِ خشبْ
أو في مدخل حانةْ
أعرفه حمالاً في الأسواق
ولصًّ قصائدْ
أغراني يوماً بالشعرِ
وجاء بشاكوش الإسكافي وعرَّاني
وإذا بي ملقى في الشمس
وفي صدري المسمار الأوَّلْ
هذا الاعزل .. إلا من عشق الريحِ
يضللني
فيغيب ولا يترك من أثر غير السروالِ
ويأتي كالباشق بغتةْ
حذر ومشاكسْ
يقفز أحياناً من كُمِّ شجوني
ويلوذ طويلاً تحت لساني
يخفي مخزون الشوق ليوم مجاعةْ
هذا الصعلوك بغى
جرَّدَ فحل النخل من الخصبِ
ومن طاقته الجنسيةْ
هذا المقموعُ لَكَمْ أسرفَ في غيِّهْ
رشقَ التاريخَ بخصيته وتمادى في العصيانْ
فإلامَ يشاركني جسدي غصباً عني؟

أدعوه إلى فضِ الحلفِ فيأبى

منسيّ ومشردْ

يمضغ حبل الكربة من جوعٍ

ويلوك البطانية في شروٍ حين تداهمه

إحدى نوبات النقمةْ

حصرم يأسي نضجَ الآنَ

وراحت تلمع من حنقٍ أضراسي

فانتزعوني

فانتزعوني من بين يدي هذا الملعون

صديقي[1].

إنه الفقر أعز أصدقاء الشاعر، لقد آن الأوان لمحاولة التخلص منه، بعد أن نضج حصرم اليأس، وتحول إلى نقمة عارمة على هذا الملعون الذي لا يرحم ويستمر الشاعر في الحديث عن صعلكته التي أصبحت جزءاً من حياته، ورمزاً لكفاحه ونضاله، وبرماً بما في مجتمعه من ظلم قاسٍ مرير.

يقول من ديوانه طقوس الرغبة:

عطش يلمع في أقصى العينين

كصفيح ساخن

وأنا أهدر عاطفتي من دون لغطْ

لا يملكني شيء . . .

أحزاني ألقيت بها كقشور الموزِ

من الشباك

لكني فوجئت بأن بلاد الله تتعقبني

صعلوكاً يخلع عن كتفيهْ

---

(1) محمد زينو شومان قيامة القلق ـ الانتشار العربي ـ ط1 ـ 2004 ص128 ـ 130.

ظل النعمة والمنزل

هنا القطع بين الشاعر ومحيطه القريب والبعيد، وهو التشرد عن هذا العالم القاسي الذي فرض صعلكة الشاعر، وجعله يخاف من أن يبقى أسير العزلة والحاجة والهم والحيرة:

تتقصى أخباري

حتى في أسفل هذا العالم

لم تأبه

لهموم تشوى كالحنطة فوق الطرقات

قلقي .. كرة تتقاذفها أقدام الريح

والليل مشاع

تلك مظاهر صعلكته، التشرد والهم، والليل (الذي هو السواد الذي يلف حياة الشاعر ويجعلها أسيرة القلق والحيرة والحزن):

علقت الحزن بمسمارٍ في الحائط [وكأن هذا الحزن هو رداء الشاعر الذي لا يبارح عينيه]

ماذا يعجبكم من هذا الخبز المعجون بملح الفاقة؟

ماذا يعجبكم مني

حين تضيق بهذا العشق بلاد الله

وتضيق الأرض بشاعر

مازال يخيط رداء الوجد

بإبرة[1].

تماماً كما ضاقت الأرض بعروة بن الورد وأمثاله من الصعاليك «النشامى»، هكذا تضيق بمحمد زينو شومان عروة العصر الحديث، ووريث الصعلكة الخلقية القاسية.

هكذا أزمع على أن يكون لصاً ينهب عواطف الشعراء ويضرب في البلاد

---

(1) محمد زينو شومان ـ طقوس الرغبة ـ مكتبة الفقيه ـ بيروت ط1 ـ 1995م ـ ص5 ـ 8.

الشاسعة مشرداً صعلوكاً يحمل في إهابه النقمة والتمرد والطيش، والثأر ممن يسدل الظلام، لذلك يحذرهم من مغبة هربه، فهو لم يألف حكم القبيلة ونظامها الذي دفعه إلى التفكير في الهرب إلى حيث التفاح:

سأكون لصاً

هكذا أزمعت تهب عواطف الشعراء

أقطفها كتفاح الجبلْ

وأفرُ من سخط الحطيئة كاتماً عني

حماقاتي

وأضرب في البلاد الشاسعة

فتجنبوا طيشي .. تحاشوا نقمتي

لا تتكوا لي مهربا،

أو منفذاً للثأرِ

منذ الآن أخرج بالثياب الداخليةِ طاعناً

حرس الخواء بنظرة لا تنثلمْ[1].

سيكون لصاً، شبه صعلوك ينفر من فراشه المتهدل البالي، ويتحرر من سجنه الضيق إلى حضن الطبيعة، فهو عاشق لها، وهي تبادله الحنين.

هكذا دأب الشعراء الصعاليك، حنين إلى الخروج من الإطار المحدود إلى الآفاق الواسعة حيث يجدون مساحة الأحلام والآمال ممكنة، وحيث يتحركون بحرية لالتقاط أنفاسهم وتحقيق ما يرسمون له:

سأكون لصاً

شبه صعلوك يعافُ فراشه البالي

ويركل سجنه الأبويَّ

مقموعاً يحنُّ إلى مضاجعة الطبيعةْ

الآن أطعم جبتي للنارِ

(1) محمد زينو شومان ـ هوَّة الاسماء ـ ص91.

أعلن ثورة الزنج التي أرجأتها زمناً
أبيح الأرض للخصيانِ
أُغري بالتمرد كل أحفادي
ونسل الجائعين[1]

سيخلع جبته، بل سيطعمها للنار، استعداداً للثورة، وايذاناً بالخروج معلناً ثورة أنسباء الصعاليك الزنج والخصيان، مغرياً ومشجعاً على الثورة أحفاده الصعاليك القادمين، أبناء الجوع والمخلوعين ظلماً وقهراً والمطرودين من مكانهم وزمانهم إلى زمان لم يجئ بعد.

وهذا الشاعر الصعلوك الثائر، سيفعل ما يستطيع لكي يضرم في عيون اللصوص، لصوص مال الشعب ودمه، حسرته وغضبه وإستبداده الشرعي، وسيسرق دولة عظمى هي رمز التجبر وإهراق دماء الشعوب المظلومة:

سأكون لصاً أصرف الأنظار عن شكل انفعالي
وأمارس استبداد من لا يستطيع الجورَ
أنفق نزوتي من دون حسبانٍ
ومن عينيَّ
أضرم في المصارف حسرة الفقراءِ
أسرق دولة عظمى
ودما
وألبس، مرة في العمرِ
وجه الامبراطور الذي يأبى التنازل عن عظامي[2]

ومن قصيدة عنوانها «سرداب النص» يعلو خطاب المعاناة، فلا يدري الشاعر الصعلوك من أين تأتيه الشدائد، فهو في أتون لا يرحم، تنتابه الأوجاع، وتهجره الشمس وينوء على صدره رصاص الحزن الدامي في برية الرب دون ملجإٍ يحميه،

---

(1) محمد زينو شومان ـ هوَّة الاسماء ـ ص92.
(2) هوة الأسماء ـ ص92 و93.

في عصر قبيح وأرض تفقد توازنها، يغير عليه اللصوص لأنهم يعتبرونه دون ظهير وبلا حامٍ ومعين، في وطن يأكل أبناءه، ويلفظهم ظناً منه أنهم أشباه إنسان:

لا ملجأ لي ..
والشمس المزورَّة عني تتنحى عن كرسي الشرقِ
وتمعن في هجرتها
والآتي أعظم
شدّ [الصراف الآلي] ردائي
ونهاني عن قول الشعرِ
وأنبني
سقط الحزنُ رصاصيَّ الوطِء على صدري
لا أعرفُ لي جداً آخرَ
أعرفُ ان العصرَ قبيحٌ
وقبيحْ
والأرضُ على قلقٍ
يتقد مني وجعي في إضرابِ العمالْ
لكني رجلٌ مهملْ
في اليوبيل الذهبي لمأساتي مكر الطالع بي
ولصوص السيارات أغاروا، قبل سفور الفجرِ
على أعضائي ..
ظناً منهم أني (خردة) إنسانٍ . . .
تلفظهُ الدولةُ، أو تأكله بغريزةِ قطٍّ
عند الجوعْ[1]

وتتوالى التنكيلات بالشاعر، فقد أصبح دون منصب، تلاحقه السماسرة، فلا

---

(1) هوَّة الأسماء ـ ص119 ـ 120.

تبقي معه ثمن ربطة خبز يستر بها جوعه وذله عن أطفاله، أو أي أمل يمكن أن يركن إليه في هذا الزمن الحاقد[1]:

لا منصب لي

يتجهمني السمسار فأرجع عند المغرب مصفرّاً

لا ربطة خبزٍ

تستر ذلي عن أطفالي

لا من أمل يشفع بي

والمذهل في حياة الشاعر (وهو هنا يمثل طبقة الصعاليك المشردين المظلومين، وفئات الشعب الأخرى التي أضحت دون ملاجئ، تتعقبها السلطة دون حق، وتبيد عائلاتها، وتضعها رقماً مهشماً في اتون الحرب ومشتقاتها.

من هنا الوحدة التي (يعيشها الشعب) أو يعيشها الشاعر، حتى أصبح مقطوع الظهر أي لا عضد له ولا معين ولا منزل يأويه، لأنه يحمل اسم الفقراء، وجل ما يخشاه، أن تصادره جيب وزير المال علماً انه مطارد لا يملك إلا يأسه:

باتَ وجودي رقماً في أرشيف الشهداء

أو وشماً حزبياً فوق ذراعي

تبّاً لي

عائلتي بادت

مسختني السلطة قرداً بشرياً في زي خطيبٍ

أو هيئة شاعرْ

لا ملجأ لي ..

أمر الدكتاتور بهدم جدار التاريخِ

فأمسيتُ وحيداً مقصوم الظهرِ

ولا ملجأ لي

يتعقبني شرطي السير فأخشى أن أسقطَ

---

(1) هوَّةُ الأسماء ـ ص120 ـ 121.

في فخِّ الصفقةْ!
أخشى
أن تتلقفني جيبُ وزير المالْ !
وأنا مضطجع من توبة يأسٍ
قرب الحانة أهذي
أخشى أن يلتفَّ الخُطَّاف على عنقي
فأساق بحالة سكرٍ
أو كفرٍ
مغلول العضو الجنسي إلى محكمة الارهابْ
لا ملجأ لي
أفتح في هذا النص (هلالين)
وأدخل سردابي[1]

وتحتشد صور المكابدة والتمرد والضياع في اشداق هذا العالم الذي يأكل فيه القوي العاتي المسالم الصابر، ولا يجد الشاعر من يأبه به، فبيروت تنكرت له، حتى منزله لم يحتفل به، ينام مشرداً يتملكه اليأس والقنوط دون ان يكون لديه أفق يحلم به، ولا يجد إلا أن يشجب هذا الفقر الذي أضحى ملازمه وسمته، يرسم له مسيرة حياته، كدستور لديه، وكانه حيال هذه التساؤلات المرة يلوم أباه لانه لم يستشره قبل أن يطلق أولى مسيرته في الوجود:

في الأرض جورٌ
ولا من شفيع يطفِّفُ كربي
وعين الحكومة جاحظة، و(السمادر) خالٍ
سوى من شجوني القديمةْ
أحاول تضليل نفسي لأرض بغش المقاولِ
أخرج ممتعضاً

(1) هوَّة الآسماء ـ ص122 ـ 123.

لا يظللني سوى صفصافة الروح
أشجب دستور فقري
وألعن سوء مزاجي
لماذا عصتني الحياة ؟ ولم يستشرني أبي
قبل أن يطلق النطفة الطارئة؟
على هذه الأرض أسعى كبعض الزواحف
لا أفق لي
منزلي لم يعرني انتباها
وبيروت ما حفلت بي
أنام أمام الملاجئ نوم اللقيط
وفي داخلي عوسج الرعبِ
أشعر دوماً بفيض قنوطي
وغيض الحوائج[1]

وطواحين الشاعر، هي صورة صعلكته، وقلما تمر بقصيدة من قصائده في أي ديوان من دواوينه، إلا وجدت أدوات الصعلكة ومشتقاتها موجودة وواضحة، وكثيرة هي الشدائد التي كونت صعلكته ودفعته إلى التعبير عنها، وهي كثيرة في حياته التي لم تفتح له كوة فيها ليخلع عنه باب الحزن ويشرع باب الفرح والضحك، بل أنه سكت عما يعانيه وابتلع الرفض واستبدل خبزه بشعره، حتى اشتدت فاقته، ولم يجد من يرأب أزمته، سوى أن يدعو الله ليخفف محنته ويبعد عنه شبح الفقر، ويشفق عليه، فهو لم يعلن تمرده وعصيانه إلا تقية وانتظاراً لفرجٍ ما:

رباه لم أكذب
ولكني سكتُّ
بلى ابتلعتُ الرفضَ محترزاً

(1) هوَّة الاسماء ـ ص99 و101.

وآثرت البقاءْ

أنكرت عاطفتي تجاه قصائدي

حين التقى للعدل مظلوم بظالمهِ

فأفسدت القضاءْ

مستبدلاً خبزي بشعري

فاشتد وزري

ولهثت خلف يراعتي

مستجدياً

بعض المديح لكل فرعون جديدْ

وطلبتُ من ربي له العمر المديدْ

رباه خفِّف محنتي

وارأف بفقري

اشفق على عبد تفاقمتِ الذنوبَ عليه

من جراء قهر

وأد التمرد في الضلوع تقيةً

ودعاً لأكل لحمه بالمغفره

في يوم حشرِ(1)

## صورة الشاعر وأسلوبه:

هذا هو محمد زينو شومان، الشاعر اللبناني العربي المتصعلك، لقد افتقر وتشرد واغترب وتمرد، فكان بذلك مثال الصعلوك الأمين على دوره وقيمه، كما أنه كأجداده الصعاليك الماضين، نبيل ذو عفة وعنفوان، وهو لم يهادن الفقر والجوع، بل تجرد لهما، وحمل سيف نضاله، بالكلمة الحرة الواعدة، والرؤيةِ العميقة البعيدة.

---

(1) مراوغات الفتى الهامشي: ص130 و131.

ويبدو الشاعر في جميع دواونيه مثال نفسه، له نكهة خاصة في الشعر وميزة معينة، وأسلوب اختطه لذاته من «عائد إليكِ يا بيروت» وحتى «هوة الأسماء»، ومحمد زينو شومان هو هو، بقي متأملاً ناقداً متمرداً محصياً هنات المسؤولين وأدوار المجتمع العربي، سارداً سيرته وحياته ومعاناته من يوم ولد حتى اليوم، وهو الناطق باسم الصعاليك قديماً وحديثاً، أمير الغرباء والمشردين، ابن الطبيعة والمخلص لها، كل ذلك جاء في لغة جمالية حية، وطاقة خيالية خلاقة، موحية جذابة، تمتلئ بالرموز والصور المكثفة البديعة.

ولأبي العلاء، الشاعر محمد زينو شومان، عدا عن دواونيه الصادرة، مجموعات شعرية مخطوطة، فقد تفتحت موهبته الشعرية مذ كان فتى في الرابعة عشرة من عمره، وظل مواكباً لقضايا الوطن والأمة خلال أزماتها المختلفة، وقد شارك عبر قصائده الكثيرة في التعبير كما كان يجيش في صدره بصدق وأمانة وإخلاص.

وقد امتاز شعره خلال تلك الفترة التي سبقت اصدار المجموعات، امتاز بالعذوبة والرقة، والبراعة، والمقدرة الواضحة على سبك الابيات في سن مبكرة ملفتة، وإن كان يغلب عليها اللون الوطني والقومي والوجداني، وتحتل القصائد الغزلية مساحة واسعة.

وسأتناول بعض القصائد المشار إليها، كي نطلع على هذا الإبداع الشبابي، يقول في قصيدة غزلية عنوانها بلسم الأغاني:

لأغانيكِ نشوة في جراحي ... فاسكبي لي من طيبها الفواح
هي حبي الأميُّ وهي نبيذي ... وهي بوح الأهداب للمصباح
رتلي الحب رتليه نشيداً ... كقلوب تضج بالأتراح
غردي لي ففرحتي قد أشاحت ... عن فؤادي بوجهها الوضاحِ
صوتك العذب يستحيل حفيفاً ... إذ تغنين فاشرعي بالصداحِ
انشدي يا سحرية الصوتِ شوقاً ... وإرحلي بي وهدهدي أفراحي

وله من قصيدة أخرى غزلية أيضاً، أنشدها سنة 1974م، تتحدث عن الحنين والشوق، ومن ثم عن فرحة اللقاء، وعودة السنونو، الأمل بالخصب والتجدد والاشراق:

وبعد يا حبيبتي .. لم يرجع السنونو

إلى الشبابيك، ... لم تختلج الغصون
يا حلوة العينين .. ماذا تخبر العيون
عن غربة الربيع، ماذا يا ترى يكون؟
أهكذا ... أهكذا يعصرنا الحنينُ
ويهمسُ الأطفالُ والقرميدُ والجفونُ
ألم تمرَّ فوقنا الطيورُ والظنونُ
وفجأة ينقشعُ الضباب والسكون
ويستفيقُ بيتنا المستوحشُ الحزينُ
وتهتفين يا حبيبتي ... أتى السنونو[1]

وفي تلك الفترة الشاعرية المبكرة، كان الجنوب في قلب الشاعر، الجنوب المكافح المناضل بأهله المناضلين، دعنا نرى، من أين يأتينا صوته الجنوبي، من اللهب والأسى أم من الجوع والغضب، من الرياح والبرق، أم من كل هذه الأشياء التي تخبئ فجر مشرقنا العربي، جاء ذلك في بائية عنوانها الصوت الجنوبي، يقول فيها:

صوتي الجنوبي يأتيكم من اللهبِ ومن خيام الأسى والجوع والغضبِ
صرختُ لكنْ بلا جدوى فما سمعتْ أذنٌ صراخي ولا عينٌ رأتْ تعبي
صوتي الجنوبيُّ يأتي في الرياح وفي كلِ الغيومِ وفي النيران والحطبِ
يأتي كما البرقُ أو كالرعدِ يا وطني وهو الطيورُ التي تأتي مع السحبِ
صوتي الجنوبي يأتيكم يخبئ في طياتهِ فجرَ هذا المشرقِ العربي

وإذا سألنا الشاعر عن شعره وهو في تلك السن المبكرة آنذاك سنة 1973م يجيب في خطاب مباشر إلى حبيبته التي هي سرُّ شعره:

شعري وأنتِ خلاصةُ العمرِ لا تسأليني بعدُ عن شعري
في كل حرفٍ أنتِ أغزلةُ في كل بارقةٍ على ثغري
هل نفخةُ الأزهار تنعشني لو لم تكوني أنتِ في الزهرِ
يا عطر أوراق أبدجها فوحي مع الانسام والفجرِ

ومازالت قصائده تفوح بشذاها العطر في خلايا التربة والحياة.

(1) الديوان المخطوط.

# محمد الماغوط

## 1900م ـ 2006

شاعر وأديب وكاتب مسرحي، من الجمهورية العربية السورية، ولد في «سلمية»، وتعلم في مدرستها الابتدائية أولاً، ثم انتسب إلى المدرسة الزراعية فيها، لكنه تركها قبل أن ينهي تعليمه.

عمل الماغوط في الصحافة، فكان محرراً لمجلة الشرطة، ثم صحافياً في سورية ولبنان والخليج العربي، كتب لمجلة المستقبل في باريس، وكان له نشاط إذاعي وتلفزيوني، كما كان عضواً في الحزب السوري القومي الاجتماعي، وعضواً في اتحاد الكتاب العرب دمشق، تزوج ثم ترمل.

منذ طفولته كان استثنائياً، في حياته وسلوكه وأحلامه، وكان أشد ادباء وشعراء العرب جرأة وشجاعة وافصاحاً عن موقف أو رأي أو قضية.

ملأ العالم العربي وشغله برواياته الهزلية الموجهة، فأيقظ العيون والقلوب. ووضع يديه على جروح الأمة وانتقد وسخر وتهجم وشتم ما وسعه الأمر، وشكل مع رفيق دربه دريد لحام (غوار)، محطة بارزة رائعة من تاريخ العرب الأدبي المسرحي الموجه.

كتب في الشعر كما لم يكتبه أحد من قبل، على سجيته، ودون التزام بالتفعيلة في كثير من الأحيان، حتى عُدَّ من كبار شعراء القصيدة النثرية كما يسميها البعض، وكتب في النثر فكان مجدداً مثيراً في تناوله لقضايا المجتمع والناس والحكام والعالم العربي ووطنه، بطريقة جذابة جريئة إلى أبعد الحدود، واقعية وعميقة في آن معاً، فهو ابن الجماهير الكادحة، عاش طفولة صعبة وحادة، خلقت منه أديباً متمرداً ثائراً على نظم الحكم البالية، والتقاليد العاتية، والظلم الاجتماعي والقهر

ومصادرة الحريات في الوطن العربي، فكان أكبر شاعر صعلوك في العصر الحديث.

توفي في أواسط نيسان سنة 2006م ودفن في مسقط رأسه سلمية.

وساترك الآن الشاعر والروائي محمد الماغوط يتحدث عن نفسه.

أنا إنسان عادي جداً، ليس عندي أموال استثمرها، أو مزارع أشرف عليها، أو معاملات أوقّعها، أو مكتبة أورشفها، أو أوسمة استعرضها، أو هدايا أعتزّ بها، أو جياد أمتطيها، أو سيّارات أشفّط بها، أو صداقات أمتنها، أو ذكريات ألجأ إليها، أو سحنة مقبولة أتأمّلها.

ليس عندي سوى هذا الحزن المنتشر فوق رأسي كمخالب النسر. أنا مجرّد إنسان فقير ومحطّم.

الأحلام ميتة في عينيّ. ففي طفولتي حاولت أن أصير لحاماً ففشلت، لأنّني كنت آكل أكثر ممّا أبيع. وحاولت أن أصير خيّاطاً ففشلت، لأنني كنت أغرز الإِبر في لحم الزبون أكثر ممّا كنت أغرزها في ثيابه، وخاصّة إذا كان تقدمياً. وحاولت أن أصير رياضياً ونجماً في كرة القدم ففشلت، لأنني كنت أعتقد بأنّ هناك أشياء كثيرة يجب ركلها بالأقدام، قبل تلك الكرة المطّاطية البائسة.

ثمّ حاولت أن أعتزل الدنيا، متصوفاً أتعبّد ربّي، ففشلت، لأنّني لم أكن أملك من كلّ الأراضي العربيّة ولو مساحة جبيني، لأركع عليها، وأصلّي.

وأخيراً حاولت أن أصير زعيماً سياسيّاً يتبعني اللحّام والخيّاط والمطرب والرياضي والمتصوّف، فلم يتبعني سوى المخابرات.

يا إلهي .. أستغفرك وأتوب إليك. كلّ إنسان في هذا الكون من التراب وإلى التراب يعود، إلاّ الإنسان العربي: فمن المخابرات إلى المخابرات يعود.

في صغري نزلت في أحد القبور المفتوحة حديثاً، وهناك بين تجاويف العيون المظلمة والأسنان المكشّرة والجماجم المتناثرة، كنت أشعر بالطمأنينة والأمان والثقة بالمستقبل، أكثر ممّا أشعر الآن حتّى لو كنت نائماً تحت عباءة أكثر الحكّام ورعاً وحناناً وتقوى.

هذا زمن إتقان كلّ شيء. ولكنّه ليس زماني، فأنا كالخيزران، أنحني ولا

أنكسر، فحتّى لو رأيت الموقعين بأمّ عيني يمسحون حبر التواقيع عن بصماتهم بالجدران وثياب المارّة. ولو انتشرت سياط التعذيب على حدود الوطن العربي كحبل الغسيل، وعلّقت المعتقلات في زوايا الشوارع والمنعطفات كصناديق البريد. وسالت دمائي ودموعي من مجارير الأمم المتّحدة. فلن أنسى ذرة من تراب فلسطين أو حرفاً من حروفها.

ولن أيأس. ولن أستسلم ما دام هناك عربي واحد يقول: «لا» في هذه المرحلة.. ولو لزوجته.

لا أريد أن أؤمن بشيء. فطوال حياتي وأنا أركضُ وراء الحبّ. وراء الصداقة. وراء الحريّة. وراء فلسطين. وراء القادة. وراء الأحزاب. وراء الشعر. وراء المسرح. وراء الصحافة. ولم أصل إلاّ إلى الشيخوخة.

الشعر هو الذي لا يقودك إلى الدخل الكابت والمكان المعهود. والمسلسل المشوّق بين أفراد عائلتك. بل إلى المعتقلات النائية والمناقشات البائسة والصيدليّات المناوبة ومستشفى المجانين.

لكي تكون شاعراً عظيماً في أيّ بلد عربي، يجب أن تكون صادقاً، ولكي تكون صادقاً يجب أن تكون حراً. ولكي تكون حراً يجب أن تعيش. ولكي تعيش يجب أن تخرس.

أجمل ما في طفولتي إنّها انتهت بسرعة، وأقسى ما فيها إنّها لن تعود أبداً. وما بين طفولة الجسد وطفولة الروح لم أنسج لحياتي خيطاً واحداً. كنت دائماً أغزل والآخرون يلبسون. ولذلك فشام وسلافة هما ملجئي وكوخي في عري هذا العالم وأعاصيره المقبلة.

## مؤلّفاته:

### أ ـ أعمال شعرية:

1 ـ حزن في ضوء القمر، بيروت دار مجلّة شعر، 1959.

2 ـ غرفة بملايين الجدران، دمشق، مؤسّسة النوري، 1964.

3 ـ الفرح ليس مهنتي، دمشق اتحاد الكتاب العرب، 1970.

4 ـ اسميكَ زمن الخوارج وانتمي، دمشق، اتّحاد الكتّاب العرب، 1970.

ب ـ مسرحيات:

5 ـ العصفور الأحدب، بيروت، كتاب «حوار»، 1967.

6 ـ المهرّج، بيروت دار العودة، 1974.

7 ـ المرسيلياز العربي (عرض على مسرح أنطوان كرباج)، بيروت، دار العودة، 1975.

8 ـ آخر العنقود، بيروت، دار العودة، 1975.

9 ـ الآثار الكاملة، بيروت، دار العودة، 1973. مجموعة مسرحيّاته وأشعاره التي ألّفها بين 1961 و 1973.

ج ـ مقالات:

10 ـ ديك ومئة مليون دجاجة، باريس، 1984. مجموعة المقلات التي قد صدرت أوّلاً في المستقبل والخليج الثقافي.

11 ـ سأخون وطني، هذيان في الرعب والحريّة، لندن، منشورات رياض الريّس، 1987. مع مقدّمة لزكريا تامر.

12 ـ الأرجوحة، لندن، دار رياض الريّس، 1991. رواية

عن المؤلف:

1 ـ النهار الدولي، 27/ 2/ 1984، ص 48 ـ 50 موجز عدد من المقبالات السابقة في مجلّة المستقبل.

2 ـ السفير، 20 و21/ 5/ 1984، ص 1 حديث عن شعر الماغوط (حسن عبد الله).

3 ـ خست، ناديا: «محمّد الماغوط، أصالة وأزمة»، فكر (بيروت)، عدد 58 ـ 59 (حزيران ـ تموز، 1984)، ص 18 ـ 19. مقابلة.

4 - AUER, Irene Johanna: Muhammad al-Magut, Dichter, Dramatiker, Essayist: Ubersetzung und Analyse des ersten Diwans "Trauer im Mondicht". أطروحة الماجستير من كلّية الفلسفة في جامعة ألبير لودفيغ، فلايبوغ (Freiburg im nreisgau)، 1988. يشتمل على سيرة الشاعر وقائمة أعماله وأعمال منه.

لماذا محمد الماغوط. هو شاعر صعلوك. بل زعيم الشعراء الصعاليك في العصر الحديث. يجيب هو عن نفسه، في شعره، في نثره، في رواياته.

يقول من قصيدة «تبغ وشوارع»:

سامحيني أنا فقير يا جميلهْ
كنت مهرجاً
أبيع البطالة والتثاؤب أمام الدكاكينْ
آكل الخبز في الطريقْ
وبين المنازل المنسلخة كأيدي الفقراء
ككل طفولتي .. ضائعاً ضائعاً.
أهجر بيتي في عيون الصنوبر
يموت يشهق بالحبر
سامحيني .. أنا فقير وظمآن
أنا إنسان تبغ وشوارع وأسمالْ[1].

وفي رثاء لصديقه بدر شاكر السياب يفتح الماغوط قصيدته قائلاً[2]:

يا زميل الحرمان والتسكع
حزني طويل كشجر الحور
هل ترسم على علب التبغ الفارغة
أشجاراً وانهاراً واطفالاً سعداء
وتناديها يا وطني
ولكن أي وطن هذا الذي
يجرفه الكناسون مع القمامات آخر الليل

ويؤلمه في وطنه، وعلى امتداد العالم العربي، صعالكة يعيشون الفقر والجوع العري، ويشتهون رائحة الخبز وهدايا العيد ورؤية النجوم وحتى النوم على

---

(1) محمد الماغوط ـ الآثار الكاملة ـ ديوان «حزن في ضوء القمر» ـ ص24 و46.
(2) المصدر نفسه ـ ص299.

الرصيف، في إشارة إلى جمهور المتصعلكين المعدمين الذين لا يجدون ما يبل ريقهم ويسد جوعهم ويفرع قلوبهم في وطن الموت والخيبة والافقار والتجويع:

أيها الوطن الغارق في التفاهات
حرمتني رؤية النجومْ
تأمُّلَ الافق .. انتظار الفجر ..
رائحة الخبز، رسائل الحب
هدايا الأعياد
وحتى النوم على الرصيف
كنت تدفعني دفعاً لجنونْ
للمصحات العقلية .. ومعسكرات الإبادة
وأنا استعطفك وأسترضيك
وقد حذرتك مراراً
بأن الزمن ليس ساعةً حول معصمكْ
أو قبعة على رأسك .. أو سوطاً بيدكْ .. أو حاجباً أمام مكتبكْ
عفواً .. ليس عندي وقت أضيعهُ
فعندي موعد هام
مع عاهرة
ومصابة بالايدز والزهايمر
فمتْ بغيظك[1].

وفي نص آخر، يأسى ويعطف على الصعالكة الفقراء، الفقراء الذين يستيقظون وحدهم مبكرين (لأنهم لا ينامون من فرط الجوع والفقر):

الكل يركض وراء الشهرة

---

(1) محمد الماغوط ـ شرق عدن غرب الله ـ ص155 و157.

وأنا أركض وراء الفقراء

وهذا من سوء حظي وحظهم

وحدهم الفقراء يستيقظون مبكرين قبل الجميع

حتى لا يسبقهم إلى العذاب أحد[1].

ولو قلت إن معظم ما كتبه محمد الماغوط أدب متصعلك ثائر متمرد، لما تجاوزت الحقيقة لقد جعلته حالة أمته ومآسيها يشتاق حتى لأسوأ الأمور وأشدها قسوة على الإنسان:

اشتقت للفراغ

للتثاؤب .. للبرد .. للعطش

للجوع .. للحزن .. للوحدة .. للجنون

وتحطيم المقاعد وإتلاف الأشرطة وتمزيق الستائر[2].

ومن نكد الدهر على الإنسان ان يشتاق حتى لما ذكره الماغوط، إنها ثورة ثائرة معبرة، تخز في الصميم، وتعري الظالمين والقاتلين والسفاحين يقول الماغوط:

أعطيتهم يدي، فطلبوا ذراعي

ثم كتفي

ثم رأسي

ثم صدري

ثم خصري .. ثم قدمي

ثم حذائي

ثم الأرض التي أقف عليها

بعد تزفيتها[3].

وفي نص شعري التفافي يصل الماغوط إلى ذروة الصعلكة الفاضحة للمستغلين

---

(1) المصدر نفسه ـ ص76.

(2) المصدر نفسه ـ ص120.

(3) محمد الماغوط ـ شرق عدن غرب الله ـ ص122.

والمرتشين وآكلي حقوق الجماهير، الآخرون وما يتبعها يشير إليهم، أولئك الذين لا يشبعون:

الآخرون يريدون أن يأكلوا
وأنا أريد أن أجوع
أن يلبسوا
وأنا أريد أن أعرى
أن يستقروا
وأنا أريد أن أتشرد
ولذلك لا يمكن أن أخوض أي سباق مع أي كان
لأن الكل يريد أن يربحْ
وأنا أريد أن أخسر[1].

ثم يستأثر الظالمون والمستغلون بمعظم الأشياء ويتركون منها نزراً لا يذكر لجماهير الفقراء الصعاليك العراة الحفاة، تلك هي سياسة الإحتكاريين والأغنياء المستغلين والحكام الموتورين، يقول الماغوط في قصيدة نثرية عنوانها (الخد الأيسر)[2]:

يتركون لنا بقايا الشمس لندفأ
بقايا الموائد لنأكل
بقايا الليل لننام
بقايا الفجر لنستيقظ
بقايا الموسيقى لنسمع
بقايا الأرصفة لنمشي
بقايا الأصابع لنكتب
ثم يتركون لنا الوطن من المحيط إلى الخليج، لنقاتل ونموت من أجله..

---

(1) محمد الماغوط ـ شرق عدن غرب الله ـ ص69.
(2) محمد الماغوط ـ سياف الزهور ـ ص129.

وفي قصيدة (عتابا معاصره)، يعدد الماغوط أولئك الذين نغصوا عليه حياته وحولوها إلى جحيم، في عاصفة صعلوكية داوية، إن وطنه العربي مليء بالموبقات، ويجب أن تجتثَّ ثورة صعلوكية كل معوِّقات الحياة:

الذين ملؤوا قلبي بالرعب

ورأسي بالشيب المبكر

وقدحي بالدموع .. وصدري بالسعال

وأرصفتني بالحفاة، ... وجدراني بالنعوات

وليلي بالأزرق وأحلامي، بالكوابيس

وحرموني براءتي كطفلٍ

ووقاري كعجوز

وبلاغتي كمتحدث

وصبري كمستمع

وزاويتي كمتسول، وفراستي كبدوي

ودهشتي كمسافر، وحنيني كعائد.

ثم أخذوا سيفي كمحارب

وقلمي كشاعر وريشتي كرسام

وقيثارتي كغجري

وأعادوا لي كل شيء، وأنا في الطريق إلى المقبرةْ

ماذا أقول لهم، أكثر مما يقوله الكمان للعاصفةْ[1]

أية صعلكة جارفة ماحقة، تحسَّها أولاً تمر بهدوء، إلا أنه الهدوء الذي يسبق العاصفة، والصمت الذي يهيء للبركان، صعلكة من نوع جديد، لا تعبأ بشيء، ولا تخاف من شيء ولا يهمها شيء، نارية على أولئك الذين حولوا أيام الفقراء والمسحوقين إلى مأساة، فحرموهم كل شيء ليستأثروا بكل شيء، حسدوهم حتى على ما ليس لديهم ولا يملكونه، لقد سرقوا جهارة وعلانية ودون حياء، سرقوا

---

(1) محمد الماغوط ـ سياف الزهور ـ ص107 ـ 109 ـ دار المدى للطباعة والنشر ـ ط1 ـ 2001م.

البراءة والوقار والبلاغة والصبر والدهشة والحنين والقلم والريشة، من بناة الحياة، لقد سرقوا كل هذا، ثم أبادوه وقضوا عليه، لأنهم لا يستطيعون أن يروا حقاً يسود وعدلاً ينتشر، ومواطنين يتمتعون برفاهية الحياة.

أولا يستحق هؤلاء صعلكة مبيدة، تدك العروش والممالك، وتقضي على المستغلين والمستبدين والمرتشين والانتهازيين ومصاصي دماء الشعوب، إلى هذا يدعو الماغوط، وأظنه كرس حياته وقلمه وفكره ليطلقها صعلكة لا ترحم، لقد خلق صعلوكاً ومات وهو أعظم الصعاليك.

## الباب الثاني عشر

# شعر
# أنصار الصعاليك

# من أشعار
# أنصار الصعاليك

كانت أوضاع الأمة خلال الحقبة العثمانية سيئة من جميع النواحي، إدقاعٌ ورِقٌ وفقر وسوء مصير، ونفي وتشريد، مما دفع بالشاعر العربي السوري **فارس الخوري** إلى الصراخ من أعماق سجنه متألماً، حيث ابناء قومه كالصعاليك مطرودون فقراء مشردون منبوذون عبر الصحاري القاحلة والفيافي المقفرة[1]:

بل كيف يهنأ لي عيشٌ ويسعدني ... دهري وتعبثُني الدنيا وترضيني

ومعشري بين مطرودٍ ومنتبذٍ ... عبَر الفيافي ومصلوبٍ ومسجونِ

أبكي على أمة لحَّ الشقاء بها ... تجري إلى طالع في البؤس مقرون

ونستعيد مع الشاعر الأردني الصعلوك مصطفى وهبي التل عبر الخرابيش صورة الخرافيش الصعاليك في العصور السالفة، حيث تسود بني الصعاليك الخرابيش الفقراء العدالة وتذوب الفوارق الاجتماعية وينتفي الطمع والجشع والأنانية:

بين الخرابيش لا عبدٌ ولا أمة ... ولا أرقاء في أزياء أحرار

الكل زطٌ مساواةٍ محققةٍ ... تنفي الفوارق بين الجار والجار[2]

وينظر الشاعر المغربي **محمد علي الهواري** إلى الشعب المغربي في عهود الاحتلال من النواحي الاجتماعية ويصور فقره وصعلكته ومعاناته:

سنينٌ مضت من عمرنا ومضت

كما تمضي على شفاهنا سنين

---

(1) د. سالم المعوش ـ شعر السجون ـ ص93.

(2) الخرابيش: مضارب النور ـ تاريخ الادب العربي ـ قبش ـ ص448. د. المعوش ـ شعر السجون ـ ص93.

ونحن الجياع كأمسنا ... شعبٌ
ذليلٌ وجلادٌ .. وسجانْ
يجوب القراصنة الربى تيهاً
وإنساننا في كوخه جوعان[1].

إن حديث الشاعر تصوير للأزمة والمعاناة، والقهر الذي كان يعانيه الشعب المغربي على يد الحكام المحليين وأسيادهم الجلاوزة المستعمرين، شعب صعلوك من مآسيه الفقر والجوع والذل، وأكواخ الهوان، وهو بحاجة إلى أن يتمرد، يثور، لتكتمل صعلكته الواعية.

ويتحدث الشاعر العربي السوري **سليمان العيسى** عن المستقبل العربي، إيماناً منه بما تختزنه هذه الأمة من إمكانات تجعله يتغلب على الصعوبات ويحقق أحلامه وأمانيه وطموحاته، وهو يستقوي بالصعاليك الذين تقع عليهم ضريبة التمرد والنضال:

أشدُّ عليك .. يا رمزاً كلحم الصبح عريانا
بحبر طفولتي سأظل أكتب فيك عطشانا
وأشرب همك الأوحدْ
وأوجد حيثما تُوجدْ
أسافر تحت قبتك التي تعبتْ من السفر
بلا زادٍ بلا مأوى، بلا سقف بلا جُدُرِ
أسافر فيك يا سفري
أعلق هذه الدنيا .. وما فيها
بجذعك، جذع نخلتك التي نسيت أعاليها
وما برحت تشدُّ جذورها عظمي وعظم أبي
وتحملني على موجين من عطش ومن غضبِ
وتحفر في جبين الكوكب المتمرد التعبِ

(1) الشعر الجزائري الحديث ـ ص69 ـ د. سالم المعوش ـ شعر السجون ـ ص127.

تباشيري أنا الآتي من النسيانِ

من زنزانة الحقب .. تباشير اسمي العربي

بهذه الروح العالية والاخلاص الوطني والقومي يتحدث شاعر القومية العربية سليمان العيسى مؤمناً بتجاوز المحن بزنود الصعاليك الشجعان:

أطوف على الصعاليك الذين مشوا على كفني

وأسقيهم ... لنبدأ رحلة الإنسانِ

من كفِّك يا وطني

واَكْبَرُ أنت

أغنى أنت

أخصب بالعناقيد

بأسرار الضياء، بكل أشواق الأغاريدِ

ألوذ بأمنا الصحراء[1]

أقاتل باسمك العريان

لتبدأ رحلة الإنسان

وأكتب أكتب الأشعار

ويبقى نبضك الجبارْ

ينابيعي وملحمتي

وسر النار في شفتي

أشدُّ عليك يا همي العظيم أعيرك الحدقا

ويوم تعود، تحملني نشيداً فيك محترقا[2].

لقد أعطى الآخرون السبب للشاعر **سميح القاسم** ليثور، ليكون صعلوكاً متمرداً ثائراً على جوعه وعطشه وبؤسه والظلم المحيق به، لقد اعطوه (والمقصود الشعب كله) ـ الحجة تلو الحجة ليتصعلك ويثور:

---

(1) د. أحمد أبو حاقة ـ الالتزام في الشعر العربي ـ ص489 و490.

(2) د. أحمد ابو حاقة ـ الالتزام في الشعر العربي ـ ص488 و489.

كنت تلميذاً وكانْ

في دمائي عنفوانْ

علموني أنني صفر وضيعٌ علموني

أنني خرقة عار وهوانْ

ولدٌ .. خلَّفه الاعراب في بيدِ الزمانْ

علموني أن أخاف النور، أن أخفض للنار جبيني

كنت مغلوباً . . . وكان

وترد الضحكة الأخرى .. سيعتاد صليبَهْ

ويرسم الشاعر العراقي **سعدي يوسف** صورة لمناخ الصعلكة كما يراها هو، كان ينشد الوضع الطبيعي للوطن، والمواطن فيه، فهو يصف قمة تغربه بأنه لا يعرف بلاده، وأنه يعيش في أتون الذكرى سجيناً من غير سجان، ولذلك يجد في وطنه ملامح صعلكة ينشدها لتنمو، وتصير رغبة في إزالة ما علق من اعوجاج، ولعل التصوير القاتم المتصعلك للوطن ناتج عن بعده عن بلاده التي بات لا يعرفها، حتى أضحى ـ هو ـ صعلوكاً متوتراً مما هو فيه، وتتجلى غربته في هربهِ الدائم مع صنوه الأخضر بن يوسف، فها هو يحاوره قائلاً:

نسافر بين الجواز المزور والثورة المستحيلة

ونأسر لأن القناعات أكبر منا

وأصغر منا

وأن الجبالَ التي ناولتنا التشرد كانت حبال القبيلهْ

ولكننا بين هذا الجواز المزور والثورة المستحيلهْ

وبين الجبال . . . القبيله . . . كنا غريبين»[1].

وها هو الشاعر الليبي **عبد الحميد المجراب** من الشعراء الليبيين الذين واجهوا الاستعمار الانكليزي والنظام الليبي قبل الثورة، ورغم اعتقاله، فإن صوته ظل مدوياً محرضاً، داعياً إلى صعلكة عامة تجتث الاستعمار من أصله، وهنا

---

(1) ديوان سعدي يوسف ـ م1/ 151

يخاطب أحد زملائه المسجونين، معبراً عن صعلكة قائمة ضد الحكام المحليين الذين صادروا اللقمة من أفواه الملايين:

يا شاعر سنواصل

القرع بقوة

لجبروت الثورة

رغم سارقي ابتسامات الأطفال

والخبز من الوجوه الكالحه

ولن يكون هناد اعداء لك .. ولي وللجميع

وللكتاب الأحرار .. الثوار

وسيكون هاك نهار

ما اجمل كلمات الإنسان

تناضل في كل مكان، تجتثُ جذور الطغيان[1].

هؤلاء هم الصعاليك المجاهدون الذين يذكرهم المجراب، الثوار والكتاب الأحرار، والشعراء المناضلون، والخبز المناضل.

ثم يصور سعدي يوسف، المساجين الذين ضمهم سجنه، والذين هم صعاليك بكل ما في الكلمة من معنى، الفقر الغربة والتشرد النفسي والجسدي، والمعاناة، والبعد عن الأهل، كل ذلك يحث على صعلكة حازمة ناقمة، يقول من قصيدة له سنة 1963م:

أرقد في «السيبةْ»

كان الشرطي وديعاً عبر القضبانْ

الفتيان الفقراء يطوفون منازل في الصحراءْ

منازل في المدن المقهورهْ

كانوا في عربات الشحن تؤرجحهم

مغلولين اثنين اثنين[2]

---

(1) حلم الثورة في الشعر الليبي الحديث ـ فوزي البشتي ـ ص32 ـ 33 د. المعوش ـ شعر السجون ـ ص466.

(2) ديوان سعدي يوسف ـ م1 / 440. د. المعوش ـ شعر السجون ـ ص511.

ونعثر في هذه الأبيات على عبارات من ضمن قاموس الصعلكة مثل الفتيان ـ الفقراء الصحراء، الاغلال، المنازل المقهورة.

ويتألق عبد الوهاب البياتي في قصيدة يحصي فيها مجموعة الصعاليك من شتى الانواع، هم وقود الثورة، ولغة الإنشاد وما سنذكره من شعر عبارة عن خطاب مسرحي يستعمله البياتي لإقامة الحوار الدموي بين المسجونين وقاتليهم، الحوار المنبثق هادراً من أعماق النفوس من المعاناة، صعاليك مسجونون يجسدون كل مزايا الصعلكة، وآخرون يحملون أتعابهم على أكتافهم ويناضلون[1]:

أكتب ما رواه لي مؤلف المأساةِ

وبطل القصيدة.. وجوقة الانشاد

والبهلوانات وبنات الليل والأسياد

وخدم الأسياد والحراس

أعرضِه مثل خيال الظل في لوحات

هنا يحجم الشاعر عن عرض اللوحات قبل أن ينفتح الستار.

ويطلب البياتي من صعاليك العالم المنهوب، الفقراء الجياع أن يتحدوا ويثوروا، لأن في الوحدة قوة، ولا سبيل لانتزاع اللقمة من اللصوص النهابين إلا بالعزيمة والإصرار:

يا فقراء العالم المنهوب

اتحدوا

يا فقراء العالم المنهوب.

جاء هذا في قصيدة له بعنوان «يوميات العشاق الفقراء».

ومن هم الصعاليك الفقراء، هؤلاء هم يجاهدون ويناضلون ويتشردون، ويأكل المغتصب عرقهم، ويستولي على حقوقهم، يقول البياتي متمرداً على حالة الأمة العربية المقطعة الأوصال:

نسقط أعياء على أرصفة التاريخ

---

(1) ديوان البياتي ـ د. المعوش ـ شعر السجون ـ ص590.

نذبل في مناجم الفحم وفي أقبية الجليد

نموت واقفين

نموت في غربتنا .. لكننا نولد من جديد

من رحم الليل ومن لحم جبال الأرض

متوجين بعذاب الرفض

وحاملين صولجان الشمس

نغتصب الفجر بليل العالم الطويل

نبحر ميتين

لمن العالم البعيد

نرفع فيها راية العصيان

نموت في سجونها أحياء

نصنع للتاريخ كبرياء[1]

اذن. هؤلاء هم الصعاليك الفقراء المشردون، الذين يعملون على أرصفة التاريخ (هوامش الحياة) ويذوبون من العمل في مناجم الفحم، ولكنهم إذا ماتوا فانهم يموتون اعزاء شامخين، وهم غرباء مشردون متوجون دائماً بالرفض.

والغجري في هذه القصيدة، هو ذلك الصعلوك الفقير المشرد في فجاج الأرض، يبحث عن النور وعن المستقبل، يمد يده إلى لحم جبال الأرض وعريها النائم، ينفخ في صدر سفن البحارة الموتى واعشاب كهوف النور وجزر الياقوت ليصنع غده، وحياته، ويرتق فقره وعريه:

جراحنا كفت عن الصراخ

مدينة صارت، ونهراً باحثاً في رحلة الموت عن الضفاف

غجرياً يذرع الأرض على حصانه الحزين

يموت في عزيمته، لكنه يولد من جديد

طفلاً بلا حصان

---

(1) ديوان البياتي ج2/ ص248 ـ دار العودة ـ بيروت ـ الطبعة الرابعة ـ 1990م.

يمد مرعوباً من النهار والليل، ومن تعاقب الفصول والأزمان

يداً إلى لحم الأرض

وعريها النائم في خيمة نار الشرق

ينفخ صدر سفن البحارة الموتى

واعشاب كهوف النور والياقوت[1]

وينتصر البياتي دائماً للصعاليك، الفقراء الجياع المشردين، الذي يسوحون في كل مكان طلباً للرزق والحياة يقول من ديوان «قمر شيراز»:

شعري أورثني هذا الفقر القاتل، هذا

الحب اللهب، السيف القتال

سيُحزُّ به عنقي يوماً من اجل الفقراء

قلت سلاماً للبحر الأبيض

قلت سلاماً للغابات

لكن المنفيين الموتى كانوا

في كل مكان بالمرصاد[2]

ووطن الشاعر، مجتمع صعاليك، يعيشون الحزن والجوع والعري، ينتظرون على رصيف المرفأ مستقبلهم البعيد، عندما يعودون من المنفى والتشرد[3]:

صلي لأجلي عبر أسوارِ

وطني الحزين الجائع العاري

وعلى رصيف المرفأ انتظري

يا كوكبي الساري

وحديث سُمَّاري

قلبي مياه البحر تحمله

---

(1) ديوان البياتي ـ ج2 / ص249.

(2) ديوان البياتي ـ 2 / 370.

(3) المصدر نفسه ـ 1/ 155.

تفاحة حمرا . . . كتذكارِ

وينهي القصيدة بوصلة صعلوكية قاتمة:

وطني الحزين، الجائع، العاري

وأنا وأطماري

في غربة الدار

وحدي بلا حبٍ وتذكارِ[1].

وتعلو اللهجة الصعلوكية في قصيدة «مذكرات رجل مجهول، حيث تتزاحم المعاني الصعلوكية في اداء متناسق متتابع خلاب:

أعرفت معنى أن تكون

متسولاً، عريان، في أرجاء عالمنا الكبيرْ

وذقتُ طعم اليتم مثلي والضياعْ

أعرفت معنى أن تكونْ

لصاً تصادره الظلالْ

والخوف عبر مقابر الريف الحزين،

والصعاليك هنا مسالمون، إلا أنهم أهل عفة وأنفة وكبرياء، هكذا عهدناهم، من جاهليتهم وحتى عصرنا الحاضر، جائعين عراة، طيبين، إلا أنهم لا يقفون على ابواب قصر السلطان جائعين، يقول البياتي بلسان الرجل المجهول:

إني لأخجل أن أعرِّي، هكذا بؤسي أمام الآخرين.

وأن أرى متسولاً عريان، في أرجاء عالمنا الكبير

فنحن يا مولاي قوم طيبونْ،

بسطاء يمنعنا الحياء من الوقوفْ

أبداً على أعتاب قصرك جائعين

وهؤلاء الصعاليك ينقصهم التمرد والثورة، ليَتمَّ معنى صعلكتهم، لأن التمرد قاعدة الصعلكة الاساسية:

---

(1) ديوان البياتي ـ 1 / 156

لأنهم لا يعملون
بأن أمثالي لهم حق الحياة.
وحق تقرير المصير . . .
وأن في أطراف كوكبنا الحزينْ
تسيل أنهار الدماء
من أجل إنسان الغد الآتي السعيد[1].

وفي قصيدة «أحزان البنفسج من ديوان «أشعار في المفنى»، يعتبر البياتي ان المناضلين والعمال في جميع انحاء الارض يتألمون، إنهم الصعاليك الكادحون، ملايين من الرجال الذين يكدحون في المناجم والمعامل والمصانع والمزارع، إنهم يغنون لكنهم يتألمون لمعاناتهم واندفاعهم خلف لقمة الخبز في زوايا الأرض جميعها:

الملايين التي تكدح لا تحلم في موت فراشهْ
وبأحزان البنفسجْ
أو شراع يتوهج
الملايين التي تكدحُ
تعرى . . . تتمزق
الملايين التي تصنع للحالم زورق
الملايين التي تصنع منديلاً لمغرم
الملايين التي تبكي
تغني . . . تتألم
في زوايا الأرض .. في مصنع صلب أو بمنجم
إنها تمضغ قرص الشمس من موت محتم
الملايين التي تبكي

---

(1) ديوان البياتي ـ 1 / 200 ـ 203.

تغني تتألم

تحت شمس الليل باللقمة تحلم[1]

والشاعر دائماً، هو نصير الصعاليك الفقراء رغم كيد الاعداء:

حبي: مائدة الفقراء ..

حزني: بستان التعساء

فليشرب ماء البحر الأعداء[2].

ثم يدعوه أصدقاء الصعاليك الفقراء إلى الثورة والتمرد:

القناديل بصدري انطفأت .. اين الضياء؟

افتحوا الأبواب للنور .. افتحوها

اصدقائي الفقراء

اصدقائي الشعراء

فأنا احترق الليلة كالشمعة في صمت البكاء[3].

ثم يصور في لوحة تراجيدية صعاليك أفريقيا السوداء الفقراء العراة، وحياتهم المضنية المنهكة، فالإنسان هناك في صراع دائم من أجل الحياة، حيث الافاعي والظلال، والأفق المخضب بالدماء والمستنقعات والموت وعربات الطين، جاء ذلك في قصيدة من ديوانه «أشعار في المنفى» عنوانها «ماو ماو»:

الموت والإنسان من أعماق فطرته، يقوم في سخاءْ

في ظلمه الغابات والمستنقعاتْ

حيث الأفاعي والظلالْ

والشمس والصبَّارُ، والافق المخضب بالدماءْ

والكادحونْ

والموت والإنسان والمستنقعات

(1) البياتي ـ الديوان ـ مجموعة أشعار في المنفى ـ ص263.

(2) المصدر نفسه ـ مجموعة النار والكلمات ـ ص445.

(3) م. ن. من مجموعات النار والكلمات ـ ص458.

في ليل «كينيا» والقرى والكادحون،
ورفيقتي ماري، تضمدُ رأس زنجي جريحْ
وصبية عمياء تحلب عنزةً، كالمداخن يرحلونْ، ويدفعونْ
عرباتهم في الطين والمستنقعات.
في ليل أفريقيا الحزين[1].

ثم يتحدث عن معاناة هؤلاء الصعاليك الفقراء السود، وبؤسهم وجوعهم وشقائهم، وهم بحاجة إلى صعلكة عارمة تنقذهم من حياة الصعلكة القاتمة:

الكادحون السودُ والغربان والمستنقعاتْ
ومزارع المطاط والبوليس يفتك بالمئات
ومنازل البيض البرابرةِ اللئام
تغفو، كحيوان خرافي، عجيب
والشيب والأطفال في عرباتهم يتدحرجون،
أبداً، كآلهة الأساطير القدامى، كالظلالْ
في ليل أفريقيا الحزين، من السهوبْ
والنار تلتهم القرى، وخناجر المتربصينْ
كالشهب تلمع في الظلام

إنه التمييز العنصري، الذي يجعل البيض سادة والفقراء الصعاليك عبيدا، يكدحون في المستنقعات، وتلتهم النيران قراهم، ويلاحقهم المتربصون البيض، يتدحرجون من بؤسهم وتعبهم في عربات العمل المضني، في أحراج كينيا الافريقية.

ثم يدعو الحراب لتستفيق، حراب الكادحين الصعاليك الفقراء، لتزرع الغابات العذراء، فتنبت الخير والحرية، ولتطرد من القرى الخاويات آلهة الدولار والدمار، والشاعر يعتبر العالم كله وطناً واحداً ومن هنا تأتي مواقفه:

أحراج كينيا ـ يا زنابق ـ يا حراب!

---

(1) البياتي ـ الديوان ـ من مجموعة اباريق مهشمة ـ ص195.

العالم الحر. استفيقي يا حراب

وإلهُهُ ـ الدولار ـ يزحف في قرانا الخاويات

وخناجر المتربصين، الكادحين السودِ، تلمع في الظلامْ

إنا سنزرع بالحراب.

غاباتنا العذراء، يا وغداً بقافلة الطغاة[1]

وأكثر الشعراء انتصاراً للصعاليك وانحيازاً لهم، هو الشاعر العراقي الثائر مظفر النواب، فهو مع جميع الشرائح الاجتماعية التي تناضل في سبيل الرغيف والحرية والكرامة والاستقلال نجد ذلك في معلقته (من الدفتر السري الخصوصي لإمام المغنين) حيث يقول:

أنا أنتمي للجموع التي رفعت قهرها هرما

وأقامت ملاعب صور وبصرى

وأضاءت بروج السماء بأبراج بابل

أنا أنتمي للجياع ومن سيقاتل

أنا أنتمي للمسيح المجدف فوق الصليب

لمحمد شرط الدخول إلى مكة بالسلاح

لعليٍ بغير شروط

أنا أنتمي للفادئي ... ولرأس الحسين

ثم يجمع الصعاليك في مكان واحد:

وللقرمطية كل انتمائي

وللماركسين شرط الثبات مع الفقراء

ولست لأخلع في شده صاحبي وأعود إليه، بخفي حنين

كما الأشعري فإني مقيم

وتباً لمن كل يوم يبدل من نفسه مرتين

---

(1) البياتي ـ الديوان ـ مجموعة أباريق مهشمة ـ ص194.

هو العالم من فئتين

هنا الفقراءُ على جوعهم واقفين

وخلف قلاع الخزائن يجتمع الاحتكار وأزلامه[1]

معظم هؤلاء من المجاهدين المناضلين الصعاليك الذين يحاربون بجوعهم ساسة الاحتكار، وهؤلاء ليسوا قلة أبداً، إنهم جماهير المحرومين الفقراء:

وهذا لمن يدرك الباطنية في العشق بعض انتمائي

سأرفض لكنما الرفض وعي وتعبئة وسلاح

سنرفض عن ثقة

بأن هذي الجموع تميز بين الهذيل وبين الرهيف

أنا ثكلتني الثواكل إن كنت انحاز يوماً لغير الجاهير

إذن هو يحسم موقفه، ومنذ مطلع القصيدة، مع الصعاليك الفقراء (جماهير الشعب)[2]. ودائماً يحاول أن يقترب من الصعاليك وإنواعهم في المجتمعات، وبعض الذين يحاربون في سبيل العدالة والمساواة وتكافؤ الفرص:

كان حسين الأهوزاي

بوجهٍ لا يتقن إلا الجرأة والنشوة بالأرض

وقال انتشروا فانتشروا

كسروا الأنهار كسوراً زُركش بالطيرِ

وأورثهم إياه حفاة الزنج

فقلت:

لقد علمهم ذاك حسين الأهوازي

عشية يوم في القرن الرابع للهجرة

كيف نسينا القرن الرابع للهجرة

كيف نسينا التاريخ

---

(1) ديوان مظفر النواب، ص425 ـ 427 ـ دار قنبر ـ لندن ـ 1996م.

(2) ديوان النواب ـ ص426 ـ 428.

ثم يتابع:

أشهد أني من بعض شيوعية هذي الأرض

ودبَّ بجفني الحذر

وغفوت وكان الفلاحون يردون غطائي فوقي

في العاشر من نيسان تفرد عشقي

أتقنت تعاليم الأهوازي

ووحَّدتُ النخلة

والله وفلاحاً يفتح نار الثورة

قاومت الاستعمار فشردني وطني

واحتشد الفلاحون عليَّ

وبينهم كان علي وأبو ذرْ

والأهوازي ولولمبا

أو جيفار أو ماركس أو ماو لا اتذكر

فالثوار لهم وجه واحد في روحي[1]

ذلك مفهومه للصعلكة. إنه مع جميع الثوار، انصار الفقراء والمدافعين عنهم، بل ربما هو أكبر شاعر صعلوك ثائر في شعره، متوقد العزيمة، مندفع لنصرة أولئك الذين هضمت حقوقهم بغير حق، ولذلك يثأر لهم، لأنه ممثلهم الأول:

بعد أن جيء به، ووقف امام الجلاد الذي طلب منه الاعتراف، تعذَّبَ وأحسَّ بأوجاع في كل مكان من جسده، بل أحس بأوجاع الحائط والأنهار والغابات، التي تحولت إلى اشياء صعلوكية في اتحادها الوجداني مع الشاعر، يقول النواب:

ثم توجهت إلى المطلق في ثقة

كان أبو ذر خلف زجاج الشباك المقفل

يزرع فيَّ شجاعته فرفضته

(1) ديوان النواب ـ ص496 ـ 499.

رفضت رفضت

وكانت أمي واقفة ـ قدام الشعب بصمت

فرفضت

رفضت وأطبقت فمي

فالشعب أمانة في عنق الثوري

يا قلبي عشق الأرض جواز

وأبو ذر وحسين الأهوازي وأمي

والشيب من الدوران ورائي

من سجن الشاه إلى سجن الصحراء

إلى المنفى الزبدي جوازي

ووقفت

وكنت من الله قريبا[1]

ويتألق الشاعر الفلسطيني محمود درويش في قصيدته «بطاقة هوية» في الحديث عن ذاته التي تمثل هنا الشعب الفلسطيني كله، الشعب المكافح الكادح الفقير والمتمرد في آن معاً، والذي يحمل كل سمات الصعلكة وخصائصها، ونحن هنا نتصدى للجانب الاجتماعي الذي يمثل حالة الصعلكة خير تمثيل:

سجل أنا عربي

وأعمل مع رفاق الكدح في محجرْ

وأطفالي ثمانيةٌ

أسُلُّ لهم رغيف الخبزِ

والأثواب والدفترْ

من الصخرِ

ولا أتوسَّلُ الصدقات من بابكْ

---

(1) ديوان النواب ـ ص500 ـ 503.

ولا أصغرْ

أمام بلاطِ أعتابكْ

والفلسطينيون جميعهم من أسرة المحراث والمعول، فهم مناضلون مزارعون متصعلكون أباً عن جد، بيوتهم أكواخ من القصب، وهم مشردون منفيون مغربون:

أبي من أسرة المحراثِ

لا من سادةٍ نجبِ

وجدي كان فلاحاً

بلا حسبٍ ولا نسبِ

وبيتي . . . كوخُ ناطورٍ

من الاعواد والقصب

فهل ترضيك منزلتي

أنا اسم بلا لقبِ[1].

ومن ميزات المتصعلكين، هذا العنفوان الشديد، كما سلف وأشرنا، والصلابة والبساطة في آن معاً، وعنوان الصعلوك دائماً كل مكان، فهو لا يستقر في مكان محدد، وهو علاوة على ذلك منسيٌّ في قومه:

وميزاتي:

على رأسي عقال فوق كوفيةْ

وكفي صلبة كالصخرِ

تخمش من يلامسها

وعنواني:

أنا من قرية عزلاءَ . . . منسيّة

شوارعها بلا أسماءْ

وكلُّ رجالها في الحقل والمحجرْ.

---

(1) ديوان محمود درويش ـ بيروت ـ دار العودة ـ ط 14 ـ 1994م ـ ص71 ـ 74.

ويحذر الشاعر المغتَصِبَ من ثورة الجياع، الصعاليك الذين ينتفضون لجوعهم وحاجتهم، ويسعون للحصول عليها:

أنا لا اكرهُ الناسَ، ولا أسطو على أحدِ

ولكني إذا ما جعتُ

أكُل لحمَ مغتصبي[1].

وفي قصيدة «ثلاث صور»، تطل صورة الأب أو المناضل المتمرد الصعلوك، هي الوجه الأنقى، رغم الجوع والتعب والتشرد، فكل فلسطيني يحمل من المتاعب والقهر والتمرد ما لم يحمله بشر، يناضل من اجل الرغيف، ولأجله يصارع الذئاب والتجار المرتزقة، مصاصي دم الشعب، وتلك سمات المتصعلكين ودروبهم في الحياة:

كان أبي

كعهده، محملاً متاعبا

يطاردُ الرغيف أينما مضى

لأجله . . . يصارع الثعالبا

ويصنع الأطفالَ . . .

والترابَ

والكواكبا . . .

أخي الصغيرُ اهترأتْ

ثيابُه . . . فعاتبا[2].

وفي معلقته الجميلة «نشيد» يفيض محمود درويش في الحديث عن أهله الصامدين المناضلين الذين يملكون أدوات الصعلكة كلها، فيتمردون على أنفسهم وحاكميهم وعلى المحتل ويجوعون ويعرون إلا أنهم يصبرون ليصلوا إلى الغد المرتجى والأمل الموعود.

---

(1) ديوان محمود درويش ـ المجلد الأول ـ أوراق الزيتون ـ ص71 ـ 74.

(2) محمود درويش ـ الديوان ـ مجموعة أوراق الزيتون ـ ص27 و28.

سنصنعُ من مشانقنا

ومن صلبان حاضرنا وماضينا

سلالمَ للغدِ الموعودِ

ثم نصيحُ .. يا رضوانُ!

إفتحْ بابكَ الموصودْ

سننصب من محاجرنا

مراصدَ تكشف الابعد والاعمق والأروعْ

فلا نقشع سوى الفجرِ

ولا نسمع .. سوى النصرِ

فكل تمردٍ في الأرضْ

يزلزلنا

وكل يتيمةٍ في الأرضْ

إذا نادت نناصرها

سنخرجُ من معسكرنا

ومنفانا

سنخرجُ من مخابينا

ونعرفُ كيف نمسك قبضةَ المنجلْ

وكيف يقاومُ الأعزلْ

ونعرفُ كيف نبني المصنعَ العصريَ

والمنزلْ[1].

الشعب جمهور الصعاليك مستعد للتضحية وللثورة والمقاومة، وللخروج من المنافي والمخابئ للوصول إلى الغد المنشود.

ويسرد هنا عناصر الصعلكة، في حياة الفلسطينين، والتي تتمثل بأكواخ الدجى

---

(1) محمود درويش ـ الديوان ـ مجموعة أوراق الزيتون ـ ص141 ـ 145.

والاصوات المدهونة بالفوسفور، والدرب المظلمة السوداء وأرض مرمية دون زوادة، كناية عن الفقر و الجدب وشحوب المواسم، إنها رسالة إلى الأمة العربية وانتقاد ظاهر وخفي لها:

وماذا بعدُ

سمعنا صوتكَ المدهونَ بالفوسفورْ

سمعناهُ .. سمعناهُ

فكيف ستجعلُ الكلمات

اكواخ الدجى . . . بلور !

ودربُكَ كُله ديجورْ

وشعبك

دمعةٌ تبكي زمانَ النورْ

أما في قصيدة «عاشق من فلسطين»، فتبرز بجلاء وحيوية ملامح الصعلكة الفلسطينية، يشير إليها محمود درويش عبر مقاطع يكثر فيها الرمز والايحاء:

كلامكِ كان أغنيةً

وكنتُ أحاول الإنشاد

ولكن الشقاء أحاط بالشفة الربيعيةْ

كلامك كالسنونو، طار من بيتي

فهاجر باب منزلنا، وعتبتنا الخريفيةْ[1]

ثم يتابع مشيراً إلى سمات صعلوكية كثيرة، منها التشرد والفقر والسجن والمنفى والمعاناة:

رأيتك أمس في الميناءْ

مسافرةً بلا أهلٍ .. بلا زاد

ركضتُ إليكِ كالأيتام

---

(1) محمود درويش ـ الديوان ـ مجموعة عاشق من فلسطين ـ ص77.

أسألُ حكمةَ الأجداد

لماذا تُسحب البيارة الخضراءْ

إلى سجن إلى منفى، إلى ميناءْ

ويؤكد في مقطع شعري آخر على الحياة الصعلوكية لجماهير الفلسطينيين، فهم يعيشون في خوابٍ محطمة من الماء والقمح، مسكونة في شعاع الجرح والدمع، نائمة عند باب الكهف وفي قلب النار، وهي تكمن في الزرائب وفي دم الشمس وأغاني اليتم والبؤس، ذائبة في ملح البحر والرمل، في هذا الجو الصعلوكي المعاني تعيش فلسطين حالمة بالنصر والتحدي والثورة[1]:

رأيتكِ عند باب الكهفِ .. عند النارْ

معلقةً على حبلِ الغسيل ثيابُ أيتامكْ

رأيتك في المواقدَ .. في الشوارعِ

في الزرائب .. في دمِ الشمسِ

رأيتكِ في أغاني اليتمِ والبؤسِ

رأيتكِ مِلَء ملحِ البحر والرملِ

وكنتِ جميلةً كالأرض .. كالأطفالِ .. كالفلِ

وينتصر الشاعر الراحل موسى شعيب لجماهير الصعاليك الفقراء من بوابة سجن الرمل، وهو أصلاً ابن الجماهير الفقيرة المناضلة، يشجعها على التمرد والثورة والصعلكة المنجبة لا الصعلكة العاقرة،

السجن لنا، ولكم عربات المخملْ

الخبزُ اليابسُ للأيدي اليابسةِ السمراءْ

السجنُ لنا نحن الفقراءْ

المجدُ لنا نحنُ الفقراءْ ..

وغداً تعشبُ أقدامُ السجناءْ.

وشعيب يمثل جمهور الصعاليك، الفئة الفقيرة المكافحة، إنه الصراع الدائم

---

(1) محمود درويش ـ الديوان ـ مجموعة عاشق من فلسطين ـ ص80 و81.

بين ارادة الحياة والنضال لدى الفقراء والمسحوقين، والرغبة في الاستعباد والظلم عند المستبدين، إنما النصر في النهاية للصعاليك الذين يفترشون الأرض ويلتحفون السماء، ولكنهم مصممون على انتزاع حقوقهم بالصبر والتصميم.

قالوا .. سنطفئُ في فؤادكَ كلَّ شمسٍ مشرقةْ
سنميتُ في فمكَ الغصونَ المورقةْ
قلتُ اصلبوني واشنقوني
واجعلوا جسدي طعامَ المحرقةْ
سبابتي ستطلُ من خشبِ الصليبِ
ومن حبالِ المشنقةْ[1].

ويتابع شعيب انحيازه الواضح لجماهير الفقراء (الصعاليك)، ويخاطبهم مطمئناً إلى أنهم سيهبون ويثورون وسينتصرون لا محاله، لأن ارادة الشعب لا تقهر:

أوما دروا أن البلاد هنا في مهجة الشعب الذي قهروا
النارُ هبَّت في مرابعهم
وغزتْ حجور البغي تستعر
هي وثبةُ الفقراء فانطلقي
صعداً مسيرتنا لك الظفرُ
الموت والرعب الذي رصدوا
للبغض والمال الذي هدروا
للحب والأطفال مرجعه
وهم حثالات ستندثر
فمكانسُ الثوارِ جاهزةٌ
ومزابلُ التاريخ تنتظرُ[2]

ومن هم الصعاليك غير الكادحين والعمال والفقراء المشردين في الفيافي

---

(1) موسى شعيب ـ المجموعة الكاملة ص340 و341 ـ منشورات وزارة الثقافة العراقية ـ 1981م.
(2) المصدر نفسه ـ ص246 و247.

الصانعين مجد الحياة الباذلين دماءهم في سبيل الحرية، كما جاء في قصيدة عنوانها «رسالة إلى رغيف»

وأقسم بالدم الممتد جسراً بين قلبي والتواريخ القديمةْ

بزنود كل المتعبينْ

بعيون كل الظامئين إلى الحياة

الصانعينْ

مجد الحياة

قسماً بجرحك يا بلادي

سوف يندحر الطغاةْ

ويطل قرص الشمس من وجه الرغيف

يضيء فجر الكادحين[1].

ويتصور شعيب نفسه صعلوكاً مشرداً، عانى الفقر والحرمان، والتشريد والسهد، ثم سافر وتجول، إلا أنه عاد غريباً قد غلَّ به الجوع والبرد، ورمته المسافات بعد لأيٍ على قدمي أمه (التي هي الأمة العربية) وهو يمثل المواطن العربي المكافح الذي حالت بينه وبين تحقيق أمنياته أمور كثيرة.

على أشلاء تاريخي

تهاوت كل أقنعتي الزجاجية

وعدتُ إليكِ يا أُمي

غريباً غلَّ فيه الجوع والبردُ

وعشش في زوايا وجههِ

التشريدُ والسهدُ

تعبتُ، تعبتُ

يا أمي من السفرِ

(1) موسى شعيب ـ المجموعة الكاملة ـ ص388.

وهدَّ مفاصلي التجوالُ

عبرَ مدائنِ الضجرِ

ويا أمي

تسيَّبَ إخوتي في الأرض تشريقاً وتغريباً

هم الأطفالُ يغريهم

بريقٌ كان في عينيك مسكوباً

على أشلاء تاريخي

تهاوت كل أقنعتي الزجاجيةْ

ومن بين الركام الهش واذلي

رأيتُ مواكب الكسحاء من أهلي

تمِدُّ اكفَّها وتغوص في الوحلِ[1].

ثم يجمع ياسر بدر الدين صعاليك نيويورك في قصيدة واحدة، الصعاليك الفقراء الذين يتمردون على الفقر والحاجة ويتحدون ضد البرد والجوع، بل أنهم مجموعة شعوب طفيلية مختلفة الأعراق والأنساب، الباحثة عن المادة، هذه الاميركا الوباء كما يسميها والتي تعبد كل شيء إلا الله، هذه الأميركا لا يستريح الشاعر بقربها، جاء ذلك في قصيدة بعنوان «نيويورك المزهوة بنفسها»:

نيويورك .. هذه المزهوةُ بنفسها

مثل كاعب لعوبْ

المستعصيةُ على الرجال الرجال

الطامحة الطافحة

بالجريمة والأبنية

والممتلئة بكل شيء

هذه الناطحات

---

(1) موسى شعيب ـ المجموعة الشعرية ـ ص277.

التي تشمخ بحجارتها المتلألئة

على آلام النائم في «الجراند سنترال»

والذي يرتعد البردُ من برده

ويشبع الجوع أمام جوعه

هذه الشعوب الطفيليةُ

المختلفة الأعراق والأنساب

اللاهثة وراء المادة وأمامها

هذه الأميركا الوباء

التي تعبد كل شيء إلا الله(1)

ويلتقط الشاعر اللبناني المهجري من دفتر الغربة بعض ومضات صعلوكية، يكتشفها حيث هو في مدينة نيويورك وعلى مقربة من ناطحات السحاب، حيث يغدق على إحداها صوره الشعرية الجميلة، ويطلب منها أن تمنح المتصعلكين الفقراء الذين يعانون من آلام الجوع والذل وشظف العيش، كما يطلب منها أن تهب أناقتها للتعساء والمشوهين، وهم فئات من جماهير الصعاليك الذين يموتون من البرد والحرمان:

تسابقي واعلولي

أيتها الناطحة

أما تهبين بعض أناقتك وجمالكِ

مشوهي نيويورك وتُعساءها

أما تتخلين عن بعض دفئك

إلى الذين يموتون من البرد

على أعتابكِ وتحت قدميكِ

كل شتاء.

أما تمنحين شيئاً من ترفكِ

---

(1) ياسر بدر الدين ـ دفتر الغربة ـ ص40 ـ 42.

إلى من سامهم التقشفُ والشظف

ووسمهم بالذل والجوع.

عجيب أمركِ أيتها الناطحة

أنت لا تنطحين السحاب وحسبُ

إنكِ تنطحين الإنسان[1]

ويجمع الشاعر اللبناني يحيى فحص معظم أدوات الصعلكة في قصيدته «ترانيم للجرح المقيد» وهو يعبر بوابة باتر التي نقله العدو الصهيوني منها إلى سجن الريجي سنة 1982م، حيث يقول:

صرختْ باترُ

لا تعبرْ

فدربي موثقةْ

وتلالي

تعتعتها حُثلُ البغي

بروث السوقةْ

فاعترتني رعشة الحائر

لكني

تمردت على ذاتي

وخبث المشنقةْ

كلُّ همي أن أرى

في الشجر المثخن بالآلام

عصفوراً يغني

وأرى

كوخي الذي مازال مربوطاً

(1) ياسر بدر الدين - ديوان دفتر الغربة - ص83 - دار الساقي بيروت - ط أولى - تموز 1999م.

إلى مشنقة الجوعِ

ويحييه التمني

وأراها في بهاها

تغزلُ الريح بأهداب شذاها

كي يظل الوردُ مفتوناً

بما يبدع فني[1]

إن الشاعر هنا يمثل نفسه والآخرين الذين عانوا وصمدوا في الجنوب اثناء وجود العدو الصهيوني وبسبب اهمال السلطات المحلية له، وقد رسم الجو المتمرد المتصعلك الذي كان قائماً آنذاك، الدرب الموثقة والحيرة والتمرد، والكوخ المربوط إلى مشنقة الجوع، والجوع دليل الفقر والمعاناة، تلك كانت حياة المتصعلكين الثائرين المتمردين، وكان اعداؤهم همج رعاع أوغادٌ شذاد بغايا، جبناء ساديون، إنهم الجهة المظلمة في حياة الصعاليك:

كان حولي همجٌ أوغادُ

شذاذ بغايا وطرق

يُسكرون الشبق الأرعن

من نزف الحدق[2]

وفي ذاته الخاصة، صعلكة متفردة، يرمز بها من نفسه إلى الآخرين، المتمردين الفقراء، القابعين في الاكواخ، المتسكعين، الذين يستغيثون بآلامهم فقط، أصحاب الاحلام المهدورة المفتتة، الجوعى، العابرين إلى أفراحهم بلا رؤوس، كناية عن الحيرة والضياع، إلى هؤلاء ينحاز ومعهم يقف حتى لو كان جثة أو أشلاء تحت قبة الوطن المدمى ومع صعاليكه العراة المتمردين الفقراء، هذا ما تحكيه قصيدته بعنوان «رماد الأرق»:

اعذروني

ان نفرت من ذاكرتي

---

(1) يحيى فحص ـ وحده الناي ـ ص26 ـ 27 ـ شركة رشاد برس ـ بيروت ط1 ـ 2006

(2) المصدر نفسه ـ ص30.

إلى ملهى القلقْ
أو اتكأت على عكاز اللذهْ
لأسرقَ غفوةً من متسكعْ
هربتُ من استغاثات ألمي
إلى غابة الكرى
فأنا
من خطوتُ بكوخي الهرمْ
لأوقظ عصافير الريح
وقذائف الأرقْ
تفتتُ أحلامي
لأعود من اشلائي
عاري البصيره
تسبقني إلى وسادتي المهشمة بالضياع
وشوشات الجوعى
وإلى جثتي
مقل العابرين إلى أفراحهم بلا رؤوس[(1)]

ويمثل أبوه هذه الجمهرة من الصعاليك الفقراء الطيبين الثائرين على البكاء الجبان وعلى نقيق الزواحف، الداعين إلى التمرد على اولئك الذين يريدوننا ان نبقى أسرى، بل أن نقتات الأسر ونشربه، الأسر بشتى معانيه، أسر الخوف والظلم والفوضى والجبن، والشاعر يمثل نفسه هنا ويختار تلك الجمهرة المناضلة المتصعلكة، في أجوائها الخاصة، فالجنوبي عادة متصعلك فقير ثائر على الإهمال والظلم والتحيز، إذن هو مع مزمار الروح، ولفافة التبغ، وتعب الزنود، وليس مع اصحاب الأحلام الجوفاء والكلمات الفارغة.

---

(1) يحيى فحص ـ وحده الناي ـ ص83 ـ 84.

قال لي[1]:
قبل أن يمزق بعتبهِ
أوراق عودتهْ
لا توقد الدمع
بأنني شوقك المحترق بالحب
فالبكاء الخائفُ
لا يُنبِتُ الينابيعْ
ولا يزيل فوضى الأرقْ
ونقيقَ الزواحفْ
وقال:
ما يريحني الصمت الحارقْ
وما يزعجني تأوه المارقينْ
فاحترق بالصمت حتى التوهجْ
ولا تبالِ بحشرجات المارقين
هنا ... وهنالك
يريدنا أن نبقى أسرى
أن نقتاتَ الأسرَ
أن نشربَ الأسر
وأنا اخترت مزماري
وأبحرت مع لفافة التبغ
وتعبي ... لن أعود
إلى سمائكم المضاءة بالصراخْ
لأني

---

(1) يحيى فحص ـ وحده الناي ـ ص89 ـ 91.

لا أريد لدمي النقي

ان يُداس بجثث الباعةْ

وأنتم

تمضغون حلمكم الجميلَ

سكرى

على مائدة الكلامْ

أما **محمد الفيتوري**، فمنذ تفتحت عيناه على الشعر وهو نصير الصعاليك الفقراء المشردين المعذبين في قارته السوداء التي شهدت ومازالت تشهد فصولاً من التمييز العنصري القائم على اللون، فاستمع إليه يتحدث عما كان عليه ابناء شعبه وجلهم من الصعاليك الفقراء قبل الاستقلال، وعما أصبح عليه بعد أن انتفض وتمرد:

| | |
|---|---|
| يـا أخـي فـي الـشـرق وفـي كـل سـكـن | يـا أخـي فـي الأرض فـي كـل وطـنْ |
| إنـنـي مـزقـت اكـفـان الـدجـى | إنـنـي هـدمـت جـدران الـوهـنْ |
| لـم أعـد مـقـبـرة تـحـكـي الـبـلا | لـم أعـد سـاقـيـة تـبـكـي الـدمـن |
| لـم أعـد أعـبـد قـيـودي لـم أعـد | عـبـد مـاضٍ هـرم، عـبـد وثـن |
| أنـا حـي خـالـدٌ رغـم الـردى | أن حـر رغـم قـضـبـان الـزمـن[1] |

ثم يخاطب الفيتوري افريقيا، بلاد العبيد الصعاليك، الزنوج، الحفاة العراة الجياع، متسائلاً عن الطريقة التي يعيش فيها هؤلاء الصعاليك ضد البيض، الذين يستعبدون السود الجياع بمالهم وثرواتهم متى وجدوها في بلاده، وقارته التي هي حضنه الدافئ:

متى أجدُ المالَ؟ كي أشتري حذاءً وكلباً وثوباً جديد

وامضي إلى أرض افريقيا لأصطاد قافلة من عبيد

فإني امرؤ أبيض كالثلوج ولست عظيماً .. لأني فقير . . .

ثم ينادي بلاده بشوق المحتضن لجماهير الصعاليك العراة الذي سلبهم المستعمر ثرواتهم، وعاش على موائدهم وهم له خدم وعبيد، وما لبثوا أن تمردوا

---

(1) أحمد أبو سعد ـ الشعر والشعراء في السودان ـ أغاني افريقيا ـ ص135 ـ دار المعارف بيروت ـ 1959م.

وتصعلكوا وانتفضوا مرددين أغانيَ مثقلة بالحيوية والبطولة، حتى غدت وجوه العبيد الصعاليك تقهقه وتسخر حول نعوش الطغاة الظالمين، وأشرقت شمس الزنوج في أفريقيا المحررة:

بلاد الكنوز افريقيا يا بلاد الزنوج الحفاة العراة
سآتيك يوماً كغازٍ جديد يريد الغنى ويريد الحياة
كذلك عشتِ ألوف السنين تخرِّين فوق خطايا وثَنْ
إلى أن تسلَّلَ ضوء الصباح إليكِ فمزقتِ عنك الكفن
وقمت كما ردةٍ تتلقى الضحى وتحوِّلُ مجرى الرياح
وتحفر تاريخها من جديد على جبهة الشمس حفر الجراح
فهل تسمعين أغاني الزنوج تدوي مثقَّلة بالحياة
وهل تبصرين وجوه العبيد تقهقه حول نعوش الطغاة؟[1]

ويتحدث الشاعر السوداني صلاح إبراهيم باسم صعلوك إفريقي، فقير جائع، مشرد، سرعان ما تدب فيه النخوة فيتمرد ويثور، انتقاماً لواقعه المزري، الذي هو واقع معظم الافريقيين السود، والتماساً لغد مشرق عزيز، ينال فيه حقه وحريته ويستعيد ثرواته من أشداق المستعمر الغاشم:

يا مَريَّة .. أنا من افريقيهْ:
صحرائها الكبرى وخط الاستواءْ
شحنتني بالحرارات الشموسْ
وشوتني كالقرابين على نار المجوسْ
وأنا منجم كبريت سريع الاشتعالْ
يتلظى كلما اشتمَّ على بعد: تعالْ
يا مريَّه:
أنا من افريقيا جوعان كالطفل الصغيرْ
وأنا أهفو إلى تفاحةٍ حمراءَ

---

(1) الشعر والشعراء في السودان ـ ص140.

من يلمسها يصبح مذنبْ

فهلمي ودعي الآلهة الحمقاء تغضب

وانبئيها:

أنها لم تحترم رغبة نفس بشريةْ

أي فردوس بغير الحب كالصحراء مجدبْ[1]

ونراه ينجح في عرض نماذج من الصعاليك البسطاء الجائعين الفقراء في السودان، وهي عبارة عن مجموعات فقيرة مجهدة، تمثل أقسى حالات الصعلكة، حيث يقول:

كل فتى كالحبشي الحي في انطوائه، حتى إذا ثار

طغى فأغرقا

وكالبشاري يقوده الصغير بالمعروف،

إذا اغتاظ دق العنقا

أعرفهم، الضامرين كالسياط، الناشفين من شقا

اللازمين حدهم، الوعرين مرتقى.

أعرفهم كأهل بدر شدة، ونجدةً

وطلعةً خلقا[2].

هؤلاء هم الصعاليك الفقراء الذين يشير إليهم الشاعر صلاح أحمد إبراهيم، هم ضامرو البطون من الجوع، متمردون وعرون، إلا أنهم كأهل بدر في الشدة والنجدة والخلق.

وتبدو مدينة الخرطوم عند الشاعر إبراهيم مدينة لها شخصية متفردة رغم فقرها، واختلاف الأجناس فيها، ورغم الحزن الذي يغشى ـ كالغبار ـ بعض ملامحها التي لا تبتسم إلا بقدر، ومع ان الشعراء السودانيين لم يغفلوا الكتابة عن العالم خارج المدن، ومع إعجابهم بشخصية الفتى «المهجاري» الذي يذكر

---

(1) الشعر والشعراء في السودان ـ ص181.

(2) د. عبده بدوي ـ الشعر في السودان ـ ص202.

بصعاليك العرب، إلا أن الواضح أن الذي أغنى هذا الجانب كان الشاعر صلاح أحمد إبراهيم، فقد التفت إلى القهر والعذاب الذي يعانيه الفلاحون (وهم فئة من جماهير الصعاليك)، وبخاصة حين حاول بعض مزارعي «جودة» التأكد من أن ما يعطونه من أثمان القطن صحيح، فكان أن زجَّت السلطة بمائتين منهم في مكان ضيق، بحيث لم يأت عليهم الصباح إلا وهم موتى، فكان أن صرخ الشاعر عالياً، متحدثاً عن معاناة هذه الفئات المتصعلكة أساساً، لأنها علاوة على الفقر والتشرد والجوع والضياع الذي تعيشه، فإنها تقابل بالتنكيل الذي وصل حتى حدود القتل:

لو أنهم حزمةُ جرجير يعدُّ كي يُباع
لخدم الافرنج في المدينة الكبيرةْ
ما سلخت بشرتهم أشعة الظهيرةْ
وبان فيها الاصفرار والذبولْ
بل وضعوا بحذر في الظل في حصيرةْ
وبللت شفاههم رشاشة صغيرةْ
وقبَّلت خدودهم رطوبة الأنداء
والبهجة النضيرةْ.

ويتعجب الشاعر من الاستهانة بهؤلاء الفقراء البسطاء الصعاليك، الذين نكل بهم واعتبروا أرخص من الحيوانات، فلو كانوا فراخاً لكان يجب أن يوضعوا في مأمن من الهواء، ويقدم لهم الحب والماء، ولكنهم رعاع، قبائل دونية، صعاليك من الحثالات الذين أوغل الاقطاعيون في ظلمهم والتنكيل بهم، وسملت عيونهم، في الوقت الذي يعاقر فيه الحاكمون السكر والخمرة، والعبث والمجون:

لو أنهم فراخ
تصنع من أوراكها الحساء
لنزلاء الفندق الكبير
لوضعوا في قفص لا يمنع الهواء
وقُدِّمَ الحَبُّ لهم والماءْ
لو أنهم

لكنهم رعاع

من الزريقات

من الحسينات

من المساليت[1]

من الحثالات التي في القاع

من الذين انغرست في قلوبهم براثن الإقطاع

وسملت عيونهم مراود الخداع

وفي المساء بينما كان الحكام في القصف وفي السكر

وفي برود بين غانياتِ البيض ينعمون بالسَّمرْ

كانت هناكْ

عشرون دستة من البشرْ

تموت بالأرهاق

تموت بأختناقْ[2].

وبشكل عام فالحديث عن المعاناة والفقر والمرض يغطي معظم دواوين الشعراء السودانيين، كذلك نلتقي بنماذج جديدة تدل على روح الفقر والتعب، نماذج يقال فيها: الشعر كضاربة الودع، وأم الأحاجي، والحلاق وماسح الاحذية، والشيخ برغوث، وبائعة الفول، وما أكثر ما نجد قصائد تحمل عنوانين مثل: الفقر الأبله، بستان فقير، البيوت والمقابر، إلى أطفال المساكين[3].

ولعل الشاعر **محمد الفيتوري** اكثر الشعراء السودانيين برماً بوضع السودان، كانت مأساته الحقيقية أنه ساخط على انتسابه إلى الإفريقيين، «.. هو في صميمه يكرههم ويكره انتسابه إليهم، هذا الواقع برغم كل ما قال في سبيلهم وسبيل قضيتهم، وما نظم بحقهم، فهو حاقد على القدر الذي قضى عليه أن يكون أحدهم، ويتمنى لو لم يكن، وهو متبرم ساخط حاقد على كل ما جرَّ عليه هذا

---

(1) الزريقات والحسينات والمساليت: أسماء قبائل.

(2) د. عبده بدوي ـ الشعر في السودان ـ ص201 ـ 202 ـ 203.

(3) د. عبده بدري ـ الشعر في السودان ـ ص195 ـ 196.

الانتساب من مهانة واحتقار وتعذيب واضطهاد، فاذا كان قد نصب من نفسه مدافعاً عنهم، فهو إنما يحاول أن ينتقم لنفسه.

وهنا يصور افريقيا قارة للصعلكة المتمثلة بالفقر والمعاناة والضياع والتشرد، وكل ملامح الصعلكة متوفرة في هذه القارة السوداء.

لقد تمنى الفيتوري لو لم ينتسب إلى هذه القارة الخاملة الخائرة الضائعة، العارية من كل مجدٍ وسؤدد، الراضية بالهوان والذل، واللاعقة أحذية المستعمر، المصدرة لقوافل الرقيق، الهازئة بالقيم الرفيعة، المعتوهة، الجوعانة، الكسيحة، مصفره الاشواق، الأَمة[1].

إلا أن هذا الصعلوك الكبير ما لبث أن تململ وثار، وما زال يكافح ضد الفقر والتمزق والاستعمار والغربة الداخلية.

وأقسى ما كان يعانيه في صعلكته هذا الاذلال للزنوجة فيه، عندما كان ينظر إلى الحيين المعروفين في الخرطوم، الحي العربي والحي الافرنجي في مفارقة واضحة، كما يقول الشاعر السوداني محمد المهدي مجذوب:

سهرتُ و«الديم» طبلٌ إذا تهادى يقومُ
راياته ليس تُخشى لوماً ومن ذا يلوم
جهل وفقر وسكر فيه الغنيُّ عديم
فقر لزيم وحبٌ وأين مني الحبيب
حي الفرنجة حيٌّ وكم تموت الديوم[2]
وأجنبي قيم ومني قيد مقيم[3]

وكما كان الفقر عند الصعاليك مشاع بينهم، كذلك كان بين صعاليك الخرطوم كما يقول محمد مهدي محجوب:

خسرتُ وما أسفي معي رفاقٌ على فقر نكابده مشاعُ[4]

وبشكل عام، فان صورهم لم تكن للزينة، حتى عند شعراء الوجدانية الذين

---

(1) د. محمد النويهي الاتجاهات الشعرية في السودان ـ قصيدة البعث الافريقي ـ ص158.

(2) الدِّيوم: تطلق على الاماكن الشعبية

(3) محمد المهدي محجوب ـ الشرافة والهجرة ـ ص38 و39 ـ عبده بدوي ـ الشعر في السودان ـ عالم المعرفة ـ ص194.

(4) د. عبده بدوي ـ الشعر في السودان ـ ص195.

ظهروا بعد فشل ثورة 1924م، والذين تميزت قصائدهم بطاقة كبيرة من الحزن والحنين إلى الوطن والتعلق به.

إلا أننا مع شعراء الاساليب الواقعية[1] في أمر آخر، كانت صورهم لحم القصيدة ودمها، ولما كانت الحياة من حولهم خشنة، فأننا نرى هذه الصور تمثل واقعهم من الداخل ومن الخارج، تمثل حياة الصعلكة التي يعيشونها ويعانون منها، ويحاولون ان يتمردوا عليها وينتقدوها، بل يمكن القول أنهم كانوا يحسنون تقديم صور الدمامة أكثر من صور الوسامة، وصور الفقر أكثر من صور الغنى، ورغم ذلك، فقد كان هذا الشعر متعاطفاً مع الطبقات الفقيرة البائسة المتصعلكة، ويأخذ أدواته ووسائله من علم الناس الطيبين البسطاء ويعطيهم أملاً بالمستقبل وبالتخلص من القهر والمعاناة[2].

وإذا كان هؤلاء الشعراء السودانيون الواقعيون في الخمسينات قد حركوا ركود القصيدة العربية، وملؤوها بالغضب والتمرد والثورة والعنفوان، مبتدئين ثورتهم من واقعهم الحزين، من حياة الصعلكة الدامية التي كان يعيشها كثير من الناس، فإن هذه الموجات قد صبت غالباً في نهر كبير اسمه افريقيا، علماً انهم قدموا لنا الشوارع الخلفية في القاهرة، وقدموا جوانب من الريف والمدينة في السودان، وأنهم توعدوا القراصنة ومصاصي الدماء وسالبي مال الشعب والمستأثرين بثرواته وإمكاناته، كما أنهم نالوا من رجال الخرافة والكهنوتية باسم المظلومين الفقراء والصعاليك المشردين، وسرعان ما صبّت هذه الروافد في افريقيا النهر العظيم الخالد، إذ أصبحت افريقيا رمزاً لتمزقهم وضياعهم وغليانهم ومعاناتهم، يعيشون فيها كالصعاليك مفتشين عن أنفسهم، عن حياتهم التي يتمنونها، وقد جعلها (افريقيا) الفيتوري معادلاً لمعاناته وحزنه، وقناعاً يصرخ من ورائها، ويثور ويتحدى ويحقد، فلنسمعه في هذه النونية الجارفة ممتلئاً بالأسى والمرارة والحزن:

لتنتفض جثة تاريخنا ... ولينتصبْ تمثالُ أحقادنا
آن لهذا الأسود المنزوي ... المتواري عن عيون السنا

---

(1) ظهرت الواقعية في الشعر السوداني بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وبعد ان استنفد الشعر الرومنطيقي اغراضه وظهرت الحركة التقدمية في البلاد سنة 1948م مع بداية الاصطدام الوطني بالمستعمر. (أحمد ابو سعد ـ الشعر والشعراء في السودان ص23).

(2) د. عبده بدوي ـ عالم المعرفة ـ الشعر في السودان ـ ص226.

آن لـــه أن يـــتـــحـــدى الـــورى
آن لـــه أن يـــتـــحـــدى الـــفـــنـــا
فـلـتـنـحـنِ الـشـمـس لـهـامـاتـنـا
ولـتـخـشـع الأرض لأصـواتـنـا
إنـا سـنـكـسـوهـا بـأفـراحـنـا
كـمـا كـسـونـاهـا بـأحـزانـنـا
أجـل .. فـإنـا قـد أتـى دورنـا
أفـريـقـيـا ... إنـا أتـى دورنـا

بهذه اللهجة العارمة الثائرة ينتفض الصعلوك الافريقي، ويقرر ويشمر عن ساعد الكفاح وانتزاع الحقوق والثروات والحريات، جاء ذلك بلسان شاعرها الفيتوري[1].

وكما الفيتوري كذلك محي الدين فارس، إلا أن فارس يعقل هذا الطوفان من الأحقاد، فأفريقيا آخر الملحمة، وثورة مجنونة متصعلكة تناضل لغدها ليكون مشرقاً مضيئاً:

افريقيا المضيئة المظلمة
افريقيا يا آخر الملحمةْ
يا ثورة مجنونة في الدجى
تأهبت للجولة القادمةْ
لم أكره الأبيض لكنني
كرهت منه الصفحة المعتمةْ
فلونه ... كلون قلبي .. وفي كفيه كفي
غنوة ناعمه[2]

ويشير الشاعر السوداني محمد فضل السيد إلى الغضب الافريقي بقصيدة عنوانها (متمرد) وهو الصعلوك السوداني الذي يمثل افريقيا الغنية الفقيرة في آن والذي كان نائماً ومخدراً، لكنه سرعان ما أكمل صعلكته فتمرد نافضاً عن نفسه أردية الخوف، لابساً دروع الشجاعة والبسالة والقوة، ثائراً على الفقر والجوع والعري، وعلى الحكام الظالمين وأعوانهم:

متمرد ..
دعه ينام

(1) أغاني افريقيا. لمحمد الفيتوري سنة 1950م ـ د. عبده بدوي ـ الشعر في السودان ـ ص218.
(2) د. عبده بدوي ـ الشعر في السودان ـ ص219.

دعْهُ ينام .. متوسداً قلب الظلامْ
أرضعه بالضرع المخدر للعظام
جلجل له الأجراس .. غرِّزْهُ .. ينام
بالأغنيات الجوُف هَدْهده .. ينام !
وإذا تمرد أن ينامْ
أجلب له كل الهوامْ
إنهشه حتى لا يعود إلى الطعامْ
أَردمْ عليه بما استطعت من الركامْ
لكنه ابداً تمرَّدَ أن ينامْ
لأنه بلغ الفطام
من قبلُ كم من كاهن صليً أمام
صّلى .. وقال له السلام
ولم يجد إلا السهام
هو قد وعى ..
هو قد رأى
هو لم يعُدْ يُلهى به مثل الدُّمى
هو لم ينم
هو قد تدثَّر
بالأرق
هو لم يعد طفلاً ..
تغرره عرائس من ورقْ!
كلا ..
ولن يخشى خفافيش الشفق
هو قد تدرب كيف يغفو
تحت طوفان العَرَق

هو لم ينم

لكن غفى

ليقوم قومته، ليستلَّ الحياة من العدمْ[1].

تماماً، تمثل هذه القصيدة صعلوكاً مخدراً طفلاً، ما لبث ان شبَّ وبلغ الفطام، بعد أن استعملت في وجهه كل وسائل القهر والعبودية، وتناوشته السهام والهوام، ومر عليه أكثر من مستعمر ظالم، لكنه استيقظ ووعى، وأعلن ثورته وتمرده، كي يستل الحياة من العدم، كي يقضي على جوعه وفقره وعريه وغربته وتشرده.

ومن ناحية أخرى ينظر الشاعر محي الدين فارس إلى الصعلوك نظرة مختلفة يراه مستهتراً، جائعاً إلى كل شيء، متمرداً على كل شيء أيضاً، جاء ذلك في قصيدة له عنوانها «صعلوك» يقول منها:

لـــيـــلـــي نـــيـــوب جـــائـــعـــة ... تـــطـــلُّ مـــن غـــيـــر ســـتـــورِ

اســـراب حـــــور وجـــــدارِ ... يـــركـــعـــن مـــن حـــول ســـريـــري

أظـــل والـــظـــلـــمـــة ســـوق ... أشـــمـــم عـــطـــر الـــمـــاخـــور

حـــتـــى إذا انـــســـل شـــعـــاع ... لـــلـــفـــجـــر مـــن حـــبـــل الـــتـــنـــور

ولاح مـــن خـــلـــف ضـــبـــاب ... قـــصـــري كـــبـــرج مـــســـحـــور

أعـــود والـــلـــيـــل جـــبـــانُ ... يـــلـــمُّ خِـــيـــم الـــديـــجـــور

ظـــمـــآن ظـــمـــآن .. نـــهـــاري ... جـــوع .. كـــلـــيـــلـــي الـــمـــخـــمـــور[2]

ويفيض الشاعر السوداني «الهادي آدم» بالحديث على كثير من الظواهر الاجتماعية التي برزت عند الشعب السوداني، من خلال تدفق وجداني متفجر، وقد شغلته ظاهره الفقر، وحياة ابناء مجتمعه الذين عاشوا صعاليك في وطنهم، فتعرض في إحدى قصائده لظاهرة استجداء الطعام من ركاب القطارات وهي ظاهرة شائعة هناك، يقول الهادي مصوراً حياة مجتمعه الصعلوكية، القائمة على الفقر والحاجة والتشرد، والحيرة وهذا ما لمسه الهادي آدم فلنسمعه يقول مخاطباً القطار[3]:

كـــم طـــويـــتَ الأرض مـــا بـــيـــن صـــبـــاح وأصـــيـــل

---

(1) الشعر والشعراء في السودان ـ ص178 و179.

(2) المصدر نفسه ـ ص170.

(3) د. عبده بدوي ـ الشعر في السودان ـ ص186 و187.

وحملت الناس في ظهرك جيلاً بعد جيل،
جُمعتْ فيك البرايا من أصيل ودخيلِ
قد جرى أبي خلفك في الماضي الطويل
وأنا خلفك أعدو أبتغي بعض الرغيف

هكذا .. أجيالٌ صعاليك وراء أجيال تسعى خلف الرغيف، في ذلك المدى الافريقي المناضل البائس في وقت واحد.

قيل أطفال، ولكن أين أطفالك مني ؟
لم أعد منهم وإن قاربهم عمري وسني
هم دُمى ترفل في النعمى فتشدو وتغني
وأنا خلفك أعدو، أبتغي بعض الرغيف!

هنا يميز الهادي آدم بين أطفال الاغنياء المترفين، والصعاليك الفقراء الجائعين الذي لا يجدون بعض الرغيف في وطنهم، وطن الفقر الاجتماعي.

ويميل الشاعر السوداني «جيلي عبد الرحمن»[1] إلى الشعراء الصعاليك الفقراء ويتحدث عن ملامحهم بوضوح في قصيدته «أطفال حارة زهر الربيع»:

حارتنا مخبوءة في حي عابدينْ
تطاولت بيوتها كأنها قلاعْ
وسُدَّتِ الأضواءَ عن أبنائها الجياعْ
للنور والزهور .. والحياةْ.
فاغرورقت في شجوها وشوقها الحزينْ
نوافذٌ كأنها .. ضلوع ميتينْ
وبابُها عجوزْ

اذن. سكان هذه الحارة فقراء صعاليك هائمون، حتى عناصر الحارة واست شخصيتها في معاناتهم فحزنت واشتاقت ودمعت عيونها حزناً وتقوس بابها حتى بدا كالعجوز.

وليس لهؤلاء الفقراء الصعاليك إلا الله، يبتهلون إليه، ويتضرعون، لكي يهبهم الرزق الحلال، ويفتح لهم أبواب السماء:

---

(1) د. عبده بدوي ـ د. أحمد ابو سعد ـ الشعر والشعراء في السودان ـ ص112.

وفي البكور يخرج الرجالْ

أقدامهم منهوكة. وصمتهم سعالْ

يدْعون للإله في ابتهالْ

يا إلهْ

إفتح لنا الأبواب .. وسهِّل الأرزاقْ

وتختفي أقدامهم في زحمة الحياةْ.

ثم يتابع جبلي حديثه عن مجتمع الحارة في الربيع، مجموعة صعاليك ينحتون ويكدحون، تعبر عن ذلك أقدامهم المعروقة من قسوة العمل، وصمتهم الدامي كالسعال:

وحين عاد كالأسى الرجال

أقدامهمُ معروقةٌ .. وصمتهم سعال

وحطَّ كالغيوم في حارتنا الظلام

تناغت العيالُ في الأعشاش

يسألون في العشاء عن قصور

وراكب الحصان في الميدان

وانهمرت دموعهم في زهرة الربيع

وتبقى البحبوحة والترف والغنى مجرد أحلام في عيون أطفال الفقراء الصعاليك، يتمنونها، وآباؤهم يتمردون ولكن بصمت، يتمردون بالعمل والتعب في أرض ذلك الحي المرهق بسعال العمال المكافحين جاء ذلك في هذه الاقصوصة التي تحمل أكثر من معنى:

«محمدٌ» يحكي لهم في لثغة العصفورْ

عن راكب الحصان في الميدانْ

والماء من نافورة بيضاءْ

ينساب للسماء

والشجر المخضوضر الكثير ...

حارتنا يا إخوتي تمتد كالثعبان

ووالدي هناك عبر شارع مسحور

بيوته قصور

يبيع في ملابس النساء والرجال

وصاحب الدكانْ

«خواجةٌ» دماؤه حمراء كالبطيخ

فقالت الأطفال «يا سلام»[1]

ويتابع الشاعر جبلي عرض صور هذا المجتمع الصعلوكي الفقير في إيماءاتٍ معبرة، تحكي معاناة الطبقة المسحوقة ورغبتها في الانعتاق من ربقة الفقر والحاجة:

وأطرقت «ياسمين» في براءة الملاكْ

لتقطر الكلام مثل زهرة تفوح

أريد من أبيك يا محمد فستان

وهام في وجوههم سؤالْ

وانزلقت عيونهم في ثوبه القديمْ

وطافت الهموم فوق رأسه الصغير

ورفَّتِ الدموع[2].

ويتألق الشاعر الدكتور **ياسين الأيوبي** في قصيدته «مناجاة الزمن القادم من خلف الركام»، في تحديد صورة ومعالم المجتمع الذي يعيش فيه، والذي تنتابه مظاهر الصعلكة بمعظم وجوهها، فهو موثق بالليل، لا يعرفه الليل ولا نجمته العزلاء النائية، وهو يموء من حوله، ولا منفذ للحرية في ظل الأحلام النائمة المفعمة بالأسرار، وهو علاوة على ذلك بين يدي الريح يذروه هشيماً وتصاوير عليلة لا تنتج وطناً معافى.

---

(1) أحمد أبو سعد ـ الشعر والشعراء في السودان ـ ص114.

(2) الشعر والشعراء في السودان ـ ص114.

إنها مظاهر صعلوكية سلبية يحاول الشاعر أن يحولها إلى إيجابيات، ولكن ما عاد لِلَّيلِ احتياجاتٌ ولُمَعْ، والأطيار عادت قبل أوانها إلى الاوكار، كدليل على ضيق مساحة الحرية في الوطن، وندرة الخير فيه وقلة وسائل العمل:

الليل لا يعرفني
والنجمة العزلاء لا تعرفني
الليل من حولي يموء
وطاقة الجدار قد سُدَّتْ بإحكام
أمضيتُ عمري كلَّه
أصحبه، قيثارة ساجعة
في هدأة الأحلام
أحضنه حزمة أسرارْ
وجداً وتحويمةَ تَذْكار
هل نضبت فيَّ التواريخ الحميمة
وانطفأت أصوات هاتيك الرؤى الزرقاء؟
من أسلمني للريحِ
تذروني هشيماً، وتصاوير سقيمه
من ذا الذي أوقد ناراً
تحت قدر النجمة العزلاءْ
واغتال موهون الضياءْ
يا للتقاسيم الشرودات الحزيناتْ
ما عاد لليلِ احتياجات
تباكي الوتر الناحب في شدو المساءْ
هجعَتْ الأطيار في أوكارها
قبل حلول الظهر[1]

---

(1) د. ياسين الايوبي - ديوان قصائد للزمن المهاجر - دار الرائد العربي - بيروت - 1983 - ص37 - 40.

ويؤكد الشاعر على مقولته السابقة، ويرسم موطنه المتصعلك الذي يعيش لحظات القلق، البؤر الصعلوكية ماثلة في النص هنا وتتمثل في (الليل ـ الضياع ـ الاغراب ـ السفر والتشرد والاغتراب ـ الأحزان) وسرحة الخاطر التي تدل على التأمل والقلق، إسمعه يبوح بوجده الطافح في هذه الأبيات:

الليل لا يعرفني

ضيعني بعد اغترابي

عن وطن التسفار

عن قلم يسطر أحزاني وأسماري

وسرحة الخاطر[1].

وتكتمل ملامح الصعلكة في شعر د. ياسين الايوبي، عبر هذه الموجات من القلق والاغتراب والاضطراب، إنها مشاريع للتمرد من اجل الوصول إلى الحلم المنشود:

أمسيتُ يا ليلي غريباً

عن دروبي وخطاي

بيني وبيني برزخٌ

مضطرب الموج عصيّ

هيهات أن أعبرهُ

في قدرتي أو مشتهاي.

وتكتمل معالم الصعلكة عندما يُعرف الخصم الذي يجب الوقوف في وجهه:

جانبني الصوت الذي كنتُ الصدى

أسلمني لناعقٍ يسلخُ سمعي والمدى

أنكرني الصمت الذي طال تغنيهِ

بأطياب هيامي

أورثني الدوار والصخب المدوي

---

(1) د. ياسين الأيوبي ـ ديوان قصائد للزمن المهاجر ـ ص39.

في تشاغيب عظامي.

والتذكر، وجهٌ آخرُ من وجوه الصعلكة، التي تشير وتحفز، وتخلق الأجواء لاستعادة الحدث والرد عليه:

ما عدتُ يا ليلي أناجيك

بجفن الدالية

والنهدة الحرى تلظى

في ضمير الساقية

مرّغتُ إحساسي

وأقفلتُ على نفسي

وصاحبت زماناً بائساً

أودعته يأسي وإيناسي

دوَّنْتُ في كرَّاسِهِ

سُقمُ نهاراتي، وأورام المآسي[1].

ويضم الشاعر اللبناني عبد الكريم شمس الدين صوته إلى جانب الفقراء العراة الصعاليك المتمردين على ما هم فيه، جاء في قصيدته «آخر الكلمات»:

آخر الكلمات قصيدة حبٍ

أقدمها للذين يموتونَ

في كل يوم ولا يسقطون

لكل الذين يقولون لا

ولا ينحنون ..

لكلِ الجياعِ وكل الحفاة

وكل العراة

لكل الذين يمدون أجسادهم

---

(1) د. ياسين الايوبي ـ ديوان قصائد الزمن المهاجر ـ ص40 و41.

معبراً للحياة[1].

إلا أن هؤلاء الجياع الصعاليك العراة سيثورون ويتمردون ليقضوا على الجوع والتشرد، جاء ذلك عبر قصيدة للشاعر عن معاني كربلاء:

وغداً ستزهر كربلاء

في القلوب وفي الضلوع

وغداً ستخرج كربلاءَ

من متاهات الدموع

وتثور أجيال الجياعِ

فليس بعد اليوم جوع

من كل حبات الرمالِ

من الصحارى والسهول من الجبال

ومن أولئك المناضلين المتمردين على اسيادهم، وعلى الظلم والعدوان:

من كل خاصرة تعانقها الخناجر

من كل قاصرة خطت فوق المحاجر

من كل جفن غارق بالدمعِ

أو بدمٍ سيطلع ألف ثائر[2].

ويؤكد على ثباته وانحيازه لجماهير الفقراء الصامدين المناضلين (وهم برأيي صعاليك المجتمع) ـ في قصيدته وحدك شامخه، وقد كتبها في أحد ايام الحصار والعنف الصهيوني على جنوبنا الحبيب، وهو صامد تحت النيران والحرائق متجذر في منزله وأرضه:

استوطنك لأني

اتساوى في حبك والفقراء

في عتم الليل

---

(1) عبد الكريم شمس الدين ـ ديوان آخر الكلمات ـ ص153.

(2) عبد الكريم شمس الدين ـ آخر الكلمات ـ ص148.

يختزلون جراح الحب وياتون صلاةً

تمتد من الغسق إلى وغْدِ الفجر

ويرتحلون مع الأحلام المنتهيةْ

كالطير وقد أخذت ريح الحرب عليها

كلَّ جهات الأرض فلا تدرك مأواها[1]

وينفي الشاعر في قصيدته ـ (أخبروا عنك) ـ صفة الرعاع والشتات عن الثائرين والفقراء والجائعين الصعاليك، المناضلين في جنوبنا الحبيب ووطننا ضد القهر والظلم والصهيونية، وصفة الرعاع إحدى التسميات التي يمكن ان نعتبرها من اسرة الصعاليك، حيث نُعت بها هؤلاء قد يماً من قبل المؤرخين وأصحاب السلطة غضاً من شأنهم، وتعريضاً أو تبخيساً لأدوارهم في الحياة، هؤلاء نسميهم ضمناً صعاليك القوم، لأنهم جاعوا وافتقروا وتشردوا وتمردوا أيضاً على غاصبيهم، إنهم مجموعة افراد الشعب الذين ما اعتادوا الهوان ولا ألفوا الذل، يقول الشاعر عبدالكريم:

لن يموت الثائرونْ

لن يموت الجائعونْ

من يسمون شتاتاً ورعاعْ

من على أشلائهم تُبنى حصون وقلاعْ

لن يواريهم تراب أو سجونْ

فهم الضوء الذي تحيا به كل العيونْ

وهم الشعب الذي ليس يهونْ

وهم البحر الذي إن ثار لا يُبقي شراعْ

من يُسمون رعاعْ

لن يموت الحاملون

فوق اكتافهم ثقل القرون[2].

---

(1) عبدالكريم شمس الدين ـ آخر الكلمات ـ ص18 و19.

(2) عبد الكريم شمس الدين ـ آخر الكلمات ـ ص76.

ثم يؤكد الشاعر في القصيدة نفسها على أولئك الذين احترفوا مهنة الصعلكة، فكانوا متمردين ثائرين فقراء مشردين ظُلموا ونُكِّل بهم، فعاشوا حيارى مجردين مما في الحياة من ترف وجمالات لذلك سعوا إلى انتزاع حقوقهم وثرواتهم وأرضهم من المغتصب الخارجي والآخر الداخلي المتمثل بالمحتكر والمستقل والمرتشي وغيرهم ممن تلاعبوا بحقوق الشعب وثرواته:

أخبروا عنكَ فقالوا لم يعد فيكَ

من الإنسان ما يحنو ويرحمْ

لم تعدْ من فئة عاشت لتظلمْ

أنك الإعصار والتيَّار والنارُ ولكن تتألمْ

للحيارى

للذين اجتاحهم ظلم الرعاةْ

للأسارى

للذين امتنعت عنهم جمالات الحياة

وهم من بذلوا من ذاتهم كل حياة[1]

إن المغتصبين مال الشعب وثرواته، والآكلين خبزه حتى جاع، والشاربين ماءه فعطش، هؤلاء هم الذين دفعوه إلى التصعلك دفعاً، فأفقروه وعروه وسلبوه حقوقه، يجسدهم الشاعر شمس الدين في رجل واحد، رمز لهم:

ويعلن من حبسَ المالَ

وحدي الذي سيحقق الرجاء

ويمنحك المجد والكبرياء

ويمنع في الناس ذلا وفقرا

ويلغيكَ من خانة الأشقياء

يشِيدُك قصراً لأحلامه وأمانيه

يجعل منك غنيمه

(1) عبد الكريم شمس الدين ـ آخر الكلمات ص73 و74.

وأشهى وليمهْ،

ومملكة رهن أطماعه وهواه

يُحيلكَ مزرعةً، جنةً وارفهْ

أشجارها متعةُ العينْ

وأثمارها نعمة الجائعين(1)

ويعرض الشاعر عبدالكريم شمس الدين في قصيدته «إلى أين» كل مآسي واثقال الصعاليك الفقراء ابناء الشعب، والذين يقف في صفهم وينافح عنهم، لأنه أحدهم، ويعيش في وجدانهم، :

بلغ السيل الزبى

إن عمق البحر تيارْ

وعنف المطر الجارفِ

يجتاح الودايا

هجر الصحو أمانينا

جموح البحر لا يمنعنا

نركب هولاً ومخاطر

لم نعد نملك إلا دمنا

نُشرعه سيفاً ورمحا

علنا ندرك بعد الليل صبحا

قد أضعنا حكمة الشيخِ

لأن الجوع مجنون وكافر

أيها الآخذ منا نعمة العيش

إلى أين نغادر؟

بلغت أجسادنا العريَ

---

(1) عبد الكريم شمس الدين ـ آخر الكلمات ـ ص 92 ـ 93.

وما امتدت لنا كف بِسِتْرٍ

والهوى أغلق دون القلب باب

إننا نعلن أنا

لم نعد نجنح للسلم

ولن نقبل ذلاً وصغائر

قد سللنا

من ضلوع الصدر أسيافاً

وشرعنا جفونا وأظافر

فإلى أين ومن أين يغادر[1]

ويختم الشاعر عبدالكريم شمس الدين ديوانه آخر الكلمات بآخر الكلمات في الديوان، تختصر موقفه الداعم من جمهور الصعاليك الذين يشكلون جماهير المجتمع، بل أنه يقدم لهم زبدة ما كتب قصيدة، حب جارف للفقراء والجياع والعراة، الواقفين بكبرياء والمتمردين بعنفوان ورجولة:

آخر الكلمات

قصيدة حب

أقدمها للذين

يموتون في كل يومٍ

ولا يسقطون

يقولون لا ولا ينحنون

لكل الجياع

ولكل الحفاة

وكل العراة

لكل الذين يمدون أجسادهم

---

(1) عبد الكريم شمس الدين ـ آخر الكلمات ـ ص101 و102.

معبراً للحياة[1].

ومن قصيدة له عنوانها «الطوفان»، من ديوان يقول المغني، يتحدث الشاعر عبدالكريم شمس الدين، عن الفقراء الصعاليك الجياع، الذين أوهنهم الجوع والتعب، ولا يدري الشاعر متى يثور هؤلاء، ويتمردون على الأغنياء الموسرين، الذين سيصبحون هدفاً مستباحاً للصعاليك:

عرفت الغضب

بدمعة أبْ

يمدُ يديه، وما في يديهِ

سوى حفنةٍ من ترابٍ وطيف

يحاكي بها جوع أطفالهِ

ترف الموسرين

ومن حبسوا الخير خلف جدار مكينْ

ولكنه لا يقول امنحوني

وحق له أن يقاسمهم ترف العيش

أو يتصيدهم واحداً واحداً

وحق له أن يُساوي بهم

جبين التراب

وتلك لعمري نظرية الصعاليك، وإحدى أو أهم مبادئهم ووسائلهم التي ارتكزوا عليها في حياتهم الصعلوكية، إنقاذاً لأنفسهم من براثن الجوع والفاقة. وهكذا يتبين ان الشاعر عبدالكريم من أشد الشعراء انتصاراً للشعراء الفقراء، وهو يشهد ويطمئن إلى ان قصور المترفين التي اختزنت وجع المتعبين ستنهدُّ وتزول، وأن جموع الصعاليك الصعاليك الفقراء ستثأر ممن زرع في حقولهم الفقر والجوع، جاء كل ذلك بلغة واضحة طلية وأسلوب جميل ثري:

قسا الآخرون. وأهلي

---

(1) عبد الكريم شمس الدين ـ آخر الكلمات ـ ص160.

يعاندهم فقرهم، إنهم شرفاءْ

ولكنَّ للجوعِ حداً من الصبر

هل يدركُ الأغنياء

بأن غداً قاتلٌ

وهمُ الهدفُ المستباحْ

وأغمضُ عينيَّ أشهدُ

هذا زمانك يا قاتلي

ستنهدُّ كل القصور التي اختزنت

وجع المتعبينْ

ويحترقُ الزرعُ بالزارعين

وزرعُكَ في الناسِ فقر وجوع

ستثأر منك الجموعْ[1].

هكذا ينذر الشاعر المغتصبين، آكلي مال الشعب وحقوق الفقراء الصعاليك، بثورة دامية وانتقام صارخ يقضي عليهم ويشتت شملهم، انتقام يقوده هو مع تلك الجماهير المغبونة والمصادرة:

سيدي قاتلي.

لن يكون دمي وحده

لستُ وحدي الضحيةْ

لأن الجداول تصبح نهراً، وبحراً،

وتجتاح كل السدودْ

رأيت دمي؟

إنه قادرٌ، والضحَايا قويةْ،

فعفوك يا سيدي، فدمي ثائرٌ

---

(1) عبد الكريم شمس الدين ـ يقول المغني ـ ص143 و144.

وأنا .. خنجر وشظية[1]

ومن أنصار الصعاليك الفقراء المتمردين، الشاعر اللبناني المير طارق آل ناصر الدين، في معظم نتاجه رفض وثورة وانحياز تام إلى الجماهير المعذبة الفقيرة الناقمة في آن، والتي تعيش حياة الصعلكة بوضوح.

في قصيدته رسالة عاجلة إلى بيروت من ديوانه الأخير «تابعوا موتنا»، يُعْتَبَرُ الشاعر الامير سلطان الرفض لكل أشكال الظلم والهيمنة والتسلط على جماهير المجتمع، وضد حرق الأحلام وسياسة البيت الأبيض القائمة على إفقار الشعوب وسلب ثرواتها[2]:

أرفض، أرفض عصر الأجهزة السوداء

وعصر الحكام الأقزام

أرفض أطنان الـ TNT

تُستورد بإسم التحريرِ

وتُستعمل في حرق الأحلامْ

أرفض شيطان البيت الأبيض

حين غزا باسم الحرية أرضي وأقام

ثم يشير إلى أحلام الفقراء المسحوقين المتصعلكين، وأصواتهم، وصراخهم الذي يحمل في طياته معاناتهم وتمردهم، وإصرارهم على النضال حتى الشهادة في سبيل لقمة العيش ومن أجل غدٍ حرٍ كريم لا تنغصه أطماع الظالمين ونواياهم البغيضة في ابتلاع الحقوق والثروات:

تتعدى أسماء الموتى

كلَّ المعروف من الأسماء

أحلامُ الفقراء بنيل شهادتهمْ

تتجاوزُ أحلام الشعراء

---

(1) عبد الكريم شمس الدين ـ يقول المغني ـ ص143.

(2) طارق ناصر الدين ـ تابعوا موتنا ـ ص85.

يتعدى حجم الموت الدامي حجم الأرضِ

ويفتح يومياً ألفَ سماءْ

يتعدى صوت الفقراء حدود الفقر

ويصرخ آلاف الفقراء

سرقونا عمراً عمراً

وسنحيا قبراً قبرا

نحن الشهداء[1].

وله من ديوان «قصائد مؤمنة» قصيدة بعنوان «الجوع»، ينتصر ناصرالدين للفقراء المسحوقين، الذين هم صعاليك هذا العصر، فهم يعانون ويشقون ويجوعون ويعرون، ولذلك يقف الشاعر إلى جانبهم ويدعوهم إلى الثورة والانتفاضة.

أيها الجائعون ثوروا . . . تصحوا

كل طفل يجوع نحمل عارَهْ

ما كفاهم حرب البسوس علينا

أشعلوا الفقر كي نكون جماره

يهجم الصمت للمدافع يوماً

وعصا الجوع دائماً هدَّاره[2].

ثم يشجع الفقراء والمسحوقين الذين هم نواة الصعاليك، يشجعهم على الانتقام من مصاصي دم الشعب وآكلي خيراته، شياطين العصر الذين يستحقون الرجم والإبادة:

راشقوهم بيوتهم من زجاجٍ

أجنبي أحلَّ ربي دمارهْ

راشقوهم، فالرجم خير عقابٍ

(1) طارق ناصر الدين ـ تابعوا موتنا ـ ص86 و87.

(2) ديوان قصائد مؤمنة ـ ص72.

لزناةٍ، وجوهم مستعارهْ!

راشقوهم! باسم الحياة لنحيا

جوع طفل، بألف ألفِ وزارهْ[1].

ومن قصيدة أخرى عنوانها «وليمة العمال»، يجدد الشاعر طارق ناصر الدين انحيازه للفقراء الصعاليك والعمال المناضلين، وهجومه الكاسح على الأغنياء المترفين والمسؤولين الغارقين في البحبوحة والثراء، والآكلين عرق الفقراء ونضالهم، إنهم غيلان تلتهم الحقوق وتكتنز الثروات، فالجوع، علة الصعاليك وداؤهم المقذع، وما من سبيل لاجتثاثه إلا بالقضاء على الزمرة القاضمة والماحقة، ولا يتم ذلك إلا بالتمرد والثورة، اللذين هما عدة الصعاليك، وقاعدة دستورهم في الحياة:

مدوا الرؤوس على الموائدْ

واستقطروا عرق السواعدْ

وتمتعوا بوليمة العمالِ ليس لديَّ شاهدْ

مسحوا الدماء عن الكؤوس وصادروا عين المشاهدْ

والغول يمعن في التهام الناسِ، يكتنز الفوائدْ

وعصابة الحيتان باسم الغول تقتنص الفوائد

الجوع مسموح به، جع، أنت حر أن تكابدْ

لكن شكوى الجائعين من الجرائم والمكائدْ

صعب على حكامنا الأبرار تغيير العوايدْ

لن أوقظ التاريخ، لكني أنام على المواجدْ

وأحسُّ وهج الثورة السمراء يخترق الجوامد

آتون يا عمال من غضب المصانع والمعاهد

أتون من تعب الحقول من السهول من المعابد[2].

---

(1) المصدر نفسه ـ ص73.

(2) ديوان قصائد مؤمنه ـ ص75 ـ 76.

إنها الثورة، التي يبشر بها الشاعر، ثورة العمال والفلاحين الفقراء الذين هم صعاليكها وروادها ومفجروها الفعليون.

وينتصر الشاعر محمد علي شمس الدين للمحرومين والفقراء والمناضلين والذين يشكلون الصعلكة الحقيقية في فترات الكفاح في سبيل الحياة الكريمة، لقد لامسوا الفقر والجوع والتشرد والصبر والصمود والنضال في آن معاً، وخرجوا من مكانهم يقطعون طرق المستعمر ويغيرون عليه، إنها الصعلكة النضالية المثالية، قال من قصيدته «قبر الأرض»، التي نظمها غبَّ مجزرة قانا التي افتعلها العدو الصهيوني وذهب ضحيتها أكثر من مئة شهيد.

يا حادي العيس
أنا
خوف الخائف
وبهاء القلب العاري في الموتْ
وجمال رجاء المحرومينْ
سأضمُّ دمي
في آخر هذا الليل وأسألهُ:
ماذا أفعل؟
عربات يهوذا
تنزل من صوب التوراةِ
وتجرف آخر أطفالي
ستمرُّ على صدري
أقدام الجند
وأحذية البدو الرُّحَّل
ويُباعُ ردائي
في آخر سوق العيارين[1].

---

(1) محمد علي شمس الدين ـ منازل النرد ـ دار الانتشار العربي ـ ط1 ـ 1999م ص133.

وفي قصيدة «الغيوم تشرب دمعها وترحل» من ديوانه الأول قصائد مهربة إلى حبيبتي آسيا، آسيا تلك الدول النائمة على الفقر والحرمان، والساكنة في علب الدمع، المشردة في الاحياء الفقيرة البائسة، إنها عنوان الصعلكة القاسية:

عبرتك آسية التي تمتد خلف مدارها
قدماكَ
آنية لدمعك سوف تشربها وترحلُ
ثم ترحل في يديك جزيرة العربِ
عبرتك جارحةً مع اللغة التي دمرتها
وعرضت في سوق الدينة جثة الكلماتِ
جثتك القديمة، هل تظل مشردا
في أفقر الأحياء مثل ابيك حين يبيعُ
رايته، ويرهن ثديَ امك بالرغيف
ويشتري
سبباً لحزنك أو لموتك. سوف
تلفظك المدينة أو يضيق هواؤها في الصدر
ولا يتنفس الفقراء في مدن النحاس ولا
يسيل على شوارعها إلا لعابك

ويبقى العطش، عطش الشعب إلى الحرية والغنى والأمان، والخبز، تلك دولة الصعاليك، ينتابها الفقر والحاجة، ولذلك تطمح نحو التمرد، فالرياح عنيفة كناية عن الثورة القاسية، والأرض بمن عليها تبتهل، والوطن المعلق بين أحذية الجنود وبين ذاكرة دامية،

ما أشبه آسية بالأم الرؤوم، تحن على ولدها (المواطن الفقير المشرد المتنقل المغرب، يعيش في الخرائب والدمع، حاملاً دمه من مكان إلى مكان، تلك هي الصعلكة القاسية وهي لا تكتمل إلا بتلمس الفرسان الذين رحلوا.

آسية التي تنشر فوقها جسداً من الاطفال وتلبس حزنها، لا بد أن تثور لتكتمل عدة الصعلكة فيها، بعد أن تملكها اليأس وأشرفت على ضفاف الموت:

ونعطش سيدي
ونظل نعطش ثم نعطش ثم نعطشُ
والرياح شهيةٌ
والأرضُ ترفع ساعداً كالآه نحو الشمس تبتهلُ
تبتل مثل الدمع آسية وتفتح بابها
وتقول: يا ولداه تغرق أنتَ في دمكَ
الموَّزع في الحقائب أو على الطرقات، حيث
تضحك الريح التي تؤويك والجيلُ
كم ذا وقفتَ على ضفاف الموتِ ثم تكلست
حدقاتكَ الكرويةُ الصفراءُ، لا جسدُ
السواقي ابتلَّ فيه الماء، لا حورية تأتي
وتركض خلفها عذرية الاعشابِ
والمدن التي اكتملت بكارتها
تتلمس الفرسان . . . والفرسانُ قد رحلوا
من أين تقبل هذه الأحزان؟
حين تمر آسيةً وتنشر فوقها جسداً
من الأطفال. تلبس حزنه وتضمه[1].

بهذا الاسلوب الجمالي الخلاب الأخاذ يصور محمد علي شمس الدين آسية المنهكة بأحزانها ومتاعبها، وأبنائها المتخمين بالفقر والتعب، المتصعلكين التائقين إلى أن يشتعل المدى.

وفي قصيدته «اربعة وجوه في مرآة مكسورة»، يرسم محمد علي شمس الدين في «وجه لحامد»، وهو الوجه الرابع والأخير في القصيدة، يرسم صورة لبلاده، بلاده المناضلة التي تعاني، المكتظة بالصعاليك الجائعين المهاجرين المشردين، ومن خلال هذه المرآة الرمادية، يطلق صرخته الدامية التي تنتظر المطر الذي يبشر

---

(1) محمد علي شمس الدين ـ قصائد مهربة إلى حبيبتي آسية ـ ص71 و72.

بغد سعيد، يحمل فيه الصعاليك معاول الثورة ويُطلق الرصاص على العذاب والجوع والصمت القاتل، كل ذلك في أداء خلاب، ترتفع فيه الصورة إلى مناخاتها الذهبية.

يا «حميد الدين» لا تفتح لهذا السر بابا

تقرع الذكرى نواقيس دموعي

وأنا أنقش في الصحراء جوعي

أرسم الشمس غزالاً و غرابا

ومرايا نَصَلَ الدمُّ بها أراد الظهيرةْ

وأنا أرسم وجهاً لبلادي

سُلَّما

يمتد بين العرش والطاعون

جسراً دمويا

أول القوس بلادي

آخر القوس بلادي

وعلى أذرعة النخل وأوتار النواقيس بلادي

وعلى أرصفة الهجرة والقتل بلادي

كيف لا أبصر وجهاً لبلادي؟

كيف لا أبصر واذلاه وجهي

كسرت وجهي المرايا المستديرة

كسرتني .. آه يا أمي أعيديني فتياً.

فأنا منتهب بين يقيني وظنوني[1]

ويأسى الشاعر والنائب السابق غسان مطر لما يغمر الأرض من العذاب والظلم والقهر، وأكثر ما يؤلمه، أن يسرق الوحوشُ والشياطين اللقمةَ من أفواه الفقراء

(1) محمد علي شمس الدين ـ قصائد مهربة إلى حبيبتي آسيا ـ ص48 ـ 51.

الجائعين الذين هم صعاليك هذا العصر، وان يشربوا دموعهم الحرى، بمعنى أنهم يسرقون مستقبلهم وحياتهم، وبإسم هؤلاء الفقراء المسحوقين الصعاليك يهاجم غسان مطر هذه الطغمة التي تغمر الأرض بالعذاب، وتبتلع اشداقها خيرات الأرض والناس، ثم يدعوهم إلى الثورة والتمرد، وانتزاع الحقوق بالارادة والتصميم، نجد ذلك في قصيدته «وأرى وأرى»:

إني مفتون بالأرض

ومفتون بغوايات الزمنِ

وأحسُّ بأن حروفاً من نارٍ

تتململ في صدري وتعذبني

والنوم يؤرقني

وأرى في الأرض عذاباً يغمر وجه الأرضِ

أرى أشداق وحوشٍ وشياطين

وأراها تمشي بين الناسِ

وتسرق خبز الناسِ

وتشرب دمع الناسِ

أراها في القصر المحروس بدبابات الجلادين

وأراها في الخطب العصماءِ ومؤتمرات الكذابين

وأراها تقتلُ في بغداد

وتذبح أطفال فلسطين

وأرى .. وأرى

يا ملح الأرض

ويا بسطاء الأرضِ

ويا فقراء الأرض المنسيينْ

من يقتلكم بالقُبلةِ أو بالحرف المسمومِ

كمن يقتلكم بالسكين[1].

(1) غسان مطر ـ رسائل بيدبا السرية ـ ص33 و34 ـ دار نلسن ـ بيروت ـ طبعة أولى ـ 2005م

ويرى الشاعر غسان مطر أن لهؤلاء الفقراء والبسطاء والمسروقين بنادق تحميهم وتزرع لياليهم نجوماً ورياحين،.

إذن هؤلاء الفقراء الصعاليك إذا جازت تسميتهم تبعاً لما هم فيه من تماثل مع حياة الصعاليك القائمة على الفقر والتشرد والجوع، لهم من ينوب عنهم ومن يقوم بمتابعة أمورهم وقضاياهم:

أؤمن أن الأرض لها آلهةٌ ترعاها
وأراها تمشي بين الناسِ
ويمسحُ دمع الناس
ندىً ونجوماً ورياحين
وأرى راياتٍ تخفق بين ضلوع الناسِ
بنادق تحمي شرف الناس
وجوهاً مثل وجوه القديسينْ
وأراها ترقص في بغداد
وتهزج فوق جراح جنينْ
وارأها تشهر سيف اللهِ
وتقطع أوردة التنين[1].

ويعلن مطر تمرده وموقفه الحاسم ضد المستبدين والشياطين، الذين سلبوا الفلاحين الفقراء الصعاليك أرضهم، وليلها الهادئ المطمئن، وشمسها المنيرة الساطعة،

هذه الأرض لي ..
لي رؤاها وأحزانُهَا
لي ثراها
ولي ليلها المطمئنُّ
ولي شمسها الصاعدهْ

---

(1) غسان مطر - رسائل بيدبا السرية - ص33 و34 - دار نلسن - بيروت - طبعة أولى - ص35.

سكن الموت أرواحنا
فمتى تنهض الأمة الراقدةْ؟
كيف نكتب خمسين ألف كتاب
لشرح الوضوءِ
وليس لنا في امتلاك الزمانِ
ولو صفحة واحدةْ
لا أُبرئ شارون
لكنني جئت أعلن أني
استقلتُ من الذلِّ
أني تبرأتُ من هذه الطينةِ الجامدّه
لا أنا من كليب
لا إخوتي من تميم
ولا الرمل بيتي
أنا ابن المنافي
أنا ابن المجانين والمارقين
أنا ابن الشياطين
لكنني لستُ من جاهلية «حرب البسوس»
وأصنام «بن لادن»
وصكوك الخلاص،
وهذا الذباب الذي يتناسلُ
في جثة فاسدة[1].

إذن يعلن الشاعر غسان مطر، أنه ابن هذه السلالات الثائرة المتمردة (الصعاليك) الذين لا يرضون بالذل والهوان، والذين يتبرأون من الجمود والقعود

---

(1) غسان مطر ـ رسائل بيدبا السرية ـ ص66 ـ 68.

عن المطالبة بالحقوق والسعي لانتزاعها، وهو ابن المنافي وابن الشياطين الذين يعرفون كيف يفعلون وهؤلاء المنفيون والمتشيطنون هم من أسرة الصعاليك العيارين والشطار وانسبائهم، إنه ابن هؤلاء، لكنه ليس من موقدي حرب البسوس أو من أفرادها، كل ذلك جاء في لغة هادرة ناقمة هادفة، واضحة جلية في آن معاً.

ويذوب الشاعر المصري أحمد عبدالمعطي حجازي حباً واشفاقاً على الفقراء المسحوقين أبناء الريف، الذين يكدحون وينامون على التراب، ويقاسون الفقر والألم والدمع والشجن، هؤلاء يحبهم الشاعر، لأنهم أصغياء تغمر الطيبة والبساطة نفوسهم وحياتهم، إنها الصعلكة المتقوقعة أو الساكنة، هنا يتساءل الشاعر، عن الوقت الذي ينتظره ليقيم فيه عرس التغلب على الفقر والجوع، وعرس القضاء على الآلام والدموع:

لكِ يا تقاطيع الرجال النائمين على التراب
المائلين على دروب الشمس والبط المبرقش
والسحاب
فوراء سمرتك الحيَّة يلتوي نهر الألم
وبجانب العينين طيرٌ ناصع الزرقةْ
مدَّ الجناح على اصفرار كالعدم
وهفا ليرتشف الدموع
إني أحبك أيها الانسان في الريف البعيد
وإليك جئتُ وفي فمي هذا النشيد
يا من تمرُّ ولا تقفْ
عند الذي لم يُلقِ بالاً للسكارى والستائر والغرف
وأنا الذي هرولت أياماً بلا مأوى بدون رغيفْ
وأنا ابن ريف
ودعت أهلي وانتجعت هنا
لكن قبر أبي بقريتنا هناك. يحفه الصبار
وهناك، مازالت لنا في الافق دار[1].

---

(1) أحمد عبد المعطي حجازي ـ الديوان ـ ص122 و123 ـ دار العودة ـ بيروت ـ 2001م.

ثم يقوم مستفسراً عن طريق الوصول إلى قلب هذا المنفي في صمت الحقول ليتلو على مسامعه حكاية الدنيا والناس، ومعارك الإنسان في الحياة والتي هي مظاهر صعلكته في هذا الوجود، في مواجهة الفقر والجوع والأحزان والتشرد، إن الشاعر يحاول أن يقيم عرس الفرح لهؤلاء المقهورين فينفض عنهم نار القلق ويصنع من نفسه نغماً حلواً يجلو الاشجان والأسى، ويعبر الشاعر عن هذه التطلعات بلغة جميلة موحية مرمَّزة.

أين الطريق إلى فؤادك أيها المنفي في صمت
الحقولْ
لو أنني نايٌ بكفك تحت صفصافةْ
اوراقها في الافق مروحةٌ
خضراء هفهافةْ
لأخذت سمعك لحظة في هذه الخلوة
وتلوت في هذا السكون الشاعري حكاية
الدنيا . . .
ومعارك الإنسان، والأحزان في الدنيا
ونفضت كل النار، كل النار في نفسك
وصنعت من نغمي كلاماً واضحاً كالشمسْ
عن حقلنا المفروش للأقدامْ
ومتى نقيم العرس؟
ونودع الآلام![1].

ويذكر الشاعر حجازي في قصيدة «الشهود» من ديوان «مرثية للعمر الجميل» مئتين من الشهود الفيتناميين الذين حضروا المحاكمة التي شكلها الفيلسوف برتراند راسل من كبار المثقفين لمحاكمة الرئيس الأميركي ليندون جونسون كمجرم حرب.

يمثل هؤلاء الشهود الفيتناميون الشعب الفيتنامي المناضل، الذي مثل حياة

---

(1) أحمد عبد المعطي حجازي ـ الديوان ـ ص123 و124.

الصعلكة خير تمثيل، في صراعه مع الاستعمار الاميركي اثناء غزوه لفيتنام، فمن المعلوم أن الشعب الفيتنامي قاسى حياة الجوع والفقر والحرمان والتشرد، إلا أن كل ذلك كان مع الصبر والصمود والارادة والإصرار على انتزاع الحرية والاستقلال والخيرات من أيدي المغتصبين، وجميع هذه المظاهر تتفق مع حياة الصعلكة وخصائصها، يقول حجازي على لسان الشهود:

نحن الشهود

نقسم بالله العظيم أن نقول الحقْ

وكيف يكذب الرجال الميتونْ

القادمون من أقاصي الشرقْ

ليمثلوا بين يديكم ساعةً

ويرجعوا إلى اللحود

نحن الشهود ..

نقسم بالله العظيم أن نقولَ الحق

وفيم يكذب الرجال الفقراء

إن سئلوا عن عالمٍ

لا يملكون فيه إلاّ وقفةً على الحدودْ

يرون منها الأنبياء والملوك والطغاة

ثم يموتون على أيدي الجنود ...

كنا قبيل أن نموتْ

مزارعين أو رعاة

بحارة أو ربما رجال دين

أو خدماً نجوس داخل البيوتْ

حين سقطنا ميتينْ

مِتنا فرادى ربما

لكننا جئنا هنا مجتمعين

نرفع صوتنا المجلجل الحزين[1].

هؤلاء الشهود الفقراء الصعاليك ذادوا عن وطنهم وقضوا مستشهدين، وعادت لرفاقهم الآخرين الاحياء حياة الحرية، لقد انتصرت الصعلكة في فيتنام على التجويع والقهر، واستعاد الشعب المتصعلك الفقير الذي كان يأكل تحت الأرض ويتعلم تحت الأرض وينام في الخنادق عارياً جائعاً، استعاد استقلاله وثرواته وخبزه من اشداق العتاة.

ويصور الشاعر في مشهد مؤثر قاتم بلاد النوبة (جنوبي السودان)، وهي ترتع في الفقر والحرمان والعري، حتى غدت كأنها قبر في فلاه، وسكانها الصعاليك الفقراء الذين داهمهم الفيضان، فيضان نهر النيل العظيم، ففروا يحملون فقرهم وخوفهم وعريهم مهاجرين من اكواخ صدئة لا تكاد تصمد أمام هبة ريح، مضوا دون ان يتركوا شيئاً سوى النخيل، وماذا يترك الفقراء الصعاليك المحرومون سوى عظام الميتين، سواء مِنْ غرقهم أو من نقرهم الشديد:

لم يتركوا شيئاً هنا

فالدور خاوية كأن لم تبكِ فيها طفلة

أو يشتعل فيها غرام

ونظيفة، فكأنها اغتسلت لتدخل عالماً

خلف الغمام[2].

ويرسم الشاعر السوداني **محمد المكي إبراهيم** ترجمة باطنية لمدينة الخرطوم في قصيدة عنوانها «أصيح للخرطوم في أذنها».

منذ اللقاء الأول

غرزت في لفَّات شعرها المهدَّل

أصابعي وقلت: أتت لي

عشيقة أم

وحين فاتني الصبا

---

(1) أحمد عبد المعطي حجازي ـ الديوان ـ ص504 و506.

(2) أحمد عبد المعطي حجازي ـ الديوان ـ ص534.

أسميتها بو هيميا المهذبة

وأصبحت تبوح لي

بسر عينيها الكبيرتين

تلك هي العلاقة الوجدانية الحميمة بين الشاعر والخرطوم، ثم يعرض فيما بعد لقلب الخرطوم النابض بالحياة، لكنه المشبع بالفقر والحاجة والمشردين والصعاليك، المنتشرين في أرجائهاالباحثين عن سبيل للحياة، تلك مشكلة الصعاليك قديماً وحديثاً.

إذن كيف هي الخرطوم، بناسها وصعاليكها ودروبها ومساءاتها وعشياتها ومهرجاناتها ومشرديها،

سيدتي ها أنذا أريح رأسي

فوق فخذيك القويتين

أخلع نعلي لكي أنام

أغمض جفنيَّ معاً لكي أنام

فلتطعميني لحمك الطيب في الأحلام

وتمنحيني عفة البكر ـ وليس عفة الكلام ـ

ولتحرسيني من عواء الباعة المحوِّمين . . . واللصوصْ

صغيرة لا تملأ الكف . . . ولكنْ متعبةْ

الله للشاعر والمفلس والصعلوك حينما

تضمهم دروبها في آخر الليل . . . مشردين

تعبسُ في وجوهمم مآذن الله

ومهرجان الكذب المثقل بالنيون

تصيح أبواب البنوك: اقبضوا عليهم

تصيح أبواب الحوانيت: إلى الوراء

وتركل العمارات البديعة الرواء

ضلوع أحبابي المشردين

وفي العشيَّات .. وإذ أسير دون أصدقاء

تخرج لي لسانها الطوابق العليا .. ويرقص البناء

كيداً وسخرية[1].

ويظهر من خلال ما تقدم مدى المعاناة التي يعيشها الصعاليك والمشردون والمفلسون، هذا حال القارة السوداء، ثم يتابع محمد المكي قصيدته:

حدثني الكهان والمخنثون .. أن وراء صمتك الحرون

تغرغر الأنهار موسيقا وتنبع العيون

وأن عالماً من الروعة لا تدركه الظنون

تخبئه أعمافك النذلة للمقربين

للتافهين من عشاقك المقربين

ماذا تخبئين لي خلف السدوف المطبقة

وبعد هذه اللعنة من سمائكِ المحترقة

ماذا تخبئين لي[2].

وفي قول المكي إبراهيم هنا إدانة واضحة للخرطوم، وهذا شأن الشعراء الواقعيين الآخرين، إذ أنهم خافوا من هذه المدينة، وقدموا شرائح ساخنة من الحياة داخلها، مع ملاحظة أن أحداً لم يتعاطف مع الجانب الطيب منها، بل تحولت الخرطوم عندهم إلى عالم من الرعب والخوف والقسوة، بينما كانت ورده وحلماً عند شعراء العاطفة[3].

ويتذكر المكي إبراهيم فيتنام وشعبها المكافح الذي عاش الصعلكة الشجاعة، فافتقر وجاع وتشرد، إلا أنه ناضل وتمرد، وها هو الشاعر يتمنى أن يصنع الفقراء من حطام طائرات المستعمر الأميركي اساوراً وحلى لجيد فيتنام:

ليسقط الحديد

والطائرات السافلة

---

(1) الشعر في السودان ـ محمد المكي ابراهيم، تأليف د. عبده بدوي ـ ص196 و197.

(2) محمد المكي ابراهيم ـ سلسلة عالم المعرفة ـ لعبده بدوي ـ ص197 و198.

(3) د. عبده بدوي ـ الشعر في السودان ـ ص198.

لتنتشر على ثرى فيتنام

أمام نارها المقاتلةْ

وليصنع الأعزاء من الحطام

أساوراً وحلية لفيتنام[1].

ويغني الشاعر السوداني مصطفى سند إلى جمهور الصعاليك الفقراء العبيد الرعاع، ولكنه غناء سلبي، فإفريقيه عند هذا الشاعر هي كما ذكر، طبولٌ وعنفٌ، وقسوة:

الطبل حمى الطبل في رأسي

شرايين تفح بلا انقطاع

غنيتُ للسود الغلاظ، وللعبيد

وللرعاع[2].

ومن ظواهر الصعلكة الأساسية (الفقر) المرفق بالنقمة والتمرد والسعي والتشرد، وقد شغلت هذه الظاهرة الناس شعراء وغير شعراء في القارة السوداء وغيرها، فالشاعر السوداني «الهادي آدم» تعرض لاستجداء الطعام من ركاب القطارات وهي ظاهرة معروفة هناك، وهو يقرب في ما يقوله من سلوك الصعاليك وتوجهاتهم:

كم طويت الأرض ما بين صباح وأصيل

وحملت الناس في ظهرك جيلاً بعد جيل

جمعت فيك البرايا من أصيل ودخيل

قد جرى أبي خلفك في الماضي الطويل

وأنا خلفك أعدو أبتغي «بعض الرغيف»

قيل أطفال، ولكن، أين أطفالك مني؟

لم أعد منهم وإن قاربهم عمري وسني

---

(1) د. عبده بدوي ـ الشعر في السودان ـ ص208.

(2) عبده بدوي ـ سلسلة عالم المعرفة ـ الشعر في السودان ـ ص212.

هم دُمى ترفل في النعمى فتشدو وتغني
وانا خلفك أعدو، أبتغي بعض الرغيف[1].

وصعاليك الشاعر السوري ممدوح عدوان متمردون دائماً على الظلم والجوع والقهر والعري، وهو ثائر مندفع دائماً حزين كمآسي أمته وأحزانها، إنه يمثل هذه الجماهير التي تعاني وترحل، تخبئ رغيفاً لجوعها وهي تنتقل من مقبرة إلى مقبرة أخرى، يدفئ بعضها البعض الآخر، يدفئ البردان البردان، ويقدم الجائع خبزه للجائع، إنها الأريحية والإيثار، وهي من مزايا الصعاليك الذي يتمردون بأشكال مختلفة على جوعهم والظلم المحيق بهم، في ظلٍّ هذا الذل الذي تعيشه الأمة العربية[2]

منذ بدأتِ الرحلات ولم ألبس إلا الأكّفان
لم أتفيأ شجراً إلا الصلبان
لم أتجنب قول الحق بوجه الطغيان
من مجزرة نحو مجازر أخرى يمشي بدني
من مقبرة نحو مقابر أخرى أضحى سكني
بين الدمعة والدمعة لا أبصر إلا وطني
في كل مكان أنزل فيه تنزل عليَّ اللعنات
وسخرية المرتاحين على الذل
تحاصرني ويلات الأعداء
تهب عليَّ عواصفهم
تدمر من حولي
حتى يجبرني الخوف عليهم أن أرحل
فيودعني الدمع وزهر صباياهم
ورغيف خبأه لي في اليسر الجوعان

(1) عبده بدوي ـ سلسلة عالم المعرفة ـ الشعر في السودان ـ ص186.
(2) ممدوح عدوان ـ مجموعة أبداً إلى المنافي ـ ص212. دار الملتقى ـ قبرص ـ ط1 ـ 1994.

أعجز كالأخرس عن كلمات العرفان

فأرد جميلاً لبائس أمنحه كفني

وأقول تدفأ يا بردان.

سأموت كما عشت وحيداً عريان

هكذا حول الشاعر المجتمع العربي إلى فلول من الصعاليك العراة، الجائعين، المشردين المنفيين.

الكل ضحايا خصم معروف مجهول ..

يتسرب قهري من بين مسامي

تمتلئ الدنيا بالراضي بالذلِ

وبالساكت عن حق

القهر ورائي وأمامي

وغدي مسحوب من عمري

حولي لم يبق سوى الاعداء

انبض قوسك وارم السهم

فحيث يصيب السهم هناك الأعداء

لا تصغ لمن يهرف أمامك أوهاماً وطواحين

ليس أمامك غير طغاة كذابين

لهم مكر شياطين[1].

ضد هؤلاء يتحرك الصعاليك الفقراء، ويظل الشاعر في مواجهتهم جبل الرفض وهم جبل الهزيمة والاذعان. كناية عن الانظمة الضعيفة في مواجهة العدو الصهيوني والأخطار، ويرى الشاعر أن الذي يبقي الضوء جلياً والحلم قوياً، هما دون كيشوت الذي يمثل في نظر الشاعر طاقة على المواجهة، علَّمه إياها الفقر والحرمان، جعلاه صعلوكاً متمرداً ينتفض بعزمه، ويمشي نحو المنفى الذي هو دليل الصعاليك في تشردهم،

---

(1) ممدوح عدوان ـ أبداً إلى المنافي ـ ص116 ـ 118.

لا تسخر ... لا تبكي ..

تمشي وكأنك لا تشعر أن العبء ثقيل

تحمل ما تحمل، في صمت ينضح بالأحزان

ها أنتَ بما علمك الفقر وأعطتك ليالي

الحرمان

وأنا بالضوء الطالع من كتبي

بالعزم النابع من غضبي

نُبقي الدرب جلياً وعصيا

قدراً ما عنه بديل

يمشي نحو المنفى باطمئنان، فالمنفى هدف لا يحتاج دليل

لكن يا سانشو:

في هذا الزمن القاحل

نحن الفرسان.

وينتقد عدوان فرسان هذا العصر، الذين لم يبق منهم سوى المتربعين عند الأمراء الغلمان، والتجار واصحاب الصفقات، والمشاغبين ولصوص الاسواق كان يتمنى الشاعر ان يكون الصعاليك على هذه الشاكلة:

ما ظل من الفرسان بمصر

تحسب أرباح العزة فيه

كما تُحسب أرباح الدكان

ماذا ظل من الفرسان سوى الريشِ

على أجساد طواويس السلطان

من ظل سوى صاروا عند الملكات الخصيان

عند الأمراء الغلمان

عند التجار وأصحاب الصفقات الصبيان

صاروا جبروت الطغيان.

وبذار الفوضى، ولصوص الأسواق المتباهين

بأسلحة الزينة للارهاب

يحيلون الدنيا غابات من قضبان[1]

يريد الشاعر صعاليك من نوع آخر، نوع لا يستسلم، يتمرد ويثور، لا ينحني للعواطف، لا يعبث ويحيل الدنيا سجناً أسود.

وفي قصيدة «زفة شعبية» لـ سليمان خاطر الذي اغتال الرئيس المصري أنور السادات، يعتقد الشاعر ممدوح أن سليمان الخاطر كان زعيم الصعاليك الفرسان، الذي أبدع من الفقر العزة والعنفوان، وتشرد فاجتاز الفيافي والقفار، ويصور عدوان حركة سليمان ونخوته وإندفاعه في سبيل هدفه، وهو انطلق من قمقم الفقر والحاجة، وتفجر فيه الغضب الذي كان نائماً تحت الرماد:

قفز الفتى من رقصه كي يعتلي سرج الحصان

من قمقم الفقر العتيقِ

تفجر الغضب الحبيس

زفي حبيبك يا عروس

هذي قيامتنا

هذا جنون الشوق للأوطانِ

والأبناءُ في المنفى شتاتُ

هذا الفتى مهرانْ

هذا سليمان

الذي سيكملُ الموال للجدعان[2].

وعندما استشهد سليمان برصاص الظالمين، يشيعه الحفاة الفقراء، الذين ناضلَ من أجلهم، يندفعون كالسيل بين الشوارع، فتى مسجى باركه الغلابة «والغلابة هم الصعاليك الفقراء الذين باسمهم ثار سليمان»، ولا ييأسنَّ أحد، طالما هناك شباب

---

(1) ممدوح عدوان ـ أبداً إلى المنافي ـ ص108 ـ 109.

(2) المصدر نفسه ـ ص22 ـ 23.

يتمردون ويثورون ضد الطغيان، ضد الفقر والعري والحاجة، فالله علّم الشعب، جموع المساكين، ان تمهل ولا تهمل:

الغدر يقتنص المغني مرة أخرى

المواويل التي انطلقت تغصُّ

وصرخةٌ مفجوعة

قتلوكَ يا ولداهْ

لكن عند موتك يستفيق الناسُ

يشتعلُ الفتيلُ

في كل بيتٍ أنت جرحُ الناسِ

وابنهم القتيل

كفاه ممسكتان بالأستار

ينزعها فتهوي حين يهوي

ثم ينفضح الطغاة

لم يبق فوق عروشهم إلا العراة

ورصاصات سليمان خاطر كانت بإسم الفقراء الصعاليك، بإسم الايتام، بإسم الشعب المأسور، وبإسم المجاعة التي كانت تعيشها جموع الصعاليك، بإسم انتزاع الخبز بإسم عبد الناصر الذي قضى مقهوراً حزيناً:

في البدء تلك رصاصة

باسم الذين تمزقوا في زعبل

نزفوا تعب

ورصاصة بإسم الطفولة

وهي تدفن بين أنقاض المدارس

ورصاصة من أجل أطفال

يُقصِّبهم جنون الحقد بالبلطات

للأيتام إن يحبون بين دماء أهليهم

ورصاصة من غصة في قلبِ عبد الناصر المقهورْ

ورصاصة بإسم المجاعة غُلفت بالفولِ

أسكتها التآخي

بين أصحاب الملايين الكثيرةِ

بين فأسٍ لا نتزاع الخبزِ

والسوط الذي انتزع اللحوم بضربه

كي لا يسكت الجائع

ورصاصة أخرى لجبران الخواطر

بعد أن تم العثور على الإباء

وعمرنا الضائع.

كانت رصاصات سليمان خاطر شفاء للنفوس، وفيها رضا من الله على عباده الفقراء المظلومين، وسليمان سيكمل الموال للجدعان الذين هم صعاليك الأمة الفقراء الجياع:

لا شيء يستر عريهم إلا الغزاةُ

وفتى يقدم عمره فرحاً

يقول العمر يا بلدي زكاة

دقوا الطبول وزغردوا

ظهر القضاة

خرج الحفاة

الله اكبر حينما اندفع الحفاة

وتدفقوا بين الشوارع

مثلما في الليل تندفع السيول

وإذا بهم تخضرُّ صحراءٌ

وتشتعل السهول

وفتى مسجى بين أيدي الناس

علي أحمد سعيد) لمجموعة
ب شعري جميل، من هؤلاء
لي الأمر، يقول أدونيس من

ته والجوع فرس تصهل بين

بخبزه ..

ع.
ن الحلم الذي لم يلُح ولم

والجوع» تلك سنة الصعالكة،

لومة أدونيس:

حول بسبب الجوع والقهر»

رجل مهووس بالنذير

رجل يتكلم ولا رأس له (تلك حال الصعاليك يتمردون يثورون حتى في اشد الأخطار، وهم موتى يتكلم جوعهم باسمهم، وباسم معاناتهم.

رجلٌ يُحشى جلده بالقش ويُعرض في الشوارع.

رجل ميت يُجلد ثمانين سوطاً

امرأة بنهد واحدٍ تُجر على الأرصفة

طفل يلبس رداء المشنقة.

في عالمنا العربي إذن. القديم والحديث، لا يطيق السلاطين ذكراً لصعلوك، لجائع فقير، لمتمرد على سياسة خرقاء ظالمة، فيتفننون في التنكيل به والقضاء عليه، إلا أنه يبقى متمرداً وجوعه يصيح بهم، كما قال أدونيس قبل قليل (رجل يتكلم لا رأس له).

ومن هؤلاء الأباطرة، الظالمون الذين امتلكوا علينا حياتنا.

ـ كافور الأخشيدي، تيمورلنك، أحمد أبو الفوارس

هؤلاء هم أسياد أرضنا، هم أمراؤنا

هم تيجاننا الفاتحة ..

هؤلاء حياتنا على الأرض

بهذا الاسلوب الساخر يتهكم أدونيس من هؤلاء الأسياد، مستعبدي الصعاليك.

إلا أن هؤلاء يجب ألا يسكتوا، إننا بحاجة إلى ثورة من نوع آخر، إلى تمرد عات، إلى رجال من وراء التخوم، «كالرسل مثلاً أو العباقرة الأفذاذ»،

رجال يسكن فيهم البرق، «لأن البرق نذير المطر والغمام والخصب»

بأسمهم تضرب نقودنا .. باسمهم ترقد نساؤنا فوق وسائد الزنبق[1].

وليس الصعاليك الفقراء المظلومون وحدهم هم المحكومون بالسوط من السلاطين العتاة، إنه الشعب كله، تحول إلى صعلوك سلبي صامت، ونحن بحاجة إلى صعاليك كعروة بن الورد.

---

(1) أدونيس ـ مفرد بصيغة الجمع ـ ص31.

إسمع أدونيس وهو يصدح في هذا البوح الوجداني الإنساني الساحر، إنه نصير الصعاليك، أبناء الشعب المظلوم الصامت:

هو ذا شعب يفرش وجهه للسنابكْ
هي ذي بلاد أجبنُ من ريشةٍ وأذلُّ
من عتبةْ.
من يرينا عصفوراً ما، شجرة ما؟
من يعلمنا أبجدية الهواءْ (والهواء رمز الحرية والانعتاق)
وحدنا في المفارق ننتظرْ
الرملُ يمحو منازلنا
والشمس تهترئ في تجاعيد أيدينا

وأدونيس يحب بلاده وأمته، لذلك تأتي نعوته لها حرصاً عليها، وأسفاً لما بها، وليست شتيمة أو لعنة، بلاده (أي بلادنا) التي تغير لونها وتميل كيفما مالت الرياح، فجرها يطلع على غير هدى، وعطرها يحترق ولا ينعش الانوف، إنه يريد بلاده عكس ما ذكره عنها:

آه يا بلادي، يا جلد الحرباءْ
عطرك مطاط يحترقْ
فجرك وطواط يبكي
غير الفاجعةِ لا تلدين.
غير الحلزون لا ترضعين.

نعوت قاسية، إلا أنها تريد أن تقوم. وماذا ينتظر الصعاليك لينتفضوا ويبدعوا، يقول أدونيس:

وأين أنت يا رعد، يا رسول الطوفان
اقتحم اقتحم حرماتنا،
نساؤنا ينتظرنك خلف سياج الحلمْ.
في الغرف ينتظرنك وفوق العشبْ

الجنس يلفحُ وجوههن ولا حبيب غيركْ[1].

ويعتبر أدونيس نفسه ممثلاً للصعاليك المتمردين، إلا أنه يرتجف بعيداً عن النافذه، ويكتب قصيدته بفتات القلب، إنه الرفض الايجابي الصامت:

وأنا سيد الرفض

بعيداً عن النافذة أرتجف

وبالفتات أكتب هذه القصيدهْ

لعله يعاني نفس ما يعانيه مواطنوه، إنها الوحدة الوجدانية في أوقات الشدة والقهر.

في أهدابي دمع الرتيلاءْ

في حنجرتي مزمار الموتْ

وحياته في هذا السكوت القاتل، الصعلكة الميتة، جثة عائمة فارغة من ثقلها:

سلاماً أيتها الجثة العائمة يا حياتي

واحترق يا جسدي، أيها الرؤيا الكئيبة، يا حمامة الوداع.

واحتراق الجسد يقظة للروح وانبعاث للنفس.

وماذا يفعل الصعاليك، والوطن اصبح مجموعة صعاليك تاريخها زبد، قال سبحانه وتعالى: وأما الزبد فيذهب جفاء، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض.

تاريخنا زبد

ابتعد ابتعد

الوحل يطرح شباكه علينا

الوحل يلفنا بنسيجهْ

الوحل بين الجفون حريرٌ وعند الرقبةْ

ولا غيم

ثم يتابع وصفه لهذا الوطن المتهالك، وماذا يفعل الصعاليك في جثة هامدة، ليس إلا إن تدب فيها الروح من جديد، ويقوم الوطن:

---

(1) علي أحمد سعيد (أدونيس) ـ مفرد بصيغة الجمع ـ ص30 ـ 32 ـ دار المدى للثقافة والنشر ـ دمشق طباعة 1996م.

أيها الوطن. يا كتل الملحْ

أيها الهزيل كالهواء

الصابغ جلده برماد الكتب

أيها الجندي. أيها الشيخ يا وطني[1].

وما موطنه. كيان وحيد لا يقوى على المشي، مكسور الخاصره، يائس محبط. وهنا يبدو الشاعر مستسلماً منتظراً الخلاص:

أمنحك في أحشائي أن تمشي

أمنحك الأنين مع خطواتي

تنهَّدْ يا وحيداً مثلي، تنهَّد مكسور الخاصره

أسمع طريقاً تنزف شقائق واكفاناً،

اسمعُ نحيباً في الشوكْ

أسميك أيها اليأسْ، لكنك لا تُسمى

بعد الآن لن نفترق.

ولن نمشي معاً إلى الأبد.

وأخيراً يصمم الشاعر، وهو هنا يتحدث باسم الصعاليك أجمعهم الجائعين الثائرين ضمناً ودون اعلان قياساً لما قرأناه في قصيدة الشاعر.

يصمم على الرفض والثورة، فينتفض الصعلوك من بين كتل اليأس والألم، لأنه لا بد من ثورة، ويقول أدونيس:

تحت بيارق الرفضِ أُسرجُ كلماتي

في غضون وجهي عرس آخرْ

والأرض بين يدي امرأة

أحارب لحمي الممزق، أنحني لصداقة البرق

وبالرعد أمسح جراحي

---

(1) أدونيس ـ مفرد بصيغة الجمع ـ ص30 ـ 32.

نعم هكذا يستعيد المواطن زمام المبادرة، ويكتب للصعاليك وطن الجميع:

قاتل القمر أنا

قاتل العنقاء المشعوذه

أركب صهوة السمندلْ[1]

وأتنشق الجمرْ[2].

وهنا إزاء هذا التصميم، لا يتراجع الصعاليك المتمردون لاستعادة حقوقهم ووطنهم، حتى لو كتب التاريخ مشعوذون وسطحيون، ولو ارتسم الوطن عقرباً ولبس الضفدع قناع التاريخ:

العقرب يرتسم وطناً

الضفدعُ يلبس قناع التاريخْ

المجد يكتبه سطيح والرَّخْ

لكن صراخي سيبقى . . .

فوق طفوله الأرض اكتب تاريخنا

لأبجدية الوطن أزوجُ الحبرْ

ولتخدش وجهي أظفار الشمسْ

وليفرح قايين بحفيدهْ[3].

وفي قصيدته (المعلقة) تاريخ، يستنهض الشاعر القرمطي، أبا الصعاليك وقائدهم وموجه مسيرتهم إلى تحقيق العدالة والمساواة، كما رسم القرامطة دستورهم، يقول أدونيس:

نهض القرمطي

افترش الصحراء جسداً

---

(1) السمندل: طائر إذا انقطع نسله وهرم ألقى نفسه في الجمر فيعود إلى شبابه، وقيل: هو دابة يدخل النار فلا تحرقه ـ «لسان العرب / 11 / 348».

(2) أدونيس ـ مفرد بصيغة الجمع ـ ص32 ـ 33.

(3) أدونيس ـ مفرد بصيغة الجمع ـ ص33 ـ 34.

والجسد حلبةٌ .. قال:

ليست الأرض هي التائهةْ

بل ضبابةٌ سموها السماءْ

قال: ليس الزمن الوحلْ

بل شيء سموه السلطان

وجلس في ضوء نجمة يقرأ العاهات والقروح.

يُطلق الإشارات

[... الفطرة، الهجرة، البلغة، الخمس

الألفة ..].

[كلكم أسوة واحدة، لا فضل لأحد على صاحبه

في ملك أو شيء]

«الأرض بأسرها ستكون لكم

لا حاجة بكم إلى المال»[1]

وقسم كبير مما أورده القرمطي هو في صميم تعاليم ودستور الصعاليك، الخمس والألفة، والهجرة من حمى القبيلة إلى ما بعدها في بلاد الله الواسعة، والاشتراكية إلا أن أهداف القرامطة أوسع وأشمل وأعم، كانوا يريدون جمهوريتهم الخاصة. ومن مآثرهم التي مارس الصعاليك بعضها:

أن القرمطي أخذ يشفي القرى ويغني أهلها، يكسو عاريهم وينفق على الجميع ما يكفيهم حتى لو لم يبق بينهم فقير ولا جائع.

وينتصر الشاعر اليمني عبدالله البردوني للفقراء الجياع الذين يشكلون جماهير الصعاليك المحرومين في اليمن، خاصة أيام الحكم الملكي، وهو هنا في قصيدة كافية ناقمة يخاطب فيها ملك اليمن الإمام أحمد، ويسأله عن مسبب الجوع والفقر في وطنه، ويتحدث البردوني عن نفسه بإسم الشعب اليمني الفقير آنذاك:

لماذا لي الجوع والقصف لك ... يناشدني الجوع أن أسألك

(1) أدونيس - مفرد بصيغة الجمع - ص271 - 273.

لماذا وفي قبضتيك الكنوز تمدُّ إلى لقمتي أنملك
لماذا تسود على شقوتي أجب عن سؤالي وإن أخجلك
فما كان أجهلني بالمصير وأنت لك الويل ما أجهلكْ

هنا وقف البردوني يرصد هذه المفارقة القاسية بين الشعب الجائع والإمام المترف، فيرى أن الترف هو سبب الجوع ونتيجته معاً.

ورغم انتصار البردوني للشعب الجائع، فلا يلبث أن ينتقده ويحمله المسؤولية، وهذا من باب الحرص عليه والدفاع عنه، وحثه على الثورة والتمرد، فهو إذ يصور مظالم الإمامة وضراوة حكمها، يصور أيضاً خنوع الشعب ويحمله وزر ما هو فيه:

لا تلم قادتنا إن ظلموا ولُمِ الشعبَ الذي أعطى الزماما
كيف يرعى الغنم الذئب الذي ينهش اللحم ويمتص العظاما
آهِ منا، أهِ ما أجهلنا بعضنا يعمى وبعض يتعامى
نأكل الجوع ونستسقي الظما وننادي يحفظ الله الإماما
يا زفير الشعب حرّق دولة تحتسي من جرحك القاني مداما[1]

إنه علنا يدعو الصعاليك الفقراء إلى الثورة لانتزاع الحقوق، والقضاء على الجوع القاتم. ويختار البردوني شيخاً متسولاً من ابناء اليمن الفقراء الصعاليك، ليرصد رصداً خاطفاً معبراً قسوة البشر، ويربط لفظُ الغريب بين هذا الشيخ والشاعر ربطاً نفسياً عميقاً يقول البردوني عن المتسول الصعلوك:

ثقيل الخطو يمشي الهوينى بجوعه وأحزانه مشي الضرير المقيد
ويزجي إلى الأسماع صوتاً مجرَّحا كئيباً كأحلام الغريب المشرد
يمد اليد الصفرا إلى كل عابر ولم يجنِ إلا اليأس من مدَّة اليدِ
هو الشر ملء الأرض والشر طبعها هو الشر ملء الأمس واليوم والغدِ
فيا للفقير الشيخ يمشي على الطوى وفي مأتم الشكوى يروح ويغتدي[2]

إنه تصوير ملؤه الحزن والأسى والشكوى والجزع مما يمكن أن تقود إليه هذه المآسي الاجتماعية، وها هو يفتقر لفقر أهله، ويعيش التشرد والغربة في نفسه ووطنه:

---

(1) مجلة الكويت ـ عدد 227 ـ أيلول 2002م ـ مقال بقلم د. وهب رومية ـ بعنوان: الرؤى السياسية في شعر البردوني ص50 ـ 54.

(2) المصدر نفسه ـ ص52.

وأنــا يــا قــلــب أبــكــي إن بــكــت مــقــلــة كــانــت بــقــربــي أو بــبــعــدي

وأنــا أكــدى الــورى عــيــشــاً عــلــى أنــنــي أبــكــي لــبــلــوى كــل مــكــدِ

حــيــن يــشــقــى الــنــاس أشــقــى مــعــهــم وأنــا أشــقــى كــمــا يــشــقــون وحــدي

أم أسِــرْ مــن غــربــة إلا إلــى غــربــةٍ أنــكــى وتــعــذيــب أشــدّ[1]

وفي شعر البردوني إحساس عام طاغٍ بالنفي والفقد والغربة، فاليمن كلها مجتمع صعاليك يتوقون إلى التمرد ويعيشون في سجن مظلم، يتوقون إلى الحرية لأنهم يقاسون غربة المنفى[2]:

بــلادي مــن يــدي طــاغٍ إلــى أطــغــى إلــى أجــفــى

ومــن ســجــنٍ إلــى ســجــنٍ ومــن مــنــفــى إلــى مــنــفــى

ومــن مــســتــعــمــر بــادٍ إلــى مــســتــعــمــرٍ أخــفــى

وحــتــى فــي أراضــيــهــا تــقــاســي غــربــة الــمــنــفــى

واليمن بعد هذا كلهِ، عطشى جائعة، حائرة، نسيت مصيرها وأسلمته للآخرين، وهي دعوة ضمنية إلى التمرد على هذا الواقع المزري والأليم[3]:

لأنــهــا وهــي حــبــلــى بــالــري عــطــشــى جــديــبــه

جــاعــت ومــدت يــديــهــا إلــى الأكــف الــمــريــبــة

تــنــســى الــمــصــيــر ويــأتــي مــصــيــرهــا فــي حــقــيــبــةْ

لأن دار أبــيــهــا لــهــا مــنــاف رهــيــبــةْ

ويعقد البردوني مقارنة بين أصحاب القصور الأغنياء المترفين، وبين أصحاب الاكواخ الفقراء المعدمين، هذا يبتهج ويعيش حياة البحبوحة، وذاك ينتحب ويحيا بشظف وعناء[4]:

ويــبــتــهــج الــقــصــر فــي ظــلــه ويــنــتــحــب الــكــوخ والــمــعــدم

فــفــيــه الــتــآويــه والأغــنــيــات وفــي طــيــه الــعــرس والــمــأتــم

وفــي صــدره ســر هــذا الــوجــود فــمــاذا يــذيــع ومــا يــكــتــم

ويستنهض شاعرنا مدينة صنعاء عاصمة اليمن، مدينة الفقراء والصعاليك الجياع

(1) مجلة الكويت ـ د. وهب رومية ـ ص51.

(2) المصدر نفسه ـ ص58.

(3) م. ن ـ ص58.

(4) مجلة الكويت ـ العدد 227 ـ ص52.

لأن تنفض عنها الموت، لأنها لا تدري أنها تسير إليه، وتنتقل من قبر إلى قبر، فبيوتها قبور يعشش فيها الفقر والصمت، حتى الروابي أصبحت جرداء وخلت من آهِليها[1]:

أتدرين يا صنعاء ماذا الذي يجري ... تموتين في شعب يموت ولا يدري
تسيرين من قبر لقبر لتبحثي ... وراء سكون الدفن عن ضجة الحشر
وحتى الروابي منك باعت ضياعها ... وما عرفت ماذا تبيع وما تشتري

وهو القائل على كل حال في صنعاء نفسها:

ماذا أحدِثُ عن صنعاء يا أبتِ ... مليحة عاشقاها السل والجرب

والمعنى جليّ واضح لا يحتاج إلى تفسير.

ويتحدث بغصة عن اليمن المنقسمة، سكانها فقراء منفيون في وطنهم:

يمانيون في المنفى ... ومنفيون في اليمنِ
جنوبيون في «صنعا» ... شماليون في «عدن»[2]

ويصرخ الشاعر المناضل بقوة في قصيدة قالها سنة 1973م، جاءت بشكل هجوم صاعق على الحكم في اليمن وعلى القوى الخارجية التي رهنت مصيره بمساعداتها، والتي حولت الشعب اليمني إلى متصعلك يمد يده إلى المستعمرين، ويبيع ذاته لهم لقاء فضلات طعامه:

ونحن القادة العطشى ... إلى فضلات أكوابك
ومسؤولون في (صنعا) ... وفراشون في بابك
لقد جئنا نجر الشعب ... في أعتاب أعتابك
نعم يا سيدَ الأذناب ... إنّا خير أذنابك[3]

ويتألم الشاعر العراقي الكبير **محمد مهدي الجواهري**، لما آل إليه حال الشعب العراقي من جوع وفقر وهوان، حتى تحول إلى مجتمع صعاليك ينقصها أن تحمل سيف النقمة وتتمرد على المستغلين وتجار الثروات والمال، وهو في قصيدته يستخدم الاسلوب الساخر، عله يجدي في ايقاظ الناس وإشعارهم بما هم فيه،

---

(1) المصدر نفسه ـ مقال للكاتب بيان الصفدي ـ ص44.
(2) مجلة الكويت ـ عدد 227 ـ مقال للدكتور وهب رومية ـ ص58.
(3) المصدر نفسه ـ ص58.

جاء ذلك في قصيدته «تنويمة الجياع» التي نشرها في جريدة الأوقات البغدادية، العدد 28، في 28 آذار (مارس) سنة 1951م اثناء الحكم الملكي:

نامي جياع الشعب نامي ... حرستك آلهةُ الطعامِ
نامي فإن لم تشبعي ... من يقظة فمن المنام
نامي على زُبُدِ الوعود ... يُدافُ في عَسلِ الكلام
نامي تزرْكِ عرائسُ الـ ... أحلام في جُنحِ الظلام
تتنوري قُرصَ الرغيـ ... ـف كدورة البدر التمام
وتريَ زرائبك الفِسا ... حَ مبلطاتٍ بالرُّخام

إنها دعوة صريحة للتمرد، واسترجاع الحقوق المغتصبة من المحتكرين، الذين اغتنوا على حساب الشعب الفقير البائس الذي يعيش في الزرائب ويتشوق للرغيف بالوعود المزخرفة الكاذبة التي دأب عليها رجال الاقطاع والحاكمون المستغلون.

ثم يتابع الجواهري مستعرضاً معاناة الفقراء الجياع، الصعاليك المشردين في المستنقعات، وعلى انغام البعوض ومهد الأذى، أولئك الذين يفترشون الحصى ويتلحفون الغمام، كناية عن الفقر المدقع والمعاناة الصارخة لشريحة كبرى في المجتمع، وهو إذ يتحدث عن هذه الرزايا التي تفتك بالشعب الفقير، فإنه ينتقده أشد انتقاد، ويدعوه إلى نبذ كل ما يلهيه عن المطالبة بحقوقه، وألا يثقوا بالخطب المعسولة والوعود الكاذبة:

نامي تصحّي نعمَ نو ... مُ المرء في الكُرب الجسام
نامي على المستنقعا ... تِ تموج باللجج الطوامي
نامي على نغم البعو ... ضِ كأنه سجع الحمامِ
نامي على مهد الأذى ... وتوسدي خدَّ الرغامِ
واستفرشي صُمَّ الحصى ... وتلحفي ظُلل الغمام
نامي فقد أنهى مُجيـ ... ـعُ الشعبِ أيامَ الصيامِ

وفي مكان آخر من القصيدة، يحدد الجواهري أولئك الذين يعتبرهم سبب علة هذا الشعب المسكين الفقير، فنومه هو سكوت فاضح عنهم وإفساح في المجال لهم ليسترسلوا في إنتهاك ثرواته ومقدراته:

نامي جياع الشعب نامي ... لا تقطعي رزقَ الأنام
لا تقطعي رزق المتا ... جر والمهندسِ والمحامي

نــامــي تــربــحــي الــحــاكــمــيــن مــن اشــتــبــاك والــتــحــام
خــلُّ الــهُــمــام بــفــضــل نــومــكِ يــتــقــي شــر الــهــمــامِ[1]

والقصيدة طويلة جداً، ونكتفي بهذا القدر منها.

وفي قصيدة عينية نشرها الجواهري في جريدة الجهاد يتاريخ 7 ت1 (أكتوبر) سنة 1952م، يتحدى الشاعر الحاكمين أن يصنعوا ما يريدون، مقراً بدخيلته أن ليالي الظلم لا تدوم، وقد أشار إلى جماهير الشعب الفقيرة المظلومة، والتي هي مجموعة الصعاليك المنبوذين المشردين الذين لا يجدون علة معاشهم حيث يقول[2]:

مــا تــشــاؤون فــاصــنــعــوا لــكــم الأرض أجــمــعُ
قــد خُــلــقــتــم لــتــعــبــدوا وعــبــيــداً لــيــزرعــوا
لــكــم الــرافــدان والــزابُ ضــرعُ فــأضــرعــوا
تــخــصِــبُ الأرض تــحــتــكــم مــا أمــرتــم وتُــمــرعُ
مــا تــشــاؤون فــاصــنــعــوا الــجــمــاهــيــر هــطَّــعُ[3]
مــا الــذي يــســتــطــيــعــه مــتــضــامــنــون جُــوَّعُ

ويؤكد الجواهري على أن المسؤولين يتعمدون إفقار الشعب ليشبعوا، وقد اعتادوا على الرشوة وكم الأفواه المعارضة التي لا تصمد بالدنانير والترضيات[4]:

مــا تــشــاؤون فــاصــنــعــوا كــل عــاصٍ يُــطــوَّعُ
فــلــســان يــنــوشــكــم بــالــدنــانــيــر يُــقــطــع
مــا تــشــاؤون فــاصــنــعــوا جــوَّعــوهــم لــتــشــبــعــوا
وعــراة عــلــى الــدروب حــيــارى تَــجَــمَّــعُ
أرهــبــوهــم لِــيــضــرعــوا وخــذوهــم وأوجِــعــوا

ذلك هو مجتمع الصعاليك الجائع الفقير العاري المشرد على الدروب، والذي يتعرض للارهاب والقسوة، ولا ينقصه سوى أن يثور ويتمرد ليتحرر من هذه التبعات كلها.

---

(1) محمد مهدي الجواهري ـ الديوان ج3 ـ ص74 و77.
(2) الجواهري ـ الديوان ـ ج3 ـ ص108.
(3) هطع: خائفة مستسلمة.
(4) ديوان الجواهري ـ ج3 ص109.

ثم يتهم الشاعر المسؤولين بسرقة أموال الشعب وتوزيعها لخدمهم والحواشي، وتقديمها لذويهم، وسن القوانين تحت ظل الحراب والقسوة والقهر، لقد حولوا المجتمع إلى مجموعة صعاليك تفتش عن حقها المصادر[1]:

ضيقوا ما استطعتم من خِناق ووسِّعوا
ما نهبتم فوزِّعوا للحواشي وأقطعوا
عن ذويكم وعنكم الدساتير تدفع
القوانين شِرعةٌ بحِرابٍ تُشرَّعُ

والناس في بغداد بنظر الجواهري مجموعات لها تسميات مختلفة، فهم هَمَلَ وغَفَل سوامَ وصعاليك، هكذا ورد في قصيدة للجواهري نظمها في سنة 1953م في سجن أبو غريب الذي أسِرَ فيه[2]:

ينافقون يرون الناس أنهم شُمٌّ أباةٌ أماجيدُ مصاحيبُ
وأنهم قادةٌ صِيدٌ وأنهمُ غرُّ المصابيح والدنيا غرابيبُ
والناسُ واللهُ يدري أنهم همَلٌ غُفْلٌ عضاريط مناخيب[3]

وينتهز الجواهري مرور عيد العمال سنة 1959 ليلقي قصيدة عصماء في الحفل الذي أقامه الاتحاد العام لنقابات العمال في العراق بمناسبة هذا العيد العمالي، وقد نشرت هذه القصيدة في جريدة الرأي العام بتاريخ 20 أيار سنة 1959م، وقد اعتبر الشاعر أن العمال وفروا للصعاليك الحياة ورفعوا عنهم كاهل الفقر والحرمان من خلال قوله:

منكم على الجثث استقامت دولةٌ هي في الصلاح نموذج الدولات
لم تدفع الفرد الكريم بمنةٍ منها ولم تصفعه بالصدقاتِ
حبتِ الصعاليك الحياة وركّزت أقدامهم في قمة الدرجاتِ

إلا أن قدراً كبيراً من الصعاليك الفقراء عاد لينتشر ويكبر نتيجة تنين التحكم في الوضع الاقتصادي، من حيث تقاسم الأرباح في الشركات، وإقامة ناطحات

(1) ديوان الجواهري ـ 3/ 109.
(2) المصدر نفسه ـ 3/ 129.
(3) * غرابيب: جمع غربيب وهو الأسود الحالك.
همل: متروكون ـ غفل: مجهولون ـ لا علاقة فيهم ـ سوام: إبل ـ العضاريط: جمع عضروط، وهو الصعلوك والأجير على بطنه ـ المناخيب: جمع منخوب وهو الجبان.

السحاب من تلك السرقات والرشاوى التي عادت فأفقرت الشعب لأن ماله أصبح سائباً في يد مجموعة مستهترة بحقوق المواطنين، ومن ثم أصبح المجتمع بين صعاليك يفتشون عن اللقمة، وبين اثرياء كدسوا الثروات في ايديهم، فتكدس الفقر الخبيث، ثم يذكر الشاعر العمال، بأنهم ملك للشعب المتصعلك الفقير، وليس للمتكرشين الطامعين.

وينتصر من أجل غد مزدهر تذوب فيه كل اشكال الحرمان، بعد أن كان المجتمع في الماضي منقسماً إلى امراء وعبيد، يتهافتون على كسرات الرغيف، والشاعر يعتمد على هؤلاء العمال في استعادة المبادرة وانقاض ابناء المجتمع، جاء ذلك في قصيدة القاها في عيد العمال سنة 1960م ونشرها في جريدة الرأي العام أيضاً[1]:

| | |
|---|---|
| صحابي وأنتم لنعم الصحاب | إذا نُكِثت من صَحِيب عهود |
| أرى الغيب كالشمس رأد الضحى | وكالنار تعشو إليها الوفود |
| أرى غدكم زاحفاً فوقه | ترف مروج وتُزهى ورود |
| فميلوا له إنه منكم | قريب وما فجر ليل بعيد |
| ومن بينكم سيمد الكفا | ح جيل عنيد شديد مريد |
| مضى أمسِ حيث يَقُص الشيوخ | لأبنائهم كيف عاش العبيد |
| وكيف تعرت على الزمهرير | زنود، لِتُكْسى بخز زنود |
| وكيف وأطفالكم في العراءِ | صيغت لطفل السريِّ المهود |
| وكيف على كِسراتِ الرغيف | يُعفر في كل يوم شديد[2] |

ويظهر الشاعر اللبناني الدكتور حسن محمد نور الدين انحيازه للمظلومين والفقراء، وذلك في قصيدة له عنوانها «أنا والأرز» من ديوانه وجع النخيل، وهو يرى ان لبنان تحول إلى مجموعة صعاليك في مواجهة السُّياف والسُّجان، الذين يحملون معاول الهدم وأدوات التهشيم بحق الفئات الفقيرة المغبونة في المجتمع، وفي الوقت الذي ينبت المناضلون أفنان العلى، يزرع الظالمون والمغتصبون أشواك التعب والمعاناة[3]:

---

(1) ديوان الجواهري ـ ج3/ ص242.

(2) المريد: المتمرد ـ السريِّ: السيد.

(3) د. حسن محمد نور الدين ـ ديوان ـ وجع النخيل ـ دار المواسم ـ بيروت ط1 ـ 2005م ـ ص139.

أنـا وأرزك يـا لـبـنـان «صـنـوانُ» غـريـمـنـا الـيـوم سـيـاف وسـجَّـانُ

فـيَّ الـجـراح وفـيـكِ الـحـطـم وا أسـفـي يُـداول الـهـشـم قـدوم وسـنـدانُ

ضِلعي بضلعك يستقوي وحسبهما أنـت بـيـن مـا أنـت والـبـلانُ شـتـان

ذا يـزرع الأرض أشـواكـاً تُـنـجِّـذُنـا ومـنـك تـفـرعُ لـلـعـلـيـاء أفـنـانُ

ثم يتعجب الشاعر من الذين يتباهون بالاستقلال في الوقت الذي يسرح فيه المستغلون، آكلوا مال الشعب، والطبقات الفقيرة المتصعلكة، ويسيطر عليه المرتشون وغيلان الثروات وشياطين السوء والتجارة، وحيتان المال مسببو الجوع والحرمان:

كـيـف الـتـنـدر بـاسـتـقـلالـنـا وعـلـى جـوانـح الأرز فـئـران وجـرذان

أتـسـتـقـل تُـرى والـدارُ يـسـكـنـهـا صِـلٌ وغـولٌ وعـفـريـت وشـيـطـان

ويعتلي العرش من لو شئت تحسبهم إنـسـاً فـحـاشـا ورب الـعـرش حـيـتـانُ

قـومٌ تَـعـوَّذْ إذا أحـصـيـتـهـم عـدداً بـسـورة الـنـاس وحـيُ الله فـرقـانُ

وهؤلاء البورجوازيون الأثرياء الذين أوجدوا الصعلكة في المجتمع، وخلقوا طبقات المتسولين والجوعى هم أصناف، وكأنهم اتفقوا على اقتسام المنافع واقتطاع أرزاق المواطنين بالنهب والتشبيح وخيانة المجاهدين والمناضلين، والمقيمين دكاكين الابتزاز والاستغلال وجمع الثروات في غير وجهة حق، فاسمعه يقول:

ذا يـنـسـج الـبـردُ مـن أضـلاع أمـتـه وذاك بـالـنـهـب والـتـشـبـيـح فـنـانُ

وذلـك الـيـوم نـعـابٌ عـلـى وطـنٍ إن شـئـت تُـسْـمـيـه إن الإسـم دكـانُ

يـسـتـرخـصـون دمـاء الـقـابـضـيـن عـلـى جـمـرِ الـحـيـاة فـبـئـس الـقـوم خـوان

ويـسـرجـون خـيـولاً فـوق أظـهـرهـا هُـجْـنُ الأرومـةِ أفَّـاكـون مُـجَّـانُ

لا يـرعـوون مـتـى وحـش الـغـلاء فـشـى ولاح لـلـغـش والـتـدلـيـس إيـذانُ

أن يـشـعـلـوا الـنـار في كـل الـخـبـاء وهـم عـبـر الاثـيـر وفـي الـشـاشـات رهـبـانُ

هـم الـرجـال وأشـبـاهُ الـرجـال ولا تـجـانـبُ الـحـق إن صـنـفـت خـصـيـانُ

اذن هؤلاء التجار المستغلون هم الذين ينسجون ثيابهم من أضلاع الشعب المسكين، فيسببون فقره وعريه وجوعه، وهم النهابون المتخصصون في فن التشبيح وسرقة حقوق الفقراء، وهم الذين يسببون الغلاء الفاحش ويقترفون الغش والنفاق، ويشعلون نار الفتنة وهم يزعمون أنهم دعاة خير ومحبة وتآلف.

ثم يرى الشاعر حسن محمد نور الدين ان الاستقلال لا يتحقق إلا بزوال

العدوان، والقضاء على المتاجرين بلقمة المساكين، وحتى يُقضى على الجوع والفقر والحرمان، فلا يبقى جائع وعار ومحتاج إلا وقد استرجع حقوقه، وهذا برأيي لا يتحقق إلا بتمرد الفئات المتصعلكة، الجائعة التي تملك مفتاح الحل المطلوب:

لبنان والأرزُ نستلقي بظلكما  لنستقل ولحنُ القلب أشجانُ
لا نستقلُّ ولا نحظى بعزتنا  ولا تُدبَّجُ بالتحرير قصدانُ
حتى ترفرفَ فوق السُّوحِ رايتنا  ولا يظلُ على الآكام عدوان
ولا يُسمْسِرُ مأجور ومرتهن  ولا يُضَّورُ جوعانٌ وعريانُ[1]

وللشاعر الدكتور محمد ميشال الغريب قصائد نثرية إن صح التعبير، علماً أني لا أميل إلى هذه التسمية، وهو في هذه المقاطع يعلن موقفه الصارخ إلى جانب الفقراء والمعوزين، وطبقة الصعاليك الجياع، وهو وإن كان صعلوكاً متمرداً، إلا انه في شعره نصنفه مع جماعة أنصار الصعاليك ومن المدافعين عن حقوقهم، ومن المهاجمين بقسوة جميع التجار الجشعين والولاة الظالمين والأغنياء المسرفين، وهو في صغره كان من طبقة الفقراء، فقد عانى وواجه صعوبات مالية وحياتية جمة، يؤكدها في مقاطع كثيرة من شعره.

يقول في قصيدة نثرية عنوانها: شربت القهر مع الرضاع[2]:

في كل ما كتبتُ وحاضرتُ وألفت
حقد دفين على نظامنا السياسي الزفت
منذ صغري وأنا أعشق النضال الشعبي
ضد الظلم والقهر للمواطن الفقير الأبي
فهجزت نفسي بالعلم الجامعي الرفيع
وفي تحصيلي العلمي كنتُ من المعذبين
ففقر والدي الأطرش خليل
وضآلة ربحه من التصوير اليدوي

---

(1) د. حسن محمد نورالدين ـ وجع النخيل ـ ص139 ـ 142.
(2) د. محمد ميشال الغريب ـ فساد الحكم في لبنان ـ ص13 ـ بيروت ـ ط أولى ـ 2001 ـ 2002م.

منعاه من تسجيلي في أية مدرسة
لا رسمية ولا خاصة، فرحت أشتري الكتب العتيقةْ
حتى أن المال كان ينقصني
لشراء هذا الرخيص من الكتب
فيجبرني والدي على بيع قديمي أولاً
وإن لم أفعلْ
فلا كتب ولا أملْ

إذاً، كان يعاني من لوعة الفقر، وضيق يد العائلة التي لم تستطع تأمين مستلزمات الدراسة له، وقد تركت هذه الأحداث في نفسه جروحاً جمة، وأضحى خصماً لدوداً للفقر، نصيراً متعصباً للصعاليك الفقراء، خصماً عنيداً للسياسيين المتهورين.

وقد اكتملت عناصر تمرده بعد موقف أبيه منه، عندما صفعه أمام رفاقه في شارع المعرض الشهير، دون أن يدري هؤلاء التلاميذ ما يعاني قلبه من رزايا جسام[1]:

وعندما اعترضت مرة على هذا الحكم الجائر
كانت الصفعة الشديدة ثمن عصياني الثائر
فذرفتُ الدمع الغزير، على رصيف سينما التياترو الكبير
في شارع المعرض الشهير
أمام العديد من التلاميذ والتلميذات
غير العارفين بما يصيبني من رزايات.

وأمام هذا الحرمان المقيت، وللتخلص من الفقر القاتل أخذ الشاعر يفتش عن وسيلة تخلصه مما هو فيه[2]:

أمام هذا الحرمان الدائم

(1) د. محمد ميشال الغريب ـ فساد الحكم في لبنان ـ ص14.
(2) المصدر نفسه ـ ص15.

والقهر الشديد العارم
كان عليَّ التفتيش عن وسيلة خلاص
لمخرج ليس منه مناص، فنزلت مشياً على الأقدامْ
وعمري لم يتعدَّ الخمسة عشر من الأعوامْ
إلى أن حظيتُ بوظيفة أجير
وبالفرنسية «بلانتون» حقير
أُكنس المحل صباحاً
وأنفضُ الغبار صاغراً

وقد ولدَّ هذا الواقع في نفسه نقمة ضد الحقيقة والنظم التي تحمي المتخمين، وتسكت على الظلم الذي يحيق بطبقة الفقراء الصعاليك، الذين نشأت في أعماقهم رغبة التمرد والانتقام، والشاعر واحد منهم:

ورحت أحلل الأمور في نفسي المضطربة
كيف يُحرم ولدٌ تواق للعلم والمعرفة
من معلم ومدرسة
وكيف يُكره عليهما ابن عائلة مترفة
يحشر في أرقى معهد وجامعةْ
فكيف كل ذلك لا يولد فيَّ نقمة جامحة
نظام الوحشية المتخمة
فربيت وكبرتُ على ظلم فاضح
أفتش عن وسيلة للانتقام الناجح[1]

ومن اسباب تمرد الشاعر حرص والده الشديد حتى درجة البخل، إذ كان يمنعه من إيقاد قنديل الكاز جيداً في ساعات الدرس خلال الليل، مما اثر على نظره، وعرضه للإهانة والاضطهاد، كما يقول في قصيدة عنوانها جشعي للعلم[2]:

---

(1) د. الغريب ـ فساد الحكم في لبنان ـ ص16.
(2) د. الغريب ـ فساد الحكم في لبنان ـ ص17.

وكان السهر على ضوء قنديل الكاز
أقويّه كي أبصرَ الكلمات نورا
وأبي خليل ينوصه توفيرا
فإن عصيتُه كانت اللطمةُ بالمرصاد
مشفوعةً بزجرة لا تُضادّ
فأي اضطهاد أقسى من هذا الاضطهادْ
وهل على نشوئي متمرداً أُلام
فأين نحن من العدل الاجتماعي العامْ
وأين الدولة من حماية القصَّار واليُفَّاع
فهؤلاء يُدفعون للثورة على الحكام الظالمين
وعلى الراسماليين الذين مازالوا بمصيرنا متحكمين
فإلى الثورة الحمراء مازلت أدعو
باسم كل دين وخلق كريمْ
ولم يكن عبثاً وصدفة إيماني العميق
بسيد العلماء والأئمة المتقشفين
علي بن أبي طالب إذ قال:
عجبتُ لإمرى يجد أطفاله جياعاً
ولا يخرج على الناس شاهراً سيفاً[1].

هنا، ينتصر الشاعر لجماهير الشعب، للصعالكة، الفقراء الجياع المظلومين، ويدعو إلى الثورة ضد الحكام الظالمين، ويؤكد على هذا المفهوم نفسه في قصيدة أخرى عنوانها «الطائفيون يحكمون لبنان»، وفيها يشن حملة شعواء ضارية على الدولاريين آكلي حقوق الشعب وطبقات الصعاليك المسحوقين، كل ذلك باسلوب واضح ومن غير التزام بموسيقى أو بتفعيلة، إنما جاء الشعر مسجَّعاً وعلى طريقة الخطاب العادي الصريح، فاسمعه هادراً في قصيدة عنوانها الثورة الحمراء هي الرجاء:

(1) د. محمد ميشال الغريب ـ فساد الحكم في لبنان ـ ص18.

طالبنا كثيراً

وناضلنا مريراً

في كل الساحات . . . وفي كل المجالات

والصحف نشرت مقالات . . . وتصدرت بالإفتتاحياتْ

والأخصام صمتوا صمت الأموات

فلا تبقى لنا إلا الثورة الحمراء

تطيحُ بحكم الظلم والبغاء

فإلى العصي والمعاول

يا أبناء الشعب المناضل

فهذه رموز كل شعب ثائر

من طانيوس شاهين، إلى ثورة الفرنسيين

ضد جلادي سجن الباستيل[1]

ويجهر في قصيدة أخرى بمشاركته في المظاهرات الشعبية في سبيل الحقوق والمطالب الاجتماعية المشروعة، وبمساندة الصعاليك الفقراء والعمال المحرومين في تمردهم ومناداتهم بالعدالة والخبز والحرية[2]:

ما دُعيتُ للمشاركة بمظاهرة شعبية

أو علمتُ بقيامها لأسباب مطلبية

إلا كنت في طليعة المشاركين

أساندُ العمال والمحرومين

ضد نظام مازال بيد السماسرة والمحتكرين

ثم ينصح الشاعر الغريب الساسة جميعهم باتباع تعاليم زعماء الصعلكة والتمرد الحر الشريف في العالم أمثال المهاتما غاندي، وبالالتزام بقيم الانبياء المرسلين الذي عاشوا حياة الزهد والتقشف والإيمان والعنفوان في آن معاً:

---

(1) د. محمد ميشال الغريب ـ فساد الحكم في لبنان ـ ص34 و35.

(2) المصدر نفسه ـ ص36.

إن شئتم تخليداً لذكركم
يا أصحاب الفخامة والسعادة والمعالي
تعالوا أدلكم على ما يفيدكم
فلا مالكم
ولا عقاراتكم .. ولا مصارفكم
تدوم لكم
فالسيد يسوع الناصري
عاش فقيراً لا بيت له
يأكل حيثما حلَّ ضيفاً
ولم يكن له خادم يعنيه
أو عبد يشتريه
ومحمد نبينا الكريم
عاش فقيراً فارغ الجيب
حتى انه اقترض من يهوديْ
لسداد الدَّيْنِ الضروريْ
والمهاتما غاندي عند الهنود
كانت تركته
ساعته ونظارتاه
ومع ذلك حرر بلاده
من أعتى امبراطورية في التاريخ
فانكفأت بريطانيا العظمى
عن حدود قاره، .. حكمتها قرونا
واستعبدتها دهوراً
وما اقتلعها إلا عجوز فقير
بالصيام والعصيانْ

جوزف غاندي المتمرد العنيد

الصائم حتى الموت الأكيد

أمثولة حية في الجهاد الوطيد

ليت حكامنا يقرأونه، وفي آثاره يقتفُونه[1]

ويضم الشاعر اللبناني شوقي بزيع صوته إلى أصوات الفقراء الجياع المتصعلكين، ويعلن إنحيازه لهم ووقوفه إلى جانبهم، في مقاطع حية جميلة من قصائد في ديوانه «عناوين سريعة لوطن مقتول».

الأرض ملأى بالجياع الفقراء، أهل الصعلكة المناضلين الصامدين، في وطن يكاد يختنق ويموت، وله من قصيدة عناوين سريعة:

فليتقدم حفاة المدينة نحو المدينة

وليسرج الجائعون القرى

هي الأرض تدخل في الدورة الدمويةِ

أو في مدار الشظية، أو في جنون يدور

ليسقط على القلب هذا الندى الليلكي

ويهوي المساكين نحو القبور

فإن أورق الدمعُ، والأرضُ ألغتْ مواعيدها

فليقوموا:

سيُعرف كلٌ بأوجاعه

لا علامة فارقة في جبين الجياع سوى الجوع،

والأرض شاهدةٌ

أنهم أغمدوا صدرهم في التراب، ولم يبلغوا الخبز

لكنهم حين ماتوا أضاءت مصابيحهم في القبور[2].

هؤلاء الجياع الحفاة هم مناضلون، أغمدوا صدورهم في التراب وكافحوا إلا

---

(1) د. محمد ميشال الغريب ـ فساد الحكم في لبنان ـ ص59 و60.

(2) شوقي بزيع ـ عناوين سريعة لوطن مقتول ـ ص5 ـ 7 ـ دار الآداب ـ بيروت ـ طبعة ثالثة ـ 1985م.

أنهم لم يحصلوا على الخبز، والخبز هنا هو البحبوحة، والشبع والكفاف، فهم صعاليك ثائرون ضد الأعداء الصهاينة أولاً، ثم الجوع والقهر والظلم، ومن سيشهد منهم سيبقى حياً يضيء بنوره الحياة.

والطغاة هم سبب الجوع والقحط، وهم الذي افسحوا للصعلكة، بالنمو والإتساع، وللصعاليك الذاهبين إلى الحرب ضد الاحتلال والجوع والتشرد[1]:

وقفتُ على باب تلك المدينة أحصي دمَ

الذاهبين إلى حربها

فاستدار الرصاص إلى حيث كانت بلادي

وقد أوثقوها إلى الجوع فانتشرت فوقها السنبلات العجاف.

وكان الطغاة على بعد سنبلة من فم الجائعين.

وكانت بلادي على طرف الموت، تدخل في جثة وتقاتلْ

تلك هي الحرب المعلنة والخفية بين الظالم ورغيف الخبز، بين الصعاليك الفقراء الثائرين وبين الظلم والقهر والعدوان، حرب عمرها زمنٌ بل أزمان.

وعندما يتحدث بزيع عن نفسه فانه يقصد الشعب المظلوم كله، الشعب المتصعلك الشريد، اللاشيء، الذي يناضل ليصبح شيئًا:

أنا الرجل الصفر أبدأ من نقطة في بلادي

ولا أنتهي في أحد،

ويرقصني البحر حتى انطفاء الزبد

وبيني وبين المدينة جسرٌ تقمصته

فارتدتني خطى العابرينْ

لأني قتيلٌ ولا ظل للميتين

لأني شريدٌ ولا موت يستقبل الجائعين[2].

وعندما يصمم الصعاليك ويثورون ويتمردون، يقومون من تحت الانقاض،

---

(1) شوقي بزيع ـ عناوين سريعة ـ ص6 ـ 8.

(2) شوقي بزيع ـ عناوين سريعة ـ ص9 و10.

ينتفضون ضد الجوع وينتصرون، يقوم الضحايا من جديد، ليثأروا من قاتلهم، لأن الشهادة هي حياة جديدة[1]:

وسافرت بين الرصاص وأسواقه في ضواحي السكينةْ

رأيت أحتراق المغنين بين الأغاني

فقام الجياعُ من الجوع

قام الضحايا من الموت

قام الصغار من الأمهات

ولم يبق تحت ركام المدينة

إلا الطغاة.

ومن قصيدة «الأجراس» في ديوان عناوين سريعة أيضًا، تحتشد صور الصعلكة ومفاهيمها في صور موحية عبر قاموس من الألفاظ الصعلوكية مثل (الاطفال الموتى ـ مرض الأنهار ـ القمر الضائع والطفل الشارد والغسق الوحشي والأفق المجنون وشمس الفقراء، ذلك هو خبز الجنوبيين المناضلين الصعاليك الذين يكتبون شهاداتهم بالدم ويتمردون ليحولوا الجفاف إلى خصب، تلك هي رسالة الصعلكة في الحياة، = يقول شوقي بزيع:

هذا البرج لمن لا يلدونْ

هذا البرج لمن يسقط في مرض الأنهار

نحن الأطفال الموتى الأطفال الراياتْ

نطلع من ورق وزهر فراشات الليل

ولتعزف أجراسك للقمر الضائع في الليلِ

وللطفل الشارد في الأرحام

آهِ من القمر المطعون

آهِ من الغسق الوحشي على الأفق المجنون

قولي يل حورية هذا الماء

---

(1) المصدر نفسه ـ ص12 و13.

من أعلن عشق البرعم للنارِ وعشق الخضره للرملِ
وأيقظ شمس الفقراء[1].

ذلك هو النضال المتصعلك الذي يوقظ شمس الفقراء، ويعلن عشق البراعم، براعم الفتوة والشباب للنار، نار الحرية والاستقلال، الذي يعرقله الغسق الوحشي والمجنون.

ويضيق الشاعر المصري حلمي سالم، في ما يصيب العالم من انفلات على شتى الأصعدة، إنها الصعلكة المتمردة التي يحملها الشاعر في أعماقه ويتمرد عبرها على كل ما هو مناهض لحياة الإنسان الحرة ورغبته في الانعتاق والتطور، يقول الشاعر في قصيدة عنوانها (كتابة للعصافير الطليقة)

الأرض جمرة في اليدين
هنا الزنابق الملغومة، الجماجم المقسومة،
الرملة المهمومة، المهجة المحمومة،
الغزالة المغلولة، النوافذ المقفولة، المناطق المجهولة،
الرصاصة المقتولة، الطلقة الموعودة، السنابل المحصودة،
الحلمة المصفودة، المقلة المكدودة،
العالم انفلت
والأرض جمرة في فمي،

وفي مكان آخر من القصيدة يصعّد الشاعر من نفسه الصعلوكي المتمرد العنيف:

في ثيابي تصعد الحريقة،
وجسمي واقف على جمجمتي المشتعلةْ
القرى والمدائن المقبلةْ
والقارعة، ما القارعة!
اللحظة المجنونة المحبوبة الفاجعة

(1) شوقي بزيع - عناوين سريعة - ص17 - 19.

الأعين الدامعة

هي الأرض استغاثاتٌ بعيدة.

أنهم يسلبونها البكارة، الشعراء يطعنون، والنبيون يلسعون[1].

مخاض في كل شيء في العالم، انحلال وطلقات وطعن وتدليس ولسع وقتل، وتدمير، وجيمع هذه الكوارث أرض مؤسسة بل خصبة للصعلكة.

ثم يختار الشاعر القصيدة بقنبله صعلوكية:

الأرض القنبلة

محشوة بالعصافير التي تستحم في ساحة المقصلةْ

الأرض قنبلةْ

محشوة بقضية السنبلةْ[2] (1975م)

ومعظم قصائد (سكندريًا يكون الألم) ناقمة ناقدة مهاجمة، هي تؤسس لصعلكة الجماهير السياسية، وتطعن في التظلل تحت خيمة وعلم الولايات المتحدة الامريكية، ولذلك فالاسكندرية خائفة قلقة من القادم، المجهول، جاء في القصيدة التي أخذت عنوان الديوان نفسه:

واقفًا على تمثال أشرعةٍ مجنحةٍ، طائعًا لدِنًا

الاتصال

بين أعضائي وبيني التكوين والصلصالْ

خيطٌ من الجوع والشموع والانفعال

وإرهاص بالفجيعة المستطيلة التي تمضغ العيونَ

أو تنقش الأوصال بالأوصالْ

«ها هنا الجحيم صال»

تحاذيتُ والكائناتِ، والحزنِ الأرابيسكيِّ والغزاره

لأعضائي بلاغةٌ خاصة تنطُّ للعباره

---

(1) حلمي سالم ـ سكندريا يكون الألم ـ ص13 ـ 17 دار المصير للطباعة ـ بيروت ـ طبعة أولى ـ 1981م

(2) المصدر نفسه ـ ص18.

تحيل حزن المدائنِ الثقيلِ نحو بؤبؤ الفؤاد

(لأعطائي العماره)[1]

الشاعر يعيش، ووطنه في حالة تحول من الهوى العربي القومي إلى وجهة جديدة هي الغرب، ولذلك فهو حزين، متصعلك وتظهر له الاسكندرية مقهورة وخائفة كما يقول:

تقاطعت ليليًا مع البحر الأبيض المتوسط

(اسنكدرية: صفة)

(مقهورة، خائفة)

وفي مطلع قصيدته الثانية (الصعود إلى المبتدا الابيض المتوسط) والمؤلفة منها ومن القصيدة الأولى (سكندرياً)، نشعر وكأن سالماً ما يزال يتابع حديثه في القصيدة الأولى، إذ ان كلاً منهما امتداد للآخر، في نسيج صعلوكي واحد مضفور من رمول الاسكندرية، كانت تصاغ آنذاك في الولايات المتحدة ملامح التحول المصري إلى الصلح مع اسرائيل، كان أنور السادات يهيء زيارته المفاجئة للكيان الصهيوين ويستعد للتوقيع في كامب ديفيد:

يدخل الصباح في الصباح

فتبدأ الجراح في غنوةِ الجراحْ

حتى أن كثيرين تحولوا عما كانوا عليه، أصبحوا كالبعوض، والصحف معظم الصحف باعت ما كانت تؤمن به، إنها الصعلكة المرتدة الضالة المتقلبة عند هؤلاء، وهي عدوة الصعلكة التي نفهمها جيدًا.

التماثيل في هذه الحدائق الخضراء مصفوفةْ

بالصمتِ والسجون مكتوفةْ

آهِ ـ في بلادي تكاثر البعوض.

ما لهذه الجموع مشقوقة بين الجفاف والغيوضْ

جرائدُ الوطنْ

---

(1) حلمي سالم ـ سكندريا يكون الألم ـ ص47 و48.

فتانة مثقوبةٌ في المحنْ

والرؤية في ميدان المنشية .. نباحًا

كتل من الشعب والاشجار والفقراء

موَّاجة مصفوفةٌ عريانةٌ غرقانة بالماء

ترنَّحت تحت لافتة عريضة

USA [1]

لا بد من صعلكة متمردة إيجابية، فالحكام باعوا الشعب، حتى كل شيء فيه، وماذا بعد:

حكومةٌ محكومة خططت لحظة الحلول والمثول والقبولْ

قمة وربوة وقمة وربوةٌ على الغاباتِ والتلولْ

وأمةٌ غطسانة في السيول والذهولْ

مقسومة بين الطريق والطريقْ

يا أنتِ ليس وجهكِ المصقول وجهك المصقول

اسكندرية قالت، وتقول

البائعون وردة المكانِ والبلادْ

البائعون صدري ولحمي وساعدي والجبينْ

البائعون الشفاه والجبينْ

البائعون جماجم الشهداء

وايقاع النشيد الوطني[2][3]

ثم تولد كامب ديفيد من رحم القمة الثلاثية آنذاك، أكبر طعنة للشعب العربي المتصعلك الجائع:

يا اسكندرية الواجفة

---

(1) حلمي سالم: سكندريا يكون الألم ـ ص49 ـ 51.

(2) لعله يقصد ببائعي النشيد الوطني، المطرب العربي المصري محمد عبد الوهاب عندما لحن في القاهرة.

(3) حلمي سالم: سكندريا يكون الألم ـ ص51 ـ 53.

لا أنتِ مرآة وصافة ولا أنتِ مرآة صفةْ
خطفتكِ مني خطا طيفك الخاطفةْ
فهل يصبح المزْرَّقُ فيكِ ـ مثلما كانَ أزرقا
أم صار كل موجٍ فيكِ ـ مفرقا؟
كامب ديفيد مصطافًا:
علبة كئيبة من صدى الحلم المعلب الأنيقْ
تنـزُّ حامضًا وكبريتًا على جماجم الواقفين والضارعينْ
ثم تنخز التماثيل في حديقةِ الخالدينْ[1]
ثم يقابل بين العهد السابق والعهد الحالي، هذا سنة 1978م
هذه التماثيل . . . كنتُ راقصتها في قصيدتي: إذا الملتئم العليلْ
وها أنا أراقص التماثيل في: علبة الجمر والاحتلالِ الثقيلْ.

ويستمر حلمي سالم شاعر الوطن والحرية في تعابيره الصعلوكية المتمردة الحزينة:

لا أسميك معشوقة ولا أسميك تعشقين
أنت يا طوابيرًا من الغارقينْ
ثم يردف:
جرائد الوطن
فتانة مثقوبة في المحنْ
وردةٌ عطناءْ
جالسة مع وردة عطناءْ
جالسةٍ مع وردة عطناء
قمة ثلاثية للوطنْ
ويضيع في دجى الساقطين وطن[2]

(1) حلمي سالم ـ سكندريا يكون الألم ـ ص55.
(2) حلمي سالم ـ اسكندريًا هذا الألم ـ ص55 ـ 57.

وأقول: كان يلزم لهؤلاء صعاليك من امثال تأبط شرا والشنفرى والسليك، وعلى كل حال فقد قيض الله فيما بعد للأمة صعاليك روعوا المرتدين، وهم لا تخلو منهم أية أمة، فالصعلكة حركة تمردية مستمرة في كل زمان ومكان.

وأحمد مطر أكثر الشعراء جرأة وخروجًا على المألوف، من حيث أسلوبه وطريقته ومذاق شعره، وقد حظي الحكام والملوك والمسؤولون في العالم العربي بسيل من نقده الجارح وهجومه العنيف، وفي حين وقف إلى جانب الصعاليك الفقراء الجياع العراة المسحوقين في المجتمع، فإنه كثيرًا ما حمَّل الشعب مسؤولية ما وصل إليه، وانتقد قعوده وعدم مواجهته للظالمين، إلا أنه لم يجف أمله بأن رحلة الظلم لها نهاية، وان الشعب لا بد وأن يتحرك لاستعاده لقمة عيشه وحريته.

ومطر شاعر يستخدم السخرية أحيانًا كثيرة، سخرية محملة بالأسى والحزن الدفين، وشعره من نمط جديد وقديم في آن معًا، فهو واضح جلي سلس إلا أنه قاطع وصارم وحاد، وربما استنفد ديوانه الفاظ الهجوم والشتيمة والنقد والتحدي، ونستطيع أن نفرد معجمًا خاصًا بهذه الألفاظ الهجومية الصاروخية إذا جاز التعبير، إذ أنّ يأسه وبرمه وسخطه مما يراه في عالمنا العربي هو الذي دفعه إلى هذه المواقف الكاسحة، وجميعنا متقززون ونتمزق داخلياً مما وصلنا إليه من تخلف على جميع الاصعدة، وكل منا في داخله سخط ودهشة من التشتت العربي حيال قضايانا المصيرية.

يقول أحمد مطر في موازنة عكسية:

الذي يسطو لدى الجوع

على لقمته لص حقير

والذي يسطو على الحكم

وبيتِ المال والأرض أمير

أيها اللص الصغير

يأكل الشرطي والقاضي

على مائدة اللص الكبير

فماذا تستجير

ولمن تشكو؟

أ للقانون، والقانون معدوم الضمير

أ إلى خف بعير

تشتكي ظلم البعير

أيها اللص الصغير

إرم شكواك إلى بئس المصير

واستعر بعض سعير الجوع

واقذفه بآبار السعير

واجعل النار تدوي

واجعل التيجان تهوي

واجعل العرش يطير

هكذا العدل يصير

في بلاد تنبح القافلة اليوم بها

من شدة الإملاق

والكلب يسير[1]

اللص الصغير، إنه الصعلوك الجائع العاري المستعبد المظلوم، في ظل مسؤولين صادروا حقوقه المشروعة، وثروات وطنه لحسابهم الخاص، حتى أصبح الشعب بمعظم فئاته مجموعة صعاليك.

والشاعر يدعو هؤلاء الصعاليك اللصوص الصغار إلى الثورة وإطاحة المسؤولين عن استنزاف وسرقة أموال الشعب.

اذن الشاعر الثائر الهجومي أحمد مطر من أكثر شعراء العرب انحيازًا ودعمًا للصعاليك الفقراء أينما كانوا على امتداد الوطن العربي، وما اكثر الصعاليك في هذا الوطن الذي تبتلع الصهيونية والدول الاستعمارية ثرواته ومقدراته وتسوقه إلى المجهول، فحالنا كحال القرد الذي استهواه لحس المبرد، دون أن يدري ان دمه يسيل وأنه على شفا الهاوية.

---

(1) أحمد مطر ـ الاعمال الشعرية ـ ص119 و120 ـ لندن ـ طبعة ثانية 2001م.

وأحمد مطر يحدد بنفسه الفئات التي يهاجمها ويذكر السبب الذي يدفعه إلى ذلك، من خلال قصيدة عنوانها الخلاصة:

أنا لا أدعو

إلى غير السراط المستقيم

أنا لا أهجو

سوى كل عُتُل وزينم

وأنا أرفض أن

تصبح أرض الله غابة

وأرى فيها العصابة

تتمطى وسط جنات النعيم

وضعاف الخلق في قعر الجحيم

هكذا أبدع فني

غير أني

كلما أطلقت حرفًا

أطلق الوالي كلابه[1]

إذن. هو يرفض العصابات التي أوجدت الصعلكة، والتي ترتع في البحبوحة واليسر والغنى الفاحش، في الوقت الذي ترزح فيه فئات الشعب تحت سياط النار والجحيم.

ومن قصيدة طويلة عنوانها (كيف تتعلم النضال في خمسة أيام دون معلم)، يتحدث الشاعر مطر عن الجشعين المترفين الذين يأكلون أموال الصعاليك الفقراء، ويسمنون على حساب صحة الأفرادوحياتهم:

أتريد أن تمارس النضال

تعال:

إجمع شعارات جميع الانظمة

---

(1) أحمد مطر ـ الأعمال الشعرية ـ ص114 ـ 115.

وامسح بها

وبُلْ على كل تقارير مصير

الأمم المتهمة

وابصق بوجه قادة الجريمة المنظمة

ذوي الكروش المتخمةْ

من دمنا المال

الفاتحين جرحنا

دكان برتقال

والقاطعين رأسنا

بسيف رأس مال.

وفي قصيدة (هذه الأرض لنا)، يتطرق الشاعر في ما يقدمه فيها عبارات، وهي قصيدة نقدية جارحة، يعتبر فيها المسؤولين يصادرون حقوق واموال وثروات الصعاليك الفقراء، الذين لا يحظون إلا بالجوع والعري والتشرد والضياع، وهي قصيدة صعلوكية بتّارة[1]:

قوت عيالنا

يهدره جلالة الحمارْ

في صالة القمارْ

وكل حقه به

أن بعير جده

قد مر قبل غيره بهذه الآبار ..

يا شرفاء

هذه الأرض لنا

الزرع فوقها لنا

(1) أحمد مطر ـ الأعمال الشعرية ـ ص75

والنفط تحتها لنا

وكل ما فيها بماضيها وآتيها لنا ..

فما لنا

في البرد لا نلبس إلا عُرينا

وما لنا

في الجوع لا نأكل إلا جوعنا

وما لنا نغرق في وسط العار

في هذه الآبار

لكي نصوغ فقرنا

دفئًا وزادًا وغنى

من أجل أولاد الزنى

ومن قصيدة عنوانها (شيطان الأثر) يقول مطر:

لي صديق بتر الوالي ذراعه

عندما امتدت إلى مائدة الشبعان

أيام المجاعه

فمضى يشكو إلى الناس

ولكنْ

أعلن المذياع فورًا

أن شكواه إشاعه

فازدراه الناس وانفضوا

ولم يحتملوا حتى سماعه

وصديقي مثلهم. كذَّب شكواه

وأبدى بالبيانات اقتناعه.

وتتألق الصعلكة الشعرية في قصيدة (آه لو يجدي الكلام)، حيث يرى الشاعر كيف يعيش الصعاليك الفقراء في خوف وجوع وعري، معرضين لشتى ألوان الخوف والخطر والتنكيل:

الملايين على الجوع تنام

وعلى الخوف تنام

وعلى الصمت تنام

والملايين التي تُسرق من جيب النيامْ

تتهاوى فوقهم سيل بنادق

ومشانق

وقرارات اتهامْ

كلما نادوا بتقطيع ذراعيْ

كل سارق

وبتوفير الطعام

عرضنا يُهتك فوق الطرقات

وحماةُ العِرض أولاد حرام

نهضوا بعد السبات

يفرشون البسط الحمراء

من فيض دمانا

تحت أقدام السلام[1]

ويعبر الشاعر جوزف حرب عن حزن الفقراء وصبرهم وحياتهم المليئة بالصبر والمعاناة، انهم صعاليك الأرض الذين يعيشون فيها بفقر وجوع ولكن بعنفوان، وله في قصيدة «ديوان التراب» من مجموعته كتاب الدمع، مفاصل رائعة عن تعب الزنود ورفقة الفقراء والكادحين المتصعلكين للحقل والبيدر، الفارعين كالشجر يلبسون التربة والفخار والصخور:

نهضوا مع الشجر القديم، وجوههم نحتت كنحت النسر

أيديهم كفخار الخوابي، ليس في قاماتهم إلا الوعور

---

(1) أحمد مطر ـ الأعمال الشعرية ـ ص95.

ويتفنن الشاعر حرب في عرض صور الفقر والمعاناة والكدح، أبرز رموز حركة الصعلكة والنضال والتمرد على القحط والجفاف والعسر والحاجة:

وما كفافيهم سوى صُرَرٍ، تُلّفُّ رؤوسهم فيها
كزواداتِ حقلٍ ذاتِ رائحةٍ يفوحُ الملحُ فيها
والطحين.
ثَقُلَتْ على أقدامهم كلُّ المداسات العتيقة
فهي قد رُفِئت بِجلدٍ خِيطَ بالمصيص
تجدُ الأصابع في سنابلهم، وفي قصب الجداولِ
أنت لا تصغي لغير عنائهم، وعيونهم حبُ لزيتونٍ
ترف عليهِ مما امتدَّ من ورق جفونُ
لا يرجعون من النهار إلى وسائدهمْ
وليس يفوح من قمصانهم مروّ ودفلى مُزهِرٌ
أو زيزفونُ.
لكنهم فقراءُ، في أعماق أعينهم عريش غطَّ
فوق يباسه المضفور إكليلاً على أيلول
عصفور حزينُ
وحياتهم حربٌ
إذا ما استُعْطِفتْ ليست لها أذنٌ
وإن ضُربت فليس لها عيون
يا ليتها حملت اليهم غير أطباق المجاعةِ
قبل أن يمسوا طعامًا في مقابرها
السنينُ
حفروا عميقًا في التراب فما رأوا
إلا دماء عروقهمْ تنسابُ في قلب الجذورِ
فأدركوا أسباب أن تخضرَّ في الأرض

الغصونُ[1]

وتظهر براعة الشاعر في رسم صور الحياة لهذه الشريحة في المجتمع، شريحة الفلاحين والعمال والمناضلين، والذين يشكلون الشعب المتصعلك الذائب في اشيائه الطبيعية التي تشكل قاموسه اللغوي والحياتي، حيث يؤنسن الشاعر كل الأشياء ويجعلها ذوات الانسان وحواسه وأعضاءه ولغته.

هؤلاء المناضلون صعاليك حقيقيون، أكلوا من الأرض، ولبسوا وشربوا منها أيضًا، تسمع عناءهم وتعبهم وتعثر على أصابعهم في السنابل الخضراء.

وفي قصيدة أخرى عنوانها «رجال»، يتابع الشاعر حرب انحيازه وتعاطفه مع رجال الأرض الأشداء، مع المناضلين المكافحين صعاليك الحياة الثائرين على الجفاف والقحط والجوع، يقول من القصيدة[2]:

رجال . . . منقوشة أرواحهم فوق المِسلات القديمةِ
مرَّ في أعمارهم برقٌ، وخلى في السماء شقوق غيم
لم يموتوا عندما افترشوا القبورَ وإنما ذابوا وأرض
القرية امتصت مياه هطولهم فيها، فعادوا من جديد
ليس فلاحينَ لكنْ فصل صيفْ

تتطور في شعر جوزف حرب حالة الصعلكة والمعاناة التي يصف فيها الفلاحين المزارعين الاشداء الفقراء أبناء التربة، تتطور حتى تصل إلى ذروتها عندما يقول:

أما العين فهي كتاب
صوفيٌّ الشموعْ
مِنْ نِفَّرِيٍّ النبع، حلاج
المسا الباكي
وَبُسْطاميٌّ من مَصَّتْ
ملامحهم ليالي الجوعْ

---

(1) جوزف حرب ـ كتاب الدمع ص83 ـ 87 ـ رياض الريس ـ بيروت ـ طبعة أولى ـ 2002م.
(2) جوزف حرب ـ كتاب الدمع ـ ص33.

جُمعتْ به أحوالهم، من
حالة الذوبانِ في الزيتونِ
حتى حالة الذوبان بالموتى
الذين توزعوا ما بين تلويح الجنازة
والدموع[1].

وفي قصيدة «بيروت»، تتعزز مفاهيم وخصائص الصعلكة بوضوح، فتبدو البساطة والفقر والحاجة والتعب والمعاناة، يقول الشاعر:

أبوابهم
مثلُ افتتاحياتِ زهر اللوز في صحف الحقولِ
بيوتهم بُنيت بمسكِ الطين والحجر المباركِ
والمناقير التي حمل إلى البَنَّاءِ
قشَّ السنبلةْ.
في سقفهم خشبٌ وبلانٌ
وكل سطوحهم ورقٌ ترابيٌ
لهُ إنْ فاض حِبرٌ من غمامٍ فوقه نشَّاف محدلةِ
وكلُّ غسيلهم طيرٌ من البجع المهفْهَفِ
من بعيدٍ مقبلةْ

ويتوخى الشاعر في معظم صوره استعادة حياة القرويين في الماضي، وحتى في بعض المناطق اليوم، حياة الفطرة الريفية والتعب القروي، حيث يعتمد القرويون على انفسهم في توفير وسائل عيشهم وطعامهم ومبيتهم، وفي علاقاتهم فيما بينهم، حياة لم تكن الحضارة قد لوثتها بعد، يوم كانت على الطبيعة في كل ما تصدر، من هنا كانت تبدأ جذور الصعلكة من صور هذا الفقر القاسي وعزة النفس والاعتماد على الذات وقوة التحمل، وهكذا يستمر الشاعر في جميع مقاطع القصيدة، ولو توفر لرجل عاش في القرن الماضي أن يقرأها لما خالجه أدنى شك، في ان هذا

---

(1) جوزف حرب كتاب الدمع ـ ص37 و38.

الحديث هو عنه، عن بيئته، عن تاريخه النضالي الريفي، عن متعة الحياة المتصعلكة المناضلة البريئة ومازلت أحنُّ إليها، وأظن أن كثيرين يشاركونني هذا الرأي، رغم إيماني بروح الحضارة النقية الايجابية اليوم وضرورة استلهامها والسير فيها وغربلتها جيدًا من المنغصات والأخطار:

بزعترهم علاج كي يصيروا أذكياءَ
كان ذلك حيلةً صارت لدى الفقراء إيمانًا
لكي لا يأكلوا بيض الدجاج وزبدة الأغنامِ والحلوى
وكاساتِ الحليب على الفطورِ
وفتشوا عن حيلةٍ أخرى ليكفي ما يسمى بـ (اليخاني) كلَّ
أهل البيت، زادوا الشُربَّ زادوا الماءَ حتى الصحن أصبح عندهم صحنين[1]

ولا تكاد تخلو قصيدة من قصائد جوزف حرب من هذه اللمحات الصعلوكية المناضلة الطبيعية، ففي قصيدة «الغيم المهجور» سيلٌ من هذا الدفق الصعولكي العارم، بل لعل الصعلكة تبدو متوهجة هنا أكثر من القصائد السالفة، منها هم الفقراء الريفيون الذي يعيشون شبه حفاة عراة، ثيابهم مشققة ممزقة، وقبعاتهم رثة كصنوبر واه لا إبر عليه، حتى أنهم يتمنون عندما يرون قمرًا ان يكون رغيفًا يسدون به جوعهم وحاجتهمَ، وبرغم حب اكفهم لبيوتهم فقد كرهوا تراب سطوحها وشقوفها الممتدة عيدانها السود كأضلاع المجاعات الطويلة[2]:

ليسوا خِفاف الظهرِ
ما اكلوا على طبقِ الطعام بقدر ما في النوم قد أكلوا
على طبق لِهمُ جدلوه من قش الخيالْ
ثيابهمْ فيها شقوقٌ مثلُ حيطان الحقولِ،
وقبعاتُ رؤوسهمْ كصنوبرٍ رثٍ ولا إبْرٌ عليه.
إذا رأوا قمرًا تمنوا أنهم ليلٌ تدوَّرَ خبزهُ،

(1) جوزف حرب ـ كتاب الدمع ـ ص63 ـ 66.
(2) جوزف حرب ـ كتاب الدمع ـ ص68 و69.

فغدا رغيفًا قمحه من فضةٍ وبنفسجٍ
وبرغم حُبِّ اكفهم لبيوتهم، كرهوا ترابَ سطوحها
وسقوفها الممتدة العيدانِ بارزةً وسوداً مثل، أضلاع
المجاعات الطويلة
أصبحت أكتافهم قطنًا تبوأه صخورٌ
يسمعون مرور ريحٍ في سواعدهم كأن عظامها قصبٌ
وفي أفخاذهم لينُ العِصيِّ الخُضْرِ، جاء الجوعُ فامتص المعادن
واغتذى من قسوةِ الشرايين في أجسادهمْ

ثم يتابع الشاعر عرض صور فقر الفلاحين الصعاليك المعذبين في أداء رائع خلاب:

صاورا قبوراً يخرجُ الأمواتُ منها
كم مَرَّ فوق شفاههم غيم
ولم يمطرْ
ومرَّ بأرضهم لصُّ القطاف فلمْ
يدعْ ياقوتة وزمرداً أو كهرمان عريشة
إلا وفرَّ إلى سوق اليباسِ، وباعه للحَرِّ
ينتظرون في تموزهم
عنب الغروب، وكوزَ صُبَّارِ الظهيرةِ
ليس في فمهم جناحٌ للحروق إذا حَكَوا
رملتْ صحاري ريقهم أصواتهم
وكلابُ أيديهم مضتْ من بعدِ أن يئست من الكسرات
في أطياف أعينهم
وضاق النعل من حزنٍ بأرجلهمْ، فنام مبللاً بالملح
لولا الهندباءُ
لفكروا بالعشبِ

لا فلاح إلا شكَّهُ جوع بِسهمٍ

رأسه المسنون منقارُ العقاب وذيله الريشي أجنحة الجرادِ

معلقون على السنين ككيس حطابٍ .. إذا ضربوا بأضراس المعاول في الثرى التهمتْ معاولهم على الجوع الثرى المعفون[1].

وماذا بعد في أطباق الفقراء المتصعلكين ذوي النفوس العالية والعفة الريفية:

هو الفقر الذي لا كيس فيه

ولا جرارَ ولا طبقْ

صاروا كلاماً، ليس يملكُ

لا يراعًا أو دواةً أو ورقْ

لم يبقَ من زاد النهارِ

بصحنهم إلا الغسقْ

نخلوا الأسابيع القديمة

لم يُذردَرْ من ثقوبِ الوقت فيها

غيرُ فتٍّ من ثوانٍ كلها عفنٌ

فتساقطت أجسادهم، ناموا فخافوا من جنازتهم

وساروا مثل صندوق بخِشٍّ، فأدركوا أن الذي فيهم مآتمهم

وليست ذي وجوهًا إنما راياتُ فقرٍ

كلما دخلوا المنازل شاهدوا أشباحهمْ

يستغربون لمحو قامتهم وجود ظلاً لهم

ما عادهم إلا عليلٌ بينهم

فأصحُّ من فيهم غروبُ عليلهم

خرجت أغانيهم وكلُّ سلالمهم منهم

---

(1) جوزف حرب ـ كتاب الدمع ـ ص68 ـ 71.

وباتوا بانتظار رحليهم

يتأملون غرابهم في الريح كيف يدور فوق حقولهمْ[1]

وأقول: لم يبق إلا أن يثوروا رحمة بحقوقهم، فالصعلكية لاتنام على ضيم ولا ترضى بغمٍّ.

ويلوح للشاعر **قاسم حداد** صعاليك فقراء ينسربون من الصخور، ويتسللون عبر شقوق الأنهار، مفتشين عن الحياة، ساعين لكبح الجوع والعري والضياع، جاء ذلك في قصيدة «الصعاليك يفتحون العواصم»[2]:

هاتِ يديك الملهمتينِ

أريك النبأ الطازج يزدانُ بزهوِ الزنبقِ

هاتِ

أحقق في عينيك الأحلامَ

أريك سلام الأرض لطير البحر

أريك القهر المتخثر في الدم

أريكَ الهم يغادرُ عاصمة الأوطانِ

أريك زماناً يأتي مثل ملاك

وأريك هلاك الطاغوت

يصيرُ القوتُ صديقاً للفقراء . . .

أريك الكأس المكسورَ

لأن الخمرة جامحةٌ

رأيتُ

كان اللون يؤجج أفق العينينِ

رأيت صعاليك الأرض يقومون من الاشجارِ

من الأحجارِ

---

(1) جوزف حرب ـ كتاب الدمع ـ ص71 ـ 77.

(2) قاسم حداد ـ القيامة ـ ص86 ـ 90 دار الكلمة ـ دار ابن رشد للطباعة بيروت ـ 1980م.

رأيت النار تضيء الوقت لهم، وترافقهم ..
كانوا كالطيرِ
رأيت بلاداً تفتح أبواب الحزن لهم
والطيرُ يطيرُ
ويحزمُ صوتَ الصعلوك نشيجُ الأرضِ
رأيتُ صعاليك الأرض يغنونَ
ويتداحون كموج البحر المسكون
بوهجِ الجنسِ
فيشهقُ قلبُ الفرحِ بقلبي
هذا جيش جاء يُسَيِّرُ خطو الخلقِ
بقلب الشرقِ
رأيت صعاليكاً يتسربون من الصخر
وعبر شقوق النهر
رأيت أظافر جوعٍ تفتح للخبز طريقاً
للضحكة جُرحاً
وتشق شرائع شاخصة في الغدرِ
وغاب الهدرِ
البابُ يؤرخُ يُرخي فدخلتُ
كان عشاءُ الحب معدًّا
مدَّ الصعلوك لي الأنخاب وقال إشرب
فشربت
شربتُ
والخمر يضجُّ بصَخب الحب وكان
الساهر يتداحُ
فطاح الكأس

لأن الخمرة واسعةٌ
والكأس تضيق بها . . .
سكر الريشُ
سيخرج من خمر الصعلوك الغامر جيلاً يجتاحُ
خُذِ المفتاحَ وفضَّ الباب وخُذني
عينُ الفضة موغلةٌ
والدرب جميل الخطو
فهاتِ يديكَ الساكرتينِ
أريك بلاد الأسماء[1]

قصيدة مفعمة بالقيم الصعلوكية، هم هنا متمردون ثائرون يقلبون الحياة، ويحولونها إلى خصب وحياة، انهم يقومون وينطلقون من الأشجار، ومن الأحجار ليبيدوا الطواغيث ويحققوا القوت والشبع والحق للفقراء، لهم لثرواتهم المنهوبة والمصادرة، بهم ينتهي الطواغيت، وتغادر الهموم الأرض، ويحل الزمان كالملاك رائق متطور، هم الصعاليك كالطير، لا أحد يحد حريتهم وعملهم، إنهم ثائرون على انظمتهم الجائرة، يعملون خارج قبائلهم أو دولهم.

لقد رآهم الشاعر (وهم كذلك) يحزمون نشيج الأرض، يغنون، ويتداحون كموج البحر في صخب عارم ليقتلعوا ما يمر أمامهم من وشل ويلقونه في مقبرة الرمال على الشاطئ، ما أسعد الصعاليك بهذا الشعر الرنان الجميل، الذي يرسم بوضوح معالم دربهم وطريق تمردهم وعملهم، إنهم جيش يؤسس لغد مشرق، لتاريخ يغوي ويُغَيِّر، ويُغِير على المستبدين والمترفين والاحتكاريين الذين ينتزعون حقوق الصعاليك الفقراء، جيش يُسَيِّر خطو الشرق إلى الأفضل والأنقى.

صعاليك يشقون بأظافرهم طرقاً للخبز، للحياة، للشبع، للعدالة. يشقون قلوب المستبدين وشرائع الغدر والظلم، ليستبدلوها بشرائع العدل والحق، يقضون على الجوع والعطش والتشرد، وعندما دعا الصعلوكُ الشاعر إلى وليمته دخل، وصار واحداً منهم، انهم الثائرون المتمردون صعاليك القيم التي تبني وتؤسس لغد مشرق خال من الاحتكاريين الجشعين.

(1) قاسم حداد ـ القيامة ـ ص88 ـ 90.

ويعتبر الشاعر اليمني الدكتور عبد العزيز المقالح من أكثر الشعراء احتفاءً وحديثاً عن مآسي الفقراء الصعاليك، عن جوعهم وعريهم وعذابهم، ونجد هذا في مواضع مختلفة من ديوانه الذي اهداه إلى صنعاء عاصمة الثورة والأمل.

وهو في قصيدته الفدائي .. الحلم .. والإنسان، يشير إلى الصعلوك على انه أحد الخارجين الذين يبيعون كل شيء في سبيل مصالحهم، فهو يقول مخاطباً الفدائي:

يا فارس النهار والمساء
قبلك لم تكن لنا هوية ولا أسماء
نمشي بها في الأرض
ندخل في السماء
قبلك ما كان لنا قضية
كنا نعيش في حظائر الملوك
كأننا سفر من العبيد
يبيعنا القواد والصعلوك
من المحيط إلى الخليج
يبيع ما في أرضنا من القديم والجديد
يبيع حتى الله والزمن
الشمس والكعبة والحجيج
ويقبض الثمن[1].

أظن ان الصعلوك كما نعرفه تاريخياً، مظلوم في التوصيف الذي أطلقه الشاعر المقالح، خاصة في الاشارة إليه مع القواد، فالقواد الذي ينطبق عليه وحده ما نقرأه من أوصاف، هو المنحرف اجتماعياً وأخلاقياً، أما الصعلوك فهو ذو عفة وشهامة، وهو ان كان يلجأ إلى قطع الطرق والنهب وسلب القوافل وأموال الأغنياء المحتكرين، فهو يعلل ذلك، مما يبعده عن دائرة الشبهة والاتهام القاسي، ثم ان

---

(1) د. عبد العزيز المقالح ـ الديوان ـ ص128 و129 ـ دار العودة بيروت ـ ط ثانية ـ 1980م.

الصعلوك هو مشروع فدائي، شعبي في سمته وسلوكه وتوجهاته، خصم للسلطات الجائرة متمرد عليها.

ويفيض المقالح تأثراً وألماً في قصيدته (العيد)، وهو يصور حالة ابناء مجتمعه الفقراء المشردين المتصعلكين وهم يعانون في أكثر الأيام زهواً وحبورا، ماذا سيفعل الفقراء الذي لا يجدون لقمة تجنبهم ويلات الجوع والذل والهوان[1]:

| | |
|---|---|
| وكــكــل يــوم مَــرَّ يــومُ الــعــيــدِ | مــتــعــثــرُ الــخــطــوات غــيــر جــديــد |
| مــتــورم الــقــســمــات يــنــعــى نــفــســه | فــي طــلــبــه الــمــتــأوه الــمــكــدود |
| ويــمــر مــن حــول الــمــدائــن والــقــرى | مــر الــغــريــب الآثــم الــمــطــرود |
| وطــنــي أسفــت عــلــيــك فــي عــيــد الــمــلا | وبــكــيــت مــن هــم ومــن تــســهــيــد |
| أيــكــون عــيــدٌ والــمــشــانــق هــاهــنــا | والــنــاس بــيــن مــكــبــل وشــريــد |
| فــي كــل عــام يــشــهــدون مــجــاعــة | وبــكــل يــوم مــصــرع لــشــهــيــد |

ويعدد الشاعر اليمني في قصيدته (لو) نقاط دعمه للمجتمع ومشاركته في صنع تاريخه، وهو يتلاقى كثيراً في ما يشير إليه مع أهداف الصعاليك وتوجهاتهم، لجهة محاربة الجوع والمجوِّعين والاقطاعيين، والاستغلال والمستغلين، ومساعدة المستضعفين، وتحقيق مبدأ العدل الإجتماعي والمساواة، ألم يفعل ذلك عروة بن الورد قبلنا باكثر من ألفي عام، علاوة على مناداته بالاشتراكية في توزيع الثروات وهو ما فعله الصعاليك ومارسوه يقول الدكتور المقالح[2]:

لو كنتُ في جيش مشاعره، مواقفه أمينة

لو أن ما تخفيه أعماقي تُحس به الجماهير الحزينةْ

لو كانت الاشعار صاروخاً يحلق أو سفينه

أطعمت قطاع الطريق النار

أشعلت الحرائق في المدينة

أعددت للإقطاع مأدبة المماليك السمينةْ

لو أنني شمشونها الجبار في ليل الضياع

(1) د. عبد العزيز المقالح ـ الديوان ـ ص180 ـ دار العودة بيروت ـ ط 2 ـ 1980م.

(2) د. عبد العزيز المقالح ـ الديوان ـ ص224 ـ دار العودة بيروت ـ ط ثانية ـ 1980م.

وزعت كل الأرض بين الكادحين على المتاح
ألقيتُ ما جمع القساة المتخمون إلى الجياع
وكتبت للمستضعفين وثيقة العدل الجماعي.

لإنها وثيقة ـ كما قلت ـ تنسجم في جميع مفاصلها مع مبادئ وغايات حركة الصعلكة[1].

ويؤاخي المقالح في هذه القصيدة أهل المجاعة والتشرد والفقر، وهم جمهور الصعاليك في المجمتع والذين، لا بد وأن يتمردوا يوماً، والشاعر في مقدمتهم، يذود معهم ويقدم روحه قرباناً في سبيل مبادئه المحقة:

لو أن فارسنا، فتى أحلامنا بالأمس جاء
في موكب التحرير ممتشقاً أعاصير الرجاء
لم يذبح الإقطاع فرحتنا
ولم يرجع إلى النهر الدجى
لكنه سيجيء
هذا صوته في الفجر قادمْ
ويل لأصحاب القصور المتخمات، لكل ظالمْ
ويلٌ لمن يمشي على درب من الأشلاء قاتم
ويل لمن باع البلاد وأهلها ـ ولمن يساوم
ويل لهم منا
ومن أحقادنا في يوم قادم
يا أصدقائي في التشرد والمجاعة والصلاة
لا تياسوا من يومنا
يوم الجياع السمر آتْ
أقسمتْ أن أحدو خطاكم في الطريق إلى الغداة

(1) د. عبد العزيز المقالح ـ الديوان ـ ص224 ـ 227.

شعري لكم ... عمري لكم ...

إني وهبت لكم حياتي

وفي حوارية جميلة موحية حول الفقر، يستعيد الشاعرالعربي اليمني تاريخ الامام علي بن أبي طالب عليه السلام، في موقفه من الفقر والفقراء، ومقالته المعروفة: لو كان الفقر رجلاً لقتلته.

ومن المعروف أن الفقر أحد أبرز صفات الصعاليك، والفقر هذا يحكي قصته مع الشاعر، قصته الدامية التي أذلت الكثيرين، وعرَّت وجوَّعت وشردت وزرعت العلل والكوارث في المجتمعات، أو نستكثر على الصعاليك خروجهم على ظالميهم وتمردهم على فقرهم وفقَّارهم، لقد استعاروا سيف علي وجردوه على الفقر المتمثل المتجسد بالأغنياء المحتكرين، والمستثمرين الإنتهازيين و الاقطاعيين المرتزقة.

وأين هو الفقر، يجيب الشاعر المقالح: ها هو ذا يرتاد الحانات المقهورة

ممتطياً فرس الجوع

وممتشقاً سيف الأحزان

يذبحنا أطفالاً وشيوخاً

يحيا في الأقبية السوداء

يتجول في الاشياء المزدحمة

وكما رسم صورة الشاعر، يرى الامام علي ان الفقر:

كان فتى إقطاعي الدم

يحيا في قصر مسحور الشرفات

يستحلب أشجار «القات»

سيفي وأنا، كنا نبحث عنه بين الفقراء

في ساحات الجوع المكتظة

ها هو ذا يزرع اشجار البؤسِ

يبيع رماد الدمع

من يرغب منكم في قتل الفقر

فليقتله ـ هنا ـ

فوق موائد أصحاب المال

في سهرات التانجو

في حفلات الأزياء[1].

ثم يسأل الشاعر الإمام، وهو يعلم تمام العلم حقيقة الفقر، أعتى الأمراض الاجتماعية:

هل كان الموت طريق الفقر

أم كان الفقر طريق الموت

علمنا يا ابن ابي طالب مما علمك الله.

وكان جواب الإمام حاسماً، وهو الذي شرع للصعاليك الخروج بسيوفهم لمحاربة عددهم اللدود، الفقر ومسببيه:

الموت الفقر

الفقر الموت

من يسلبك اللقمة

يسلبك الروح

من ينزع عنك الثوب

ينزع عنك الجلد

هذا «ألف الأشياء»

«أبجدُ» أسفار العمر[2].

وكم كان يطلق الحكام الظالمون على الصعاليك لقب «ذؤبان»، هكذا أطلقت الصحافة العالمية على أوائل المناضلين في جنوب اليمن الحبيب في بداية الكفاح المسلح لقب «الذئاب الحمر»، كما يذكر الشاعر عبدالعزيز المقالح في قصيدته «نشيد الذئاب الحمر».

---

(1) د. عبد العزيز المقالح ـ الديوان ـ ص601 و604.

(2) المصدر نفسه ـ ص603 و604.

بعض مما فعله هؤلاء الذئاب الحمر، كان يفعله الذؤبان (بمفهوم السلطات) أو الصعاليك كما تعرفهم جميع الأوساط، يقوم المقالح في قصيدته[1]:

ذئاب نحن فوق جبالنا المشدودة القامة

نصيد الفجر، ننسج للضحى، لنهارنا هامه

ونحفر للدخيل القبر، نسحقه وأغنامهْ.

ثم يتابع الشاعر، محدداً طبيعة هؤلاء الذين يسميهم الظالمون «الذئاب الحمر»:

ذئاب نحن، لا زرق ضمائرنا ولا حمر

نموت لكي تعيش بلادنا، أطفالنا السمر

وتأبى أن تهون جبالنا وترابنا الحر

فإما النصر نزهو في مواكبه، أو القبر.

ويعمر الأمل بنضال هؤلاء الذؤبان (الصعاليك الحمر) بالانتصار على الظالمين والمستبدين والاقطاعين والمتسغلين وبالقضاء على الفقر والجوع والعري والعذاب:

غداً سنعود للسهل الحزين، نعود للأطفال

ومن ردفان نحمل للشواطئ شعلة الآمال

ونطعم جوعنا للبحر، نعطي للدجى أسمال

غداً سنعود يا أحبابنا، سنعود يا عمال[2].

---

(1) د. عبد العزيز المقالح ـ الديوان ص424 ـ 427.

(2) د. عبد العزيز المقالح ـ الديوان ـ ص426 و427.

## الباب الثالث عشر

# معجم أنصار الصعاليك
# حسب
# تسلسل ورودهم في الدراسة

# معجم أنصار الصعاليك
# حسب تسلسل ورودهم في الدراسة

## فارس الخوري (1873 ـ 1962م)

شاعر وأديب وخطيب وسياسي. ولد في بلدة الكفير اللبنانية، عمل في مطالع شبابه في التدريس ثم في المحاماة والصحافة، انتسب إلى جميعة الاتحاد والترقي المناهضة للحكم التركي على عهد السلطان عبد الحميد، وعبر عن آرائه السياسية بكل جرأة مما لفت الأنظار إليه، فانتخب نائباً في مجلس المبعوثان عن ولاية دمشق، ونظراً لآرائه الجريئة ودفاعه عن المناضلين الشهداء الذين أعدمهم جمال السفاح شنقاً، قبض عليه، وسجن مدة طويلة ثم نُفي إلى اسطنبول، بعد انتهاء الحكم التركي، عاد إلى دمشق ليواجه مستعمراً آخر فاستأنف نضاله ضد الفرنسيين الذين سجنوه عدة مرات، اكتسب من خلاله نضاله شعبية واسعة أهلته لتسلم مناصب حكومية رفيقة، فكان نائباً وسفيراً ووزيراً ورئيساً للوزراء. له مؤلفات في الحقوق والعلوم المالية، وديوان شعر بعنوان «وقائع الحرب»[1].

## مصطفى وهبي التل ـ (1897 ـ 1949م)

شاعر أردني معروف، لُقِب بـ «عرَّار»، ولد في مدينة أربد، درس المراحل الدراسية كلها، ثم نال شهادة الليسانس في الحقوق وعمل في المحاماة، وما لبث ان انخرط في العمل السياسي ودافع عن الحقوق الوطنية ضد الاستعمار الانكليزي، فما كان من المستعمرين إلا أن سجنوه لمرات متعددة، مما أثر على مستوى معيشته، وتحولت حياته من البحبوحة إلى الفقر المدقع، قضى أيامه

---

(1) الاعلام للزركلي ـ ج5/ ص128 و129.

الأخيرة متنقلاً في مضارب البدو وخيامهم المنتشرة في بوادي الأردن، إلى أن توفي عن عمر يناهز الخمسين سنة. له ديوان شعر مطبوع بإسم «عشيات وادي اليابس» وله مسرحية بعنوان «سدوم».[1]

## محمد علي الهواري (1939 ـ ....م)

شاعر معاصر، من الممكلة المغربية، ولد في الدار البيضاء سنة 1939م، ودرس فيها حتى المرحلة الثانوية، انصرف بعد ذلك إلى العمل في الصحافة، ثم انتسب إلى حزب الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، وأصبح شاعره الخاص، ولذلك تميز شعره بالحماسة والخطابية والتحريض السياسي، الأمر الذي ادى إلى اعتقاله بعد المواجهة السياسية التي عرفها المغرب ابتداء من العام 1958م، له ديوان شعر عنوانه «صامدون» وقد صدر عن دار النشر المغربية[2].

## علي صدقي عبدالقادر (1922 ـ ....م)

شاعر ليبي معاصر، ولد في مدينة طرابلس الغرب سنة 1922م، وتعلَّم فيها، وحصل على دبلوم التعليم وإجازة في الحقوق، قرض الشعر وهو فتى في الثالثة عشرة من عمره، اشترك في حركة تنفيذ العصيان المدني، عندما أرادت بريطانيا فرض مشروع «بيفن اسفورزا» القاضي بتقسيم ليبيا إلى ثلاث مناطق نفوذ: إيطالي وبريطاني وفرنسي، لذلك لوحق وسجن، وفي شعره يصوِّر أسباب سجنه، وهي الهمُّ الوطني وجوع أولاده.

مثَّل طرابلس الغرب في المؤتمر الثقافي الاسلامي المعقود في تونس سنة 1949م، وكان عضواً في حزب المؤتمر الوطني، وإلى جانب ذلك مثَّل ليبيا في عدة مؤتمرات أدبية وعلمية وسياسية، واشترك في مجمل النضالات التي خاضها الشعب الليبي، وهو غزير الانتاج الشعري، من دواوينه: زورق أحلامي، أحلام وثورة ـ صرخة ـ زغاريد ومطر بالفجر. له مسرحية شعرية بعنوان: دماء تحت ظلال النخيل[3].

---

(1) الاعلام للزركلي ـ 7/ 246. تاريخ الشعر العربي الحديث ـ أحمد قبش ـ ص272. د. سالم المعوش ـ شعر السجون ـ ص662.

(2) تاريخ الشعر العربي الحديث ـ قبش ـ ص255 د. المعوش ـ شعر السجون ـ ص688.

(3) تاريخ الشعر العربي الحديث ـ قبش ـ ص631. ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب للدكتور محمد بنيس ـ ص407 ـ 205 ـ 226 ـ 486. د. سالم المعوش ـ شعر السجون ـ ص676 و677.

## سميح القاسم

شاعر فلسطيني معاصر، من ابرز شعراء الأرض المحتلة، ولد في مدينة الزرقاء، في الضفة الشرقية من المملكة الأردنية الهاشمية سنة 1939م، تلقى دروسه الابتدائية في مدرسة (الرامة)، ثم استكمل دراسته الثانوية بعد النكبة سنة 1948م في مدينة الناصرة.

انصرف إلى سلك التعليم، ثم فصل من وظيفته بسبب شعره الثوري الحماسي، واشتراكه في المقاومة الفلسطينية ضد المحتل الصهيوني، وهو يساري في منحاه السياسي، سجن عدة مرات بسبب نشاطه النضالي، وبالاخص سنة 1961م وفي عام الحرب العربية الاسرائيلية سنة 1967م، وفرضت عليه الإقامة الجبرية، وعدم مغادرة المنزل بعد السادسة والنصف مساءً.

شاعر بارز، غزير الانتاج حماسي ثوري، من دواونيه: أغاني الدروب ـ دخان البراكين ـ طلب انتساب للحزب ـ إرم ـ انتظار طائر الرعد ـ دمي على كفي ـ سقوط الاقنعة ـ اسكندرون في رحلة الداخل والخارج.

وقد طبعت دار العودة مجموعاته جميعها في إخراج فاخر[1].

## سليمان أحمد العيسى[2]

شاعر سوري عربي معاصر، ولد في قرية النُعيرية (لواء الاسكندرون سوريا) سنة 1921م، تلقى علومه في مدرسة العفَّاف إنطاكية، فمدرسة التجهيز الأول في دمشق، ثم دار المعلمين العالية، بغداد.

وفي حياته، أنه درَّس اللغة العربية وآدابها في مدرسة المأمون الثانوية، في حلب سنة 1947م، وهو عضو مؤسس لحزب البعث، عضو اتحاد الكتّاب العرب، سافر إلى معظم الدول العربية مشاركاً في أمسيات شعرية، وزار كلاً من فرنسا وإيطاليا وسويسرا ويوغسلافيا وألمانيا الشرقية والاتحاد السوفياتي وبلغاريا وتركيا والصين الشعبية وفنلندا. متزوج وله ثلاثة أولاد.

يقيم الآن في اليمن مع زوجته التي تمارس التعليم هناك. وينتقل بين صنعاء ودمشق.

---

(1) سميح القاسم ـ المجموعة الكاملة ـ دار العودة ـ بيروت 1988م.

(2) روبرت كامبل ـ أعلام الادب العربي المعاصر ـ الشركة المتحدة للتوزيع ـ بيروت ـ ط1 ـ 1996م.

من مؤلفاته في الشعر: مع الفجر (حلب 1952م) ـ شاعر في النظارة (حلب 1954م) ـ اعاصير في السلاسل (حلب 1954م) ـ فتى غفار، ملحمة صغيرة في نضال أبي ذر الغفاري (بيروت 1955م). رمال عطشى (بيروت 1957) ـ قصائد عربية (بيروت 1595م) ـ الدم والنجوم الخضر (بيروت 1960م) ـ رسائل مؤرخة (بيروت 1960م) ـ أمواج بلا شاطئ (بيروت 1961م) ـ صلاة لأرض الثورة (بيروت 1961م ـ أزهار الضياع (بيروت 1963م) ـ اغنية في جزيرة السندباد (بغداد 1971م) ـ أغان بريشة البرق (دمشق 1974م) ـ الديوان الضاحك (شعر هزلي، بيروت 1979م) شعر سليمان العيسى ـ الأعمال الشعرية الكاملة (بيروت 1980م) ـ الكتابة أرق (نثر وشعر) دمشق 1982م ـ حبات من الرمال الذهبية (دمشق 1983م) الفراشة وقصائد أخرى (دمشق 1984م) ـ إني أواصل العرق (دمشق 1984م) ـ ثلاثية وادي الضباب (بيروت 1990م).

وله مسرحيات كثيرة منها أغنيات صغيرة ـ الفارس الضائع ـ ميسون وقصائد أخرى، ابن الأيهم ـ عبد القادر الجزائري ـ علاوة على سير ذاتية ومقالات، وكتب قصة طفولته للأطفال مرتين.

## سعدي يوسف

شاعر عراقي معاصر، ولد في مدينة البصرة، على ضفاف شط العرب العام 1934م، درس في دار المعلمين العالية في بغداد، ثم عين استاذاً ثانوياً، وعمل في دار مجلة التراث الشعبي، ثم في مصلحة الري، شارك في الاحداث السياسية التي عصفت بالعراق في الخمسينات وأوائل الستينات، إلى جانب شعراء آخرين، منهم عبد الوهاب البياتي وبدر شاكر السياب وبلند الحيدري، سجن في «نقرة السلمان» ما بين الاعوام م1959 و1963م بسبب نشاطه السياسي والادبي، ثم نفي إلى خارج العراق لمدة سبع سنوات عانى فيها من ألم الغربة وأنجز ديواناً عنوانه «بعيداً من السماء الأولى» وذلك سنة 1970م. عاد إلى بغداد لفترة قصيرة، وما لبث أن غادرها منفياً للأسباب نفسها.

شهد الحرب الاسرائيلية في لبنان وكتب عنها شعراً، خاصة عن بيروت والجنوب وصبرا وشاتيلا والقضية الفلسطينية.

يعد سعدي يوسف من أغزر الشعراء العرب الذين تحدثوا عن السجن والتعذيب والغربة والظلم، له كتب عديدة شعراً ونثراً.

اما في الشعر فله «القرصان» وقد أصدره سنة 1952م، ثم «أغنيات ليست كالآخرين»، 1955م، و«آه قصيدة» سنة 1959م، و«النجم والرماد» سنة 1960م، و«بعيداً عن السماء الأولى» 1970م، ونهايات الشمال الافريقي 1972م، الأخضر بن يوسف ومشاغله (1972م)، و«تحت جدارية فائق حسن» سنة 1974م، و«الليالي كلها» 1976م «الساعة الأخيرة» 1977م، و«قصائد أقل صمتاً» سنة 1979م.

## عبد الحميد المجراب

شاعر حديث، من الجماهيرية الشعبية الليبية، ولد في طرابلس الغرب سنة 1938م، نظم الشعر باكراً، وكان معارضاً للنظام الملكي الذي كان على رأسه آنذاك أدريس السنوسي، فهاجم ذلك النظام والاستعمار الذي يدعمه، شارك في المواجهات العنيفة التي حصلت في ليبيا، فاعتقل. له ديوان شعر بعنوان «رياح في المدينة، وقد صدر في طرابلس الغرب سنة 1961م[1].

## عبد الوهاب البياتي

البياتي، شاعر عراقي، ولِد في بغداد سنة 1926م، وهو في الطليعة بين شعراء العرب المعاصرين، نال من جامعة بغداد إجازة في اللغة العربية وآدابها، ثم عمل استاذاً في المدارس الثانوية، اعتقل لمدة اربع سنوات من قبل حكومة نوري السعيد رئيس الوزراء آنذاك، بسبب اشتراكه في المعارضة السياسية ضدها، وبعد ان خرج من السجن، نفي إلى خارج العراق، ثم عاد إليه أثر قيام ثورة سنة 1958 التي قادها عبدالكريم قاسم، والتي أطاحت بالنظام الملكي، وما لبث أن نفي من جديد بسبب مواقفه الوطنية.

اكتسب البياتي صفة العالمية في شعره، فهو ذو طابع وطني وقومي وإنساني، وقد ترجم كثير منه إلى لغات عالمية مختلفة، وكتبت عنه دراسات عربية وعالمية كثيرة، أصدر مجموعة كثيرة من الدواوين منها: ملائكة وشياطين ـ أباريق مهشمة ـ رسالة إلى ناظم حكمت وقصائد أخرى ـ أشعار في المنفى ـ المجد للأطفال والزيتون.

---

(1) شعر الطليعة في المغرب المغرب للدكتور عزيز حسين ـ ص396 ـ د. سالم المعوش ـ شعر السجون ـ ص683.

أسقطت عنه الجنسية العراقية سنة 1963م وسحب جواز سفره، ولم تعد إليه إلا في السنة 1968م ـ توفي في الأردن سنة 1999م[1].

## مظفر النواب

شاعر عراقي معاصر، والنواب لقب لعائلته التي تسلمت إحدى الولايات في الهند بالنيابة، ولد مظفر في حي الكرخ من بغداد سنة 1934م لأب ثري، وفي أجواء ثقافية وموسيقية كانت مما دأبت العائلة عليها، وهذا وسع من مدارك مظفر وحبَّبَ إليه الشعر.

بعد أن انهى دراساته جميعها بما فيها الجامعية، عين مدرساً في إحدى المدارس المتوسطة، إلا انه فُصِل بعد أشهر من التعيين بسبب نشاطه السياسي اليساري، إذ كان عضواً في الحزب الشيوعي العراقي.

قلنا إن عائلة النواب كانت غنية، إلا ان أحوالها المادية سرعان ما ساءت، ففقد النواب المعين الذي كان يستند إليه بعد طرده من وظيفته، وأصبح عاطلاً عن العمل من سنة 1955 وحتى قيام الثورة العراقية على النظام الملكي سنة 1958م، حيث عُين مفتشاً في مديرية التفتيش الفني في وزارة التربية في بغداد.

خلال تمرسه في هذه الوظيفة حصلت حادثة كان عليه أن يحقق فيها، وهي تمزيق صورة عبدالكريم قاسم زعيم العراق آنذاك، إلا أنه امتنع عن التحقيق لأن مديرة المدرسة العجوز كانت على علاقة وطيدة به، وكان الصراع بين القوميين والشيوعيين آنذاك عنيفاً، فاضطر النواب إلى الهرب في العام 1963م نحو إيران، لكن قبض عليه على الحدود، وسُلِّم إلى جهاز الأمن الايراني (السافاك)، حيث أخضع للتعذيب العنيف، ثم سلم إلى السلطات العراقية، فحكم عليه بالاعدام، ثم خُفِّفَ الحكم إلى المؤبد، فسجن في «نقرة السلمان»، ومن ثم في سجن الحلَّة، لكنه استطاع الهرب من السجن مع مجموعة من المساجين ذوي الأحكام المؤبدة، عن طريق حفر خندق بالسكاكين، وبقي متخفياً عن الأنظار حتى العام 1968م، إذ تمكن من العودة إلى التعليم بعد صدور العفو عن الهاربين، لكنه أُعيد إلى السجن بعد حملة الاعتقالات التي طالت عدداً كبيراً من الشيوعيين، وما ان أُفرج عنه،

---

(1) الادب العربي المعاصر في سوريا. د. سامي الكيالي ـ ص65. د. سالم المعوش ـ شعراء السجون ـ ص661.

حتى غادر العراق وأخذ يتنقل بين الدول العربية حاملاً شعره السياسي الحماسي الثائر إلى كل مكان، إلى أن مُنِع من الدخول إلى قسم منها، كما أنه ادمن على السفر إلى بلدان أخرى كثيرة غير عربية.

كتب مظفر النواب الشعر العامي، علاوة على نبوغه وبراعته في الشعر الفصيح العمودي الحديث، من أبرز دواوينه وتريات ليلية / الحركة الأولى والحركة الثانية والحركة الثالثة[1].

## محمود درويش

من أهم الشعراء المعاصرين، وأغزرهم نتاجاً وأشدهم سعة خيال، وهو شاعر فلسطيني، ولد في بلدة «البروة» قرب مدينة عكا عام 1941م. وهي القرية التي هدمها الاسرائيليون في العام 1949م، كان عضواً في منظمة التحرير الفلسطينية كما أنه اشترك في الكفاح الوطني الفلسطيني من أجل التحرير، أسرته القوات الاسرائيلية عدة مرات، وسجن في المرة الأولى في سجن الجملة قرب مدينة الناصرة 1991م، وفي المرة الثانية سنة 1965م في سجن مدينة القدس، والثالثة سنة 1967م، وفي المرة الرابعة إبان الحرب العربية الاسرائيلية في حزيران 1967م في سجن الدامون، وأودع في المرة الخامسة سجن «الجملة» سنة 1969م، تنقل بين الدولة العربية، واستقر لفترة في باريس، قبل أن يعود نهائياً إلى فلسطين ويسكن في مدينة رام الله.

كرس موهبته لخدمة وطنه السليب، فدار معظم شعره حول القضية الفلسطينة ومعاناة الفلسطينيين في الموطن والشتات، وما زال يغني الشعر العربي بسلسلة من دواونيه وأهمها: أوراق زيتون ـ عاشق من فلسطين ـ حبيبتي تنهض من نومها ـ آخر الليل نهار ـ العصافير تموت في الجليل ـ أحبك أو لا أحبك ـ محاولة رقم 7 ـ تلك صورتها وهذا انتصار العاشق ـ أعراس ـ مديح الظل العالي ـ حصار لمدائح البحر ـ هي أغنية ـ ورد أقل ـ مأساة النرجس ملهاة القصة ـ أرى ما أريد ـ أحد عشر كوكباً.

وعن رياض الريس للكتب والنشر ـ الديوان (الأعمال الأولى 3 أجزاء ـ حزيران (يونيو) 2005م.

---

(1) قبش ـ تاريخ الشعر العربي الحديث ـ ص685. د. سالم المعوش ـ شعر السجون ـ ص683 و688.

الأعمال الجديدة ـ طبعة أولى كانون الثاني 2004م ـ طبعة ثانية شباط 2004م.

كزهر اللوز أو أبعد ـ طبعتان ـ 2005م ـ لا تعتذر عما فعلت (طبعتان 2004م ـ لماذا تركت الحصان وحيداً (3 طبعات 1995م ـ 2001م) سرير الغريبة طبعتان (1955 و2001) ـ جدارية، طبعتان 2000م و2001م ـ حالة حصار طبعتان 2002م[1].

## موسى شعيب

شاعر لبناني حماسي ثوري ولد سنة 1943م في بلدة الشرقية من محافظة النبطية في جنوب لبنان.

درس المرحلة الابتدائية وأنهاها ما بين سنة 1949 و1952م في مدرستي الشرقية أولاً ثم الدوير الرسمية، ثم تابع دراسة المتوسطة في مدارس النبطية.

انتقل سنة 1960م إلى مدينة بيروت مع أخيه فتسجل في الكلية العاملية بغية إنجاز دراسة المرحلة الثانوية. إلا أن ظروفه المادية دفعته سنة 1963م إلى التوقف عن الدراسة، وترك بيروت عائداً إلى الجنوب، حيث عمل مدرساً في مدرسة انصار الابتدائية الرسمية.

عاد إلى استئناف دراسته الثانوية سنة 1964م في دمشق ونجح في الحصول على شهادة الموحدة السورية، مما مكّنه من الانتساب إلى الجامعة اللبنانية في بيروت، وانتقل ليدرس في متوسطة البسطة الرسمية.

نال سنة 1968م شهادة الليسانس في الأدب العربي من كلية الآداب والعلوم الانسانية في الجامعة اللبنانية، ثم عين استاذاً ثانوياً في ثانوية بعلبك الرسمية سنة 1969م، وما لبث أن نُقل إلى ثانوية الصباح الرسمية في مدينة النبطية سنة 1970م.

بعد سلسلة المظاهرات التي قادها، ونتيجة لمواقفه الوطنية والقومية أبعد سنة 1973م إلى شمال لبنان وعين استاذاً في ثانوية بشري، وفي السنة 1979م حاز على شهادة الماجستير في الأدب العربي.

كان موسى شعيب مناضلاً وطنياً وقومياً، انتسب إلى صفوف حزب البعث الاشتراكي سنة 1962م وقيل سنة 1959م، قاد تظاهرات عديدة دفاعاً عن القضية الفلسطينية، وقد اعتقل سنة 1969م من قبل السلطات اللبنانية بسبب نشاطاته هذه.

---

(1) د. سالم المعوش ـ شعر السجون ص. دواوين الشاعر.

شارك في سنة 1970 في تأسيس المؤتمر الوطني لدعم الجنوب، وفي سنة 1971م قاد أضخم تظاهرة ضد السلطة بعد تعرض مخيم النبطية لغارات وحشية من قبل العدو الصهيوني، وانتهت التظاهرة بدخوله سجن الرمل في مطلع سنة 1972م عندما اعلن ترشيح نفسه للانتخابات النيابية، وقد نال في تلك الانتخابات منفرداً أكثر من ثلاثة آلاف ومائة صوت، انتخب عام 1975م عضواً للقيادة القطرية لجزب البعث العربي الاشتراكي في لبنان، فتفرغ للعمل الحزبي، واعيد انتخابه عضواً للقيادة القطرية في آذار 1980م.

أما حياته الآدبية: فقد بدأ شعيب نظم الشعر باكراً، بدأه مع الزجل، ثم بدأت تظهر موهبته كشاعر في المناسبات العامة، وبرز كثيراً وهو على مقاعد الدراسة في الجامعة الاميركية، حيث احتفظ بالجائزة الأولى للشعر طيلة سنوات دراسته.

أسس مع عدد من أدباء الجنوب في مطلع السبعينات المنتدى الادبي الجنوبي، وكان عضواً مؤسساً لللاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين، حيث بقي عضواً في الأمانة العامة حتى عام 1977م.

وكان أيضاً عضواً في إنحاد الكتاب اللبنانين وعضواً في المجلس الثقافي للبنان الجنوبي شارك في مؤتمرات شعرية وادبية وفكرية على مستوى لبنان والعالم العربي، علاوة على مشاركته في مؤتمرات شعبية وطنية وقومية كثيرة.

استشهد صباح الأثنين الواقع في 28 تموز 1980م على طريق المطار بعد أن كان عائداً من زيارته إلى العراق.

ترك الشاعر موسى شعيب قصائد كثيرة معظمها في الاتجاه الوطني والقومي الحماسي، وقد طبعت هذه القصائد بعد وفاته في العراق بمبادرة من الشاعرين اللبنانيين عبد الكريم شمس الدين ويحيى فحص، وقد طبع على نفقة وزارة الثقافة والاعلام العراقية سنة 1981م[1].

## ياسر صبحي بدر الدين

شاعر لبناني مهجري. ولد في مدينة النبطية سنة 1942م، حيث تلقى علومه في مدارسها، تابع دراسته الجامعية ونال شهادة الليسانس في الحقوق من جامعة بيروت

(1) موسى شعيب ـ المجموعة الشعرية ـ ص11 ـ 14 منشورات وزارة الثقافة والاعلام العراقية سنة 1981.

العربية، ثم عين رئيس دائرة في المجلس النيابي اللبناني. مال إلى نظم الشعر منذ صغره، ومازال يرفد الشعر العربي بقصائده عن الوطن والمغترب وياسر بدر الدين عدا كونه شاعراً فهو فنان ماهر، وخطاط موهوب، ظل فترة من الزمن مسؤولاً عن شؤون الخط في مجلة الفكر العربي.

وما لبث بدرالدين ان استقال من وظيفته ثم سافر إلى كندا، واستقر هناك منذ العام 1994م، وهو يمارس إلى جانب أعماله الخاصة، وظيفته كشاعر في المغترب والوطن.

يساهم إلى جانب غيره من الشعراء المهجريين في كندا وأمريكا بالنشاط الشعري والأدبي، وله إلى الآن عدة مجموعات شعرية أهمها: كتابة على حاشية الجرح - طيور بعد الطوفان - ساره - دفتر الغربة، وله مخطوط نثري عنوانه: مقامات رمضانية[1].

## يحيى فحص

ولد الشاعر اللبناني يحيى فحص سنة 1949 في بلدة جبشيت الجنوبية - قضاء النبطية، تلقى العلم في مدرسة البلدة، حتى الثالث ابتدائي، ثم انتقل إلى النبطية ليكمل دراسته الابتدائية والمتوسطة.

بعد أن أنهى المرحلة الثانوية حاز على إجازة في التاريخ من الجامعة اللبنانية.

ترجم معاناته شعراً عام 1966م وهو في المرحلة المتوسطة.

عمل في الصحافة منذ العام 1975 وحتى عام 1993م.

درَّس اللغة العربية في أكثر من مدرسة متوسطة خاصة ورسمية.

موقعه الشعري: نشر الشاعر فحص قصائده في أكثر من مجلة وجريدة (لبنانية وعربية)، ثم انه شارك في العديد من المهرجانات الشعرية (في لبنان والبلاد العربية، ولا سيما مهرجان المربد).

شارك مع عدد من الشعراء في الجنوب وبيروت، في إعداد مجلة تعنى بأدب المقاومة في الجنوب إبان الاحتلال الصهيوني، واعتقل عام 1984م من قبل قوات الاحتلال.

---

(1) مقابلة أجريت مع الشاعر - د. حسن جعفر نور الدين - عاشوراء في الادب العاملي المعاصر - ص189 - الدار الإسلامية - بيروت - 1988م.

أصدر حتى الآن مجموعتين شعريتين هما: حوار الظل والصدى 1995م و وحده الناي 2006م.

أعدَّ دراسة جامعية لم تنشر، عن الحركة الفكرية في جبل عامل في عهد المماليك ولديه بضع مجموعات شعرية معدة للطبع.

## صلاح أحمد إبراهيم[1]

من شعراء الجمهورية السودانية المعاصرين المعروفين، حاول تذويب أفريقيا في السودان، بعكس زميله المكي إبراهيم، فهو على حد تعبيره، يضع على خديْ افريقيا الشلوخ السودانية، وهو يرى أن حرية بلاده هي حرية لكل السود، حرية للصعاليك والمضطهدين جميعهم.

من دواوينه: غضبة الهيباي.

## محمد مفتاح الفيتوري

شاعر ليبي سوداني كبير، من أبرز الشعراء العرب السودانيين المعاصرين، أبوه مفتاح ليبي من مدينة زلتين، ووالدته سودانية من «الحنينيه» في غربي السودان[2]، ولد سنة 1936م في مدينة الاسكندرية، كان والده من أتباع إحدى الطرق الصوفية، درس الفيتوري في جامعة الأزهر، وعمل في الصحافة، وتنقَّل في عواصم الدول العربية، شارك في مهرجانات المربد في العراق سنة 2000م، وكان أحد الشعراء المشاركين في احتفال تكريم الراحل الياس ابو شبكة في ذوق مكايل سنة 1997م.

ركز في شعره على قارته الافريقية، وعلى مسألة الزنوجية فيها، فكتب ديوان أغاني افريقيا، ودعا فيه إلى تحرير الانسان الأسود من براثن العبودية، وعلى مناصرة الشعوب المغلوبة، وفي طليعتها الشعب الفلسطيني، وعندما قاد جعفر النميري انقلابه الذي أقصى فيه الشيوعيين حلفاء الشاعر عن الحكم، لوحق الفيتوري واضطهد واعتقل فيمن اعتقل، لكنه استطاع أن يفرَّ لاجئاً إلى ليبيا، واستقر فيها، ومنح لقب سفير، والمعلوم أن الفيتوري يحمل الجنسية الليبية إلى جانب السودانية، لكن ذلك لم يمنعه من زيارة الدول العربية، خصوصاً بيروت.

---

(1) د. عبده بدوي ـ الشعر في السودان ـ ص210.

(2) ورد في كتاب الشعر والشعراء في السودان أن الفيتوري زنجي من أعالي بحر الغزال، سوداني الوالد، مصري الأم (أحمد ابو سعد ـ ص131).

أصدر دواوين كثيرة منها: أغاني افريقيا ـ عاشق من أفريقيا ـ اذكريني يا افريقيا. سقوط دبشليم ـ معزوفة لدرويش متجول ـ سولارا ـ الثورة ـ البطل والمشنقة ـ أقوال شاهد إثبات ـ ثورة عمر المختار ـ ابتسمي حتى تمر الخيل ـ وله مسرحية بعنوان «السجين»[1]

## محي الدين فارس

شاعر من السودان الشقيق، ولد بأرقو سنة 1932م، قضى معظم سنوات عمره في مصر وأكمل تعليمه العالي بجامعة الأزهر. وحظي بثروته الثقافية ووعيه الفكري فيها.

له ديوان شعر نشر سنة 1956م باسم «الطين والأظافر» وقد حفل بمقدمة رائعة للناقد محمود أمين العالم.

بدأ فارس حياته شاعراً رومنطيقياً رمزياً يشكو غربة الروح، وعذاب الوجدان، وألم النفس، فقد مات أبوه، ثم أمه، فتمزق شراعه في نهر الحياة العكر، وانطفأ المصباح في دنياه دنيا الصغر. ومرَّ لم يحفل به قلب الزمان الحجري ورويداً رويداً، شفي فارس من أزمة الرومنطيقية، وعاد إلى أرض الحقيقة والواقع، فتحررت نفسه من أوهامها، فتح عينيه على شعبه وبلاده، ورأى سير التاريخ وحركة التطور، فخرج مع جموع الثائرين ضد التفسخ والاستبداد، ضد الطين، وراح يبحث عن أرض الحقيقة، والمساواة التي تنعم في أحضانها كل الخليقة، حيث ينمو الزهر من غير اوأن، ليصبح الوجود غنوة تموج بالعبير، لتصدح الطيور، لتلتقي الدموع بالدموع والجراح بالجراح، ويلتقي الانسان بالإنسان في عناق[2].

ومحي الدين فارس من المسهمين في خلق بلاغة جديدة وخلق رسالة جديدة في الشعر، صدر له بعد الطين والأظافر، ديوان آخر بعنوان «نقوش على وجه المفازة، عمل منذ فترة عودته إلى السودان في حقل التربية والتعليم، ويسهم في الحياة الادبية والفكرية هناك.

---

(1) د. سالم المعوش ـ شعر السجون ـ ص679 ـ 680.

(2) الشعر والشعراء في السودان ـ ص152. د. عبده بدوي ـ الشعر في السوادن ـ ص272.

## محمد فضل السيد

من الشعراء السودانيين المعاصرين ـ عانى من الاستعمار، وله قصائد حماسية ناقمة.

## الهادي آدم

شاعر سوداني معروف ـ له قصائد هامة، عانى وناضل في سبيل بلاده.

## جيلي عبد الرحمن

شاعر سوداني معاصر، ولد في جزيرة «صاي» سنة 1931م، وعاش طفولة بائسة صعبة، اضطرته إلى ترك بلاده، فهجرها صغيراً وهو في التاسعة من عمره، وذلك للحاق بوالده الذي نزح إلى مصر طلباً للرزق والقوت، بدأ حياته الشعرية في الخمسينات. شب «جيلي» في القاهرة، واندغم في حياة أهلها، غرق وذاب مع الناس الفقراء البسطاء في الحارة، والشارع والقرية، واشترك مع المناضلين المصريين في الكفاح، ومن المدِّ الثوري العظيم عامي 1950 و1951، كما يقول هو نفسه ـ تعلم جيلي من الجماهير، بأننا نستطيع أن نصنع المستقبل، فاحتضن قضيته، وقضية الفلاحين والتعساء والفقراء الصعاليك، واحتضن صراخ الجياع وآمال المتشردين ووعى أزمة الحياة وصور حركتها، كل ذلك بأسلوب حي جديد معبر.

وجيلي، شاعر واقعي حديث، بدأ حياته شاعراً وجدانياً متصوفاً يأكله الحنين إلى بلاده، وتسيطر عليه وحشة الاغتراب، فبقتصر شعره أولاً على الذكريات الخاصة، ثم ينطلق أخيراً فيحتضن من خلال قضيته قضية بلاده، بل قضية العالم بأسره في شعره يسمو في معظمه على الخطابة والدعابة[1].

## ياسين الأيوبي

أديب وشاعر ومفكر لبناني معاصر، ولد في بلدة «الهري» سنة 1937م، جمع بين مزاولة التعليم ومتابعة تحصيله العلمي، حاز على شهادتين عاليتين في علم النفس العام وعلم نفس الطفل والمراهق، وإجازة تعليمية في اللغة العربية، ودبلوم

(1) أحمد أبو سعد ـ الشعر والشعراء في السودان ـ ص111.

دراسات عليا في الأدب العربي.

نال شهادة الدكتوراه على أطروحته معجم الشعراء في لسان العرب لابن منظور سنة 1977م. سافر إلى العراق فشغل مهمة التحرير في كبرى المجلات العربية التراثية: المورد، ثم التحق بكلية التربية بجامعة بغداد سنة 1990م.

ناقش أطروحة دكتوراه ثانية في موضوع الشعر السعودي الحديث في الميزان (حسن عبدالله القرشي نموذجاً)، ثم صنف استاذاً في ملاك الجامعة اللبنانية سنة 1995م.

انتخب رئيساً لقسم اللغة العربية وأدابها مرتين، وهو عضو اتحاد الكتاب اللبنانيين (الهيئة الإدارية) وعضو اتحاد الكتاب العرب، مؤسس ورئيس جمعية تكريم المواهب اللبنانية وعضو مؤسس في منتدى طرابلس الشعري، وعضو المجلس الثقافي للبنان الشمالي، وعضو مجلس أمناء المجمع الثقافي العربي.

وضع الدكتور ياسين الايوبي أكثر من 40 مؤلفاً وتحقيقاً اكاديمياً وتراثياً وشعرياً وروائياً ومدرسياً، منها: صفي الدين الحلي (قطب شعراء عصري المغول والمماليك ـ معجم الشعراء في لسان العرب ـ مذاهب الادب ـ المنحى الرمزي في أدب جبران ـ حرية الفن الكتابي (بالاشتراك) كوامن الفن.

وله في الابداع الشعري: مسافر للحزن والحنين ـ قصائد للزمن المهاجر ـ دياجير المرايا ـ منتهى الأيام ـ الأوراد ـ عمر بن ابي ربيعة شاعر المجون المعتدل ـ طرفة بن العبد ـ سيرة ومواقف[1].

## عبدالكريم شمس الدين

الشاعر شمس الدين، جنوبي النشأة والهوى، ولد في بلدة مجدل سلم سنة 1935م، وكان لمدرستها الدينية قديماً حضوراً علمياً وثقافياً ودينياً واسعاً.

في مدرستها الابتدائية تلقى تعليمه، ثم انتقل بعدها مع عائلته إلى مدينة النبطية، حيث أنهى في مدارسها تعليمه للمرحلة الثانوية.

وفي منتصف الخمسينات عمل موظفاً في مصلحة المساحة، ولم يتوان يوماً عن القيام بدوره الريادي.

---

(1) د. طوني ضو ـ معجم القرن العشرين ـ وجه لبنان الابيض ـ ص8 و9. رسالة خاصة من الشاعر.

حمل همَّ الوطن والمجتمع فكان:

من مؤسسي المجلس الثقافي للبنان الجنوبي.

من الأعضاء الفاعلين في جميعة نادي الشقيف، واتحاد الكتاب اللبنانيين، وعضو في جميعة المؤلفين والملحنين في باريس.

كما كان لفترة أمين الاعلام في النجدة الشعبية اللبنانية، عرفته عن كثب منابر الشعر والأدب كواحد من فرسانها، محلياً وعربياً، وتميز بصوته الدافئ في المهرجانات الشعرية التي شارك فيها إن في لبنان أو في مربد العراق أو في جامعة الكويت.

مثّل الجنوب اللبناني في مؤتمر وزراء العمل العرب الذي انعقد في لبنان عام 1980م، قدم حلقات شعرية عديدة في إذاعات لبنان والعراق والكويت ولندن وصوت أميركا، وغنى له العديد من المطربين الكبار أمثال وديع الصافي ونور الهدى وسواهما.

أغنى بمؤلفاته الكثيرة المكتبة والشعر العربيين، فكان منها:

1 ـ ظلال، دار الانطلاق، سنة 1963م.

2 ـ مواسم، دار حايك وكمال، سنة 1965م.

3 ـ الحب أحلى، مؤسسة المعارف، سنة 1967م.

4 ـ الفجر المدمى، حايك وكمال، 1969.

5 ـ قصائدي لكم، حايك وكمال، 1972.

6 ـ بين حد الحرب والحب، دار الحداثة، 1981.

7 ـ اغنيات عشق جنوبية (وزارة الثقافة والإعلام ـ بغداد) 1982.

8 ـ وظل وجهك، دار الحداثة، 1993.

9 ـ جسد حاصره الحب، دار الحداثة 2000م.

10 ـ اشواق مسافرة، دار الحداثة ـ 2003م.

11 ـ في انكسارك جرحي في انتصاركِ فرحي، رشاد برس 2001م.

12 ـ آخر الكلمات ـ دار الحداثة ـ 2005م ط1

13 ـ يقول المغني.

## المير طارق علي آل ناصر الدين

من الشعراء اللبنانيين المعاصرين، ولد في كفر متى عام 1942م، من عائلة علمية ادبية عريقة، تلقى دروسه في الداوودية، ثم التحق في الجامعة اللبنانية وأحرز منها شهادة الحقوق، له نشاط مكثف، فقد رأس رابطة الاقلام العربية من سنة 1969م وحتى عام 1975م، شارك في مؤتمرات عربية عديدة ذات طابع فكري وسياسي وثقافي.

تبوأ مركز المستشار الثقافي للمؤتمر الشعبي اللبناني، ورئيس مجلس أمناء اتحاد الشباب الوطني في لبنان، وشارك في تأسيس كثير من النوادي والروابط المحلية والعربية، وهو أديب وكاتب وشاعر، صاحب ثقافة عالية، من مؤلفاته: العائد من كل الاشياء ـ قصائد مؤمنة ـ لا ترحلي تابعوا موتنا.

عمل ناصر الدين موظفاً في مديرية الجمارك برتبة ممتازة.

امتاز شعره بالقوة والحماسة والعنفوان، وغلبت عليه النزعة القومية علاوة على الوطنية والإنسانية[1].

## محمد علي شمس الدين

ولد الشاعر اللبناني محمدعلي شمس الدين في قرية بيت ياحون ـ جنوب لبنان ـ سنة 1942م. انتقل فيما بعد وسكن في بلدة عربصاليم من قضاء النبطية، اتم دراساته جميعها إلى أن نال شهادة الدكتوراه اللبنانية في التاريخ، والليسانس في الحقوق التحق بالضمان الاجتماعي مفتشاً، وهو الآن رئيس المفتشين في الضمان ومن موظفي الفئة الأولى.

تفتحت موهبته الشعرية باكراً، ويعتبر من طليعة شعراء الحداثة في العالم العربي، منذ العام 1973م وحتى الآن، وقد شارك ويشارك في معظم المهرجانات الشعرية التي تقام في لبنان والعالم العربي، ويعكف منذ مدة على كتابة مقالات نقدية وأدبية عن الشعر والأدب والفكر في المجلات والصحف اللبنانية العربية، وهو عضو الهيئة الادارية في اتحاد الكتاب اللبنانيين.

---

(1) طوني ضو ـ معجم القرن العشرين ـ وجه لبنان الأبيض ـ طبع شركة MCA ـ بيروت ـ ص624. لقاء مع الشاعر.

ترجمت قصائد كثيرة له إلى اللغتين الاسبانية والفنلندية، وله حتى الآن مجموعات شعرية كثيرة أهمها[1]: قصائد مهربة إلى حبيبتي آسيا ـ 1975، غيم لأحلام الملك المخلوع ـ أناديك يا ملكي وحبيبي 1979. الشوكة البنفسجية ـ 1981، طيور الشمس المرة ـ 1988. ممالك عالية ـ يحفر في الآبار ـ 1997، منازل النرد 1999، أما آن للرقص أن ينتهي 1992. أميرال الطيور سنة 1994 ـ شيرازيات 2006.

وله في النثر الأدبي الجميل

رياح حجرية ـ الدار العالمية بيروت ـ 1984.

كتاب الطواف دار الحداثة ـ بيروت ـ 1987م.

حلقات العزلة ـ دار الجديد ـ بيروت 1993م.

## غسان انطونيوس مطر

غسان انطونيوس مطر من الشعراء اللبنانيين المعاصرين، وهو اديب وشاعر وسياسي ولد في تنورين سنة 1942م، تلقى علومه الولى في مدرسة الاخوة المريميين في جبيل، وفي معهد الرسل جونيه، نال إجازة في الحقوق وأخرى في الادب العربي، مارس التدريس وعمل في الصحافة، وكتب في مجلة الكفاح العربي، ثم أصبح رئيس تحريرها.

انتسب إلى الحزب السوري القومي الاجتماعي سنة 1961م، وتقلب في مناصب عديدة وصار نائباً عن بيروت 1992م ثم 1996م، وكان عضواً في أكثر من لجنة نيابية.

من دواوينه الشعرية المطبوعة: العشايا ـ هليسار ـ أحبك يا حزيران ـ لانك تحبين الشعر ـ أقسمت لن أبكي ـ لارا ـ وهو ديوان باسم ابنته لارا التي راحت ضحية الحرب اللبنانية، رسائل بيدبا السرية ـ لمجدك هذا القليل ـ أب 2006[2].

---

(1) مجموعات الشاعر.

(2) طوني نجم ـ معجم القرن العشرين ـ وجه لبنان الأبيض.

## أحمد عبد المعطي حجازي

شاعر مصري معاصر، ولد بمدينة تلا ـ محافظة المنوفية سنة 1935م. واظب منذ صغره على قراءة القرآن الكريم حتى حفظه، ثم انتقل إلى الدراسة، فتدرج في مراحل التعليم حتى حصل على دبلوم دار المعلمين سنة 1955م، ثم أنجز دراسة علم الاجتماع في جامعة السوربون الجديدة وحصل منها على درجة ليسانس سنة 1978م، ودبلوم الدراسات المعمقة في الأدب العربي سنة 1979م.

انصرف إلى العمل الصحافي، وعمل مدير تحرير مجلة صباح الخير، ثم سافر إلى فرنسا حيث عمل استاذاً للشعر العربي بجامعاتها، ثم عاد إلى القاهرة لينضم إلى أسرة تحرير «الاهرام»، ويرأس تحرير مجلة إبداع.

وحجازي عضو نقابة الصحفيين المصرية، ولجنة الشعر بالمجلس الأعلى للثقافة، والمنظمة العربية لحقوق الإنسان.

شارك ويشارك في مهرجانات الشعر التي تقام في العالم العربي، وأسهم في العديد من المؤتمرات الأدبية في كثير من العواصم العربية، ويعد من رواد حركة التجديد في الشعر العربي المعاصر.

من دواوينه الشعرية: مدينة بلا قلب 1959م ـ أوراس 1959 ـ لم يبق إلا الاعتراف 1965م ـ مرثية العمر الجميل 1972م ـ كائنات مملكة الليل 1978م ـ أشجار الاسمنت 1989م.

وله من المؤلفات: محمد وهؤلاء: إبراهيم ناجي ـ خليل مطران ـ حديث الثلاثاء ـ الشعر رفيقي ـ مدن الآخرين ـ عروبة مصر ـ أحفاد شوقي.

حصل على جائزة كفافيس اليونانية المصرية سنة 1989م.

ترجمت مختارات من شعره إلى الفرنسية والانكليزية والروسية والاسبانية والإيطالية والألمانية وغيرها[1].

## محمد المكي إبراهيم

شاعر سوداني، من الشعراء المعدودين في القارة الافريقية، ولد في مدينة الخرطوم، بدأ حياته الشعرية في الخمسينات، وقد ترجم لمدينته في قصائد كثيرة،

---

(1) معجم البابطين ـ 1/ 296. كامل سلمان الجبوري ـ معجم الشعراء ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط1 ـ 2003م ـ ص149.

متحدثاً عن الفقر الذي أخذ حيزاً واسعاً من نتاجه الشعري، يقال عنه: إن محمد المكي إبراهيم ذوب السودان في افريقيه في قصائده.

من دواوينه: بعض الرحيق أنا والبرتقالة أنت. و«أمتي»[1].

## مصطفى سند

شاعر سوداني يعطي بسخاء. صدر له ديوانان أولهما سنة 1971 بعنوان «ديوان البحر القديم» والثاني صدر في عام 1978م وعنوانه «ملامح من الوجه القديم».

وسند من الشعراء الذين يستخدمون اللغة استخداماً طقوسياً، ويقع شعرهم في دائرة الغموض والإبهام، ويتعامل مع شعر الجملة الطويلة الذي يُلغى فيها نظام الوقف، كما يترك نفسه كثيراً لتيار الشعور وتداخل الأزمنة، وكثيراً ما يبدو وكأنه يتحدث من وراء قناع، وبصفة عامة، فشعره يتميز بالتداخل والكثافة والغموض[2].

## ممدوح عدوان

ممدوح بن صبري مصطفى عدوان، شاعر سوري معاصر، ولد سنة 1941م في قيرون (مصياف) من سورية، تعلم أول الأمر في مدرسة صلاح الدين الأيوبي في مصياف 1947 ـ 1952م ثم مدرسة أبي ذر الغفاري المتوسطة في مصياف (1952 ـ 1956م)، ثم انتقل إلى مدرسة ابن رشد الثانوية في حماه 1958 ـ 1960م، بعد ذلك انتقل إلى دمشق وتسجل في جامعتها في كلية الآداب والعلوم الانسانية ـ قسم اللغة الانكليزية (1960 ـ 1965م)، عمل الشاعر بعد أن تخرج من الجامعة في وزارة الاعلام، وعمل في الصحافة من سنة 1964 وحتى عام 1978م، ثم محرراً في جريدة الثورة السورية وذلك في نيسان 1964م وبقي في ملاكها حتى وفاته سنة 2004م.

تعاون مع صحف المنظمات الشعبية، والعمال والطلبة والفتوة، واشتغل لمدة عام في مجلة نضال الفلاحين.

من مؤلفاته: في الشعر له: المخاض ـ دمشق 1966، وهي مسرحية شعرية، الظل الأخضر ـ دمشق وزارة الثقافة 1967م، تلويحة الأيدي المتعبة ـ دمشق ـ إتحاد

---

(1) عبده بدوي ـ الشعر والشعراء في السودان ـ ص282.

(2) عبده بدوي ـ الشعر والشعراء في السودان ـ ص282.

الكتاب العرب 1969م ـ الدماء تدق النوافذ ـ العراق ـ وزارة الاعلام 1974م أقبل الزمن المستحيل ـ بيروت ـ اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين ـ 1974م ـ يألفونك فانفر ـ دمشق اتحاد الكتاب العرب ـ 1977م ـ أي تطارد قاتلها ـ بيروت ـ فلسطين الثورة ـ 1977 ـ لا بد من التفاصيل ـ بيروت ـ دار الكلمة ـ 1980م. لو كنت فلسطيني ـ دار ابن رشد 1981. للخوف كل الزمان ـ بيروت ـ دار العودة ـ 1982م الاعمال الكاملة ـ بيروت ـ دار العودة 1986.

من المسرحيات ـ محاكاة الرجل الذي لم يحارب ـ العراق ـ وزارة الاعلام ـ 1972م. كيف تركت السيف ـ بيروت 1974. ليل العبيد ـ دمشق 1976م ـ هملت يستيقظ متأخراً بيروت ـ دار ابن رشد 1980.

ترجمات: الشاعر في المسرح لرونالد بيكوك ـ دمشق وزارة الثقافة[1]

شارك في امسيات شعرية في بلدان العالم العربي وتوفي إثر مرض عضال سنة 2004م.

## علي أحمد سعيد (أدونيس)

شاعر سوري معاصر كبير، واستاذ سابق في الجامعة اللبنانية حتى عام 1977م. ولد سنة 1930م في قصابين سوريا.

درس في كُتَّاب قصابين (من 1935 وحتى 1944) وعلى يد أبيه، ثم نُقل إلى ليسيه فرانسي أو المدرسة الفرنسية في طرطوس سنة 1944م، وإلى المدرسة الاعدادية في طرطوس خلال 1945 ـ 1947م، ثم إلى الثانوية الرسمية في اللاذقية (1947 ـ 1949).

حاز على ليسانس في الفلسفة من الجامعة السورية في دمشق سنة 1949 ـ 1951م ودكتوراه في الادب العربي من جامعة القديس يوسف سنة 1973م.

حياته: علي أحمد سعيد، صحافي ومعلم وشاعر وناقد، كان عضواً في الحزب السورب القومي الاجتماعي (1950 ـ 1958) ـ ساهم في مجلة شعر من تاريخ تأسيسها سنة 1957م، ومجلة مواقف (1968)، وكاتب لعدد من الجرائد العربية، كالنهار والجريدة ولسان الحال، الكفاح العربي، الاديب، المحرر، النهار العربي والدولي.

---

(1) أعلام الأدب العربي المعاصر. الشركة المتحدة للتوزيع ـ بيروت 1996م ص917 ـ 919.

سافر إلى معظم البلدان العربية وأوروبا واميركا الشمالية، وهو زوج الناقدة خالدة سعيد ولهما ولدان، ترك لبنان في اواخر السبعينات واستقر اليوم في ألمانيا.

لأدونيس مؤلفات كثيرة خاصة في الشعر والنقد منها[1]:

قالت الأرض ـ دمشق 1954م ـ قصائد أولى ـ بيروت ـ مجلة شعر 1957م ـ أوراق في الريح ـ مجلة شعر 1958م ـ أغاني مهيار ـ دار مجلة شعر 1961، التحولات والهجرة ـ بيروت ـ المكتبة العصرية 1965م ـ المسرح والمرايا ـ دار الآداب ـ 1965 ـ وقت بين الرماد والوقت ـ منشورات مواقف ـ 1970م ـ مفرد بصيغة الجمع ـ دار العودة 1975م ـ العقائد الخمسة ـ العودة 1980 ـ كتاب الحصار من حزيران 82 حتى حزيران 85 ـ الآداب 1985 ـ شهوة تتقدم في خرائط المادة ـ المغرب الدار البيضاء ـ دار نوبل للنشر ـ 1987م ـ الثابت والمتحول ـ دار العودة 1974م. طبعة جديدة عن دار الساقي في اربعة أجزاء.

مقدمة للشعر العربي ـ العودة 1981م ـ زمن الشعر ـ العودة ـ 1972 ـ ديوان الشعر العربي ـ المكتبة العصرية 1964 ـ 1968 ـ تنبأ أيها الأعمى ـ دار الساقي ـ ط1 ـ 2003م ـ أول الجسد آخر البحر ـ دار الساقي ط1 2003م.

شارك في مهرجانات الشعر العربي ونال جائزة سلطان العويس الشعرية في العام الماضي مع محمود درويش.

## عبدالله البردوني

شاعر يمني معاصر، ولد سنة 1930م في قرية «البردون» التابعة للحداء اليمنية، فقد بصره في الخامسة من عمره إثر إصابته بمرض الجدري، من أسرة بسيطة فقيرة، فأبواه فلاحان فقيران.

تعلم أول الأمر في مدارس «ذمار»، وأكمل دراسته في دار العلوم، وعمل أستاذاً للأدب العربي فيها،

كان من الرافضين المنكرين للظلم والعبودية، والداعين إلى الحرية والديمقراطية، والعدالة في موطنه اليمن، ولذلك ساهم واشترك في ثورة 1948م مع ثلة كبيرة من الأدباء والعلماء والمفكرين والشعراء، وسجن في «حجة» لمدة اربع سنوات بعد فشل الثورة.

توفي سنة 2000م.

---

(1) أعلام الأدب العربي المعاصر ـ ج1 / الشركة المتحدة للتوزيع ط1 ـ 1996م ـ ص245 ـ 246.

ترك مجموعة من الدواوين الشعرية منها: أرض بلقيس - في طريق الفجر - مدينة الغد - لعيني بلقيس - ديوان السفر إلى الأيام الخضر - وجوه دخانية - في مرايا الليل.

نال البردوني جائزة الإبداع في الشعر العربي الذي أطلقها الشاعر سلطان العويس[1].

## محمد مهدي الجواهري

الشاعر الكبير، وربما كان أهم شاعر عربي في القرن العشرين، عراقي ولد سنة 1900م في مدينة النجف الأشرف، من أسرة علمية دينية عريقة في العلم والفكر والادب، برز منها مراجع في الفتيا والدين، تعلم أول أمره في الكتاتيب، وكان يتابعه أبوه منذ طفولته، فيلزمه مذ كان في السابعة من عمره بحفظ إحدى السور القرآنية القصيرة وبعض أبيات من الشعر العربي كل يوم، حتى تسنى له حفظ القرآن الكريم قبل أن يتم العاشرة من عمره، وأن يختزن بذاكرته ديوان الشعر العربي وهو فتى. تعمَّم في مطلع شبابه، واختار الدراسة الدينية في حوزات النجف الأشرف، إلا أنه خلع العمامة بعد مدة قصيرة واتجه اتجاهاً يسارياً في مواقفه السياسية.

نظم الجواهري الشعر في سن مبكرة، وعمل في الصحافة، وفي التدريس سنة 1927م، كما أنه فُصِل من عمله كمدرس ثم أعيد إليه، بسبب نشاطاته السياسية، إذ اشترك في المواجهات السياسية منذ عهد مبكر وحمل لواء الحرية الفكرية، لكنه سجن مراراً، ودخل المجلس النيابي العراقي نائباً عن كربلاء، لكنه سرعان ما استقال إثر الأحداث الدامية في العراق سنة 1948م والتي قتل فيها أخوه جعفر وقد رثاه بقصيدة دامية يقول في مطلعها:

أتــعــلــم أم أنــت لا تــعــلــم بــان جــراح الــضــحــايــا فــم

وفي أيلول من العام نفسه سافر إلى باريس ومنها إلى (بركلاو) في بولونيه لحضور أول مؤتمر للسلام العالمي، وكان العربي الوحيد الممثل في هذا المؤتمر.

وكان قد أصدر سنة 1930 جريدته (الفرات) وقد صدر منها عشرون عدداً، ثم ألغت الحكومة امتيازها.

---

(1) د. سالم المعوش - شعر السجون - ص660. د. سامي الكيالي - الأدب العربي المعاصر في سوريا - ص177.

أصدر ديوانه الأول سنة 1934م بعنوان خواطر الشعر في الحب والوطن والربيع، وفي عام 1935م أصدر ديوانه الثاني باسم ديوان الجواهري، وفي أواخر عام 1936م أصدر جريدة الانقلاب إثر الانقلاب العسكري الذي قاده بكر صدقي. بعد سقوط حكومة الانقلاب غير اسم الجريدة إلى «الرأي العام».

شارك سنة 1944م في مهرجان أبي العلاء المعري في دمشق.

أصدر في العام 1949 و 1950 الجزء الأول والثاني من ديوانه في طبعة جديدة.

في عام 1950م، دعاه الدكتور طه حسين للمشاركة في المؤتمر الثقافي للجامعة العربية الذي عقد في الاسكندرية، ثم عاد إلى العراق لتدعوه في عام 1951م لجنة تأبين عبد الحميد كرامي إلى بيروت للمشاركة في تأبينه وقد ألقى قصيدته:

باقٍ واعمار الطغاة قصار     من سفر مجدك عاطرٌ موار

وعلى إثرها تلقى اتصالاً عاجلاً بوجوب مغادرته لبنان وظل ممنوعاً من دخولها حتى مطلع الستينات. وفي العام نفسه وبعد عودته من بيروت عطلت الجرائد التي كان يصدرها فسافر إلى مصر احتجاجاً على مضايقته.

عاد إلى العراق بعد أن حضر مؤتمر السلام العالمي الذي عقد في فينا (النمسا) وأصدر الأوقات البغدادية والثبات والجهاد، ثم اغلقت الجهاد إثر انتفاضة تشرين عام 1954م، واعتقل في أبي غريب، ونظم في المعتقل قصيدة (ظلام).

أصدر عام 1953م الجزء الثالث من الطبعة الثالثة من ديوانه، وأصدر جريدة (الرأي العام) إلا أنها عطلت عام 1954م لمناهضته الحكم فيها، وكان يعتبر الحكم رجعياً، لذلك هاجمته بعنف، أرادت الدولة إسكاته، فأقطعته أرضاً في (علي الغربي) من لواء العمارة (آنذاك) ولكنه سرعان ما تمرد، وقد دعته لجنة تأبين عدنان المالكي إلى دمشق للمشاركة في تأبينه، فلما وصل إليها ألقى قصيدته:

خلَّفتُ غاشية الخنوع ورائي     وأتيت أقبس جمرة الشهداء

والتي فضح فيها الحكم الرجعي في العراق، وأقام في دمشق بعد أن منحته الحكومة السورية حق اللجوء السياسي، وظل فيها سنتين ضيفاً على الجيش السوري، وفي دمشق أصدر الجزء الأول من ديوانه في طبعته الرابعة.

عاد إلى العراق سنة 1957م وأقام في علي الغربي حتى إذا قامت ثورة الرابع عشر من تموز 1958م عاد إلى بغداد، ومدح الثورة بقصيدته:

سدد خطاي لكي أقول فأحسنا فلقد أتيتُ بما يجل عن الثنا

ثم استأنف إصدار (الرأي العام) ووقفها على تأييد الثورة.

انتخب رئيساً لاتحاد الأدباء العراقيين ونقيباً للصحفيين، ولم يمض على الثورة عام حتى أخذ يواجه مضايقات مختلفة بلغت حداً أدى إلى الاعتداء عليه وتوقيفه، فخشي على حياته وانتهز فرصة دعوته إلى حضور حفلة تكريم الأخطل الصغير في بيروت عام 1961م لمغادرة العراق، وقد غادره فعلاً، ومن هناك استقر في براغ ضيفاً على اتحاد الكتاب التشيكوسلوفاكيين.

وإذ اشتدت الضائقة بالشاعر قبل مغادرته العراق، رأى جماعة من اصدقائه ومحبيه ان يسعوا للتخفيف عنه ففكروا في طبع ديوانه كاملاً في اربعة أجزاء، وبدأ المشروع فعلاً وصدر منه جزءان الجزء الأول عام 1960 والثاني عام 1961م.

أقام الجواهري في براغ سبع سنوات وصدر له فيها عام 1965م ديوان جديد سماه بريد الغربة وفي أواخر عام 1967م جاء إلى بيروت ليطبع ديوانه كاملاً، واتفق مع دار الطليعة على إصداره، فصدر الجزء الأول منه في نيسان 1968م، وكانت المكتبة العصرية ومطبعتها في بيروت قد أصدرت قبل ذلك بعام جزءين في مجلد واحد من ديوانه، أفاد الشاعر أنها طبعة مسروقة.

وبعد ثورة السابع عشر من تموز، وفي أواخر 1968م عاد إلى الوطن بدعوة من حكومة الثورة، وقد استقبل استقبالاً حافلاً، واقامت له وزارة الأعلام حفلاً لتكريمه، ألقيت فيه القصائد والكلمات وألقى هو فيه قصيدته الرائية ومطلعها:

أَرِخْ ركابك من أين ومن عشر كفاك جيلان محمولاً على سفرِ

وخصصت له حكومة الثورة راتباً تقاعدياً شخصياً قدره 150 ديناراً في الشهر، وقد رأس الوفد العراقي إلى مؤتمر الادباء العرب السابع الذي عقد في بغداد.

وفي عام 1969م صدر الجزء الثاني من ديوانه عن دار الطليعة، وفي العام نفسه صدر له في بغداد ديوان (بريدة العودة).

وعلى اثر صدور بيان 11 آذار سنة 1970م قال قصيدته (حلف تحدر) والتي طبعت بعد ذلك مستقلة.

وفي عام 1971م أصدرت له وزارة الاعلام ديوان (أيها الأرق)، في هذا العام نفسه رأس الوفد العراقي الذي مثل العراق في مؤتمر الادباء العرب الثامن المنعقد في دمشق، وفي العام نفسه أصدرت له وزارة الأعلام ديوان (خلجات).

وفي عام 1973م رأس الوفد العراقي إلى مؤتمر الادباء التاسع الذي عقد في تونس.

وعلاوة على ذلك فللشاعر الكبير نثر فني جدير بدراسة مستقلة.

لقب الجواهري بشاعر العرب، وأطلقت عليه صحافة دمشق في الخمسينات لقب صناجة العرب.

حاز جائزة سلطان العويس للانجاز الثقافي والعلمي سنة 1991م.

منحه الرئيس السوري حافظ الأسد وسام الاستحقاق من الدرجة الممتازة، وأقيم له حفل تكريم في دمشق في 4/ 7/ 1995م[1].

توفي في دمشق ودفن إلى جانب زوجته في مقبرة خلف ضريح السيدة زينب وبالقرب من قبر الشاعر العراقي مصطفى جمال الدين.

## حسن محمد نور الدين

الدكتور الشاعر حسن محمد نورالدين، ولد سنة 1952م، في بلدة كفر رمان الجنوبية من قضاء النبطية. تلقى علومه الاعدادية والثانوية في مدارس المنطقة، ثم التحق بدار المعلمين والمعلمات في النبطية سنة 1970م ليتخرج ويعين مدرساً رسمياً في متوسطة بلدته كفر رمان سنة 1973م وبقي فيها حتى عام 1991م تاريخ تفرغه في كلية الآداب والعلوم الإنسانية في الجامعة اللبنانية، وقد دخل في ملاكها سنة 1999م.

حائز من جامعة القديس يوسف على الماجستير في اللغة العربية وآدابها، وعلى الدكتوراه (اختصاص) والدكتوراه في الآداب فئة أولى.

وهو الآن أستاذ في كلية الآداب والعلوم الإنسانية ـ الفرع الخامس ـ صيدا، لمادتي الصرف والنحو وموسيقى الشعر، وهو مشرف ومناقش في لجان دبلوم الدراسات العليا والدكتوراه.

رأس قسم اللغة العربية وآدابها خلال العامين 1999م وحتى 2001.

شاعر وأديب وباحث، وعضو في اتحاد الأدباء والكتاب العرب.

---

(1) جريدة السفير ـ تاريخ 28/ 7/ 1997.

شارك في مؤتمرات وندوات وأمسيات داخل لبنان وخارجه، وناشر لأبحاث عديدة ومتنوعة.

من مؤلفات الشاعر:

مطارحات شعرية ـ الدليل إلى عروض الخليل ـ الدليل إلى قواعد اللغة العربية ـ الشعرية وقانون الشعر ـ عدي بن الرقاع العاملي ـ علي بن الجهم ـ ابن خفاجة الاندلسي ـ المنتخب من الشعر في الحب ـ العقد البديع في فن البديع (تحق) ـ المناهج الحسينية مجال الشعر في النجف الأشرف.

مجموعة شعرية بعنوان داليات الشهادة ـ مجموعة أخرى بعنوان وجع النخيل ـ مفاهيم اجتماعية بين الاسلام والنظم الوضيعة ـ تحق ودراسة ديوان السيد نور الدين بدر الدين.

## محمّد ميشال غريِّب

المحامي الدكتور محمد ميشال غريِّب، ولد في بيروت بتاريخ 24 تموز (يوليو) سنة 1931م، تنقل في مراحله الدراسية بين مدارس كثيرة، وكانت أول مدرسة يزاول فيها حياته التعليمية مدرسة عبرين للرهبات، ثم مدرسة راهبات القلبين الأقدسين في محلة السيوفي ـ بيروت ـ وكان في السادسة من عمره، ثم انتقل إلى مدرسة رهبان المخلص، فإلى مدرسة أخرى للطائفة الانجيلية في محلة السيوفي، وما لبث ان انتقل إلى مدرسة الثلاثة أقمار التابعة للمطرانية الارثوذكسية وكانت بعيدة جداً عن منزله إذ تقع في شارع الجميزة، ومن الثلاثة إلى مدرسة المعارف الرسمية المجانية، وعندما تعاقد أخوه سليم سنة 1944 للتعليم في مدرسة للتعليم في مدرسة الآباء اليسوعيين في بكفيا، انتقل إليها ميشال تلميذاً داخلياً، ولكن لظروف عائلية تتعلق بأخيه ومحاولة زواجه من فتاة من بكفيا، أعيد ميشال إلى بيروت قبل أن يكمل سنتين من الدراسة في تلك المدرسة.

كانت آخر مدرسة دخلها الشاعر في حياته، هي اللاييك الفرنسية حيث درس فيها الصف التكميلي الأول فقط وذلك سنة 1946م وكان في الرابعة عشرة من عمره.

بعد ترك المدرسة، اضطر ميشال إلى التفتيش عن عمل يؤمن له مصروفه ويخلصه من سياسة ابيه الظالمة بحقه وحق أمه، وبعد لأي توفق أن يعمل أجيراً في

محل خديج أخوان في 15 تموز 1946م. براتب سبع ليرات ونصف أسبوعياً، وقد يسرَّ والدته آنذاك بجزء كبير منه وترك الباقي لنفسه، وهكذا اعتاد أن يفعل، وكان يصطحب معه الكتب إلى المحل وينتهز أوقات الاستراحة ليطالع بها لشغفه الشديد بالعلم والمعرفة، إلا أنه قدم استقالته من هذا العمل بعد فترة بسبب إهانة (صفعة على خده) تعرض لها من صاحب المحل،[1] لأنه كان يستخدم الآلة الكاتبة خفية عنه، وما لبث أن وفق بوظيفة مساعد طابع في شركة كات لصاحبها أميل البستاني، وقضى في هذا العمل سنتين حتى 30 أيار 1949م، ونال شهادة عمل وسلوك مرضيين.

بعد ذلك أصبح معروفاً في السوق ولدى كبار المستوردين بعد أن اتفق مع بضعة محال تجارية للعمل لديها ساعات محددة أسبوعياً يكتب لها رسائلها باللغات العربية والفرنسية والانكليزية ثم يطبعها على الآلة الكاتبة. كما أنه مارس إعطاء دروس خصوصية لبعض التلاميذ في بيوتهم ما بين 1950 و1953م.

انتسب سنة 1951م إلى مدرسة العائلة اللبنانية المسائية بغية دراسة البكالوريا، وقد نال هذه الشهادة سنة 1952، باللغتين العربية والفرنسية.

وفي السنة التالية اجتاز امتحان الفلسفة، وفاز بالشهادتين العربية والفرنسية.

ثم تسجل في كلية الحقوق والعلوم السياسية التابعة للجامعة اليسوعية سنة 1954م، وبعد أن نال شهادة الحقوق الفرنسية في حزيران 1956م، والحقوق اللبنانية 1957، انتسب إلى نقابة المحامين واصبح محامياً متدرجاً بتاريخ 22/ 8/ 1957م.

كان د. ميشال الغريب مناضلاً عربياً حميماً، حارب الاستعمار وكرهه ايما كره، وانتقد نظم التعليم اللبنانية التي كانت في معظمها فرنسية تخدم الاستعمار ومصالحه، كما انه في ممارسته المحاماة انتقد بعنف ممارسات المحاكم والقضاة.

من كتبه: العدالة المنقوصة ـ 1960م ـ الطائفية والاقطاعية في لبنان ـ 1962 ـ الزواج المدني ـ 1965م ـ النائب في لبنان (بالفرنسية) 1966 ـ التمييز العنصري في اسرائيل ـ 1969 ـ الصحافة اللبنانية بالفرنسية 1968م ـ حريق المسجد الأقصى ـ 1970 ـ الصليبيون اللبنانيون ـ 1977 ـ الحريات العامة في لبنان والعالم 1978 ـ الصحافة تاريخياً وحاضراً ـ 1978 ـ مذكرات ماروني ـ 1984م ـ فساد الحكم في لبنان.

---

(1) د. ميشال غريب ـ مذكرات ماروني ـ في بيروت ـ طبعة أولى 1984م ـ ص41 ـ 50.

زار الهند والاتحاد السوفياتي واميركا وأسس مجلس الشوف الثقافي وأنشأ حديقة عامة وقاعة محاضرات وسينما مجانيتين، وأنشأ رابطة آل الغريب سنة 1973م، وتهجر من مسقط رأسه الدامور، وترأس لجنة التربية في الشوف التابعة للحركة الوطنية التي كان يرأسها المرحوم كمال جنبلاط، وشارك في جبهة المسيحيين الديمقراطيين، وفي مجلس القوى الشعبية.

بعد تهجيره من الدامور سنة 1975م، طرح منزله هناك للبيع ونقل نفوسه إلى بيروت، ترشح للانتخابات النيابية عام 1972م فلم يوفق.

حصل عِلى درجة دكتوراه في الحقوق صيف 1969م[1].

## شوقي مصطفى بزيع[2]

ولد الشاعر اللبناني شوقي مصطفى بزيع سنة 1951م في بلدة زبقين الجنوبية، شاعر معاصر، حائز على دبلوم في اللغة الفرنسية وآدابها، كتب الشعر بالعامية وبالفصحى، ولكنه برع أكثر بالفصحى، نشر وينشر نتاجه الشعري في الصحف والمجلات اللبنانية والعربية.

شارك الشاعر بزيع في معظم مهرجانات الشعر العربية، لا سيما في جرش، قرطاج، اللاذقية، الشارقة، فرنسا، مصر، وغيرها.

للشاعر دواوين شعرية كثيرة منها: أغنيات حب على نهر الليطاني ـ عناوين سريعة لوطن مقتول ـ وردة الندم ـ قمصان يوسف ـ الرحيل إلى شمس يثرب ـ كأني غريبك بين النساء ـ مرثية الغبار ـ المجموعة الكاملة.

## حلمي سالم[3]

شاعر عربي مصري، ولد سنة 1951م في قرية الراهب، محافظة المنوفية، حصل بعد دراساته الأولية على ليسانس بالصحافة من كلية الآداب جامعة القاهرة سنة 1974م.

---

(1) يراجع كتاب الشاعر (مذكرات ماروني) ـ (شارع فردان ـ قرب ثكنة (سيار) الدرك) ـ ط1 ـ 1984م.

(2) وجه لبنان الابيض ـ ص479 ـ شركة M.C.A ـ حرش ثابت ـ بيروت ـ معجم القرن العشرين.

(3) معجم البابطين للشعراء العرب.

سنة 1980 زار لبنان وعمل في إعلام الهلال الأحمر الفلسطيني وفي مجلة نضال الشعب حتى نهاية عام 1988م. عاد إلى القاهرة وعمل لمدة عامين بمجلة فكر، وهو يعمل منذ سنة 1987م، أسس سنة 1977م هو وحسن طلب وجمال القصاب ورفعت سلام مجلة شعرية باسم إضاءة 77، كانت علامة على تيار كامل في الكتابة الشعرية في السبعينات والثمانينات.

من مجموعاته الشعرية: حبيبتي مزروعة في دماء الأرض (1974م) - اسكندرياً يكون الألم (1981م) - الأبيض المتوسط (1984). سيرة بيروت (1986) دهاليزي الصيف أو الوطء 1990.

## أحمد مطر

شاعر عراقي عربي معاصر - ذاع صيته في العالم العربي من خلال شعره الجريء، وينطلق في قصائده من واقع الجماهير العربية، منتقد الساسة والحاكمين والاحتكاريين والجشعين والمستغلين الدين لمآرب خاصة، بأسلوب لا يعرف المداهنة والرياء، في جرأة نادرة وطريقة قلما لجأ إليها شاعر عربي باستثناء البعض منهم. من مجموعاته الشعرية - لافتات - (سبع لافتات من 1984 وحتى 1999م -).

إني المشنوق أعلاه - 1989 - ديوان الساعة 1989. العشاء الأخير لصاحب الجلالة إبليس الأول.

## جوزف حرب

من الشعراء العرب اللبنانيين المعاصرين، ولد في بلدة المعمرية، سنة 1944، كتب الشعر منذ صغره، وما لبث أن برع واشتهر أمره خاصة بعد أن غنت فيروز بعض قصائده، رأس اتحاد الكتاب اللبنانين لاكثر من فترتين متتالتيين وحتى عام 2006 حيث انتخبت هيئة جديدة برئاسة الشاعر غسان مطر.

اتسم أسلوبه بالجمالية وقوة المعنى وسمو الأفكار، نقل الطبيعة والمجتمع والناس إلى شعره، من مجموعاته الشعرية: شجرة الأكاسيا (دار الفارابي 1986م) - مملكة الخبز والورد (عن دار الآداب 1991م) الخصر والمزمار (الآداب 1994م) - قصص الحبر (شعر بالمحكية عن دار أمواج 1995) - السيدة البيضاء في شهوتها الكحلية (رياض الريس - 2000م) - شيخ الغيم وعكازه الريح (رياض الريس 2002م) - سنون تحت شمسية بنفسج (شعر بالمحكية عن دار رياض الريس) -

المحبرة (رياض الريس 2006م)، طالع على بالي فل (شعر بالمحكية عن دار رياض نجيب الريس 2007).

## قاسم حداد[1]

الشاعر العربي البحريني المعاصر قاسم محمد حمد الحداد، من البحرين، ولد سنة 1948م، درس في البحرين حتى حصل على الثانوية العامة.

يرأس تحرير مجلة كلمات، شارك في تأسيس أسرة الأدباء والكتاب، وفي تأسيس مسرح (أوال)، كما شارك في العديد من الملتقيات العربية والعالمية.

من مجموعاته الشعرية: البشارة 1970م - خروج رأس الحسين إلى المدن 1972 - الدم الثاني 1975 - قلب الحب 1980 - القيامة 1980 - انتماءات 1982 - شظايا 1983 - النهروان 1988 - يمشي مخفوراً في الوعول 1989. أيقظتني الساحرة (المؤسسة العربية للدراسات والنشر - 2004) - ما أجملك أيها الذئب جائع وتعفف عن الجثث (المؤسة العربية للدراسات والنشر 2006)

## عبد العزيز المقالح[2]

من النقاد والشعراء العرب المعاصرين، ولد سنة 1939م في «السُل» من الجمهورية العربية اليمنية.

ثقافته: تعلم أول الأمر في الكتاب في بلدته (السُل)، ثم في صنعاء في المدرسة المتوسطة، والمدرسة العلمية (الشريعة واللغة العربية)، دخل دار المعلمين في صنعاء من سنة 1957م وحتى سنة 1960م، وحصَّل دروسه الجامعية في القاهرة، حائز دكتوراه في اللغة العربية وآدابها من جامعة عين شمس سنة 1977م، وقد تناول في أطروحته الشعر الشعبي في اليمن.

حياته: عمل مدرساً في المدارس الثانوية، ثم مذيعاً فمستشاراً في وزارة التربية بعد الثورة اليمنية سنة 1962م، ثم سكرتيراً للإعلان والتربية في مجلس الوزراء، فمندوباً دائماً لليمن إلى جامعة الدول العربية 1966 - 1968. ثم أستاذاً للغة العربية

---

(1) معجم البابطين للشعراء العرب - ج4.

(2) اعلام الادب العربي المعاصر - اعداد روبرت كامبل - الشركة المتحدة للتوزيع بيروت - 1966م - ط1 - ج2 - ص1233.

والأدب الحديث في جامعة صنعاء، ونائباً لرئيس مركز الدراسات ـ صنعاء ثم عمل رئيساً لجماعة صنعاء ورئيساً للمركز اليمني للدراسات والبحوث.

نال جائزة لوتوس (التضامن الأفرو ـ آسياوي) للأدب 1984 و1986م.

واليوم بعد تقاعده ينشط في المجالات الشعرية والأدبية ويكتب وينشر في معظم المجلات العربية ويقيم ويعد مجالس ومنتديات للشعر، كما أنه من المساهمين الفاعلين في مسيرة الشعر والادب العربين وتطورهما.

وسأترك الآن الشاعر الدكتور عبد العزيز المقالح يتحدث عن نفسه.

**السيرة**: إنّ معظم اليمنيين ـ وأنا منهم ـ يكرهون التحدث عن الماضي أو الإشارة إليه لأنّه يذكرهم بأشياء كثيرة تبعث الأسى وتدعو للبكاء، وكلّ يمني يخزن في ذاكرته رصيداً ضخماً من مخاوف الطفولة وأحزانها. وأتذكّر بالمناسبة آخر إجابة على سؤال عن ملامح الحزن التي تبدو جلية في شعري، فقد قلت: الحزن في بلادنا هو أوّل ما يشرب الطفل مع لبن أمّه، هو أوّل لقمة يتناولها في حياته. الحزن غذاؤنا الرئيسي. لقد ولدت ووالدي في السجن. وتعرّفت عليه بعد ان اصبحت رجلاً. الإرهاب الذي نشأنا في ظلّه، الخوف الذي تربينا عليه، الحرمان الذي عشنا به ومعه هذه كلّها تجعلنا ضحايا الحزن.

ولدتُ في قرية صغيرة من القرى الكثيرة المتناثرة على جوانب (وادي بنا) أشهر وديان اليمن وأكثرها جمالاً طبيعياً وقد ألمحت في مقدمة هذا الحديث إلى أن والدي كان سجيناً عندما خرجت إلى الحياة، ووالدي فلّاح بسيط كان أبوه يقوم بالتدريس في (كتّاب) القرية، وقد اعتنى بتعليمه فكان لذلك فلاحاً فصيحاً يتحدّث عن هموم الناس وآلام المزارعين، وقد أوردته كلماته السجن، وظلّ يدخله ويخرج منه مرّات ومرّات وبلغت سنوات سجنه عشرين عاماً في فترات متفرقة! . .

تعلّمت الحروف الأولى في مكتب ـ أي كتّاب ـ القرية ونحن نسمّيه مكتباً لا (كتّاباً) وقرأت القرآن الكريم، وحفظت أجزاءه الأولى عن ظهر قلب كسائر زملائي الأطفال في ذلك الحين وقد أكملت قراءة القرآن الكريم في أقصر فترة وأهّلني ذلك للالتحاق بالمدينة حيث كانت بعض الكتاتيب المسمّاة تجاوزاً بالمدارس تقدّم بعض العلوم الحديثة كالجغرافيا والهندسة والحساب وكانت صنعاء عاصمة البلاد هي المختارة وبخاصة أنّ والدي كان يقيم في أحد سجونها المعروف (بالقلعة) ومن حسن حظّي أن سجن والدي هذه المرّة كان بعد عودته من رحلة طويلة قام بها إلى

الهند والنجف الأشرف وإلى مصر .. وقد حمل معه كمّيات من الكتب أتذكّر منها إلى الآن النظرات والعبرات للمرحوم مصطفى لطفي المنفلوطي، وكتب عن القراءة الرشيدة، وبعض قصص ودواوين شعريّة، منها ديوان شوقي وديوان المتنبّي وديوان مجنون ليلى ومجموعة من القصص الشعبي مثل عنترة وسيف بن ذي يزن وألف ليلة وليلة. وأذكر أنّ الكتاب الأخير وهو ألف ليلة وليلة لم يكن كاملاً فقد اختفت منه بعض الصفحات التي تتحدث عن الجنس بالمكشوف أو تصف المواقف الغراميّة بلغة لا تتناسب مع سنّ الطفولة أو مرحلة الشباب.

وحين انتقلت إلى صنعاء حملت بعضاً منها معي، وكنت أقرأ بعض الكتب التاريخية، وأقرأ بعض الأشعار دون فهم، ثم بدأت أفهم .. كان المنفلوطي رحمه الله بنظراته وعبراته هو الدليل الأوّل. ووجدت في كتب الأساطير متعة، كنت أرفض الخروج إلى الشارع لمشاركة أترابي ألعابهم، وأبقى منكبّاً على هذه الكنوز بشغف وأستعيد ما أقرؤه.

وفي كلّ مساء وعلى ضوء لمبة الغاز الخافت كنت أقرأ لجدّتي حروب عنترة، وكفاح سيف بن ذي يزن .. لم تكن المدرسة في صنعاء تعطيني جديداً أو شيئاً كثيراً أو قليلاً من المعرفة .. في الجغرافيا الجهات الأربع والبحار واليابسة والجزر وشبه الجزر ثمّ لا شيء .. وفي الهندسة الأشكال الأوّلية، الخط: النقطة، الزاوية المثلّث .. إلخ ثمّ لا شيء وفي التاريخ سطور عن اليمن قبل الإسلام، ثمّ سطور عن اليمن بعد الإسلام، وصفحات عن الإمام، كفاحه .. بطولاته .. حياته إلخ..

وفي الأدب بعض قصائد هزيلة لصفي الدين الحلي، ولأبي العتاهية، ولبعض شعراء الشيعة أو بعض قصائد المدح في الإمام.

وكنت في هذه الفترة أهوى فن الرسم، كنت أشتري بعض الأوراق الرخيصة الثمن معها بعض الألوان الخاصة بصبغ الملابس، وأرسم بعض الأشكال الادمية، وبعض صور الحيوانات والبيوت، .. وكان بعضهم ينتظر لي مستقبلاً عظيماً في فن التصوير بشرط أن أبحث لي عن وطن آخر فقد كان (يمن الإمام) يرى في التصوير عملاً شيطانياً.

أمّا المرحلة الثانية فتبدأ هناك (حجة) كان والدي قد خرج من السجن لكنّه لم يلبث أن عاد إليه، كان هذه المرّة (سجن نافع) في حجة وقد ظلّ في أعماق السجن الرهيب سبعة أعوام قبل أن أرحل إليه مع والدتي وإخوتي، وفي حجة بدأت

ـع الحروف، كانت حجة سجناً لعشرات المواهب اليمنيّة، وفي
(نافع) (المنصورة) و(القاهرة) يقيم عشرات العلماء والأدباء
ـ في الثانية عشرة من عمري تقريباً وكان العام 1951م هو العام
من صنعاء إلى حجة وبالقرب من طلائع الشعب وأبرز قادته بدأت
حقت أوّلاً بالمدرسة المتوسّطة، ثم انتقلت منها إلى المدرسة
ن الزملاء .. كنت وما زلت أعتزّ بزمالتهم وصداقتهم، وإذا كنت
وسّطة قد عمّقت صلتي بالمعلومات المدرسيّة نفسها ولكنّه جاء
ا ـ من خلال أستاذنا الجليل السيّد أحمد محمّد الوزير أحد أفراد
ذين تصدّروا حركة شباط (فبراير) 1948م، وأطاحوا بالإمام يحيى
لمربّي الفاضل أن يحصل على موافقة من الإمام أحمد بأن يسمح
اً في المدرسة العلميّة على ان يعود إلى السجن ليلاً، ومن خلال
ل تعرّفت مع زملائي على جوانب كثيرة في الحياة الثقافيّة، لقد
ادق الرفاعي في معظم آثاره، وقرأنا طه حسي:ن أيّامه، نقده،
نا جبران خليل جبران، من دمعة وإبتسامة إلى الأجنحة المنكسّرة،
ـبي إلخ، وقرأنا محمّد حسين هيكل، وكان كتاب محمّد موضوع
اتنا، وفي هذه الفترة أيضاً تعرفتُ على العقّاد من خلال عبقريّاته
ـك الشعريّة، كانت تتعثّر، تستقيم أحياناً وتنحى أحياناً أخرى.

» أخي الصغير فبكاه كل من في المنزل، وحاولت مثلهم أن أبكي
ـم .. أحتبس الدمع، غاب الصوت وفجأة وجدتني أكتب قصيدة
ـها كل الدموع المتحجرة، وأطلقت فيها العنان للصوت الضائع،
ـاذي وعلى زملائي فنالت الإعجاب وبدأ بعض الزملاء في حفظ
ـ ترديدها بين حين وآخر. وأحسست أنني قد وجدت الطريق وما
ـل السير مستفيداً من كلّ ما أمر به أو يمرّ بي.

أن أعبر هذه المرحلة قبل أن أشير ولو إشارة عابرة إلى عدد من
ـنيّة التي أسهمت في تعميق صلتي بالحروف والكلمات كالأستاذ
ـان الزعيم المعروف والذي كان لتوجيهاته الأبويّة تأثير بالغ، وابنه
حمد النعمان أستاذي في مادّة اللغة العربيّة، والقاضي عبد الرحمن
ـيّة اليمنيّة الوطنية اللامعة الذي أمدّني بمعظم ما كان يصل إليه من

كتب أدبيّة وتاريخيّة إلى سجنه وأهمّ هديّة أدبيّة أهدانيها مجموعة من مجلّدات الرسالة للأديب العربي الشهير الأستاذ أحمد حسن الزيّات رحمه الله .. كانت هذه المجلّدات مدرسة. وهناك المؤرخ المحقق محمد ابن علي الأكوع.. لقد جعلني هذا الشيخ الشاب أحبّ هذه الفترة وأفدت منهم بلا حدود أستاذ أحمد حسين المروني .. لقد كان سعيداً بمحاولاتي الأولى، وكتب لي تقديماً شعرياً لأوّل ديوان شعر كنت أحلم بإصداره وهو ديوان «دموع في الظلام» الذي يجمع عشرات القصائد والمقاطع الرومانسيّة الحالمة. وقد ضاع ولم يبق منه سوى قطّرات ومقدمته الشعريّة للشاعر الأستاذ أحمد حسين المروني.. أمّا أستاذي القاضي عبدالله الشماصي، وقد قرأت بين يديه عدداً من كتب التراث ومنها الأغاني أو الكامل، فقد حاول أن يصنع مني خطيباً مرتجلاً. ولكنه فشل أو بالأصح فشلت أنا أن أكون خطيباً أجاريه في سرعة البديهة وجزالة العبارة وحسن التضمين.

وبعد هذا لا أبالغ إذا قلت أنّ أهمّ أساتذتي في هذه الفترة وأبلغهم تأثيراً هو الأستاذ الرائد، وشاعر اليمن الكبير الأستاذ محمّد الزبيري لم يكن واحداً من المعتقلين في هذه المدينة، ولم يكن مقيماً في اليمن بأسرها فقد كان ضيفاً في الباكستان ومع ذلك فقد كان حضوره في مشاعر الناس وفي حياتهم الفكريّة والثقافيّة أكثر من حضور الآخرين بما لا يقاس بمقياس الزمان والمكان، كان الزبيري حاضراً في وجدان الشباب وطلبة المدارس رغم بعده عن الوطن .. وكان شعره أغنية الموسم وكلّ موسم، وقد انفعلت بقصائده الوطنيّة وقصائده الاغترابية وحفظت كلّ بيت من أشعاره.

خلال رحلتي مع الحروف والكلمات التي استمرّت من عام 1951م إلى عام 1956م بدأت أراسل بعض الصحف المحلية، وكانت في البلاد آنذاك ثلاث صحف بعضها شهريّة، وبعضها فصلية، وبعضها سنويّة وهي الإيمان، النصر وسبا وقد نشرت في صحيفتي النصر وسبا بعض المقالات القضيرة ونشرت عام 1955م أوّل قصيدة بعنوان باسم مستعار ابن الشاطئ وكانت القصيدة في الذكرى الثانية لوفاة الصديق المغفور له أحمد عبد الملك وقد كتب شقيق الفقيد زميلي الأخ محمّد عبدالله مقالاً رائعاً بجوار القصيدة يتحدّث عن نفس المناسبة الحديثة .. وواضح مما أسلفت أنّني كنت أوقع معظم ما أنشره، وهو قليل تحت اسم مستعار ابن الشاطئ وذلك لسببين أولهما أنني لم أكن أثق بجودة ما أنشر وثانيهما إنني لم أكن

أحب الظهور، وكنت زاهداً في الشهرة من أي نوع وكنت أحلم أن أصل بأفكاري إلى القارئ ولا يهمّني أن تنسب هذه الأفكار إليّ أو إلى غيري ما دامت تؤدّي أثرها المطلوب، وما زلت إلى الآن أحاول ألا أوقع ما أكتب لولا حرص الصحافة على كسب القارئ من خلال إبراز أسماء الكتاب والشعراء الذين يسهمون في التحرير.

إنّ شعاري وحكمتي المفضّلة في مجال الكتابة والعمل منذ خمسة عشر عاماً هي الآية الكريمة **﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتّقين﴾**، وكم أتمنّى أن أمسح بكفّي اسمي من كلّ الصحف والكتب والدواوين ويبقى ما كتبته، وما أكتبه من حروف وكلمات تعبيراً مجهولاً عن محاولات إنسان يخطئ ويصيب.. يخطئ بالكتابة والكلام ويصيب بالصمت والاختفاء عن الأنظار.

**مؤلّفاته:**

**أ ـ أعمال شعرية:**

1 ـ لا بدّ من صنعاء، القاهرة، دار الهناء، 1971؛ ط2، صنعاء، الدار الحديثة للطباعة، 1971.

2 ـ ما ربّ يتكلّم، تعز الدار الحديثة، 1971. بالاشتراك مع عبدو عثمان.

3 ـ رسالة إلى سيف بن ذي يزن، صنعاء، الدار الحديثة للطباعة، 1972؛ القاهرة، دار الهناء، 1973.

4 ـ هوامش يمنيّة على الغربيّة ابن زريق البغدادي، بيروت دار العودة، 1974 وعدن، وكيل التوزيع مؤسسة 14 أكتوبر 1974.

5 ـ عودة وضّاح اليمن، بيروت، دار العودة، 1976.

6 ـ ديوان المقالح، بيروت دار العودة، 1977، أعماله الشعريّة الكاملة.

7 ـ الكتابة بسيف الثائر علي بن الفضل، بيروت، دار العودة، 1978.

8 ـ الخروج من دوائر الساعة السليمانيّة، بيروت، دار العودة، 1981.

9 ـ قراءة في أوراق الجسد العائد من الموت، بيروت، دار الآداب، 1986.

**ب ـ دراسات نقدية وغيرها:**

10 ـ فوق الجبل، شعر مطهّر علي الأرياني، دراسة وتقديم، [القاهرة]، 1973.

11 ـ الأبعاد الموضوعيّة والفنّية لحركة الشعر المعاصر في اليمن، بيروت دار العودة، 1974.

12 ـ قراءة في الأدب اليمني المعاصر، بيروت، دار العودة، 1974.

13 ـ شعر العاميّة في اليمن، صنعاء، مركز الدراسات اليمنيّة، 1978، بيروت، دار العودة، 1978.

14 ـ يوميّات يمنيّة في الأدب والفنّ، بيروت، دار العودة، 1978.

15 ـ قراءة في الأدب والفنّ، بيروت دار العودة، 1979.

16 ـ أصوات في الزمن الجديد: دراسة في الأدب العربي المعاصر، بيروت، دار العودة، 1980.

17 ـ الزبيري، ضمير اليمن الوطني، والثقافي، بيروت، دار العودة، 1980.

18 ـ أزمة القصيدة الجديدة: دراسة ومناقشات، بيروت، دار الحداثة، صنعاء، دار الكلمة، 1981؛ ط2، بيروت، دار الآداب 1986 (تحت عنوان: أزمة القصيدة العربية.

19 ـ الشعر بين الرؤيا والتشكيل، بيروت، دار العودة، 1981.

20 ـ قراءة في فكر الزيديّة والمعتزلة، بيروت، دار العودة، 1982.

21 ـ عبد الناصر واليمن: فصول من تاريخ الثورة اليمنيّة، بيروت، دار الحداثة، 1983.

22 ـ أحمد الحورش الشهيد المربّي، بيروت، دار الآداب، صنعاء، مركز الدراسات والبحوث اليمينة 1983. دراسة في جياة أحمد الحورش (1920 ـ 1948)، مثقف يمني ورجل السياسة.

23 ـ من البيت إلى القصيدة، بيروت، دار الآداب، 1983.

24 ـ شعراء من اليمن، بيروت، دار العودة 1983.

25 ـ ثرثرات في شتاء الأدب العربي، بيروت، دار العودة، 1983، مقابلات مع عبد العزيز المقالح.

26 ـ عمالقة عند مطلع القرن: أحمد شوقي، حافظ إبراهيم، طه حسين، عبّاس العقاد، مصطفى صادق الرافعي، أبوة القاسم الشابي، بيروت، دار الآداب، 1984.

27 ـ أوّليات النقد الأدبي في اليمن، 1929 ـ 1948، بيروت، دار الآداب 1984.

28 ـ الوجه الضائع، دراسات عن الأدب والطفل العربي، بيروت، دار المسيرة، 1985.

29 ـ البدايات الجنوبيّة، قراءة في كتابات الشعراء اليمنيّين الشبّان، بيروت دار الحداثة، 1986.

30 ـ تلاقي الأطراف، قراءة أولى في نماذج من أدب المغرب الكبير، الجزائر ـ تونس، بيروت، دار التنوير، 1987.

31 ـ من الأنين إلى الثورة، بيروت، دار العودة، 1989.

32 ـ صدمة الحجارة، دراسة في قصيدة الانتفاضة، بيروت، دار الآداب، 1992.

**عن المؤلف:**

1 ـ إضافات نقديّة، بيروت، دار العودة، 1978، مجموعة مقالات عن المؤلف.

2 ـ البعث (دمشق)، 22/ 6/ 1978، ص 7 مقابلة.

3 ـ مجلة أقرأ، 11/ 10/ 1979، ص 27 ـ 29 مقابلة.

4 ـ الكفاح العربي، 26/ 8/ 1985، ص 44 ـ 46. مقابلة.

# خاتمة المطاف

والآن، دعونا نرتاح ونريحكم ونريح الصعاليك بعد هذه الرحلة الطويلة الشاقة والماتعة عبر مسالك الصعلكة، ومفازاتها وشعابها المتنوعة. لقد حاولت قدر المستطاع وبالمتيسر، أن أدخل إلى مجتمع الصعاليك القلق والمثير والمدهش، وقد سافرت مع رواحلهم وتنقلاتهم عبر العصور، وصادقتهم ونقلت من أفواههم وقلوبهم الكثير من أسرارهم وأخبارهم التي اكتنفها الغموض في بعض جوانبها، وحاولت أن أنصف هؤلاء المظلومين الذين رافق الكثيرين منهم التعاسة ونكد الحظ، من خلال إبراز القيم والمثل التي كانوا يؤمنون بها ويمارسونها، والايجابيات الكثيرة التي طبعت حياتهم وتصرفاتهم، إذا كان عند هؤلاء بعض الهنات والأخطاء، فما من مخلوق يسلم من الخطأ عبر حياته وعلاقاته، فكيف بهؤلاء الذين دوخوا العصور واشعلوا الحياة بتصرفات وأعمال اكبرها البعض وانتقدها البعض الآخر، خاصة الأغنياء والحكام والمسؤولين الذين كانت معظم ثورات الصعاليك وانتفاضاتهم ضدهم وفي مواجهتهم، لأنهم استفردوا بمقدرات دولهم وثرواتها.

وأخيراً. أرجو أن اكون قد وُفقت في ما أقدمت عليه، وإذا كان هناك من نقصٍ وهنات، فذلك ما لا يسلم منه امرؤ على وجه البسيطة، فالكمال لله وحده، فعليه نتوكل وبه نستعين.

**حسن جعفر نورالدين**

# المصادر والمراجع


- الأصمعي ـ الأصمعيات ـ تحق: عبد السلام هارون وأحمد شاكر ـ بيروت ـ ط5 ـ فحولة الشعراء دار الكتب المصرية.
- الأبشيهي ـ المستطرف من كل فن مستظرف ـ تحق درويش الجويدي ـ المكتبة العصرية ط2 ـ 2000م.
- الآمدي ـ المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء ـ تحق عبد الستار فراج مصر 1961 ط1.
- ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ ـ دار صادر ـ بيروت.
- ابن عبد ربه الاندلسي ـ العقد الفريد ـ دار الكتب العلمية بيروت ـ ط1 ـ 1983م.
- ابن رشيق القيرواني ـ العمدة في محاسن الشعر وآدابه ـ تحق محمد محي الدين عبد الحميد ـ دار الجيل ـ ط5 ـ 1981م.
- ابن الجوزي ـ الاذكياء ـ المكتب التجاري ـ بيروت.
- ابن حزم ـ جمهرة أشعار العرب ـ دار المعارف بمصر ـ 1962م ـ تحق عبد السلام هارون.
- ابن حبيب ـ المجر ـ طبع الهند ـ 1942م.
- ابن خلكان ـ وفيات الأعيان ـ دار الثقافة ـ بيروت ـ تحق د. احسان عباس.
- ابن شاكر الكتبي ـ فوات الوفيات ـ دار صادر ـ بيروت.
- ابن الشجري ـ الحماسة ـ طبعة الهند ـ 1345 هجرية.
- ابن المعتز ـ طبقات الشعراء ـ تحق عبد الستار فراج ـ دار المعارف بمصر 1956م.
- ابن الجراح ـ الورقة ـ دار المعارف بمصر ـ ط2.
- ابن تغري بردي ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ـ دار الكتب المصرية.
- ابن منظور ـ لسان العرب ـ دار صادر بيروت.

- ابن المعمار - الفتوة - تحق - د. مصطفى جواد - بغداد 1958م.
- ابن قتيبة - الشعر والشعراء - دار إحياء العلوم - بيروت ط1 - 1984م.
- ابو الفرج الأصفهاني - الغاني - دار الثقافة - بيروت - 1983م - طبعة الساسي - طبعة دار الكتب.
- أبو حيان التوحيدي - الامتاع والمؤانسة - تحق أحمد رامي وأحمد الزين - القاهرة.
- أبو زيد القرشي - جمهرة أشعار العرب - دار الثقافة - بيروت - 1983م - وبولاق 1308هـ.
- أبو القاسم البغدادي - حكاية أبي القاسم - مطبعة هيدلبرج - 1902م.
- أبو عبيد البكري - سمط الآلئ - لجنة التاليف والترجمة - القاهرة 1936م.
- أبو علي القالي - الآمالي - دار السعادة - مصر - ط3 - 1953م.
- ابو تمام - الوحشيات - تحق عبد العزيز الميمني - دار المعارف بمصر - 1963م.
- ديوان الحماسة - تحق - عبد السلام هارون - القاهرة - 1951م.
- أحمد أبو السعد - الشعر والشعراء في السودان.
- أحمد الرفاعي - شكل آخر للصعلكة. إصدارات كراس - بيروت - ط1 - 2000م.
- أحمد سويلم - شعراء العمر القصير - دار اوراق شرقية - بيروت - ط1 - 1999م.
- أحمد أمين - قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية - لجنة التأليف والترجمة - القاهرة 1953م.
- الصعلكة والفتوة في الاسلام - دار المعارف بمصر.
- أحمد قبش - تاريخ الشعر العربي الحديث.
- أحمد الصافي النجفي - شرر - دار صادر وريحاني - بيروت.
- اشعة ملونة - المكتبة العصرية - صيدا ط2.
- هواجس
- أمل دنقل - الديوان - دار العودة - بيروت مكتبة مدبولي القاهرة.
- احسان عباس - ديوان القتال الكلابي - دار الثقافة - بيروت 1961م.
- أحمد عبد المعطي حجازي - الديوان - دار العودة - بيروت 2001م.
- أحمد مطر - الاعمال الكاملة - لندن - ط2 - 2001م
- أدونيس - الاعمال الكاملة - دار المدى - دمشق 1996م.
- أغاني مهيار - دمشق - دار المدى 1996م.

- أحمد ابو حاقة - الالتزام في الشعر العربي - دار العلم للملايين - بيروت - 1979م.
- اعلام الادب العربي المعاصر - ج1 - الشركة المتحدة للتوزيع - ط1 - 1996م إعداد روبرت كامبل.
- أحمد بسام ساعي - حركة الشعر الحديث في سوريا - دار المأمون - دمشق ط1 - 1978م.
- أحمد بن يوسف - كتاب المكافأة - القاهرة - مطبعة الجمالية 1914م.
- أنيس المقدسي - الاتجاهات الأدبية - بيروت - ط2 - 1960م.
- إيليا حاوي - بدر شاكر السياب - دار الكتاب اللبناني - بيروت ط2 - 1980م.
- البابطين - معجم البابطين للشعراء العرب - ج1.
- البحتري - الحماسة.
- بطرس البستاني - الشعراء الفرسان منشورات دار المكشوف - طبعة أولى 1944م.
- البغدادي ابو بكر - تاريخ بغداد - مكتبة الخانجي - القاهرة.
- كتاب التطفيل - المكتبة الحيدرية - النجف - 1966م.
- بدر شاكر السياب - الديوان - دار العودة - بيروت 1989م.
- بدر الدين الحامد - الديوان - حماة - 1948م.
- البلاذري - عبد القادر - خزانة الأدب - المطبعة الاميرية - 1411 هـ.
- البلاذري - انساب الاشراف - مكتبة المثنى - بغداد.
- البيهقي - المحاسن والمساؤى - دار صادر - بيروت - 1960م.
- التنوخي - الفرج بعد الشدة - طبعة مصر - 1938م - تحق عبود الشالجي.
- الثعالبي - يتمية الدهر - تحق محي لدين عبد الحميد - دار الفكر ببيروت - ط2 - 1973م.
- الجاحظ - الحيوان - دار صعب - بيروت - ط2 - 1982م.
- مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده - 1938م.
- البيان والتبين - دار صعب - بيروت - تحق - د. فوزي عطوي.
- تحق عبد السلام هارون - الخابخي - مصر 1961م.
- الجبرتي - عجائب الآثار - تحق محمد حسن جوهر وآخرين - ط1 - القاهرة - 1980م.
- جورج صيدح - ادبنا وادباؤنا في المهاجر الأميركية - مكتبة السائح - طرابلس لبنان - طبعة رابعة 1999م.

- جرجي زيدان - تاريخ آداب اللغة العربية - دار مكتبة الحياة - بيروت.
- جان طنوس - محمد زينو شومان - أمير الحزن والتشرد - جريدة الانوار.
- جهاد فاضل - رسائل السياب إلى يوسف الخال مجلة الكويت - عدد 173 - آذار - 1998م.
- جريدة البلد - عدد 391 - الأثنين - 31 كانون الثاني (يناير) 2005م.
- جورج مارون - شعراء الامكنة وأشعارهم - المكتبة العصرية - صيدا - بيروت - ط1 - 1997م.
- الجهشيارسي - الوزراء والكتاب - تحق مصطفى السقا - مطبعة البابي الحلبي وأولاده - القاهرة.
- جوزف حرب - كتاب الدمع - رياض نجيب الريس - بيروت ط1 - 2002م.
- حسن جعفر نورالدين - عاشوراء في الادب العاملي المعاصر - الدار الإسلامية - بيروت - ط1 - 1988م.
- حسن بشروش - ابو لفضل الوليد (الياس طعمة) الاديب والانسان - رسالة دكتوراة فئة أولى من الجامعة اللبنانية - 2003م.
- حسن محمد نورالدين - وجع النخيل - دار المواسم - ط1 - 2005م.
- داليات الشهادة - دار العلوم العربية - بيروت ط1 - 2001م.
- حسين عطوان - الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي - دار المعارف بمصر.
الشعراء الصعاليك في العصر الاسلامي - دار المعارف بمصر.
الشعراء الصعاليك في العصر الأموي - دار المعارف بمصر.
الشعراء الصعاليك في العصر العباسي الأول - دار المعارف بمصر.
الشعراء الصعاليك في العصر العباسي الثاني - دار المعارف بمصر.
- حلمي سالم - سكندرياً يكون الألم - دار المصير للطباعة - بيرون - ط1 - 1981م.
- خير الدين الزركلي - الاعلام - دار العلم للملايين - بيروت - ط1.
- الراغب الأصفهاني - محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء والبلغاء - مكتبة الحياة - بيروت 1961م.
- رشيد أيوب - ديوان الأيوبيات - دار صادر - بيروت - 1959م.
- سامي الكيالي - الادب العربي المعاصر في سورية.
- سالم المعوش - شعر السجون - دار النهضة العربية - بيروت ط1 - 2003م.
- أحمد الصافي النجفي - حياته من شعره - مطبعة بحسون - ط1 - 2004م.

الهذليين ـ الدار القومية للطباعة والنشر ـ القاهرة ـ 1965م.
لندن ـ 1854م.
لديوان 7 اجزاء ـ دار الجيل ـ دار الهدى ـ ط1 ـ 1992م.
تبة الأهلية ـ مصر.
بلة ـ مكتبة الجمهورية العربية ـ القاهرة.
لديوان.
الأمالي ـ تحق أبو الفضل إبراهيم ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت

لعرب ـ تحق ـ محمد بديع شريف.
صر الجاهلي ـ دار المعارف بمصر ـ 1963م.
ـ دار المعارف بمصر ـ 1965م.
ول ـ دار المعارف بمصر ـ 1965م.
اني ـ دار المعارف بمصر ـ 1973م.
ين سريعة ـ دار الآداب ـ بيروت ـ ط3 ـ 1985م.
عراء ماتوا جوعاً ـ مؤسسة بحسون ـ بيروت ط1 ـ 2003م.
دين ـ تابعوا موتنا ـ دار قناديل ـ بيروت ـ ط1 ـ 2005م.
لرسل والملوك ـ مطبعة الاستقامة ـ مصر 1939 ـ طبعة أوروبا

لوك ـ تحق أبو الفضل أبراهيم ـ دار المعارف بالقاهرة ـ 1966م.
ان تأبط شراً ـ الدار العالمية ـ بيروت ـ ط1 ـ 1993م.
لدار العالمية ـ بيروت ـ ط1 ـ 1993م.
الدار العالمية ـ بيروت ـ ط1 ـ 1993م.
رد ـ الدار العالمية ـ بيروت ـ ط1 ـ 1993م.
اقة ـ الدار العالمية ـ بيروت ـ ط1 ـ 1993م.
لدار العالمية ـ بيروت ـ ط1 ـ 1993م.
ي الكلابي ـ ديوانه ـ طبعة أوروبا ـ مطبعة الارشاد ـ بغداد ـ

جم القرن العشرين ـ وجه لبنان الأبيض ـ طبع شركة MCA ـ

ـ 1961م.
ـ 1979م.
ـبة مدبولي ـ ط2

ـ القاهرة ـ ط1

19م.

بيروت ـ باريس

ط1 ـ 2005م.

20م.
ـ 1980م.
ـ بيروت ـ ط1 ـ

عدد 45.
ـ البابي الحلبي

النشر ـ القاهرة ـ

ـ 2 ـ شارل بلا ـ منشورات الجامعة اللبنانية 1973م.
ـ المقريزي ـ الخطط المقريزية ـ مطبعة النيل ـ مصر ـ 1324 هـ.
ـ مصطفى جواد ـ الفتوة منذ القرن الأول حتى الثالث عشر الهجري.
ـ محمد فتحي يونس ـ أمل دنقل عاش صعلوكاً متمرداً ـ جريدة البلد ـ عدد 391 ـ ص 14.
ـ ميشال خليل جحا ـ الشعر العربي الحديث ـ دار العودة ـ بيروت ـ ط1 ـ 1999م.
ـ معروف الرصافي ـ الديوان ـ دار العودة ـ بيروت ـ 2000م.
ـ محمد علي الأمين ـ الصافي يقدم نفسه ـ رسالة ماجستير 1980م.
ـ محمد زينو شومان ـ قيامة القلق ـ دار الإنتشار العربي ـ ط1 ـ 2004م.
ـ طقوس الرغبة ـ مكتبة الفقيه ـ بيروت ـ ط1 ـ 1995م.
ـ هوَّة الاسماء ـ مكتبة الفقيه ـ بيروت ـ ط1 ـ 1999م.
ـ مراوغات الفتى الهامشي ـ رشاد برس ـ بيروت ـ 2002م
ـ الديوان المخطوط
ـ محمد علي الهواري ـ ديوان صامدون ـ دار النشر المغربية ـ الدار البيضاء 1974م.
ـ محمد ماجد الخطاب ـ مجلة الدبلوماسي المصري ـ عدد 45 ـ يونيو.
ـ المفضليات ـ المفضل الضبي ـ تحق ـ د. قصي الحسين ـ دار مكتبة الهلال ـ بيروت ـ 2004م.
ـ محمد الماغوط ـ المجموعة الشعرية ـ دار العودة ـ بيروت.
ـ سياف الزهور ـ المدى للثقافة والنشر ـ دمشق ـ ط1 ـ 2001م.
ـ شرق عدن غرب الله ـ المدى ـ ط1 ـ 2005م.
ـ مظفر النواب ـ المجموعة الكاملة ـ دار قنبر ـ لندن.
ـ محمود درويش ـ كزهر اللوز أو أبعد ـ رياض الريس ـ ط2 ـ 2005م.
ـ الديوان ـ دار العودة ـ بيروت ط14 ـ 1994م.
ـ محمد مهدي الجواهري ـ الديوان ـ دار العودة ـ بيروت ـ ط3 ـ 1982م.
ـ ممدوح عدوان ـ أبداً إلى المنافي ـ دار الملتقى للنشر ـ قبرص ـ ط1 ـ 1994م.
ـ مصطفى وهبي التل ـ الديوان ـ (عشيات وادي اليابس) ـ شركة الطباعة الحديثة بعمان ـ الاردن ـ 1954م.
ـ محمد علي شمس الدين ـ منازل النرد ـ دار الانتشار العربي ـ ط1 ـ 1999م.
ـ قصائد مهربة إلى حبيبتي آسيا.

- محمد بنيس - ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب.
- محمد ميشال غريب - فساد الحكم في لبنان - بيروت ط1.
- مذكرات ماروني في بيروت - ط1 - 1984م.
- موسى شعيب - المجموعة الشعرية - منشورات وزارة الثقافة والاعلام العراقية 1981م.
- مؤلف مجهول - مجموعة المعاني - طبعة القسطنطينية - 1301هـ.
- الميداني - مجمع الأمثال - بيروت 1248 هـ.
- وهب رومية - الرؤى السياسية في شعر البردوني - مجلة الكويت - عدد 227 - أيلول 2002م.
- ياقوت الحموي - معجم البلدان - مطبعة السعادة - القاهرة - 1906م.
- معجم البلدان - دار صادر - بيروت.
- ياسين الايوبي - قصائد الزمن المهاجر - دار الرائد العربي - بيروت - 1983م.
- يحيى فحص - حوار الظل والصدى (شعر) - رشاد برس - بيروت - ط1 - 1995م.
- وحده الناي (شعر) - شركة رشاد برس - بيروت - ط1 - 2006م.
- اليعقوبي - تاريخ اليعقوبي - دار صادر - بيروت - دار صعب - بيروت.
- يوسف خليّف - شعر الصعاليك في العصر الجاهلي - دار المعارف بمصر.

# الفهرس